

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي - لندن

من العـــدد

الثالث والسبعون - الثامن والسبعون

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

رئيس مجلس الإدارة

د/ عادل بن محمد السليم

مدير التحرير

أحمد أبو عامر

المدير الإداري

د/ عادل دعبول

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - [illegible]71 5307

كلمة صغيرة

نتيجة مرفوضة

. . . وتقاتل إخوة الجهاد في صراع دام مؤلم لكل مسلم مخلص ، والعجيب أن كل واحد من المتقاتلين يرفع راية الإسلام بل راية الجهاد ، فهل تكون ثمرة ذلك الجهاد المشرف لتحرير أفغانستان والذي رفع رؤوس كل المسلمين . . هل تكون ثمرته هذه الفوضى الجسيمة ، وتلك الحرب الداخلية الشرسة ؟! إن نتيجة ذلك ليس سوى الهدم لتلك المواقف المشرفة لذلك الجهاد والطعن في نزاهة الإسلاميين عموماً ، وادعاء الشامتين بأن هذا هو مصير كل توجه إسلامي . . فهل يعلم الإخوة المتقاتلون من المجاهدين جسامة ما أدى وسيؤدي إليه ذلك القتال ؟!

إننا ندعو إخوة الجهاد للتوقف والتأمل في خطر ما يصنعون : هل هو يرضي الله ؟ وما حكم سفك دم مسلم بغير حق ؟ فكيف بالعشرات بل المئات ؟!

إن تقاتلكم - أيها المجاهدون - إساءة للإسلام وللمسلمين عموماً وانتكاسة لا مبرر لها فحتى متى لا تجيبوا داعي الله ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ ، إن من الأهمية بمكان دراسة أسباب هذه الانتكاسة وستجدون أن السبب جوانب تساهلتم فيها من الولاء والبراء والإيثار ونكران الذات .

والله المستعان.

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

رمضان
بين الصورة والحقيقة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

تقوم مجلة **البيان** انطلاقاً من رسالتها الإسلامية بالتفاعل مع واقع أمتنا الإسلامية دعوة وتوجيهاً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . وواقع أمتنا اليوم يحفل بالكثير من المشكلات والمآسي التي يعاني منها جل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وكنا نتحين الفرص لمعالجة بعض الأحداث والمواقف ، إلا أن إطلالة هذا الشهر الكريم بإشراقاته وأنواره حاملاً معه البركات والخيرات ، جعلتنا نتوقف مع هذه المناسبة وقفة عرض ومحاسبة لأحوالنا في هذا الشهر وواقعنا فيه بين الصورة والحقيقة ، وما مدى التزامنا فيه بالهدي النبوي ، وماذا يتوجب علينا أن نقوم به لنكون فيه من المقبولين - إن شاء الله .

هذا الشهر الذي تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب جهنم وتصفد فيه الشياطين ، هو فرصة كبيرة لعودة كثير من المسلمين المسرفين على أنفسهم إلى الله توبة وهداية والتزاماً ، وحسب من صامه إيماناً واحتساباً أن يغفر له ما تقدم من ذنبه ، كما قال بذلك الصادق المصدوق ﷺ .

فقد كان هذا الشهر المبارك غرة في جبين تاريخ أمتنا كل عام ، وقد كان شهر الفتوح والانتصارات ، إذ أن كثيراً من الغزوات والمعارك الإسلامية كانت فيه من مثل (غزوة بدر وفتح مكة وفتح الأندلس وحطين . . .). ومما يؤسف له أن يتحول كثير منا في هذا الشهر إلى النقيض تماماً - عما كان عليه سلفنا الصالح - فيكونون في أحوال يرثى لها .

فتعالوا نتلمس آثار ذلك الشطط فيما يلي :

* من الناس من يستغل هذا الشهر للسفر والسياحة لا لطلب الجو المريح والمناخ الجميل الذي يعينه على الصيام والقيام ، وإنما للهروب من الجو الرمضاني ليعاقر المنكرات ويبارز الله بالمعاصي - والعياذ بالله - وهؤلاء أحياناً قد يضطرون لصيام قسري لعلاج أمراض معينة .

* هناك صنف آخر من الناس يأخذون الإجازات في هذا الشهر ، فليلُهم سهر ويقظتهم نوم ، فأي صيام هذا الذي لا تؤدى فيه الفرائض والسنن ؟!

* من الصائمين من لا يلتزم بأخلاقيات الصيام في تعامله ، فتجده وهو الصائم عبوساً قمطريراً ، وإن تحدث لا يعف لسانه عن الوقوع في الغيبة والنميمة وخلافها .

* إن أحوال كثير من المصلين - وقد أشرنا إلى بعض صورها - مما يؤسف لها إذ فيها محاذير شرعية قد تصل إلى إحباط العمل ، وربما ينطبق على الكثير منها ما جاء في الحديث (رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورُبَّ قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر) ، وهذا يقتضي من كل مسلم مخلص مراجعة حساباته في بداية هذا الشهر الكريم وأن ينظر لهذا الموسم بأنه فرصة كبرى ومجال مهم لتلافي الكثير من الأخطاء والزلات ، لعل الله أن يتداركه برحمته ، وأن يختم له بالحسنى ﴿ وما

تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأى أرض تموت ﴾ .

إن قضاء هذا الشهر كما ينبغي وفقاً لسنة البشير النذير شرف عظيم لا يحظى به ولا يوفق له إلا الربانيون المقتدون بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولعل القارىء الكريم أن يقف معنا متأملاً لهذه المعالم المهمة التي نذكر بها، والذكرى تنفع المؤمنين ، ومنها :

☆ استشعار أن الصيام عبادة لا عادة وأن ثمرته المفترضة هي التقوى إذ أن الحكمة منه كما أشار إليها جل وعلا ﴿ .. **لعلكم تتقون** ﴾ هي التقوى .

☆ زيادة الارتباط بكتاب الله حفظاً وقراءة وتدبراً ، والاطلاع على ما تيسر من تفاسيره الموثوقة ، ومن أجلّها (تفسير العلامة ابن كثير) ، ومن أهم مختصراته (عمدة التفسير) للشيخ أحمد شاكر .

☆ أن يكون الصيام كما كان عليه حال سلفنا الصالح تنافساً في الطاعات وتزوداً من النوافل والقربات ، ومن أهمها أداء الفرائض مع جماعة المسلمين والحرص على أداء صلوات التراويح والقيام وبذل الصدقات للمحتاجين، وتجنب كل ما يطعن ويفسد الصيام من الأقوال والأفعال .

☆ التفاعل مع واقع إخواننا المسلمين المستضعفين في أرجاء العالم الإسلامي بالبذل والمساعدة والمشاركة ما أمكن في الإغاثة، ودعم المشاريع الخيرية التي يعود ريعها لإخواننا المنكوبين .

☆ إن أداء الصوم مع الصائمين من المسلمين والإحساس بالجوع والظمأ يذكرنا بحال إخواننا المنكوبين ، وما يعانونه من جوع ومسغبة ، مما يدفعنا إلى بذل المزيد من التبرعات والهبات لصالح المشاريع الخيرية ، التي يعود ريعها لصالحهم .

وماذا بعد رمضان ؟!

إن حال كثير من المسلمين في رمضان تتحسن ويتضاعف العمل الصالح فيه ولكن ما إن تبدأ أيام الشهر بالانصرام ، وبعد حضور بعضهم ليلة القدر فيما يحسبون ، وحضور ختمة القرآن - كما يحرصون - يبدأ ذلك المشهد الفريد الذي تمتلىء فيه المساجد بالمصلين بالانفراط ، فتتناقص الصفوف وكأن القوم لا يعرفون الله إلا في ذلك الشهر المبارك والله المستعان .

ثم من يضمن أن يختم لذلك الناكص بخاتمة حسنة حينما يعود لمعاصيه وأخطائه وزلاته وسقوطه في دركات الخطايا ؟! من يضمن له حسن الختام وهو لا يدري متى تكون النهاية المحتومة ؟! إن حياة المسلم الحق رجلاً كان أو امرأة يجب أن تكون موصولة كل الصلة بالله تعالى كل أيام السنة ، بل يجب على الجميع أن يستشعروا أن كل ما يقومون به من أعمال شرعية ، أو حتى عادية يجب أن يقصد بها وجه الله والدار الآخرة ، أداء للواجبات وعملاً للصالحات مع الحرص في أدائها على أحسن وجه جودة وإتقاناً .

إن المسلم حقاً يشعر أنه على ثغر من ثغور الإسلام ، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله ، مع الحرص على أن يؤدي ما اؤتمن عليه بحماس وحيوية وإخلاص ، فلعل الله أن يختم له بخير ختام . والموفق حقاً والمقبول - إن شاء الله - من استمر على نشاطه وحيويته بعد رمضان في أداء ما افترض عليه من عبادات وواجبات والتزامات ، واهتدى بهدي البشير النذير ﷺ في سلوكه وتعامله .

والله نسأل أن يوفق الجميع لصيام هذا الشهر وقيامه على الوجه الذي يرضيه ، وأن يعز الإسلام والمسلمين ، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته بعز عزيز أو بذل ذليل . . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾

د. عبدالكريم بكّار

كان من منّة الله تعالى على هذه الأمة أن شرع لها من الدين ما يصلح أمر دنياها وآخرتها ، وكان من أهم ما شرعه صوم شهر رمضان المبارك .

والعبادات في الإسلام تكاليف ابتلاء ، ومقياس يكشف عن مدى تمكن الإيمان وألقه في نفس المسلم ، وهي في الوقت ذاته وسائل لتمكين ذلك الإيمان، إنها له بمثابة الماء للشجر والنبات .

وآيات الصيام لم تعدد لنا أنواع الخيرات التي سنحصل عليها من وراء هذه العبادة ؛ ليظل عطاء هذه العبادة مفتوحاً متنوعاً تظهره التجربة التاريخية الاجتماعية ، والواقع المعاش ، ونستطيع الآن من خلالهما أن نتلمس وجوهاً من ذلك الخير في المفردات التالية :

١ - إن الصيام وسيلة فعالة لتربية الإرادة الحرة :

حيث لا توجد عبادة من العبادات تكف المسلم عن شهواته وملذاته مدة متصلة من الزمان كهذه العبادة ، فهي تدريب لإرادة المسلم على مقاومة الأهواء والملذات ومغريات الحياة . والمتأمل فيما يتفاوت فيه الناس في هذا الوجود يجد أن محور التفاوت هو الإرادة لا القدرة ، فالقدرات الفطرية لدى الناس متقاربة

لكن تفاوتهم الأساسي يكون في مدى صلابة الإرادة التي تُسخِّر القدرة وتوجهها والتي تعين على ضبط الوقت ، وتكبح جماح الهوى والركون إلى الدعة وسفاسف الأمور ، ومن هنا فإن الصيام جاء لينمي تلك الإرادة وليُعَوِّدْها التوجه إلى الخير ومقاومة نزوات النفس ؛ ولذا فإن تفريط المسلم في أداء هذه الشعيرة صار لدى العامة من المسلمين مؤشراً إلى نقص في رجولته ، وهذا هو تفسير قيام كثير من المسلمين بالصيام مع تفريطهم في الصلاة ، مع أن أهميتها في الإسلام أعظم ! ويذكر لنا ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) أن هناك صنفاً من الناس لو ضرب بالسياط على أن يفطر رمضان ما أفطره ، ولو ضرب على أن يصلي ما صلى ! وما ذلك إلا لأن الناس عدوا الإفطار نقصاً في الرجولة ، ولم يعدوا الصلاة كذلك ، وقوله - سبحانه - : ﴿ **وأن تصوموا خير لكم** ﴾ في أعقاب ذكر الرخصة للمريض والمسافر بالفطر إيماءة للمسلم بأنه من الأفضل له أن يصوم مع المرض المحتمل والسفر غير الشاق ، ليكون في تحقيق إرادته نوع من المكابدة والمعاناة في سبيل الله - عز وجل - ، وحتى لا يصير بعض الناس إلى إيجاد الرخص والتذرع بها للفرار من الواجبات .

٢- الصيام عبادة سلبية . كيف ؟

فهو امتناع عن أنواع المفطرات ، ومن ثم فإنه بعيد عن الرياء ، وخرق تلك العبادة أمر ميسور في السر لمن أراد ذلك ، ومن هنا فإن صيام رمضان فرصة لتنمية الوازع الداخلي لدى المسلم ، هذا الوازع الذي تعد تنميته محور التربية الفردية الناجحة ، والملموس أن تعاظم هذا الوازع لا يتم إلا من خلال الثقة به والاعتماد عليه في شؤون عديدة ، فهو في ذلك أشبه شيء بعضلات الجسم في أن نموها في استخدامها وتحريكها والاعتماد عليها ؛ ولذا فإننا نرى ضعف الوازع الداخلي لدى أولئك الذين يأتون الفضائل ويقومون بالواجبات من خلال قسر الأبوين أو المجتمع ، فهم يفعلون ما يفعلونه نتيجة ضغط خارجي ، فإذا ما ضعف ذلك

الضغط أو تلاشى أتوا من الرذائل والقبائح وأنواع التحلل ما يتناسب طرداً مع حجم الضغوط التي تعرضوا لها فيما مضى ؛ وهذا يجعلنا نساوق بين الرقابة الاجتماعية وتنمية الوازع الداخلي من خلال التربية البيتية القويمة .

٣ - في الصيام فوائد طبية واقتصادية واضحة :

فهو يخلص الجسم من بعض ما تراكم فيه من الدهون ، ويريح المعدة من العمل الشاق الذي تقوم به على مدار السنة مع فوائد طبية أخرى معروفة . . وفي الصيام توفير إجباري لنحو ٤٠ ٪ من استهلاك الأطعمة والأشربة الذي تعوده الناس في أيام الفطر ، وفي هذا نوع من التعظيم للمالية الإسلامية ونوع من المحافظة على الموارد الغذائية للأمة المسلمة .

٤ - من خيرات رمضان أنه أضحى ظرفاً لأداء أنواع من القربات لله :

فقد تجاوز صيام هذا الشهر مفهوم التلبس بعبادة من العبادات ليصبح نوعاً من الامتثال لمفردات كثيرة في المنهج الرباني ، ففيه قيام الليل والإكثار من قراءة القرآن والاعتكاف في المساجد ولزوم الجماعات من قبل كثير من المسلمين وإخراج صدقة الفطر والاستبشار بعفو الله وكرمه بما تظهر الأمة من البهجة والسرور في يوم عيدها ، فكأن شهر رمضان مناسبة لازدحام العبادات والقربات في حياة المسلم على نحو لا يتوفر في أي وقت آخر .

٥- يمثل الصيام نوعاً من الاتصال والتواصل الاجتماعي :

حيث ترسم الظروف اليومية والمصالح والأوضاع الاجتماعية والطموحات الخاصة مجموعة من الأطياف العازلة لكل إنسان عن غيره مما يؤدي إلى فقد الاتصال أو ضعفه ، وفقد الاتصال في مجتمع ما من أكبر المعوقات له عن النمو والتجانس والصمود في وجه الكوارث وألوان العدوان الخارجي ، ومن ثم فإن امتناع أبناء المجتمع المسلم عن الطعام في وقت واحد -

مهما كانت أوضاعهم الاجتماعية - وتناولهم له في وقت آخر محدد ، إلى جانب الشعائر الجماعية الأخرى التي تعودها المسلمون في هذا الشهر المبارك - من أهم ما يوحد الشعور بالتجانس ، ومن أهم ما يزيل الحواجز التي تولدها الظروف المختلفة .

الصيام اليوم:

إن مهمة المبادىء العليا أن تكيف حياة الناس وتوجهها وفق مضامينها ومعطياتها ، لكن تلك المبادئ لا تعمل في فراغ ، وإنما تشتبك مع أمور عديدة من جملتها : العادات الموروثة والظروف الضاغطة والأهواء والشهوات الجامحة والتأويلات والأفهام الخاطئة للمنهج والمباديء ، وهذا كله ينتهي إلى شأن اجتماعي معاش يلخصه ميل الناس بصورة دائمة إلى جعل المنهج الرباني جزءاً من ثقافتهم ، وقد يكون جزءاً صلباً ، وقد يكون جزءاً رخواً - على مقدار إقبال الناس على الإسلام - وهي التي تجعل من المنهج موجهاً للثقافة ومهيمناً عليها . ومن هنا فإن أخطر علل التدين هي تلك التي تصيب الأمة في مكانة منهجها ومبادئها من ثقافتها العامة ، فتكف المبادىء عن توجيه الفعل ، أو تنحرف عن غاياتها ومقاصدها ، فلا تحقق الحكم المقصودة في تشريعها ، ويكون الجهاد الدائم هو محاولة الإبقاء على المنهج الرباني ساطعاً متألقاً متميزاً عما تواطأ عليه الناس من عادات وتقاليد .

ومازال بحمد الله في مجتمعنا المسلم من يحرص على الصيام على الوجه الأكمل ، وهم في تزايد مستمر لكن الأكثرية الكاثرة من هذه الأمة انحرفت بالصيام عن مقاصده التي ذكرنا أهمها آنفاً ، فعلى حين كان السلف يعدون رمضان فرصة سانحة يغتنمونها في صنوف الطاعات ، نجد كثيراً من المسلمين يسهرون الليل في ضروب من اللهو المختلفة حتى إذا اقترب وقت السحر تناولوا

ما لذ وطاب من الأطعمة ، ثم ناموا قبل أداء صلاة الفجر ، وإذا كان هذا النائم موظفاً فإن وقت بداية العمل في رمضان يكون متأخراً ، فيقوم متثاقلاً إلى عمله ليكمل نومه هناك ! وإن كان غير موظف فإن رمضان هو شهر النوم عنده فيستغرق في نومه إلى قبيل المغرب ، فيفوت عليه أكثر من فريضة صلاة !! ومع هذا فإن الشعار المرفوع لدى كثير من الموظفين هو أن رمضان شهر عبادة وليس شهر عمل (العبادة التي قدمنا صورة منها !).

أما تهذيب النفس من خلال الجوع فحدث عن هذا ولا حرج ، حيث إن التجار يشرعون في الإعداد لمستلزمات رمضان قبل مجيئه بنحو شهرين ، وتقدر بعض الجهات أن ما يستهلكه كثير من المسلمين في رمضان يصل إلى ثلاثة أمثال ما يستهلكونه في غير رمضان !! وقد صار رمضان عبئاً ثقيلاً على الحكومات التي توفر السلع المدعومة لمواطنيها !

وقد كان السلف يدعون الله - تعالى - ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، فإذا انصرم دعوا الله ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم أعمالهم في رمضان . أما اليوم فإن كل وسائل الإعلام في العالم الإسلامي تشعر الناس بأن رمضان ضيف ثقيل فكأنه شر لابد منه ، ومن ثم فإن كثيراً من البرامج ينصرف إلى الترفيه عن الناس بما يجوز وما لا يجوز ، وانقلب الشهر المبارك إلى موسم للهو واللعب !

وما يحدث لكثير من المسلمين في هذا الشهر المبارك أمر مفهوم ، حيث إن الأمة حين تمر بحالة من الركود الحضاري تكف مبادئها عن الفعل وتسيطر عليها الشكليات والعادات ، فجيوشها لا تقاتل ، ومبدعوها لا يعرفون والفضائل فيها شعارات ، والعبادات عادات . . وتستمر في ذلك حتى تندثر - باعتبارها أمة متميزة - أو يبعثها الله بعثاً جديداً يحيي ما اندرس من سابق عهدها، وما ذلك على الله بعزيز .

نحو منهجية عملية في حفظ القرآن الكريم

فيصل البعداني

انتشرت الصحوة الإسلامية المباركة في عصرنا ، وأصبحت نتائجها ظاهرة لكل أحد ، ولعل من بعض ثمارها المباركة عودة كثير من شباب الأمة إلى القرآن الكريم قراءة وحفظاً ، ونظراً لسلوك كثير من أولئك مسلكاً غير منهجي أثناء مرحلة الحفظ ، مما يؤدي إلى سوء الحفظ سواءاً أكان ذلك من حيث النطق أو الاستيعاب لكامل ما يحفظ ، أو استقرار الحفظ وثباته في الذهن ، بالإضافة إلى عدم مواصلة الكثير منهم للحفظ والتوقف بعد ابتداء المشوار ، أو حتى عدم الابتداء من الأصل مع وجود رغبة صادقة ، وحرص أكيد للتشرف بحفظ القرآن الكريم. ولقد بادرت في كتابة هذه السطور علها أن تفيد الراغبين في حفظ كتاب الله الكريم ، وقد حاولت الاستفادة من أصحاب الخبرة في هذا المجال رجاء أن يكون الطرح أكثر فائدة وواقعية ، وقد قمت بتقسيم الموضوع إلى ثلاثة أقسام كالتالي :

أولا : ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن الكريم قبل أن يحفظ .

ثانيا : خطوات عملية مقترحة لحفظ القرآن الكريم.

ثالثا : ما يفعله الحافظ بعد أن يحفظ .

وإليك قارئي الكريم التفصيل والبيان :

ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن الكريم قبل أن يحفظ :

١ - الإخلاص لله تعالى :

لا يخفى أن الإخلاص وإرادة وجه الله تعالى شرط لصحة العمل وقبوله إن كان عبادياً محضاً كالصلاة والصيام والطواف . . . إلخ ، كما أنه شرط للثواب ونيل الأجر في الأمور المباحة كالأكل والشرب وحسن المعاشرة للناس . . . الخ . وبما أن قراءة القرآن وحفظه من الأمور العبادية المحضة فإنها لا تقبل عند الله تعالى إلا بالإخلاص ، وهي داخلة في مثل قوله تعالى ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً** ﴾[1] ، وقوله تعالى في الحديث القدسي (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[2] .

٢ - استشعار عظمة القرآن الكريم ومعرفة منزلته :

ومن الأمور التي تحقق ذلك :

- ☆ تذكر أن القرآن كلام الله تعالى ﴿ **فَأَجِرْه حتى يسمَع كلام الله** ﴾[3] وعظمته مأخوذة من عظمة الله ، ولا أعظم من الله ، وبالتالي فلا أعظم ولا أقدس من كلامه سبحانه .

- ☆ إدراك الأمر الذي نزل من أجله القرآن ، وهو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** ﴾[4] ، ﴿ **شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾[5] .

- ☆ من عظمة القرآن عظمة الشهر الذي أنزل فيه القرآن (شهر رمضان) ، فهو

أفضل الشهور ، وعظمة الليلة التي أنزل فيها القرآن (ليلة القدر) ، فهي خير الليالي ، وعظمة الرسول الذي أنزل عليه القرآن فهو إمام الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم ولا فخر ، وعظمة معلمه ومتعلمه حيث قال رسول الله ﷺ في بيان أفضليتهما (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[٦] وفي رواية (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)[٧].

☆ وصف الله تعالى له بالعظمة في مثل قوله تعالى ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾[٨] ، ويكفي هذا في بيان مقدار عظمته وجلالته.

٣ - إدراك فضل أهل القرآن وعظم ثوابهم :

وقد جاء بيان ذلك في كثير من النصوص ومنها :

☆ ما رواه عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)[٩].

☆ ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول «ألم» حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف)[١٠].

☆ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال : أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين[١١] في غير إثم ولا قطع رحم ، فقلنا : يا رسول الله ، نحب ذلك ، قال : أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلِّم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل)[١٢].

★ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)[١٣] .

★ عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها)[١٤] .

★ عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ : (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله)[١٥] .

★ عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران)[١٦] .

★ عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر)[١٧] .

★ معرفة أن الشارع قد حث على قراءة القرآن والاستماع إليه في نصوص منها :

(أ) في القراءة :

★ قوله تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه

غفور شكور﴾[18] ، وقوله ﷺ (اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)[19] .

(ب) في الاستماع :

☆ قوله تعالى ﴿ **وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾[19] .

قال الليث بن سعد : (يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**﴾ ، ولعل من الله واجبة)[20] .

٥- إدراك من أراد الحفظ الهدف من قراءة القرآن وحفظه :

ويمكن أن يحصل ذلك عن طريق استشعار الأمور التالية :

☆ ما يقع من تحصيل الأجور العظيمة الواردة في النصوص ، ومنها ما سبق بيانه .

☆ قراءة لتنفيذ الأوامر وتطبيق التعاليم الواردة في الآيات .

☆ قراءة التصورات الصحيحة الصائبة حيث أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد لتصوراتنا لقوله تعالى ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء**﴾[21] .

٦- التنبه إلى سهولة القرآن لمن أراد حفظه :

لقوله تعالى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر**﴾[22] ، قال القرطبي - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية «أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه»[23] .

٧- ضرورة وجود العزيمة الصادقة :

وذلك عند الابتداء في الحفظ والاستمرار على ذلك ، إذ بدونها يخور العبد ويتهاون ولا يتجاوز الأمر كونه مجرد أمنية وحلم يقظة ، ويمكن أن يوجد الإنسان هذه العزيمة الصادقة بمعرفته لعظمة القرآن ومكانة أهله ، والفضل الجزيل لقارئه ومستمعه إذ أن النصوص الواردة في ذلك تحث المسلم وتدفعه بشدة إلى تكوين رغبة جادة في قرارة نفسه على الحفظ والمواصلة .

٨- التقليل من المشاغل والاكتفاء بالحفظ وبذل الجهد في ذلك :

قال الله تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لَنهدينَّهم سُبُلَنَا** ﴾[٢٤] ، ومعروف أنه من سار على الدرب وصل ، ومن جد وجد ، ومن زرع حصد ، ومما يعرفه الناس عن النملة أنها تحاول الرقي إلى مكان مرتفع وقد تفشل في الوصول إلى غايتها وتسقط ، ولكنها لا تكل أو تمل وتبذل جهداً مضاعفاً إلى أن يتكلل جهدها بالنجاح ، وهذا هو ما ينبغي فعله لمن أراد حفظ القرآن .

٩- تفريغ وقت يومي للحفظ :

سواء أكان ذلك بعد الفجر أو بعد العصر أو بعد المغرب . . . إلخ ، كل حسب ما يناسبه . وكون مكان الحفظ في المسجد أولى لقوله ﷺ في الحديث الذي سبق (. . . أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد)[١٢] ، ومعلوم أن الجو في المسجد مهيأ لهذا الأمر ، وغيره ليس مثله . وكونه مع مجموعة أفضل لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[٢٥] ، ولأن الجماعة عنصر مساعد ومشجع والإنسان قد يصاب بكسل وفتور فتدفعه الجماعة إلى المواصلة ، ولذا

قيل (الصاحب ساحب).

١٠- **اختيار شيخ مجيد للتلقي عليه:**

ولذا قرر أهل العلم أنه لا يصح التعويل في قراءة القرآن الكريم على المصاحف وحدها بل لابد من التلقي على حافظ متقن متلقّ عن شيخ ، ولذا قال سليمان بن موسى «كان يقال : لا تأخذوا القرآن من الصُحفيين»[٢٦] ، وقال سعيد التنوخي «كان يقال : لا تحملوا العلم عن صُحُفي ولا تأخذوا القرآن عن مصحفي»[٢٧] ، ولكون قراءة القرآن مبناها على التلقي والسماع جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة»[٢٨] ، وذكر ابن حجر في الفتح بيان كيفية أخذ عبدالله لبقية القرآن فقال : (زاد عاصم عن بدر عن عبد الله : «وأخذت بقية القرآن عن أصحابه»)[٢٩] ، ولأهمية التلقي في تعلم القرآن نجد أن بعض الصحابة كانوا يوجهون طلابهم إلى ضرورة التلقي عن المتلقي ، فعن معد يكرب قال : « أتينا عبدالله فسألناه أن يقرأ علينا : طسم المائتين فقال : ما هي معي ولكن عليكم مَن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرَتْ قال : فأتينا خباب بن الأرَتّ فقرأها علينا»[٣٠] ، بل إن رسول الله ﷺ كان يعارض جبريل بالقرآن كل عام مرة وعام وفاته مرتين[٣١] ، وكان يأمر أصحابه بالتلقي فيقول (اقرأوا القرآن من أربعة نفر : من ابن أم عبد ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى أبي حذيفة ومن معاذ بن جبل)[٣٢] .

١١- اختيار مصحف معين في الحفظ حتى ترسخ مواضع الآيات في الذهن ولا يكون هناك تشتت .

١٢- الحرص على الابتداء في الحفظ من آخر المصحف وبخاصة صغير السن

أو ضعيف العزيمة ، حتى يشعر أنه قد أنجز شيئاً في فترة وجيزة ، حيث أن السور أكثر عدداً وأقل صعوبة ولديه خلفية عنها عن طريق مقررات القرآن في المدارس النظامية .

١٣- دعاء الله تعالى بالتوفيق والتمكين من الحفظ واللجوء إليه في ذلك لأن حفظ القرآن الكريم منَّة من الله وهبة .

خطوات عملية مقترحة لحفظ القرآن الكريم:

١ - تحديد مقدار معين لحفظه في جلسة واحدة في حدود طاقة القارىء وينبغي له أن لا يزيد كمية المقدار كثيراً في أيام حماسه وبخاصة في بداية الحفظ ، حتى لا يكل أو يمل أو يصاب بالإحباط حين لا يستطيع المحافظة على ذلك المقدار ، وبالتالي يؤدي ذلك إلى تركه الحفظ بالكلية ، بل عليه أن يربي نفسه على المرونة في تحديد المقدار جاعلاً نصب عينيه أن أهم قضية هي الاستمرار اليومي في الحفظ لا غير .

٢ - قراءة المقدار المعين على الشيخ المختار من المصحف قبل مباشرة الحفظ وتلزم هذه الخطوة إذا كان القارىء لا يجيد قراءة الرسم العثماني .

٣ - قراءة القارىء المقدار المحدد للحفظ من المصحف بينه وبين نفسه لإصلاح النطق في الكلمات التي لم يجد قراءتها .

٤ - أن يحفظ القارىء المقطع آية آية ، ويقوم بربط الآية الثانية بالتي تليها وإذا كانت الآية الواحدة تقل عن سطر فآيتين آيتين بحيث لا يتم الزيادة على سطرين أو ثلاثة في المرة الواحدة .

٥ - أن يرفع الصوت بتوسط أثناء الحفظ لأن خفض الصوت يكسل القارىء

ورفعه جداً يتعبه ويؤذي من حوله ، هذا في الأصل أما لو كان خاشعاً ، خالي الذهن وخفض صوته فلا بأس لكن لابد من القراءة باللسان ، أما إمرار العين بدون تحريك اللسان فلا .

٦ - نطق الآيات أثناء الحفظ بترتيل وتمهل ، والحرص على عدم إغفال أحكام التجويد أثناء القراءة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾[٣٣] واهتداء بالنبي ﷺ في تركه تحريك لسانه استعجالاً به بعد نزول قوله تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به** ﴾[٣٤] ، ولأن هذا هو هدي رسول الله ﷺ في تعليمه القرآن لأصحابه ، قال الله تعالى : ﴿ **وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث** ﴾[٣٥] . ولقد سئل أنس بن مالك : كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال : «كانت مداً ثم قرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم»[٣٦] ، وهذا الأمر كان ديدن كبار الصحابة ، ولذا قال ابن عباس راداً على أبي حجر حين قال له : إني سريع القراءة وإني أقرأ القرآن في ثلاث : «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدّبرها وأرتلها أحب إليّ من أن أقرأ كما تقول» ، وفي رواية «أحب إليّ من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمةً»[٣٧] ، ولا شك أن الترتيل أثناء الحفظ يعين على تدبر الآيات والتفكر في معانيها مما يعني جمع القارىء بين حفظ الآيات والفهم مبدئياً لمعناها ، وهو مما يعمق الحفظ ويقويه أيما تقوية .

٧ - أن يُسمّع على نفسه المقدار المعين حفظه بعد إنهائه له .

٨ - أن يقوم بقراءة المقدار المحفوظ من المصحف بعد تسميعه على نفسه للتأكد من سلامة الحفظ وعدم تجاوزه لبعض الآيات أو الكلمات أو الخطأ في الشكل .

٩ - أن يقوم بتسميع ما حفظ على شيخه المختار ولا بد من ذلك .

١٠- يفضل ربط المقدار المحفوظ من سورة ما قسمت إلى مقاطع بما حفظ من أول السورة يومياً ليتم الربط بين المقاطع المحفوظة ، وهذا أمر لا دخل له في برنامج الحافظ للمراجعة .

ما يفعله الحافظ بعد أن يحفظ:

١ - الخوف من الوقوع في الرياء :

والرياء في موضوعنا : طلب الحافظ للجاه والمنزلة في نفوس الخلق بإظهاره لهم إكماله لحفظ القرآن ، أو جودة حفظه وحسن أدائه ، وهو ضرب من الإشراك ، ولذا قال رسول الله ﷺ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله . قال : الرياء يقول الله عز وجل- يوم القيامة إذا جزى العباد بأعمالهم - : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)[٣٨] ، والمرائي بالقرآن معرض نفسه للعقوبة الشديدة الواردة في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه . . . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار)[٣٩] . والواجب على مريد النجاة الحرص على الإخلاص واستمرار سلامة القصد والنية .

٢ - الحذر من الغفلة عن العمل بالقرآن والتأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه :

لأن القرآن إنما أنزل ليعمل به ، ويتخذ نبراساً ومنهاج حياة ، قال ابن مسعود رضي الله عنه «أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً ، إن

أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً ، وقد أسقط العمل به»[٤٠] ، وقال بعض أهل العلم : «إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقول : ألا لعنة الله على الظالمين ، وهو ظالم نفسه ، ألا لعنة الله على الكاذبين ، وهو منهم»[٤٠] ، وقال أنس رضي الله عنه : «رب تال للقرآن والقرآن يلعنه»[٤٠] .

٣ - الخشية من العجب بالنفس والتعالي على الخلق :

فالعجب استعظام النفس لما بذلت من أسباب لتحصيل حفظ القرآن الكريم والله تعالى هو الهادي إلى ذلك والمعين على تسهيله وتحققه ، ولولا إحسانه وفضله لما تمكن العبد من حفظ القرآن أو بعضه ، والواجب بدلاً من ذلك شكر الله تعالى على نعمته بمعرفتها حق المعرفة وإسناد الفضل إليه سبحانه وحده لا شريك له في تحققها ، والتعالي على الخلق هو التكبر عليهم واعتقاد العبد بلوغَه مرتبة في الكمال لم يبلغها من حوله فيتجه إلى احتقارهم وتجهيلهم ، ومَن هذه حاله ينسى ما ورد من النصوص في التحذير من مثل ذلك ، ومنها قوله تعالى في الحديث القدسي : (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)[٤١] ، وقوله ﷺ (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٤٢] .

٤ - تذكر النصوص الآمرة بتعهد القرآن والحذرة من نسيانه :

وردت نصوص كثيرة تحث على تعاهد القرآن وتحذر من هجره ونسيانه ومنها :

☆ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت)[٤٣] .

☆ وعن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ (بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت

آية كيت وكيت ، بل نسي واستذكر القرآن فإنه أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم)[٤٥] .

☆ وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : (تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عقلها)[٤٦] .

ويسبب هذه النصوص ومثيلاتها تحدث أهل العلم عن الزمن الذي لا يشرع للعبد تجاوزه سواء أكان من حيث القلة أو الكثرة في قراءة القرآن الكريم فأقل زمن يستحب قراءة القرآن فيه على المختار ثلاثة أيام لقوله ﷺ فيما رواه عنه عبدالله بن عمرو : (لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث)[٤٧] .

ولذا كان معاذ بن جبل يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث[٤٨] وكان ابن مسعود يقول : «اقرءوا القرآن في سبع ولا تقرءوه في أقل من ثلاث»[٤٩] .

والحكمة - والله أعلم - في عدم مشروعية قراءته في أقل من ثلاث أن لا تؤدي سرعة القراءة إلى قلة الفهم والتدبر أو الملل والتضجر أو الهذرمة وعدم إتقان النطق ، وما ثبت عن السلف من قراءته في أقل من ذلك فهو محمول إما على أنه لم يبلغهم في ذلك حديث من مثل الحديث السابق ، أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة[٥٠] ، أو أن ذلك كان في فترة حماس وكثرة نشاط أو وقت فاضل كرمضان ونحوه فأرادوا استغلاله لا أن يكون ذلك عادة لهم في سائر العمر .

وأما أوسع زمن جاءت النصوص مبينة مشروعية قراءة القرآن فيه فأربعون يوماً كما ورد في حديث عبدالله بن عمرو أنه سأل النبي ﷺ : في كَمْ يقرأ القرآن ؟ قال : «في أربعين»[٥١] ، ولذا قال إسحاق بن راهويه : «ولا نحب للرجل أن يأتي عليه أكثر من أربعين ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث»[٥٢] ، وقال

أيضاً : «يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن»[٥٣].

٥ - نسيان القرآن سببه الذنوب والمعاصي :

جاءت الكثير من النصوص التي تجعل ذنوب العبد سبباً لما يصيبه من مصائب وبلايا والتي من أعظمها ولا شك نسيان القرآن الكريم ، ومما جاء في ذلك قوله ﷺ : (لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر)[٥٤]، وقد كان هذا الأمر جلياً في أذهان السلف ، ولذا قال الضحاك مزاحم : «ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾[٥٥] ، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»[٥٦] ، بل إنهم - رحمهم الله تعالى - كانوا يقفون موقفاً صارماً ممن هذه حالُه كما جاء من طريق ابن سيرين بإسناد صحيح في الذي ينسى القرآن كيف أنهم كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديداً»[٥٧] ، وقد ذكر القرطبي - رحمه الله - سبب تلك الكراهية وذلك الموقف الشديد فقال : «من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه ، فإذا أخل بهذه المرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك ، فإن تَرْك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد»[٥٨].

بل إن بعضهم يعده ذنباً كما روى أبو العالية عن أنس موقوفاً «كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه»[٥٩].

قال ابن كثير - رحمه الله - «وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ **وَمَن أعْرَضَ عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾[٦٠] ، وهذا الذي قاله وإن لم يكن هو المراد

جميعه فهو بعضه ، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن ، وتعريضه للنسيان ، وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه»[٦١].

٦ - **كيف تكون المراجعة ؟**

لا شك أن الطريقة الأسلم للمراجعة هي تخصيص وقت كاف غير وقت الحفظ يقرأ فيه المرء ما يفتح الله تعالى عليه فيه ، ولكن نظراً لعدم قدرة كثير من الناس على تخصيص وقت معين لذلك فيمكن استخدام الطرق التالية :

(أ)- القراءة في السنن الرواتب غير راتبة الفجر تكون خمسة أثمان ، في كل ركعتين ثُمن.

- في ركعتي ما قبل العصر تكون ثمناً واحداً.
- في الصلوات المفروضة وقيام الليل تكون ثمنين.

وعلى هذا فالحد الأدنى في اليوم الواحد يكون جزءاً كاملاً من القرآن الكريم. *

(ب) القراءة في الصلاة النافلة من غير الرواتب ، وفي السيارة ، وبين الأذان والإقامة وأثناء الذهاب للدراسة أو العمل والعودة من ذلك . . . إلخ من حالات الإنسان المناسبة.

(جـ) الجلوس بعد الفجر ولو قليلاً للقراءة بحيث يلزم الإنسان نفسه أن يقرأ في ذلك الوقت شيئاً من القرآن الكريم ولو ثمناً واحداً.

(د) يمكن لأصحاب الهمم العالية استخدام طريقة (فمي مشوق) وهي طريقة كان يستخدمها بعض مشايخ الإقراء في أرض الكنانة بحيث أن الحافظ يستطيع مراجعة القرآن كاملاً في أسبوع واحد وبيانها كالتالي :

- الفاء من (فمي مشوق) للفاتحة والميم للمائدة والياء ليونس والميم لمريم والشين للشعراء والواو للصافات والقاف لسورة ق.
- فيكون المقدار في اليوم الأول من أول (الفاتحة) إلى أول (المائدة).
- وفي اليوم الثاني من أول(المائدة) إلى أول (يونس)
- وفي اليوم الثالث من أول (يونس) إلى أول (مريم).
- وفي اليوم الرابع من أول (مريم) إلى أول (الشعراء).
- وفي اليوم الخامس من أول (الشعراء) إلى أول(الصافات).
- وفي اليوم السادس من أول (الصافات) إلى أول (ق).
- وفي اليوم السابع من أول (ق) إلى آخر المصحف الشريف.

(هـ) على من حفظ شيئاً من القرآن الكريم دون عشرة أجزاء أن لا يمر عليه خمسة عشر يوماً دون إتمام مراجعته.

والله نسأل للجميع التوفيق والسداد.

الهوامش :

(١) سورة الكهف، آية ١١٠.

(٢) مسلم ٤/ ٢٢٨٩ ح ٢٩٨٥.

(٣) سورة التوبة، آية ٦.

(٤) سورة البقرة، آية ٢.

(٥) سورة البقرة، آية ١٨٥.

(٦) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٤ ح ٥٠٢٧.

(٧) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٤ ح ٥٠٢٨.

(٨) سورة الحجر، آية ٧٨.

(٩) مسلم ١/ ٥٥٩ ح ٨١٧.

(١٠) الترمذي ٥/ ١٧٥ ح ٢٩١٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/ ٣٤٠ ح ٦٣٤٥.

(١١) كوماوين : الكوماء من الإبل عظيمة السنام طويلته، قاله ابن منظور في اللسان ١٢/ ٥٢٩.

(١٢) مسلم ١/ ٥٥٢ ح ٨٠٣.

(١٣) مسلم ١/ ٥٥٣ ح ٨٠٤.

(١٤) أبو داود ٢/ ١٥٣ ح ١٤٦٤، وقال الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٢٧٥ ح ١٣٠٠ «حسن صحيح».

(١٥) مسلم ١/ ٤٦٥ح ٦٧٣ .

(١٦) البخاري مع الفتح ٨/ ٦٩١ح ٤٩٣٧ .

(١٧) البخاري مع الفتح ٩/ ١٠٠ح ٥٠٥٩ .

(١٨) سورة فاطر ، آية ٢٩ .

(١٩) سورة الأعراف ، آية ٢٠٤ .

(٢٠) التذكار في أفضل الأذكار ، ٩١ .

(٢١) سورة النحل ، آية ٨٩ ، قال ابن سعدي في تفسيره حولها ٤/ ٢٣٠ (وقوله : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ في أصول الدين وفروعه وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد فهو مبين أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جليلة) . ولا يخفى أن السنة جاء الأمر بالأخذ بها في القرآن في نحو قوله تعالى في سورة الحشر (٧) ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ، فالعمل بها عمل بالقرآن .

(٢٢) سورة القمر ، آية ١٧ .

(٢٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٣٤ .

(٢٤) سورة العنكبوت ، آية ٦٩ .

(٢٥) مسلم ٤/ ٢٠٧٤ح ٢٦٩٩ .

(٢٦) تصحيفات المحدثين للعسكري ١/ ٦.

(٢٧) المصدر السابق ١/ ٧ .

(٢٨) البخاري مع الفتح ٩/ ٤٦ ح ٥٠٠٠ .

(٢٩) فتح الباري ٩/ ٤٨ .

(٣٠) المسند بتحقيق شاكر ٦/ ٣٤ ، وقال الشيخ أحمد شاكر «إسناده صحيح» .

(٣١) انظر حديث أبي هريرة في البخاري مع الفتح ٩/ ٤٣ ح ٤٩٩٨ .

(٣٢) مسلم ٤/ ١٩١٣ح ٢٤٦٤ .

(٣٣) سورة المزمل ، آية ٤ .

(٣٤) سورة القيامة ، آية ١٦ ، وانظر في الشاهد منها هنا تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٩.

(٣٥) سورة الإسراء ، آية ١٠٦ .

(٣٦) البخاري مع الفتح ٩/ ٩١ح ٥٠٤٦ .

(٣٧) فضائل القرآن لابن كثير ٧٥ .

(٣٨) أحمد ٥/ ٤٢٨ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٧ .

(٣٩) مسلم ٣/ ١٥١٣ح ١٩٠٥ .

(٤٠) تهذيب موعظة المؤمنين ١/ ٧٠ .

(٤١) أبو داود ٤/ ٣٥٠ح ٤٠٩٠ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤/ ١١٤ح ٤١٨٧ .

(٤٢) مسلم ١/ ٩٣ح ٩١ .

(٤٣) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٩ح ٥٠٣١ .

(٤٤) قال ابن حجر في الفتح ٩/ ٨١ تفصياً أي تفلتاً وتخلصاً .

(٤٥) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٩ح ٥٠٣٢ .

(٤٦) البخاري مع الفتح ٩/ ٧٩ح ٥٠٣٣ .

(٤٧) أبـــــو داود ٢/ ١١٦ح ١٣٩٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦/ ٢٤٢ح ٧٦٢٠ .

(٤٨) ذكره ابن كثير في فضائل القرآن ٨٠ وقال صحيح .

(٤٩) ذكره ابن حجر في الفتح ٩/ ٩٧ وقال هو عند سـعيـد ابن منصـور بإسناد صحيح .

(٥٠) انظر فضائل القرآن لابن كثير ٨٢ .

(٥١) الترمذي ٥/ ١٩٧ح ٢٩٤٧ وحسنة الألباني في صحيح الجامع ١/ ٣٧٥ح ١١٦٥ .

(٥٢) انظر جامع الترمذي ٥/ ١٩٧ .

(٥٣) فضائل القرآن لابن كثير ٧٠ .

(٥٤) الترمذي ٥/ ٣٧٧ح ٣٢٥٢ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٤/ ٢٤٠ح ٧٦٠٩ .

(٥٥) سورة الشورى ، آية ٣٠ .

(٥٦) فضائل القرآن ٧٠ .

(٥٧) فتح الباري ٩/ ٨٦ .

(٥٨) المصدر السابق ٩/ ٨٦ .

(٥٩) المصـدر السـابق ٩/ ٨٦ ، وقـال ابن حجر «وإسناده جيد» .

(٦٠) سورة طـه ، الآيتان ١٢٤-١٢٦ .

(٦١) فضائل القرآن لابن كثير ٦٩ .

---

* التقسيم المشهور في المصحف العثماني أن يقسم المصحف إلى ثلاثين جزءاً ، ويقسم الجزءإلى حزبين والحزب إلى أربعة أرباع ، فيكون الجزء ثمانية أرباع .

– البيـــــان –

حقوق الناس بين الأخذ والعطاء

عـادل رشـاد غـنيم

حقوقك لدى الآخرين قضية مهمة عُني بها الإسلام ، وسن الأحكام لتقريرها وحمايتها ، وبطبيعة الحال فإن حقوق الآخرين عليك هي كذلك موضع عناية الإسلام ، فحقوقك هي واجبات الآخرين تجاهك ، وحقوق الآخرين هي واجباتك تجاههم .

ومن منطلق العدل طالبنا الإسلام باحترام حقوق الناس بالقوة نفسها التي طالب فيها الناس باحترام حقوقنا ، لكننا نجد أناساً مرضى بالأنانية يطالبون بحقوقهم ، وفي الوقت نفسه يرفضون أداء واجباتهم ! .

ولقد وصف القرآن الكريم هذا النوع من الناس بقوله : ﴿ **وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** ﴾[1] ، أي أنهم لا يذعنون للحق إلا إذا كان لهم ، أما إذا كان الحق عليهم فالإعراض هو شأنهم .

وشرٌ من هؤلاء من أخذ حق غيره دون وجه مشروع ، يقول رسول الله ﷺ : (من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيباً من أراك)[2] .

والمجتمع الذي تعيشه تربطك بأفراده علاقات عدة ، تنشيء بينك وبينهم منظومة من الحقوق المتبادلة ، وعليك أن تنجح في هذه المعادلة الصعبة فتعطي كل ذي حق حقه . . وهذا ما أكده حديث سلمان - رضي الله عنه - : (إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه)[٣] .

فالقرابة علاقة اجتماعية يترتب عليها حقوق أسرية . . ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ..﴾[٤] ، والجوار ينشأ عنه حقوق ، كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - : «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[٥] .

والإسلام علاقة مكينة تبني الأخوة التي توجب على المسلمين جملة من الحقوق : ففي صحيح مسلم (حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه)[٦] .

وهناك علاقات تنشأ نتيجة العقود ، وقد أحاطها الإسلام برعاية كبرى لأنها من أهم مصادر الالتزام ، فالقرض عقد يفرض على المدين حق السداد للدائن .

عن أبي سعيد الخدري قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه ، فاشتد عليه حتى قال له : أحرج عليك إلا قضيتني ، فانتهره أصحابه وقالوا : ويحك ! ترى من تكلم ؟ قال : إني أطلب حقي ، فقال النبي ﷺ : «هلا مع صاحب الحق كنتم ؟» ثم أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها : «إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضي لك «فقالت : نعم بأبي أنت يا رسول الله ، قال : فأقرضته فقضى الأعرابي وأطعمه ، فقال الأعرابي : أوفيت أوفى الله لك ، فقال ﷺ : أولئك خيار الناس ، إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع)[٧] .

والتوظيف عقد يوجب على الموظف أداء عمله وفق شروط العقد ويجب على صاحب العمل دفع الأجر وسائر المستحقات للموظف (المسلمون عند شروطهم)[8] .

لقد أمرنا الله تعالى أمراً صريحاً بالوفاء بالعقود والتزاماتها : **﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ...﴾**[9] .

ومن غير المقبول أن يمتنع صاحب العمل عن إعطاء عماله أجورهم مستخفاً بها تماماً ، كما هو غير مقبول من العمال التقصير في المهام المسندة إليهم .. فهل أنت - أخي القارىء - ممن يعطي الحق من نفسه كما يريده من غيره ؟!

إن الإسلام لا ينتظر حتى يثور النزاع بين الخصوم ليصل إلى ساحة القضاء لتفصل المحاكم في دعاوى الحقوق .. إنه يؤسس محكمة داخل كل نفس إنها محكمة «تقوى الله» تصدر حكمها بالحق ولو على الذات .

ولنسمع قول رسولنا ﷺ وهو يخاطب النفس المؤمنة : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)[10] . ومعنى ذلك أن يبادر الإنسان برد الحقوق إلى أهلها في حياته قبل أن يقف موقفاً لا يملك فيه شيئاً ، لهذا نصحنا رسول الله ﷺ : (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[11] ، وهذا هو الإفلاس الحقيقي الذي يجب أن نحذر الوقوع فيه ..

لقد أعطى الرسول ﷺ للإفلاس معنى أعم مما تعارف عليه الناس ودعني أذكرك بهذا الحوار الذي دار بين النبي ﷺ وصحبه : (أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتي من يأتي

يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار)[١٢] .

وعلى الرغم من وضوح هذه الحقائق إلا أن بعض الناس يبيع دينه بأبخس ثمن ، ويأكل حقوق الناس بالباطل وهو ذاهل عن المصير المظلم الذي ينتظره لذلك أقر الإسلام مبدأ الحماية للحقوق عن طريق القضاء برفع دعوى من قبل الشخص صاحب الحق . .

وبالطبع لابد للدعوى من دليل أو بينة ، فكما قال النبي ﷺ : (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ، ولكن اليمين على المدعى عليه)[١٣] .

وفي عالم القضاء وصخب الخصوم في المحاكم قد ينجح بعض الخبثاء - من خلال إبراز بعض الحجج الملفقة ، أو اليمين الفاجرة ، أو شهادة الزور ويحصل على حكم قضائي لصاحبه ، ولا يعني هذا أن ما أخذه أصبح حقاً له بل هو سحت ، اقرأ بيان ذلك عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : (إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، أقضي له على نحو ما أسمع منه ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار)[١٤] .

أما اليمين الفاجرة فحسب صاحبها العذاب الأكبر كما قال رسول الله ﷺ : (لا يحلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ، ولو على سواك أخضر إلا تبوأ مقعده من النار)[١٥] .

ونظراً لخطورة الشهادة على سير القضاء اعتبرت شهادة الزور من أكبر

الجرائم ، (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ شهادة الزور)[16] .

وينبغي أن نتنبه لمسألة الشهادة إذا دعينا إليها ، فلا نشهد إلا بعلم ونلبي أداء الشهادة حينذاك : ﴿ **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾[17] وهكذا نساعد في حماية حقوقنا من العدوان عليها من قبل كل مغتصب غشوم .

والله المستعان .

هوامش :

(١) سورة النور ، آية ٤٩ .

(٢) رواه مسلم ، ك الإيمان ، ج٢ ، ص ٥٧ .

(٣) رواه البخاري ، ج٤ ، رقم ١٩٦٨ ، ج١٠ ، الأدب ، رقم ٦١٣٩ .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٢٦ .

(٥) رواه البخاري ، ج١٠ ، رقم ٦٠١٤ ، ومسلم ١٦ ، ص ١٧٦ .

(٦) رواه مسلم ، ك السلام، ج١٤ ، ص ١٤٣ .

(٧) رواه ابن ماجه هي ك الأحكام، رقم ٢٤٢٦ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ج٢ ، ٥٥ ، برقم ١٩٦٩ .

(٨) رواه البخاري معلقاً ، انظر الفتح ، ٤ ، ك الإجادة ، ص ٥٢٧ ، ورواه أبو داود في الأقضية ، والحاكم في المستدرك ، ج٢ ، ٥٠ .

(٩) سورة المائدة ، آية ١ .

(١٠) رواه مسلم ، ج١٦ ، ص ١٣٦ .

(١١) رواه البخاري في المظالم ، ج٥ ، رقم ٢٤٤٩ ، وفي الرقاق ، ج١١ ، رقم ٦٥٣٤ .

(١٢) رواه مسلم في البر والصلة ، ج١٦ ، ص ١٣٥ ، وأحمد في المسند، ج٢ ، ٣٠٣ .

(١٣) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، ج٢ ، ص ٥٩ ، ط دار الكتب العلمية .

(١٤) البخاري في المظالم ، ج٥ ، رقم ٣٤٥٨ ، والشهادات ، رقم ٢٦٧٠ ، ومسلم في الأقضية، ج١٢ ، ص ، ٥ .

(١٥) رواه ابن ماجه في الأحكام ، وأبو داود في الأيمان ، ومالك في الموطأ ، ك الأقضية .

(١٦) رواه البخاري، ج١٠ ، رقم ٠٥٩٧٦ ، ومسلم في الإيمان ، ج٢ ، ص ٨٢ .

(١٧) سورة البقرة ، آية ٢٨٣ .

لقـــاء مـع
فضيلة الدكتور/ ناصر بن عبدالكريم العقل

تمهيـد:

فضيلة الدكتـور/ ناصر بن عبـدالكريم العقل عـضو هيئـة التدريس بكليـة أصول الدين بجـامعـة الإمام مـحمـد بن سـعود الإسـلاميـة ، وهـو باحث له اهتـمامـاته العلمـية والدعـوية وله مساهماته الفكرية بعضها منشور وبعضها لم يرَ النور بعد.

تخرّج من كلية الشريعة بـالرياض ، وقد قدم بحثه (التقليد والتبعـية وأثرهما في كيان الأمة الإسلاميـة) وكانت رسالته في الماجسـتير عن منهج (المدرسة العقلية في العـقيدة) والتي لم تطبع حتى الآن ـ مـع أهميتـها في بابهـا ، أمـا رسالته في الدكـتوراه فهـي دراسة وتحـقيق لكتاب (اقتضاء الصـراط المستقيم مخالفـة أصحاب الجـحيم) وهـو مطبـوع ، ومن دراسـاتـه المطبوعة عدد من الرسـائل في (سلسلة دراسـات في منهج أهل الـسنة) وله دراسة عـن (الجاهليـة) ودراسـة عن الفرق والمذاهب بالاشـتـراك ، وتمتاز دراساته بالعلم والتـحقيق .. هذا ما نـحسبه ، والله حسـيبه ولا نزكي على الله أحداً .. وقد التقت معه (البـيـــان) وجرى معه الحوار التالي.

– البـيـــــان –

يتقاذف الدعاة الآن تيارات مختلفة فما هو الأولى للبدء في التغيير في واقع المسلمين اليـوم ، فـهناك من يرى أن الأولوية في الدعـوة للوعي السـيـاسي، وآخـرون يرون البـدء في إنكار المنكرات التي عمت ، وطائفة ترى في تحـقيق التراث أهمـية قـصوى ، وغيـرهم يرون الجهـاد ، وطائفة ترى البـدء بالتـربيـة

الفردية ، فما هو الترتيب الطبيعي لسلم الأولويات في الدعوة إلى الله وفق تصوركم ؟

– الأولى أن يبدأ العلماء والدعاة إلى الله تعالى في أمر الدعوة والإصلاح بما بدأ الله به وما بدأ به رسله ، من تحقيق التوحيد والعبودية لله تعالى والتحذير من الشرك والبدع والمحدثات في الدين التي تنافي التوحيد أو تخل به ، ثم يثني كل داعية بالأهم فما دونه بحسب حاجة الأمة ومقتضيات الأحوال وإمكانات الدعاة ، وهذه قاعدة شرعية عامة تقوم على النصوص ونهج السلف الصالح في الدعوة إلى الله وعلى مقتضى الحكمة والبصيرة التي هي ركائز الدعوة وهذا هو النهج الذي يجب أن تقوم عليه كل دعوة من حيث المبدأ وبعد ذلك لا مانع أن تتوزع جهود الأمة بجماعاتها وأفرادها بين متطلبات الأمة مادام هذا الأصل مستصحباً ومعقوداً عليه العمل والغاية والولاء والبراء فتقوم طائفة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأخرى بالجهاد ، وثالثة بالعمل المؤسسي، ورابعة بالتربية ، وخامسة بالسعي للنهضة بالأمة علمياً واقتصادياً . . . إلخ . . على أن يدور الجميع حول المحور الأساسي وهو الاجتماع على التوحيد والسنة والجماعة وهدي السلف الصالح اعتقاداً وعلماً وعملاً والالتفاف حول العلماء أهل الحل والعقد . . أما تنازع بعض الدعاة والجماعات حول الأولويات فأكثره من التحريش والخصومات التي لا مبرر لها ؛ لأن كلاً منهم في مسلكه على ثغر ، ومن لديه قصور أو تقصير أو غلو يجب أن يسدد وينصح ويعان على نفسه .

الصحوة الإسلامية أصبحت ملء السمع والبصر ، ورغم ذلك يكتنفها كثير من الأخطار والمعوقات ، فما هي أبرز معوقات الدعوة الإسلامية حالياً ؟

– إن أخطر المعوقات للدعوة وأبرزها في نظري ما يلي :

* النزاعات والخصومات بين الدعاة والجماعات الإسلامية (التهارش والتآكل) لاسيما وأن أكثر مواطن النزاع والخصومات في الاجتهاديات أو فيما يعذر به المخطئ.

* ضعف الفقه في الدين ، ولا أقصد فقه الأحكام إنما فقه الأصول والمناهج والقواعد والمصالح والمواقف ، لاسيما أن أكثر القائمين على الدعوة في العالم اليوم من طائفة المثقفين والمفكرين الذين لم يتضلعوا من العلم الشرعي أو تربوا على مفاهيم لم تؤصل شرعاً.

* المكر الكبَّار من خصوم الدعوة المتمثل في الصد عن دين الله تعالى والإعراض عن شرعه ، والفساد في الأرض ، وإيذاء عباد الله ومقاومة الصحوة المباركة من قبل شراذم العلمانية المهيمنة في أكثر العالم الإسلامي.

* التحدي العالمي من قبل المشركين والكافرين والمنافقين ، وما يحمله من وسائل وإمكانات وتخطيط.

وكل ذلك من باب الأذى ، ومما تستلزمه الدعوة إلى الله ، ويبتلي الله به المؤمنين ، ثم تكون لهم العاقبة **﴿ لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ﴾**[1].

الجاهلية مصطلح قديم أطلق على الفترة ما قبل الإسلام ، والدعاة المعاصرون يتنازعون في استخدام هذا المصطلح لوصف واقع المسلمين اليوم الذي يحكم بغير الشريعة ، فما شرعية استخدام هذا المصطلح الآن ؟

— استخدام مصطلح الجاهلية له مفهومات كثيرة فهو بحسب ما أطلق عليه : وهو من العبارات الواردة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فهو يطلق على الجاهلية المشركية القديمة من حيث العموم .. ويطلق على بعض

خصالها وأيامها وأسواقها وأحوالها ، وعلى من وقع في شيء من ذلك : كالتبرج والنياحة والدعاوى القومية والفخر بالأنساب ، وهذه الخصال وأمثالها جاهلية تطلق متى حدثت ، ويقال لمن تلبس بها «فيك جاهلية» كما قال النبي ﷺ للصحابي الذي عيّر أخاه : «إنك امرؤ فيك جاهلية» حديث صحيح ، وقال تعالى : ﴿ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى﴾ أما إطلاق الجاهلية في زماننا على العالم الإسلامي أو مجتمعاته على وجه العموم فلا يصح ، لأن الأمة لا تزال على الإسلام بمسماه العام ، ومنها الصالح والطالح ، ومنها الطائفة المنصورة التي لا يحصرها مكان ولا زمان ، وإنما تطلق الجاهلية على الأحوال والأشخاص حينما نتحقق من المعارضة الصريحة للإسلام فيها ، فيقال : نظام جاهلي ، ودستور جاهلي ، وعيد جاهلي ، وشعار جاهلي، ودعوى جاهلية ، وخلق جاهلي أو خصلة جاهلية ونحو ذلك.

يضغط الواقع بقوة على الدعاة ؛ فيدعو بعضهم إلى العزلة الكاملة عن المجتمعات ، بينما يميل آخرون إلى العزلة الشعورية (النفسية) ويرى غيرهم ضرورة الاندماج الكامل في المجتمع جسدياً وشعورياً كي يستطيعوا التغيير ، فما هو الوضع الطبيعي للداعية حيال هذه المجتمعات الإسلامية المنحرفة عن شرع الله ؟

- الوضع الشرعي والطبيعي في مثل ظروفنا الراهنة : أن المسلم ينبغي أن يخالط الناس ، فيكثر سواد المؤمنين ، ويرشد العصاة والمخالفين ويناصح الولاة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصلح بين المختلفين ، ويقيم الحجة على المعاندين والمنحرفين ، بفعله أو بقوله أو بسلوكه ، ويسد حاجة المسلمين فيما يستطيع ، وكل ذلك في حدود الاستطاعة ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ؛ لأنه ورد في الحديث الصحيح أن المسلم الذي يخالط

الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط ولا يصبر ، وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، وأن اليد العليا خير من اليد السفلى . . أما العزلة فغير واردة والعزلة التي جاءت في النصوص إنما تكون عند الفتن التي يخفى فيها الأمر على المسلم ، فيعتزل الفتنة وملابساتها ، لكن لا يعتزل الجماعة ولا يقطع نفعه عن الأمة .

للبيئة أثر ملموس على الناس ، والدعاة جزء من مجتمعاتهم ، وذلك في الطباع والخصال الفردية وطرائق التفكير والسلوك الشخصي .. إلى غير ذلك؛ فهل يمكن تشخيص أثر البيئة على الدعاة في مختلف بلدانهم وأثر ذلك على الدعوة المحلية ؟

- إذا قل الفقه في الدين ، وضعف العلم الشرعي ؛ تحكمت في الناس الأهواء والمؤثرات ومنها البيئة بعاداتها وتقاليدها وظروفها ، وللبيئة أثران : أثر طبيعي - قد يعتبر شرعاً - : كالعادات والتقاليد التي لا تتعارض مع الشرع ويقع في مصادمتها مفاسد عظمى ، والأثر الآخر كالأحوال الجغرافية والمناخية والاجتماعية والقومية والقبلية التي ليس في اعتبارها مصادمة للنصوص ، إنما قد تجلب مصالح للإسلام وللأمة ، فهذا الوضع البيئي يكون له اعتباره شرعاً كما فعل النبي ﷺ تجاه القبائل وزعمائها من تأليف قلوبهم واعتبار انتماءاتهم القبلية في العقود والألوية ونحو ذلك وكما فعل الصحابة والتابعون وأئمة الدين في تنظيم الأقاليم وفي السياسة الشرعية .

مرت الدعوة الإسلامية - بصيغتها الجماعية المنظمة - بمراحل طويلة بدءاً من الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في القارة الهندية وغيرهما لكن يلمس الجميع بعد أكثر من نصف قرن من بدء ذلك العمل حصيلة محدودة لا تتناسب مع الفترة الزمنية ؛ فهل من أسباب طبيعية لذلك ؟

- أولا : أمور الدعوة لا تقاس بموازين الماديات ومكاسب المؤسسات والمنظمات والأحزاب .

وثانيا : قد لا يتفق المقوِّمون للدعوة على الحصيلة وحجمها .

فلذلك أرى أن الذين قاموا بالدعوة إلى الله على بصيرة حصَّلوا خيراً كثيراً، ونرجو أن يكون لهم في ذلك الأجر العظيم عند الله تعالى وكفى بذلك تحصيلاً . . ونحن نعلم أن هذه الدعوات كل منها بحسب ما وفق إليه من السنة مأجورة على ما أحسنت به ، وهي بهذا تتفاوت تفاوتاً عظيما فيما بينها ، وفيما بين أتباعها وأفرادها، ومع ذلك فالنتائج المأمولة المتطورة أقل مما يتطلع إليه المسلمون ، ومن أهم أسباب تأخر النتائج المأمولة :

* البعد عن النهج الأسلم في العقيدة والعلم والعمل والدعوة ، وهو نهج السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - فإنه لا يصلح هذه الأمة إلا ما صلح به أولها .

* ضعف الفقه في الدين ، والعلم الشرعي الصافي ، واعتماد الدعوة في الغالب على مجرد دعاة ، ومفكرين ، ومثقفين ليسوا علماء بالمعنى الشرعي وابتعاد كثير منهم عن العلماء ومناهل العلم الشرعي .

* التنازع والخصومات وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، وهذه هي الحالقة التي تحلق الدين ، وتوقع في الفشل والإحباط كما أخبر الله تعالى وأخبر رسوله ﷺ ، وكما هي سنة الله في الحياة ، قال تعالى ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾[٢] .

* كثرة البدع والمحدثات والاتجاهات العقلانية والعصرانية - وأحياناً - العلمانية داخل صفوف الدعوات نفسها ، فضلاً عن فئات كثيرة من الأمة ويزيد الأمر سوءاً أن بعض الحركات الإسلامية ترسخ البدعة وتروج لها

أو تقوم على أصول بدعية ، فأنى لها النجاح ؟!

تفتقر الأمة الإسلامية حالياً إلى العلماء الربانيين والقادة المصلحين الذين يقودون الأمة إلى الخير والرفعة فما السبيل إلى إيجادهم ؟

— العلماء لا يصنعون إنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهناك أسباب ترفع من يوفقه الله إلى درجة العلماء منها :

* تحصيل العلم الشرعي على أهل العلم وبطرقه الشرعية ، والاتباع وسلامة النهج في العقيدة والتلقي والتحصيل والمواصلة والصبر في ذلك .

* التربية الإسلامية الخالصة ، والعناية بالنشء ، وتوفير وسائل طلب العلم الشرعي وأجوائه ، وحمايته وتحصينه من المؤثرات الشيطانية المعاصرة التي ظهر منها الفساد في البر والبحر .

* يرتفع العالم ويعلو شأنه بعلمه وعمله وإخلاصه ونفعه . . حين يكون قدوة وعَلَم .

تعاني الجماعات الإسلامية – على اختلاف مسمياتها – أمراضاً تنخر فيها مما يتسبب في تأخر المسيرة وتعثرها ، فما أبرز هذه الأمراض وما تشخيصكم لعلاجها ؟

— الجماعات الإسلامية جزء من كيان الأمة ، بل هي أفضلها ، على ما تعانيه من أمراض ، الجماعات فيها خير كثير ، ولكنها ليست على الدرجة المطلوبة شرعاً ، وأهم الأمراض في نظري ما سبق ذكره والمتمثل في :

* الانحراف العقيدي ، أو ضعف العقيدة ، والجهل بالسنة أو التقصير في ذلك كله .

* قلة العلماء بينهم ، والجفوة بين العلماء والشباب . والعلماء لهم حق على

الجميع .

* ضعف الفقه في الدين والعلوم الشرعية وقواعد الشرع .
* الاعتماد على كتب الفكر والثقافة وحدها وإهمال الكتب الشرعية أو قلة الاعتماد عليها .
* المبالغة في الاهتمامات السياسية إلى حد الإدمان والهوس .
* التنازع والخصومات في الدين والدعوة .
* التحزبات والشعارات والولاءات غير الشرعية .
* العاطفة وقلة الصبر ، ونحو ذلك .
* التشاؤم ، واليأس وضعف اليقين بنصر الله ووعده .

الناس حيال الصحوة فريقان : أحدهما مشفق من مستقبل غائم نظراً للواقع القائم حالياً ، وآخر مستبشر متفائل ؛ فما مستقبل الصحوة – بناءً على واقعها الآن – في نظركم ؟

— المستقبل أمره إلى الله سبحانه علاّم الغيوب ، لكن القرائن والسنن الكونية والشرعية تدل على أن المستقبل للصحوة ، ومن ثم للإسلام – إن شاء الله– والصحوة في حاضرها تحمل مقومات القوة والغلبة وتباشير النصر بإذن الله ، وقرائن ذلك :

* الانحدار السريع لقوى الكفر والباطل ، فالشيوعية سقطت والرأسمالية تترنح ، وإن لم تنهار فستخر .
* الصحوة في نمو وتكامل وقوة في جميع بقاع العالم رغم ما يعتريها من خلل لا يسلم منه البشر .
* الشعوب الإسلامية أدركت إفلاس جميع الحلول المستوردة العلمانية ، وأن العودة لشرع الله ضرورة ، ولعله من الخير أن قوى الشر لم تفقه هذه

الحقيقة جيداً ، وإن كانت شعرت بخطورتها لكنها لاتزال تفسرها بتفسيرات جاهلية .

* تحزب الأحزاب في جميع الدول الإسلامية وغير الإسلامية ضد الصحوة وعدُّها التحدي الأخطر . . وهذه من علامات النصر للإسلام لو كانوا يعلمون وأظن هذا التحزب والكيد ضد الصحوة أعظم استفزاز سيكون للمارد الخامل النائم : أعني الشعوب الإسلامية .

لكن مع ذلك فالصحوة بحاجة إلى مزيد من الترشيد والخبرة والتصحيح فهي بحاجة إلى العلماء والفقه الشرعي ، وسلامة الاعتقاد والنهج والاعتصام بالسنة والخروج من حالة التنازع والتهارش والتآكل والعزلة إلى العمل الجاد وتحقيق الجماعة والتناصح والبناء العقدي والعلمي والعمل المؤسسي ، والاهتمام بالمجتمعات والشعوب بأسلوب بناء لإعداد الأمة كلها لتحمل المسؤولية ، حتى يكون الإسلام همَّ الجميع .

الصحوة الإسلامية فى الوقت الراهن بدأت فى تخطى الأطر الحزبية والتحول من جماعات إسلامية محدودة إلي تيار إسلامى عام يطالب بعودة الإسلام إلى مختلف نواحي الحياة ، وعودة الأمة الإسلامية لتستلم دورها في قيادة العالم ، فما هو تصوركم لهذه الظاهرة ؟

— أرجو أن يكون الأمر كذلك ، وإن كان فإن هذا يعني النقلة من طور الطفولة والمراهقة إلى الرشد ، وأن الأمة كما أسلفت بدأت تتحسس مواطن الضعف فيها ومكانتها بين الأمم ، وأن ريح الإيمان قد هبت وغرس الله بدأ يثمر ، وأرى أن هذه الحقيقة أقوى من كل العوائق والعقبات والخير كشجرة النعناع إذا قطعت منها غصناً أنبتت عشرة بإذن الله .

مصطلح السلفية - نسبة إلى السلف - كثر استخدامه ، فهل هو قصر على فئة انتسبت إليه ، أم هو منهج لا يسع أحداً الخروجُ عنه ؟ ما هو ورأيكم.؟

- السلفية تعني اتباع سبيل السلف الصالح أئمة الهدى أهل السنة والحديث الفرقة الناجية ، الطائفة المنصورة . . وهي بهذا الوصف الصراط المستقيم وسبيل المؤمنين ، ودين الحق والهدى الذي لا يسع أحد الخروجَ عنه ، وإلا فارق الحق والسنة والجماعة ، كما قال تعالى ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى** ﴾(٣).

التنازع بين المسلمين يؤدي إلى الفشل ، فما سبب هذا التنازع بين الداعين إلى الله ، خصوصاً عندما يستظل الجميع بمنهج واحد (منهج أهل السنة والجماعة) ، وما علاجه عملياً ؟

- أعظم أسباب التنازع : الأهواء ، والحزبيات ، والانتماءات ، وتصدر قليلي العلم الشرعي واتخاذهم رؤوساً ، وهيمنة الفرق والبدع والمحدثات على كثير من المسلمين والجماعات . . والسبيل إلى الوحدة هو بتحقيق التوحيد واتباع السنة وعقد الجماعة على الولاء الشرعي والأخذ بأسباب الحياة والعزة والنصر - كما أمر الله - وبذل النصح لله تعالى ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وأسأل الله أن يبارك في هذه الصحوة وأن يهديها سواء السبيل ، ويجمع شملها ، ويوحد كلمتها على الحق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

هوامش :

(١) سورة آل عمران ، آية ١١١ .

(٢) سورة الأنفال ، آية ٤٦ .

(٣) سورة النساء ، آية ١١٥ .

كونوا شامة في الناس

محمد العبده

روى أبو داود بإسناد حسن من حديث ابن الحنظلية حين سأله أبو الدرداء أن يقول له كل يوم : كلمة تنفعنا ولا تضرك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس ، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش».

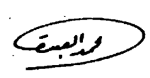
أراد رسول الله ﷺ أن يغرس في نفس المسلم الذوق السليم في هيئته ورحله ، وكل شؤونه ؛ لأن المنظر القبيح منفر للنفس ، باعث على عدم الارتياح ، وكأن رسول الله ﷺ يريد أيضاً أن تكون شخصية المسلم شخصية متكاملة ، يعطي لكل حالة حقها ، فهو حسن الثياب ، حسن المظهر – دون إسراف ولا مخيلة – عندما تستدعي الأمور ذلك ، ويلبس لباس المهنة عندما يكون في مصنعه أو متجره ، ويلبس لباس الحرب عندما ترتفع راية الجهاد ، ويلبس ما يناسب ذوقه وثقافته عندما يمارس الرياضة البدنية ؛ ولكن التربية القاصرة وثقافة البعد الواحد التي سيطرت على المسلمين في عصور التخلف قد أبعدت المسلم عن هذه المرونة ، فمنظره يثير الشفقة ، أو يثير الاستهزاء من أعداء الإسلام.

أعرف أحد الدعاة ، وقد تمكن من كثير من العلوم النافعة له في دنياه وآخرته ، وأتقن عدة مهن يدوية ، فكان الناس - حتى من خصومه في الفكر والمنهج - يسألونه المساعدة ، فيبادر غير متوان لخدمتهم ، فكان لهذا أثر كبير عليهم ، ومثل هذا الأخ الذي أخذ أهبته واستعدَّ لكل حالة هو شامة بين الناس .

هل من المبالغة أو المثالية أن تتكامل شخصية المسلم فتجمع هذه الجوانب المتعددة : أخلاق عالية مع القريب والبعيد ، مساعدة للناس ، وأن يمثل الإسلام في هيئته وكلامه وحركاته وسكناته . . ؟! كلا ، ليس صورة خيالية ، وإن تعذر ذلك فوجود عدد من الشباب المسلم يكون محط أنظار أهل حيه وقريته وزملاء عمله سيكون له تأثير كبير في تقوية الدعوة الإسلامية .

إن المسلم - حقاً - هو (العملة النادرة) في هذه الأيام ، وفي هذا العصر الذي كثر فيه الخبث ، وكثر النفاق والمداهنة ، وضُيّعَت الأمانة ، وعبد الناس بطونهم وشهواتهم ، فكيف إذا كان هذا المسلم شامة بين الناس ؟!

وإذا كان العرب قبل الإسلام يقولون عن الذي تعلم القراءة والكتابة وأتقن السباحة والرمي بأنه (كامل) ، فكيف إذا كان صاحب دعوة ورسالة قد استجمع خلال الخير ، وأتقن كثيراً من الأعمال ، وبذل كل ما في وسعه لقضاء حوائج الناس ؟!



الاستبداد الدعوي !

أحمد بن عبدالرحمن الصويّان

[١]

يقال في اللغة : استبد برأيه ، يعني : انفرد به .

والاستبداد صفة من صفات التسلط وفرض الرأي بالقوة ، وهو يقتضي تكميم الأفواه ، وقطع الألسن ؛ فلا تتحدث إلا في مجال محدود لا تتجاوزه وبطريقة معينة لا تتغير . . بل ينطلق الاستبداد أحياناً ليحجر على أفكار الإنسان وخواطره ، بل أنفاسه وزفراته . . !

- واعجباً لك . . إذا كان هذا هو الاستبداد عندك ، فكيف تتجرأ على وصف الدعاة بذلك . . ؟!

- معاذ الله ! فليس هذا حكماً عاماً يتساوى فيه جميع الدعاة ، ولكن بعضنا قد يأخذ بنصيب وافر أحياناً من هذه الصفة ، وهذه الشريحة الدعوية لا ينبغي إغفالها أو تجاهلها ، والاستبداد الدعوي - إن صح التعبير - ممارسة تربوية ذات أبعاد خطيرة ، تقتل ملكات الإبداع والإنتاج ، وتعطل الطاقات لذا كان لزاماً علينا أن نسلط الضوء عليها بجرأة ، لعلاجها والتخلص منها .

وذكر الحقيقة كاملة قد يتبعها مرارة وحزن ، ولكنها تنتهي بالسعادة ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ، ما نحمد معه ذلك التخشين» . [1]

[٢]

أرأيت إلى ذلك المربي الذي لا يُحب أن يسمع رأياً غير رأيه ، ولا يرضى باقتراح أو نصح من أحد ، فإذا تكلّم ؛ فَمَن حوله سكوت ، وإذا أشار ؛ فالناس له تبع ، أتباعه ومريدوه حقهم السمع والطاعة ، في المنشط والمكره ، في العسر واليسر ، في الخير والشر . . !!

مفهوم الشورى عنده : إخبار الآخرين بما يرى ، فإن وافقوه فبها ونعمت ، وإن خالفوه ، فالشورى مُعلمة لا ملزمة .

إذا نظر إلى وجه مريده طأطأ المريد رأسه حياءً وخجلاً ، واحمر وجهه وفرقع أصابعه ؛ حتى إذا اشتد عوده ، واستوى ساقه ، أصبح بارعاً في اجترار الأفكار ، وترديد الكلمات ، لا يباريه أحد في فن التقليد ، ليس له عقل يفكر فقد ضمر وتآكل مع طول العجز ، واستفحال المرض ، أقرب الأمثال إلى عقله : (من قلّد عالماً لقي الله سالماً) ، ولماذا يفكر ويجهد ذهنه ، ويضيع وقته وبين يديه شيخه الجهبذ الذي أبصر الحقائق ، وأدرك الأمور ، وانكشفت له المعضلات . . ؟!

من أنت حتى تستشار أو تبدي رأياً . . ؟!

ومن أنت أصلاً حتى تفكر وتتأمل . . ؟!

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد الدعوي . . ؟!

[٣]

أرأيت إلى طالب العلم الذي يظن أنَّ رأيه هو عين الحق الذي لا حق غيره ولا يحق لأحد أن يخالفه أو يعترض عليه ، اجتهاده قاطع لكل اختلاف ، ورأيه جامع لكل خير ، فهو البحر الذي تجتمع عنده الأنهر ، والوادي الذي تصب فيه الشُعَب . . !

إذا خالفه أحد ضاق صدره ، واضطربت نفسه ، وتزلزلت أقدامه ، وإذا أفاق من هول الصدمة ، سلَّ سيوفه مستعداً للمبارزة والطعان ، دون أن ينظر أحق هو أم باطل .

كل مخالف له مبطل . . مهما كان دليله . . !

وكل معارض له مفسد . . مهما كانت حجته . . !

همه أن يتلقى عنه الأتباع ، ومراده أن يستمع له الناس ، كل تقليد مذموم إلا تقليده . . ! أحكامه صارمة قاطعة ، لا تقبل المناقشة أو المحاورة ، ومن لم يقبل هذه الأفكار فلينطح برأسه الجدار . . !

جلوا صارماً ، وتلوا باطلاً وقالوا صدقـنا؟ فقلنا : نعم !

أرأيتم كيف نمارس الاستبداد العلمي . . ؟!

[٤]

أرأيتم كيف توأد الأفكار ، وتخنق الأصوات ، وتحطم ملكات الإبداع والإنتاج ، ويربى الخانعون . . ؟! أخزى الله الاستبداد ، فكم قتل من الطاقات وكم قطع من طرقٍ للتصحيح والتغيير . . !

كان السلف الصالح والأئمة الأخيار يختلفون فيقول قائلهم : «جائز ما قلتَ أنت ، وجائز ما قلتُ أنا ، وكلانا نجم يهتدى به فلا علينا شيء من اختلافنا»[2].

ويقول الآخر : «ألا يستقيم أن نكون إخواناً ، وإن لم نتفق في مسألة؟»[3].

أما نحن إذا اختلفنا ، فلسان حالنا : (ما أريكم إلا ما أرى . . !).

إن مصادرة آراء الآخرين ، وغلق الأبواب في وجوههم ؛ يجعل جذور الخطأ تمتد إلى الأعماق ، ثم يصعب تصحيحها أو على الأقل تخفيفها ؛ ولهذا فنحن نحتاج إلى ترويض ومتابعة ؛ لكي نتعلم كيف نقدّر الرأي الآخر ، وننجو من مصادرة عقول الآخرين ، والمنهج الشرعي يقتضي أن نقطع في الأمور القطعية التي قطع بها السلف الصالح ، وأما المسائل الاجتهادية في فروع العلم - سواء في الفقهيات ، أو في فروع العمل الدعوي المتجددة - فالأمر فيها واسع ولله الحمد والمنّة ، والاختلاف فيها أمر وارد لم يسلم منه جيل الصحابة - رضي الله عنهم - وما وسعهم يسعنا ، وما قد يكون واضحاً عندك ، قد لا يكون كذلك عند غيرك ، وما يتبيّن لك صوابه الآن قد يتبيّن لك خطؤه غداً ؛ لأمر ينقدح في ذهنك ، ولهذا تواتر عن علمائنا وأئمتنا أنهم يقولون في المسألة الفرعية الواحدة قولاً ، ثم يقولون بخلافه بعد ذلك .

وها هو ذا الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يريد أن يحمل الناس على كتاب الإمام مالك بن أنس - الموطأ - ، ويوحدهم على رأي ، فيقول له الإمام مالك : «لا تفعل فإن الناس قد سبقت إليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، وعملوا به ، ودانوا به ، من قبل أصحاب

رسول الله (ﷺ) وغيرهم، وإن ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار كل بلد لأنفسهم». قال الحافظ ابن عبدالبر القرطبي: «وهذا غاية في الإنصاف لمن فهم»[٤].

ورحم الله الإمام الشاطبي حيث يقول: «فإن الله حكم بحكمته أن تكون فروع الملة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون، وقد ثبت عند النُظّار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف»[٥].

إن الاستبداد خصلة لا يعجز عنها أحد في الغالب، وهو دليل على العجز والضعف. ولكن فتح أبواب المشورة، والتراجع عن الخطأ، واتساع الصدر للرأي المخالف، منزلة لا يرقى إليها إلا عباد الله المخلصون.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦-١٧).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٣٢).

(٥) الاعتصام (٢/ ١٦٨).

عندما تعود الريح

د. محمد بن ظافر الشهري

عن زمن الفشلْ
يسألُ من سألْ
وعن ذَهابِ الريحْ
عن تكالبِ الدولْ
وعن دمائنا تراقْ
وعرضنا يباحْ
وعن صغيرنا يساقْ
وشيخنا يُذَلّ
فقلت لا : تسلْ !

* * *

في زمن الفشلْ
يُشيِّعُ القاتلُ مَن قتَلْ!
يُعَيَّرُ العادلُ أن عَدَلْ!
ويوصفُ الجائرُ بالبطلْ!
يعترفُ البريءْ
بأنه جَنَى
ويذكُر الفاعلُ ما فعلْ !

* * *

في زمن الفشل
يعيشُ كل كافر حراً بلا قيودْ
وكلٌّ من أسلمَ مُعتَقَلْ !
وينتخي اليهودْ
وأمةٌ تسودْ
وأمةٌ تشاءْ

وأمة تريدْ
وأمة واحدة فقطْ . .
في قبضة القيود لم تزلْ !

* * *

في زمن الفشلْ
يستبدل الناس بـ «لا» : «أجل»!
فيمعن اللصوصُ في . .
«إعادة الأمل» !
في وضح النهار
ودونما وجلْ . .
لسانُهم كنومنا طويلْ !
وسمعهم يُطربُهُ العويلْ
وسيفهم يكفرُ بالعَذَلْ !

* * *

في زمن الفشلْ
كَفَّنَ في جرابه الحُسامْ
وكبر الإمامْ
بأربع أعقبها السلامْ
فطاب للثعالب المقامْ . .
ولم تعُد تلجأُ للحِيَلْ !

* * *

في زمن الفشلْ
العلمُ لا يهتفُ بالعملْ
العلم كي يُرَىْ
العلم للثراءْ
العلم للمراءْ
العلم للجدَلْ!

* * *

في زمن الفشلْ
يكون في الدعاةْ
من لا يكون همُّهُ
عبادة الإلهْ
ولا يكون همُّهُ
نصيحة العصاةْ
ولا يكونُ همّهُ
صناعة الحياةْ
لكنَّ كلَّ همِّه
تَصيُّدُ الزَّلَلْ !

في زمن الفشلْ
يستعرُ اللهيب في البطونْ
والناسُ يأكلونَ . .
يأكلونْ
وليس ثمَّ أكْلْ !

* * *

في زمن الفشلْ
يُقذَفُ بالنساء للعملْ
ويصبحُ «القرارُ» للرجلْ!
وعندها تُضيَّعُ العيالْ
تسترجل النساءْ
يستنوقُ الجملْ

* * *

في زمن الفشلْ
ينحرفُ الكبارُ والصغارْ
فالشيخُ لا ينعم بالوقارْ
والطفلُ قد شَبَّ على الصِّغارْ
والأمُّ في المساءْ
تلعبُ بالقمارْ

وفي النهارْ . .
تعبثُ في شواطىء البحارْ
و«الزوجُ» مستعارْ . .
متيمٌ يسكرهُ الغَزَلْ

* * *

عن زمن الفشلْ
يا أيها السائلُ لا تَسَلْ
واسأل عن العودة للمُثُلْ
عن صحوة الهُدى
واثقةً تمشي على مَهَلْ
تسيرُ خلفَ خاتمِ الرُّسُلْ
تسيرُ لا تَمَلّ
فعندها وعدٌ بأنْ تَصِلْ
يا أيها السائلُ لا تسَلْ
عليكَ بالعملْ
عليكَ بالعملْ.

منهج التفسير التاريخي

قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها

(١)

د. محمد آمحزون

يقصد بدراسة التاريخ معرفة الروابط التي تربط الأحداث والوقائع المختلفة ؛ لتبيُّن دوافعها ومنطلقاتها ونتائجها ، واستخلاص السنن والعبر من خلالها ، ويعتبر تعريف ابن خلدون في هذا الصدد تعريفاً جيداً ، لأنه نصٌ على وجوب النظر في الأخبار وتحقيقها ، كما أكد على النظر في العلل والأسباب.

ومن هذا المنطلق ، فالتاريخ ليس مجرد سرد للحوادث فحسب ، بل هو تفسير لتلك الحوادث وتقويم لها ، ومن ثم أصبح التاريخ أحد الأسلحة التي تستخدم في مجال التوجيه وصياغة الأفكار ونشر المبادىء وتأييدها ، كما أنه أصبح يأخذ دوره في الصراع العقائدي بين الأمم ، ولهذا لابد من دراسته وفق منهج معين.

لكن يا ترى ما هو ذلك المنهج المطلوب ؟

في الاصطلاح اللغوي يقال : النهج ، والمنهج ، والمنهاج ، وكلها بمعنى واحد ، وهي تعني الطريق الواضح ، وبمعنى آخر : السبيل الفكري والخطوات العملية التي يتبعها الباحث في مساره بقصد تحصيل العلم.

أما في الاصطلاح التاريخي ، فالمنهج يعني في الدراسات التاريخية : القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي سواء أكان بالكتابة والتأليف أم بالدراسة والتعليم .

ومن الملاحظ أن المنهج في الدراسات التاريخية عندما يطلق يراد به أمران : الأمر الأول : التوثيق وإثبات الحقائق ، والأمر الثاني : التفسير التاريخي ، أي معرفة مصادر تفسير الحوادث والحكم عليها .

ويستنتج من ذلك أن المنهج قسمان : منهج التوثيق وإثبات الحقائق ومنهج التفسير التاريخي .

أما القسم الأول فيراد به دراسة سند الروايات التاريخية ومتنها بغية التثبت من النصوص وتمحيص الأخبار ، وذلك بربط دراسة التاريخ الإسلامي - إلى حد ما - بما يعرف بـ «علم الجرح والتعديل» ، وهو علم جليل يقوم على دراسة مستفيضة لأحوال الرواة والتحري عن ميولهم وصفاتهم وأخلاقهم وعقائدهم .

ومما لا شك فيه أن المصنفات في قواعد الرواية وفي علم الرجال يمكن الاستفادة منها في حقل التاريخ الإسلامي إلى حد ما ، إذ تكشف النقاب عن قواعد التحديث وأحوال الرواة لتمييز القوي من الضعيف والصادق من الكاذب، وبذلك يُعرف لكل خبر قيمته ، فتستخرج الروايات الصحيحة والحسنة ، وتستبعد الأخبار الضعيفة والموضوعة وينبّه عليها ، لاسيما وأن من أهداف الدراسات التاريخية إبراز الحقائق التي تعتبر هدفاً منشوداً يتوخاه كل باحث نزيه .

لكن سنقتصر في هذه الدراسة على القسم الثاني من المنهج المتعلق بتفسير الحوادث ، وذلك بذكر مجموعة من القواعد والضوابط التي يمكن من خلالها

الحكم على الحوادث التاريخية ، وتفسيرها تفسيراً يتماشى مع النظرة الإسلامية للكون والإنسان والحياة .

فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ دين وعقيدة قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية ، لأن العقيدة هي التي أنشأت تلك الكيانات من الدول والمجتمعات بنظمها السياسية والإدارية والتعليمية والاقتصادية وغيرها .

ولأجل هذه الصفة ، فإنه ينبغي دراسة التاريخ الإسلامي وفق التصور الصحيح والموازين الشرعية ، على أن خصوصية التاريخ الإسلامي تتجلى في كونه منهجاً يوضح دور الإنسان ومسؤوليته عن التغير الاجتماعي والتاريخي في إطار المشيئة الإلهية ، لأن التاريخ البشري في المنظور الإسلامي هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في الأرض بقدر الله ، وبحسب سنن معينة يجري الله بها قدره في الحياة الدنيا .

إن المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ لا يخرج عن دائرة المعتقدات الإسلامية ، كما أنه مبني على دوافع السلوك في المجتمع الإسلامي ، مما جعل حركة التاريخ الإسلامي ذات طابع متميز عن حركة التاريخ العالمي لأثر الوحي الإلهي فيه .

القاعدة الأولى : اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام :

ويرجع ذلك إلى اعتبارين اثنين :

الاعتبار الأول : لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية فيما ورد فيها من الأخبار ، وذلك لصدق مصدرها وعلمه وهيمنته ، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي ، حيث وصلنا القرآن الكريم بالتواتر الموجب للعلم القطعي ، وصحيح

السنة وصلنا بمنهج علمي دقيق حيث اتبع علماء الحديث والرواية أرقى منهج علمي وأوثقه في تدوين السنة.

الاعتبار الثاني: لما تدل عليه من القوانين التاريخية والسنن الربانية والنظرة الشمولية لتاريخ البشرية كلها على مدار الزمان في الماضي والحاضر والمستقبل، مما يعطي الباحث سعة وشمولاً في النظرة التاريخية، وعمقاً في تحليل الأحداث ومقدرة على تشخيص الداء، ووصف الدواء.

إن هذا الكون - بما فيه الإنسان - هو خلق الله؛ فلابد من الرجوع إلى الخالق لفهم هذا الخلق، وإذا رجعنا إلى الوحي المنزل من الخالق لهداية البشرية، نجد السنن واضحة والاتجاهات محددة.

ومن المعلوم أن الوحي (الكتاب والسنة) وضع لنا السنن (أي القوانين الطبيعية والاجتماعية المبثوثة في الكون والأنفس والمجتمعات) التي تسير في إطارها الأحداث، ويحكم من خلالها الأمم والدول والأشخاص.

ومن خلال السنن الربانية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ ونفسر أحداثه، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والبقاء، وعوامل الهدم والخوف والسقوط والتدمير، وهذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك. قال تعالى: **﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾**[1]. وقال تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[2]. فقانون تغير الحال إلى الأحسن أو الأسوأ هو تابع لجهد الإنسان، وسلوكه وتصرفه.

إن القرآن والسنة يعطيان الباحث المفاهيم والمبادىء التي يمكن في ضوئها تفسير أحداث التاريخ والحكم عليها، هذا علاوة على ذكر ما سيؤول إليه حال

الأمة الإسلامية وما يصيبها من التفرق ، وما يكون فيها من حركات الإصلاح والتجديد ، والإشارة إلى عدد من الأحداث والفتن ، والموقف من بعضها ، وقد اعتنى أهل السنة بجمعها ووضع أبواب لها في مصنفاتهم[٣] .

ولئن كانت المادة التاريخية في كتب السنة ليست بالمقدار نفسه الموجود في المصادر التاريخية ، إلا أن لها أهميتها لعدة اعتبارات منها :

أن معظم مؤلفيها عاشوا في فترة مبكرة ، وأغلبهم من رجالات القرن الثاني والثالث الهجري ، مما يميز مصادرهم بأنها كانت متقدمة .

ثم إن المحدثين يتحرون الدقة في النقل ، الأمر الذي يجعل الباحث يطمئن إلى رواياتهم أكثر من روايات الإخباريين .

على أن المحدث كان عند جمهور المسلمين أشرف موضوعاً ، وأسمى منزلة من الإخباري ، ويرجع ذلك إلى ضبط المحدث ودقته وتمحيصه للروايات التاريخيه وتحريه في القول ، بينما كان الإخباري مظنة للإغراب والتلفيق والاختلاق .

القاعدة الثانية : الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث :

إن دارس التاريخ الإسلامي إن لم يكن مدركاً للدور الذي يمثله الإيمان في حياة المسلمين ، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً لأحداث التاريخ الإسلامي .

وعلى سبيل المثال : فهجرة المسلمين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كانت هجرة من أجل المبدأ ، يوجهها الإيمان الذي كان بالنسبة للمسلمين المهاجرين المحرك الذي ساق الأفراد والجماعات إلى مصائرهم وإلى صنع

تاريخهم ، فلم تكن هجرة من أجل الوطن أو المال أو المنصب ، إذ تركوا من ورائهم وطنهم وأموالهم ودورهم ومتاعهم فراراً بدينهم من الفتن واستمساكاً بعقيدتهم ، فقدموا بذلك مثالاً عالياً من التضحية والإخلاص في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا .

أما أهل المدينة وهم الأنصار الذين آووهم في بيوتهم وواسوهم بالمال ونصروهم ، فقد قدموا بذلك المثل الصادق للأُخُوَّة الإسلامية ، تلك الأُخُوَّة التي لم يجعلها الإسلام لفظاً فارغاً أو تحية تثرثر بها الألسنة ، وإنما عملاً مرتبطاً بالدماء والأموال ، وبعواطف الإيثار والمواساة التي ملأت المجتمع المدني بأروع الأمثال .

قال تعالى في شأن هذه المواقف الإيمانية : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون * والذين تبوَّأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[٤] .

كما أن المجاهد المسلم عندما يقاتل في سبيل الله يعلم أنه ليس وحده الذي يقاتل الكفار ، وأنه لا يقاتلهم بكثرة الجنود ولا بتفوق السلاح وحده - إن توفر ذلك له - وإنما يقاتل بالإيمان الصادق الذي يحمله ، وبما يعلمه من تأييد الله للمجاهدين الصادقين ، وما يمدهم به من وسائل مادية ومعنوية كقتال الملائكة إلى جانبهم أو تسخير عوامل طبيعية لهم أو تثبيت قلوبهم بإنزال السكينة والطمأنينة عليهم ، أو بما يمدهم بـه من الصبر وقوة التحمل ، ورباطة الجأش إلى غير ذلك من الوسائل المنظورة وغير المنظورة . . فقد أنزل الله الملائكة

يقاتلون إلى جانب المسلمين في معركة بدر ، قال تعالى : **﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾**[٥] . وأرسل الله ريحاً شديداً فرقت الأحزاب المحاصرة للمدينة يوم الخندق ، قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليها ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾**[٦] .

وعند البحث مثلاً عن الأسباب التي أدت إلى انتصار المسلمين في معركة اليرموك سوف نجد أن عدد الروم ستة أضعاف عدد المسلمين ، وجيش الروم جيش نظامي مدرب وجيد التسليح ، بينما الجيش الإسلامي أقل منه عدداً وعدة وتدريباً ، ويقاتل بعيداً عن مركز الخلافة ، ومع ذلك حصل له النصر المبين .

على أن المتأمل والباحث في الأسباب المادية المنظورة بحثاً عقلياً مجرداً لا يستطيع أن يقبل نتيجة المعركة رغم أنها متواترة حساً وواقعاً ، وهذا يرجع إلى الجهل بالعوامل الحقيقية المحركة للتاريخ الإنساني في غيبة العلم الصحيح وإلى إغفال سنن الله في الخلق ، وهي سنن ثابتة وصارمة ، **﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾**[٧] ، ومن السنن التي أوضحها القرآن الكريم قانون التدافع أو سنة الصراع بين الإيمان والكفر عبر تاريخ الإنسانية الطويل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن خلال هذا الصراع يختبر الله عباده المؤمنين ويميزهم بالابتلاء **﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب ﴾**[٨] .

ويبين سبحانه وتعالى أن المؤمنين إذا تميزوا بالثبات على العقيدة والإيمان

وأداموا ذكر الله وطاعته ووحدوا صفوفهم واعتصموا بالصبر ، فإن النصر حليفهم وإن كانوا قلة ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾[9] ، ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً** ﴾[10] ، ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[11] ، ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾[12] . . . إلى غير ذلك من السنن الساطعة والحقائق الثابتة .

لكن الله أمر المؤمنين بالأخذ بالأسباب وحشد الطاقات والإمكانيات المتاحة للوصول إلى القوة اللازمة لإرهاب العدو والتمكين للإسلام ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾[13] . وأوضح أن الجهد الإنساني للمؤمنين هو الذي يحسم الصراع لصالح الإيمان وعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني ، لذلك شرع سبحانه الجهاد ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقويٌ عزيز** ﴾[14] .

وأخيراً ، فإن الله أوضح أن عاقبة الصراع تكون دائماً للمؤمنين مهما طال الطريق وعصف بهم طغيان الباطل ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً** ﴾[15] .

القاعدة الثالثة - أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين :

إن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي ، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية وفي تفسير حوادثه والحكم عليها ، لذلك ينبغي في تفسير

التاريخ الإسلامي الرجوع إلى المصادر الشرعية لمعرفة دوافع السلوك في المجتمع الذي نشأ وتكون على هدي الشريعة وشكل حياته ومفاهيمه وفقاً لها ، وكانت تعليماتها وأوامرها ونواهيها موجهة لجميع شؤون حياته .

إنه لابد من إدراك البواعث الحقيقية لتصرفات الناس في صدر الإسلام وعلاقة هذه البواعث بالحوادث والعلاقات الإنسانية والاجتماعية ، ونظم الحكم وسياسة المال ، وطرق التشريع ووسائل التنفيذ في إطار المبادىء والمفاهيم والقيم الإسلامية .

إن دوافع السلوك في المجتمع الإسلامي الذي تهيمن عليه العقيدة كانت في صدر الإسلام تتأثر كثيراً بالتطلع إلى ما عند الله ، إلى الجزاء الأُخرَوِي وصفوة المؤمنين عادة لا يشركون دوافع أخرى في سلوكهم ، إذ لابد من إخلاص النية لله تعالى في كل أعمال المسلم سواءً أكانت جهاداً بالنفس أم نشاطاً اجتماعياً أم اقتصادياً أم سياسياً ، فعمل المسلم في كل مجالات الحياة يدور حول إرضاء الله تعالى ، ويعرف المسلم أنه إذا أشرك في نيته وآثر الدنيا فإنه يحبط عمله ، كما ورد في الحديث الشريف « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتغي به وجهه »[١٦] . وإذا كان هذا التصور يتحكم في كثير من المسلمين الملتزمين اليوم ، فكيف كان أثر ذلك في جيل الصحابة والتابعين وهم خير القرون !

إن معرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام ، وتزكية أرواحهم والتوجه إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة ، يجعل من البدهي التسليم بأن الدافع لهم في تصرفاتهم وسلوكهم لم يكن دافعاً دنيوياً بقدر ما كان وازعاً دينياً وأخلاقياً يحث على فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولأجل ذلك يجب استعمال الأسلوب النقدي في التعامل مع المصادر التاريخية ، وعدم التسليم بكل ما تطرحه من أخبار ، وإحالة رواياتها قبل القبول بها على المجرى العام للمرحلة التاريخية لمعرفة هل يمكن أن تتجانس في سداها ولحمتها مع نسيج تلك المرحلة أم لا ؟

وهكذا توضع الوجهة العامة للمجتمع الإسلامي وطبيعته وخصوصيته في الحسبان ، وينظر إلى تعصب الراوي أو الإخباري أو المؤرخ من عدمه ، فمن لاحت عليه أمارات التعصب والتحيز بطعن أو لمز في أهل العدالة والثقة من الصحابة ، أو مخالفة لأمر معلوم في الشريعة أو عند الناس ، أو معاكسة طبيعة المجتمع وأعرافه وقيمه الثابتة ، ففي هذه الأحوال لا يؤخذ منه ولا يؤبه بأخباره لأن التحيز والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة التاريخية .

وللحديث بقية . .

الهوامش :

(١) سورة فاطر ، الآية ٤٣ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ١١ .

(٣) أفرد لها الإمام البخاري كتابا في الجامع الصحيح سماه «كتاب الفتن» وكذا مسلم في الجامع الصحيح «كتاب الفتن وأشراط الساعة» ، وأبو داود في السنن «الفتن والملاحم» ، وغيرهم.

(٤) سورة الحشر ، الآيتان ٨ و ٩ .

(٥) سورة الأنفال ، الآية ٩ .

(٦) سورة الأحزاب ، الآية ٩ .

(٧) سورة فاطر ، الآية ٤٣ .

(٨) سورة البقرة ، الآية ٢١٤ .

(٩) سورة البقرة ، الآية ٢٤٩ .

(١٠) سورة النساء ، الآية ١٤١ .

(١١) سورة الروم ، الآية ٤٧ .

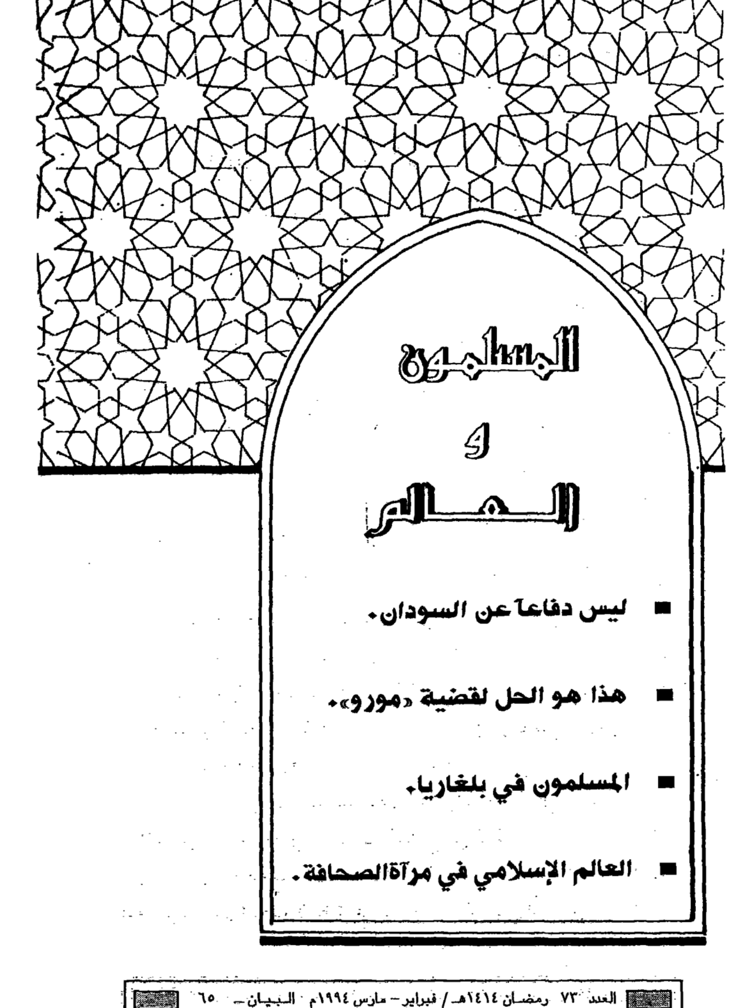
(١٢) سورة محمد ، الآية ٧ .

(١٣) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

(١٤) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(١٥) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(١٦) أخرجه النسائي في السنن ، كتاب الحج ، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ، ج٦ ، ص ٢٥ .


المسلمون
و
العالم
■ ليس دفاعاً عن السودان.
■ هذا هو الحل لقضية «مورو».
■ المسلمون في بلغاريا.
■ العالم الإسلامي في مرآة الصحافة.

ليس دفاعاً عن السودان

قراءة هادئة في قضية طرد السفير البريطاني من السودان

د. عبدالله عمر سلطان

أوكلت القناة الرابعة فى التلفاز البريطاني إلى الصحافي الشهير «روبرت فيسك» إعداد حلقات مسلسلة عن العلاقة بين الإسلام والغرب عنوانها «من بيروت . . إلى البوسنة إلى آخر العالم» خَلُص فيها إلى أن نظرة الغرب إلى الإسلام قائمة على ثلاثة عوامل مشتركة: سوء النية . . وسوء الفهم . . والاتهامات الجاهزة (المعلبة)!!

في ثنايا الشريط التلفازي الذي يتألف من أربع حلقات، تمتد لأربع ساعات يقف «فيسك» أمام أنقاض أحد المساجد في البوسنة وهو يقول: «الحكومات الغربية تريدنا أن نفكر في السلام في الشرق الأوسط، وقد كانت تفضل ألا نشاهد الدمار، وأن لا نكتب عنه . . إنها تفضل لو أننا خرس». ويتجول فيسك في جولته في قرية بوسنية تقع في الشمال بعد أن زارها قبل عام حيث كان المسجد الجريح المحطم قائماً يذكر فيه اسم الله، ويرفع فيه ذكره، أما الآن فمراسل جريدة «الإند بندنت» يستعرض لنا الخراب الذي حل ببيت الله ويعلق قائلاً: «إلى متى سيتحمل المسلمون هذا النوع من العنف؟! إلى متى نردد أننا لا نفهمهم حينما يحاولون إجهاض هذا العنف الموجه ضدهم؟! بل إننا (يعني قومه من الغربيين) نحب أن نطلق عليهم وصف الإرهابيين المتطرفين.

إنني حينما أرى كل مرة هذا الدمار أتساءل بيني وبين نفسي عما يخبىء لنا العالم الإسلامي.. ربما كان على تقاريري الصحفية أن تنتهي دائماً بالعبارة التالية: احذروا جيداً.. !! ، لقد لمس المراسل البريطاني في برنامجه التلفازي حصاد المرارة وشوك المعاناة التي تحاصر العالم الإسلامي شرقاً وغرباً ؛ بسبب «العنف» الغربي الذي يؤله «المادة» ويعبد «القوة» ، ويستخدم مصطلحات التسلط وترسانة الأسلحة للتعامل مع عالم إسلامي ممزق ومحاصر وملاحق.. وكانت الصور المعروضة تزيد من خوف الغربي من هذا المخلوق المُرعب والمُرعَب في اللحظة نفسها دون تقديم تفسير عميق لحالة الغضب التي تجتاح آحاد المسلمين اليوم كلما ذُكر الغرب أو حضرت إلى خشبة مسرح الحياة آلياته القمعية بصورها المتعددة.. إن ذلك لا يلمس إلا في لقطات خاطفة حينما يعرض فيسك بالصورة ضحايا العربدة الإسرائيلية في لبنان منذ ١٩٨٢م، ويقدم بصورة مباشرة لا لبس فيها شخوص الحدث: مدني مسالم تلاحقه قنابل النابالم التي زرعتها قوات الغزاة في أجساد الأطفال والنساء والشيوخ، وما غفل عنه فيسك أو مر عليه مروراً عابراً هو تعريفه للعنف: هل هو الصورة الساذجة لإخضاع القوي للضعيف بمنطق السوط وقانون «الدهس»؟!

صحيح أنه يلامس مشاعر المسحوقين لكنه لا يركز على صور العنف الدبلوماسية والمكر السياسى وقفازات الخنق الحريرية التي تستخدمها الحكومات الغربية التى تريد من وسائل إعلامها أن تصمت !!

تصور لو أن حكومة إسلامية قوية «ومستقلة» قررت أن يقوم رأس الهيئة الدينية فيها بزيارات إلى الهند تلبية لدعوة رسمية من قبل حكومة نيودلهي وذلك للتخفيف من حدة النزاع الدائر بين السلطات الهندية والمسلمين في كشمير وبعد إعداد التفاصيل من قبل سفير هذه الدولة ثبت للحكومة الهندية أن

السفير المسلم لهذه الدولة الافتراضية كان يجري اتصالات سرية بالحركة الإسلامية المسلحة في كشمير التي تنقسم إلى عدة فصائل من أجل توحيدها لضرب الحكومة المركزية في نيودلهي، وقد استطاع إقناع تلك الشخصية الإسلامية المرموقة أن يغير خط سيره إلى «جيب جغرافي» يسيطر عليه المجاهدون في كشمير حتى يظهر عدالة القضية الكشميرية التي أصدرت الأمم المتحدة حيالها قرارات واضحة توصي بحق سكان المنطقة في تقرير مصيرهم !!

السؤال : كيف سيكون تصرف حكومة نيودلهي تجاه مثل هذا العمل الاستفزازي بل كيف سيكون موقف الإعلام العربي «المحايد» و«المستقل»! تجاه تصرفات هذه الشخصية الإسلامية التي شوهت صورة التسامح وشرخت بتآمرها «عدالة الإسلام واعتداله» !!

لكم أن تتصوروا ذلك . . كما لكم أن تتخيلوا أن هذه الشخصية هي شخصية الشيخ . . . . !! ألن يحاضر المعتدلون والشرق أو سطيون وزعماء الجنوح إلى السلام عن بشاعة التطرف وسوء خلق «المتاجرين بالدين» وتيار الاستفزاز الأصولي؟!

ثم ماذا سيكون موقف الحكومات الغربية ووسائل إعلامها التي دائماً ما تحض على ضبط النفس إذا كان الضحية بلداً مسلماً بينما تفرغ «عنفها» و«تسلطها» و«إرهابها السياسي» والإعلامي إذا كان المُستفَز دولة من دول العالم . . بل حتى دولة أقدس رموزها حيوان يدب على أربع . . . ؟

لقد قام الأسقف البريطاني «جورج كيري» بالدور الافتراضي نفسه – الذي رسمنا خطوطه العريضة – حينما قرر زيارة السودان . . وبالطبع من حق أسقف كانتربري أن يزور السودان لألف سبب أهمها رعاية أبناء معتقده، وعلى حكومة السودان أن تكون «متحضرة» و«معتدلة» وأن تهيء له كامل وسائل

الراحة والاستجمام لأكبر رمز إنجليكاني في العالم، ومن حق السفير البريطاني أن يتدخل حتى في نوعية الحليب الذي يقدم لقداسته!! لكن هل من حق السفير أن يسلك سلوكاً تعتبره الدولة المضيفة تآمراً وبأسلوب مكشوف ليعلن الأسقف قبل يوم واحد من الزيارة أنه سيزور معاقل المتمردين «الصليبيين» في الجنوب وأنه لن يزور الخرطوم التي يستعمر حكامها المسلمون رعايا الكنيسه .. في الجنوب؟!

هل من حق «سفير» أو «خفير» يمثل دولة حضارية أن يقدم أوراق اعتماده لرأس الدولة ثم يسحب - قولاً وفعلاً - الشرعية التي تعترف بها دول العالم لحكومة السودان ليقدمها إلى فصائل التمرد الصليبي المتناحرة دون حياء أو خجل؟!

إن هذا التصرف لا تقبله أي دولة تدعي الاستقلال فضلاً عن أن تكون مستقلة فعلاً حتى ولو كانت إحدى دويلات جزر الكاريبي التي يطلق عليها المستعمرون البريطانيون سخرية اسم «جزر الموز».

وللأسف إن بريطانيا تتولى دون مواربة تجميع القوى المناوئة للحكومة السودانية الحالية في داخل السودان وخارجه حتى أصبحت لندن بؤرة تجمع ودعم لكل من يحاول تفتيت السودان تحت شعار إسقاط النظام الأصولي.. والسفير البريطاني له قدم سبق في ذلك لا سيما وأن عواطف صليبية حميمة كانت تحركه وهو المولود في جواتيمالا «أمريكا اللاتينية» والذي تربى ليكون منصراً لا دبلوماسياً خصوصاً وأنه - فيما يظهر - متشبع بفكرة تحطيم كيان السودان القائم لصالح المشروع الصليبي المنطلق من الجنوب والذي يُسوق عالمياً على أنه نظام عالمي جديد..

أي نظام هذا؟! وهو يغذي الانقسام والفوضى والحرب الأهلية في القطر

الواحد.. أي عالمي؟! إلا إذا كان منطلقاً من المفاهيم العنصرية الاستعمارية للقوى الغربية التي ترى أن العالم = نفسها !!

وأي جديد؟! وهو يعيد التذكير بدور المندوب السامي البريطاني الذي كان يحكم النمور الكارتونية المتمثلة في رؤوس الأنظمة المستعمرة. وهل تغيير مسمى المندوب السامي إلى السفير البريطاني يحمل معطيات جديدة للعملية الاستعمارية ومعادلة الهيمنة والغطرسة التي كانت ولا زالت سائدة في خيال صانعي القرار في دول الغرب؟!

ثم لا يتورعون عن إطلاق تلك التصرفات باسم النظام العالمي الجديد. ألم يقل روبرت فيسك في نهاية شريطه عبارة تلخص هذا الإفك بقوله: إذا كنت لازلت مؤمناً بالنظام العالمي الجديد فعليك ألا تشاهد هذا البرنامج.

ونحن نقول إذا كنت مؤمناً بالنظام العالمي الجديد فخذ أخبار السودان المطارد عن طريق هيئة الإذاعة البريطانية التي سخرت مقدراتها الإعلامية الهائلة لمحاصرة السودان وتلميع حراب الحملة الصليبية ورموزها الحاقدة، هذه الهيئة استطاعت أن تسخر هذا الحادث بصورة نمطية مُعدية، انتقلت بموجبها العدوى إلى الصحف العربية المهاجرة التي رحلت بجوارها وكأن هذه الحادثة هي الأولى من نوعها في التاريخ المعاصر، مع أن السفير البريطاني في كلومبيا قد سبق طرده في مايو ١٩٩١م دون أن يتحول ذلك التصرف إلى «ملحمة إعلامية» مشابهة لقصة سفيرهم في السودان !! هل عرفتم من يعنون بالنظام العالمي الجديد ؟!

لقد كان جديراً بروبرت فيسك أن يزور جنوب السودان وشماله ليسجل لقطات موغلة في البشاعة والتآمر على كل ما يمت للإسلام والعرب بصلة من قبل القوى الغربية، ليفهم لماذا كان المسلمون يقيمون علاقتهم بالآخر الغربي بهذه الصورة وهم لا يرون ولا يلمسون ولا يعرفون الغرب إلا بصورة جسم

يهودي مغروس في أحشائهم حيناً . . ، أو قصف وحشي يأخذ مداه المتغطرس المجنون ويقذف بالجحيم على العزل من سكان البوسنة، أو حصار اقتصادي ودعم لحركات بربرية في جنوب السودان تلقى كل الدعم من القوى الغربية لا لشيء إلا لأنها تريد أن تشوه وجه السودان أكبر بوابة عربية مسلمة في قلب القارة، الخضراء . . هذا الوجه المسلم العربي يراد أن يستبدل ببيادق مجلس الكنائس العالمي ولتشن حملتها الصليبية دون مقاومة أو وجود فاعل !!

العقدة الصليبية هل يمكن حلها:

رفضت الخرطوم خطاب التهديد ولغة الوعيد بسحب قرارها القاضي بطرد السفير (بيتر ستريمز)، وذكرت إذاعة الخرطوم أن انتظار لندن رداً سودانياً بالتراجع عن هذا القرار «مضيعة للوقت»، وأن السودان صبر طويلاً على ممارسات السفير والتصرفات غير المقبولة منه . . في الوقت نفسه كان الأسقف الإنجليكاني جورج كيري يكشف عن العقدة الصليبية التي تحكم العلاقة الغربية بالعالم الإسلامي حينما اجتمع بقادة الفصائل الصليبية الجنوبية وحضهم على تناسي خلافاتهم وتوحيد جهودهم (ضد من !) ووصف الانشقاق بين الفصيلين الرئيسيين للحركة الصليبية في الجنوب بأنه مأساوي !! ووصف هذا الرمز الصليبي زعيمي عصابات النهب والقتل في الجنوب بأنهما من المدافعين عن الجنوب أي: أن هناك جهات أخرى لم يحددها تشارك في عملية الدفاع الحضارية التاريخية هذه، لقد تساءل وزير خارجية السودان في اليوم التالي لإطلاق الزعيم الديني تصريحاته الذي يُفترض أن يدع السياسة لأصحابها لأن معتقده يدعوه إلى ترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله – قائلاً: هل كانت الحكومة البريطانية لتسمح لزعيم إسلامي بزيارة بلفاست (عاصمة إقليم إيرلندا الشمالية) للتحدث مع زعماء الجيش الجمهوري الإيرلندي؟

بالطبع الإجابة معروفة خصوصاً مع معطيات المناخ العالمي المتحفز لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في أصقاع الأرض.

إن زيارة الأسقف الإنجليزي يجب أن توضع في إطار أعم وأفق أرحب فبريطانيا التي أقامت الدنيا قبل قرن من الزمان بعد أن قتل ثوار المهدية جنرالهم العتيد جوردن كانت تنظر إلى السودان نظرة عقائدية دينية بالدرجة الأولى حيث أن المصالح الاقتصادية لم تكن هي الأهم، لذا فإن كنيسة إنجلترا هي التي رسمت خطوط حملة كتشنر الثأرية لتحويل السودان إلى دولة مسيحية بالكامل.. يقول الصّديق محمد الأمين في تعليقه على العلاقة والحدث: لقد أشرفت تلك الكنيسة على «حملة كتشنر» ووضعت أسس التعليم عموماً والتعليم العالي خصوصاً في السودان عبر تأسيس كلية جوردن. ولا يزال بعض وثائق الكنيسة الإنكليزية الصادرة حديثاً جداً يتحدث عن أن السودان دولة مسيحية استولى عليها المسلمون «راجع كتيب اضطهاد المسيحيين في السودان الصادر باللغة الإنكليزية عن جمعية الإخاء المسيحي مع السودان في تشرين الثاني/ نوفمبر ٩٣».

طبعاً لم ينجح مشروع تنصير السودان، وظل إحساس كنيسة إنكلترا بأنها راعية المسيحيين في السودان على رغم أن معظم هؤلاء لا يدينون بالإنجليكانية.

لكن ذلك لا يفسر سر الارتباط الخاص بالسودان لدى الدوائر المعنية به في بريطانيا.

ومع ذلك ظل السودان مصدراً للمفاجآت غير السارة لأصحاب تلك النظرية، ولعل أولى المفاجآت تمثلت في رفض البرلمان السوداني. غداة الاستقلال - الانضمام إلى رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) وآخرها حادثة طرد السفير بيتر ستريمز، وبين الحدثين عناوين كثيرة أبرزها إلغاء القوانين

الإنكليزية التي كانت تحكم السودان حتى عام ٨٣ وإبدالها بقوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية، وتعريب الدراسة في الجامعات العام ٩١ وغيرها وغيرها...

إن بريطانيا في هذا السياق لا تتحمل استقلالاً سودانياً إذا كان خارج الإطار المرسوم، لاسيما إذا ذكرها بالمقاومة الإسلامية وشعارات مقاومة المهدية، أما اللاهثون وراء تجربتها التغريبية فلها معهم شأن آخر. ربما عبر الكاتب (جراهام توماس) عن إحساس أصحاب النظرية المشار إليها في كتابه: (السودان: موت حلم).

على أن سودان الحلم البريطاني ليس هو السودان الذي ينتهج «ديموقراطية وستمنستر» كما يتوقع ويفهم من تصريحات المسؤولين البريطانيين. والدليل على هذا أن بريطانيا لم تُبدِ أي اهتمام خاص بالتجربة التعددية الأخيرة في السودان (فترة الصادق المهدي) ولم تقدم لها أي دعم حتى ولو على المستوى السياسي، مع أن تلك التجربة التزمت قواعد الديموقراطيةالغربية في حدود خبرتها الاجتماعية. وعلى العكس من ذلك كانت كل الإشارات الصادرة من لندن وقتها تجاه الخرطوم سالبة منها:

- إلغاء رئيسة الحكومة آنذاك مارجريت تاتشر زيارة معلنة إلى السودان من دون ذكر أسباب مفهومة للسودانيين وقتها، في حين أن السودان كان الدولة الوحيدة في أفريقيا التي تتبع الديموقراطية الغربية.. والمفارقة أن تاتشر كانت في جولة أفريقية زارت فيها بعض دول الجوار السوداني. وكان للأمر دلالته التي أغضبت المسؤولين السودانيين إلى درجة التفكير في سحب السفير السوداني في لندن تعبيراً عن الاحتجاج.

- لم تكن توجهات السيد الصادق المهدي رئيس الوزراء السوداني آنذاك

محل ترحيب أو ارتياح في العواصم الغربية وخصوصاً لندن، لا سيما حديثه عن «نهج الصحوة الإسلامية» أو علاقاته القوية بطهران وطرابلس الغرب في الوقت الذي كانت المواجهة بينهما ولندن على أشدها. فيما كانت حركة التمرد المسلحة في الجنوب تحظى بتعاطف واضح على مستويات التسلح والإعلام والسياسة على رغم أن توجهاتهما المعلنة كانت ماركسية!!

- رد الفعل البريطاني على حادثة فندق الاكربول في عام ١٩٨٨ في الخرطوم التي قتل فيها رعايا بريطانيون على أيدي فلسطينيين. فقد تبنت بريطانيا داخل المجموعة الأوربية الدعوة لتشديد الإجراءات في حق القادمين من السودان وحملة جوازاته، بذريعة أنه صار موئلاً لكثير من الإرهابيين في المنطقة.

إذن كل الخلافات البريطانية مع الحكومة الحالية في السودان تعود جذورها إلى العهد التعددي الحزبي السابق، وحدث لها مزيد من التفريع والامتداد.

ومما فاقم تلك الخلافات أن المحكمة السودانية التي نظرت قضية المتهمين في حادثة فندق الأكربول، وجدت نفسها أمام واقعة فريدة، إذ رفض أولياء الضحايا (الذين تمت استشارتهم بحسب قواعد الشريعة الإسلامية) القصاص من المتهمين أو العفو عنهم أو قبول الدية، وتلك هي الخيارات الوحيدة المتاحة لعقوبة القتل في الشريعة، وطالبوا بأن يحاكم المتهمون وفقاً للقانون الإنكليزي وهو ما لم يكن ممكناً أو مقبولاً. وعندها اتخذت الحكومة البريطانية قراراً بوقف دعم الحكومة السودانية حتى في المجالات الثقافية.

إذن لم يكن ينقص سوى زيارة كبير الأساقفة المثيرة إلى أجزاء من السودان يسيطر عليها المتمردون من دون موافقة الحكومة السودانية، ودعوته لإجراءات دولية ضد السودان لتكون الشرارة التي تشعل غضب حكومة الخرطوم اضافة إلى أنها تقول إنها رصدت تجاوزات عدة وأنشطة غير مقبولة للسفير البريطاني

الذي تم طرده .

والخلاصة من هذا الرأي الذي يبين بوضوح العقدة الصليبية في التعامل مع الشأن السوداني واحتقار استقلاله وحضارته وقضائه إذا كان مستمداً من جذوره الإسلامية وعروقه العربية .

لقد تتالت الأحداث في الأسبوعين التاليين إقليمياً ودولياً لترسِّخ من تأكيد النظره الصليبية في تعاملها مع أحداث القرن الأفريقي ، فأسياس أفورقي رئيس الكيان الأرتيري الجديد وصاحب العلاقة الوطيدة باليهود ، والذي أحسن إليه السودان كثيراً حتى قبل وصوله للحكم أسفر عن وجهه الصليبي البشع حينما هاجم بعد أيام من زيارة الأسقف البريطاني جاره السوداني ، واتهمه بأنه معبر للأصوليين الذين هاجموا قوات مليشياته الحكومية ، وأجمع المراقبون على أن المذكور يريد أن يحسن من صورته في الغرب كحارس صليبي آخر يقف أمام المد الأصولي ! حتى ولو كان جاره الذي أحسن إليه بالأمس ، وهو الذي يواجه حرباً أهلية داخل أرتيريا نتيجة لسياساته المتغطرسة وديكتاتوريته المتعجرفة وحربه الشعواء على الوجود الإسلامي شعباً وحضارة في أريتريا . .

وكأن العقدة الصليبية تصر على أن تقدم دليلاً آخراً عن أن الحكومة السودانية في محاولتها استقطاب النصارى و«التميع» في تعاملهم معها ، كما حصل في زيارة (البابا) ، إنما تزيد من خلال هذه الممارسات حقد هؤلاء لهباً في الصدور وحقداً مترجماً إلى مواقف كما حصل في استقالة نائب رئيس البرلمان السوداني (الدو أجو دينغ) الذي طلب اللجوء السياسي لبريطانيا (هل تتصورون ملاذاً أكثر أمناً من الأم الصليبية الحنون) واستقال من منصبه لأنه عجز عن التأثير في سياسة الحكومة تجاه الجنوب !!

وكأن وظيفة هؤلاء حتى في المواقع الرسمية النظر للسودان من خلال قضية

سكانه النصارى فقط. إن تلك الحوادث تؤكد أهمية التعامل مع أعدائنا من خلال القواعد الشرعية والتأصيل العقدي الذي يستند إلى آيات الذكر الحكيم الذي أبان عن حقد هؤلاء وكرههم لهذا الدين مهما قدم المتنازلون من تنازلات ومهما أقيمت لرموزهم من مهرجانات أو زيارات !! فرصيد الحقد لا يطفئه منصب أو تنازل، لأنك متهم حتى آخر قطرة من دمك بأنك الآخر / المرعب.. وقد أحسن روبرت فيسك تلخيص هذه النظرية لك أيها المسلم (المفْرط أو المُفرِّط) بأنها محكومة بثلاث عناصر: سوء نية.. وسوء فهم.. واتهامات جاهزة !! ويبقى صوت الحق من قبل ومن بعد.. **﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق..﴾**.

لقد أشار إلى هذه العقدة الأستاذ سيد قطب رحمه الله حينما قال في تفسيره لهذه الآية: «إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان، إنها هي العقيدة، هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة».

نعم في كل وقت وبكل جهد وبشتى الأساليب.. هذا ديدنهم أما ديدننا فهو أن نصبر ونصابر ونرابط ونكشف حجم العقدة الصليبية التي أقامت الدنيا وأقعدتها، وحاصرت شعباً وجوعته لطرد«سفير خرق الأعراف الدبلوماسية.. أما هتك الأعراض من صبرا وشاتيلا إلى البوسنة إلى أحراش جنوب السودان بل إلى روابي الأرض المباركة حول الأقصى بوابل الرصاص اليهودي النصراني فإنها مسألة فيها نظر... حقاً طرد سفير: جريمة لا تغتفر، وسحق أمة وانتهاك كرامتها مسألة فيها نظر!.

هذا هو الحل لقضية مسلمي مورو*

إن مسلمي مورو الذين ذاقوا وعاشوا ألواناً من الظلم والاضطهاد وعمليات الإفناء المنظم المدبرة ضدهم في ظل الحكومة الفلبينية الصليبية التي ضمت بلادهم إليها ظلماً وغدراً وطغياناً قد فقدوا الأمل في جميع الأساليب والحلول السلمية والسياسية لحل مشكلتهم منذ عام ١٩٧٥ م ، أي منذ ثمانية عشر عاماً .

ازدياد الأوضاع سوءاً:

ازدادت أوضاع مسلمي مورو سوءاً بعد المحاولات لإيجاد حلول سياسية سلمية لمشكلتهم ، وبعد اتفاقية طرابلس عام ١٩٧٦ التي نصت على منح المسلمين الحكم الذاتي في ١٣ محافظة وتسع مدن ، لكن الحكومة الفلبينية الصليبية لم تلتزم بها ، بل انتهزت فرصة الهدوء النسبي بعد وقف إطلاق النار المترتب على الاتفاقية لوضع خطة لمضاعفة قبضتها وسيطرتها على المسلمين ووزعت جنودها على الأماكن الاستراتيجية في المناطق الاسلامية ؛ مما جعل تحركات المسلمين أمراً صعباً حيث أقيمت مئات من مراكز التفتيش على طرقهم كما انتهزت الحكومة الصليبية الفرصة لتهجير مزيد من النصارى إلى بلاد

المسلمين ، وإقامة مستوطنات لهؤلاء فيها . وباختصار كانت نتائج المبادرات والحلول السياسية السليمة ما يلي :

١ - بدلاً من استرجاع المسلمين بعض أرضهم المغتصبة فقدوا المزيد منها .

٢ - بدلاً من استعادة المسلمين بعض حقوقهم السياسية والاجتماعية المسلوبة فقدوا المزيد من هذه الحقوق .

٣ - بدلاً من وقف إقامة المستوطنات الصليبية في بلاد المسلمين ازدادت هذه المستوطنات .

٤ - بدلاً من فك القمع والقبضة الحديدية على المسلمين ازداد القمع والقهر عليهم .

٥ - بدلاً من إرجاع المسلمين المشردين إلى أرضهم ازداد عدد المشردين .

٦ - بدلاً من وقف حرق بيوت المسلمين ومساجدهم ومدارسهم ازداد عدد المحروق منها .

٧ - بدلاً من إيجاد حلول لمشكلة الفقر والمشكلات الاجتماعية الأخرى ازداد الفقر وتضاعفت المشكلات الاجتماعية .

وما ذكر ليس حصراً لجميع النتائج السلبية للحلول السياسية السلمية لقضية مسلمي مورو ، وإنما هو صور منها ، وأسوأ نتيجة لها إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين وإضعاف الروح الجهادية في قلوبهم ؛ لأن النتيجة الحتمية للحلول السياسية السلمية هي هزيمة الروح وكلال الهمة وإضعاف الإرادة القتالية وهي أسوأ أنواع الهزيمة ، فالهزيمة العسكرية لا تكون هزيمة حقيقية ما لم تتبعها هزيمة الروح المعنوية .

وأقول لكم بكل صراحة وبكل إيمان وصدق إنه : لولا فضل الله على

المسلمين هنا في بلادنا ، ثم الجهود المتواضعة التي بذلناها لمحو الهزيمة الروحية التي أدت إليها الحلول السياسية السلمية ، وإعادة الروح الجهادية إلى نفوس المسلمين لحلت بهم الهزيمة المعنوية بسبب الحلول السياسية السلمية.

الحلول السياسية السلمية طرقت الأبواب :

إن المشكلة - كل المشكلة - أن الحلول السياسية السلمية التي تركت نتائج سلبية كثيرة لدى المسلمين جاءت مرة أخرى وطرقت الأبواب المغلقة ، لقد دعونا المسلمين إلى النفير العام والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته والاستماتة لنصرة دين الله ، واستجاب المسلمون لدعوتنا وأعدوا العدة وجهزوا أنفسهم ووقفوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الهجوم على العدو الذي احتل البلاد هجمة رجل واحد ، ولكنهم فوجئوا بإعلان المفاوضات السلمية بين مندوبي حكومة الفلبين وجبهة مسواري الوطنية في أندونيسيا حيث استؤنفت هذه المفاوضات مرة أخرى بعد أن فشلت عشرات المرات خلال جولاتها التي استمرت ثمانية عشر عاماً ، وتركت آثاراً سيئة في مجتمع مورو الإسلامي.

لقد تفاوضت جبهة مسواري مع مندوبي حكومة الفلبين سراً في ليبيا العام الماضي (بواسطة العقيد معمر القذافي) واستمرت الاتصالات بين جبهة مسواري وحكومة الفلبين إلى أن أعلنوا نقل المفاوضات إلى إندونيسيا مؤخراً ثم عقدت المفاوضات الرسمية بين الجانبين في جاكرتا بإندونيسيا مؤخراً ، ولم تتوصل المحادثات إلى أي شيء لصالح قضية المسلمين المظلومين والمضطهدين.

وقد علمنا من مصادر موثوقة أن حكومة العدو راموس الصليبية تحاول أن تقنع جبهة مسواري بالاستسلام المشرف - حسب تعبيرهم - وهو أن يتخلى

(مسواري) عن قضيته مقابل منصب حكومي ، كما يسند إلى زملائه أيضاً بعض المناصب الحكومية الزائفة الزائلة مقابل تخليهم عن قضيتهم ، هذا ما وصلت إليه المفاوضات الأخيرة في جاكرتا ، ومازالوا يبحثون عن الحلول لمشكلة المناصب وكيف تعطيهم الحكومة الفلبينية المناصب في بلاد المسلمين التي وقعت تحت سيطرة الفلبين ومعظم حكامها من الصليبيين والمنافقين .

هل القضية قضية مناصب حكومية أم قضية حزب أو جماعة قليلة من الناس؟ لا إنما هي قضية شعب مسلم أصيل بلغ تعداده ١٢ مليون نسمة وضمت بلاده إلى دولة صليبية تحكمه بالحديد والنار وتكيد له بكل أنواع الكيد وتحاول القضاء عليه .

الجهاد هو الحل :

إن الحل الصحيح لمشكلة مسلمي مورو وجميع مشاكل المسلمين تحت احتلال الكفار هو الجهاد في سبيل الله ، وأي محاولة لحل المشكلة مهما كانت جادة وصادقة في ظاهرها ما لم تتضمن دعم الجهاد أو تشجيع المجاهدين هي محاولة فارغة لا تساهم في العمل على تخليص المسلمين من السيطرة الصليبية الاستعمارية .

لذلك اتفقت جماهير مسلمي مورو وعلماؤهم ودعاتهم وأساتذتهم ومعلمو القرآن الكريم منهم وقراؤهم وعامتهم على أن يجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصر دينه ، فهم يدركون معنى قوله تعالى : ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً** ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ ، وقد استجابوا لأمر الله حيث قال : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ .

ونحن حين نجاهد أعداء الإسلام الذين استولوا على بلادنا نستنصركم في الدين بأموالكم أو نفوذكم ومساعيكم الحميدة لدى المحسنين من أغنياء الأمة الإسلامية ، أو بأفكاركم وتدابيركم وخاصة في المجالات الإعلامية ، أو بدعواتكم إلى الله لنا ولجميع المجاهدين الصادقين في بقاع الأرض بالنصر والتمكين لإقامة حكم الله .

ونأمل أن تشجعوا ضعاف الإيمان والنفوس منا على الجهاد ، وكذلك المهزومين نفسياً ، وإن لم تستطيعوا أن تشجعوهم على الجهاد فعلى الأقل لا تشجعوهم على الاستسلام بواسطة المفاوضات السلمية وقبول عروض العدو من المناصب والأموال مقابل التخلي عن القضية .

حي على الجهاد :

لقد استيقظت جماهير مسلمي مورو الآن ، والذين عاهدوا الله على أن يجاهدوا في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة دينه ، وسيمضون في جهادهم - إن شاء الله - في نصب وشقاء وحرمان وتضحية واحتمال كل مشقة ومجاعة ولا يطلبون جزاءً في هذه الأرض ، وإنهم ينتظرون الآخرة وحدها موعداً للجزاء - إن شاء الله - وإذا انتصروا فذلك من فضل الله على المؤمنين وعلى الأمة الإسلامية كافة ، وإذا استشهدوا فذلك أسمى أمانيهم ، لذلك كان شعارهم : إما النصر أو الشهادة . .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد شفيق

☆ بتصرف.

ومن البيان رقم (٣٢) لجبهة تحرير مورو الإسلامية نقتطف ما يلي :

تقوم حكومة راموس الصليبية بمؤامرة خطيرة جداً ضد مسلمي مورو وتستخدم سياسة مزدوجة بغية الوصول إلى هدفها المنشود وهو القضاء على المسلمين الذين تعتبرهم عدوها الأول قبل الشيوعيين وغيرهم.

ذلك أن هذه الحكومة الصليبية التي استخدمت ومازالت تستخدم جميع صنوف الكيد ضد المسلمين تتفاوض مع جبهة (مسواري) الوطنية في محافظة سولو مسقط رأس مسواري زعيم الجبهة الوطنية التي تفاوضها حكومة الفلبين علماً بأن هذه الجبهة ليس لها قاعدة شعبية وليس لها جناح عسكري منظم.

وفي الوقت ذاته تشن قواتها المسلحة حملات عسكرية ضد المسلمين الآمنين العزل من السلاح ،وضد جبهة تحرير مورو الإسلامية بقيادة أمير المجاهدين الشيخ/ سلامات هاشم ، وقد أعلن راموس رسمياً أن هذه الجبهة ليست داخلة في الاتفاق على وقف إطلاق النار الذي توصلت إليه المفاوضات بين الصليبيين ومن فاوضهم.

المسلمون في بلغاريا
بين الاستئصال والبقاء

د. عبدالله البراهيم

مقدمة :

بلغاريا هي إحدى دول شبه جزيرة البلقان التي تشكل جزءاً من القارة الأوربية يخترق البحر الأبيض المتوسط في ناحيته الشرقية كما تخترقه شبه الجزيرة الإيطالية في وسطه وشبه الجزيرة الأيبرية (أسبانيا والبرتغال) في غربه.

وقد دخل الإسلام إلى أوربا من عدة محاور، كان أقدمها من جنوبها الغربي عبر الأندلس في القرن الأول الهجري ، ومن جنوبها عبر صقلية وإيطاليا في القرن الثالث ، وتغلغل في شمالها الشرقي حول نهر الفولجا وبين جبال الأورال وبحر قزوين فيما كان يعرف بروسيا الأوربية ، ثم عبر المسلمون إلى شبه جزيرة البلقان منطلقين من تركيا إبان الفتح العثماني في القرن الثامن الهجري واتجهوا شمالاً حتى المجر والنمسا.[1]

نبذة تاريخية :

البلغار إحدى الأمم السلافية التي كانت تعيش في منطقة الأورال بالاتحاد السوفيتي سابقاً وفي حوض نهر الفولجا ، وقد عبرت إلى شبه جزيرة البلقان في القرن السابع الميلادي ، ثم اتجهت جنوباً قاطعة نهر الدانوب لتستقر فيما يعرف

حالياً ببلغاريا ، وتأسست المملكة البلغارية الأولى في الفترة (٦٧٥-١٠١٨ م) والمملكة الثانية من ١١٨٧ حتى ١٣٩٣ م حيث سقطت أمام جيش الفتح العثماني لتبقى قرابة خمسة قرون تحت الحكم الإسلامي . وكان العثمانيون قد عبروا آسيا الصغرى (تركيا حالياً) إلى أوربا عام ١٣٤٥ م وجعلوا من (أدرنة) عاصمتهم الأولى في أوربا عام ١٣٦٠ م ثم اتجهوا شمالاً ليفتحوا مدينة تورنوفو (شمال بلغاريا) عام ١٣٩٣ م وكانت العاصمة آنذاك ، ثم وصلوا عام ١٣٩٦ م إلى فايدن (شمال غرب بلغاريا) ثم اتجهوا غرباً لينتصروا على الصرب ١٣٨٩ م ، ثم توسعوا في أوربا ، فاتجهوا شمالاً قاطعين نهر الدانوب ؛ ليفتحوا رومانيا وجنوب بولندا ومعظم المجر وأجزاء من النمسا في نهاية القرن السابع عشر الميلادي .

وفي ٢ أبريل ١٨٧٧ م أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية مدعية أن لها الحق في حماية المسيحيين الأرثوذكس البلغار الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية (تشترك روسيا مع البلغار في الأصل السلافي وفي الديانة الأرثوذكسية) .

ويدَّعي الكُتَّاب الغربيون[٢] أن البلغار آنذاك قد تعرضوا لمذابح عام ١٨٧٦ م حيث قتل العثمانيون - كما يزعمون - الآلاف من الرجال والنساء والأطفال ، وأحرقوا القرى والمدن ، وبهذه الحجة عبر الجيش الروسي نهر الدانوب جنوباً ، حيث هزم الجيش العثماني بمساعدة آلاف البلغار المتطوعين وامتد الزحف حتى مشارف إسطنبول ، وتدخلت بريطانيا خوفاً من استقلال بلغاريا مما قد يؤدي إلى تقوية نفوذ روسيا في المنطقة ، وتم توقيع معاهدة برلين عام ١٨٧٨ م التي انسحب بموجبها الجيش الروسي ، وقسمت بلغاريا إلى خمسة أقسام أعيد بعضها للسلطان العثماني ، وأعطي غربها لصربيا ، وسلمت البوسنة والهرسك للمجر والنمسا (لإدارتها) ، وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية

عام ١٩٠٨م أعلنت بلغاريا استقلالها في العام نفسه ، ثم خاضت الحربين العالميتين حليفة لألمانيا ، وفي عام ١٩٤٦ م آلت الأمور إلى الشيوعيين وكان آخر رئيس للجنة المركزية للحزب الشيوعي هو زيفكوف الذي حكم البلاد من ١٩٧٩ م حتى أسقط في ١٠ نوفمبر ١٩٨٩ م.

بلغاريا اليوم:

وتتكون بلغاريا حالياً من ٢٨ مقاطعة ، ويحدها من الشمال رومانيا ومن الغرب ما يعرف الآن بصربيا ، ومن الجنوب الشرقي تركيا ، ومن الجنوب اليونان ومن الشرق البحر الأسود ، وأهم مدنها : بلوفديف ، فارنا ، روسي ، بورجاس ، ستارا زاجورا ، بليفن ، وعاصمتها صوفيا في الغرب.

ومن المنتجات الزراعية في بلغاريا الحبوب والفواكه والخضروات ، كما تصدر الأغنام والدواجن والأجبان وعطر الورد والزيوت النباتية وبعض المنتجات المعدنية ، وتنتج الفحم والغاز الطبيعي.

يتبع البلغار الأمم السلافية (كالروس والصرب) ويتحدثون اللغة البلغارية (وتشبه اللغة الروسية والصربية والبولندية) وهي لهجة من اللغة السلافية القديمة ، كما يستخدمون الأبجدية الكريليكية ، وهي الأبجدية نفسها المستخدمة في روسيا وفي جمهوريات الاتحاد السوفياتي سابقاً.

يبلغ عدد السكان (حسب إحصائية ١٩٨٩ م) قرابة تسعة ملايين[٣] يشكل البلغار الأرثوذكس ٧٨٪ منهم والمسلمون ٢٢٪ (قرابة ٢ مليون) ، ويوجد بعض اليهود والأرمن واليونانيين.

مناطق المسلمين:

ينقسم المسلمون في بلغاريا من حيث الأصل العرقي إلى خمسة أقسام :

١ - مسلمون من أصل تركي ، ويبلغ عددهم مليون مسلم تقريباً ، يتوزعون على مناطق عدة في شرق وشمال شرق بلغاريا (روسي - تشومن - بورجاس) وفي جبال رودوب جنوب بلغاريا ، وقرب الحدود التركية ويتحدثون اللغة التركية والبلغارية معاً.

٢ - مسلمون من أصل بلغاري (البوماك) وقد أسلموا في القرن السابع عشر الميلادي[٣] ، ويصل عددهم إلى سبعمائة ألف يعيشون في المناطق الجبلية كجبال رودب وقرب بليفن ولوفك.

٣ - مسلمون غجر ويشكلون ثلاثة أرباع الغجر في بلغاريا (والباقي مسيحيون) ويبلغ عددهم قرابة أربعمائة ألف ، وإجمالي عدد الغجر (٥٧٦,٩٢٧) حسب إحصائية ١٩٨٩ م ، ويتحدث بعضهم اللغة التركية ، وبعضهم اللغة البلغارية ، ويتركزون في صوفيا - بلوفديف - سليفن - فايدن - لور - بيتريك - أرمشار - دونا فتسي - رازلوج - فارنا وبازارجيك.

٤ - مسلمون من أصل مقدوني (ومقدونيا موزعة حالياً بين شمال اليونان ويوغسلافيا السابقة).

٥ - مسلمون من أصل تتري ، وهم من التتر الذين فروا بدينهم إبان اضطهاد روسيا القيصرية لهم عام ١٨٦٠ م ، وعددهم قرابة خمسة عشر ألفاً يتوزعون على قرى قليلة في شمال شرق بلغاريا على ساحل البحر الأسود مثل بالكيك وكافارنا.

وبالإضافة إلى ذلك توجد جالية عربية يصل عددها إلى خمسة آلاف شخص تقريباً ويتركز معظمهم في العاصمة صوفيا.

معاناة المسلمين في بلغاريا :

عانى المسلمون في بلغاريا من الإرث التاريخي للصراعات الدامية التي جرت في البلقان ، وينسى النصارى - تماماً - المذابح فيما بينهم بينما لا ينسون أي حادث جرى عليهم من المسلمين ، فتقوم قائمتهم وينادي مناديهم ، ومن أهم الحوادث التي جرت على النصارى في المنطقة أحداث عام ١٨٧٦ م حيث يتهم الكُتّاب الغربيون الحكام المعينين من قبل الدولة العثمانية في بلغاريا بارتكاب مذابح راح ضحيتها (عشرات الآلاف) من سكان السفوح الشمالية لجبال رودوب ، وعذب الآلاف واعتدي على النساء وازدحمت المدن الكبيرة بآلاف المهاجرين الذين تعرضوا لمجاعة في ذلك الوقت[٥] ، وسواء أصحت هذه الأخبار أم لم تصح فإن الحقد على المسلمين ومعاناة المسلمين من التعصب الديني في دول البلقان أمر لا يختلف عليه اثنان .

وإبان الحكم الشيوعي مارست السلطات أقصى أنواع الحرمان للمسلمين من حق ممارسة شعائر دينهم ، فأغلقت المساجد (وكان عددها ١٢٠٠) وهدمت بعضها ، ومنعت المسلمين من ممارسة أركان الإسلام كالصوم والزكاة ، كما منعت ختان الأطفال[٦] بحجة أنه (تدخل إجرامي ضد صحة الأطفال)[٧] ومنعت دخول المصاحف والكتب الدينية لبلغاريا ، وألغت المدارس الدينية ومنعت تدريس اللغة التركية ، وهجّرت المسلمين إلى مناطق شبه معزولة ومنعتهم من الاحتفال بأعيادهم .

في عام ١٩٤٧-١٩٤٨ م جرى تنصير ما يقارب (١٥٠,٠٠٠) بلغاري مسلم ، وبدأت حملة لتغيير أسماء المسلمين إلى أسماء سلافية عام ١٩٤٨ م ثم حملة أخرى في الستينات ، وفي ١٩٧١ م بعد المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي

بدأت حملة أخرى لتغيير أسماء البوماك ، وحملة لتغيير أسماء المسلمين الغجر حيث غيرت أسماء ما يقرب من أربعمائة ألف مسلم غجري . . وفي أواخر ١٩٨٤ م وأوائل ١٩٨٥ م بدأت الحكومة حملة عنيفة لإرغام المسلمين الأتراك على تغيير أسمائهم ، حيث أحيطت القرى ذات الأغلبية التركية بالقوات من الصباح الباكر ، وأرغم المسلمون تحت تهديد السلاح بقبول الهويات الجديدة ذات الأسماء السلافية ، وتم قتل ما يقرب من ٣٠٠-١٥٠٠ مسلم لأنهم رفضوا ذلك وسجن وجرح الآلاف[٨] .

وقام المسلمون الأتراك في أواخر مايو ١٩٨٩ م بمظاهرات سلمية في شمال شرق وجنوب شرق بلغاريا مطالبين بإعادة أسمائهم الحقيقية ، وشارك فيها آلاف من المسلمين ، وردت السلطات الشيوعية بعنف إذ استخدمت الكلاب البوليسية والقنابل الدخانية والدبابات والحوامات ، وراح ضحية تلك الأحداث عدد كبير من المسلمين وطرد الآلاف على إثرها من بلغاريا حتى الذين لم يتظاهروا خصوصاً من كانوا يحملون الدرجات العلمية كالأطباء والأساتذة والاقتصاديين والمهندسين . قال رجل شرطة يومها لأحد المسلمين : «أنت لغتك مختلفة ودينك مختلف وكنت ترغب دوماً في الذهاب لتركيا فاذهب لها الآن !» .

وتم بذلك إرغام أكثر من ثلاثمائة ألف مسلم بلغاري من أصل تركي على ترك أراضيهم وبلادهم في فترة أقل من خمسة أشهر ، ليشكل ذلك واحدة من أكبر الهجرات التي عرفتها أوربا منذ الحرب العالمية الثانية .

أما الغجر المسلمون فيعانون من التمييز والاحتقار ، ويسكنون في مجمعات سكنية مزدحمة جداً وفي أحياء خاصة بهم في ضواحي المدن في بيوت أكثرها مبني من الألواح الخشبية ، وتعيش غالباً أسرتان أو أكثر في الوقت

نفسه، وتفتقر أحياء الغجر إلى الخدمات الأساسية كالماء والصرف الصحي أو دورات المياه . . ففي (فايدن) مثلاً يوجد (٦٠٠٠) غجري اضطروا لحفر الآبار لعدم توصيل المياه لهم، كما لا يوجد الهاتف إلا في خمسة بيوت من أصل (١١٠٠) بيت، وقد صدر قرار عام ١٩٦٢ م يقضي بعدم اختلاط أبناء الغجر والبوماك المسلمين مع أبناء الأتراك، وأن لا يعين أساتذة من أصل تركي في مدارسهم، وأكثر من نصف الغجر أعمارهم أقل من ١٦ سنة، ولم يكمل الابتدائية إلا ٣٠ ٪ من الغجر، وأكثر من نصف من هم فوق الثلاثين أميون[٩] كما يحرمون من الرتب في الجيش، وتعهد إليهم الأعمال الشاقة والمهنية عند خدمتهم (وكذلك الأتراك)، وفي مدينة (بازارجك) يسكن حوالي (٢٧,٠٠٠) مسلم غجري في إحدى ضواحيها، وقد زرت ذلك الحي ولم أجد مسجداً واحداً، والمسلمون هناك يعرفون أنهم مسلمون فقط، وقليل منهم من يعرف أي شيء عن الإسلام، رأيت الأطفال فرحين يمرحون في ساحة مبنى جديد ذكروا لنا أنه جامع، وأخبرني المترجم أنه مبنى لكنيسة ستقوم في هذا الحي الذي لا يوجد فيه مسيحي واحد، وحالياً تتصارع الإرساليات التبشيرية على هذه (المادة الخام)، فأين المسلمون ؟ وبماذا يقابلون ربهم ويجيبونه عن هذا التفريط ؟!

واقع المسلمين في بلغاريا :

على الرغم من سقوط الشيوعية عام ١٩٨٩ م وانفتاح بلغاريا على العالم إلا أن الدستور الحالي الجديد يمنع تأسيس أحزاب على أساس عرقي أو ديني، ولذا لا يجد المسلمون من يمثلهم في البرلمان عدا (حركة الحقوق والحريات) وهي حركة أعلنت نفسها علمانية وتدافع عن حقوق الأقليات (ومن ضمنهم الأتراك) وفازت في انتخابات البرلمان في يونيو ١٩٩٠ م بـ(٦,٩ ٪) من

الأصوات ، وفاز الحزب الاشتراكي البلغاري بـ ٩ , ٣٢ ٪ (الشيوعيون سابقاً) كما فاز اتحاد القوى الديمقراطية (المعارضة) بالأغلبية .

وللمسلمين مفت أكبر (في الثلاثينات من عمره) ولهم مفتون في المناطق عددهم تسعة ، والجميع أعضاء في المجلس الروحي (مجلس الشورى للمسلمين) ويوجد معهد إسلامي في صوفيا ، وتوجد حالياً ثلاث مدارس بها تعليم ديني : واحدة في روسي شمال شرق بلغاريا ، وأخرى في تشومن شمال بلغاريا ، وثالثة في كارجيلي في الجنوب الشرقي ، وتشرف على هذه المدارس دار الإفتاء في بلغاريا ، وهذه المدارس هي مباني أوقاف سابقة استطاع المسلمون استردادها ، وهي غالباً للمسلمين من أصل تركي (ولكن لا يمنع المسلمون الآخرون من الالتحاق بها) ، واهتم بها الأتراك للحفاظ على هويتهم القومية ! والتعليم الديني لأبنائهم ، ولا توجد مدارس ذات طابع ديني في مناطق البوماك أو الغجر ، علماً أن البوماك أكثر حفاظاً والتزاماً بالدين من القوميات الأخرى .

وتشهد المساجد عودة طيبة - ولله الحمد - إلى الإسلام حيث تمتلئ بالمصلين في صلاة الجمعة ، وبدأ المسلمون في أكثر المناطق المسلمة بفتح حلقات تحفيظ القرآن - خصوصاً - للأطفال .

احتياجات المسلمين في بلغاريا :

ما يحتاجه المسلمون حالياً في بلغاريا هو معرفة دينهم ، ويساعد على تحقيق ذلك ما يلي :

* بناء المساجد والمساعدة على تعيين الأئمة والدعاة المختصين بالعلم الشرعي .
* إرسال بعثات من أبناء المسلمين البلغار إلى الدول الإسلامية للدراسة فيها .

* تأسيس المدارس الإسلامية لتبصير أبناء المسلمين بأمر دينهم.

* طباعة الكتب الإسلامية باللغة البلغارية التي يفهمها المتحدثون باللغة الروسية أيضاً، وعسى أن تترجم بعض الكتيبات والرسائل الصغيرة في العقيدة والعبادات والآداب والأخلاق.

ويعاني بعض المسلمين (وخصوصاً الغجر) من الفقر ويحتاجون للكساء والفحم في الشتاء، مما يلزم عناية الجهات الخيرية بمدهم بهذه المعونات لسد احتياجاتهم الماسة، حتى لا تكون هيئات التنصير أقرب لهم من إخوانهم مما يحملهم على ترك الإسلام مادام المسلمون لا يحملون همهم.

الجهود الحالية:

توجد في بلغاريا حالياً عدة جمعيات خيرية هي:

- هيئة الإغاثة الإسلامية.
- جمعية الوقف الإسلامي.
- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

وقد قدمت الهيئة الأولى أعمالاً بسيطة، وقامت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ببناء بعض المساجد وكفالة عدد من الأيتام، وأقامت دورة للدعاة والأئمة، كما قامت مؤخراً بتقديم مساعدات مادية مقطوعة اقتصرت على الطالبات في مدرسة روسي.

وتكفل جمعية الوقف الإسلامي بعض الدعاة والأئمة في بلغاريا، وقدمت مساعدات إلى المدارس الإسلامية السابق ذكرها، كما اشترت مؤخراً مبنى من ٤ طوابق في قرية (سارنيتسا) في مناطق البوماك المسلمين ليكون

مدرسة وسكناً للطلاب يتم فيها تدريسهم أمور دينهم ، كما يقوم بعض المحسنين ببناء المساجد وتقديم المعونات الإغاثية للمسلمين هناك .

وقد تم قبول ١٥ طالباً بلغارياً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتسعة طلاب في كلية الشريعة بعمان – الأردن .

هذا واقع المسلمين في بلغاريا وتلك احتياجاتهم ، أدركوهم بالعون والمساعدة قبل أن تقضي عليهم الجهود الكبرى للتنصير .

(ألا هل بلغت . . . اللهم فاشهد) .

هوامش :

(١) الأقليات المسلمة في أوروبا ، سيد عبدالمجيد بكر ، إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ، شوال ١٤٠٥ هـ.

(٢) The Bulgaians , by Christ Anastasoff, Exposition Press, New York, 1977, p. 99.

(٣) . Cambridge Encyclopedia, 1992

(٤) حاضر العالم الإسلامي ، لوزوب ستودارد ، تعليق : شكيب أرسلان ، جـ٣ ، ص ٣٢١ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ.

(٥) ماكجان ، صحيفة نيويورك وورلد ، يوليو ١٨٧٦ م.

(٦) مجلة المجتمع ، العدد ١٠٧٣ ، ص ٣٨ .

(٧) Bulgaria, by R. McIntyre, Pinter Publishers, London, 1988, p. 72.

(٨) The Expulsion of the Bulgarian Turks, 1989.

(٩) The Gypsies of Bulgaria, 1991.

العالم الإسلامي
في مرآة الصحافة

- التحرير -

أخي القارئ :

في هذه الزاوية سنحاول جاهدين اختيار مقتطفات من بعض التقارير والأنباء واللقطات في بعض الصحف السيارة ، مما له مساس بواقع أمتنا الإسلامية ، مع العلم أن ما يطرح في هذه الزاوية لا يعني بالضرورة الموافقة على ما جاء فيها بل يقصد منه بيان الرأي الآخر .

- البيان -

أضواء على جرينوفسكي :

هذا الزعيم الروسي الذي ظهر فجأة ، وأقنع الناخبين الروس - الذين يعيشون إحباطات وأوضاع لا يحسدون عليها - بطروحاته الدعائية ، أثار رعب الغرب والشرق ، وهذه نبذة للتعريف به وبيان لتوجهاته .

ولد جرينوفسكي من أب يهودي عانى في طفولته من البؤس والتشرد وهاجر أقاربه إلى إسرائيل وكان قد عزم على السفر هناك عام ١٩٨٣ م وكان يعمل ضابطاً احتياطياً برتبة نقيب في الـ «كي جي بي» وبعد ظهور نظام تعدد الأحزاب في الاتحاد السوفيتي - سابقاً - تم تأسيس حزبه (الليبرالي

الديمقراطي) بناء على تعليمات الحزب الشيوعي السابق إلى الـ كي جي بي ، حيث قال جورباتشوف آنذاك : «يجب أن نبادر بإنشاء حزب بديل شريطة أن نسيطر عليه» ، فتم إنشاء ذلك الحزب .

ومن اللافت للنظر أنه يدعي أن ٩٠ ٪ من أعضاء ذلك الحزب من اليهود، وفي الانتخابات الروسية الأخيرة تقدم هذا الحزب على غيره من الأحزاب ، لما كان يرفعه من شعارات أحيت في الشعب الروسي أحلامه السابقة بعودة الامبراطورية الروسية ، وقد كان جرينوفسكي ينادي خلال حملته الانتخابية بالأمور التالية :

* مكافحة الجريمة دون رحمة .

* العودة إلى روسيا العظمى التي تشمل أراضي في البلطيق وأوكرانيا وآسيا الوسطى .

* الدعوة إلى احتلال كل من تركيا وإيران والوصول إلى المياه الدافئة في الخليج !

* المناداة بأن يكون الروس وحدهم يمثلون ٩٩ ٪ من الحكومة الجديدة .

وفي ذلك إشارة إلى عدم قبول أي من الأجناس الأخرى في الحكومة ما عدا اليهود .

* إضافة إلى ذلك فقد كان يدعو إلى قيام وحدة اقتصادية وثقافية بين الدول السلافية وروسيا.

تميزت شخصية ذلك الزعيم بملامح واضحة أثرت في تعامله مع الآخرين، فمثلاً :

* في خلافه مع أعضاء البرلمان قال أن ١٠ ٪ من أعضاء البرلمان مجانين .

* وحين رفضت السلطات الألمانية استقباله قال أنه يتوجب على ألمانيا دفع ثمن باهظ – وستصبح بلداً فقيراً – بعد احتلالها.

* وقال أيضاً أن رومانيا دولة مصطنعة وإنما تتألف من غجر إيطاليين.

* تناقضاته الكثيرة : فمرة ينفي أنه من أصل يهودي ، وأخرى يصرح بأن أباه كان يهودياً ويعلن معاداته للسامية ، ولكن في حين آخر ينفي ذلك أو يحصر معاداته في غير اليهود.

ومن المضحك أن يستبشر بعض أفراد اليسار العربي بظهور نجم ذلك المخلص المزعوم الذي يستطيع أن يقول للغرب «لا» بكل قوة.

البوسنة :

* أكد رئيس وزراء البوسنة – حارث سيلا يجيتش – أن اللورد أوين يتهم الحكومة البوسنية بالإبقاء على الخيار العسكري في وقت يتم فيه تدمير مواقع مدنية ، وأضاف : يبدو أن أوين وغيره لا يستطيعون قبول البوسنة إلا كضحية من دون موارد. **(الحياة ١٤١٤/٧/٢٧ هـ)**

بدون تعليق :

حذر مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق ريتشارد بيرلي من أن يسود شعور بالاضطهاد لدى المسلمين في البوسنة ، وقال : «إذا أردنا أن نشن حرباً على الأصولية والإرهاب ، فإن مصداقيتنا تحتم علينا أن نُظهر أننا مهتمون بقضية المسلمين الذين أظهروا استعداداً للعيش بسلام مع غير المسلمين».

(الحياة ١٤١٤/٨/٥ هـ)

على الحبلين :

قدم السفير الأمريكي في اليمن صوراً من الأقمار الصناعية توضح

تحركات قوات اليمن الشمالية والجنوبية على الحدود السابقة ، وذلك إلى كل من الرئيس ونائبه.
(الأسوشيتدبرس ١٦/١/١٩٩٤م)

تزكية من أبي عمار :

قال ياسر عرفات في مقابلة مع شبكة NBC أنه يعتقد أن رئيس الوزراء إسحق رابين رجل يحترم وعوده.
(الحياة ٣/٧/١٤١٤هـ)

أول الغيث :

ذكرت عائلات فلسطينية أن أعضاء من حركة فتح اشتركوا مع حرس إسرائيلي في مهاجمة سجناء فلسطينيين لإخماد شغب في سجن كيتزيعوت.
(الحياة ١٧/٧/١٤١٤هـ)

موقف مشرف في ظل الانهزام العربي :

... من الصعب جداً التقليل من الخطورة التي انطوت عليها «زيارة» أسقف كانتربري في هذا الأسبوع إلى بعض المناطق التي لاتزال تحت سطوة المتمردين في جنوب السودان ، وهي «الزيارة» التي لا يمكن أن تسمى «زيارة» إلا مجازاً فحسب ، وإلا فإنها كانت أشبه بعمل من أعمال التسلل ، ودخول البيوت من غير أبوابها ، والدخول إلى أراضي الآخرين هكذا عنوة ، من غير أدنى مراعاة لمشاعر الدولة التي تقع هذه الأراضي تحت سيادتها ، قانونياً ودولياً ومن غير احترام حتى للشكليات الإجرائية البحتة.

التدخلات الإنجليزية في شؤون السودان ، في كل الفترة التي أعقبت الاستقلال السياسي الرسمي في سنة ١٩٥٦ م ، تكاد تكون موضوع رواية كاملة مطولة ، كثيرة الفصول ، ولا يبدو أنها على وشك الانقضاء ، كما لا تبدو الآن حكاية أسقف كانتربري ، التي تداخلت فجأة من الأسبوع الماضي وتشابكت مع حكايات تدخلات السفير البريطاني لدى الخرطوم في الشأن السوداني

الداخلي، سوى مجرد آخر هذه الفصول المتلاحقة من ١٩٥٦ م.

الفارق الوحيد الآن بين هذا الفصل الأخير وفصول السنوات السابقة الطويلة، هو أن هذه هي المرة الأولى غير المسبوقة على الإطلاق من سنة ١٩٥٦م، التي يسمع فيها سفير الدولة العظمى، المسيطرة على السودان سابقاً أن للسودان المستقل كبرياءه الوطني أيضاً، وأن في مقدوره دائماً أن يطلب من أي ضيف أو غريب وافد مغادرة السودان، بسلامة الله وحفظه، إذا كان من العسير عليه مثلاً، لأي سبب نفسي أو عقلي، أن يحترم كبرياء الوطن السوداني ويتقيد على الأقل بالأعراف الدبلوماسية المعهودة والمرعية.

غير أن الانهزام العربي العام، الساحق جداً في هذه الساعة، هو وحده فقط الذي يجعل من أمثال هذه المواقف السودانية غير مفهومة وغير مألوفة بل غير معقولة وغير مقبولة في رأي عقلاء العرب في هذه الأيام، الذين أفرطوا في العقل جداً، وقد أوشكت الآن أن تقتلهم التخمة العقلانية المفرطة.

(حافظ الشيخ، جريدة الوطن ١٤١٤/٧/٢٢ هـ)

منظمة العفو الدولية وتونس:

ذكرت منظمة العفو الدولية في تقرير لها صدر في ١٤١٤/٨/١ هـ «أن هناك هوة بين التصريحات الرسمية وحقيقة الانتهاكات الخطيرة والمتكررة لهذه الحقوق»، وقالت المنظمة أن المؤسسات التي أنشئت أخيراً لحقوق الإنسان تنقصها الاستقلالية وتتميز بالعجز وبطابعها السري.

وذكر التقرير أن المنظمة تجري حواراً بلا طائل مع السلطات التي تستمر في نفي وجود انتهاكات لحقوق الإنسان وفي تبريرها.

(الشرق الأوسط ١٤١٤/٨/٣ هـ)

فضيحة : تزوير الأدلة ضد الإسلاميين :

تحولت قضية الوثائق التي ادعت أجهزة الأمن الفرنسية ، العثور عليها في منزل رئيس منظمة «الأخوة الجزائرية» موسى كرواشي ، إلى فضيحة عندما نشرت صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية أن الوثائق التي عثر عليها يحتمل أن يكون مصدرها عناصر الشرطة أنفسهم ، وعندما قرر وزير الداخلية الفرنسي شارك باسكوا فتح تحقيق بدأت الأجهزة الأمنية تتبادل التهم ، فالاستخبارات اتهمت الشرطة القضائية أن أحد عناصرها وضع الوثائق عن طريق الخطأ ضمن وثائق أخرى وجدت في المنزل ، أما الشرطة فردت بالنفي وأن الاستخبارات يحاولون تلبيسهم خطأ ارتكبه أحد العاملين في جهازهم. والسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه إذا كانت أجهزة الأمن في دولة تدعي الديمقراطية ورعاية حقوق الإنسان تقوم بتزوير أدلة واختلاق اتهامات ، فماذا عساه يجري في دول العالم الثالث؟!

(وكالات الأنباء ١٤١٤/٨/٥ هـ)

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة

معالجة الأزمات الغذائية

- ١ -

د. محمد بن عبدالله الشباني

مقدمة :

ترتبط المشكلات والأحداث السياسية بالقضايا الاقتصادية ، فالأوضاع الاقتصادية لها تأثير في مسار الأحداث والتغيرات التي تصيب الدول والشعوب والحضارات ؛ لهذا فإن الأوضاع الاقتصادية وكيفية معالجتها تؤدي إلى التأثير سلباً أو إيجاباً على صمود الدول والمجتمعات تجاه رياح التغيير ، فكلما تمت معالجة الأوضاع الاقتصادية وفق سنن الله ووفق قواعد العدل ، فإن رياح التغيير لا تتمكن من التأثير في أوضاع الدول والمجتمعات ، ولكن إذا سارت المجتمعات في تنظيماتها حسب الأهواء والرغبات ، وخالفت سنن الله الكونية فإن مآلها إلى الزوال .

إن الإسلام دين يجمع بين دفتيه خيري الدنيا والآخرة ، ويعالج مشكلات الحياة الدنيا بنفس القدر الذي يعالج فيه أمور العقيدة ، وما يتصل بها من مسائل ذات ارتباط بوجود الإنسان وغايته على هذا الكوكب .

يُتهم الإسلام من قبل أعدائه وجزء كبير من المتسبين إليه ممن يدعي الثقافة والعلم بأنه لا يمتلك تصوراً كاملاً لتنظيم شؤون الحياة الاقتصادية والاجتماعية

وأن المعطيات المعاصرة لا تتلاءم مع التنظيمات الجزئية التي أمر بها الإسلام. لهذا فإنه ينبغي على المجتمعات الإسلامية إذا أرادت الخروج من واقعها أن تتبنى المناهج الغربية في التنظيم الاقتصادي والاجتماعي، ولهذا تتجه الدول الإسلامية قِبَل البنك الدولي ليضع لها السياسات الاقتصادية، والاجتماعية التي يجب على هذه الدول اتباعها إذا أرادت الخروج من واقعها الاقتصادي السيئ.

إن هذه المقولة وتبنيها من أصحاب القرارات في العالم الإسلامي والإيمان بها من قِبَل قادة الفكر الاقتصادي والسياسي، إنما ينبع من جهل كامل بالإسلام وتعاليمه وقلة الفقه بالتشريع الإسلامي، ومحاربة كل توجه للأخذ بالإسلام، والتسليم الكامل بالمقولات الغربية الناتج عن الانهزام النفسي والمادي الذي أصاب العالم الإسلامي تجاه القوى الغربية المتسلطة.

إن من أهم مجالات الدعوة للعودة للإسلام في هذا العصر هو إبراز التصور الإسلامي لما يمكن أن يقدمه الإسلام من حلول في المجال الاقتصادي ولهذا فإن الغاية التي أرمي إليها من نشر هذه السلسلة من المقالات في مجلة البيان هو المشاركة في إبراز ما يحتويه الإسلام من ثروة علمية في تنظيم الحياة الاقتصادية المعاصرة، وما يشتمل عليه من مبادىء اقتصادية علمية ينبغي للمجتمعات الإسلامية الأخذ بها، وتطبيقها في الواقع المعاش.

إن المنهج الذي سوف أتبعه في استعراض القضايا الاقتصادية المعاصرة هو أخذ أي مشكلة اقتصادية أو وضع تنظيمي اقتصادي معاصر وإبراز وجهة النظر الإسلامية من خلال دراسة الأدلة الشرعية من القرآن والسنة بإيضاح المنهج الذي يرشد إليه الإسلام في معالجته لهذا الوضع، ومدى قابلية هذا المنهج للاسترشاد

به في حل الأوضاع الاقتصادية المعاصرة ، وإبراز مدى التفرد والتميز والواقعية للمنهج الإسلامي في معالجة الأمور الاقتصادية .

النقص المؤقت للسلع :

من المشكلات الاقتصادية التي تواجه المجتمعات المعاصرة مشكلة النقص المؤقت للسلع التي يحتاج إليها الأفراد : هذا النقص قد يكون ناتجاً عن سوء السلوك الإداري للمديرين الذين يتولون إدارة الاقتصاد في المجتمع ، أو قد يكون ناتجاً عن عناصر التدخل في ميكانيكية السوق بالاحتكار وحجب السلع عن السوق ، أو قد يكون ناتجاً عن نقص فعلي في السلع .

إن معالجة النقص في السلع مرتبط بمعالجة السبب المحدث للنقص والإسلام يعالج الأسباب الجزئية ، لكن علاجه لا يمكن أن يؤدي دوره الكامل والفاعل إذا لم يكن الإطار العام للتنظيم الاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي للمجتمع يخضع لقواعد وقيم الإسلام الحاكمة للفكر والتوجيه العقائدي والسلوكي ، ولهذا ينبغي إدراك هذه الحقيقة ، وان العلاج لجزئية من الجزئيات لا تنفصل عن الإطار الكلي للعلاقات التأثيرية لمختلف الأنظمة الاجتماعية .

لقد وردت أحاديث نبوية عديدة تعالج معظم الأسباب التي تؤدي إلى وجود وظهور النقص في السلع ، وفي هذه الحلقة سوف أقتصر على كيفية معالجة الإسلام للنقص الفعلي ، أما الأسباب الأخرى لمعاجة مشكلة الأزمات الغذائية فسوف أستعرضها في مقالة لاحقة إن شاء الله .

روى مسلم ومالك والبيهقي ، عن عبدالله بن أبي بكر ، عن عبدالله بن واقد أنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاثة ، قال عبدالله بن أبي بكر فذكرت ذلك لعمرة بنت عبدالرحمن ، فقالت : صدق

سمعت عائشة زوج النبي ﷺ تقول : دف[1] أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي ، فلما كان بعد ذلك قالوا : يا رسول الله : إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون فيها الودك[2] ، فقال رسول الله ﷺ : ما ذاك؟ قالوا : نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث ، فقال : « إنما نهيتكم من أجل الدافة التي دفت عليكم فكلوا وادخروا وتصدقوا » وفي رواية من طريق آخر لدى ابن ماجه عن عبدالرحمن بن عايش عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : إنما نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الأضاحي لجهد الناس ، ثم رخص فيها وفي رواية للبخاري عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال النبي ﷺ : «من ضحى منكم فلا يبقينّ بعد ثالثة وفي بيته منه شيء» فلما كان العام المقبل قالوا : يا رسول الله، نفعل كما فعلنا العام الماضي ؟ قال : كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهدٌ فأردت أن تعينوا فيها .

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم» .

بدراسة الأحاديث السابقة نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام عالج النقص السلعي في المدينة بأسلوب توجيهي للأمة ليقتدي به قادة الأمة الإسلامية حيث وضع عليه الصلاة والسلام منهجاً تطبيقياً ينبغي على الدولة المسلمة اتباعه عند حدوث النقص في السلع التي يحتاج إليها الناس خلال فترة النقص ويتمثل هذا المنهج في التدخل وبالمعالجة الوقتية وفق هذا التوجيه النبوي القائم على مواجهة الظروف ، فمعالجة الرسول ﷺ للمجاعة عندما وفدت أعداد من

الأعـراب إلى المدينة في عيـد الأضـحى أنه ﷺ نهى عن الاحـتـفـاظ بلحـوم الضـحـايا لأكـثـر من ثلاثة أيام ، وعـندمـا انتـهت الأزمـة سـمح بالادخـار . هذا التوجيه النبوي يمكن انتهـاجه واعتبـاره استراتيجية يتم اتباعـها عند مواجهة الأزمـات التـمـوينيـة ، فـعند نقص السلع يمكن تدخل الدولة بتـقنين كـمـيـة الاستـهـلاك الفردي ، ومنع الادخار . يؤكد هذا الأمر حديث أبي موسى عن الأشعريين حيث ورد في الحديث تحبيذ الرسول ﷺ لمنهـجـهم في حـالتين : الأولى في حالة السفر ، وعند نقص الإمدادات ، والثانية في المدينة عند نقص الكميات المتوافرة ، والتوجيه النبوي تعليم للأمة وإرشاد إلى المنهج الذي ينبغي اتباعه في حالة نقص المواد السلعية الاستهلاكية سواء أكان بسبب نقص الإنتاج أو التأخر في الحصول عليه من خـلال الجلب ، أي التأخر في الاستيراد لأي سبب ، فعندئذ يمكن تحديد كمية الاستهلاك من هذه السلع الناقصة بحيث لا يزيد الشراء عن حاجة ثلاثة أيام ، كما أنه يمكن حصر الكميات المتوفرة في الأسواق وبيعها على الناس وفق حاجة الفرد الاستهلاكية لمدة ثلاثة أيام ، وعلى الجهاز الحكومي استخدام الأساليب التنفيذية اللازمة باستخدام جميع المعطيات العلمية المتوفرة لتنفيذ هذا التوجيه النبوي . إن هذا الإجراء ليس إجراءً مستمراً ، وليس قاعدة عامة تتبع في كل حين ، بل إن هذه المعالجة جاءت لمجابهة واقع النقص فقد أوضح حديث الأشعريين أن هذا الإجراء مرتبط بالأزمات ، حيث أشار الحديث إلى اتباع سياسة التوزيع التمويني عند النقص الفعلي للسلع ، ولكن لا يكون ذلك أسلوباً دائماً وسياسة تموينية ثابتة ، ونمطاً في ممارسة إدارة الاقتصاد التمويني ، لكن هذا الأسلوب يتبع فقط عند حدوث الأزمات ، وعندما تنفرج فإن القاعدة العامة ترك الناس يتصرفون وفق رغباتهم وقدراتهم المالية ، ووفق واقع السوق الذي يوجه عملية التبادل التجاري وفق قانون العرض والطلب .

إن أسباب النقص الفعلي للسلع تتمثل في أمرين حسب ما أشار إليه حديث أبي موسى وهما :

الأول : عند نقص الإنتاج من السلع لظروف طبيعية خارجة عن إرادة الإنسان فنتج عن ذلك نقص في الكمية المعروضة للبيع عن الحاجة الاستهلاكية .

والثاني : قلة الجلب (الاستيراد) وهو تأخر أو امتناع المستوردين عن الاستيراد أو ضعف الدولة عن استيراد كامل ما تحتاجه من السلع من خارج إقليمها أو نتيجة لحصار اقتصادي مفروض عليها من أعدائها .

المعالجة الإسلامية للأزمات الغذائية لا تخرج في إطارها العام عن المعالجة المعاصرة ، إلا أن الإسلام يتميز بعنصر لا يوجد في أي نظام من الأنظمة الاقتصادية المعاصرة ، هذا التميز يتمثل في أن امتثال القرارات الإدارية التي تصدر عن ولاة الأمر تلقى القبول النفسي والتنفيذي الطوعي لارتباطها بالإيمان العقائدي للأفراد ، فالمسلم يقبل ما تفرضه الدولة من إجراءات باعتباره تحقيقاً لمصلحة عامة ، ولكنه - قبل ذلك - باعتباره مطلباً شرعياً يرتبط بمفهوم تحقيق العبادة لله .

إن نجاح هذا المنهج لا يتوقف على التنفيذ التطبيقي الجزئي لهذا الإجراء فلا يمكن نجاح هذا الإجراء في مجتمع غالبية شعبه مسلم إذا لم تكن أنظمة هذا المجتمع في جميع مناحي الحياة تلتزم بالتشريع الإسلامي ، لهذا نجد أن عمليات تقنين الاستهلاك في المجتمعات الإسلامية غير ناجحة بسبب أن التنظيمات الاجتماعية الأخرى مخالفة ، وبالتالي لا تجد القرارات التنظيمية - التي يقرها الإسلام ويأمر بها - القبول من قبل الجماهير الإسلامية في الدول الإسلامية بسبب التناقض في توجهات هذه الدول ومناهجها التنظيمية الأخرى التي

تتصادم مع أساسيات الدين وقواعده.

إن التنظيم الإسلامي في جزئية من الجزئيات لا يمكن نجاحه إذا فصل عن التنظيم الكلي ، لهذا لا يمكن نجاح أي تنظيم اقتصادي كجزئية إذا كانت بقية الأجزاء تتصادم معه ، وأكبر دليل على ذلك ما يتم انتهاجه بتقديم حلول فقهية لمشاكل اقتصادية أوجدها نظام اقتصادي لا يرتبط بالإسلام بل يعارضه ويعاديه. ومثال على ذلك نجد عدم قدرة البنوك الإسلامية في تحقيق التغيير في التنظيم البنكي ولجوءها في كثير من الأحيان إلى البحث عن الحيل الشرعية لكي توائم واقعها التنظيمي مع الواقع التنظمي الاقتصادي للنظام الربوي السائد في تلك المجتمعات ، التي أجازت قيام مثل هذه البنوك - أي البنوك الإسلامية - مع إلزامها بالخضوع لفلسفة ومنهج النظام الربوي. هذا الوضع البيئي للبنوك الإسلامية أدى إلى عجزها عن التفرد والتميز بل أصبحت في معظم الأحيان أدلة يعتبرها المعارضون لأسلمة الاقتصاد ، فيتخذون واقع هذه البنوك حجة لعجز الإسلام عن إيجاد البديل العملي ، مما دفع ببعض من ينتسب إلى العلم الشرعي بإجازة صور عديدة من الربا وتغيير مسمى الفائدة أو الربا إلى الربح أو العمولة . .

---

(١) دف : الدف هو السير البطيء مع تقارب الخطو.

(٢) الودك : أي الشحم ويجملون أي يذيبون. الدافة : قوم مساكين قدموا المدينة أقدمتهم المجاعة. أرملوا : أي فنيت أزوادهم. إناء : وعاء.

مستقبل الدعوة السلفية

رؤية نقدية

جمال سلطان

تمهيد:

تطرح مجلة البيان هذه الرؤية النقدية للكاتب الكريم والذي له العديد من الدراسات الفكرية والدعوية الجادة من قبيل النقد الذاتي الذي يراد منه التعاون لدراسة واقعنا الدعوي بعلمية وموضوعية ، رغبة في تلافي ما قد يوجه إليه من ملاحظات أو سلبيات ، وأملاً في الوصول به إلى الأفضل - إن شاء الله - والمجال مفتوح لأي مناقشة موضوعية تلتزم بآداب الحوار . والله من وراء القصد.

- البيان -

الدعوة السلفية هي عماد الصحوة الإسلامية المعاصرة، وهي مادتها، وقاعدتها القوية، التي تصل ما انقطع بين الخلف وسلفهم الطيب الصالح، وتدعو الناس إلى منهج الجيل الراشد، وهدي محمد ﷺ وأصحابه، لأن ذلك النهج وذلك الهدي، هما في الحقيقة منهاج الطائفة المنصورة والفرقة الناجية ، كما قال ﷺ: «تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: وما هي يا رسول الله ؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي». (1)

وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الدعوة المباركة، تتحمل تبعات جسام في مسيرة الإحياء الإسلامي الجديد، تستدعي من أبنائها وأهلها أن يكونوا على قدر هذه التبعات، علماً وحكمة، وسعة وإدراكاً، وجهداً وجهاداً، وأثبت عند النوازل والفتن، على مختلف أنواعها وصنوفها.

بيد أن الأمر الذي لا يسعنا تجاهله، أو تجاوزه، هو أن هذه الدعوة وأهلها من العلماء والدعاة والمفكرين والعاملين، يبقون بشراً من البشر، وتبقى جهودهم في هذا السبيل، جهوداً بشرية، يعتريها ما يعتري الجهد البشري من عوارض مختلفة، منها الزلل، ومنها الخطأ، ومنها الغلو أو الإفراط أو التفريط، ومنها الذهول عن بعض الحقائق المنهجية أو العلمية أو الواقعية، ومنها ضعف بعض النفوس، أو ضعف بعض الهمم، وهذه كلها سلبيات تقع لكل جهد بشري، فطرة الله، ولا عصمة لأحد من الناس بعد النبي الخاتم ﷺ، وهذه الحقيقة من شأن استحضارها أن ينفي الحساسية الزائدة من أي ممارسة نقدية أو تقويمية ذاتية تتوجه إلى الجهود الدعوية المرتبطة بالمنهج السلفي، وإذا كنا نتوجه بالنظر والتقويم والنقد والتصحيح لجهودات إسلامية مختلفة، من فصائل وأحزاب وجماعات، على قربها أو بعدها من المنهج الرشيد، فلماذا نستنكف نحن أن نقوم أنفسنا، ونعيد النظر في مسار الدعوة السلفية كل حين، للكشف عن المعوقات، أو الآفات، والسلبيات، التي تعترض مسار هذه الدعوة، أو التي تشينها، أو التي تتسبب في فتنة الآخرين تجاهها، إن انتساب أي شخص أو حركة أو تيار إلى المنهج السلفي لا يعني منحه صك عصمة مفتوحاً، بحيث يكون كل قول له أو فعل أو سلوك أو تقدير حقاً لا مراء فيه، ورشاداً لا زيغ معه، واستقامة لا اعوجاج بها، فهذا كله غلو ينبغي أن تتنزه عنه الدعوة السلفية، ولابد أن نملك الجرأة والثقة التي تجعلنا نعيد تقويم جهودنا

الدعوية، بعدل وإنصاف، وتواضع وجد، حتى لا تتراكم الأخطاء، أو تتكاثف السلبيات، أو تتضخم الهفوات، بما يهدد وجود الدعوة ونكون - عياذاً بالله - فتنة للناس، في تقديرهم وحكمهم على منهج الفرقة الناجية ذاتها، والدعوة السلفية بوجه عام.

ثلاث ملحوظات مهمة:

وفق هذا الاطار، وتلكم الرؤية، تجيء هذه الملحوظات الثلاث التي أقدمها للقارىء المسلم، باعتبارها محاور أساسية، ألاحظ وجود الاضطراب بسببها عند بعض الجهود الدعوية، وأرى أن ضبطها ووعيها، وترشيد المسار الدعوي فيها، هو مطلب بالغ الأهمية، وشديد الخطورة، ومن شأن الإحاطة به والجازه أن يختصر الكثير من مسافات الطريق نحو التمكين لدين الله ودعوة الحق في مستقبل البشرية إن شاء الله تعالى.

الملحوظة الأولى، وتتعلق بفهم طبيعة الدعوة، ومداها، ورسالتها العامة، إذ هناك نفر من الدعاة يظنون الدعوة إلى التوحيد، مجرد عمل «تثقيفي» أو «تعليمي» تصحح به «تصورات» الناس تجاه مفهوم «الربوبية» و«الألوهية» ومنهج أهل السنة في «الأسماء والصفات» المتعلقة بالباري سبحانه وتعالى فحسب، دونما بيان شاف كاف عن «تجليات» هذه العقيدة في واقع الناس وسلوكهم ونظمهم الاجتماعية والقيمية والتشريعية ومشاعرهم وولائهم وجهادهم وغير ذلك، وهذا الاتجاه المحدود، لو تعززت وجهته فى الدعوة السلفية، فستنتهي بنا حتماً إلى حصر الدعوة الإسلامية بشمولها في نوع من الجدل الكلامي الذي يكثر فيه تشقيق المعاني وتهويم الخواطر، وتناطح الأمثلة التجريدية، وإتاحة الفرصة - تماماً - أمام التيارات المنحرفة لصياغة الواقع الاجتماعي، وبنيان الأمة وفق مناهجهم الفاسدة.

وهذا الخلل - في الحقيقة - يقدم بصور مختلفة أخرى ، منها الحديث عن أن «تصحيح العقيدة» فقط هو مطلب هذه المرحلة، وليس من واجب الداعية - وربما ليس من المشروع له - أن يحدث الناس عن الانحرافات الخلقية، أو أزماتهم الاقتصادية أو مشكلاتهم التشريعية، أو تحدياتهم الدولية، أو هموم واقعهم المختلفة، فلابد أولاً من تصحيح «عقيدة» الناس، ثم في مرحلة لاحقة نصحح باقي الانحرافات، ولا شك أن هذا انحراف كبير عن هدي محمد ﷺ، ودعوة الإسلام قاطبة عند النبيين والمرسلين.

لقد كان النبي ﷺ يدعو قومه إلى التوحيد الخالص في مكة، طوال ثلاث عشرة سنة، ليخرج قومه من ظلمات الجاهلية والوثنية والإشراك بالله، إلى نور التوحيد ومع ذلك الحرص الشديد على دعوة التوحيد، فإن الرسول ﷺ كان يجتهد في تصحيح الانحرافات الاجتماعية كلها في الواقع الذي يعيشه، ويقرن ذلك كله بالتوحيد، حتى لكأنهما بناء واحد لا يمكن فصل بعضه عن بعض في دعوة الحق، وحسبنا في ذلك القرآن المتلو في مكة:

ألم يكن مما تلاه ﷺ على قومه في مكة **﴿ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾**[2] أرأيت كيف ترتبط الدعوة إلى العدل والقسط و«النزاهة» بالإيمان بالله واليوم الآخر؟!.

أولم يكن مما تلاه ﷺ على الناس بمكة قول الحق تعالى: **﴿أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدعّ اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**[3]

أرأيت كيف ارتبطت العقيدة بالسلوك الاجتماعي بالعبادة في رباط واحد وسياق واحد!

ألم نقرأ ما نزل من آخر سورة الفرقان، وفقه الدعوة وشمولها فيه:
﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون»، «والذين لا يشهدون الزور﴾[٤] .

ألم يربط القرآن أذهان المسلمين بالأحداث الدولية الجارية في زمانهم وآثارها على الجماعة المسلمة، رغم بعد المكان، وانعدام الصلة - تقريباً - من الناحية العملية بين هذه الجماعة وتلك الأحداث **﴿غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد * ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾**[٥] وعلى هذا النهج فقس، وهو أمر يطول ويشغل الصفحات العديدة، وهذا كله فيما نزل بمكة، ولا يوجد موحد آنذاك على الأرض إلا بضع عشرات من المؤمنين بقرية من قرى كوكب الأرض، وهذا أسوقه لمن يقابل بين واقع المسلمين الحالي، وواقع مكة: من بعد الناس عن التوحيد أو جهلهم به، وهذا أمر لا يسلم تماماً، فأوجه الافتراق واضحة، كما أن أوجه المشابهة موجودة أيضاً.

ثم هل جاء نبي أو رسول من رسل الله، إلا وكان يدعو إلى إصلاح المجتمع كله، وليس فقط تصحيح العقيدة فقط ، ألم يكن منهم من جمع إلى التوحيد الدعوة إلى التنزه عن فاحشة إتيان الذكران، ومنهم من دعا إلى القسط فى المعاملات التجارية **﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾**[٦]، ومنهم من دعا إلى إزالة التجبر والطغيان[٧] **﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون* وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين* فاتقوا الله وأطيعون﴾**. أولسنا مأمورين بالاقتداء بهذه الكوكبة الرائعة من دعاة التوحيد. **«أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده»**[٨] .

إن الدعوة السلفية مطالبة بمحاصرة هذه الجهود الانعزالية المتسبة إلى المنهج السلفي، وهي - في حقيقتها - لا تتعدى الصورة الجديدة للمنهج الصوفي الانعزالي القديم، الذي عزل الدين عن الدنيا وهموم المجتمع ومقتضيات الاستخلاف في الأرض، قبل أن تأتي العلمانية لتستثمر هذا «الانحراف» وتؤسس عليه تخريبها الكبير في ديار الإسلام.

الملحوظة الثانية : وهي محور أساس وجوهري من محاور الدعوة الإسلامية، يذهل المرء عندما يجد دعاة منتسبين إلى المنهج السلفي، ينازعون فيه، أو يحقرون من قيمته، وذلك هو أصل معرفة الزمان، والوعي العميق بالواقع الاجتماعي الذي تتحرك فيه الدعوة، وتتنزل به الأحكام، وقديماً قال الصالحون: «رحم الله امرءاً عرف زمانه فاستقامت طريقته». إن البصيرة النافذة بأحوال الزمان، وأحوال الناس فيه، والعلاقات التي تتحكم في سلوك الناس الاجتماعي، وتؤثر فى اتجاهات هذا السلوك، والضغوط التى تفعل فعلها في الواقع، وموازين القوى، وأعراف الناس المتغيرة، وهموم المسلمين وما عمت به البلوى وما لم تعم، والأخطار المحدقة بالأمة من خارجها ومن داخلها، ومواقع القوة أو الضعف فيها وفي أعدائها، ونحو ذلك من أحوال، فهذا كله ليس مجرد جهود محمودة، بل هي مطلب شرعي لا تستقيم الدعوة، ولا تنضبط أحكام الشريعة بدون تحصيله، وبدون هذا الفقه للواقع لا يمكن لمسلم تنزيل قاعدة «المصالح والمفاسد»، ولا أصل «لا ضرر ولا ضرار»، ولا أصل «ارتكاب أخف الضررين» ولا باب «سد الذرائع» ولا باب «الضرورات العامة وما تعم به البلوى» وغير ذلك الكثير من مقتضيات الدعوة وأصول الأحكام، ومن دخل فى شيء من هذا كله بدون معرفة بالزمان وبصيرة بأحوال المسلمين وفقه لواقعهم، فهو «مغامر» ولا شك، وضارب في عماية، ولا يؤمن جانب دعوته

وفتواه أن تودي بالمسلمين إلى موارد الهلكة والفساد.

ولقد كان من هدي محمد ﷺ، مراعاة أحوال الناس، والبصيرة بواقعهم وظروف الزمان، وموازين السلوك الاجتماعي، وكان يوجه دعوته - ﷺ - وفق ذلك الاعتبار، فيقدم ويؤخر، ويوجه ويرشد.

روت لنا كتب السنة - الصحيحان والنسائي وأحمد واللفظ لمسلم - من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ألم تر أن قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم، قالت: فقلت يا رسول اللهي أفلا تردها على قواعد إبراهيم، قال رسول الله ﷺ: ولولا حدثان قومك بالكفر لفعلت».

لقد وعى رسول الله ﷺ، واقع الناس، وحساسيات ذلك الواقع ووضع ذلك كله في اعتباره وتقديره، فأخر ما كان يحب فعله مراعاة لذلك الواقع، وقد ثبت أن ابن الزبير - رضي الله عنه - حقق ما أمله رسول الله ﷺ فيما بعد، بعد أن تغير الواقع واختلفت موازينه.

وروت لنا كتب السنة - اللفظ لمسلم في صحيحه - من حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير، قال: فقال: يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله عز وجل ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، قال: قلت يا رسول الله، أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا.

وفي هذا الحديث الجليل فائدتان، الأولى هي هدي النبي ﷺ عندما منع إذاعة البشارة في ذلك الوقت، مراعاة لأحوال الناس، ومبلغ فقههم وانتشار

العلم فيهم، ودرجة وعيهم بوضع هذه البشارة من سياق التكليف كله، ومن لا يعرف واقع الناس لن يفهم قيمة ذلك الهدي الجليل، والفائدة الأخرى من اجتهاد «معاذ بن جبل» رضي الله عنه، عندما أذاع هذه البشارة قبل موته، وما ذلك إلا لمعرفته بهدي النبي ﷺ وأن المنع كان متعلقاً «بواقع الناس» فلما «تغير الواقع» وشاع العلم، وتمكن الإسلام في النفوس أذاع البشارة تأثماً من كتمان العلم، ومعاذ - رضي الله عنه - هو من هو في معرفة الحلال والحرام، وكان رسول الله ﷺ قد اختاره لتبليغ الدعوة ونشرها في «اليمن» وبعث معه أبا موسى الأشعري، وأوصاهما في مهمتهما الجليلة فقال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»[9] واليسر والبشارة أو العسر والتنفير ليسا من الأمور النظرية المجردة، وإنما هي مرتبطة «بواقع الأحكام والدعوة في المجتمع وبين الناس» فمن جهل طبيعة الواقع أو تجاهل أحوال الناس لم يدر هل يسر عليهم؟ أم عسر؟ وهل نفرهم عن الدعوة أم حببهم إليها؟ فضلاً عن متى يكون التكليف «يسراً» في الواقع، ومتى يكون «عسراً».

وواقعة حديث معاذ - رضي الله عنه - نفسها تكررت مع أبى هريرة رضي الله عنه، وروتها كتب السنة، إذ حمله الرسول ﷺ البشارة: «من لقيت - من وراء هذا الحائط - يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة» فقال عمر رضي الله عنه، لرسول الله ﷺ: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله ﷺ فخلهم»[10]، وفي هذه الواقعة فائدة إضافية، وهي اجتهاد عمر رضي الله عنه في معرفة الزمان وأحوال الناس وواقعهم وبالتالي أثر البشارة في ذلك الواقع، ولا شك أن اجتهاد عمر أتى من خلال معرفته بهدي نبيه ونبينا محمد ﷺ، وأن ذلك الاجتهاد متوافق مع ما تعلمه منه، لأن مثل عمر لا يقدم بين يدي الله ورسوله، ثم فائدة اجتهاد «أبي هريرة» في إذاعة الحديث في زمان لاحق، بدليل أنه وصلنا الآن ودونته كتب السنة.

وروت لنا كتب السنة - واللفظ للبخاري في صحيحه - من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار وقال المهاجري: ياللمهاجرين. فسمعها الله رسوله ﷺ، وقال: ما هذا؟ فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار وقال المهاجري: ياللمهاجرين، فقال النبي ﷺ: دعوها فإنها مُنْتنة، قال جابر: وكانت الأنصارُ حين قدم النبي ﷺ أكثر ثم كان المهاجرون بعدُ، فقال: عبد الله بن أبي: أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، قال النبي ﷺ: دعــهُ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتُل أصحابه».

فانظر إلى حكمة النبي الكريم وهديه، فالخطاب لم يتعلق برفض ما ذهب إليه عمر رضي الله عنه من كونه يستحق القتل على فعلته، وإنما الخطاب تعلق بأثر ذلك الفعل في «الواقع» ومدى تأثيره في حركة الدعوة ومسيرة الجماعة المسلمة وفتنة الناس «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، و«ابن أبي» ليس من أصحابه ولا شك، ولكن الرسول ﷺ يتحدث عن «واقع موضوعي» ينبغي مراعاته، بغض النظر عن «الحكم المطلق» إذ عامة العرب لا تعرف هذه «التفصيلات» الداخلية في الجماعة المسلمة، وإنما هي تنظر إلى مثل ابن أبي ابن سلول على أنه من أصحاب محمد، فهل لنا من السير على مثل هذا الهدي النبوي الكريم؟!.

والشواهد على ذلك الهدي تطول، ولعل باحثاً نابهاً يجتهد في جمعها واستقصائها في دراسة شاملة، فهذا مما يحتاج إليه الشباب بخاصة في هذه الأيام، وحاصل الكلام هنا أن معرفة الزمان والبصيرة بالواقع، وفقه أحوال

الناس، وهموم الأمة الداخلية والخارجية، هي مطلب شرعي ملح، ولا سيما في هذه الأيام، ولا تستقيم دعوة، ولا يهدي بيان، لا يمتلك هذا الأساس القوي الجليل، وإن من يكابرون في ذلك ويعاندون - ولا أقول يخالفون - يلحقون أبلغ الضرر بالدعوة السلفية، ويفتحون باباً واسعاً لفتنة الناس والشباب في جدية هذه الدعوة وفاعليتها . . . وقيمتها.

الملحوظة الثالثة : وهي متعلقة بفقه الاختلاف، والذي تحول إلى ثغرة خطرة تهدد بنيان الدعوة، وتؤرق أبناءها، حيث أصبح كل خلاف ينشأ بين اثنين أو وجهتين من أبناء الدعوة هو بمثابة «حرب شرسة»، لا توسط فيها ولا رحمة، والخائض فيها إما قاتل وإما مقتول، من سهام التجريح والتقريع والاتهام في النوايا والسرائر وترصد الشوارد وتلمس السقطات وغير ذلك على قاعدة «لا نجوت إن نجا»!

مسائل ثلاث:

والحديث هنا يتعلق بثلاث مسائل:

المسألة الأولى: وتتوجه إلى أدب الاختلاف، حيث يتوجب استحضار روح الأخوة والرحمة واللين وخفض الجناح وإحسان الظن في خلاف أهل الإسلام، ولا سيما أبناء المنهج السلفي الواحد، فهم أهل ذلك وهم الأولى به، وضرورة النأي عن الفظاظة والقسوة والعنف والتجريح والطعن في النوايا، وهذا هو الأصل العام للدعوة الإسلامية:

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[11].

والخلافات لا تنتهي في الفروع ومواطن الاجتهاد، فليس يعقل أن يصبح كل خلاف «مشروع حرب»، وتوطئة إلى القطيعة وربما السباب، إلى الحد الذي

أصبحت فيه الخلافات بين أبناء الدعوة السلفية تتسم في كثير من الأحيان بالشراسة والمرارة والقسوة، فما أبعد الطريق بيننا وبين أخلاق سلفنا الصالح.

روى الذهبي في «سير أعلام النبلاء» قول يونس الصدفي - رحمه الله تعالى - قال: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة»[١٢] ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في مجموع الفتاوى « . . ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة»[١٣].

المسألة الثانية: تتعلق بتوصيف الاختلاف، فعلى الرغم من أننا نملك نصوصاً واضحة في بيان «السعة» في أمر الاجتهاد، من أجلاها قول الرسول الكريم ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»[١٤] إلا أن كثيراً من المختلفين يضن بعضهم على بعض أن يكون له ولو أجر واحد، أو أن يتركه في حال سبيله لا عليه ولا له! إذ أن الخطأ الاجتهادي أصبح وضعاً غير معترف به الآن في الحوار، وحلت محله أوصاف أخرى، أشهرها «البدعة والكفر»، فمن خالف أخاه في مسألة فهو إما مبتدع، وإما كافر، أما أن يقول: مخطىء في اجتهاده، فهذا وصف أصبح عزيز المنال في واقعنا الحالي ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسألة الثالثة: وتتعلق بظاهرة الترصد لأخطاء الآخرين، وتلمس عثراتهم، بل، ونصب الشراك لهم، على طريقة: ماذا تقول في كذا؟ أتقصد أن تقول كذا؟، على أمل أن يظفر منه بهفوة أو سقطة فيطير بها، ويشنع عليه فيها، والحقيقة أن الأمر في ذلك وصل إلى حد مَرَضي، يصعب تخيله في بعض المنتسبين إلى المنهج السلفي الراشد، وهناك من يحترف التنقيب في كتابات

مخالفيه، ثم ينتقي منها فقرات يحملها على أسوأ محتملاتها ومعانيها، ليخلص منها بأن صاحبها قصد كذا وكذا، فهو - إذن - مبتدع أو ضال أو كافر، حسب التصنيف الذي يمن به عليه، وأحياناً يبدو للمتابع أن بعض «الناقدين» يسعد كثيراً إذا أثبت البدعة أو الكفر على أحد من المجتهدين أو الدعاة، وكأنه يبتهج بأن يتعزز صف المبتدعين والكفار بزيادة رمز جديد إليهم، هذا إذا صح ظنه وسلم طعنه، فكيف وأغلبها الأعم تحكمات في الأفهام، وتهويل في التأويل، وإساءة ظن بأهل الإسلام.

لقد كان رسول الله ﷺ يتلمس شبهات البراءة لأهل المعاصي، فيأتيه الرجل يقول له: زنيت فطهرني فيقول إمام الهدى: لعلك فعلت كذا، فيقول لا بل زنيت فطهرني، فيعاود إمام الرحمة، لعلك فعلت كذا، مرات عديدة عساه يجد له مخرجاً، وتهمته معصية[15]، فما بالنا مع من تهمته الكفر والابتداع في الدين، لا سيما إذا كان من أهل الفضل أو الدعاة أو العلماء أو العاملين للإسلام، إن الأولى بالمسلم الراشد، أن يتلمس للناس المخارج، ولا سيما في التهم الشنيعة، ويقول: لعله قصد كذا، ولعله أراد كذا، وربما لعله سها، لعله فاته الدليل، هذا هو سبيل الراشدين، وهذا هو نهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ليس فقط في ما هو محتمل، بل في ما هو وقوع في بدعة صريحة، وعرف عمن أخطأ فيه السلامة، ولم يعرف عنه الدعوة إلى البدع والخروج على منهاج السنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها مالم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإن اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وفي الصحيح قال: قد فعلت[16].

ويقول العلامة شمس الدين الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته عن «قتادة بن دعامة السدوسي» التابعي الجليل أحد أوعية العلم «. . . وكان يرى القدر، نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له زلله، ولا نضلله ونطَّرحه، وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»[17].

الله أكبر، أين من هذا البيان الفذ من يتصيدون الكلمات والهفوات للدعاة، فيطيرون بها كل مطار؟ وأين من هذا البيان الراشد، من لا تقر أعينهم إلا بأن يثبتوا - بكل سبيل وكل حيلة - ضلال داعية أو ابتداع فقيه أو كفر مجاهد من المجاهدين؟

إن هذه الظاهرة الطارئة والشاذة من بعض أبناء الدعوة السلفية، من شأنها أن تسيء إلى الدعوة برمتها، وأن تؤسس للفتنة، وتضع منهجاً جديداً للتدمير، ولو أخذ كل داعية أو عامل بمثل هذا المنهج الاتهامي، فسوف يأتي يوم لا يوجد فيه على وجه الأرض سلفي واحد غير متهم، لأنك لن تعدم في أحد - كائناً من كان - إذا ترصدت ما كتب وما قال، أن تظفر عنده بكلمة أو عبارة أو سطر، تحتمل احتمالاً، أو حتى تحمل سقطة أو هفوة، ونسأل الله اللطف بعباده.

هذه هي الملاحظات الثلاث التي أردت الوقوف عندها، وعرضها على القارىء المسلم، ولا سيما الدعاة والعاملين في سلك هذه الدعوة، من باب

النصيحة لدين الله، ولدعوة الحق، وهي ملاحظات مراقب - مجرد مراقب مسلم - للظواهر الطارئة في الدعوة السلفية، أو المخاطر المرتبطة بها، وهي مخاطر تتهدد مستقبل هذه الدعوة، ومن ثم مستقبل الصحوة الإسلامية كلها، لأن الدعوة السلفية هي قطبها ودعامتها، وروحها المحركة، أرجو أن أكون قد وفقت في بيان ما قصدت إليه فيها، فإن أدركت الصواب فمن الله تعالى وبرحمته، وإن أدركني الخطأ فمن نفسي وبتقصيري، والحمد لله أولاً وأخيراً وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الهوامش

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذي وصححه، ووافقه الألباني في صحيح الترمذي من طرق وبألفاظ قريبة.

(٢) سورة المطففين - الآيات من ١ إلى ٦.

(٣) سورة الماعون - الآيات من ١ إلى ٥.

(٤) سورة الفرقان - الآيات ٦٧, ٦٨, ٧٢.

(٥) سورة الروم - الآيات ٢, ٣, ٤, ٥.

(٦) سورة الشعراء - الآية ١٨١.

(٧) سورة الشعراء - الآيات ١٢٨ - ١٣١.

(٨) سورة الأنعام - الآية ٩٠.

(٩) رواه البخاري.

(١٠) رواه مسلم.

(١١) سورة النحل - الآية ١٢٥.

(١٢) سير أعلام النبلاء (١٠/١٦، ١٧).

(١٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٢ - ١٧٣).

(١٤) رواه البخاري.

(١٢) سير أعلام النبلاء (١٠/١٦، ١٧).

(١٣) مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٢ - ١٧٣).

(١٤) رواه البخاري.

(١٥) الإشارة إلى قصة «ماعز» وهي في الصحيح بتمامها.

(١٦, ١٧) نقلاً عن كتاب أخينا الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الصويان (الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية) ١١٨، ١٢٠، وهو من أجود ما كتبه المعاصرون حول هذه المسألة، جزى الله صاحبه خيراً.

صور من
الاعتداء في الدعاء*

خالد بن عثمان السبت

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا ريب أن اللجوء إلى الله تعالى فطرة فطر الله العباد عليها، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة، كما أن الدعاء عبادة عظيمة تُعد من أجلّ الطاعات وأفضل القربات، بل عده النبي ﷺ هو العبادة كما روى ذلك أبو داود وغيره من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً: «الدعاء هو العبادة، قال ربكم ادعوني أستجب لكم»[1].

وقد تظافرت النصوص من الكتاب والسنة في طلبه والثناء على أربابه وهذا أمر معلوم لكل أحد. إلا أن هذه العبادة الشريفة التي تقرب العبد إلى ربه تبارك وتعالى قد يشوبها ما يجعلها موجبة لمقت الله عز وجل وغضبه. قال الله تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخُفْيَةً إنه لا يحب المعتدين﴾[2] فهذه الآية تضمنت الأمر بالدعاء بالوصفين المذكورين أولاً، كما تضمن ما يدل على النهي وذلك

في قوله ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ فهذا يدل على النهي عن الاعتداء في الدعاء.

وحقيقة الاعتداء: مجاوزة حدٍ ما. وقيل: تجاوز الحد في كل شيء[3].

وقد تقاربت أقوال العلماء في بيان معناه هنا - أي المتعلق بالدعاء - وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ .

فقال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لعباده في دعائه وفي غير ذلك من الأمور»[4].

وقال الطرطوشي: «يعني المجاوزين في الدعاء ما أُمروا به»[5].

وقال القرطبي: «والمعتدي هو المجاوز للحد ومرتكب الحظر»[6].

وقال ابن القيم بعد أن ذكر بعض أنواع الاعتداء في الدعاء: «فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله»[7].

ولما كان هذا الأمر - أعني الاعتداء في الدعاء - يكثر وقوعه، رأيت أن الحاجة ماسة للحديث عن هذه الآفة ليحذرها المسلم.

والاعتداء في الدعاء تارة يكون في الأداء والطريقة، وتارة يكون في الألفاظ والمعاني، ويتفرع عن ذلك أمور كثيرة، وسوف أذكر في هذا المقام عشرين نوعاً من أنواع الاعتداء التي يدخل تحت كل نوع منها صور كثيرة:

النوع الأول: أن يشتمل الدعاء على شيء من الشرك: وهذا من أسوأ الاعتداء وأشنعه كما لا يخفى لأن الدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل.

النوع الثاني: أن يطلب نفي مادل السمع على ثبوته : كأن يدعو لكافر أن لايُعذب أو يُخلد في النار، أو يسأل ربه أن لا يبتليه أبداً، أو لا يبعثه، أو أنَّ لا يُدخل أحداً من المسلمين النار، أو أن لا تقوم الساعة . . . ، ونحو ذلك.

النوع الثالث: أن يطلب ثبوت ما دل السمع على نفيه. كأن يدعو على مؤمن أن يخلده الله في النار، أو يدعو لكافر أن يدخله الله الجنة، أو يدعو لنفسه أو لغيره - غير النبي ﷺ - أن يكون أول من تنشق عنه الأرض، أو أول من يدخل الجنة.

أو يسأل ربه الخلود إلى يوم القيامة، أو يطلب الاطلاع على الغيب، أو يسأل العصمة من الخطأ والذنوب مطلقاً.

النوع الرابع: أن يطلب نفي ما دل العقل على ثبوته.

النوع الخامس: أن يطلب إثبات ما دل العقل على نفيه، كأن يسأل ربه أن يجعله في مكانين في وقت واحد، أو كأن يشهد الحج وفي نفس الوقت يكون مرابطاً في الثغور، أو يدعوعلى عدوه أن يكون غير موجود ولا معدوم، أو غير حي ولا ميت «أعني الحياة والموت الحقيقية».

وهذا النوع والذي قبله ذكرتهما تكملة للقسمة في مقام التفصيل والتبيين الذي يغتفر فيه ما لا يغتفر في مقام الإجمال، ولا يخفى ما بين العقل والنقل من الموافقة.

النوع السادس: أن يسأل ما هو من قبيل المُحال عادة : كأن يطلب ربه أن يرفع عنه لوازم البشرية بأن يستغني عن الطعام والشراب، أو النفس، . أو يطلب الولد ولم يتزوج أو يتسرى، أو يسأل الثمر من غير زرع، أو يدعو ربه أن

يعطيه جبلاً من ذهب، أو يمطر عليه السماء ذهباً وفضة، أو يسأل الطيران دون فعل أسبابه العادية المعروفة، أو النصر على الأعداء، أن يجعلهم الله غنيمة للمسلمين، ولم يُعد لذلك العدة، وكأن يسأل النجاح دون دراسة.

النوع السابع: أن يطلب نفي أمر دل السمع على نفيه، فهذا من قبيل تحصيل الحاصل.

كأن يقول: اللهم لا تهلك هذه الأمة بعامة، ولا تسلط عليها عدواً من سوى أنفسها فيستبيح بيضتها فهذان أمران دعا بهما النبي ﷺ وأجيبت دعوته وأخبرنا بذلك، فإن دعوت بذلك كان من قبيل ما ذكرت والله أعلم، ومن ذلك أن يدعو ربه أن لا يدخل الكفار الجنة إن ماتوا على كفرهم.

النوع الثامن: طلب ثبوت أمر دل السمع على ثبوته[8]، وهذا مثل الذي قبله، لكن يفرق في صور عدة بين الدعاء لمعين وبين الدعاء العام.

النوع التاسع: أن يعلق الدعاء على المشيئة[9]، قال البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له» وذكر تحته حديثين:

الأول: حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له»[10] والثاني: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مستكره له»[11].

النوع العاشر: الدعاء على من لا يستحقه. (أي: يظلم في دعائه): أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا يزال يُستجاب للعبد مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم»[12].

وقد جاء في دعاء النبي ﷺ - كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «رب أعني ولا تُعِن علي - إلى أن قال - وانصرني على من بغى عليّ . .»[١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقوله: وانصرني على من بغى عليّ» دعاء عادل لا دعاء معتد يقول: انصرني على عدوي مطلقاً.

ومن الاعتداء قول الأعرابي: «اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً» فقال له النبي ﷺ: «لقد تحجرت واسعاً» يريد رحمة الله»[١٤].

النوع الحادي عشر: طلب تحصيل المحرم شرعاً: كأن يسأل ربه أن ييسر له خمراً يشربها، أو خنزيراً يأكله، أو امرأة يزني بها، أو مالاً يسرقه، أو وقتاً ومالاً ليسافر إلى بلاد الكفر أو الفسق بلا حاجة معتبرة.

النوع الثاني عشر: رفع الصوت فوق الحاجة[١٥].

فإذا كان الإنسان يدعو بمفرده فالأصل في ذلك الإسرار بالمناجاة كما قال تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية**﴾[٢].

لكن إن كان معه من يُؤمن على دعائه، كالإمام في القنوت، أو الاستسقاء أو نحو ذلك، فإنه يرفع صوته على قدر الحاجة، ويُؤمن من خلفه على دعائه دون صياح ورفع زائد على القدر المُحتاج إليه؛ لأن ذلك قد يتنافى والأدب مع الله عز وجل.

وقد فسر بعض السلف قوله تعالى: ﴿**إنه لا يحب المعتدين**﴾[٢] بالذين يرفعون أصواتهم رفعاً زائداً على الحاجة[١٧].

قال ابن المُنيِّر رحمه الله: «وحسبك في تعين الإسرار في الدعاء اقترانه بالتضرع في الآية، فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الدعاء، وإن

دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى، فكذلك دعاء لاخفية ولا وقار يصحبه.

فـائدة: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله فوائد كثيرة تتعلق بخفض الصوت والإسرار بالدعاء[18].

النوع الثالث عشر: أن يدعو ربه دعاءً غير متضرع، بل دعاء مُدل كالمستغني بما عنده المدلّ على ربـه بـه.

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد»[19].

النوع الرابع عشر: أن يسمي الله بغير أسمائه، ويثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولم يأذن فيه، وهذا ظاهر لا يخفى.

النوع الخامس عشر: أن يسأل ما لا يصلح له: مثل أن يسأل منازل الأنبياء، أو أن يكون مَلَكاً لا يحتاج إلى طعام ولا شراب، أو أن يُعطى خزائن الأرض، أو يُكشف له عن الغيب، أو غير ذلك مما هو من خصائص الربوبية أو النبوة.

النوع السادس عشر: تكثير الكلام الذي لا حاجة له، والتطويل في تشقيق العبارات، والتكلف في ذكر التفاصيل، كأن يدعو ربه أن يرحمه إذا وضع في اللحد تحت التراب والثرى، وبين الصديد والدود، وأن يرحمه إذا سالت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تولى الأصحاب، وقسم ماله وترك دنياه، أو يدعو على عدوه أن يخرس الله لسانه، ويشل يده، ويجمد الدم في عروقه وأن يسلب عقله فيكون مع المجانين.. إلخ.

أخرج أبو داود وغيره عن أبى نعامة عن ابن سعد «ابن أبي وقاص» أنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا، فقال: يابُني: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء» فإياك أن تكون منهم، إن أُعطيت الجنة أُعطيتها وما فيها، وإن أعذتَ من النار أُعذت منها وما فيها من الشر»[٢٠].

وأخرج أيضاً عن أبي نعامة أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: «اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها ، فقال: أي بُني، سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[٢١].

ولا شك أن هذا مخالف لهدي النبي ﷺ في الدعاء ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يتخير من الدعاء أجمعه.

أخرج أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدعُ ما سوى ذلك»[٢٢].

وأخرج أيضاً عن قتادة رحمه الله أنه سأل أنساً رضي الله عنه: أي دعوة كان يدعو بها رسول الله ﷺ أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها. «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[٢٣].

وجاء عند البخاري من حديث أنس: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[٢٤].

النوع السابع عشر: أن يتقصد السجع في الدعاء ويتكلفه.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه: «باب ما يكره من السجع في الدعاء» ثم ذكر أثراً عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه. فانظر السجع في الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك إلا الاجتناب»[٢٥].

قال الحافظ: «ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة؛ لأن ذلك كان يصدر من غير قصد إليه، ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله ﷺ في الجهاد: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب» وكقوله ﷺ: «صدق وعده، وأعز جنده» الحديث، وكقوله: «أعوذ بك من عين لا تدمع، ونفس لا تشبع، وقلب لا يخشع» وكلها صحيحة، قال الغزالي: «المكروه من السجع هو المتكلف، لأنه لا يلائم الضراعة والذلة، وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة»[٢٦].

ثم ذكر كلاماً قال بعده: «وقد تتبعت دعوات الأنبياء والمرسلين، والمصطفين من عبادة المخبتين، واستخرجت ما وجدت في القرآن من ذلك فوجدت جميعها: «ربنا ربنا» أو «رب»».

ثم أورد جملة من الأدعية الواردة في القرآن ليدلل على ذكره[٢٧]

النوع الثامن عشر: قصد التشهق كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بحيث لا يكون ذلك بسبب غلبة البكاء وإنما هو أمر يعتمده ويطلبه.

النوع التاسع عشر: أن يتخذ دعاءً من غير الوارد في الكتاب والسنة بحيث يصير ذلك شعاراً له يداوم عليه[28]. كمن يخصص دعاء معيناً بقوله عند ختم القرآن أو غير ذلك.

النوع العشرون: التغني والتلحين والمطيط، قال المناوي: «قال الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم إظهاراً للصناعة النغمية، لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة، بل هو من مقتضيات الرد، وهذا معلوم إن كان قصده إعجاب الناس به، فكأنه قال أعجبوا من حسن صوتي وتحريري»[29].

هذا ما تيسر انتقاؤه من كتب أهل العلم، والله أسأل أن يرزقنا جميعاً العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

* في هذا الموضوع راجع: مسائل الإمام أحمد بن حنبل «رواية صالح» 1/ 171 الفروع 1/ 458، الفتاوى 10/ 713 - 714، الفروق للقرافي 4/ 259-265، تفسير القرطبي، والقاسمي، والمنار للآية رقم 55 من سورة الأعراف، الدعاء للطرطوشي ص 154-155، تلخيص الاستغاثة ص 93-95، بدائع الفوائد 3/ 12-14.

(1) أبو داود رقم (1479)، وانظر صحيح أبي داود رقم (1312).

(2) الأعراف، آية 55.

(3) انظر الكليات للكنوي ص 150.

(4) تفسير الطبري 8/ 207

(5) الدعاء للطرطوشي ص 154.

(6) تفسير القرطبي 7/ 226.

(7) بدائع الفوائد 3/ 13.

(8) ولا يشكل على ذلك بعض ما يشرع لنا طلبه كالوسيلة لنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن هذا الأمر قد تعبدنا الله به.

(9) انظر كتاب الدعاء للطرطوشي ص 48

(١٠) البخاري رقم ٦٣٣٨

(١١) البخاري رقم ٦٣٣٩

(١٢) البخاري ١١/ ١١٩، ومسلم ٢٧٣٥.

(١٣) أحمد ١/ ٢٢٧، أبو داود ١٥١٠، ١٥١١، صحيح أبي داود ١٢٣٠، والترمذي ٢/ ٢٧٢، وابن ماجه ٣٨٣٠

(١٤) تلخيص الاستغاثة ٩٤.

(١٥) انظر كتاب الدعاء للطرطوشي ص ١٥٥-١٨٢، والآداب الشرعية ٢/ ٢٧٢.

(١٦) الفتاوى ٢٢/ ٤٦٨-٤٦٩.

(١٧) انظر: ابن جرير ٨/ ٢٠٧، الدعاء للطرطوشي ١٥٤، بدائع الفوائد ٣/ ١٣، القاسمي ٧/ ١٥٠.

(١٨) انظر الفتاوى ١٥/ ١٥ - ١٩، وبدائع الفوائد جـ٣/ ٦-١٠.

(١٩) بدائع الفوائد ٣/ ١٣.

(٢٠) أبو داود رقم ١٤٨٠، صحيح أبي داود رقم ١٣١٣.

(٢١) أبو داود رقم ٩٦، صحيح أبي داود رقم ٨٧.

(٢٢) أبو داود رقم ١٤٨٢، صحيح أبي داود رقم ١٣١٥.

(٢٣) أبو داود رقم ١٥١٩، صحيح أبي داود رقم ١٣٤٤.

(٢٤) البخاري ٦٣٨٩.

(٢٥) البخاري ٦٣٣٧.

(٢٦) الفتح ١١/ ١٣٩.

(٢٧) الدعاء للطرطوشي ١٤٦-١٥١.

(٢٨) انظر الفتاوى ٢٢/ ٥١١.

(٢٩) فيض القدير ١/ ٢٢٩.

ما هو دوري ؟

أحمد العجروش

إن مآسي الأمة - أيها الحبيب - ليست قصة خيالية تُروى في المجالس ولا حدث يحدث في كوكب ما ، بل هي أحداث صحيحة وخطيرة ، وإن لم يفقه المسلمون الموقف ، فإننا بلا شك مسؤولون يوم القيامة ، ومن هذه المآسي ما يحدث لإخواننا في البوسنة والهرسك ، تلك البلاد المسلمة التي اجتاحتها جحافل الظلم الصربي الذي يقول : «سننقذ أوروبا من الإسلام»!! ، ومآسي أفريقيا التي كساها الجوع والجهل والمرض ، مما ساعد على سيطرة النصارى هناك ، فدخلوا على الصومال وأرتيريا وهدفهم الوحيد السيطرة على الأرض الغنية بكل الثروات ، وإجهاض ما بدا من توجه إسلامي هناك ، وحب للإسلام بين أهله ، ولا ننسى كذلك جنة الدنيا كشمير التي يحتلها الهندوس الحاقدون على الإسلام وأهله .

وبعد هذا ، قد تسأل : ما دوري في ما يحدث ؟ وماذا يجب أن أعمل ؟

الجواب : تستطيع أن تعمل ، ولك دور بلا شك ، لأنك مسلم والإسلام دين قوة وجد وصبر على المصاعب ، والحل - والله أعلم - كالتالي :

١ - يجب العودة والتوبة إلى الله والاعتراف بالذنب ، والاتصال الدائم بالله

مما يساعد على قوة القلب والصبر في طريق الدعوة ، وأن نؤمن بوعد الله ونصره للمؤمنين ؛ لأنه هو الناصر المعين ، قال الله تعالى : ﴿**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾[1] .

٢ - تخليص القلب من الأحقاد التي زرعها المرجفون في قلوبنا حقداً على بعضنا فأنسونا أخوة الإسلام ، ونحن نقف بين يدي الله في صف واحد قال تعالى : ﴿**إنما المؤمنون أخوة ...**﴾[2] .

٣ - إصلاح النفس ودعوتها لطريق الهدى ، وذلك بالعلم النافع والعمل الصالح لكي يسود الخير في المجتمع ، ويكون للإسلام صولة وجولة في كل الميادين ، قال تعالى : ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾[3] .

٤ - إصلاح المجتمع والبدء بالبيت والحي والمدرسة ، وذلك بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والخلق الفاضل ، قال الله تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً**﴾[4] .

وأخيراً أسأل الله أن ينصر إخواننا في كل مكان وأن يثبت أقدامهم ، وأسأله أن يؤلف بين قلوبنا ويجعلنا من الراشدين .

---

(١) سورة محمد ، آية ٧ .

(٢) سورة الحجرات ، آية ١٠ .

(٣) سورة فصلت ، آية ٣٣ .

(٤) سورة مريم ، آية ٥٤ ، ٥٥ .

أنشطة المنتدى الإسلامي

المنتدى الإسلامي مركز من مراكز أهل السنة والجماعة يسير على منهجهم ويدعو إلى أصولهم ويذكر بطريقتهم السليمة من الغلو والانحراف ، وهو يستقبل بكل رحابة صدر أي مسلم مهما كان لونه أو جنسيته .

ويسرنا هنا تقديم هذا التقرير الشامل لبعض أنشطته التي تمت بعون من الله وتوفيقه ثم بتعاونكم وتشجيعكم - لنا - ماديا ومعنوياً ، سائلين الله أن يجعلنا جميعاً من المتعاونين على البر والتقوى ،ونحن في حاجة إلى دعائكم وآرائكم ومؤازرتكم .

أولا - الأنشطة الثقافية : وتشمل الآتي :

١ - **الدورات الشرعية:** تهدف هذه الدورات إلى تصحيح وترشيد العمل الإسلامي، ورفع المستوى العلمي لدى الدعاة، وتأصيله تأصيلاً شرعياً، مبنياً على الكتاب والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح .

وقد قام المنتدى الإسلامي بتنظيم عدد من الدورات الشرعية، بلغ عددها - ولله الحمد والمنة - خمس عشرة دورة، شارك فيها نخبة من العلماء وطلبة العلم والأساتذة والمتخصصون ، وقدم فيها : دروس في العقيدة ومنهج السلف الصالح ، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، والسيرة النبوية

والتاريخ، وحاضر العالم الإسلامي، والآداب الإسلامية.

وكانت الدورات موزعة كالتالي:

في لندن: ست دورات.

بنجلاديش: دورتان. استمرت كل دورة لمدة أربعة أشهر.

السودان: دورتان.

تشاد: دورتان.

مالي: دورة واحدة.

كينيا: دورة واحدة.

أوغندا: دورة واحدة.

٢ - **الملتقيات الدعوية**: تهدف هذه الملتقيات الدعوية إلى معالجة مشكلات الدعوة والدعاة، وتنمية القدرات الدعوية والعلمية لدى المشاركين.

وتم - بحمد الله تعالى - عقد (١٨) ملتقى دعوياً في عدد من الدول، موزعة كالتالي:

- في لندن: ١٦ ملتقى دعوياً، كان آخرها: الملتقى السادس عشر في الفترة من ٢٠-٢١ رجب ١٤١٤ هـ شارك فيه كل من: الدكتور جعفر شيخ إدريس، والدكتور محمد بن سعيد القحطاني، والشيخ عبد الرحمن دمشقية، والأستاذ محمد الأحمري، والأستاذ عثمان رمضان.

- في غانا: ملتقى دعوياً واحداً استمر لمدة عشرة أيام ما بين ٢٤/ ٢ إلى ٥/ ٣/ ١٤١٤ هـ شارك فيه ١٣١ داعية من دول غرب أفريقيا، وكان شعار الملتقى: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾.

- في كينيا: ملتقى دعوياً واحداً استمر لمدة عشرة أيام ما بين ١/ ٣ إلى ١٠/ ٣/ ١٤١٤ هـ، شارك فيه (٨٥) من الدعاة من دول شرق أفريقيا.

٣ - **الحلقات والدروس الأسبوعية** :واظب المنتدى الإسلامي منذ إنشائه على عقد دروس أو محاضرات في كل يوم سبت في مركزه الرئيسي في لندن .

بالإضافة إلى أن كل داعية تابع للمنتدى الإسلامي يكلف بعقد حلقات لتحفيظ القرآن الكريم ، ودروس أسبوعية ثابتة في العلوم الإسلامية .

كما يقوم الدعاة التابعون للمنتدى في مختلف الدول بإلقاء الخطب والمحاضرات ، في شتى المعارف الإسلامية ، في المساجد ، والمدارس ، والتجمعات العامة ، وإقامة حلقات لتحفيظ القرآن الكريم .

٤ - **مطبوعات المنتدى الإسلامي :**

(١) مجلة البيان : بدأ المنتدى الإسلامي بإصدار هذه المجلة في عام ١٤٠٦هـ .

(٢) نشرة المنار (AL MANAR) وهي نشرة تصدر باللغة الانجليزية توزع في جميع أنحاء بريطانيا ، كما توزع في أمريكا ، وتتناول هذه النشرة بعض البحوث المبسطة في الدين الإسلامي ، وهي تهتم بمخاطبة الناطقين باللغة الإنجليزية .

(٣) إصدارات المنتدى الإسلامي : يقوم المنتدى الإسلامي بطباعة الكتب والرسائل المفيدة ، مع الحرص على حسن الاختيار والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة ، ومن هذه الإصدارات :

- جهاد المسلمين في أفغانستان يمر بأخطر مراحله .
- التجديد في الإسلام .
- الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة .
- أيعيد التاريخ نفسه ؟
- رؤية إسلامية للاستشراق .
- الهزيمة النفسية عند المسلمين على ضوء الكتاب والسنة .

- خواطر في الدعوة (جزءان).
- منهج أهل السنة والجماعة في النقد والحكم على الآخرين.
- اعتقاد أهل السنة في الصحابة.
- على من تعرض الصور؟ (مأساة المسلمين في البوسنة).
- علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام.
- البدواة والحضارة (نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون).
- الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي.

(٤) طباعة الكتب المترجمة: قام المنتدى الإسلامي بطباعة عدد من الكتب الإسلامية المترجمة إلى عدد من اللغات، ومنها:

(أ) الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب باللغة الفرنسية.
(ب) الأصول الثلاثة بلغة الهوسا.
(جـ) الخطوط العريضة بلغة الهوسا.
(د) رفع الملام عن الأئمة الأعلام باللغة البنغالية.
(هـ) توجيهات إسلامية (لجميل زينو) باللغة البنغالية.
(و) عقيدة أهل السنة والجماعة(لجميل زينو) باللغة البنغالية.
(ز) مبادئ الإسلام باللغة البنغالية.
(ح) تحفة الأخيار للشيخ عبدالعزيز بن باز باللغة الأندونيسية.
(ط) إلى ابنتي للشيخ علي الطنطاوي باللغة الأندونيسية.
(ي) القضاء والقدر للشيخ محمد بن عثيمين باللغة الأندونيسية.

ثالثا: برنامج تعيين الدعاة

قام المنتدى الإسلامي - بحمد الله تعالى - بتعيين: خمسمائة داعية فى عدد غير قليل من الدول الإفريقية والآسيوية، مثل (كينيا، وأوغند،

والصومال ، وبوركينا فاسو ، وساحل العاج ، وأثيوبيا ، والسودان ، وتشاد ، ومالي، والنيجر، ونيجيريا ، وبنين ، وغانا ، وتوجو ، والسنغال ، وبنجلاديش، وباكستان ، والفلبين ، وأندونيسيا . . وغيرها) ؛ ليكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إسهاماً في نشر منهج أهل السنة والجماعة . ويخضع تعيين الداعية لشروط عدة ، من أهمها :

١- سلامة المنهج معتقداً وسلوكاً .

٢- الكفاءة العلمية .

٣- الكفاءة الدعوية .

- وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناء عليها ، وتتم متابعة الداعية عن طريق المشرف الدعوي في المنطقة نفسها ، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك . ومن خلال زيارات دورية يقوم بها مسؤولو المنتدى الإسلامي إلى مناطقهم حيث يتم توجيههم وإرشادهم .

- ويحرص المنتدى الإسلامي على رفع المستوى الشرعي والدعوي لهؤلاء الدعاة عن طريق الدورات الشرعية ، والملتقيات الدعوية ، وتوفير المكتبات والكتب ، ونحوها .

رابعاً - حلقات تحفيظ القرآن الكريم :

يهتم المنتدى الإسلامي اهتماماً خاصاً بكتاب الله عز وجل حفظاً وتلاوة ودراسة ، من خلال إقامته لحلقات وخلوات تحفيظ القرآن الكريم ، ويبلغ عدد الحلقات التي يشرف عليها المنتدى (٤١٨) حلقة ، يستفيد منها - بحمد الله تعالى - : (١٢٥٤٠) طالباً وطالبة .

وتتوزع هذه الحلقات في عدد كبير من الدول ، منها : كينيا ، وأوغندا

وتشاد، ومالي ، والسنغال ، والصومال ، وأثيوبيا ، وغانا ، وباكستان وبنجلاديش، والفلبين ،وغيرها .

- وقد أعد المنتدى خطة متكاملة للارتقاء بمستوى الحلقات، ووضع منهجاً علمياً رديفاً في التوحيد، والفقه، والتفسير ، والآداب الشرعية .

- يهتم المنتدى الإسلامي بالنشاط التعليمي اهتماماً بالغاً، إذ أن العلم ركيزة رئيسة من ركائز البناء والعطاء، ويشرف المنتدى الإسلامي - بفضل الله تعالى - على ٢٧ مدرسة ، يستفيد منها قرابة ٥٠٠٠ طالب وطالبة ، وهي موزعة كالتالي :

في لندن : توجد مدرسة واحدة .

في كينيا : توجد ١٢ مدرسة ابتدائية .

في غانا : أقام المنتدى ثمان مدارس .

في أثيوبيا : توجد مدرستان .

في أوغندا : يوجد مركز تعليمي واحد يحتوي على الروضة ، والمرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

في النيجر : مدرسة متوسطة .

في باكستان : يوجد مجمعان تعليميان يضم كل منهما المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية .

ويحرص المنتدى الإسلامي على توفير المناهج الدراسية اللازمة حيث وزعت ٢٠٠٠ نسخة من الكتب على بعض المدارس الإسلامية في غانا و ٥٠٠٠ كتاب في بنجلاديش .

سادساً - القوافل الدعوية :

المناطق الإسلامية مناطق كبيرة مترامية الأطراف وعرة المسالك والدروب، وقد انتشر الإسلام - بحمد الله تعالى - في مختلف الأدغال والقرى النائية ، ولكن غلب الجهل على المسلمين في المدن الرئيسة فضلاً عن القرى والهجر

النائية، مما جعل البدع والشركيات والسحر والكهانة تنتشر في أوساط المسلمين انتشاراً واسعاً. ومثل هؤلاء الجهلة هم البيئة الخصبة غالباً للنشاط الكنسي حيث أقيمت المراكز التنصيرية في القرى النائية، واستقر المنصرون يعملون بين المسلمين.

ولصعوبة الانتقال من منطقة إلى أخرى، ولوعورة الطرق وخطورتها في بعض الأحيان، كلف المنتدى الإسلامي دعاته بإعداد القوافل الدعوية التي تنطلق إلى مختلف الأماكن التي ينتشر فيها المسلمون وغيرهم من الوثنيين والنصارى، وذلك حرصاً على الوصول إلى الأماكن البعيدة، والدعوة لنشر العقيدة السلفية الصافية، ومحاربة البدع والخرافات.

ومن أجل أن يكون تأثير القافلة على المستوى الأمثل، رأى المنتدى أن يرسل طبيباً مع كل قافلة لعلاج المرضى وتوزيع الأدوية، كما تحمل القافلة أحياناً بعض الملابس والمواد الغذائية، وبعض الكتب باللغات المحلية، وذلك من أجل تأليف الناس وتقريبهم إلى الإسلام.

وقد تم - بفضل الله تعالى - تنفيذ (١٨) قافلة دعوية، موزعة كالتالي:

في الفلبين: قافلتان.

في نيجيريا: أربع قوافل.

في بنجلاديش: قافلتان.

في كينيا: أربع قوافل.

في الصومال: أربع قوافل.

في السودان: قافلة واحدة.

في أوغندا: قافلة واحدة.

وأثمرت هذه القوافل - بحمد الله تعالى - نتائج إيجابية مشجعة للمزيد

من العطاء، حيث أقبل الناس على العلم، وبدأوا يتعرفون على العقيدة الصحيحة، والعبادات السليمة، إضافة إلى الوثنيين الذين يسلمون على أيدي هؤلاء الدعاة.

سابعاً - بناء المساجد :

قام المنتدى الإسلامي - بحمد الله تعالى - ببناء ١٣٥ مسجداً وجامعاً، في أماكن ودول مختلفة، موزعة كالتالي :

باكستان : أربعون مسجداً .

بنجلاديش : خمسة وعشرون مسجداً .

غانا : ثلاثة عشر مسجداً .

كينيا : سبعة عشر مسجداً .

الصومال : أحد عشر مسجداً .

أوغندا : سبعة مساجد .

تشاد : ستة مساجد .

أندونيسيا : خمسة مساجد .

مالي : ثلاثة مساجد .

الفلبين : ثلاثة مساجد .

السودان : مسجدان .

نيجيريا : مسجد واحد .

السنغال : مسجد واحد .

أثيوبيا : مسجد واحد .

ويحرص المنتدى الإسلامي على تعيين داعية مؤهل في كل مسجد يقوم ببنائه، ليتولى الإمامة، وإقامة الدروس الشرعية، ووعظ الناس، وتدريس كتاب الله عز وجل .

ثامناً - المراكز الإغاثية :

قام المنتدى الإسلامي - بحمد الله تعالى - بإنشاء ٢٥ مركزاً إغاثياً، اثنان منها في أثيوبيا، والباقي في كينيا في مواقع اللاجئين الصوماليين.

كما قام المنتدى الإسلامي بنشاط إغاثي واسع في وسط الصومال وشماله، ونشاط إغاثي في مواقع اللاجئين البورميين في بنجلاديش، استفاد منه حوالي

عشرة آلاف لاجئ بورمي.

كما أعد المنتدى حملات إغاثية عاجلة للمتضررين من الفيضانات في بنجلاديش، حيث تم بناء سبعين مسكناً، ووزعت المواد الغذائية والملابس.

ويحرص المنتدى الإسلامي على أن يكون النشاط الإغاثي طريقاً للنشاط الدعوي، بتعيين الدعاة في أوساط اللاجئين، وبناء المساجد، وافتتاح حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتوزيع المصاحف والكتب.

تاسعاً - حفر الآبار:

نتيجة لموسم الجفاف والقحط الذي ساد القارة الأفريقية، وحاجة المسلمين إلى مصادر للمياه النقية، عمل المنتدى الإسلامي - ولازال يعمل - على سد حاجة المسلمين في هذه المناطق وغيرها بالمياه الصالحة للشرب.

وقد حفر المنتدى الإسلامي حتى الآن ٦٥ بئراً سطحياً، وبئرين ارتوازيين موزعة كالتالي:

غانا: ٢٣ بئراً.	باكستان: ١٢ بئراً.
أثيوبيا: ٨ آبار.	أوغندا: بئر واحد.
الصومال: ١٠ آبار.	مالي: بئر واحد.
بنجلاديش: ٨ آبار.	كينيا: بئران.

بالإضافة إلى بئر ارتوازي في كينيا وبئر ارتوازي يعمل بالطاقة الشمسية في تشاد.

عاشراً - مشروع مكافحة العمى:

أقام مركز السند الإسلامي بالباكستان باشراف المنتدى الإسلامي وتنظيمه وإدارته مخيماً طبياً لمدة خمسة أيام في تشاد في الفترة من ١٤/٦ إلى

١٩/٦/١٤١٤ هـ لمعالجة أمراض العيون كانت حصيلته ـ ولله الحمد والمنة ـ ما يلي :

علاج : أكثر من ٥٠٠٠ مريض ، مع صرف الأدوية اللازمة .

إجراء : ٣٧٨ عملية .

توزيع : أكثر من ١٥٠٠ نظارة .

وقد رافق هذا المخيم نشاط دعوى مكثف شارك فيه أربعون داعية ، حيث تم توزيع ١٢,٠٠٠ شريط ، وكمية كبيرة من المصاحف والكتب باللغتين العربية والانجليزية .

ومن حصيلة هذا المخيم المباركة : إسلام ٢٣ نصرانياً ، وسوف يأتي إن شاء الله تعالى في العدد القادم تقرير مفصل عن هذ المخيم .

حادي عشر – مشروع إفطار الصائمين :

يقوم المنتدى الإسلامي سنوياً – بفضل الله تعالى – بإعداد مشروع لإفطار الصائمين في عدد من دول العالم الإسلامي ، كان من آخرها برنامج إفطار صائم في رمضان ١٤١٣ هـ. وبلغ إجمالي ا لمبالغ المصروفة على هذا البرنامج حوالي (٤٣٨,٠٠٠ دولار أمريكي) ، وكان عدد إجمالي الوجبات المقدمة (٨٣٦٩٩٣) وجبة شملت (١٨) دولة .

وصاحب هذا البرنامج محاضرات ودروس يومية في العقيدة والصلاة والصيام والسيرة والتفسير والآداب والرقائق .

ثاني عشر – رحلة الحج والعمرة :

ينظم المنتدى الإسلامي سنوياً رحلة حج وعمرة لخدمة الجالية المسلمة في بريطانيا ، وقد شارك في رحلة الحج السادسة لعام ١٤١٣ هـ : ١٠٠ مسلم

ومسلمة بالإضافة إلى رحلات العمرة ، ويقدم في هذه الرحلات عدد من الدروس والمحاضرات واللقاءات العلمية مع العلماء وطلاب العلم .

وبعد : فهذا بعض من الأنشطة التي قام بها المنتدى الإسلامي إضافة إلى مشروعات متفرقة مثل كفالة الأيتام ومراكز الخياطة والمناهج الدراسية وغيرها .

ومن الجدير بالذكر أنه يجري الآن الإعداد لافتتاح أربعة معاهد لتأهيل الدعاة في كل من أثيوبيا وغانا والسودان وكينيا وذلك من أجل تربية وإعداد الدعاة المؤهلين لحمل راية أهل السنة والجماعة .

والله نسأل أن يبارك في هذه الجهود الخيرة ، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ، وأن يوفقنا لإكمال هذه المسيرة على المنهاج الصحيح الذي ارتضاه الله تعالى لعباده المؤمنين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مكاتب المنتدى الإسلامي في افريقيا

م	الدولة	ص.ب.	هاتف	فاكس
١	أثيوبيا	—	٢٠٠٢٥٦	٢٠٠٢٥٦
٢	أوغندا	١٠٣٦٣	٢٥٠١٣٨	٢٥٠١٣٧
٣	السودان	٨٠١٧	٢٢١٥٣٦	—
٤	السنغال	٧٧٥	٥١١٥٧٧	—
٥	تشاد	٦١٦	٥١٥٤٧٧	—
٦	جيبوتي	—	٣٤١٦٨٦	—
٧	غانا	٢٠	٧٧٦٤٣٩	٧٧٣٦٣٧
٨	كينيا	٧٧٨٠٢	٣٤١٦٨٦	—
٩	نيجيريا	—	٧٨٠٣٨٤	—

تنوير أم تزوير ؟!

أحمد العويمر

مر على أمتنا الإسلامية فترة حرجة منذ القرنين الماضيين عاشت فيها أسوأ مراحل حياتها ، حينما كانت – في الغالب – بعيدة عن أصالة إسلامها بعقيدته الصحيحة وأصوله الفكرية المعتبرة ، وحُكمَت في جل أقطارها بزعامات لا تعرف الحكم بما أنزل الله وإنما حكمت بما توارثته من أحكام عشائرية أو أنظمة مستوردة ؛ فكان نتيجة ذلك أن ركدت العقول وانحسر المد الإسلامي وتضاءل أثر العلماء العدول في التوجيه ، مما انعكس على الأمة جمعاء بجهل مريع وانحطاط مزمن، بينما أوروبا تستيقظ ، وتكشّر عن أنيابها ؛ لتستعمر جل ديار الإسلام حتى يعلن أحد قادتها أمام قبر القائد المسلم (صلاح الدين) : «ها نحن عدنا يا صلاح الدين» ، وحينما دخلت الخيل الأزهر لم يجد بعض العلماء في ذلك الوقت وسيلة للتحرك ضد الغزو القادم سوى التجمع لقراءة الأحزاب والأوراد التي لا تخلو من شركيات !

وكانت النتيجة الحتمية فشلاً ذريعاً للأمة ، وبداية السقوط في معركة المواجهة الحضارية . وحينما حز ذلك في نفوس بعض النابهين من أبناء الأمة رأوا أن السبيل لمواجهة ذلك الغزو ليس إلا فقه العصر ومعرفة علومه وفنونه وإعداد العدة للمواجهة ، وعندما اختيرت نخبة من أبناء مصر للدراسة في

الغرب للتخصص في مختلف العلوم التقنية آنذاك ، كان إمام البعثة (الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي) والذي تأثر بالواقع الفرنسي وما يعيشه من نهضة وتقدم، فنقل الشيخ ما رآه ولمسه وأعجبه هناك من أنظمة وعادات وتقاليد في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) داعياً لاقتفائها ، وألّف بعض الكتب ومنها (مناهج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية) و(المرشد الأمين في تربية البنات والبنين) . . لقد ذهب الشيخ إماماً وعاد داعية من دعاة التغريب فيما انتهى إليه من فكر ، والسر - والله أعلم - أنه لم ينطلق من أسس عقدية صحيحة أو منهجية علمية ، وإلا لما نقل لنا بكل إعجاب صوراً من الدستور الفرنسي والأنظمة الغربية الكافرة داعياً لتطبيقها في بلاد المسلمين.

إنه بتلك الروح الانهزامية نكص بالفعل عن مهمته الدعوية ، وهذا ما وضحه بجلاء العلامة (د. محمد محمد حسين) - رحمه الله - في (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) و(الإسلام والحضارة الغربية) ، ولذلك لا نعجب حينما نرى أدعياء التنوير المعاصرين اليوم بعد فشلهم في مشروعهم العلماني لتغريب المجتمع العربي المعاصر ، ودعايتهم المتواصلة له ، نجدهم يلجأون لإعادة طبع كتب رموز التغريب القدامى الذين يسمونهم (رواد التنوير) أمثال : رفاعة الطهطاوي ، وقاسم أمين ، وسلامة موسى ، وغيرهم ، والتي مع ما وضعوه لها من دعاية وطبعات شعبية ورخص في السعر ، لم تجد سوى الكساد لأن أولئك لا يمثلون الإسلام الحقيقي وإنما هم الفئة المنهزمة الممثلة لفترة تبعية وتغريب أمتنا ، وشبابنا اليوم يعرفون أولئك حق المعرفة فهم مهما لمعوا وأقيمت لهم المؤتمرات والندوات والدعايات الساذجة ، يبقون في نظر الشباب المسلم ليسوا سوى دعاة تزوير لا دعاة تنوير.



مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

رئيس مجلس الإدارة

د/ عادل بن محمد السليم

مدير التحرير

أحمد أبو عامر

المدير الإداري

د/ عادل دعبول

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

ماذا بعد (١٥) عاماً من الثورة ؟!

احتفلت إيران مؤخراً بمرور خمسة عشر عاماً على ثورتها ضد الشاه والتي تلقاها الكثيرون من الناس - حينها - بالقبول وحسن الظن لما أعلنته من إسلامية المبدأ والهدف! لكن تبين أن ذلك الظن ليس في محله لما يلي :

- التوجه الطائفي المتطرف المخالف لأصول أهل السنة في مصدر التلقي.
- العنصرية الفارسية حيث أنه لا يتأتى لغير فارسي حكم إيران حتى ولو كان شيعياً.
- النهج التآمري في مسألة (تصدير الثورة) والذي يتراوح بين القوة واللين حسب الظروف.
- الموقف المعادي لأهل السنة من شعبها إلى حد أنه يسمح لليهود والنصارى والمجوس بحقوقهم بينما يحرم منها أولئك ، ومحاربتها لعلماء السنة معروفة.

لم تكن هذه الثورة إلا طائفية شيعية أما أن تكون (إسلامية) حقاً فهذا ما لا يتفق مع حقائق الوحيين.

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الأصولية ومدى موضوعية الطرح

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد . .

يلاحظ أن ما يسمى الأصولية اليوم في خضم الزخم الإعلامي الكبير الذي أعطي لها على كل المستويات - لاسيما من قبل المعادين للإسلام - قد استخدمت أبشع استخدام لمحاربة الإسلام ذاته ، وإظهار المتمسكين به بأنهم هم المتطرفون والإرهابيون ، وهم الخطر القائم ضد العالم كله !

ونحن بادىء ذي بدء نؤكد على أن مصطلح الأصولية بالفهم الذي يشيعه الغرب ، ويروجه أذنابه بوسائل إعلامهم في كثير من البلاد العربية والمهجر ، إنما هو معنى طارىء على مجتمعنا الإسلامي ، لأنه يعني في الأساس مفهوماً غربياً يصور الصحوة البروستانتية النصرانية ، ويعني أيضاً الالتزام الصارم بالعقيدة الأرثوذكسية المعارضة للاتجاهات التحررية ؛ لكن الغربيين الذين يعيشون هاجس الخطر الدائم المناوىء لهم الذي صوروه - سابقاً - في دراساتهم وأبحاثهم وأدبياتهم متمثلاً في (الشيوعية) ، قد حولوا ذلك الهاجس إلى الإسلام بالتحذير منه ومن الصحوة الإسلامية التي انتشرت في طول بلاد الإسلام وعرضها ورميها بكل نقيصة ، والمتابع لطروحاتهم يلمس فيها جعلهم الإسلام ومعتنقيه العدو

الجديد للحضارة الغربية ومن أمثلة ذلك :

١ - محاضرة المستشرق اليهودي الأمريكي (برنارد لويس) بعنوان (الأصولية الإسلامية) التي كانت محل عناية الإعلام الغربي وتعليقه ؛ لأنه صب فيها جام حقده على الإسلام ودعاته .

٢ - أما صاحب (انتهزوا الفرصة) فهو يقول في هلع ورعب مُفْتَعَلَين بعد سقوط الشيوعية : أصبحت الأصولية الإسلامية هي العدو الأول .

٣ - أما الصهيوني العجوز (كسينجر) فهو في أحدث المقابلات معه يقول : إن ما يشغله حتى العشر سنوات القادمة الأصولية والهجرة الجماعية .

يتبين للمتابع لهذه الأقوال وأمثالها ما تشكله من عداء مستكن في الصدور مما ظهر على ألسنتهم ووضحته أفعالهم ، والحقيقة أن هذا العداء العنيف للإسلام وأهله لا يستغرب لما يلي :

* أن القرآن الكريم قد وضح لنا عداء الكفار بقوله تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ (البقرة ، ١٢٠) ، وبقوله تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم** ﴾ (البقرة ، ١٠٩).

* أن العالم الإسلامي الذي ذاق الأمرين من المستعمر ، ونهبت خيراته ، لديه من مقومات النهضة والقوة ما لو أتيح له المجال لنبذ التبعية للغرب، وتمرّد على نظمه وقوانينه ، وهذا ما يخيفهم.

* الموقع المهم للعالم الإسلامي ، وتحكمه في كثير من الممرات الاستراتيجية التي لها أثرها في التجارة العالمية.

أين الإنصاف ؟!

والعجيب أن الإعلام الغربي بكل اتجاهاته ، وبشتى وسائله يقوم بحرب شعواء على الإسلاميين بأساليب منها :

* المزيد من حملات التشنيع عليهم، ومهاجمتهم أحياناً بطرق تضاهي (الأساليب البوليسية العربية) في ملاحقتها للإسلاميين.

* توريط الإسلاميين في قضايا مزورة للإيقاع بهم كما حصل وكشفت عنه الأخبار مؤخراً.

* مضايقة اللاجئين لديهم وسن القوانين التي تحد من حريتهم وحقوقهم المدنية.

تطرف وإرهاب أيضا . ولكن ؟!

ومما يؤكد العداء للإسلام وحده في الغرب والشرق هو التجاهل لتطرف الأصوليات غير الإسلامية مع ما تقوم به من إرهاب ودمار ومآسي وتهديد ليس لدول بعينها وإنما للسلام العالمي ، ومع ذلك تُدَس الرؤوس في الرمال ، ويتناسى كل ذلك.

فهناك الأصولية اليهودية التي يتاح لها الحرية في العمل السياسي وربما لا تقوم حكومة صهيونية إلا بدعم منها كما هو الحال مع (جماعة كاخ) - مثلاً - التي مازالت تطالب بقتل وطرد الفلسطينيين ، ومازالت تلك فلسفتهم كما سطرها زعيمهم الهالك (كاهانا) في كتابه (شوكة في عيونكم) ، ويعني بالشوكة الشعب الفلسطيني. ومع ذلك لا يوجه لهم أي نقد لا لشيء إلا لأنهم غير مسلمين!

وهناك الأصوليات النصرانية التي كثرت الدراسات العلمية الموضحة لاتجاهاتها ومنها : (النبوءة والسياسة) لجريس هالسل ، و(الأصولية الإنجيلية)

للأستاذ محمد السمّاك .

ولا يغيب عن البال المذابح الدامية التي أقامها متطرفو النصارى في جويانا وفي أمريكا التي لم تنل (واحداً في المئة) من الحرب الإعلامية ضد المسلمين .

وهناك التطرف الهندوسي والتطرف البوذي اللذان لا تسلط الأضواء عليهما ولا يحاربان ، لا لشيء إلا لأنهما لا ينتسبان إلى الإسلام ، أما تطرف (جيرينوفسكي) وتهديده لأوربا بالحرب (النووية) فهو محل متابعة الإعلام الغربي ، ولم يطالب حتى بمحاكمته ، أو الضغط على روسيا لكبح جماحه .

حتى انت يا افورقي !

وبما أن تشويه الإسلام والمسلمين ووصمهم بالتطرف هو حديث الساعة فقد صرح الصليبي المتصهين (أسياسي أفورقي) متهماً السودان بأنه يجند الأصوليين لحرب دولته ، حتى ينال على ذلك الدعم ، ويكثف من التوجه الغربي للتدخل في السودان بزعم حماية نصارى الجنوب ! .

لقد عضّ هذا الصليبي اليد التي أيدته وساعدته ، بل ومنعت المجاهدين الأريتيريين من مواصلة حربهم ضده ، كما نقلت الأخبار في ذلك الوقت قوله - وبكل غطرسة - حين سُئل عن المجاهدين المناوئين له : أين هؤلاء دلوني عليهم ، ثم عاد للصراخ اليوم داعياً لإنقاذ نفسه من خطرهم، ولعله ليأخذ مقابل ذلك (المعلوم) .

هذه مواقف الغرب من العداء للإسلام ودعاته ، لكن ما يجب أن يفهمه الجميع أن الموقف الإسلامي من الغرب ليس بالضرورة موقف العداء لهم ماداموا لا يعادون الإسلام ، ولا يعملون لدمار دياره ، ولا يضعون المعوقات في طريق نهضته وقوته .

يقول الله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ (الممتحنة ، ٨) ، وموقف الإسلام من أهل الذمة والمستأمنين مبسوط في كتب الفقه ، وحسبنا قوله ﷺ : «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة . . » الحديث رواه البخاري .

إننا ندعو إلى تبني الإنصاف - الذي كثيراً ما يدعون إليه في وسائل إعلامهم ، أما أذنابهم في الإعلام العربي - وحتى الكتاب الذين ينظِّرون لوأد الاتجاه الإسلامي من كتاب اليسار واليمين المتطرف - وهم أحقر من أن يذكروا - فإنهم لن يكفوا عن أساليبهم في حرب الدعوة والدعاة حتى يكف أسيادهم عن ذلك ، وحينها سيخجلون من مواصلة الكذب بلا طائل ، لأن أساليبهم إياها أصبحت محل استهجان ومقت القراء الذين صاروا يتجنبون مطبوعاتهم التي تقوم على الكذب والتزوير والإثارة ، وستبقى تلك الأساليب ضد الإسلام ودعاته وصمة عار على من يكتبها ، ومن يدعمها .

﴿ **إنهم يكيدون كيداً * وأكيدُ كيداً * فمهل الكافرين أمهلهم رويداً** ﴾
«الطارق ، آية ١٥ ، ١٦ ، ١٧»

دروس
من حياة سلفنا الصالح

عبدالعزيز آل عبداللطيف

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فإن الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء عليهم السلام ، وسبيل العلماء الربانيين، ولذا كانت أفضل القربات ، وأعظم المقامات .

قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ .(1)

والدعوة إلى الله تعالى لابد أن تكون صحيحة المقصد ، سليمة المنهج وهذا هو سبيل دعوة نبينا محمد ﷺ ومن تبعه بإحسان ، كما قال عز وجل : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ .(2)

ولقد سلك سلفنا - رحمهم الله - هذا الطريق ، فأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر وعلموا الناس الخير ، وبلّغوا البلاغ المبين عبر وسائل متعددة : كالتدريس والحسبة ، والوعظ ، والفتيا ، والقضاء وغيرها . . . لقد قام أولئك

السلف بهذه الدعوة ابتغاء وجه الله تعالى ، لا يريدون من الناس جزاءً ولا شكوراً وفي الوقت نفسه التزموا بسلامة المنهج من خلال الاتباع وترك الابتداع .

والصحوة الإسلامية المعاصرة بحاجة إلى التعرف على أمثلة عملية ومشاهد واقعية من دعوة السلف الصالح ؛ لكي تكون تلك المواقف حافزاً مشجعاً للتأسي بهم ، والسير على منوالهم .

قال أحد العلماء : «من نظر في سيرة السلف عُرف تقصيره ، وتخلفه عن درجات الرجال» .

وهذه المقالة تحوي جملةً من المشاهد الدعوية من حياة السلف ، نعرضها على النحو التالي :

كان زاذان يشرب المسكر ، ويضرب بالطنبور ، ثم رزقه الله التوبة على يد عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – فصار زاذان من خيار التابعين ، وأحد العلماء الكبار ، ومن مشاهير العباد والزهاد .[٣]

وإليك قصة توبته ، كما يرويها زاذان نفسه قائلاً :

«كنت غلاماً حسن الصوت ، جيد الضرب بالطنبور ، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ وأنا أغنيهم ، فمر ابن مسعود فدخل فضرب الباطية (الإناء) فبددها وكسر الطنبور ، ثم قال : لو كان ما يسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت ، ثم مضى ، فقلت لأصحابي : من هذا ؟ قالوا : هذا ابن مسعود ، فأُلقيت في نفسي التوبة ، فسعيت أبكي ، وأخذت بثوبه ، فأقبل عليّ فاعتنقني وبكى وقال : مرحباً بمن أحبه الله ، اجلس ، ثم دخل ، وأخرج لي تمراً» .[٤]

- ولنا وقفة مع هذه القصة ، فمن خلال هذا السياق نلمس صدق ابن مسعود رضي الله عنه وحسن نيته ، وصحة قصده في دعوته لزاذان ، مما كان سبباً في هداية الرجل وتوبته وكما قال عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ) - رحمه الله - معلقاً على تلك القصة :

«انظر إلى بركة الصدق والطاعة وحسن النية ، كيف هدى الله زاذان بعبدالله بن مسعود لما كان صادقاً حسن السيرة ، فلا يصلح بك الفاسد حتى تكون صالحاً في ذات نفسك ، خائفاً لربك إذا خلوت ، مخلصاً له إذا خالطت غير مراء للخلق في حركاتك وسكناتك ، موحداً لله عز وجل في ذلك كله وحين يزاد في توفيقك وتسديدك ، وتحفظ عن الهوى والإغواء من شياطين الجن والإنس والمنكرات كلها والفساق والبدع والضلالات أجمع ، فسيزال بك المنكر من غير تكليف ، ومن غير أن يصير المعروف منكراً ، كما هو في زماننا ، ينكر أحدهم منكراً واحداً ، فيتفرع منه منكرات جمة ، وفساد عظيم . .»[٥].

- وأمر آخر نستفيده من هذه القصة ، وهو أن ابن مسعود رضي الله عنه سلك أولى الوسائل الشرعية في تغيير المنكر ، فلما كان قادراً على تغيير المنكر بيده ، أزاله بيده فكسر الطنبور ، وأتلف وعاء النبيذ.

لقد ضرب ابن مسعود رضي الله عنه مثالاً رائعاً في الشجاعة والإقدام على الصدع بالحق ، وتغيير المنكر ، لا يخاف في الله لومة لائم ، مع كونه وحيداً ، وهم جماعة كما هو ظاهر سياق القصة ، إضافة إلى قصره ونحافته - رضي الله عنه.

لكن لما كان ابن مسعود معظماً لحرمات الله تعالى وشعائره أورثه ذلك مهابةً وإجلالاً . . وصدق عامر بن عبد القيس - رحمه الله - حيث يقول : «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله ، أخافه الله من كل شيء»[٦].

ومع هذا التغيير باليد ، فإننا ندرك مدى شفقة ابن مسعود رضي الله عنه وكمال رفقه ، وتمام نصحه لزاذان ، فإن زاذان لما أقبل تائباً ، أقبل عليه ابن مسعود - رضي الله عنه - وعانقه وبكى فرحاً بتوبة زاذان ، وحياه بأجمل عبارة مرحباً بمن أحبه الله ، كما قال سبحانه :

﴿ إن الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين ﴾[7] ، ليس هذا فحسب بل أجلسه وأدناه ، وأعطاه تمراً.

وهكذا كان أهل السنة يعلمون الحق ويدعون إليه ، ويرحمون الخلق وينصحون لهم .

- كما نلحظ من هذه القصة ذكاء ابن مسعود وفطنته[8] ، فانظر كيف استجاش زاذان إلى التوبة ، فإن زاذان كان مغنياً جسن الصوت ، فقال له ابن مسعود : «لو كان ما سمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن لكنت أنت أنت» وفي رواية قال : «ما أحسن هذا الصوت ! لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن» .

إن التوجيه السديد للمواهب والقدرات ، ووضعها في محلها الملائم شرعًا ، إضافة إلى مراعاة طبيعة النفس البشرية ، والعلم بنوازعها ومشاعرها ، عامل مهم لنجاح الدعوة فإن النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء فلابد من مراعاة «البديل» المناسب ، وهذا ما فقهه ابن مسعود رضي الله عنه وغاب عن الكثيرين .

يقول ابن تيمية : « . . . الدين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه ، فلا ينهى عن منكر إلا ويأمر بمعروف يغني عنه كما يأمر بعبادة الله سبحانه ، وينهى عن عبادة ما سواه ، إذ رأس الأمر شهادة أن لا إله

إلا الله ، والنفوس خلقت لتعمل ، لا لتترك ، وإنما الترك مقصود لغيره» .[9]

كان حبيب العجمي من ساكني البصرة ، وكان من أهل التجارة والأموال، حتى حضر مجلساً للحسن البصري رحمه الله ، وسمع موعظته فوقعت موعظته من قلبه ، فصار من أفضل زهاد أهل البصرة وعبادها .

وإليك القصة تفصيلاً :

«كان الحسن البصري يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه كل يوم ، وكان حبيب العجمي – رحمه الله – يجلس في مجلسه الذي يأتيه أهل الدنيا والتجارة وهو غافل عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شيء من مقالته ، إلى أن التفت يوماً فسأل عما يقوله الحسن البصري ، فقيل له : يذكر الجنة ، ويذكر النار ، ويرغب في الآخرة ، ويزهد في الدنيا ، فوقر ذلك في قلبه ، فقال : اذهبوا بنا إليه فأتاه ، فقال جلساء الحسن يا أبا سعيد هذا حبيب قد أقبل إليك فعظه، وأقبل عليه فأقبل عليه الحسن فذكّره الجنة وخوّفه النار ، ورغّبه في الخير ، وزهده في الدنيا فتأثر حبيب بتلك الموعظة ، وتصدق بأربعين ألفا ، وقنع باليسير ، وعَبَدَ الله حتى أتاه اليقين» .[10]

أخي القارىء : لعلك تلحظ صدق الحسن البصري – رحمه الله – في دعوته ، وسلامة قصده ، حتى أثرت موعظته في قلب حبيب العجمي ، فنقلته تلك الموعظة الصادقة من ضجيج الأسواق ، وصخب التجارة إلى أن صار عابداً زاهداً ، ذا دعاء مستجاب ، وكرامات مأثورة كما صار صاحب بذل وإنفاق في سبيل الله تعالى .

وما أروع مقالة مالك بن دينار في هذا المقام :

«الصدق يبدو في القلب ضعيفاً ، فيتفقده صاحبه ، ويزيده الله تعالى حتى يجعله الله بركة على نفسه ، ويكون كلامه دواءً للخاطئين» .

ثم قال مالك : «أما رأيتموهم ؟» ثم يرجع إلى نفسه فيقول : «بلى والله لقد رأيناهم : الحسن البصري ، وسعيد بن جبير وأشباههم ، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام [الجماعات] من الناس» .(11)

ولما سمع زين العابدين علي بن الحسين موعظة للحسن ، قال : «سبحان الله هذا كلام صدّيق» .(12)

ولقد سئل أحد العلماء : «ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟» فقال : «لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلباً للدنيا ورضا الخلق» .(13)

- ومن أسباب الانتفاع بمواعظ الحسن البصري ومجالسه ، أنه رحمه الله كان قدوة صالحة ، ولم يكن رحمه الله ممن يقولون ما لا يفعلون ، «قيل لعبد الواحد صاحب الحسن البصري : « أي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ ؟ وكان فيكم علماء وفقهاء » . قال : «كان الحسن إذا أمر بشيء كان أعمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له» .(14)

- وأمر آخر يسترعي الانتباه في هذه الحادثة ، وهو عناية الحسن بموضوعات الرقائق والزهد والسلوك ، حتى كان للحسن البصري مجلس خاص من مجالسه ، لا يكاد يتكلم فيه إلا عن معاني الزهد والنسك ، فإن سأله إنسان غيرها ، تبرم وقال : «إنما خلونا مع إخواننا نتذاكر» .(15)

إن غالب مواعظ الحسن ووصاياه كانت في ذم الدنيا ، والنهي عن طول

الأمل ، والأمر بتزكية النفوس ، وتصحيح المقاصد والنيات .

وما أحوجنا إلى مثل تلك المواعظ والزواجر من أولئك الأئمة الأعلام وهكذا كان الوعاظ في قديم الزمان «علماء فقهاء» كما قاله ابن الجوزي .(١٦)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : «ما أحوج الناس إلى قاص صدوق» .(١٧)

ولقد كان الحسن - في كثير من الأحيان - يزهد في الدنيا ويحذر منها ويرغب في الآخرة ، وهذا مسلك نبوي مأثور ، فقد قال ﷺ : «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج لكم من بركات الأرض ، قيل وما بركات الأرض قال زهرة الدنيا . . . » .(١٨)

ولذا كان الحسن يقول : «والله ما عجبت من شيء كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر ، وأيم الله إن حبها لمن أكبر الكبائر ، وهل تشعبت الكبائر إلا من أجلها ؟ وهل عُبدت الأصنام ، وعُصي الرحمن إلا لحب الدنيا ، فالعارف لا يجزع من ذلها ، ولا ينافس بقربها ، ولا يأسى لبعدها» .(١٩)

وصدق الحسن ، فغالب الكبائر نابعة من حب الدنيا : فالسرقة ، والزنا والحسد ، والكذب ، والكبر ، والرياء وغيرها من أجل حب الدنيا ، والتكالب عليها بل إن الله تعالى قد أخبر في كتابه العزيز أن الكفر واستحقاق العذاب بسبب حب الدنيا وإيثارها على الآخرة ، فقال تعالى : **﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾** .(٢٠)

وهنا ملاحظة أخيرة : أن بعض التائبين يعتزلون الحياة من أجل العبادة

وهذا فيه نظر، إذ لا يصح أن كل تائب لابد أن يكون على ذلك المنوال: منقطعاً وزاهداً عن الأخذ بأسباب الحياة المباحة، فتلك رهبانية حُذرنا منها. وصدق الله العظيم القائل: **﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾**.[٢١]

فإن من مميزات ديننا الحنيف الوسطية: **﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾**[٢٢] لا رهبانية ولا مادية وإنما يكون المسلم عابداً لله، ساع في الأرض عاملاً أي عمل مناسب يكفي نفسه حاجاتها، ولا يكون عالة على غيره، ولم يعرف الانقطاع للعبادة إلا بعد القرون الفاضلة، يوم جاءت الصوفية وطقوسها المبتدعة، ومعلوم موقف الرسول ﷺ من الثلاثة الذين سألوا عن عبادته في الصلاة والصيام والزواج فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فعزموا على خلافها فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني».[٢٣]

ساق أبو نعيم في «الحلية» بسنده إلى إبراهيم بن سليمان الزيات، حيث قال: كنا عند سفيان الثوري، فجاءت امرأة فشكت ابنها وقالت: يا أبا عبدالله أجيؤك به تعظه؟ فقال: نعم جيئي به، فجاءت به، فوعظه سفيان بما شاء الله فانصرف الفتى، فعادت المرأة بعد ما شاء الله، فقالت: جزاك الله خيراً يا أبا عبدالله، وذكرت بعض ما تحب من أمر ابنها، ثم جاءت بعد حين فقالت: يا أبا عبدالله ابني ما ينام الليل ويصوم النهار، ولا يأكل ولا يشرب فقال: ويحك م ذاك؟ قالت: يطلب الحديث، فقال: احتسبيه عند الله».[٢٤]

سفيان الثوري أحد الأئمة الكبار، وكان أمّاراً بالمعروف لا يخاف في الله

لومة لائم ، حتى قال أحدهم : «كنت أخرج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً» .[25]

كما أنه - رحمه الله - مهتم بأحوال المسلمين ، ومن ذلك ما قاله يحيى بن يمان : «تقاوم سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ليلة حتى الصبح فكانا يتذاكران في أمور المسلمين» .

وفي هذه القصة نلحظ حسن تصرف تلك المرأة تجاه مشكلة ابنها ، فقد ذهبت إلى سفيان الثوري ، وعرضت مشكلتها عليه ، وطلبت منه أن يعظ ابنها وتجلت لنا سرعة استجابة سفيان لطلب تلك المرأة ، وحسن خلقه وتواضعه ، فقد بادر إلى إجابة طلبها ووعظ ابنها ، فحسن حال هذا الابن ، حتى جاءت المرأة شاكرة لسفيان حسن صنيعه ، ولم يقف أثر موعظة سفيان عند هذا الحد فحسب بل إن هذا الابن ازداد استقامة وسلوكاً واهتماماً بطلب الحديث ، وتحصيل العلم الشرعي ، فصار كل وقته في طلب العلم والحديث ، مما جعل المرأة تحكي حال ابنها - في المرة الثالثة - قائلة : ابني ما ينام الليل ويصوم النهار . . يطلب الحديث .

وهكذا عملت تلك الموعظة في قلب هذا الفتى حتى صار من أهل الجدّ والاجتهاد في طلب الحديث .

كما نلمس في هذه القصة شيئاً من المتابعة المستمرة من المرأة نحو ابنها وإبلاغ سفيان بتلك المتابعات ، والانتفاع - بعدها - برأيه وتوجيهه .

هذه ثلاثة مشاهد جلية من دعوة السلف الصالح ، وفي ثنايا كتب التراجم الكثير من تلك المشاهد الرائعة ، فالله الله في التأسي بهم ، فمن كان مستناً فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة .

* * * * *

هوامش :

(١) فصلت ، آية (٣٣).
(٢) يونس ، آية (١٠٨).
(٣) انظر ترجمته في : حلية الأولياء ٤/ ١٩٩ ، والبداية والنهاية ٩/ ٤٧ ، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٠ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨١ .
(٥) الغنية ١/ ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٦) صفة الصفوة ٣/ ٢٠٨ .
(٧) البقرة ، آية (٢٢٢).
(٨) قال الذهبي : «كان ابن مسعود معدوداً في أذكياء العلماء» انظر سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦٢ .
(٩) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٦١٧ .
(١٠) حيلة الأولياء ٦/ ١٤٩ - بتصرف ، وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٤ .
(١١) حلية الأولياء ٢/ ٣٥٩ .
(١٢) أخبار الحسن البصري لابن الجوزي ص ٢٢ .
(١٣) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤/ ١٢٢ .
(١٤)،(١٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٦٨ .
(١٦) أخبار الحسن البصري لابن الجوزي ص ٦٨ .
(١٧) أخبار الحسن البصري .
(١٨) جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها .
(١٩) حلية الأولياء ٦/ ١٣ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٩ .
(٢٠) النحل ، آية ١٠٦-١٠٧ .
(٢١) القصص ، آية (٧٧).
(٢٢) البقرة ، آية (١٤٣)
(٢٣) متفق عليه .
(٢٤) حلية الأولياء ٤/ ٦٥ ، ٦٦ .
(٢٥) حلية الأولياء ٦/ ٥٠ .

نظرة في مناهج المفكرين المعاصرين في دراسة العقيدة

عثمان جمعة ضميرية

ألمحت في مقالة سابقة إلى بعض العوامل والمؤثرات التي آلت بكتب العقيدة تحت مسمى «علم الكلام» إلى قليل أو كثير من الانحراف في المنهج والتعقيد في الأسلوب ، مما جعلها تبتعد عن المنهج القرآني في مخاطبة النفوس والعقول لإنشاء العقيدة التي تؤثر في سلوك الإنسان وحياته ، وكان لابد من مواجهة هذه الآثار ، فقام بعض المفكرين المعاصرين* باستجلاء الأساس الفكري العقدي للإسلام وصياغته صياغة جديدة يرجى لها أن تكون مؤثرة ، لأنها تربط المسلم بالمصدر الأساس لهذه العقيدة وهو «القرآن الكريم»، والتطبيق العملي له وهو «السنة النبوية» ، فنشأ عندئذ البحث في «التصور الإسلامي ومقوماته».

- ١ -

التصور الإسلامي هو : الفكرة العامة التي جاء بها الإسلام عن الوجود كله (الكون ، الحياة ، الإنسان) ، ومقومات هذا التصور هي : مجموعة الحقائق العقدية الأساسية التي تُنشيء في عقل المسلم وقلبه ذلك التصور الخاص للوجود وما وراءه من قدرة مبدِعة وإرادة مدبرة ، وما يقوم بين هذا الوجود وهذه الإرادة من صلات وارتباطات[(١)] .

ولعل أول من استخدم هذا المصطلح - التصور الإسلامي - هو المفكر

الإسلامي المعروف أبو الأعلى المودودي ، أمير الجماعة الإسلامية في الباكستان - رحمه الله - فكتب في ذلك كتابه : «الحضارة الإسلامية : أسسها ومبادؤها» وكتابه : «نظام الحياة في الإسلام» ، وأقامهما على هذه الفكرة .

- ٢ -

ثم أقام الأستاذ سيد قطب كتابه المعروف : «العدالة الاجتماعية في الإسلام**» على هذا الأساس ، فكتب فيه فصلاً عن نظرة الإسلام للوجود ليكون قاعدة لبحث النظام الاقتصادي والعدالة الاجتماعية ، ووعد ببحث مفصل عن ذلك ، وكان أن أنجز وعده ، فصدر أولاً : «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» (القسم الأول : الخصائص) ، وبعد سنوات من إعدامه ظلماً - رحمه الله - صدر القسم الثاني من الكتاب عن «مقومات التصور الإسلامي» في عام ١٤٠٦ هـ ، ويحدد المؤلف - رحمه الله - منهجه في البحث فيقول :

«منهجنا في البحث عن «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة - بعد الحياة في ظلال القرآن طويلاً - وأن نستحضر - بقدر الإمكان - الجو الذي تنزلت فيه كلمات الله للبشر والملابسات الاعتقادية والاجتماعية والسياسية التي كانت البشرية تتيه فيها وقت أن جاءها هذا الهدي ، ثم التيه الذي ضلت فيه بعد انحرافها عن الهدي الإلهي!

ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم أن لا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً - لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية - من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم إليها نصوصه ، أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة .

ثم إننا لا نحاول استعارة «القالب الفلسفي» في عرض حقائق «التصور الإسلامي» إقتناعاً منا بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة «الموضوع» وطبيعة

«القالب» ، وأن الموضوع يتأثر بالقالب ، وقد تتغير طبيعته ويلحقها التشويه ، إذا عرض في قالب في طبيعته وفي تاريخه عداء وجفوة وغربة عن طبيعته ، الأمر المتحقق في موضوع التصور الإسلامي والقالب الفلسفي ، والذي يدركه من تذوق حقيقة هذا التصور كما هي معروضة في النص القرآني .

وكلمة أخرى في المنهج الذي نتوخاه في هذا البحث أيضا :

إننا لا نستحضر أمامنا انحرافاً معيناً من انحرافات الفكر الإسلامي ، أو الواقع الإسلامي ، ثم ندعه يستغرق اهتمامنا كله ، بحيث يصبح الرد عليه وتصحيحه هو المحرك الكلي لنا فيما نبذله من جهد في تقرير «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» ، إنما نحن نحاول تقرير حقائق هذا التصور - في ذاتها - كما جاء بها القرآن الكريم كاملة شاملة ، متوازنة متناسقة ، تناسق هذا الكون وتوازنه ، وتناسق هذه الفطرة وتوازنها .

ذلك أن استحضار انحراف معين ، أو نقص معين ، والاستغراق في دفعه ، وفي صياغة حقائق التصور الإسلامي للرد عليه منهج شديد الخطر وله معقباته في إنشاء انحراف جديد في التصور الإسلامي لدفع انحراف قديم والانحراف انحراف على كل حال ![2] .

ولعله مما يحتم هذا المنهج أن ندرك ثلاث حقائق هامة :

الأولى : أن أول ما وصل إلى العالم الإسلامي من مخلفات الحضارة الإغريقية واللاهوت المسيحي - وكان له أثر في توجيه الجدل بين الفرق المختلفة وتلوينه - لم يكن سوى شروح متأخرة للفلسفة الإغريقية ، منقولة نقلاً مشوهاً في لغة سقيمة ، مما نشأ عنه اضطراب كثير في نقل هذه الشروح !

الثانية : أن عملية التوفيق بين شروح الفلسفة الإغريقية والتصور الإسلامي كانت تنم عن سذاجة كبيرة ، وجهل بطبيعة الفلسفة الإغريقية وعناصرها الوثنية العميقة ، وعدم استقامتها على نظام فكري واحد ، وأساس

منهجي واحد ، مما يخالف النظرة الإسلامية ومنابعها الأصيلة .

والثالثة : أن المشكلات الواقعية في العالم الإسلامي - تلك التي أثارت ذلك الجدل منذ مقتل عثمان «رضي الله عنه» - قد انحرفت بتأويلات النصوص القرآنية وبالمفاهيم الإسلامية انحرافاً شديداً ، فلما بدأت المباحث لتأييد وجهات النظر المختلفة ، كانت تبحث عما يؤيدها من الفلسفات والمباحث اللاهوتية بحثاً مغرضاً في الغالب ، ومن ثم لم تعد تلك المصادر - في ظل تلك الخلافات - تصلح أساساً للتفكير الإسلامي الخالص الذي ينبغي أن يتلقى مقوماته ومفهوماته من النص القرآني الثابت في جو خالص من عقابيل تلك الخلافات التاريخية . .»[٣] .

وهذا المنهج الذي سلكه المؤلف - رحمه الله - يجعل النص القرآني هو الأصل الذي يتولى تقرير الحقائق التي يتألف منها البحث ، ويجعل عبارة المؤلف مجرد عامل مساعد يجعل النص القرآني مفهوماً - بقدر الإمكان - للقارىء فيعقد بذلك الألفة بين قارىء هذا البحث وبين القرآن ذاته ، فيتعود التعامل مع القرآن ذاته مباشرة ، ويشعر أن في هذا القرآن غناء كاملاً وشاملاً في كل حقيقة من حقائق الوجود الأساسية[٤] ، ويجب ألا ننسى مكانة السنة الصحيحة في هذا الباب لقول الرسول ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) أي السنة .

ومهما قلت في ذلك الكتاب الممتع ، فلست ببالغ ما أريد ، ولست موفيه حقه ، فحسبي هذه الإشارة إلى أهميته ومنهجه ، ليكون ذلك دافعاً للقارىء أن يعود إليه بالدراسة المتأنية العميقة ، والبحث الدقيق ، ليكون ذلك خطوة على طريق العمل بهذا التصور والتفاعل مع مقتضياته ومستلزماته .

- ٣ -

وأما الأستاذ محمد المبارك - رحمه الله - فقد قدم كتابين في هذا المجال

انطلاقاً من الفكرة السابقة ، أولهما : «العقيدة في القرآن» ، وهو بحث مبتكر في العقيدة يعرض لها على أنها نظرة شاملة مترابطة الأجزاء ، ويسلك في عرضها أسلوب العصر الحديث من حيث التعبير ومناهج البحث والاستدلال بدلاً من أن يسير في أعقاب المتكلمين ووفقاً لطرائقهم في البحث ، التي تأثروا فيها بنظريات ومفاهيم الفلسفة القديمة ، لاسيما بعد اتساع آفاق الكشف العلمي للكون أو الطبيعة .(٥)

ثم كتب أيضاً الجزء الأول من «نظام الإسلام» - العقيدة والعبادة - نهج فيه المنهج نفسه ، وهو أوسع من الكتاب الأول ، حيث يعرض فيه لحقائق الوجود ويضع العقيدة في موضعها من نظام الإسلام ، فهي اللبنة الأساسية في بنائه ، وهي التي تمد باقي أجزائه بالحياة وتحدد اتجاهاتها ومعالمها .

وطريقة المؤلف في بحثه تعتمد على الأسس التالية :

١ - نصوص القرآن والسنة ، وذلك بتتبع جميع الآيات والأحاديث التي تتصل بموضوع من الموضوعات ، مراعياً في فهم الآيات تفسير الصحابة والصدر الأول دون التأويلات الشاذة .

٢ - الاسترشاد بآراء السلف الأول في فهم الإسلام ، والاستئناس برأي من جاء بعدهم في مختلف العصور .

٣ - الربط بين الأحكام الجزئية ، وجمع شتاتها ، واستخراج الأفكار العامة والقواعد الكلية التي تنتظمها ، دون التزام التصنيفات والتقسيمات التي اعتمدها المؤلفون القدامى .

٤ - بذل الجهد في أن يكون تعليل الآراء وحكمة الأحكام من النصوص الأصلية نفسها ، والبعد عن التعسف في التأويل والتعليل ، والبعد عن الآراء الشاذة .

٥ - صياغة الأفكار صياغة تتناسب مع المخاطبين في هذا العصر من حيث

طريقتهم في التفكير وأسلوبهم في التعبير ، مع الحفاظ على المفاهيم الإسلامية دون انتقاص أو تحريف[6] .

- ٤ -

وهناك كُتَّاب آخرون أيضاً عرضوا لفكرة جديدة أو منهج جديد في الكتابات العقدية ، ومن ذلك ما قام به الدكتور عبدالمجيد النجار في كتابه «فقه التدين فهماً وتنزيلاً» (الجزء الثاني) ، ومقدمته لكتاب «تفصيل النشأتين» للراغب الأصفهاني وضع فيها بين أيدي الباحثين مخططاً عاماً لما يمكن أن يكون بنية عامة لمنظومة إسلامية في «الإنسان» تستمد مادتها من العقيدة الإسلامية[7] .

---

(١) مقومات التصور الإسلامي للأستاذ سيد قطب ، ص ١ ؛ وانظر أيضا ص ٧٩ .

(٢) خصائص التصور الإسلامي ، مقتطفات من ص (١٦-١٩) .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٣-١٤ .

(٤) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٣٨ .

(٥) انظر : العقيدة في القرآن ، طبع دار الفكر ، بيروت .

(٦) نظام الإسلام : العقيدة والعبادة ، ص ٢١-٢٥ .

(٧) انظر : تفصيل النشأتين ، تقديم المحقق ، ص ٩ وما بعدها ، وقد أشار إلى جملة ممن كتب في موضوع «الإنسان» وعجبت من أنه لم يشر إلى أول من خص هذا الموضوع بكتاب رائد فريد ، وهو الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - ، فلست أدري هل اطلع على «الخصائص والمقومات» أم لم يطلع عليها ؟ وقد صدرا منذ أمد ، وتكررت طباعتهما ، وصدرت دراسات عنهما في المغرب العربي الذي يعيش فيه الدكتور النجار بعد دراسته في مصر .

---

* وقام قبلهم أئمة السلف ببيان أصول ومسائل العقيدة من الكتاب والسنة الصحيحة بعيداً عن الفلسفة وعلم الكلام والمنطق .

** كتاب (الإسلام والعدالة الاجتماعية) لا يمثل فكر الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - فيما انتهى إليه من نضج فكري ، إذ أن هذا الكتاب من أولى دراساته الإسلامية وتضمن بعض الهنات والملحوظات التي لا تخفى على المتأمل .

- البيان -

منهج التفسير التاريخي

قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها

(٢)

د. محمد آمحزون

تمهيد:

في الحلقة الأولى تطرق الكاتب لبيان المقصود من دراسة التاريخ ، وماذا يعني بالمنهج وبين أنه قسمان : منهج التوثيق ، ومنهج التفسير التاريخي ، وهو ما اقتصر على بيان دوره في دراسة التاريخ وفقاً للتصور الصحيح المبني على الموازين الشرعية ، ثم بدأ ببيان القواعد المنهجية لتفسير الحوادث والحكم عليها ، وذكر ثلاثاً منها وهي :

القاعدة الأولى : اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام.

القاعدة الثانية : الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث.

القاعدة الثالثة : أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين.

ويواصل الكاتب عرض بعض منها فيما يأتي: - البيان -

القاعدة الرابعة - العوامل المؤثرة في حركة التاريخ :

إن المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ منهج شامل لكل الدوافع والقيم التي تصنع التاريخ ، وهو غير واقف أمام حدود الواقع المادي المحدود الظاهر للعيان فقط بل إنه يتيح فرصة لرؤية بعيدة ، يستطيع المؤرخ معها أن يقدم تقييماً حقيقياً وشاملاً أكثر التحاماً مع الواقع لأحداث التاريخ الإنساني ، وذلك لأنه يأخذ في

الحسبان مدى أثر العوامل المادية والنفسية المحيطة بالإنسان ، مع مراعاتها والاعتراف بها كافةً ، دون تضخيم لبعضها أكثر من حجمه ، وقبل هذه العوامل ومعها وبعدها قدر الله جل وعلا وأمره النافذ ، فإنه لا راد لقضائه وأمره.

وهذا سر المفارقة بين المنهج الإسلامي وبقية المناهج الأخرى الوضعية التي تفسر التاريخ تفسيراً عرقياً أو جغرافياً أو اقتصادياً أو نفسياً ، ولم تحسب حساباً لكافة العوامل المؤثرة في حركة التاريخ ، وإنما اكتفى كل واحد منها بعامل وضخمه ، وفسر به تاريخ الإنسان كله.

إنه لابد من ملاحظة كل العناصر الفاعلة في الحدث التاريخي من عوامل مادية ومعنوية ، فالإنسان ذو أبعاد فسيحة وأغوار عميقة ، وكل الظواهر التي تتصل به على درجة عالية من التعقيد في الأفكار والمبادىء والمواقف والعادات وفي الاجتماع والاقتصاد . . . كل أولئك يتشكل ويتبلور نتيجة نسيج معقد من العوامل.

وإذا كان هذا هو الواقع ، فإن تفسير أية ظاهرة إنسانية وتعليلها بعلة مفردة غير صحيح ولا دقيق ، ولنضرب مثالاً على ذلك بموقعة بدر الكبرى هل كان هناك سبب أو عامل واحد أدى إلى انتصار المسلمين ، أم يا تُرى تضافرت عدة عوامل ليتوج بها المسلمون انتصاراتهم على أعدائهم الذين يفوقونهم عدداً وعدة.

مما لا شك فيه أن المتأمل في هذا الحدث الفاصل في تاريخ الإسلام يجد بعد الاستقراء والدراسة أن عدة أسباب ساهمت في انتصار المسلمين وهي :

أولاً : العقيدة الراسخة : إذ كان للمسلمين هدف معين ومحدد وهو نشر

الإسلام حتى يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا .

ثانياً : **المعنويات العالية** : فقد كانت معنويات المسلمين في بدر عالية جداً نظراً لثقتهم الأكيدة بوعد الله ونصره .

ثالثاً : **الشورى** : وهو المبدأ الذي التزم به الرسول ﷺ منذ خروجه إلى بدر .

رابعاً : **القيادة الموحدة** : فقد كان الرسول ﷺ هو القائد العام في معركة بدر وكان المسلمون يعملون يداً واحدة تحت قيادته ، وكان انضباطهم مثالاً رائعاً للانضباط الحقيقي .

خامساً : **التعبئة الجيدة** : فقد طبق الرسول ﷺ أثناء اقترابه من بدر تشكيلة لا تختلف عن التعبئة الحديثة في حرب الصحراء ، حيث كان للمسلمين مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، كما استفاد النبي - عليه الصلاة والسلام - من دوريات الاستطلاع للحصول على المعلومات .

سادساً : **معرفة طبوغرافية أرض المعركة** : حيث كان الرسول ﷺ أشد حرصاً على دراسة أرض المعركة ، والتعرف على ظاهراتها الطبيعية قبل أن يدفع قواته إليها ، ويتعرف المسلمين على تضاريس أرض بدر سيطروا على موارد المياه ببدر وعطلوا الآبار في الجهة التي يفترض أن يقدم إليها المشركون .

وهكذا فإن انتصار المسلمين لا يرجع إلى سبب أو عامل واحد ، بل أثرت عدة عوامل إيمانية ونفسية وتنظيمية واستراتيجية وجغرافية في نتيجة المعركة لصالح المسلمين .

ولنعط مثالاً آخر: فلا يمكن أن يقال - مثلاً - : إن الشعب الأفغاني صمد في وجه المحتلين بسبب إيمانه ، أو بسبب صعوبة تضاريس أرضه من جبال وكهوف أو بسبب رصيد الفطرة لديه ، أو بسبب العون الخارجي ، أو بسبب وجود قواعد خلفية له في بلد مجاور . .

إنه لم ينفرد سبب واحد من هذه الأسباب بولادة ظاهرة الصمود ، بل إنها جميعاً مع أسباب أخرى أسهمت في إيجاد وضع متميز يستمد تميزه من خصوصية شروطه وأسبابه .

إن إدراك مقومات النفس الإنسانية جميعها روحية وفكرة وجسدية لا يتوفر في غير المنهج الإسلامي ؛ لأن التصور الصحيح عن هذه القضايا المؤثرة والفاعلة في الحدث التاريخي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي المعصوم من الخطأ «الكتاب والسنة» .

فبواسطة التلقي من الوحي يعرف المسلم هذه العوامل ، ويعرف قدر كل عامل وقيمته وتأثيره في النفس ، والنسب الصحيحة للعلاقات بين تلك العوامل جميعاً ؛ لأن مصادر تلقيه من لدن الله جل وعلا ، الحكيم الخبير الذي يعلم خبايا النفس الإنسانية ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض أو في السماء .

القاعدة الخامسة - العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم والتثبت فيما يقال عنهم:

يقول الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في هذا الصدد : «واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق ، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل»(1) .

وقد قعّد ابن تيمية - رحمه الله - بواسع علمه وعميق فهمه قاعدة جليلة

في الإفتاء في أي قضية يراد معرفة حكم الله فيها ، وذلك في بداية فتواه الشهيرة عن التتار وحكم قتالهم ، فقد ذكر أن الحكم على أي طائفة أو قوم يقوم على أصلين : أحدهما المعرفة بحالهم ، والثاني معرفة حكم الله في أمثالهم ، وهذان الأصلان يقومان على الحكم المنافي للجهل ، إذ الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيرة»[٢] .

وعلى هذا الأساس ينبغي التحري فيما يروى عن الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة - رضي الله عنهم - فالمعرفة بحالهم تدل على كمال إيمانهم وصدقهم وحسن سريرتهم وفعلهم للخيرات وتضحيتهم بالنفس والنفيس في سبيل الحق ، كل ذلك يرفع منازلهم إلى درجات عالية مما يجعلهم جميعاً - من لابس الفتن منهم ومن لم يلابسها - أهلاً للاقتداء بهم ، وأهلاً للرواية ، تقبل أخبارهم في أعلى درجات القبول ، وتوزن أعمالهم بميزان الورع والإحسان ، مما ينفي عنهم ما نسب إليهم من أوصاف سيئة ، هذا علاوة على بيان حكم الله فيهم . إذ تواترت النصوص الشرعية في تزكيتهم وتعديلهم .

فلا جدال في أن الصحابة - رضوان الله عليهم - قدوة لكل مسلم فيما يتعلق بأمور الدين ، ولا مجال للطعن في تدينهم وصحة عقيدتهم وسلامة أخلاقهم ، لكن ذلك لا يمنع أن يقع منهم الخطأ ، إذ ليسوا معصومين ، ولذلك فإن ما وقع بينهم من خلافات سياسية هي من قبيل الأمور الاجتهادية التي لا تقدح في مكانتهم السامية ، وإذا سجل التاريخ تلك الخلافات فلا ينبغي أن تحمل على محمل الانتقاص منهم .

وقد أمر الله جل وعلا المؤمنين بالرجوع إلى ما علموا من إيمان إخوانهم الذي يدفع السيئات ، وأن يعتبروا هذا الأصل العظيم ولا يعبؤوا بكلام

المتربصين والمغرضين الذي يناقضه ويقدح فيه ، فيحسنوا الظن بإخوانهم ، بل يدحضوا ما يروج ضدهم من شائعات وافتراءات تمس كرامتهم ، وتحط من أقدارهم.

يقول الله تعالى زجراً للمؤمنين عن مجاراة الشائعات التي يتقولها أهل السوء في إخوانهم المؤمنين : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين** ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾[٤].

وقد دلت الآيتان على قاعدة مهمة وهي : «الرجوع إلى الأمر المعلوم المحقق للخروج من الشبهات والتوهمات ، وقد يعبر عنها بأن الموهوم لا يدفع المعلوم وأن المجهول لا يعارض المحقق»[٥].

وبناء على هذا لابد من الرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة لمعرفة الحقيقة ، فلا يؤخذ من الكذابين والفاسقين وأصحاب الأهواء لأن فسقهم وهواهم يدفعهم إلى تصوير الأمر على خلاف حقيقته ، وإن المرء المسلم مطالب شرعاً بالتثبت والتبيّن مما يسمع ، لقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[٦]. ولقول الرسول ﷺ : «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[٧] ، وقوله ﷺ : «إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث»[٨] ، ولذلك كانت عناية علماء أهل السنة موجهة إلى بيان من يحمل عنه العلم أو الخبر ، ومن لا يؤخذ عنه كقول بعضهم في هذا الباب : «باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها»[٩] ، إذ أن تقدير الرجال لا يؤخذ إلا من العالم العارف الثقة البصير بأحوال المسلمين.

وهناك مجموعة من المقاييس ينبغي الأخذ بها في هذا الشأن ، وهي :

* عدم إقحام الحكم على عقائد ومواقف الرجال بغير دليل في ثنايا سرد الأعمال ، إذ أن الحكم على أقدار الناس يجب أن يكون قائماً على حسن الظن حتى يثبت خلاف ذلك.

* عدم تجاوز النقل الثابت إلى إيراد الظنون والفرضيات ، ومن فضل الإسلام أن نهى عن ذلك ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل ، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الكذب ، وإنما حسن الأدب هو رده وتنقية سيرة الصدر الأول منه ، كما أن حسن الأدب يقتضي السكوت عن الظنون ، والكف عن اقتفاء ما لا علم لنا به يقيناً ، وكثيراً ما تلح على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، وقد أمرنا الشرع أن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجية فيما نشهد من حاضرنا ، ففي الآية ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾[10] ، فكيف بمن يشهد بالظن والهوى فيمن أدبر من القرون ؟!

* إن الإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط وعدم مسايرة الهوى في شنآن أو في محبة ، ويأمر باتباع العلم لا الظن ، وتمحيص الخبر والتثبت فيه أن يصاب قوم بجهالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون ؟!

القاعدة السادسة - الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف:

والأصل في هذه القاعدة قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب**

للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون ﴾[١١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، وليس بجهل وظلم كحال أهل البدع»[١٢] .

ويدخل ضمن هذه القاعدة العدل في وصف الآخرين ، والمقصود به هو العدل في ذكر المساوىء والمحاسن والموازنة بينها .

فمن المعلوم أن أحداً لا يسلم من الخطأ لقول النبي ﷺ : «كل بني آدم خطاء»[١٣] ، ولذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوىء ، كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوىء لوجود عداوة أو شحناء بينه وبين من يصفه ، فالله عز وجل أدبنا بأحسن الأدب وأكمله بقوله : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾[١٤] .

وحين نجد من يذم غيره بذكر مساوئه فقط ، ويغض النظر عن محاسنه فإن ذلك يرجع في العادة إلى الحسد والبغضاء أو إلى الظنون والخلفيات والآراء المسبقة ، أو إلى التنافس المذموم ، ولكن المنصفين هم الذين يذكرون المرء بما فيه من خير أو شر ولا يبخسونه حقه ، ولو كان الموصوف مخالفاً لهم في الدين والاعتقاد أو في المذهب والانتماء .

ومن العلماء الذين برزوا في هذا الشأن الحافظ الذهبي - رحمه الله - فمن خلال كتابه النفيس «سير أعلام النبلاء» أنصف من ترجم لهم من الأعلام فلم يبخس أهل البدع أو الفسق ما لهم من صفات جيدة ، بل أنصفهم بذكر ما لهم وما عليهم ، يقول مثلاً عن الأشتر النخعي : «أحد الأشراف الأبطال المذكورين ، وكان شهماً مطاعاً زعراً[١٥] ألّب على عثمان وقاتله ، وكان ذا

فصاحة وبلاغة»[١٦] .

ويقول في ترجمة الحكم بن هشام : «وكان من جبابرة الملوك وفساقهم ومتمرديهم ، وكان فارساً شجاعاً ، فاتكاً ذا دهاء وعتو وظلم ، تملك سبعاً وعشرين سنة»[١٧] .

ويقول في ترجمة الجاحظ الأديب المعتزلي : «العلامة المتبحر ذو الفنون وكان أحد الأذكياء ، وكان ماجناً قليل الدين ، له نوادر»[١٨] .

وقال عن عبدالوارث بن سعيد : «وكان عالماً مجوداً ، ومن أهل الدين والورع ، إلا أنه قدري مبتدع»[١٩] .

وقال أثناء حديثه عن ثابت بن قرة : «الصابيء الشقي الحراني ، فيلسوف عصره ، وكان يتوقد ذكاءً»[٢٠] .

ومنهج الذهبي هذا في العدل والإنصاف في وصف الآخرين منهج علمي دقيق ، وهو منهج أهل السنة والجماعة في حكمهم على غيرهم ، ولذلك ينبغي لكل من رام الإنصاف أن لا يحيد عن هذا المنهج السوي المعتبر ، وأن يتقي الله عز وجل في وصف من يترجم لهم ، أو يتحدث عنهم من الحكام والقادة والعلماء والفقهاء والإخباريين والمؤرخين وغيرهم ، ويتكلم بعدل وإنصاف .

القاعدة السابعة - العبرة بكثرة الفضائل :

فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث ، وكذلك من غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك ، وفي هذا الصدد يقول الحافظ الذهبي : «وإنما العبرة بكثرة المحاسن»[٢١] .

وهذه القاعدة جليلة تعد بمثابة منهج صحيح في الحكم على الناس ؛ لأن

كل إنسان لا يسلم من الخطأ ، لكن من قل خطؤه وكثر صوابه فهو على خير كثير ، والإنصاف يقتضي أن يغتفر للمرء الخطأ القليل في كثير صوابه .

ومنهج أهل السنة هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب أو الخطأ والنظر إليه بعين الإنصاف .

وهناك قاعدة أخرى يمكن اعتبارها في هذا الباب وهي «العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية»[٢٢] .

القاعدة الثامنة - إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد :

أما إن المجتمع الإسلامي يسير على السنن الطبيعية لكل المجتمعات ، فهذا حق ، ونحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً من أن تسري عليه هذه السنن ، إلا أن يكون نبياً أو رسولاً ، ومن هنا يجب أن نعلم أن الذين صنعوا التاريخ رجال من البشر يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان وإن كانوا من كبار الصحابة وأجلائهم ، إلا أنه ينبغي إحالة الحوادث إلى الخطأ في الاجتهاد ، ونذكرما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من أن المجتهد المخطىء له أجر ، والمصيب له أجران[٢٣] فهو على كل حال مأجور ، فلا ننقصه وقد آجره الله ، كما أنه قد تشهد له دلائل وفضائل أخرى ، وتشفع له مواقف ثابتة .

وعليه فإنه ينبغي للمسلم أن يرد كل خبر يطعن في عدالة الصحابة ، وأن ينزه أصحاب رسول الله ﷺ عن الطمع والشح والغدر والخديعة والغفلة واللؤم والفسق والظلم والاستبداد وأكل الأموال بالباطل ، وكل الأخلاق التي تطعن في العدالة وتعد من الفسق وخوارم المروءة ، وأنهم إن كانوا غير معصومين فهم عدول ، وأن ما اجتهدوا فيه سواءً أتعلق بالدماء أم تعلق بالأموال فهم فيه

مأجورون ، وأنهم إن جازت عليهم المعاصي إلا أنهم يتوبون ويستغفرون فيتوب الله عليهم ويغفر لهم ، وأن لهم فضل الصحبة التي خصوا بها ، ونالوا بها من الفضل ما لم يدركه أحد بعدهم .

الهوامش :

(١) الطبري : تاريخ الرسل ، ج ، ص ٢٧٩ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ص ٥١٠ .

(٣) سورة النور ، الآية ١٢ .

(٤) سورة النور ، الآية ١٦ .

(٥) عبدالرحمن السعدي : القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ص ١٩٥ .

(٦) سورة الحجرات ، الآية ٦ .

(٧) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ج١ ، ص ٧٢ .

(٨) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الأدب ، ج٧ ، ص ٢٨٨ .

(٩) انظر صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٧٦ .

(١٠) سورة الزخرف ، الآية ٨٦ .

(١١) سورة المائدة ، الآية ٨ .

(١٢) ابن تيمية : منهاج السنة ، ج ٤ ، ص ٣٣٧.

(١٣) رواه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ١٩٨ .

(١٤) سورة هود ، الآية ٨٥ .

(١٥) أي شرساً سيء الخلق ، انظر : لسان العرب .

(١٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٣٤.

(١٧) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص ٢٥٤ .

(١٨) المصدر نفسه ، ج١١ ، ص ٥٢٦-٥٢٧ .

(١٩) المصدر نفسه ، ج٨ ، ص ٣٠١ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ج١٣ ، ص ٤٨٥ .

(٢١) المصدر نفسه ، ج٢٠ ، ص ٤٦ .

(٢٢) ابن تيمية : منهاج السنة ، ج٨ ، ص ٤١٢ .

(٢٣) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب الاعتصام بالسنة ، ج٨ ، ص ١٥٧ .

أنماط من التفكير!

محمد العبدة

يتهم الغربيون - والمستشرقون منهم بشكل خاص - يتهمون المسلمين بأنهم أصحاب (تفكير ذري) ويعنون بهذا أن الطريقة التي يواجه بها المسلم أمور الحياة هي **أن يبحث كل قضية أو جزئية لوحدها ، ويعزل عن الجزئيات الأخرى فلا يتسنى له الإحاطة بالموضوع ، ووضع الكليات العامة التي تجمع شتاته وتوضح علله ومقاصده** ، وهو ما يسمى عندهم (فلسفة العلوم).

هذا ما يردده الغربيون - والحقيقة أن هذه التهمة تدل على خبث الطوية قبل أن تدل على السطحية أو السذاجة ، وكأنهم يريدون تحطيم نفسية المسلم وإشعاره بأنه ليس على شيء ، وذلك لأن أي دارس لتراث المسلمين سيرى العكس تماماً ، وأن تلك الاتهامات هي محض افتراء ، وإلا فمن الذي وضع أصول الفقه ، وتكلم عن مقاصده؟ ومن الذي ضبط العلوم الإسلامية بأصول وقواعد مثل أصول التفسير ، وأصول الحديث ، وقواعد اللغة العربية؟

نعم إن هذا الذي قام به المسلمون كان في عصر المد الحضاري ، وأما في العصور المتأخرة ، وعندما أصيبت الأمة بالجمود والضعف ، وضعف العلم والاجتهاد ، فإن هذا المرض (التفكير الذري) قد تسرب إلى عقول كثير من المسلمين ، وواقعنا اليوم يشهد على ذلك ، وهذه أمثلة منه :

١ - رفع المسلمون - ومنذ عقود من السنين - شعار إصلاح الفرد ، وأنه بعد

ذلك سيتم إصلاح المجتمع والدولة ، وكأن هذا الإصلاح سيتم بشكل آلي ، ولكن عند النظرة الفاحصة تجد أن الأمر ليس بهذه السهولة ، لأننا **لا نستطيع إصلاح الفرد بمعزل عن التأثيرات الجانبية القوية التي تُصاغ بها شخصيته ، فلابد أن تكون التربية وخطة الإصلاح والتغيير شاملة للفرد والأسرة والمجتمع ، ولابد من إحاطة الفرد بأجواء صحية أو قريبة منها حتى تستقيم لنا عملية التغيير .**

٢ - بعض الشباب المسلم إذا سمع عن عالم كبير قد أتقن كثيراً من علوم الشريعة ، يظن أن هذا العالم لابد أن يجيب عن كل الأسئلة التي تدور على الساحة الإسلامية ، بل يستطيع حل كل مشكلات المسلمين المعقدة وهذا ليس بالتأكيد، فقد يملك إجابات كثيرة وتفوته أشياء ، وقد يكون متقناً لجوانب وضعيفاً في أخرى ، ولا يعني هذا الانتقاص منه بأي حال من الأحوال ، فعدم الإحاطة بمثل هذا الموضوع يجعل الشاب ينظر هذه النظرة الجزئية .

٣ - يحذر أحد الدعاة تلامذته وصحبه من إهمال الدعوة إلى الله ، ويرفع شعار (لا تعطوا الدعوة فضول أعمالكم) ، وهو شعار صحيح ، ولكن هؤلاء التلاميذ يفهمون هذه النصيحة بأن يتركوا واجباتهم الأخرى ، مثل الدراسة أو العمل أو بر الوالدين ، مع أن الجمع بين كل هذه الواجبات ليس بالأمر العسير .

وقد سرى هذا الداء إلى مجموع الأمة ، فلا نجد نظرات بعيدة المدى ، ولا تخطيط شامل ، بل كل فئة أخذت جزءاً من الإسلام وانشغلت به واستغرقت فيه ، وشنعت على الفئات الأخرى ما تقوم به ، وإن الإحاطة بمفهوم هذا الدين ومقاصده الكبرى لإصلاح البشرية ، مما يسهل إنشاء الدعوة ، وقبول الناس لها وإن المسلم ليملك القابلية لأن يستوعب شمولية الإسلام ، ولكن أين التربية المتكاملة ؟!

محمد العبدة

الإسلام والقضايا الاقتصادية المعاصرة

معالجة الأزمات الغذائية

- ٢ -

د. محمد بن عبدالله الشباني

في العدد الماضي تطرقت إلى بعض من جوانب كيفية معالجة الأزمات الغذائية على ضوء التصور الإسلامي باستعراض بعض الأحاديث التي وضحت كيفية معالجة النقص الفعلي للمواد الغذائية أو غيرها من السلع ، وفي هذا العدد سوف أعالج جانباً آخر من الجوانب التي قد تؤدي إلى بروز ظاهرة الأزمات الغذائية أو النقص في السلع التي يحتاج إليها الأفراد ، هذا الجانب هو الجانب الكمي للسلع وكيفية التحكم في ميكانيكية العرض والطلب ، أي التحكم في حركة السوق .

لقد جاءت أحاديث عديدة تعالج هذا الجانب بشكل يتفق مع واقع الحياة ولا يتعارض مع ميكانيكية السوق ، بل إنه يحفزها بالشكل الذي يجعل لميكانيكية السوق دور في تنظيم العرض والطلب بالأسلوب الذي يخدم حركة التبادل التجاري .

روى البخاري عن نافع أن عبدالله بن عمر حدثه «أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد النبي ﷺ فيبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام»[1] ، وفي رواية للبيهقي : كنا نتلقى

الركبان فنشتري منهم الطعام فنهانها النبي ﷺ أن نبيعه حتى نبلغ به سوق الطعام، وذكر البيهقي في سننه أن الغاية من منع البيع حتى ينقلوه إلى سوقه لئلا يغلوا الطعام هناك على من يفد ، وأنه في ذلك الموقع أرخص.

كما روى البخاري وأحمد وأبو داود عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ «قال لايبيع بعضكم على بيع أخيه»[٢]، كما رُوي في الموطأ وفي السنن للبيهقي عن عبدالرحمن بن أبي ربيعة أن عمر بن الخطاب خرج إلى السوق فرأى ناساً يحتكرون بفضل أذهابهم فقال عمر لا ونعمة عين يأتينا الله عز وجل بالرزق حتى إذا نزل بسوقنا قام أقوام فاحتكروا بفضل أذهابهم عن الأرملة والمسكين إذ خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم ، ولكن جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف حتى ينزل سوقنا فذلك ضيف لعمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله.

كما رُوي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبي بلتعة بسوق المصلى وبين يديه غرارتان فيهما زبيب فسأله عن سعرهما فسعر له (مدَّين) لكل درهم فقال له عمر رضي الله عنه حُدثتُ بعير مقبلة من الطائف تحمل زبيباً ، وهم يعتبرون بسعرك فإما أن ترفع في السعر وإما أن تدخل زبيبك البيت فتبيعه كيف شئت ، كما روى مالك عن سالم بن عبدالله عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يأخذ من النبط من الحنطة والزيت نصف العشر ، يريد بذلك أن يكثر الحمل إلى المدينة ويأخذ من القطنية العشر.

بدراسة الأحاديث والآثار السابقة نجد أن الإسلام عالج جانب العرض والطلب للسلع باستخدام بعض الأساليب التي تساعد على تحقيق التوازن بين العرض والطلب ، وتؤدي بالتالي إلى استقرار السوق ، وإبعاد الوسائل المؤثرة

على منحنى العرض والطلب ، وتتمثل هذه الاجراءات العملية في الأمور التالية :-

أولا : إزالة إمكانية ظاهرة التأثير الكاذب على العرض أو الطلب والذي قد يؤدي إلى تذبذب الأسعار مما قد يسيء إلى المشترين والبائعين ؛ لهذا نجد أن المنهج الإسلامي التطبيقي يحبذ وجود الأسواق المتخصصة والتي يتم فيها البيع والشراء في سلع معينة مع منع البيع خارج هذه الأماكن ، وهو بهذا يحقق عنصراً مهماً من عناصر فعالية ميكانيكية السوق وهو اجتماع البائعين والمشترين في مكان واحد ، والغرض من ذلك تحقيق السعر العادل ، وعلى ذلك نفهم الغاية من نهي الرسول ﷺ عن الطعام قبل وصوله إلى سوق الطعام ، حيث يوجد المشترون الراغبون في الشراء والبائعون الراغبون في البيع ، ويتحقق بذلك حماية المشترين من احتكار بعض الفئات كما يحمي البائعين من حصول الغبن الذي قد يصابون به من جراء تلقي بعض المشترين لهذه السلع قبل وصولها ، ويندرج ضمن هذا المفهوم منع احتكار بيع سلع معينة لأشخاص معينين ، وهو ما يعرف بنظام الوكالات التجارية لأنه يشبه بيع الحاضر للبادي وهذا النوع من الاحتكار يعاني منه الناس كثيراً حيث يتحكم الوكيل في سعر بيع السلع ، وسعر قطع غيارها إذا كانت سلعة رأسمالية ، وهو أمر مشاهد في النظام الرأسمالي ، كما أنه يتحكم في وجود سلع تعوَّد عليها الناس واحتكرت له ، فأصبح الوكيل هو البائع الوحيد للمنتج مما يجعله يتحكم في الأسعار كيف يشاء.

ثانياً : **حق الدولة في التدخل لمنع الظروف التي تجعل أصحاب رؤوس الأموال يتحكمون في احتكار السلع بسبب قدراتهم المالية** ، فنجد أن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه عمد إلى حماية البائعين الذين يجلبون السلع من خارج مكان تسويقها ، وذلك بتوفير ظروف وجودها لهم في السوق فأمر بأن يتم إطعام وإسكان الجالبين للسلع من خارج المدينة بأن تتولى الدولة توفير أماكن للسكن والإقامة والتخزين للسلع ، وذلك بأن تتولى الدولة توفير مخازن عامة في كل بلدة لتخزن فيها السلع التي ترد إلى المدينة أو القرية ، وهذه المخازن تعود ملكيتها للدولة وتؤجر بسعر زهيد أو مجاناً مع توفير مساكن يقطنها الجالبون للسلع خلال فترة تواجدهم للبيع ، إما مجاناً أو بأسعار زهيدة تشجع على البقاء لفترة كافية تساعد على إيجاد السلع للراغبين في الشراء من أهل القرية أو المدينة ، أي أن الأمر متروك للدولة الإسلامية وفق الظروف المتاحة لها لاتخاذ الأساليب التي تشجع على استقرار الأسعار ووجود السلع بدون احتكار لها .

ثالثاً : تعمد الدولة إلى التدخل لتحقيق الاستقرار السعري للسلع ، أي منع الانهيار السعري للسلع من خلال تنظيم وجود السلع في السوق لمنع ظروف الندرة ، ولا يتأتى ذلك إلا بمراعاة ظروف العرض والطلب ، وما فعله عمر رضي الله عنه مع حاطب ، إنما هو دليل يمكن الأخذ به وذلك بحق الدولة في التدخل في العمل على استقرار الأسعار ؛ لما يعود على حركة التبادل التجاري بالمنفعة ، حيث أن من واجبات الدولة العمل على توفير السلع في السوق ، وتشجيع حركة التبادل التجاري بين مختلف الأقطار والأقاليم ، وهذا لا يمكن تحقيقه في ظل ظروف فساد السعر السوقي فعمل عمر مع حاطب يرشد إلى أن على الدولة التدخل لحماية الأسعار حتى لا يؤثر ذلك مستقبلاً على حركة التبادل، وبالتالي حتى لا يحدث نقص في السلع مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار وحصول الشح

أي أن على الدولة تحقيق السعر العادل لمختلف السلع والخدمات ومنع الأفراد الذين قد يعمدون إلى إفساد السوق من خلال تخفيض السعر مؤقتاً ، ثم رفعه في فترة لاحقة بعدما يقل توافر السلع ، أي محاربة ما يعرف في هذا العصر بسياسة الإغراق المتمثلة في تخفيض الأسعار بأقل من التكلفة الذي تعمد إليه بعض الدول أو بعض التجار عند غزو سوق من الأسواق من أجل السيطرة عليه مستقبلاً ، وتحقيق فرق السعر الذي يتم بتخفيض أسعار السلع خلال فترة الإغراق بعد ذلك ، وتحقيق السعر الذي ترغبه بعد أن يفسد السوق ويقل العرض فيه .

رابعاً : استخدام الضرائب الجمركية كأداة لتحقيق وجود السلع في السوق، أي أن تكون الضرائب الجمركية أداة مالية لتحقيق التوازن في حجم العرض مع الطلب ، أي أن وظيفة الضرائب الجمركية لا يقصد منها زيادة موارد الدولة المالية كهدف ، وإنما هي أداة لتحقيق كفاية وجود السلع في السوق المحلي ؛ لهذا يمكن للدولة الملتزمة بتطبيق التشريع الاقتصادي الإسلامي استخدام هذه الأداة المالية كأسلوب من أساليب تحقيق الحجم الأمثل في وجود وتوافر السلع ، وهي السياسة التي اتبعها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سوق المدينة ، وهي سياسة يمكن انتهاجها لكن لا بد من معرفة أن الغاية من السياسة الجمركية ليس زيادة الموارد ولا حماية فئات معينة من المنتجين المحليين على حساب المستهلكين ، وإنما يكون الهدف تحقيق التوازن الكمي بين العرض والطلب وفق السعر العادل الذي لا ضرر فيه ولا ضرار .

إن معالجة الإسلام لمشكلة الأزمات الغذائية لا يقتصر على الجانب التنظيمي فقط ، ولكن الإسلام ينظر إلى الجانب السلوكي للأفراد والذي قد يؤدي إلى

إيجاد الأزمات السلعية ، فقد يكون السلوك من العوامل المؤثرة في تفاقم أزمات النقص في السلع وارتفاع أسعارها ، لهذا فقد عالج الإسلام هذا الجانب ضمن منهجه في التكامل في معالجة المشكلات ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ نهى عن التبقر[٣] في المال والأهل ، كما روى مسلم وأبو داود عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال له فراش للرجل وفراش لامرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان[٤] ، ورُوي عن عروة بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة وسرف[٥] .

وباستقراء هذه الأحاديث نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام وجه الأمة إلى ضرورة إدراك أهمية السلوك الاستهلاكي في التأثير على وجود السلع وتوفرها ، وأن الإنفاق الزائد عن الحاجة مظهر من مظاهر التبذير التي لا يحبها الله ، فهو مسلك شيطاني قد حذر القرآن الكريم من انتهاجه كما في قوله تعالى **﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾**[٦] .

إن من المشاكل التي يعاني منها المجتمع المعاصر والتي لها دور كبير في التأثير على حركة الاقتصاد ، الاتجاه المتزايد إلى الإنفاق الاستهلاكي واستخدام جميع الوسائل الإعلامية لإيجاد هذا الاتجاه ، إن تزايد الإنفاق الاستهلاكي يؤثر على القدرة الإدخارية لأفراد المجتمع ، مما يؤدي إلى ضعف توافر المال الكافي للاستثمار ، مما ينتج عن ذلك خلل في الدورة الاقتصادية .

المنهج الإسلامي في معالجة أزمات النقص في السلع بما في ذلك السلع الغذائية ، مما له علاقة بالسلوك الاجتماعي والذي يؤدي إلى إيجاد أزمات النقص في السلع الغذائية ، يتمثل في اتباع السياسات التالية :

١ - ضرورة تقليص الإنفاق فيما لا تدعو الحاجة إليه ، مراعاة أن يكون الإنفاق الأسري متوازناً ، فلا يكون هناك توسع إنفاقي لا تدعو إليه الحاجة ولكن الإنفاق ينبغي أن يتقيد بمفهوم قوله تعالى ﴿ **ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾[٧] .

وعليه فإن الدولة التي تسترشد بالمنهج الإسلامي في معالجة أمورها الاقتصادية إصدار اللوائح التنظيمية التي تحد مثلا من الإسراف في الإنفاق الاستهلاكي الزائد عن الحاجة ، ووضع الاجراءات التي تساعد على تقليص اتجاه الإنفاق الاستهلاكي مثل وضع الضرائب المرتفعة على سلع الترف للحد من شرائها على أن توجه حصيلة هذه الضرائب للإنفاق منها على تنمية المجتمع ومنع الإعلانات المشجعة على شراء السلع الإستهلاكية وغير ذلك من الإجراءات التي تحد من التوجه الإستهلاكي المخل بتوازن الدورة الاقتصادية .

٢ - توجيه الأفراد إلى انتهاج سياسة تقليص الرغبة في التراكم السلعي بدون حاجة ، وأن على الدولة انتهاج الأسلوب الذي يحد من الميل إلى التكالب على اقتناء السلع بدون حاجة سواء أكان ذلك بإصدار التنظيمات الإدارية التي تدفع الأفراد إلى الإحجام عن تملك ما يزيد عن حاجتهم ، استرشاداً بالحديث النبوي الذي رواه جابر بن عبدالله بالابتعاد عن المنهج الشيطاني في الإسراف بتملك ما لا حاجة إليه ، واتباع جميع الوسائل والطرق التي تحقق غاية ضبط السلوك الاجتماعي بما يخدم فكرة التحكم في الميل الاستهلاكي .

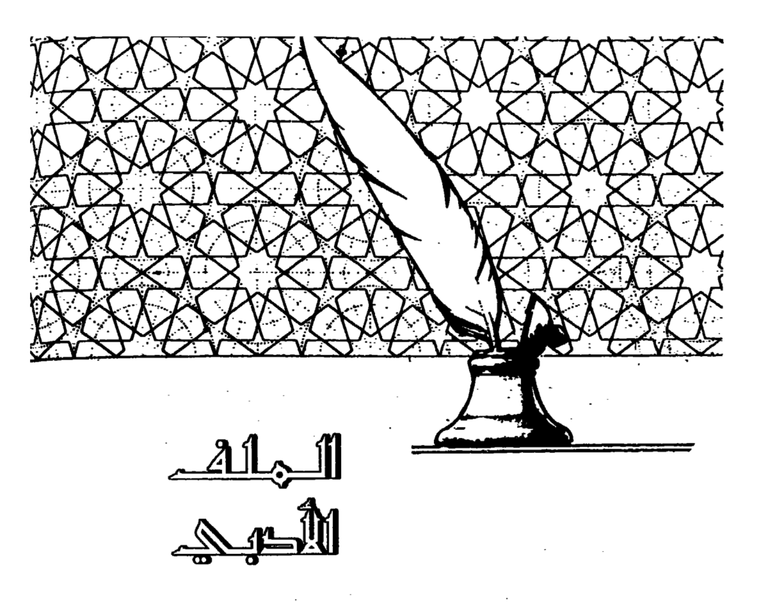
٣ - منع المغالاة في الإنفاق بضبط السلوك الاستهلاكي ، والتدخل في تحديد

رغبات الأفراد لما لذلك من تأثير في الميل الاستهلاكي والذي بدوره يؤثر على دورة النشاط الاقتصادي ، فتقليص الاستهلاك والحد منه قد يؤدي إلى التأثير على الاستثمار مما يسبب في ضعف حركة التبادل والإنتاج ولذلك ينبغي أن لا يُفهم من الحد من الإنفاق الاستهلاكي محاربة الإنفاق الاستهلاكي، ولكن ينبغي أن يكون ضمن إطار عدم الإضرار بالنشاط الاقتصادي ، وأن يكون الإنفاق الاستهلاكي موجهاً نحو السلع ذات العائد الإنتاجي ، أي أن يتم تشجيع الاستهلاك المعتدل الذي يحقق التوازن في حلقات الدورة الاقتصادية .

إن معالجة الإسلام لمشكلة الأزمات الغذائية وفق ما تم استعراضه إنما ينبع من التصور الأساسي الذي يقوم عليه الفكر الإسلامي والمتمثل في الوسطية في معالجة الأمور ، فلا إفراط ولا تفريط ضمن المفهوم الذي شرعه الله في كتابه في قوله تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس** ﴾(٨) وهذه الوسطية هي التي يدور عليها مدار الأمر في الإسلام عند معالجته لجميع القضايا الاجتماعية والاقتصادية .

---

(١) البخاري ، ك البدع ، جـ٣ ، ص ٢٠ .
(٢) البخاري ، ك البدع ، جـ٣ ، ص ٢٤ .
(٣) التبقر : الكثرة والسعة .
(٤) مسلم ، جـ٢ ، ص٢٣٧ ، ط دار الكتب العلمية .
(٥) المخيلة : أي الكبر والسرف وتجاوز الحد في الإنفاق .
(٦) سورة الإسراء، آية ٢٧ .
(٧) سورة الإسراء ، آية ٢٩ .
(٨) سورة البقرة ، آية ١٤٣ .



■ **خيام الغبار** (شعر).

■ **قراءة نقدية في البيان الأدبي.**

■ **حدث في السوق** (قصة قصيرة).

خيام الغبار

تركي المالكي

(١)

(حبةُ الرمل) عطشى . . تجوبُ القفارْ !

(حبةُ الرملَ) ما زال ربانُها . .

مغرماً بـ(البحارْ) !!

خنقتها (الملوحةُ) لما تزلْ . .

تتهادى على . .

سافيات الغبارْ !

هي في (رحلة التّيه) . . تخزن نَسْغ النخيلْ ! . .

تتقلب بين العواصف . . برقاً . .

من الشوق للزمن المستقيلْ ! . .

(٢)

تنبضُ الأسئلةْ ! . .

فيَ الشفاه التي . .

أورقتْ بينَها . . البسملةْ !

(٣)

تهزأ المرحلةْ . .

بالعيون التي . .

لم تزلْ . . مسبلةْ !

تتدفأ بالزمهريرْ !

و(الجمارُ) مدى الأفق . . شلالُ نورْ !

خضبتْ ليلَنا . .

بدم . . أشعلَهْ !! . .

نثرتْهُ بذوراً . . وأوقدت الشوقَ . . بين الرمالْ !

زرعتْ جنةً مقبلةْ !!

(٤)

(الغبارُ) يمدُّ أعاصيرَهُ . .

خشيةَ الزلزلةْ !

بَعثرَ المزقَ المُشْعلةْ !

أجلبتْ خيلُهُ . .

وابتنى حصنَهُ . .

وانثنى ساجداً :

«سيدي (النسرُ) . . ريحي غدتْ مثقلةْ . .

وغباري تناقصَ . .

والريُّ يمتدُّ . .

أرسلْ لنا سفناً من غبارْ !! . .

واحشُ ذراته . . بالشفارْ !

سيديَ (البحرُ) يا بركات الشمالْ ! . .

أنا بعضُ صداكَ هنا . .

وبقايا حذائكَ حين نزلتَ على . .

جبهات الرمالْ !!

وأنا من بني . . ؟ من بني . . ؟ . .

عجميٌّ الهوى . . والفعالْ !!

لم أزلْ ممسكاً (خيمةً) . . (حُرةً) . .

نسجتْها يدُكْ ! . .

مُسدلاً سترَها . .

مستعيناً ولو (باسم رب الغلامْ) !!

هاهو (الرملُ) يلفظُ أوتادَها ! . .

أبحرتْ نحو شاطئ آذانه . . صرخاتُ (أحَدْ) !

جهّزَ الموجَ (صوتاً) . . يسدُّ الشواطئَ . .

(سوطاً) . . يرشُّ الدماءَ رماداً ! . .

على (جمَرات البلدْ) !

(٥)

(نخَلاتٌ) تقاومُ . . كيدَ (الغبار) . . وموجَ (البحارْ) . .

(نخلات) تلقَّى على صدرها . .

حرَّ تلك الشفارْ ! . .

وهيَ تسحقُ أضلاعَها . . فتَضِجُّ : «أحَدْ» !! . .

واللآلئُ خُضْرٌ . .

تساقطُ من جنَبات العذوق/ المحارْ ! . .

تتحدَّرُ أحلى الثمارْ . .

وتعانقُها الأرضُ . . منجبةً . .

زمناً من (نخيل) !

(٦)

صرخات (أحدْ) . .

عبرت من نسيج (خيام الغبار) التي اقتسمتْ . .

جسداً/ أمةً . . كان نعم الجسدْ ! . .

فرشتْ بالظلام سماءً لما . .

كان أحلى بلدْ ! . .

ثم أصبح ألف بلدْ . .

وبلدْ !!

(٧)

صرخاتِ (أحَدْ) . .

ديمةٌ أسبلتْ غيثَها ! . .

تهطلُ القطراتُ . . وتكنسُ شيئاً فشيئاً . .

ليالي (الغبارْ) !

(حبةُالرمل) تبني كثيباً ! . .

وتحتضنُ الغيثَ . .

تُنجبُ عشباً . .

وتغذو به الصافنات الجيادْ !

تتآكلُ روحُ (العبيد) . . وتفنى . .

وتنبتُ روحُ (العبادْ) !!

يتعالى (النخيلُ) . . ويملأُ كلَّ النواحي . .

وتخضرُّ من لونه جنباتُ البلادْ !!

تستفيقُ . . بداياتُ هذا النهارْ !

(حبةُ الرمل) . . تصعَدُ مَتْنَ الرياح إلى . .

حلبات الجهادْ ! .

قراءة نقدية في البيان الأدبي
(الأعداد من ٦٧ إلى ٧٠)

محمد حسن بريغش

يبدو أن شعر التفعيلة هو الغالب على القصائد التي تنشر في المجلة وكذلك يبدو أن الشعر له الحيز الأكبر من بين الأنواع الأدبية أيضاً ، وقد لا يكون للمجلة يد في ذلك ؛ لأنها تعتمد في ملفاتها الأدبية على ما يصلها أو على ما تختاره من النصوص التي تصلها ، وعلى أي حال فإن نجاح النص قد يغطي على غياب أنواع أخرى ، والعكس صحيح أيضاً ، ويتمنى القارىء أن يستمتع بالنص الجيد ، ويرى التنويع في النصوص الإبداعية أيضاً في وقت واحد .

في العدد (٦٧) قصيدة شعرية على وزن التفعيلة بعنوان «برقية إلى بيغوفيتش» للشاعر د. محمد بن ظافر الشهري .

اختار الشاعر تصوير المأساة التي ينفذها العالم المتحضر في البوسنة على شكل برقية إلى رئيس جمهورية البوسنة والهرسك (علي عزت بيغوفيتش) ، عبر فيها عن تضامنه مع شعب البوسنة ، وبهذه الطريقة عرض صوراً من جرائم الصرب ضد المسلمين ، ودور (الأمين العام !) في تغطية الجريمة ، ومهمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن في تنفيذ المؤامرة وارتكاب المجازر تحت المظلة الدولية والرايات الإنسانية .

ويدعو من خلال برقيته رئيس البوسنة لإعلان الجهاد وترك ما عداه من سبل ، ورفض مشاريع أوروبا المتآمرة ، واللجوء إلى الله عز وجل ليتحقق النصر بإذن الله .

القصيدة رغم ما تثيره من صور دامية مأساوية نابعة من القضية ذاتها لكنها ليس فيها ما يثير الانتباه ، أو يدعو إلى التمعن ، أو يستوقف القارىء ليتملى الصورة أو يتأمل في طريقة التعبير .

أحياناً تقترب المقاطع من النثر العادي : «صدقني . . . لن تخسر شيئاً يذكر» «فسيساستهم لن تتغير» ، «ستعيش - إذا عشت - حميداً ، وإذا مت تكون شهيداً» ، «هذا نصح أخيك المسلم ، لا يعرف زوراً ونفاقاً» ، وقليلاً ما تلمح بعض العبارات أو النقاط التي فيها لمح ، أو صورة تستوقف القارىء : «لا تدخل معبد بيزنطة ، لا تسأل أوثان الروم» ، «لا تُدخل كفك في الأرض السفلى» .

أما بقية القصيدة فقد خلت من الصور التي نتمناها ، والعبارات الموحية التي تناسب هذا النوع من الشعر .

وحبذا لو يتأمل الشاعر معنا قصيدته مرة أخرى وثالثة ، ثم يحاول أن يصل إلى ما يريد عبر الصور التي تدعو القارىء للتأمل ، أو الغوص ، أو الانبهار ، أو التعجب ، أو الشعور بأنه يكتشف جديداً ، أو كأنه يقف لأول مرة أمام هذه الأحداث لطرافة التعبير ، أو القدرة على التصوير والاستثارة ، وإن الاستمرار في العطاء سبيل التجويد إن شاء الله .

في العدد (٦٨) قصيدتان : الأولى على وزن التفعيلة (عبوس) ، والثانية على الوزن الخليلي (مدرستي الكبرى) ، القصيدة الأولى (عبوس) للشاعر عبدالوهاب عبدالله ، تتألف من ثلاثة مقاطع ، يصور فيها مشاعره إزاء

الأحداث الحاضرة التي تثير لدى المسلم مشاعر الحزن والكآبة (عبوس).

ويستخدم الصورة التي يمتزج فيها الصوت ، بالذوق ، بالصورة المادية والمعنوية ، مع غلالة من الغموض لكي يتركنا نشاركه مشاعره.

وكأن الشاعر يريد تسجيل عجبه واحتجاجه على الصمت المميت الذي يخيم على هذه الأمة رغم الأحداث الخطيرة التي تزرع أرضها بالمآسي ، وتريد أن تقتلع كل جذورها.

هذه القصيدة تومىء إلى موهبة تحمل في طياتها قدرة على العطاء ، وقدرة على أن يكون لهذا العطاء لونه المثمر ، وجذوره العميقة ، ولكن ذلك يحتاج إلى نوع من الوعي للتجربة التي يصورها الشاعر ، هذا الوعي الذي يجعله مالكاً لعناصرها ، قادراً على استخدام هذه العناصر بشكل يبعده عن الغرق في الغموض ، أو الركون إليه حين لا تسعفه الكلمة الشاعرة ، والصورة المبدعة والرمز الموحي ، أو حتى لا يقع في السرد الذي يقترب من النثر العادي.

القصيدة الثانية «مدرستي الكبرى» للشيخ عائض القرني : قارىء القصيدة يشعر أنه مع خواطر ترد على ذهن المسلم في هذا العصر ، وهو يعاني ما يعاني من النكبات التي تنزل بالأمة ، والأخطار التي تحدق بها من كل جانب والخداع والتزوير اللذين يلفان حياة هذه الأمة.

مع كل هذه الخواطر يقف المسلم عصياً على تيار الكفر ، لا يذوب ولا يتخاذل ، يتذكر مسيرة الحق من لدن آدم - عليه السلام - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والقصيدة جولة منظومة مع تلك الخواطر.

وفي العدد (٦٩) ثلاثة نصوص إبداعية : اثنان من الشعر ، وواحد من القصة ، النص الأول قصيدة شعرية - على وزن التفعيلة - مختومة بأبيات

خليلية للشاعر تركي المالكي بعنوان «نجمة الاعتصام» ، وهي تتحدث عن المرحلة التي وصلت إليها قضية الأرض المقدسة «فلسطين»في الآونة الأخيرة .

والقصيدة مقسمة إلى ستة مقاطع ، تتوزع الأحداث والآثار المترتبة عليها : ففي المقطع الأول أعلن عن الحدث ، ووصفه بتعبير قرآني موجز دقيق (عارض ممطر) : لا يغني ولا يشبع ، ووصف ما يجري وصفاً لمّاحاً موحياً (رقص الحبل بالراقصين) ، وفي المقطع الثاني وضح حقيقة الحدث وما ينطوي عليه ، وأشار إلى الزيف الذي قلب كل الحقائق التي لا يجهلها أحد ، والثوابت التي لا يتنازل عنها مسلم عاقل ، فالبحر – في هذا السِّلْم الموهوم – أصبح عذباً وأضحى الغيث العذب ساماً ، وأصبح الاعتصام بشعار يهود هو المنجاة من الخطر ، فهل هناك أعجب من هذا ؟!

وفي المقطع الثالث يشير إلى من تاجروا بالقضية الفلسطينية ، وباعوها باسم الشعارات ، وفي المقطع الرابع يعود للحدث ونتائجه ، ويصور لقطات من لقاء الثوار باليهود ، ويسير إلى نتائج هذه الاتفاقات واللقاءات وما تبعها من مشاريع مستقبلية تؤكد ما سبق إليه من إشارة إلى قلب كل الحقائق ، ورفض كل الثوابت لهذه الأمة حتى صارت فلسفة الواقعية هي المنهج ، وهي السياسة ، وهي الذكاء . وفي المقطع الأخير يحدد طريق الخلاص الذي بيّنه الله لنا ، وهو الذي سار به أجدادنا حملة الرسالة الإسلامية ، فانتصروا وطهروا أرض المقدسات من أعداء الله .

لقد آثر الشاعر – منذ البداية – الكلمة الموحية ، والرمز الدال ، والصورة المعبرة ، لتحمل ما يريد ، ولتنقل القارىء من صورة لأخرى ، ومن موقع لآخر، عبر أزمان وقرون ، وألوان ، وطعوم . . .

وكان اختيار الشاعر لأكثر رموزه موفقاً ، بل بارعاً في بعضها ، لأنها تترك القارىء – من خلال رمزه – يغوص وراء الرمز في الماضي والحاضر

يقلب صفحات التاريخ ، ويتنقل بين ربوع أوطاننا الإسلامية ، ويستعرض الأحداث ليدرك حقيقة ما يجري .

فالحدث – وهو الاتفاق باسم السلام – ما هو إلا رقص ، وإذا كان عنوانه يتصل بالسلام فحقيقته كالعارض الممطر . .

والحدث قلب للحقائق : فالبحر المالح أصبح في حلوقهم – كما يعلنون – عذباً ، بينما الغيث الذي ينبت به الله الزرع ، ويملأ الضرع ، ويحيي القلوب . . . قالوا عنه إنه سام ، وطريق النجاح طريق النجاة (سفينة نوح) هجرها الواقعيون واعتصموا – ياللخسارة والعار – بشعار يهود ، النجمة التي لا تضام . . .

هذه الرموز وغيرها لها دلالات كثيرة ، وكلها دلالات تربط بين واقع اليهود وحقيقتهم كما صورها لنا رب العالمين ، وبين ما نحن فيه من تزييف وخداع ، وقلب لهذه الحقائق ، وقتل للمثل والثوابت .

وعنوان القصيدة نوع من الرمز ، أو جزء من الرمز ، وهو عميق الدلالة لأنه يشير فيه إلى الاعتصام ، فكيف أصبح إرضاء اليهود والانحياز لهم هو الاعتصام الذي يسعى إليه المضللون ، بدلاً من الإعتصام بحبل الله عز وجل والتمسك بشرعه ؟

وكان استخدام الشاعر للرمز موفقاً من التاريخ والتراث ، والواقع والأحداث (مسجد الضرار – قبساً – الغمد – الذل – سفينة نوح – الغيث – العارض الممطر – واقعي – الرياح . . . الخ) ، والقصيدة تشير إلى قدرة الشاعر على التصوير ، وعلى اختيار الرمز الدال الذي يختصر النظم الطويل ، ويركز الانتباه والإحساس على بؤرة الحدث أو مركز الصورة . . . ويفسح للقارىء الطريق لكي يغوص ويجول هنا وهناك لاستجلاء الصورة والوصول إلى عمق الرمز .

وكان موفقاً في اختيار أكثر الألفاظ التي أعانته على التصوير الموحي ، بل كان يضع بعض الألفاظ في سياق التعبير الشعري فتتحول من لفظة عادية إلى كلمة شاعرية مشعة «أنا أنت ، فصغ نزف قومي حبراً ، وخط به . . هيكلاً للسلام» ، «والجذور توهج في العمق ثابتة لا ترام» ، «ها تضلعت إني أرى - رغم هذا الظلام - في عروقي دم الفاتحين» . . . «يتدفق بالطهر ، كالورد كالجمر ، يسقي جذوع الكلم» . . . وكان موفقاً في الخاتمة التي اختار فيها بيتين مشهورين من شعر الجهاد ، وأتبعهما ببيتين من شعره .

لقد دلت القصيدة على موهبة شعرية استطاعت (توظيف) الرمز والمعطيات الثقافية ، والحقائق التاريخية ، والقيم الإسلامية ضمن سياق شعري يعتمد على الرمز والتصوير والإيحاء ، بدون الوقوع في دهاليز الغموض ، أو الاختفاء وراء الصياغة المعقدة كما يفعل كثير من العابثين بالشعر والذوق .

ويبقى لنا أن نشير إلى أنه خرج في بعض المقاطع عن الطريقة التي اختارها ففي المقطع الرابع كرر المعاني التي سبق تصويرها في المقاطع السابقة ، ثم استطرد في شرح هذه المعاني حتى أصبح طعم الصورة باهت الأثر ، وفقد الرمز معناه الإيحائي ، وعمقه المطلوب ، وفوّت على الصورة المركزة هذه المزية التي تحملها .

وهناك بعض العبارات التي لم يوفق فيها الشاعر ، ولم تكن متسقة مع بقية العبارات التي خرجت من إطارها المألوف إلى لغة الشعر ، وإيحاءات الكلمة عن طريق الصياغة الموفقة (يا رياح - فهزي - جذوع غيوث اليقين) . تبقى القصيدة تومىء إلى شاعرية سيكون لها توهجات طيبة ، وعطاءات كثيرة إن شاء الله .

النص الثاني : قصة بعنوان «للموت مليون طريقة» بقلم/ عبير عبدالله الطنطاوي ، والقصة تصور جانباً من مآسي الحرب على الناس ، بل تركز على

أثر الحرب في الطفولة ، وربما اختارت هذه اللقطة من آثار الحرب ، لأن الأطفال يمثلون البراءة ، والطهر ، والفطرة ، ولا يعرفون الكره أو الانتقام ولا يدركون معنى السياسة والاقتصاد ، والصراعات على المادة . . .

أحداث القصة تصور امرأة أوصلتها الحرب إلى العدم ، فلم تعد تملك شيئاً تقتات به لترضع طفلها ، أو لتأتي له بالحليب الذي يُعوضهُ عن ثدي أمه الذي نضب ، وبعد بحث طويل وبمساعدة صديقة وفيّة لهذه الأم ، تظفر صديقتها بمرادها عند أحد الباعة الذي يطلب ثمناً غالياً ، فتتخلى عن أساورها الثمينة لتدفعها ثمناً لحياة الطفل ، أو ثمناً لحليبه ، وعندما أسرعت لتبشر صديقتها الأم بحصولها على الحليب ، وجدت أن الطفل قد مات .

هذه شريحة أو لقطة من صور الحرب التي باتت تدمر كل شيء ، فالقنبلة والصاروخ والطائرة لا تميز بين الإنسان والحيوان وبين الصغير والكبير . . .

لقد نجحت الكاتبة من خلال هذه الشريحة في الإشارة إلى آثار الحرب ومآسيها ومكابدة الأطفال - بخاصة - والناس - بعامة - من جرائها ، وكذلك نجحت في إثارة الشفقة والحزن على الطفولة التي راحت ضحية الحرب .

واختارت الكاتبة أسلوب السرد المباشر ، والعبارة الواضحة البسيطة في قصتها ، ولكنها كان بإمكانها أن تتخذ من الطفل الذي مات جوعاً نقطة ارتكاز لتثير كثيراً من الأمور التي تحملها الحروب ، ولتومىء إلى بعض سمات هذا العصر ، وجرائم الساسة وصنّاع الحروب .

وكم كان جيداً أن تضع كل هذا في مواجهة الفطرة البريئة لهذا الطفل المعذب ، ومع كل هذه التمنيات ، فالقصة خطوة على طريق طويل ، وإسهام في إثراء القصة المعاصرة .

النص الثالث : قصيدة شعرية - على وزن التفعيلة - بعنوان «المتحدة» للشاعر/ علي بن موسى ، وهي مقسمة إلى عشرة مقاطع ، تتحدث عن مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك ، وعن الجرائم التي يقترفها الصرب ومن وراءهم من حملة الصليب ضد الأطفال والنساء والشيوخ ، وضد الحياة ذاتها.

وركز الشاعر في تصويره لهذه الجريمة على (هيئة الأمم) التي رمز إليها في عنوان القصيدة ، وعلى مجلس الأمن الذي أضحى ألعوبة ، ومظلة لتنفيذ المخططات العدوانية ضد المسلمين.

«يا مجلس الأمن المصمم للصليب وللصليب» ، «يا مجلس الأعداء : تقتلنا وتقتلنا ، وتمنح خصمنا ليلاً من البارود يحرقنا وقوفاً» ، «هذي سراييفو تدك سلامها نار الصليب».

ويستمر الشاعر في تصوير ما عانته سراييفو وغيرها ، وما يلقاه الناس ولاسيما الأطفال الذين قطعوا أجسادهم وألقوهم مزقاً في الطريق ، كما صور ما فعله الصرب بالنساء والشيوخ وغيرهم ، ثم صور حالة المسلمين المتخاذلين الذين «يمضغون عجزهم» ، أو يأكلون خبزهم المعجون باللذات ، ويبررون الجريمة بكلمات تدل على فراغ ويأس ومهانة.

والشاعر يستخدم الصورة الشعرية للوصول إلى المعاني التي يريدها : «الطفل غادر صبحه» ، «وانكفأ الشروق» ، «قلبي الطريدة ، والجموع تتابع الصياد ، والصياد يقتنص الجموع !» ، «عذراً سراييفو وباقي السرب ، إنك منذ جاؤوا صامدة ، ونحن هناك نأكل خبزنا المعجون باللذات».

ولكن استخدامه للصور الشعرية لم يأخذ إلا حيزاً صغيراً ، ولم تكن هذه الصور - إلا نادراً - ذات إيحاءات بعيدة أو عميقة ، بل كانت الصور أحياناً بسيطة أقرب إلى الطريقة المباشرة.

وإذا كان الشاعر قد وضع القارىء أمام مسؤوليته - كمسلم - حيال هذه المؤامرة الصليبية ، فإنه لم ينجح كما ينبغي في اختيار الألفاظ التي تسعفه لتحقيق ما يريد ، فهناك ألفاظ عادية ، وعبارات أقرب إلى النثرية البسيطة ، وتراكيب ضعيفة أجبر عليها الشاعر لإكمال المقطع «النار تأتي تحتوينا - ونظنها في البعد نائية - لكنها في القلب تحرقنا» ، «يا مجلس الأعداء - تقتلنا ، وتقتلنا وتمنح خصمنا ليلاً من البارود يحرقنا وقوفاً» .

ولكن هناك عبارات وفق فيها الشاعر ، وكانت محققة لما ينبغي لها من دلالات «ونحن نغط في لغط القشور» ، «وأنت المستجير ولا نصير» «هذي سراييفو - نواح لا يكف - وألف ألف قذيفة زرعت هناك ولا مغيث» .

والقصيدة تبشر بعطاء شعري جاد - مادامت تنم عن موهبة تتفتح - وتشرئب إلى التجويد من خلال تصور واضح .

وفي العدد (٧٠) قصيدتان شعريتان : الأولى بعنوان «النور وخيوط العنكبوت» للشاعر علي محمد سفر ، وهي على وزن التفعيلة ، والثانية بعنوان «كيف يشكو إلى القيود الأسير» للشاعر د/ صالح الزهراني .

أما القصيدة الأولى فهي صرخة أو رسالة يخاطب فيها الشاعر المخدوعين بمدنية الغرب ، وتقدمه المادي ، ممن وصل بهم الأمر إلى الانبهار والغرق في الوهم ، والتبعية العمياء باسم الحرية والتقدم ، مما أدى إلى وقوعهم في المعاصي واستسلامهم للمذلات .

يناديهم الشاعر لينظروا بأعينهم وبصائرهم ، وليعوا الحقائق ، ويعودوا إلى الحق ، ويتخلصوا مما هم فيه من الإثم والوهم .

ويظل الشاعر يدق على بصيرة المسلم الغافل المخدوع ؛ ليصحو ويستفيق

فيكرر النداء «تربت يداك» مستخدماً هذا التعبير الإسلامي المأثور . . ثم يمضي في عرض واقع الحضارة الغربية بطريقة الحكاية ، فيعرض قصة المرأة التي استُغلَ شبابها بما فيه من حيوية ونضارة وجمال ، فإذا ذوي الشباب لفظت كالجيفة وتركت تعاني القهر والعذاب والبؤس .

وفي هذه الحالة لا تجد من أحد شفقة ولا عوناً ولا رعاية ، بل تُلقى كالأقذار وتعيش عيشة الذل ، وإلى جانب هذا المنظر يعيش الكلب المدلل يأكل ما لذ وطاب ، وهنا ترى المرأة خلاصها في قتل الكلب حتى يُؤويها السجن من البرد والحر والتشرد ، ويوفر لها لقمة العيش .

وحين تفعل ذلك يكون حكم القضاء العادل هناك أن تخرج من السجن وتلقى في الشارع عقوبة لها على جريمتها النكراء ، وتفويتاً لحيلتها في التخلص من هذا العذاب ، فيضع الشاعر هذه الصورة أمام المخدوعين ، ويذكر بصور أخرى كثيرة بإشارات مختصرة ، ويذكر بهذا الواقع المخدوعين من الأمة لكي يعودوا إلى الصواب .

القصيدة تجوال هنا وهناك ، فيها تلوين وتنوع في الصور والأسلوب وطريقة التعبير ، وفيها بساطة وعفوية في بعض الأحيان ، وإذا كان لهذا الأسلوب محاسنه فإنه - كذلك - أضعف من قدرة القصيدة على تحقيق الهدف الذي أراده الشاعر ، وأضعف الأثر الذي يمكن أن يبقى بعد القصيدة .

وكان بمقدور الشاعر أن يستغل - على سبيل المثال - قصة المرأة لكي تكون تنويراً للحقائق التي يريدها ، ثم يتركها بنفسها لكي تنطق بما يريد .

القصيدة في شكلها الحالي ، والتجوال بين مكان وآخر من خلالها لم يترك فرصة للقارىء لكي يتمعن في صورة أو معنى ، أو ليربط بين هذا وذاك

أو ليكشف بنفسه بعض الحقائق من الإشارات أو المقارنة أو الرموز الموحية.

لقد أراد الشاعر أن يستعرض بسرعة صوراً كثيرة، وأن ينوب عن القارىء أيضاً في شرح ما يريد، وهذا يضعف تأثير الشعر، ويذهب بكثير من جماله.

وكذلك كنت أتمنى أن يكتفي الشاعر بنصف هذا القدر من الطول مع التركيز في التصوير والتعبير والتجويد في اختيار أدواته، ولو فعل ذلك لترك في أحاسيسنا ووعينا أثراً أعمق، ولحقق قدراً أكبر من الجودة والإمتاع، وليس هذا صعباً على الشاعر مادامت لديه هذه القدرة على التعبير بغزارة وعفوية.

القصيدة الثانية «كيف يشكو إلى القيود الأسير» للشاعر د/ صالح الزهراني تذكرنا بعدد من الشعراء المعاصرين الذين تميزوا بقوة النبرة وحرارة العاطفة وتلوين الخطاب، وامتزاج الصورة بالأسلوب المباشر، أمثال الدكتور النحوي، والدكتور عبدالرحمن بارود، والأستاذ شريف قاسم وغيرهم يخاطب الشاعر في قصيدته ما يسمى بالضمير «ضمير الأحرار»، ويتساءل بسخرية ومرارة عن هذا الضمير «أين الضمير ؟».

يا ضمير الأحرار .. أين الضمير وبلادي مجازر وقبور !!

ويعدد الفجائع والمجازر والمظالم التي تملأ ديار المسلمين بفعل أصحاب هذا الضمير.

هذه الجرائم تنفذ تحت علم الأمم المتحدة ومجلس الأمن، المحكوم من هؤلاء الظالمين الذين نصبوا أنفسهم قضاة، وأتوا من بينهم بشهود الزور وحكموا على الضحية التي هي من المسلمين.

ثم ينقل الشاعر خطابه للمسلمين لينبههم إلى ما هم فيه، ويدعوهم إلى شد العزائم وترك الخلافات، وشحذ الهمم، والتبصر بالواقع ليعودوا إلى

النهوض من جديد. وأخيراً ، ومع هذا الواقع المأساوي ، يبشر الشاعر هذه الأمة بالفجر القادم ، لأنه وعد الله الذي لا يتخلف ، والفجر لا يحول دونه سور أو أي حائل.

والقصيدة رغم ما فيها من نبرة خطابية قوية ، فقد نجحت في تصوير واقع المسلمين ، بل واقع العصر الذي اتسم بتكالب الغرب ، وتجمعه ضد الإسلام والمسلمين ، وهي لا تخلو من صور بين حين وآخر ، وبعض الرموز القليلة ، مع التلوين في الأسلوب ، مما يعطيها حيوية وجمالاً.

وكذلك لا تخلو القصيدة من الأبيات الجميلة التي يحلو للقارىء تردادها لما فيها من طرافة المعنى ، أو جمال التعبير ، أو قوة الدلالة ، مثل :

«ما خبا في دمي شعاع المعالي   في وريدي لا ينضب التكبير»

وكذلك اعتمد الشاعر على التكرار غير الممل أو المخل ، لتثبيت الصورة التي يريدها ، أو الفكرة التي يريد إيضاحها : «يا ضمير الأحرار» ، «يا مجلس الأمن» ، «حدثوني» ، «نحن مليار» . .

والقصيدة تشير إلى قدرة الشاعر على التعبير دون تلكؤ أو افتعال وامتلاكه لعناصر القصيدة الناجحة ، ولعله في التقليل من النبرة الخطابية أحياناً واستغلال قدرتها على التصوير ، يعطي شعره عمقاً وجمالاً ، ويقلل من ترف التكرار الذي لا ضرورة له ، أو الطول الذي يحكمه السرد المباشر.

حدث في السوق..!

د. محمد الخضيف

المكان : سوق مزدحم.

- أنا أشك في سلوكه . . . دعنا نوقفه.
- انتظر قليلاً . . . فقد نكون مخطئين ، ربما له غرض ، أو ينتظر أحداً.
- مخطئين . . ؟! بصراحة أنا ظني لا يخيب في هذا الصنف من الناس . . حليق . . والثوب طويل . . والدخان . . والنظارات الشمسية . .
- هذه ليست أدلة إدانة . .
- لكنها مؤشرات . .
- الهدوء أفضل . .

يذهبان باتجاهه ، ويقتربان منه . .

- السلام عليكم.
- وعليكم السلام . .

. يتأملهما الشاب وهما يتجاوزانه مبتعدين ، ثم يخرج جهاز النداء الآلي ويتصنع النظر إليه حينما التفت إليه أحدهما.

- تُسلّم عليه . . ؟!
- وما المانع . . أليس هذا هو الهدي النبوي؟

- إنك بهذا التصرف تشعره بالطمأنينة.
- أليس هذا هو المطلوب؟
- أنا لا أفهم لماذا تتصرف بهذه الطريقة . . .
- . . .   .
- انظر . . . لقد رمى بورقة على مجموعة من النساء . . . دعنا نمسك به قبل أن يختفي.

. يختفي الشاب في الزحام، التقط أحدهما الورقة، كانت تحمل رقم هاتف.

- ألم أقل لك إن تصرفه مريب . . . دعنا نلحق به.
- لا بأس . . . هات الورقة.

. يسرعان في أثره، وبعد مدة يجدانه في مكان آخر من السوق، رآهما فارتبك وأراد أن يتفاداهما، فلحق به أحدهما، وأمسك به.

- ما اسمك . . . وماذا تفعل هنا؟
- من أنت؟
- هذا ليس من شأنك . . . أخبرني ماذا تريد . . .
- بل من شأني.
- أنا من رجال الهيئة[1].
- مطوّع يعني . . ؟
- مطوّع أو غير مطوّع . . يا فاضي . . يا قليل الأدب.

. ويتجمهر الناس ويرتفع الجدال والشجار بين الاثنين، وتتعالى أصوات الناس بين مؤيد للشاب: (حرام عليكم . . اتركوا الناس وشأنهم) وبين حامل عليه (جزاكم الله خير . . يا جماعة نظفوا البلد من ها العينات التعبانة . .).

. ثم يصل الشخص الثاني، ويتدخل، ويأخذ عقال الشاب الذي كان قد وقع على الأرض، ويضعه على رأسه، ويمسك بيده بهدوء . . .

- السلام عليكم يا أخي الكريم.
- ... وعليكم السلام ... نعم ...؟
- أبداً ... طاحت هذه الورقة منك في الممر الآخر، ويبدو أنها تحمل معلومات تهمك، فحرصت أن ألحقك وأعطيك إياها ...
- ... ...

. يطالع الشاب في الشخص الذي أمامه مستغرباً، وينقل نظراته بينه وبين الشخص الآخر اشتبك معه، غير مصدق ما يجري. يظل الشخص ممسكا بيد الشاب بهدوء، وهو يسير به بعيداً عن الناس، ويتهامسان، حتى يصل إلى سيارة كانت واقفة يفتحها الشاب ويركبها، ويدور بينهما حوار قصير قبل أن تتحرك السيارة وينصرف الشاب وعلى وجهه ابتسامه.

* * *

المكان: مجلس مزدحم بعشرات الضيوف:

. الأحاديث الجانبية تنبعث من كل مكان، يتكلم أحد الحضور طالباً الإنصات إلى شخص يريد أن يقول شيئاً.

- يا إخوان أريد أن أحدثكم عن حادثة شاهدتها بنفسي ... أو لأكون صادقاً معكم شاهدها إنسان عزيز أثق به جداً!.

الحضور يرددون بصوت واحد:

- تفضل .. تفضل ..
- قبل أسبوعين في أسواق (...) وأمام الناس كلهم هجم اثنان من رجال الهيئات، هؤلاء الـ(....) على أحد الأشخاص وكان برفقته امرأة وطالبوه أن يثبت صلته بها، ولما أخبرهم أنها أخته أوسعوه ضرباً حتى أغمي عليه واضطرت المرأة التي كانت معه أن تستغيث بالناس وهي تصرخ وتقول ... لقد قتلوا أخي.
- وماذا حدث بعد ذلك؟!
- لا أدري لأن الذي روى لي القصة قال إنه لم يتحمل أن يرى بقية المشهد خصوصاً

وأن أحد الشخصين أمطر المرأة بسيل من الشتائم ، واتهمها في عرضها.

. شخص آخر من الحضور يتدخل ويقول :

- إذا كانت هي الحادثة التي وقعت أمام (أزياء الشرق) في أسواق (. . . .) فإن أولئك (الوحوش) طلبوا من الشاب أن يثبت لهم أن المرأة التي بصحبته هي زوجته.

- يا أخي هذا شيء بشع . . لماذا لا يوقف هؤلاء الـ (. . . .) عند حدهم ؟!

- هل تصدق أنهم طالبوه بصك الزواج؟! . .

- إذن بهذه الطريقة علينا أن نحمل صكوك الزواج ودفتر العائلة وشهادة من العمدة والإمارة ، لنثبت أن من يسير معنا هم أبناؤنا وزوجاتنا وأخواتنا.

- يا أخي لقد كان مشهداً لا يُنسى حينما وضع أحدهم قدمه على وجه الشاب وقال له : أين لحيتك يا فاسق . . أو يا كافر على ما أظن.

. . . . وفجأة ينطلق صوت من بين الحضور الذين كان بعضهم يتسابق في إيراد القصص والحوادث التي مرت به أو بصديق له أو بإحدى قريباته :

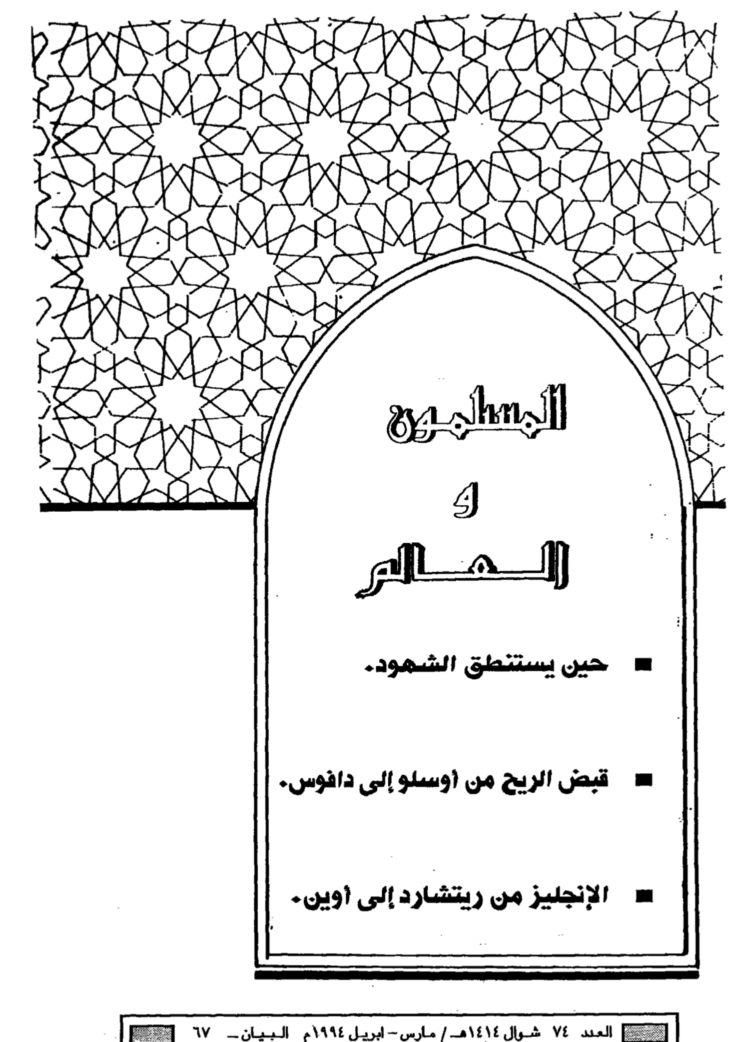
- يا إخوان أين حدث كل هذا الذي تقولون . . ؟! في فيلم سينمائي أو في خيالكم؟! . . أنا الذي كنت في ذلك السوق . . . وأنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهيئة . . . يا إخوان هذا الذي تقولونه غير صحيح . . . ولا يجوز . . . لم تسل دماء ، ولم تصرخ امرأة ، بل لم يكن في الموضوع كله نساء أو صكوك زواج ، الأمر كله لا يحتمل كل هذه الرواية بفصولها المأساوية . . !! سوء فهم حدث وتمت تسوية الأمر بطريقة ودية . . . هل عرفتم القصة الآن . . ؟

- ما هي القصة إذن . . ؟!

- . . .   .

---

(١) هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



المسلمون والعالم

- حين يستنطق الشهود.
- قبض الريح من أوسلو إلى دافوس.
- الإنجليز من ريتشارد إلى أوين.

حين يستنطق الشهود!
«رسالة إلى الأصدقاء الجلادين»

د. عبدالله عمر سلطان

أحياناً لا يملك الراصد للحدث بدأ من أن يستضيف مراقباً محايداً ليدلي برأيه في قضية شائكة، عاطفية، معقدة، ليبتعد عن الوقوع في فخ التصنيف أو إطلاق تهم التحيز عليه. لقد كتبت في هذه الزاوية قبل أكثر من ثلاثة أشهر مقالاً بعنوان «الكلاشنكوف لن يسكت الأذان»، استعرضت فيه بعض زوايا المشهد الجزائري اللاهث، الذي عالج وضعاً شاذاً تدَّعي الأقلية خلال استعراضه أن لديها حقاً مقدساً، وصكاً سرمدياً يتيح لها مصادرة رغبة شعبها وسرقة خياره، على الرغم من أن هذا السلوك يتنافى مع أبسط ما تقتضيه المبادىء الديمقراطية التي تدَّعي تيارات العلمنة والفرانكفونية أنها تدافع عنها وتنتمي، إليها وتقاتل من أجل استمرارها على أرض الجزائر . . .

وتصاعد الحدث الجزائري منذ ذلك الوقت ليسجل مشاهد عديدة تقتضي أن نتوقف عندها، لنعالج بعض النقاط المهمة، ولنصل إلى تأطير تسلسل الأحداث الراهنة للخروج بتصور عام وخطوط عريضة تفسر هذا الحدث، وهذا بالضبط ما عنيته في البداية حين أشرت إلى اختيار المراقب المحايد الذي يستند هنا إلى تجربة تاريخية، وأعني به «جاك فيرجيس» الذي يعد من أبرز رجال القانون في فرنسا، وهو شخصية لها حضورها وتجربتها الممتدة إلى أيام حرب التحرير الجزائرية حين وقف مدافعاً عن حق الشعب الجزائري في استقلاله ونيل كرامته

بعيداً عن قيود العبودية المتمثلةفي الاستعمار الفرنسي ، وفي ذلك الوقت رُمي هذا المحامي بأبشع التهم ، وحاول الفرنسيون المتعصبون اغتياله بتهمة «العمالة» و«الخيانة العظمى» ، وبعد أن نالت الجزائر استقلالها حصل «فيرجيس» على الجنسية الجزائرية ، وتولى مناصب مهمة في وزارة الخارجية الجزائرية ، وعمل مديراً لمجلة «الثورة الإفريقية» ، ثم غادر الجزائر إلى فرنسا حيث كانت له مواقف قوية ضد القوى الصهيونية الفرنسية التي ظلت تتهمه بأنه حليف لجبهة التحرير الجزائرية والعرب عموماً ، وبعد الانتخابات «الموءودة» وتداعياتها كتب المحامي الفرنسي كتاباً بعنوان «رسالة إلى أصدقائي الجزائريين الذين أصبحوا جلادين» كشف فيه بجلاء عن حجم المأساة وعمق الهاوية التي سقطت فيها البلاد بقيادة مافيا السلطة ، ويستعرض الواقع القائم بقوله : «إن القوانين التي فصلها المشرع الجزائري تشبه قوانين حكومة «فيشي» الموالية للنازية التي حكمت فرنسا خلال فترة الاحتلال ، بل إن بعض مواد القانون منقولة نصاً وروحاً من هذا القانون السيء السمعة الذي عرفتُ من خلاله حجم الخلل الذي انتاب النظام الحاكم . . . أنا لم أقرر من البداية أن أتخذ موقفا معيناً ضد السلطة في الجزائر ، لكن ما اكتشفته أثناء أداء عملي هو الذي دفعني إلى ذلك . إن المسؤولين هناك يمارسون على غيرهم ما مارسته عليهم فرنسا في السابق يلجأون إلى كل الوسائل لحماية مصالحهم ، وأنا أقول إن الوسائل نفسها تؤدي إلى النتيجة نفسها ، ففرنسا اضطهدت «جبهة التحرير» التي كانت تمثل أغلبية الشعب الجزائري ، و«جبهة الإنقاذ» فازت في معركة انتخابية بأغلبية الأصوات وهي تُضطهد اليوم ، والنتيجة ستكون واحدة . إن الأغلبية قد لا تساند أطروحات «الإنقاذ» لكنها تتعاطف مع أعضائها وتكره رموز السلطة ، وسفير الجزائر في فرنسا (سيد أحمد غزالي) قال بنفسه إن ٩٠ ٪ من الشعب يكرهون السلطة .

خذ مثالاً آخر : القانون الاستثنائي الجزائري الذي يمنع نشر اسم رئيس

المحكمة ويعاقب بالسجن لمدة خمس سنوات من يخالف هذا المنع ، وهذه بدعة قانونية انفردت بها الجزائر . لقد قرأت في الصحافة الجزائرية أثناء محاكمة المتهمين بتفجير مطار الجزائر أن أحدهم قال لرئيس المحكمة إنه تم خصيه أثناء التعذيب ، وقد رفض الرئيس معاينة المتهم طبياً لتأكيد أقواله أو نفيها ، أليس هذا إقراراً بحقيقة التعذيب؟!»

وحين يُسأل الشاهد الفرنسي عن «عنف الإسلاميين» وهو قميص عثمان الذي يرفع لتبرير بطش السلطة يقول : «عنف السلطة هو أكثر شدة ، لقد تم قصف إحدى القرى بغاز النابالم ، هل تعرفون عنفاً أشد من هذا؟! ثم إن عنف «جبهة الانقاذ» هو ردّ فعل لما تعرضت له ، لقد فازت في الانتخابات ، ثم رُمي بالذين فازوا في السجن وفي قاعات التعذيب ، كيف يمكن بعد ذلك التحدث عن الديمقراطية؟ ما هي شرعية السلطة اليوم؟ ليس في الجزائر رئيس منتخب ولا برلمان منتخب ولا مجالس جبهوية منتخبة ولا بلديات منتخبة ، من هنا بدأ العنف وما حدث بعد ذلك هو نتيجة له ، لقد كانت فرنسا في السابق ترفض التفاوض مع «جبهة التحرير» متعللة بالعنف ، وكنت أقول ما أقوله اليوم ، وأنا أعرف الكثيرين من المسؤولين في الجزائر ، إنهم يدافعون عن نمط حياة غربي وهذا حق مشروع ! لكنهم يعارضون بذلك إرادة الأغلبية ، إنهم مثل فرنسيي الجزائر الذين كانوا يرفضون التخلي عن امتيازاتهم» .

ثم يُجْلَبُ الشاهد مرة أخرى ليقال له : إن شروط «الإنقاذ» تعجيزية للبدء في الحوار ، لاسيما شروط الناطق باسمها «رابح كبيز» ، فيقول : «في كل حركة هناك وجهات نظر مختلفة ، وهناك متشددون ومعتدلون ، هذا الأمر طبيعي جداً ، ولا يبدو لي أن «رابح كبير» متشدد بل تبدو لي شروطه منطقية ، إذ كيف يمكن التفاوض إذا لم يُعترف مجدداً بـ «الإنقاذ»؟» .

ويشير إلى طلب قادة «الإنقاذ» محاكمة المسؤولين عن انحراف الجزائر إلى

دوامة العنف ، خصوصاً بعض العسكرين المتشددين بقوله : «وكيف يمكن التفاوض إذا استمر الجلادون في عملهم؟ لابد من إطلاق سراح القياديين الموقوفين ، وإيقاف الحملات ضد الإسلاميين ، وأنا أتحدث هنا بصفتي مراقباً ولا أنطق باسم «الإنقاذ» ، أقول : إنه من الصعب أن يتعايش الجلاد والضحية بعد كل ما حدث» .

وينهي الشاهد الفرنسي شهادته بقوله : «أظن أنه لا وجود لحل آخر سوى الحوار ، إنه وضع يشبه الجزائر عام ١٩٦٢ م آنذاك كانت فرنسا قد نجحت عسكرياً في التصدي لجبهة التحرير ، لكنها لم تجد طريقة لحكم الجزائر . إن الانتصار العسكري لا يساوي شيئاً أمام العجز السياسي ، وفي الجزائر اليوم لم تنجح السلطة في القضاء عسكرياً على «الإنقاذ» ، ولم تنجح في تسيير الأمور حتى رجال السلطة يعترفون بهذا ، من جهة أخرى لا يمكن مواصلة إنكار وجود «الإنقاذ» ، وكل ما يحدث يؤكد أنها قوة فاعلة ، وأن الأفضل التحاور مع قياداتها حتى لا يتواصل العنف والعنف المضاد بين قاعدتها والسلطة ، إن الحوار ليس فقط ضرورياً بل هو المخرج الوحيد من الأزمة . . . أنا لا أعلم ماذا يحدث داخل جبهة الإنقاذ ، لكن الواضح أن هناك مواقف متباينة ، أعتقد أن قادة كل حركة هم دوماً أكثر اعتدالاً من أعضائها القاعديين ، لذلك أقول إنه من الحكمة أن يتم التفاوض مع القيادة لتجنب عنف القاعدة ، والقيادة وحدها قادرة على منع هذا العنف ، هذه القاعدة أثبتتها كل التجارب التاريخية ، وأظن أن فرنسا تتجه اليوم نحو إدراكها ، فقد أدانت مؤخراً كل أشكال العنف ، أي أنها عرّضت بالسلطة أيضاً ، وأظن أن كتابي «رسالة مفتوحة إلى أصدقائي الجزائريين الذين أصبحوا جلادين» أسهم في تليين الموقف الفرنسي .

هذا السطر الأخير من الشهادة ينقلنا للحديث عن الموقف الغربي من الحدث ؛ لأنه ذو علاقة مباشرة بالموضوع وبتسلسل الأحداث .

فرنسا على الخط!

«إذا أردت أن تعرف موقف السلطة الحاكمة فعليك أن تعرف موقف باريس قَبْلاً» ، هذا ما يقوله «كريستوفر ديكي» المحلل الأمريكي في معرض استعراضه لمواقف حكومة «رضا مالك» الذي كاد أن يحصر العالم الخارجي وعلاقته بالجزائر في فرنسا والذي قام بزيارة سرية لها طارحاً ارتباطه الفكري/ السياسي ، وهو النهج نفسه الذي تتبناه الأحزاب العلمانية والشعوبية التي لا ترى من العالم الخارجي سوى فرنسا ولا تستلهم نموذجاً سواها ، مما دفع بعضهم للتساؤل : متى تتحرر الجزائر من فرنسا . . . ؟!

وهذا السؤال ملح خصوصاً أن التحول نحو «الحوار» وتشكيل ندوة هزيلة له كان متزامناً مع توجه فرنسي مماثل ، وهو يتلو تشدداً فرنسياً تجاه الإسلاميين الجزائريين تمثل في مسرحية ٧ نوفمبر ١٩٩٣ م حين قُبض على الناشطين الإسلاميين المقيمين في فرنسا بحجة دعم الجماعات المسلحة ، لاسيما بعد ثبوت هذه التهمة على «موسى كراوشي» الذي ضُبط لديه نسخ من الرسائل المرسلة من الجزائر تتحدث عن مسؤولية منفذيها عن اختطاف الفرنسيين ، ولكن زمناً قصيراً كشف أن هذه الوثائق «الخطيرة» و«الأدلة الدامغة» هي من دس جهاز الاستخبارات الفرنسي وتلفيقه ، مما يعطي دليلاً آخر على أن التورط الفرنسي في أحداث الجزائر لا يصب حتماً في مصلحة «حزب فرنسا» أو المنادين بدوام تسلطه العسكري .

إن الدور الفرنسي في أحداث الجزائر جعل من باريس وكأنها مصدر القرار لتوجه القوى الحاكمة التي ترتبط كلها في النهاية بخيوط فرنسية تجعل من مصيرها متعلقاً بهذه الخيوط والحبال السرية ، فالصراع الذي دار داخل مؤسسة العسكر كان بين جناحين «جناح التشدد» الذي يمثله ضباط الجيش الجزائري الذين خدموا في الجيش الفرنسي أولاً ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الجيش الجزائري

والفريق الثاني هو الذي نشأ بين أحضان جيش التحرير الجزائري ، والفريق الأول هو الذي قاد الانقلاب الأول عام ١٩٩٢ م بعد فوز جبهة «الإنقاذ» بالانتخابات الحرة وأتى بـ«محمد بوضياف» ، ثم هو الذي استمر في تصعيد الموقف من خلال تبنيه للحل العسكري والقبضة الأمنية لحل مشكلة حضارية وسياسية في الأساس ، ثم قام هذا التيار باغتيال «بوضياف» بعد أن حاول أن يفلت من قبضة الجنرالات ، ومارس هذا الفريق سياسة العلمنة الشاملة ومحاصرة اللغة العربية ، وإحلال غلاة العلمانيين ، والفرانكفونيين ، وبقايا الشيوعيين ، وشعوبيي البربر في الواجهة ، لاسيما بعد وصول «رضا مالك» إلى الواجهة السياسية رئيساً للوزراء .

ومع بروز صعوبة تنفيذ سياسة «الاستئصال» التي كان ينادي بها المتشددون ، برز تيار المصالحة من العسكر بعد أن انكشف ضعف حجج التيار المتشدد وسقوط مشروعه ، لقد تزامن هذا مع تراجع الدعم الفرنسي لبقية القوى المرتبطة به كأحزاب اليسار والبربر ، وإن كان الفرنسيون لا يستبعدون إثارة المشروع البربري الانفصالي ، الذي سيكون بمثابة العقبة التي توضع في مسار المشروع الإسلامي/ العربي في الجزائر . لقد أصبح حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية البربري وحزب التحدي الشيوعي - الإفراز المباشر للتيار الفرنسي - أضحوكة حتى للحزب الاشتراكي وجبهة التحرير ، خصوصاً وأن هذه الأحزاب الهامشية قد مارست دوراً متورماً خلال تسلط «المافيا العسكرية» التي داست على كل المقدسات والثوابت التي يجمع عليها الشعب الجزائري منطلقة من تصور ساذج مفاده أن «علمنة وفرنسة» هذا الشعب واجب مقدس حتى لو كان من خلال التحالف المكشوف مع نظام يفقد كل مقومات الشرعية وأبسط مبادىء العدالة .

لقد خسرت فرنسا مرتين ، حين تحدت إرادة الشعب الذي ثأر لكرامته

ودفع ثمناً لاستقلاله مليون شهيد ، ثم خسرت حينما مارست التدخل المباشر (الاستعماري) من خلال واجهة كالحة تجمع بين إجرام المافيا ، وفئوية النخبة المثقفة ، واستفزاز الشعوبية واستثمارها . . !

إن الموقف الفرنسي هو مثال صارخ للموقف الغربي عموماً من أحداث الجزائر الذي سيترك آثاراً مهمة مستقبلاً ، فأمريكا - كما يقول «ماركوس مازلي» - مارست دوراً مشابهاً «حين اكتفت ببيانات وزارة الخارجية الاحتفالية التي تحض على الحوار ، وتبشر بحقوق الإنسان والديموقراطية ، بينما دعمت سراً الحكم العسكري لأنه أخف ضرراً من حكم إسلامي . . . ! وفي المقابل كانت الشركات الأمريكية الكبرى تجني أرباحاً هائلة مستغلة حاجة الحكم إلى شريك أجنبي حيث تعمل سبع شركات نفط أمريكية لاكتشاف الغاز ، كما أن شركة «بكتل» تنفذ مشروعاً بقيمة ٤٧٥ مليون دولار . . . » ، وهو موقف مشابه للموقف البريطاني الذي اكتفى بتحديد المصطلحات ، والتبشير البياني بالديموقراطية وحقوق الإنسان ، وفرز الأصولي من المتنور الذي تشير إليه مجلة «الإيكونمست» البريطانية بقولها : «الجيش يبقى آخر حصون حماية العلمانية في البلاد والقائم على نشر قيمها ، ولذا فإن صغار الضباط يمكن وصفهم بأنهم متعاطفون مع الأصولية لأنهم درسوا المناهج باللغة العربية ، وهذا بالضبط ما يُسرُّ به كبار الضباط الجزائريين لمحدثيهم حينما يقولون بأنهم لا يستطيعون أن يثقوا بالضابط من مرتبة نقيب فأدنى . . . !» ، وهكذا فالناطق بالعربية أو المعتقد بعروبة الجزائر هو أصولي متطرف حسب التصنيف البريطاني .

هذا الفزع وتلك البلبلة تكشف حجم الغطرسة الغربية وماذا تعنيه بالأصولية كما تقول المستشرقة الإيطالية «إيزيبلا كاميرا دافيلتو» : «إن قضية الأصولية الإسلامية واجهت تضخيماً مبالغاً فيه من قبل أجهزة الإعلام الغربي فالغرب كان ومايزال بحاجة إلى «اختراع» عدو حتى يضمن لنفسه خطاً دفاعياً

ويظل مترفعاً ومتعالياً على ما تبقى من العالم لسنين طويلة ، أو حتى لعقود كان هذا العدو متمثلاً في الشيوعية التي يتبناها المعسكر الشرقي ، وعندما انهارت الشيوعية برز لدى الغرب التساؤل التالي : من سيكون عدونا المقبل؟ وإذا به يسحب من خزانة تراكم عليها غبار الزمن صورة العدو التاريخي القديم المتمثل في العالم الإسلامي .

لكن الغرب كان أيضاً بحاجة إلى وسيلة لإقناع مواطنيه بمصداقية هذا الاكتشاف «الجديد - القديم» لذا كان طبيعياً أن يحاول ترسيخ ملامح «البعبع» من خلال تقديم الأصولية الإسلامية في صورة العدو العنيف ، واستغل لتقديم هذه الصورة كل ما يمكن أن يمت إلى العالم الإسلامي بصلة .

فنحن وعلى الرغم من وجود مظاهر أصولية كثيرة في الديانة المسيحية أو الديانات الأخرى في الغرب ، لا نسمع حديثاً عن «عنف هذه المظاهر الأصولية» ، في حين نرى هذا المنطق يطبق على العالم العربي .

اطلعت أخيراً على الترجمة الإيطالية لأحد كتب المستشرق الانكليزي العجوز «بيرنارد لويس» وهو ينتمي إلى المدرسة القديمة القريبة من المنطق الاستعماري ، نشر الكتاب في طبعته الإيطالية تحت عنوان «القتلة ، الإرهابيون الأوائل في التاريخ»! وعندما تنشر دار نشر مشهورة وكبيرة في إيطاليا كتاباً بهذا العنوان ، فمن الواضح أن لديها هدفاً في تزييف الحقائق ، وليس هذا إلا مثالاً مصغراً عمّا يكمن في الغرب من استعداد لرؤية الجانب السلبي فقط من العالم العربي .

بطبيعة الحال لا أود أن يفهم من كلامي أنني لا أرى مظاهر أصولية ذات طابع عنيف وإرهابي أحياناً في البلدان العربية ، ولو كان الأمر كذلك لكنت أنا أيضاً أسيرة الخطأ نفسه لكوني لا أرى سوى جانب واحد من الحقيقة العربية لكنني أعتقد أن هناك حاجة إلى التوازن في قراءة ما يحدث في العالم العربي

ثم إن هناك «وحوش» في بقاع العالم أجمع ونحن أيضاً لدينا «وحوشنا».

أرى أن الظاهرة الأصولية العنيفة هي وليدة للمصاعب التي تجتازها بعض البلاد العربية ، وبالذات على الصعيد الاقتصادي ؛ لكن حتى هذه المصاعب الاقتصادية ليست وليدة اليوم ، وإن كان للزعامات الحالية دور في تعميقها فهي وليدة السياسة الاستعمارية ، والإمبريالية الثقافية ، والاستعمار الجديد . . . لذا ففي اعتقادي أن مسؤولية الغرب في هذا الإطار كبيرة وثقيلة.

وعلى أي حال فإن أخطاء الزعامات العربية ، وغياب الديموقراطية والحرية في العديد من البلدان العربية ، من العوامل التي تساهم في شق الطريق أمام صعود تيارات عنيفة تستفيد من غضب الناس ، وتستغل هذا الغضب وأرى أنه في ظل مناخ من الحرية والإعلام الحر ، فإن غالبية الناس لن تصغي إلى شعارات الحركات الأصولية ، ولن تقتنع بمنطقها.

ومع هذا فإن الغرب لا يحاول التوصل إلى هذه القراءة الموضوعية للوضع العربي ، أو بالأحرى لا يرغب في تقديم صورة حقيقية . . يكفي أن ترى نشرات الأخبار ، فهي عندما تتحدث عن الظاهرة الأصولية ومظاهرها العنيفة ، تذهب لتصوير الناس وهم يؤدون شعائر دينية أو يصلون في المساجد ثم تربط بين هذه الصور والحديث عن «العنف الإسلامي»!

ترى لماذا لم تفكر محطات التلفزيون في الحديث عن الظاهرة الأصولية في الديانات الأخرى - وهي موجودة بالفعل - من خلال الربط بينها وبين مشهد آلاف المؤمنين الذين يؤمون ساحة القديس بطرس! في الفاتيكان كل يوم أحد للاستماع إلى قداس الأحد الذي يحييه البابا «يوحنا بولس الثاني» ، أو أولئك الذين يقفون أمام حائط المبكى «البُراق» في القدس ؟! ثم من أجاز لهؤلاء الصحفيين أن يطلقوا على بشر عاديين يؤدون شعائرهم الدينية صفة «الأصولية»؟! . . »

ما فات هذه المستشرقة أن الجزائر ومحنتها كشفت عن أن من يتحدث اللغة العربية أو يطالب برفع الأذان أو يعتقد بعروبة الجزائر هو أصولي بالتعريف الغربي الذي جر الجزائر إلى هذا الواقع المؤلم !

بين الكوليرا .. والطاعون :

الصراع المحتدم في الجزائر يمكن أن يلخص بأنه صراع عقدي حضاري لا يمكن للمدفع أو الدبابة أو الطائرة الحربية أن تحله ، لكن المطلوب هو حوار حقيقي بين قيادات تُحمِّل مسؤولية العنف وهي لا تملك حق دخول دورة المياه بحريتها ! لقد اكتشف النظام الحاكم بأجنحته الحاجة الماسة للحوار الحقيقي الذي ينصف المطلوبين ويرجع الحقوق لأصحابها ويحد من وهج الصراع الذي زلزل البيت الجزائري من الداخل ؛ لكن السؤال هو : هل سيقدم العسكر على مصالحة حقيقية أم يكتفون بحوار وهمي ؟

الصراع اليوم أيضاً هو صراع أجيال (جيل هرم وآخر صاعد) ، الجيل الصاعد يرى خياره الإسلامي وينحاز إلى هويته ، وهذا الجيل ينبت كشجرة طيبة داخل الوطن وخارجه في المنفى وفي فرنسا خصوصاً ، حيث يقبل آلاف المهاجرين على دينهم وهم يشعرون بالعزة ، وقد يكون الصراع بين أجنحة السلطة صورة أصغر للصراع المحتدم بين الانتماء إلى جزائر «سي محمد» - كما كان يقول بسطاء الجزائريين خلال حربهم مع فرنسا - أو جزائر متفرنسة ، وهو صورة بلا شك لصراع شعب سلب اختياره وغُيب قراره وراء أقنعة «النَنجا» التي يتخفى وراءها صغار الجنود والقادة حين يواجهون شعوبهم ، لقد حل الانقلاب الأول وما لبثت عوارض السوء أن أوصلت الجزائر إلى جرف سحيق بالرغم من التخفي وراء رموز مدنية أثبتت إفلاسها ، وجرت البلاد إلى أجواء حرب أهلية (مهما اختلفت التسمية)

لقد شبه مسؤول فرنسي الوضع الحالي بأنه حرب أهلية سافرة ونتيجة

مباشرة لفساد نظام الحكم الذي دفع البلاد إلى الإفلاس.

«إنهم كالطاعون القاتل ببطء، لكنه أفضل من الكوليرا القاتلة بسرعة» وهكذا نحن في أعينهم طاعون، أو جرثومة كوليرا، وهل نحن بحاجة هنا إلى شهادة أخرى تدين الغرب الذي يكيل بأكثر من مكيال..؟!

في البداية استشهدنا بـ «جاك فيرجسي» والآن علينا أن نسمع مفكراً غربياً آخر هو «سلفاتوري بونو» الذي يلخص نظرة الغرب لنا بقوله: «الغرب ينظر للمسلمين باحتقار حتى ولو كانوا عملاءه، فما بالك بالأصوليين؟، هذه الحركات الأصولية تمثل مصدر إزعاج للغرب وهو غير قادر ولا راغب في مناقشة طروحاتها...».

الجزائر اليوم في وضع حرج وهي تشهد انقلاباً ثالثاً، وربما رابعاً، وخامساً.. غير أنها بحاجة إلى انقلاب من نوع آخر، انقلاب تتصالح فيه القيادة المنهكة مع شعبها الأعزل الذي يرفض أن يكون جرثومة.

إن الجزائري المسلم إنسان مهما حاول المتغطرسون أن يشوهوا من سيرة أمته الباسلة، وهذا بالضبط ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، وهو بالتحديد ما يجب أن يدركه الذين نسوا في غمرة التهييج أن الجزائر ستظل مغروسة في عمق العالم الإسلامي والعربي، وأنها بأحداثها المتوالية قد سجلت لنا شهادات بالغة الأهمية والقيمة عن لؤم أعدائنا وعدالة حق الشعوب في أن تستعيد هويتها.

تجربة سجين جزائري:*

اسمه «محمد»، لقد وصف كيف أرغموه على ابتلاع سائل تبييض (كلوركس) مع الماء حتى التقيؤ، وضربوه بمسدس كهربائي فجّر الحروق في قدميه، وغطسوا رأسه في قاذورات المجاري حتى الاختناق. قال: «عندما رفض أحد الإخوة الإدلاء بمعلومات تحت التعذيب، عذبت الشرطة والدته البالغة من العمر ٥٥ عاماً، لقد رأيتهم وهم يخرجونها من حجرة التعذيب.. كانت عارية، مغطاة بالدماء، لكنها نظرت إلينا وقالت: صبراً يا

شباب!».

من الصعب التستر على ما حدث لمحمد بعد هجوم ٣٠ من عناصر الشرطة الملثمين على بيته في حي «سالمبير» في العاصمة الجزائرية في الساعة الثانية صباحاً يوم ١٠ أكتوبر من العام الماضي ، عصبوا عينيه وألقوه في شاحنة تابعة للشرطة وأخذوه إلى كلية الشرطة في «شاتونيف (Chateau Neuf) . . أسابيع من التعذيب تبعتها أشهر من الظلام الدامس في سجن انفرادي.

ما كان محمد يخفي شيئاً من انتماءاته الإسلامية ، كان إمام أحد مساجد العاصمة الجزائرية ، وهو بالتأكيد أحد مؤيدي جبهة الإنقاذ الإسلامية التي تعارض الحكومة الجزائرية منذ أن ألغت الانتخابات التي كانت توشك الجبهة أن تفوز بها .

يقول محمد : إنهم في كلية الشرطة التي تقع في حي «البيار» في العاصمة الجزائرية نزلوا به درجات سلم عديدة إلى سلسلة من الزنزانات ، ربما أربعة طوابق تحت الأرض وصفها بأنها (باردة كالثلج) ، كانت الزنزانات صغيرة جداً . . يقول محمد : «وكانت جدران الزنزانة التي كنت فيها ملطخة بالدماء وفيها أضواء قوية جداً لدرجة أنها كادت تعميني ، كنت أستطيع سماع الصراخ القادم من الحجرات الأخرى . . نزعوا عني ملابسي وعصابة العينين ، كان جميع أفراد الشرطة ملثمين ، بعضهم كان يتكلم بلهجة محلية من «قسنطينة» والجهة الغربية ، أما الآخرون فقد كانوا من العاصمة الجزائرية ، سألوني عن مكان الأسلحة فقلت لهم : لا أعرف وهي الحقيقة ، أخذوني إلى فتحة مجاري صخرية في منتصف الحجرة ونزعوا الغطاء ، كانت فتحة مجاري كبيرة ، ودفعوا برأسي داخلها فاختنقت من القاذورات واستمررت في إنكار أن لي أي علم بالبنادق ، بعد ذلك قيدوني بحبل غليظ إلى مقعد من الإسمنت في أحد أركان الحجرة ، وسدوا فتحتي أنفي ليجبروني على فتح فمي ، ونقعوا قطعة من القماش في محلول من (مبيض الغسيل) وماء ، ثم جعلوا يعصرون السائل من قطعة القماش داخل فمي ، وفعلوا ذلك مرات ومرات حتى امتلأت معدتي بالمبيض والماء ثم ركلوني في بطني وجعلوني أتقيأ».

لقد فعلوا أشياء فظيعة ، في إحدى المرات وضعوا نوعاً من الغراء لمنعي من قضاء الحاجة ، ثم جاؤا بمسدس كلما أطلقوه على جلدي أعطى صدمة كهربائية كبيرة جداً سببت لي قروحاً وحروقاً من الدرجة الثانية أو الثالثة وسقط الجلد من قدمي» ، ونزع محمد صندله

الأزرق وكشف عن قدميه ، لاتزال القروح واضحة للعيان رغم مرور ثلاثة أشهر ، قطرها ثلاثة سنتيمترات ، نسيج أثر الحروق باهت وواضح مقارنة ببقية جلده .

«لقد هددوا بجلب زوجتي وتعذيبها أيضاً لما رفضت الكلام ، لقد صنعوا ذلك مع رجال آخرين . . أحدهم (. . .) وهو شاب من «براكي» جاؤا بزوجته الشابة إليه ، ثم أخذوها إلى مكان آخر وعذبوها ، فيما بعد علم أنهم اغتصبوها فأصابه انهيار ، عندما رأيته أخبرني أنها ماتت من جراء ما فعلوا بها ، ثم جاؤا بعد ذلك بأمه وعذبوها واغتصبوها أمامه وفيما بعد حكمت المحكمة بإعدام ذلك الشاب .

بعد ثمانية أيام في «شاتونيف» أخذ محمد إلى مركز شرطة في «مدانية» ثم بعد ذلك إلى مركز الشرطة الرئيس ، وبدأ فصل جديد من التعذيب . . يقول محمد : في الفصل الأخير من التعذيب في مركز الشرطة الرئيس كبلوا يدي وراء ظهري وربطوا قدمي معاً ثم ضربوا رأسي بالأرض بعنف ، وقفز أحد الزبانية على رأسي فانكسر أنفي وفقدت حاسة الشم وانخلعت أسناني» ، وبالفعل فقد كان كثير من أسنان محمد العلوية الأمامية مفقوداً «لقد عذبوني عذاباً فظيعاً حتى أنني بلّغت عن شقيقي وقلت : إن له ضلعاً في المقاومة وجاءوا به إلي وجهاً لوجه فقلت لهم : إن هذا غير صحيح ، لكنهم كسروا أضلعه وبكى أخي وقال لي : سامحك الله» .

عند هذه النقطة انهار محمد بعد ٣٣ يوماً من التعذيب ، ووقع على اعتراف بأنه قام بجمع الأدوية والمال للمقاومة ، واشتكى إلى قاضي المحكمة بأنه لم يكن له خيار غير توقيع الوثيقة : «يجب أن تفهم : لقد رأيت رجالاً يموتون تحت التعذيب» ، ويضيف محمد : «لقد عذبت في إحدى الزنزانات حيث كان الرجال يعلقون من السقف بقيود من حديد في أيديهم ، أصابهم الضعف من جراء التعذيب ، ورأيت رجلين ميتين معلقين ، وأجساد ثلاثة آخرين ماتوا من جراء التعذيب بلهب جهاز لحم المعادن ، أما إمام (بومرداس) واسمه (حومي محمد) ، فإن عينيه قد اقتلعتا وهو على قيد الحياة ، وترك ليموت في حجرة التعذيب ، وفيما بعد قالت الصحافة الجزائرية عنه : كان إرهابياً قتل في معركة بالبنادق مع الشرطة . .» .

---

* عن صحيفة الإندبندت الإنجليزية الصادرة في ٤ فبراير ١٩٩٤ - (البيان) .

قبض الريح
من أوسلو إلى دافوس

أحمد بن عبدالعزيز العويمر

لم يخرج حتى أكثر المراقبين تفاؤلاً بعملية الصلح بين (منظمة التحرير الفلسطينية) و(العدو الصهيوني) بأي أمل في إمكانية إتمام الصلح ، ولم يصدق ولن يصدق ما كان يمني به دعاة السلام شعبهم الفلسطيني من آمال عراض نتيجة للصلح مع العدو، وذلك على ضوء لعبة المفاوضات من أوسلو إلى دافوس مروراً بواشنطن وجنيف وطابا ، حتى القاهرة . . . وهذا شيء نعرفه حق المعرفة وهو أحد المبررات التي جعلت المعارضين «الصادقين» للسلام مع العدو يكفرون بالصلح معه لا لمجرد المعارضة فحسب ، وإنما لأسباب جوهرية سبق أن طرحت ومازالت تطرح منذ بوارق التصريحات بمهزلة (كامب دافيد) وما بعدها ، وذلك للعداوة الصريحة التي يكنها (يهود) للإسلام والمسلمين ، وهذا مسطور في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها : **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾** (البقرة - ٨٩) ، ولما يمثله (يهود) من خطر على الأمة الإسلامية في مجالات الفكر والثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والقوة العسكرية[(١)] ، إن لم يستعد لهم بتقوية تلك المجالات كما دل عليه قوله تعالى **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾** ، فإنهم يعملون وبكل السبل المتاحة لغزو أمتنا الإسلامية والقضاء على مقدراتها وإشاعة عوامل التخلف والانهزامية فيها ليتحقق ما يخططون له من أهداف بعيدة المدى .

ولا شك أن المستفيد الأكبر من هذه العملية الاستسلامية هم الصهاينة وهذا مشاهد وملموس للأدلة الآتية :

١ - إن للعدو الصهيوني استراتيجيته التي قامت دولته على أساسها وهو يعتبر ما احتل من الأراضي العربية جزءاً لا يتجزأ من أرضه التي يزعم أنه موعود بها ، ولذلك سماها بأسماء عبرية ، ولكنه قد يتساهل تكتيكياً لأهداف يريد تحقيقها ومنها ما يمني نفسه به من غزو اقتصادي للمنطقة بعد بروز ما عرف بالسوق «الشرق أوسطية» ، وبعد تهافت قومنا على السلام معه كتهافت الذباب على الشراب ، بل اتضح لنا أن منهم من له اتصالاته السابقة بالعدو زمن (اللاءات الثلاث) وزمن (الصمود والتصدي) !! وهو ما كتبت فيه دراسات موثقة ، تعكس حقيقة الانتماء وتوضح من هم أولئك القوم الذين يقولون خلاف ما يبطنون ![2] .

٢ - إن يهود مازالوا يعملون على إذلال الشعب العربي بعامة والفلسطيني بوجه خاص في أساليبهم التفاوضية ، وطرقهم الملتوية في تفسير بنود الاتفاق وفق أهوائهم وبما يحقق أهدافهم المرسومة .

٣ - بعد اتفاقية ما سمي خيار (غزة - أريحا أولاً) وإعطاء يهود وقتاً للانسحاب لتدير (م . ت . ف) تلك المناطق ، عادوا لوضع العراقيل بدءاً من عدم الموافقة على انسحاب جيشهم ، وادعاء أن المسألة مجرد إعادة للانتشار ثم تحجيمهم للمناطق بحدود معينة ، وبعد عدة اجتماعات لم يعط الصهاينة ولا عشر ما كان يأمل به المتفاوض الفلسطيني من آمال .

٤ - جعلهم المستعمرات الصهيونية (المستوطنات) عامل عرقلة لتنفيذ الاتفاق ، وكل متأمل في التاريخ الصهيوني المعاصر يعرف أن تلك المستعمرات مناطق استراتيجية في الأماكن التي تختار فيها ، وتكون مسلحة وسكانها مسلحون ،

فهي بؤر سرطانية تثير الرعب وتشيع الفاحشة في أي مكان تزرع فيه ، ولقد كشفت «يائيل ديان» حقيقة هذه المستوطنات وبينت ما يمارس فيها من إباحية[٣] ، وهذه المستعمرات ستبقى تؤدي رسالتها ولن تسحب بقول «رابين» في خطاب أمام جمع ضخم من اليهود في أمريكا : (إن إسرائيل غير مستعدة لإزالة المستعمرات في الضفة والقطاع ، ومهما كانت الاتفاقية فالمستعمرات ستبقى وسيدافع عنها الجيش) .

٥ - كان من معطيات هذا التوجه للسلام مع العدو - وهذا ما خطط له يهود - محاصرة الرافضين للتوجه الاستسلامي ، وبخاصة أصحاب التوجه الإسلامي ، وهذا ما حصل بالفعل وآثاره الخطيرة على الشعب الفلسطيني بدت واضحة للعيان .

٦ - إتيانهم بفكرة (الاستفتاء) على الانسحاب من المناطق المحتلة وهي أحبولة من أحابيلهم المعروفة في الالتفاف على ما قد يبدو من نتائج إيجابية مع أن تلك الاستفتاءات مرفوضة في القانون الدولي ، إذ كيف تستفتي دولة شعبها على أراض احتلتها وهي تعترف باحتلالها ؟! فهم يدّعون أن فكرة الاستفتاء تلك ستلقي بذور الشقاق في صفوف خصومهم (الليكود) والمستوطنين ، فإن وافقوا على الفكرة فإن هذا لن يؤدي لاستجماعهم صفوفهم وقواهم ضد التسوية ماداموا سيحتكمون إلى الشعب ، وإذا رفضوا سيظهرون بمظهر الرافض لآراء (الشعب) لكن لو جاءت نتيجة الاستفتاء (سلبية) ففي هذه الحالة لابد من انتخابات جديدة ، وبالتالي تؤجل التسوية لعدة أشهر إضافية ، وإن عاد (الليكود) للحكم فإن نتيجة العملية ستكون معروفة سلفاً ، والمستوطنون الصهاينة مازالوا يقومون بتحركاتهم المكشوفة الرافضة للانسحاب ، بل يقومون ببناء المزيد من المستوطنات غير المرخصة ، بل إن مجلس البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين قد دعا لمضاعفة

المستعمرات وإن عاد عن موقفه ظاهرياً.

٧ - إن لعبة التمديد والتمطيط للمحادثات، ووضع العراقيل في طريقها، هي إحدى الأساليب التي تقوم بها إسرائيل مستغلة (اللوبي الصهيوني بأمريكا) لأخذ المزيد من الإعانات والكثير من وسائل الترضية الغالية الثمن.

٨ - إن المستفيد الأول والأخير من هذه العملية هو العدو الصهيوني نفسه فقد ظهر أمام العالم أجمع بأنه الطرف الجانح للسلام، بل استطاع بهذه العملية أن يحظى بمكاسب دبلوماسية مهمة، فقد زار رئيس وزراء العدو (تركيا)، وهناك ١١ دولة من خمسين دولة عضو في (منظمة المؤتمر الإسلامي) ذات علاقات دبلوماسية كاملة مع العدو الصهيوني وفي الأفق ٢٢ دولة مسلمة لها اتصالات جارية لإقامة علاقات دبلوماسية فضلاً عما جناه العدو من ضمانات لقروض جديدة من (أمريكا) إضافة إلى أسلحة متطورة، واجتذاب رؤوس الأموال الأوربية لدعم اقتصاده.

٩ - الضحك على الذقون بوضع وجود غير مرئي للصهاينة في المعابر بحيث يكونون وراء زجاج عازل يَرَى ولا يُرى، وبإمكانهم منع دخول أي فلسطيني مسافر وتفتيشه واستجوابه ولكن بحضور محام فلسطيني !!

هذه معطيات المفاوضات!

* لم يجن المتفاوض الفلسطيني شيئاً حتى الآن، ويتوقع ألا يجني شيئاً ذا بال، فمازال العدو يماطل فيما وعد به وفي الوقت نفسه يضرب بيد من حديد على إخواننا في الأرض المحتلة، ويسوم الناشطين في مقاومته سوء العذاب، ولا يمر يوم إلا وقد قام بقتل عدد من رجال المقاومة الإسلامية الرافضين لتطبيع العلاقات معه.

* تناسي العملية السلمية (فلسطينيي المهجر) ، والأدهى والأمر هو المطالبة بتوزيعهم خارج وطنهم المحتل ، ولقد صرح «بيريز» مؤخراً أنهم يعارضون إقامة فلسطينيي الخارج في غزة وأريحا .

* قوة الأمن الفلسطينية التي أعدت لتقوم بالأمن وضرب كل معارض لتوجه (السلام) ستقوم بالدور الصهيوني نفسه وسيكون ضحيتها أبناء فلسطين فهل هذا في مصلحة هذا الشعب ، أم أنها ستأتي بالمزيد من المعاناة والمزيد من الشقاق والمزيد من المواقف المؤدية إلى ردود الأفعال الشديدة . . والمستفيد الأول هو العدو نفسه .

* ظهور الميول الخفية للعلاقات مع اليهود بشكل سافر ، حتى أن بعض الدول العربية تستعجل تطبيع العلاقات الاقتصادية مع العدو والتبادل التجاري معه بأقصى ما يمكن ، مع وجود المقاطعة العربية التي مازالت على الأقل (شكلياً) قائمة ، ولم تلغَ رسمياً حتى الآن ، وهناك دعوات لوضعها على جدول أعمال أقرب لقاء في الجامعة العربية للمطالبة بإلغائها على ضوء الضغوط الأخيرة .

* صار للعدو الصهيوني أدوار أكثر فاعلية في العمل الاستخباراتي وصارت جواسيسه تصول وتجول في بعض الدول العربية وذلك بدعوى أنهم وفود شعبية أو ثقافية أو حتى ادعاء (أنهم وفود يهودية لا صهيونية)!! وصار من يقبض عليه بالجرم المشهود في التجسس للعدو يعاد مكرماً معززاً، ولو حوكم وأدين بجريمته .

* عقد اليهود في المغرب ولأول مرة في دولة عربية وبمباركة رسمية مؤتمرهم الأولى في ٥/ ٢/ ١٩٩٤ م تحت شعار (إعادة إحياء اليهودية المغربية في أفق تنوعها وامتدادها في العالم) ، ويحضره مندوب صهيوني هو نائب رئيس الكنيست (رافي درعي) ، وقبل هذا المؤتمر زار المغرب وفد من جماعة (بناي برث)

الصهيونية الدولية المحظورة في بعض الدول العربية لكونها مؤسسة صهيونية ، ومعلوم أن (التجمع اليهودي المغربي) ثاني أبرز تجمع صهيوني في العالم بعد اللوبي الصهيوني (إيباك) في أمريكا ، ومن المتوقع أن يكون نتيجة هذا التوجه للسلام مع العدو والمؤتمرات الصهيونية في بعض الدول : المطالبة وبإلحاح للإفراج عن الجواسيس الصهاينة في البلاد العربية وعلى رأسهم (عدنان ياسين) العين الصهيونية في السفارة الفلسطينية بتونس الذي ألقي القبض عليه بالجرم المشهود مؤخراً. وهناك تفكير صهيوني جاد يسعون لطرحه وهو اللعب بورقة المعتقلين الفلسطينيين وطلب مقايضتهم بالمتعاونين معها! .

* مازال العدو متمسكاً بآرائه الداعية لأن تصبح نتيجة هذا الاتفاق كياناً هزيلاً ليس إلا ، بل سيكون تحت رحمته بالشروط التي تقضيها هيمنته وحتى ما نشر في (وثيقة القاهرة) مؤخراً لا يرقى إلى مستوى ما اتفق عليه سابقاً من التحفظ على مساحة أريحا والسيطرة الصهيونية على المستعمرات. وهناك مناطق ستقسم السلطة فيها بين الطرفين بالإضافة إلى مسؤولية الصهاينة عن المعابر الدولية ، وقد ادعت الإذاعة الصهيونية مؤخراً أنهم سينتهون عام ١٩٩٥ م من إقامة سياج حول قطاع غزة المحتل بطول ٦٥ كم مزوداً بجهاز إنذار كهربائي سيطوق القطاع الذي ينتظر أن يشهد بداية تطبيق الحكم الذاتي.

فأي مكاسب سيحققها السلام المزعوم مع العدو وهو بتلك المثابة؟!

ولا يغيب عن البال ما قاله «رابين» عن زمن الانسحاب الذي كان مقرراً في ١٣ ديسمبر الماضي وأجل إلى ١٣ إبريل القادم ، حينما قال : «ليس هناك تواريخ مقدسة».

المزيد من التضليل!

يعلن دهاقنة (م. ت. ف.) تضليلاً للأمة أن المعارضة للسلام في صفوف الشعب

الفلسطيني ليست إلا وليدة الظروف الاقتصادية الصعبة للشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة مما جعلهم يتمسكون بالرؤية الرافضة للسلام التي تلبي رغبة القصاص من العدو المحتل الذي طالما آذاهم ، وهذا ما صرح به (عرفات) مؤخراً بقوله : «إن المجموعات المتطرفة ستستفيد من أجواء الفقر والظلم وانعدام الاستقرار والتوازن »، وأضاف قائلا : «إن الأساس الأهم للتوصل إلى الاستقرار هو العدالة والعدالة والعدالة لنا جميعاً»! ، ولا ندري أي عدالة يمكن أن يعطيها اللصوص ومصاصو الدماء ، لاسيما وأنهم مازالوا يعرقلون التسوية التي وقَّعوا عليها ، بل إنهم وبأساليبهم المعروفة يلوحون بالتهديد النووي ، وقد صدر مؤخراً كتاب (الكتلة الحرجة) الذي يكشف ما في الترسانة النووية الصهيونية من سلاح ، والذي جهز لها صاروخهم (أريحا/ ٢) الذي يبلغ مداه ١٤٠٠ ميل ، وبه تكون حتى دول أوربا الشرقية في متناول ذراعهم النووية ،فأي سلام يزعمون وهم يعدون العدد بمثل هذه الأسلحة النووية؟!

موقف الإسلاميين والعلمانيين :

لا شك أن الأوضاع المتردية التي يعيشها الشعب الفلسطيني المسلم ومعاناته الطويلة من جور وإذلال العدو الصهيوني مشاهدة وملموسة ، ثم إن فشل العنتريات العربية في استرداد حقوقه . . وليأسه من الأحزاب التي طالما تحدثت باسمه ،ودعت إلى استقلاله وهي المستفيد الأول لرفع حساباتها في البنوك من جراء تلك الدعاوى ،والتي ماتزال تدعو لاستغلال هذا الشعب المسلم وزيادة أرصدتها المادية والمعنوية باسمه ، كل ذلك جعله يفقد الثقة فيهم جميعاً ، نعم سقطت الأحزاب المادية والعلمانية سقوطاً ذريعاً ، وانكشفت حقيقة توجهاتها وطبيعة ولاءاتها ، وهي وإن كانت ماتزال ترفع لواء المعارضة للسلام مع العدو فهي تعلم بأن هذا هو الأسلوب الوحيد الباقي لتستجيش به العواطف.

ومادام أن هناك بعض الدول التي مازالت ترفع لواء المعارضة للسلام مع العدو

لأسباب مؤقتة فيما يبدو ، فستكون تلك الأحزاب العلمانية بالفعل في مواقف لا تحسد عليه بعد سقوط أسيادهم في وحل الاستسلام ، أما الإسلاميون الذين مازالوا منذ كتائب التحرير الأولى لا يرون الحل إلا بالجهاد*، فهم يدعون الأمة إلى المزيد من الوحدة وإلى المزيد من التعاون ليكونوا يداً واحدة .

هذا نهج الإسلاميين عبر التاريخ مروراً بعزالدين القسام وفرحان السعدي ومحمد أمين الحسيني وأحمد ياسين وغيرهم(٤)!

ولا يخفى أن معارضة الأحزاب العلمانية الفلسطينية إنما لسبب أنها لم تعط وزناً من خلال المكاسب المحددة التي ستحظى بها (م . ت . ف) والمتمنين لها ، بينما معارضة الإسلاميين معارضة في سبيل الله ثم لوجه الحق الذي يؤكد أن فلسطين بلاد إسلامية مقدسة لا يمكن بحال أن يفرط فيها بأي حلول لا تلبي أدنى حقوق شعبها المحتل ، فضلاً عما يشكله الصلح مع العدو الغاصب من إقرار لاحتلاله أراضي إسلامية لا يصح بحال من الأحوال إقراره عليها مهما كانت الدوافع** .

فإلى أولياء الله وأحبابه من المجاهدين في سبيله الرافعين لرايته ، الحذر . . الحذر من اليأس من رحمة الله ، وما عليكم أن تدركوا النصر مادمتم عاملين للوصول إليه . . هذا هو الطريق لاسترداد الأرض المقدسة ، وما عداه فإنما هو قبض الريح ! ﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد ١٦) ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون(٥) .

مذبحة الخليل والموقف العجيب :

في يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان ١٤١٤ هـ وهذا العدد ماثل للطبع حدثت مذبحة الصهاينة في المسجد الإبراهيمي بالخليل التي نسبت إلى الصهيوني المتطرف (جولد شتاين) ـ أحد أنصار جماعة « كاخ » المتطرفة ـ والتي قتل فيها المصلون وهم سجود وقد بلغ عددهم ما ينيف على سبعين شهيداً فيما نحسبهم والله

حسبهم ولا نزكي على الله أحداً.

وقد نقلت نشرة (قدس برس) عن شهود عيان أن الجنود الصهاينة حاولوا منع المصلين المسلمين من دخول المسجد بحجة احتفال اليهود بعيد (البوريم) وكانوا يستفزون المسلمين منذ مساء الخميس بإطلاق الألعاب النارية تجاههم، ولما أصر المسلمون علي الدخول إلى المسجد سمحوا لهم، وعند العاشرة مساء طلب منهم الخروج من المسجد واعتدي عليهم بالضرب. . وعند قدوم المصلين لأداء صلاة الفجر من يوم الجمعة بأعداد كبيرة قدّرت بحوالي ألف وخمسمائة مصل، وبعد إقامة الصلاة وعند الركوع الأول ثم السّجدة الأولى سمع إطلاق النار الكثيف من الخلف وكان يقوم به جندي بزيه العسكري الرسمي والذي تحصن بأحد الأعمدة عند إطلاقه النار، ويعتقد بأنه أطلق حوالي ثمانية مخازن من الرصاص، وأكد شاهد آخر أن جندياً آخر أطلق النار على المصلين وبصورة عشوائية.

وأكد الشهود بأن الجنود الصهاينة ـ على غير عادتهم ـ لم يحضروا لحراسة المسجد، وإنما وقفوا بالقرب من الساحات الخارجية ولم يدخلوا المسجد إلا بعد توقف إطلاق النارت تماماً، مما يوحي بتواطؤهم مع الجناة، وقد قام المصلون بالقبض على أحد المهاجمين وضربوه بطفاية الحريق حتى هلك، ولم ينتحر كما زعمت الحكومة الصهيونية.

ومع ردود الأفعال الشديدة المستنكرة لهذه المجزرة ضد الشعب الفلسطيني، وبعد عقد جلسة لمجلس الأمن الدولي لمناقشة الموقف والمطالبة بحماية دولية للشعب الفلسطيني، وقفت أمريكا ضد أي إدانة للعدو الصهيوني وبكل بجاحة يقول وزير خارجية العدو (يوسي بلين) : إن الأحداث المأساوية في الخليل يجب ألا تكون مبرراً لأي شرط لاستئناف مفاوضاتهم مع المنظمة.

والعملية فيما ظهر من شهادة الشهود مخطط لها ولم تكن عملاً فردياً والخطوة

التالية يجب أن يؤكد على إلزام العدو بنزع السلاح من المستوطنين وليس (المتطرفين) فقط .

إن الصهاينة لا يعرفون سوى أسلوب واحد فقط يوقفهم عند حدهم، فهل يفطن له أنصار الحل السلمي الذين لم ينتج عن توجهاتهم تلك سوى السراب؟ هل يفطن الغارقون في وحل السلام إلى الموقف الحق أم على قلوب أقفالها ؟!

هوامش :

(١) مخاطر الوجود اليهودي على الأمة العربية ، د. محمد عثمان شبير.

(٢) انظر (الاتصالات السرية مع إسرائيل) لجمال الدين حسين.

(٣) (البيان) العدد (٦٥) ، انظر مقالة (يائيل ديان والثوار والمبادىء).

(٤) لمزيد بيان لرأي الإسلاميين من قضية السلام مع العدو انظر (لماذا نرفض السلام مع اليهود) لمحسن عنبتاوي.

(٥) رُجع إلى الكثير من قصاصات الصحف اليومية مثل : القبس ٧٤١١ في ٣/ ٢/ ٩٤ الوطن ٦٤٦٠ في ٢٠/ ٨/ ١٤١٤ هـ ، الشرق الأوسط ٥٥٤٥ في ٢٢/ ٨/ ١٤١٤ هـ والعدد ٥٥٤٧ في ٤/ ٢/ ٩٤ ، الحياة ١١٢٨٥ في ٦/ ٧/ ١٤١٤ هـ والعدد ١١٢٨٩ وغيرها.

* انظر مقالة (فهمي هويدي) في مجلة المجلة ، العدد ٧٣٠ ، عن حقائق هامة يقوم بها العدو لصالح المستوطنين ومستعمراتهم أثناء عملية السلام هذه.

** نحذر إخواننا الفلسطينيين من توجهات بعض الجماعات المتسبة للإسلام مثل منظمة (الجهاد الإسلامي) ذات الأيدلوجية المشبوهة المخالفة لعقيدة الأمة ، ولذلك يهدد زعيمهم بنسف التحالف للفصائل الفلسطينية العشر المعارضة للسلام لو اشتركت (حماس) في انتخابات الحكم الذاتي ، لعلمه بسقوطه وأشياعه من المعارضة الصوتية لو اشتركت «حماس».

الإنجليز : من الملك ريتشارد «قلب الأسد» إلى اللورد ديفيد أوين

د. يوسف الصغيّر

مهما قلنا عن برود الإنجليز، وهل هو ميزة أم عيب، فإن دهاءهم السياسي هو من الصفات التي أجمع عليها الناس منذ اليوم الأول الذي أخرجت فيه السلحفاة رأسها - أي خروجهم من جزيرتهم الصغيرة إلى أصقاع بعيدة تجاوزوا فيها مستعمراتهم على الساحل الفرنسي المقابل لهم - فإن وجهتهم كانت المشاركة الفعالة في الحروب الصليبية، وذلك بعد أن استرد صلاح الدين بيت المقدس وطهرها من رجس الصليبيين، وكان الصراع السياسي والعسكري الذي جرى بين صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - وريتشارد «قلب الأسد» ملك الإنجليز هو أول اللبنات في علاقة الإنجليز مع العالم الإسلامي، وإذا علمنا مدى تقديس الإنجليز لملوكهم، فإننا لا نستغرب ثبات السياسة الخارجية للإنجليز وعملها المستمر على إضعاف المسلمين بالطريقة الإنجليزية المعتادة، وهو العمل على إيجاد آثار مستديمة للاستعمار، أو بالأحرى عاهات مستديمة.

وإليك بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر :

١ - تسلل الإنجليز إلى الهند بدعوى التجارة، وكان الحكم فيها للمسلمين وخرجوا منها بعدما قسمت قسمة ضيزى إلى قسمين أحدهما يحكمه

الهندوس والثاني يحكمه المسلمون مع مشكلات لا حصر لها ، فالمنطقة لم تستقر منذ خروج الإنجليز عام ١٩٤٧ م .

٢ - وأيضاً تسللوا إلى مصر بدعوى التحالف مع الدولة العثمانية ضد الفرنسيين ، فحكموا مصر ، وضموا إليها السودان ، ثم فصلوا السودان ، وابتكروا نظام المناطق المعزولة ، مما أورث السودان مشكلة الجنوب الحالية .

٣ - استولوا على عدن بدعوى الحفاظ على خطوط الملاحة ، وعندما خرجوا منها سلموا الحكم فيها للشيوعيين الذين مازالوا يفسدون في البلد إلى الآن .

دورهم في إنشاء دولة إسرائيل :

وللتشابه الكبير بين ما جرى في فلسطين وما يجري في البوسنة ، فإنه من المناسب إلقاء بعض الضوء على بعض الملامح المهمة في طريقة الإنجليز في إقامة دولة اليهود في فلسطين ، ومنها :

أولا : أن وعد بلفور هو رسالة شخصية من وزير الخارجية البريطاني إلى اليهودي حاييم وايزمان - الذي كان من زعماء الحركة الصهيونية - ومع ذلك كانت هي قطب الرحى في سياسة الحكومات البريطانية المتعاقبة ولا أظن أن ذلك بسبب احترام تعهد عضو في حكومة سابقة بقدر ما كان تحالف نصراني صليبي لإقامة دولة اليهود في هذه المنطقة الحساسة «فلسطين» ، مما يحقق مصالح غربية بعيدة المدى - وفي الوقت نفسه - يحقق أهداف الصهيونية النصرانية التي ترى مع قيام دولة إسرائيل قرباً لنزول المسيح ، وهو في الحقيقة (المسيخ الدجال) .

ثانيــا : قيام الإنجليز بالعمل تحت غطاء عصبة الأمم التي أصدرت قراراً يجعل فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي ، وتم تعيين اليهودي هربرت صموئيل مندوباً سامياً لهم هناك .

ثالثــا : قام الإنجليز بإدارة الأمور في فلسطين بناء على مبدأ إيجاد المشكلة ثم التظاهر بالعمل على حلها ، فقاموا بتشجيع هجرة واستيطان اليهود في فلسطين ، وبعد ذلك أظهروا الحرص على حل مشكلة التعايش بين العرب واليهود مع الحرص على الظهور بمظهر الجهة المحايدة !!

رابعاً : أنهم لا يخجلون من إرسال لجان تقصي الحقائق كأنهم لا يعرفونها وفي إصدرار التقارير التي يطلقون عليها أسماء مثل «الكتاب الأبيض» للإيحاء بالعدالة ، ومثلاً في سنة ١٩٩٢ م أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً أسمته «أبيضاً» شرحت فيه أهدافها في فلسطين ، وجاء في هذه الوثيقة أن الغرض لم يكن تحويل فلسطين بأكملها إلى وطن قومي لليهود بل أن يقام هذا الوطن في فلسطين ، ويستبعد هذا الكتاب شرق الأردن من نطاق وعد بلفور ، وفي عام ١٩٣٩ م وبعد القضاء على الثورة الفلسطينية الكبرى نشرت الحكومة البريطانية كتاباً «أبيضاً» أيضاً جاء فيه :

* إن تعهدات بريطانيا بإقامة وطن قومي يهودي قد تحققت بالفعل .
* إنشاء دولة واحدة مستقلة بعد مضي عشر سنوات شرط توفر علاقات مواتية بين الفلسطينيين واليهود !!

خامساً : وكما حصل في فلسطين من حرص السلطات الإنجليزية آنذاك على تجريد الفلسطينيين من السلاح ، وكان يتم تنفيذ الإعدام شنقاً في

الفلسطينيين الذين تثبت عليهم تهمة حيازة السلاح ، مع قيام هذه السلطات في الوقت نفسه بتسليح وتدريب قوات اليهود تحت لافتة «شرطة المستعمرات اليهودية» ، يحدث الآن في البوسنة منع السلاح عن المسلمين بدعاوى باطلة وحقيقتها تجريدهم من وسائل المقاومة المشروعة ليكونوا صيداً سهلاً لأعدائهم من الصرب والكروات . .

سادساً : وفي آخر مشهد من المسرحية يقوم الإنجليز بتحويل القضية إلى الأمم المتحدة التي تكرمت بعد عدة اقتراحات صورية لحل ما يسمى بمشكلة التعايش بإعلان قيام دولة لليهود في فلسطين ، وسارعت الدول الكبرى إلى الاعتراف بها ، وضمان أمنها بدعوى أنها دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة مع كونها دولة مغتصبة لأراضي لا تملكها .

سابعاً : عدم الممانعة في إصدار الأمم المتحدة لقرارات كثيرة متتالية تدور حول التقسيم ، ثم وقف إطلاق النار والانسحاب من الأراضي المحتلة وعودة اللاجئين الفلسطينيين وتعويضهم ، وينتهي عجبنا عندما يكشف بطرس «غالي» أن هناك قرارات ملزمة وأخرى غير ملزمة ، وعادة ما تكون القرارات الملزمة علينا ، والقرارات غير الملزمة لنا ، فلنا قرارات المدن الآمنة وحظر الطيران في البوسنة ، وعلينا الكثير الكثير من القرارات الملزمة والتي مايزال قطاع كبير من المسلمين يعاني من آثارها الخطيرة بدعوى تطبيق قرارات هيئة الأمم المتحدة .

وأما آخر ممثلي الامبراطورية العجوز في حياكة وتدبير المؤامرات فإنه «ديفيد أوين» ابن الأرستقراطية الإنجليزية الذي يمثل «الجنتلمان» صاحب الابتسامة الصفراء ، الذي ينفذ سياسة بلاده بتصميم يقل نظيره ، فعلى الرغم

من كثرة الانتقادات الموجهة إليه بشأن دوره في المفاوضات وتحيزه الواضح للصرب أولاً وللكروات ثانياً ، فإنه ظل يردد نفس المقولات في أن رفع حظر السلاح عن المسلمين لن يحل القضية ، بل ويطلق التهديدات ضد المسلمين بقبول طروحات الصرب والكروات وإلا فإنهم سيواجهون الفناء ، وعندما تدور الدوائر على الكروات فإننا نجده أحرص الناس على عقد الهدن والاتفاقات الصورية ، حتى يلتقط الكروات أنفاسهم ، وهناك ملاحظة مهمة تبين فضيلة الصبر التي يتحلى بها وقدرته على تحمل تمثيل هذا الدور لمدد طويلة فإن «فانس» استقال ، وأما قائد قوات الأمم المتحدة البلجيكي فإنه لم يطق صبراً فانتقد دور الأمم المتحدة في البوسنة مما أدى إلى إزاحته عن منصبه واستدعائه إلى بلجيكا ، أما «أوين» فأنه ثابت في مواقفه ، باق في منصبه ؛ لأنه يمثل سياسة بريطانيا في البوسنة التي تتبناها الدول الأوربية على العموم ، أما الموقف الأمريكي فأعتقد أن أفضل تصوير له هو تصريح مساعد وزير الدفاع الأمريكي السابق في أن محاربة الأصولية والإرهاب - كما يدعي - يقتضي إظهار الاهتمام بقضية المسلمين في البوسنة ، وحتى الآن فإن موقف أمريكا لا يتعدى كثيراً (المواقف الدعائية).

وأخيراً فإن موقف دول الغرب التي ترفع راية الحياد عالياً من أحداث البوسنة ، قد أفرز مواقف أخرى توضح مقدار التحول في سياسة الغرب بعد سقوط النظم الشيوعية ، فمن جهة نجد مثلاً بريطانيا تتبنى التصدي لأي محاولة لإقامة كيان إسلامي في أوربا ، وبالتالي ينبغي وأد دولة البوسنة ، ومحاولة تهدئة الأوضاع في بقية مناطق البلقان المرشحة للإنفجار في لحظة مما سيفقد الصرب القدرة على التصدي للمد الإسلامي في أوربا ، الذي لا يتناسب مع

دعاوى العلمانية ، ولهذا نجد بداية تحول إدخال الكنيسة رسمياً في الصراع العقدي الذي يتوقع الإنجليز نشوبه عاجلاً أو آجلاً ، وفي هذا الإطار يكتمل الدور الإنجليزي فهم في البوسنة يحاولون إحكام قيد الضحية المسلمة ليكمل الجلاد النصراني مهمته ، أما في بلاد السودان فإن من يمثل الكنيسة الانجليكانية - وهو الدكتور (جور كيري) رئيس أساقفة كانتربري - يقوم بمحاولة مستميتة من أجل الإبقاء على حيوية التمرد في الجنوب والمدعوم من الغرب ، وقد تراوحت لهجته في التصريح بأن الهدف هو الحفاظ على جنوب السودان تحت هيمنة الأقلية النصرانية والوقوف في وجه محاولة إدخال جماهير الوثنيين في الإسلام ، وبين المراوغة بقوله أنه يأمل أن يعيش الإسلام والنصرانية في وئام ثم يقوم بمحاولة جادة من أجل توحيد قادة التمرد ، ولا يرى بأساً في الزعم أن جميع قادة التمرد وتوحيد جهودهم هو من أجل السلام ، كما صرح «أوين» من قبل بأن رفع حظر السلاح عن المسلمين في البوسنة لا يساعد في عملية السلام .

بريطانيا : الكنيسة والدولة :

إن ملابسات تحول الإنجليز من الكاثوليكية إلى البروتستانتية الخاصة بهم (الإنجليكانية) ، تدل على أن الإنجليز على دين الملك وكفى ، ولهذا خلافاً لجميع دول العالم النصراني فإن الملك أو الملكة هو رئيس الكنيسة الإنجليزية ولهذا فإن الكنيسة هي كنيسة الدولة وجزء من أجهزتها المهمة ، خاصة في الميدان الخارجي ، حيث إن الكنيسة الإنجليزية تعيش حالة من الانفصام ، ففي الداخل نلاحظ أن غالبية الإنجليز لا دنيين ، وتعاني الكنائس من ضعف الإقبال ومن زار بريطانيا سيلاحظ الكثير من الكنائس معطلة ، ويعرض كثير منها للبيع أما في الخارج فإنها لعبت وتلعب دوراً كبيراً في توطيد النفوذ الإنجليزي ، وعلى

سبيل المثال فإن الكنيسة هي التي تولت نشر الثقافة واللغة والعادات الإنجليزية في الدول التي رزحت فترة من الزمن تحت نير الاستعمار عن طريق المدارس والمستشفيات الكنسية ، أما في الجانب السياسي فإن الكنيسة تلعب دوراً مساعداً ومن الأمثلة على ذلك حادثة (تيري ويت) مبعوث الكنيسة إلى لبنان ، حيث تبين أن المذكور لا يعدو كونه غطاء لعملية سرية تقوم بها المخابرات المركزية الأمريكية في لبنان من أجل إطلاق سراح الرهائن ، وكان خطفه نتيجة لتعثر المباحثات .

أما آخر مساهمات الكنيسة فهي حادثة زيارة رئيس الأساقفة إلى السودان عن طريق كينيا متجاوزاً سيادة الحكومة السودانية ، مما أدى إلى طرد السفير البريطاني في الخرطوم ، الذي وضع الحكومة البريطانية في موقف لا تحسد عليه* .

* في العدد الماضي تطرقت «البيان» بدراسة مستوفية لهذا الموضوع تحت عنوان (ليس دفاعاً عن السودان – قراءة هادئة في قضية طرد السفير البريطاني من السودان) .

الجذور التاريخية لسياسة تجفيف المنابع

د. أحمد بن محمد العيسى

لم تكن سياسة تجفيف المنابع التي تتبعها بعض الدول العربية للحد من تغلغل عقيدة الإسلام وتعاليمه في المجتمع ، ووصولها بالذات إلى عقول الناشئة من أبناء المسلمين . . لم تكن وسيلة جديدة تفتقت عنها عقول منظري العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة. إنها سياسة لها جذور تاريخية تمتد إلى المواجهات الأولى بين الحق والباطل منذ أن صدع رسول الله ﷺ بالرسالة الخاتمة في مكة ، لقد دأبت قريش على محاولة منع وصول كلمة التوحيد إلى آذان الناس داخل مكة أوآذان القادمين إليها ، سواء أكان قدومهم للتجارة أو للحج ، ولقد وجه صناديد قريش جهودهم إلى المنبع الأول صاحب الرسالة - عليه الصلاة والسلام - لمحاولة الحد من تأثيره ، وقطع الوسائل المعينة على إيصال كلمة الحق للناس ، فكانت محاولاتهم متعددة الوسائل : منها ما كان بالترغيب أو الترهيب ، أو المقاطعة الاقتصادية ، أو الاستهزاء والسخرية ، أو غير ذلك من الوسائل التي لا تخفى على من قرأ السيرة النبوية واستلهم دروسها.

ولكن الرسالة التي أراد الله لها أن تكون رسالة خاتمة ، أصبحت من القوة والمنعة بعد وفاة الرسول ﷺ بحيث فاضت منابعها علماً ودعوة وتعليماً وحكماً بين الناس ، ولم يعد بالإمكان تجفيفها في أرض الإسلام لتجذرها في أعماق

مؤسسات المجتمع آنذاك ، وعلى الرغم من المحاولات العديدة من قوى الباطل لدحر الإسلام وإلحاق الهزيمة بالمسلمين ، وإثارة الفتن العقائدية والسياسية في المجتمع ، إلا أنه لم تكن هناك محاولات عميقة وجذرية لتجفيف منابع الإسلام المتنوعة في حواضر العلم والتدريس والدعوة والجهاد. ولكن التاريخ الحديث يبرز لنا محاولة مستميتة لتجفيف المنابع ، تمثل تجربة ونموذجاً للتجارب الحديثة التي جرت وتجري هنا وهناك في بلاد العالم الإسلامي ، وهذه التجربة هي تجربة الحزب الشيوعي السوفيتي في بدايات هذا القرن عندما قرر منظرو سياساته القضاء على الدين الإسلامي ؛ لأنه يمثل الحصن الحصين ضد هيمنة الشيوعية على البلاد التي حكمتها .

ولعل **المرحلة التاريخية المعاصرة التي بدأت منذ بداية هذا القرن العشرين هي من أكثر الفترات غموضاً وتغييباً عن عقول المسلمين ، على الرغم من أن المسلمين اليوم يعيشون في ظل إفرازات الأحداث التي حدثت في تلك الفترة .** ومما يؤسف له أن تلك الأحداث العظيمة التي وقعت في بلاد العالم أجمع مثل الثورة الشيوعية والحربين العالميتين ، وانتهاء مرحلة الاستعمار العسكري ، ونشوء الدول القومية في البلاد العربية ، **ليست غائبة عن أذهان الشباب المسلم الذي يدرس في الجامعات والمعاهد فحسب ، بل هي غائبة أيضاً عن عقول كثير من الدعاة والمفكرين الإسلاميين والعاملين للإسلام في كل مكان تقريباً .**

ويحدثنا كتاب (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) الذي ألّفه الفرنسيان (بينغسن ولمرسييه) وصدرت طبعته الإنجليزية في عام ١٩٦٧ م عن صورة تاريخية للتجربة الأم لسياسة «تجفيف المنابع» ، التي رسمها المفكر الشيوعي - من أصل مسلم - «سلطان غالييف» للحزب الشيوعي ، وقام الحزب بتنفيذها بلا هوادة منذ بداية سيطرته على المنطقة الإسلامية في آسيا الوسطى وبلاد القفقاس والقوقاز ، و«سلطان غالييف» مفكر بدأ حياته بالتنظير لإسلام عصري

(كما يفعل أصحاب الفكر الإسلامي المستنير اليوم) ، وانضم إلى حزب «الجديد» في طشقند ، وهو أول منظمة سياسية مناهضة للوجود الروسي ، و«للمرجعية الدينية» معاً ، ثم انضم «غاليف» للحزب الشيوعي بعد الثورة الشيوعية ، وكان - كما يقول الكتاب - «الزعيم المسلم المرموق بين أقرانه من الزعماء ، وكان أكثر الزعماء حظاً في الحزب الشيوعي ، فقد كان عضواً في مجمع مفوضيات الشعب لشؤون القوميات ، ورئيس تحرير مجلة القوميات الموسكوفية ، وأستاذاً في جامعة شعوب الشرق ، ويد ستالين اليمنى ، والزعيم الشيوعي المسموعة كلمته في شؤون سياسة القوميات ، فليس من العجيب - إذن - أن تكون نظرياته بشأن الثورة الشيوعية موضع تقدير وقبول من أبناء دينه الذين قبلوا بالتعاون مع النظام السوفيتي ، ولذا فإن أفكاره كانت تمثل - مع اختلافات محلية - نموذجاً لكل الشيوعيين الوطنيين ما بين سنتي ١٩٢٠ - ١٩٢٣ م ، لا بل استمر هذا شأنه حتى سنة ١٩٢٨ م أي بعد أن حلت عليه غضبة الحزب للمرة الأولى . . .» .

وقد أدرك ذلك المفكر أن طبيعة الإسلام غير طبيعة الأديان الأخرى التي حاربتها الشيوعية ، لأن الإسلام كما يقول الكتاب : «أشد خطراً من غيره من الأديان على النظام الشيوعي لأن عمل المسلمين بأحكام الإسلام الشرعية والأخلاقية ، يميز المسلمين عن غيرهم ، ويقيم بينهم وبين الشعوب الروسية السوفيتية - وفي المقام الأول الروس أنفسهم - حواجز نفسية من الصعب التغلب عليها . . .»

ولكن «سلطان غاليف» رسم سياسة النفس الطويل للقضاء على الإسلام، وأشار إلى الخطوط العريضة في سياسته تلك في مقال نشره في مجلة (جيزن) عام ١٩٢٠ م ، ومن ملامح هذه السياسة وجوب «إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداماً أو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية

وفوق ذلك كان على الدولة الشيوعية أن تبعد عن نفسها ظن المسلمين - وهي تشن حرباً على الإسلام - أنها إنما تفعل ذلك استمراراً للحملة التي شنها عليهم المبشرون المسيحيون في القرن التاسع عشر . . . » ، ويستدرك المؤلفان بعد هذه الإشارة فيقولان : «غير أن صرف المسلمين عن هذا التفكير ، كان مستحيلاً لأسباب منها : أنهم خلعوا ثوب الكهنوت وانضموا إلى الشيوعية ، عن عقيدة أو لغاية ، وكانوا يرون في عملهم الجديد الإمكانية المنطقية لمتابعة العمل الذي بدؤوه في ظل الكنيسة الأرثوذكسية . . . » .

ويمكن للقارىء هنا أن يتوقف برهة ، ويستحضر السياسات الغربية الحالية في البلاد العربية ، التي تسعى بشتى الوسائل كي تبعد ظن المسلمين في أن سياساتها الحالية ما هي إلا امتداد للحروب الصليبية في القرون الوسطى والاستعمار الغربي في القرون الحديثة . وهذا يشمل - بطبيعة الحال - دور المبشرين بالنصرانية الذين وجدوا في المهن التي يحتاجها المسلمون مثل الطب والهندسة وغيرها ، فرصة لمتابعة عملهم التبشيري دون اهتمام كبير من المسلمين .

وقد اقتضت «الرصانة والحكمة» - التي يزعمون - في محاربة الإسلام أن بدأت الحكومة الشيوعية تنفيذ سياسة «سلطان غالييف» لتجفيف منابع الإسلام بشكل غير مباشر : يقول المؤلفان : «ما كادت الحرب الأهلية تنتهي حتى هاجمت الحكومة السوفيتية الإسلام بطريق غير مباشر ، وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث ، وهي : أولا : الأوقاف التي كانت تضمن القوة الاقتصادية لعلماء الدين ، ثانيا : المحاكم الشرعية التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة ، وثالثاً : التعليم الديني الإسلامي ، وقد شنت هذه الحملات الثلاث في وقت واحد تقريباً» .

وكما هي سياسة تجفيف المنابع التي يجري تنفيذها في بعض البلاد العربية ، اتجهت الجهود إلى منابع الإسلام الحقيقية ، ولم تتجه في البداية إلى

الأحزاب والجماعات والأشخاص الذين كان لهم دور في مقاومة الحزب الشيوعي ، ذلك لأن **سياسة تجفيف المنابع لا يهمها الأشخاص أو الأحزاب في ذلك الوقت ، فهم سيصبحون صيداً سهلاً في غياب المؤسسات الداعمة لهم في المجتمع ، ولكن المهم هو تلك المنابع الحقيقية التي تضمن استمرار هيمنة تعاليم الدين في حياة السكان ، والعجيب أن الكتاب يؤكد - كما تؤكد السياسات الحالية لتجفيف المنابع - أن هذه السياسة لا تجد مقاومة قوية من المسلمين بعكس السياسات التي تتجه للقضاء على الأحزاب والأشخاص والجماعات !!** يقول الكاتب : «وفي سنة ١٩٢٥ م عمدت الحكومة إلى تصفية الوقف نهائياً فأصدرت جمهورية (أوزبكستان) في ١٩ كانون الأول ١٩٢٥ م مرسوماً يقضي بأن تتملك مفوضية الشعب للزراعة كل الأوقاف الكائنة خارج المدن باستثناء البساتين والكروم ، وبعد ذلك بقليل صادرت أوقاف المدن وأوقاف المساجد ، وفي سنة ١٩٣٠ م قضت حكومة موسكو عملياً ونهائياً على المؤسسات الوقفية الكائنة في طول الاتحاد السوفيتي وعرضه ، وذلك بوعدها أن توزع الأرضين على الفلاحين ، وهكذا قضي على هذه المؤسسة الإسلامية في بضع سنوات ، من غير أن تثير أي مقاومة ، ومنذ ذلك الحين حرم علماء الدين من أسباب رزقهم ، كما حرمت المساجد والمدارس من الوسائل المادية لدوام بقائها ، وبدأت الحملة على العادات الإسلامية وعلى التشريع الإسلامي في الوقت الذي بدأ فيه الكفاح ضد قوة الإسلام الاقتصادية ، وقد سهل هذه الحملة كونها جاءت في نطاق العلمانية ، وهي تقليد قديم تردد على الأسماع كثيراً ولم تكن محاولة إضعاف التشريع التقليدي بله القضاء عليه نهائياً - في نظر النخبة من المسلمين - إلا استمراراً للكفاح الطويل الذي قاده (الجديد) في سبيل جعل التشريع الإسلامي عصرياً ، وقد بدأ الكفاح ضد الشرع في كثير من البلدان في القرن التاسع عشر».

وهنا لابد من وقفة أخرى للقارىء : ليتفكر في تلك القوى الشيطانية التي جعلت مخططي سياسة تجفيف المنابع المعاصرين ينتبهون إلى سياسات أسلافهم أمثال «سلطان غاليف» ، ويحاولون تطبيق تلك السياسات بحذافيرها في مجتمعات المسلمين ، فمن الدعوة إلى جعل الإسلام (عصرياً) ، إلى الدعوة إلى «العلمانية» صريحة ، وأخيراً إلى تجفيف منابع الإسلام الاقتصادية والتعليمية والتشريعية .

ولم يكتف الحزب الشيوعي السوفيتي بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الثلاث ، ولكنه في الوقت نفسه - كما يقول الكتاب - قام بحملة دعائية ضخمة ضد علماء الدين ، حيث «كانت الدعاية الرسمية تسعى ، في بداية الأمر ، إلى الحط من أقدار علماء الدين فقط في نطاق عملهم وتتهمهم بالجهل وعدم فهم القرآن وعدم معرفة أحكام الشرع ، وبالتالي تتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين ، ثم تطورت حملة التحقير رويداً رويداً ، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة ١٩٢٦ م بالرشوة والسرقة والإجرام ، وأخيراً بسوء السيرة والخلق وبعد سنة ١٩٢٨ م قررت السلطات السوفيتية أن تبدل حملاتها غير المباشرة بحملات مواجهة ، لا بل أن تهاجم الإسلام في جوهره وصميمه ، متناسية نصائح الحكمة والحذر التي أسداها إليها سنة ١٩٢١ م (سلطان غاليف) وغيره من الشيوعيين المسلمين . . . » .

ويكمل الكتاب الحديث عن آخر فصول هذه الخطة التي رسمها الحزب الشيوعي للقضاء على الإسلام نهائياً في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق فيقول : «في سنة ١٩٢٨ م بلغت السياسة الحكيمة ، التي لجأت إليها الحكومة في مكافحة الدين ، هدفها من غير أن تثير أية مقاومة شعبية ، وذلك بتبنيها الكفاح الذي كان (الجديد) يخوضه منذ عشرات السنين بغية جعل الإسلام عصرياً ، وتطبيقه على العالم الحديث ، وبعد أن نجحت هذه السياسة بتجريد

الإسلام من قوته الزمنية أصبح بالإمكان البدء بتنفيذ المرحلة الثانية وهي الكفاح في سبيل إقامة مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الأفكار الدينية ، وقد بدأ تطبيق هذه المرحلة بعنف منذ البدء بمشروع السنوات الخمس ، وذلك بحملة مجابهة على الإسلام تقرر تنفيذها في الوقت الذي تقررت فيه مجابهة (الجديد)، وتصفية أكثر أعضائه الذين انضموا إلى الحزب الشيوعي أمثال «سلطان غالييف . . .».

وكما يقول الحكماء : «إن التاريخ يعيد نفسه» ، لقد أسدلت مرحلة تاريخية خطيرة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، وبدلا من القضاء نهائياً على الإسلام ، تمت تصفية الحزب الشيوعي نفسه ، ولكن المعركة مستمرة بين قوى الحق وقوى الباطل ، إذ **يجري الآن استنساخ تجربة تجفيف المنابع الشيوعية ليتم تطبيقها بعد تعديلات طفيفة في بعض البلاد العربية ، أو بالأصح قد تم تطبيقها منذ عشرات السنوات عندما تمكنت الدول التسلطية في العالم العربي من السيطرة والتحكم في المؤسسات الثلاث التي تحدث عنها الكاتب وهي : الأوقاف الإسلامية التي كانت تمنح المشاريع الدعوية والعلمية الاستقلالية الاقتصادية ، والتعليم الإسلامي بعد أن ألغت أو ضمت جميع المعاهد الشرعية إلى النظام التعليمي العلماني ، وقبل ذلك ألغت المحاكم الشرعية أو كادت بعد أن أن ربطتها بمؤسسات مركزية تخضع مباشرة للحزب أو الدولة** ، وبقي من سياسة تجفيف المنابع ملاحقة الشوارد التي قد تتدخل في هذه المؤسسات الثلاث، وتحاول إعادة الصفة الإسلامية ولو قليلاً إلى النظام التعليمي أو المحاكم ، أو الأوقاف الإسلامية ، وبقي منها أيضاً ملاحقة الدعاة الذين يتهمون في وسائل الإعلام «بالجهل ، والظلامية ، والتطرف ، والإرهاب . . .» والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

مواقف العلماء تحيي الأمة
قد مات في حديدهم أقوام

حسن قطامش

حين يَدْلَهِمُّ الخطب ، ويجل الأمر ، ويظهر الفساد ، ويشيع الظلم في كثير من البلدان التي نَحّت الحكم بما أنزل الله ، حينئذ يخشى الناس على أنفسهم وأولادهم وذويهم ، فيضطرون إلى الانزواء بعيداً عن معترك الأحداث بل ويخضعون لهذا الواقع المظلم ، ويستسلمون له بعد أن ألجمت ألسنتهم تلك الأوضاع ، فنجدهم قد رضوا أن يتجرعوا مرارة الصبر ، وربما شربوا كؤوس الذل والمهانة ، لكن الظالم ينسى حين بغيه وجبروته تدبير الخالق العزيز الجبار وأنه له بالمرصاد ، فيتمادى في بغيه ويزيد في طغيانه ، ولكن يأبى الله إلا أن ينصر دينه ويتم نوره ، ويدحض الباطل ، ويعلي الحق ، فيقيض لتلك الشعوب الذليلة المنكسرة من يخرجها من خنوعها وذلتها ، ويبعث فيها روح العزة والكرامة وذلك حين يضحي العلماء والدعاة بأنفسهم ، حينما يقعون تحت سياط الجلادين وسيوف الجبارين وأعواد المشانق ، لأنهم لا يخافون في الله لومة لائم ليقولوا للناس : إن الموت في سبيل الله خير من الموت جبناً وذلاً ، ويقيض الله كذلك لأولئك الظلمة الطغاة من يرهب قلوبهم ، ويزلزل كراسيهم بالصدع بكلمة الحق ابتغاء مرضاة الله ، بعد أن يتخذوا كل الوسائل المتاحة والمشروعة لذلك ، وبعد أن يصر الظالم على ظلمه ، ويقف من شرع الله موقف المعارض ويقف من الدعاة إلى الله موقف المعادي والمحارب .

إن إحياء الأمة من مواتها ، وبعثها من غفوتها ونومها ، وإخراجها من عبادة غير الله ، وقيادتها إلى ربها وسوقها إليه سوقاً جميلاً ، وحمل هذا الدين والسعي به والجهاد في سبيله ، إن هذا وغيره هو من سمات العلماء الفحول عبر تاريخنا المجيد ، ونستعرض هنا صوراً من مواقف أولئك العلماء لعلها تكون إحياءاً للغافلين ، ورهبة للظالمين ، إذ ضحوا بأرواحهم في سبيل إعلاء دين الله سبحانه ، وهي العزاء لكل مسلم يسوؤه تلك التصرفات الجائرة ضد الدين ودعاته .

ولو استرجعنا التاريخ لوجدنا الأمر لا يكاد يختلف ، بل يسجل التاريخ تلك الحقيقة الجلية ألا وهي الصراع بين حزب الرحمن وحزب الشيطان ، ولن تموت أمثال هذه الكلمات الصادقة : «ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم . . . »!!

فإلى أولئك الذين يسقطون ظلماً وعدواناً في الدفاع عن الإسلام ودعوته : ليعلموا أنه قد سبقهم أقوام على الطريق نفسه ، وإليك أخي صوراً من تلك المواقف . **﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾**[1] :

- **الإمام البويطي**[2]

هو العلامة ، سيد الفقهاء ، يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي صاحب الشافعي ولازمه مدة وفاق الأقران ، وكان إماماً في العلم قدوة في العمل زاهداً ربانياً متهجداً ، دائم الذكر . . سعى به أصحاب ابن أبي دُؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد إلى والي مصر فامتحنه - أي في محنة خلق القرآن - فلم يجب ، وكان الوالي حسن الرأي فيه ، فقال له : قل فيما بيني وبينك ، قال : إنه يقتدى بي مئة ألف ، ولا يدرون المعنى !! فأمر به أن يحمل إلى بغداد .

قال الربيع بن سليمان : رأيته على بغل في عنقه غلٌ ، وفي رجليه قيدٌ وبينه وبين الغل سلسلة فيها لَبِنَةٌ - طوبة - وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول : «إنما خلق الله الخلق «بكن» فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خُلق بمخلوق ، . . ولئن دخلت عليه لأصْدُقَنَّه - يعني الواثق - **ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»**.

وتوفي رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومئتين من الهجرة.

- **الإمام نعيم بن حماد** [٣]

هو العلامة صاحب التصانيف ، وكان شديداً في الرد على الجهمية حُمل إلى العراق في إبان تلك الغيمة مع البويطي مقيدين . .

وكان يقول : «من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر ، وليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه».

قال ابن يونس : حُمل - على القول بتلك الفرية - فامتنع أن يجيب فسجن ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومئتين ، وجر بأقياده ، فألقي في حفرة ، ولم يكفن ولم يصلى عليه . . **وأوصى نُعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال : « إني مخاصم»**.

- **الإمام الخزاعي** [٤]

هو أبو عبدالله أحمد بن نصر الخزاعي ، كان أماراً بالمعروف ، قوالاً بالحق من أكابر العلماء العاملين ، ومن أهل العلم والديانة.

حمل من بغداد إلى سامراء مقيداً ، وجلس له الواثق فقال له : «ما تقول في القرآن؟» قال : «كلام الله» ، قال : «أفمخلوق هو؟» قال : «كلام الله»

قال: « فترى ربك يوم القيامة؟» قال: «كذا جاءت الرواية» قال: «ويحك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان، ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته ... »، ما تقولون فيه؟»

فقال قاضي الجانب الغربي: «هو حلال الدم» ووافقه فقهاء، قال الواثق: «ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده» ودعا بالسيف وقام. وقال: «إني لأحتسب خُطاي إلى هذا الكافر ..» فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر الصائغ يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل ... قال رأسه: لا إله إلا الله – والله أعلم –.

وعُلق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: «هذا رأس أحمد بن نصر دعاه الإمام إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره» **وبقي رأسه منصوباً ببغداد، والبدن مصلوباً بسامراء وفي رجليه زوج قيود.**

هذه صور لابتلاء العلماء على مر التاريخ من الظلمة والطواغيت والنتيجة أن أولئك العلماء يترحم عليهم حتى الآن، أما أولئك الظلمة المحادون لله ولرسول ولشريعته، فإنهم محل المقت والكراهية .. **﴿ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾**[5].

---

(١) سورة فاطر، آية ٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦١٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ١١/ ١٦٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٨.

(٥) سورة الشعراء، آية ٢٢٧.

رسائل

مازالت رسائل القراء الكرام تتوالى على المجلة بالمشاركات والاقتراحات والنقد ، ونحن نرحب بكل مشاركة ، وليثق الإخوة الأحبة أنها محل عنايتنا وتقديرنا ، ويسرنا الرد على بعض ما وردنا في الآونة الأخيرة كما يلي :

* الأخ الكريم الشيخ منصور المنصور : نبادلك الشكر والتقدير ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

* الأخ أبو سليمان : يشيد بالمجلة ويأخذ عليها نشرها لبعض قصائد التفعلية، ونحن نشكره ، ونعد الأخ الكريم وبقية القراء الذين يعتبون على نشرنا لهذا النوع من الشعر بأننا سوف نتناول ذلك بشيء من التفصيل قريباً إن شاء الله .

* الأخ عبدالعزيز محمد عبدالعزيز : نشكر لك ثناءك ، واقتراحاتك ستكون محل اهتمام هيئة التحرير ، مع العلم أننا ننشر التعريف ببعض المصطلحات الشرعية بين وقت وآخر .

* الأخ صالح الزهراني : نشكرك على ثنائك ، أما مشاركتك فنعتذر عن نشرها لأنها لا تتناسب مع طبيعة المجلة ، ونرجو أن نرى لك مشاركات قادمة وبخاصة في المجال الأدبي .

* الأخ عبدالقادر أحمد عبدالقادر : مقالتك (بيت الخليل) تحتاج إلى مزيد من العمق والعناية بالتوثيق ، وهو ما نأمل أن نراه في مشاركات قادمة.

* الأخ فالح العتيبي : مقالتك عن (الرسول الناقد) مقتضبة ، ولا جديد فيما أوردته ، ونرجو عدم الكتابة على وجهي الورقة في رسائلك القادمة.

* الأخ الأستاذ/ سليم الزغل : موضوعك عن (الصهيونية العالمية والصليبية الدولية والتنسيق السري إلى الاستراتيجية المعلنة) يحمل فكرة لا بأس بها، إلا أن لدينا دراسة سابقة حول هذا الموضوع وهي معدة للنشر قريباً.

* الأخ (ج.ع.ح) : مقالك (حينما تكون القومية في السلطة) لا جديد فيه ويلزم ذكر الاسم كاملاً ، إذ أن المقالات التي لا تحمل أسماء كتابها الحقيقيين يصرف النظر عنها.

* الأخ هشام الجنيد : قصيدتك (في ذكرى الإسراء والمعراج) هي أقرب للنظم ، ونحن لا نرى نشر قصائد المناسبات.

* الأخ علي محمد ناصر : نشكر لك ثناءك على المجلة ، وأما اقتراح وضع حيز (للفتاوى الشرعية) حتى تعم بها الفائدة ، فنحن بين وقت وآخر ننشر بعض الفتاوى المتميزة التي تعالج القضايا المهمة.

* الأخ الكريم الأستاذ عبدالحميد السحيباني : نشكر لك تواصلك مع المجلة وما ذكرته من تصويبات لغوية ونحوية محل عنايتنا ، وسنعمل جاهدين لتلافيها بإذن الله ، وجزاك الله خيراً.

* الأخ غالب عدنان : أحلنا ما أرسلت للجنة المختصة. .

* الإخوة الكرام : صالح محمد العصيمي وعلي أبو حسين ، وريم بامير وحنين عبدالرحمن : مشاركاتكم تحت الدراسة.

حكمة .. وحكمة

د. محمد بن ظافر الشهري

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، وعلى هذا فهما عدوان ليس بينهما إلا حد السيف ، ولكنهما قد يلتقيان إذا صبغت الحكمة «بالمساحيق الميكافيلية» ولبس الظلم ثوب «الاعتدال» فيكون نتاج هذا «القرآن الشاذ» مسخاً ، ولابد ، فإما «حكمة هجينة» أو «ظلماً معتدلاً» وفي كل شرّ !!

لقد كانت الحكمة عند السلف واضحة المواصفات ثابتة المقاييس ، لقد كانت «حكمة أصيلة» أقبلوا عليها دون حاجة إلى تلوينها لكي تصبح «جذابة» أما في «زمن المساحيق» فقد أصبح الإقبال شديداً على «الحكمة المترهلة» لأنها تجيد الاصطباغ «بألوان الطيف».

إذا علمنا هذا فلا عجب أن نرى داعية يلعب بالنرد والشطرنج مع «اللاعبين» ، أو يهيم ويغني مع «المغنين» ، أو يكذب ليضحك «الهازلين» ، وهو يزعم في كل هذا أنه يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنه إنما يريد أن يحبب الدين إلى قلوب المعرضين ، ولن نجادل في اجتهادات هذا النوع من الدعاة ، إذ هي بينة البطلان ، ومخالفة للسنة والقرآن ، ولكننا نقول : أي دين هذا الذي يدعون الناس إليه ؟! إن العجب ليس في وجود المخالفات «فكل

ابن آدم خطاء . . » ولكن العـجب كل العـجب أن ينسب الظلم إلى الحكمة واللهو واللعب إلى الدعوة !!

إن محمداً ﷺ لم يكن يلجأ إلى تلك «الحكمة الهجينة» يوم أن كان يلاقي ألوان الأذى من صناديد الكفر في مكة ، وكان أصحابه مجموعة من الضعفاء والمساكين يسامون أصناف العذاب ، وينكل بهم أمام عينيه ، ولكن الأنبياء لم يؤتوا إلا حكمة «أصيلة» **﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾**[1] .

لقد ارتدت الجزيرة العربية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ولم يبق معه إلا قلة بهم من اللأواء ما الله به عليم ، فما كانت «الحكمة الهجينة» لتخطر ببال الصديق أبداً ، وهو الذي تلقى دروساً في الحكمة على يدي أحكم الناس محمد ﷺ .

وهذا هو إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ، ناله من العذاب ما يُلَيِّن الصخر فلم يلجأ في محنته إلى «الحكمة الفضفاضة» فضلاً عن التي هي شر منها .

لقد كان السلف يتحرجون من ذكر بعض أحاديث الرجاء أمام العامة خشية الاتكال عليها وترك العمل ، وذلك من الحكمة ولا شك ، ولكن أرني واحداً منهم تَقَوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل بدعوى الحكمة أو الإخلاص أوما شئت من الدعاوى !! لقد كان أولئك الأئمة يعرفون حدود الحكمة كما يعرفون أنفسهم ، إنها حكمة قوامها التميز ، وعنوانها الوضوح ، ودافعها الصدق ، وسبيلها المتابعة . . إنها الحكمة الأصيلة .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٦٩ .

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

ديمقراطياتهم الزائفة

تدعي كثير من الدول العربية والإسلامية التوجه الديمقراطي وتخادع شعوبها والعالم بأسره لأنها تتناقض مع ما تعيشه تلك البلدان من واقع مؤلم من كبت للرأي ومن مصادرة لأي توجه معارض ولاسيما إن كان إسلامياً ، فإنه سيوضع حينئذ مع قائمة المواد الممنوعة فهم ما بين مسجون أو مطارد أو مشنوق، لا لشيء إلا لمطالبتهم بتحكيم شريعة الله.

ومن العجيب أن تلك الدول يتسنم رؤساؤها زعامة الحزب الحاكم ، فعند أي انتخاب النتيجة معرفة سلفاً ٩٩ ٪ وربما خجلوا من المعارضة المسموعة من العالم فأعطوا المعارضة نسبة محدودة. والويل كل الويل لمن يعارض ، فأول جزاء سحب حصانته وربما ضرب بالنعال وأخرج غير مأسوف عليه.

هذه ديمقراطيات القوم ،ولذلك لا يستغرب أن تكون تلك الحكومات محل رضا العالم الغربي لا لشيء إلا لأنها وقفت وبكل صفاقة في وجه التيار الإسلامي الذي يشكل بعبعاً لهم ولأسيادهم.

ولله الأمر من قبل ومن بعد ...

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

أيها المسلمون :
إلى متى هذا الهوان ..؟!

واقعة مثيرة حدثت في الأسابيع الماضية لكنها تُجُوهلَتْ ، لا أظنها تقل خطراً وجلالاً عن واقعة مذبحة الخليل الشهيرة ، وما أعقبها من تخاذل غير مستغرب على هيئة الأمم ومؤسساتها ، في إصدار قرار عادل يدين الجريمة ويحدد سبل حماية المواطنين الفلسطينيين العُزل من «جنون» المستوطنين اليهود المسلحين وأعوانهم في جهاز الشرطة وجيش الإحتلال الصهيوني .

والشعور العام ، في أوساط الإعلام العربي خاصة ، بحجم الخطر الذي تمثله الواقعة الجديدة ، أوقع الإعلام العربي في زلل فاحش ، حين تعمد إخفاء معالم تلك الواقعة ، وحاول التعتيم على صلب موضوعها ، بإثارة الكثير من الغبار حول شكليات وملحقات لا تمت للموضوع الأصلي «الخطير» بصلة .

والشعور العام ، في أوساط المؤسسات «القومية» العربية ، والإسلامية بحجم «الجريمة» التي اقترفتها الأمم المتحدة بحق الإسلام وشريعته ، كان - أيضاً - سبباً في التجاهل «المريب» من هذه المؤسسات وأجهزتها ، لمعطيات الواقعة رغم أنه طلب رسمياً من الجامعة العربية - تحديداً - إصدار بيان واضح يدين هذا العدوان ، ويطالب باعتذار علني للمسلمين ، ولكن الجامعة جعلت - كما

يقولون – أذناً من طين وأذناً من عجين، ولا من رأى ولا من سمع.

* * *

القصة بتمامها، أن الأمم المتحدة عينت في العام الماضي، المدعو «كسبار بيرو» مقرراً خاصاً لحقوق الإنسان في السودان، وقد نشط «بيرو» في إعداد تقرير كامل عن أوضاع «حقوق الإنسان» في السودان، جاء مليئاً بالاتهامات للحكومة السودانية في مختلف المجالات، وليس هذا بالمهم، فهذا شأنهم وشأن السودان، ولكن ما هو ليس شأناً سودانياً بل هو شأن إسلامي عام يخص كل مسلم على وجه الخصوص، أن مقرر الأمم المتحدة لحقوق الإنسان كتب في تقريره مهاجماً الشريعة الإسلامية، ومعتبراً أحكامها – في الحدود والقصاص – إهداراً لحقوق الإنسان الأساسية، ثم لم يقف التقرير عند هذه الإهانة لدين الإسلام، بل ذهب إلى الهجوم على ممارسة «الدعوة إلى الإسلام» في المناطق الوثنية وغيرها، واعتبر ذلك «انتهاكاً» لحقوق الإنسان، إضافة إلى هجومه على استعمال اللغة العربية لغة أولى للتعليم في السودان، معتبراً ذلك خرقاً لحقوق الإنسان.

* * *

في أعقاب هذه «الفضيحة» ناشد السودان الأمم المتحدة سحب الفقرات الخاصة بالطعن في الإسلام وشريعته، وطلب اعتذاراً «للمسلمين» عن هذا الجرم في حق دينهم، بيد أن الأمم المتحدة رفضت بإصرار تحقيق هذاالطلب «البدهي» بل إن الولايات المتحدة تقدمت بمشروع قرار يوصي بقبول تقرير «كسبار بيرو» بل وإمعاناً في الاستهتار، يوصي بمد خدمته في السودان عاماً آخراً، أيضاً المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة، دافع عن تقرير «بيرو» واعتبر أن

«الحريات الأساسية» أهم من «الخصوصيات الإقليمية» ، ولعله استحى أن يقول «الدينية» ، وعلى كل حال فكل ما لا يقل إجراماً عن تقرير «بيرو» ، حيث يكون «مفهوم الإنسان الأوربي» عن الحريات ، أقدس وأجل من دين الإسلام وشريعته بل ويلزم الإسلام بالخضوع للمقررات الأوربية في ذلك .

* * *

وكما قدمنا ، الإعلام العربي تجاهل الواقعة - على خطرها - ومن تعاطى معها حاول إخفاء صلب الواقعة ، وجوهر الجريمة ، وصور الخبر على أنه نزاع بين السودان والأمم المتحدة في شأن إهدار حقوق الإنسان في السودان كذلك «المؤسسات القومية» ، تجاهلت هذا العدوان على الإسلام ، وكأن الإسلام وشريعته أصبحتا شأناً وطنياً خاصاً بقطر من الأقطار ، وليس دين الأمة بكاملها ، وما يمسه ويجرحه فهو يمس كل مسلم ، ويطعنه في أعمق مشاعره «وحقوقه» الأولية .

ولنا أن نتخيل هذا الطعن الوارد في تقرير صادر عن الأمم المتحدة موجه إلى المسيحية أو اليهودية ، فماذا سيكون رد الفعل على مثل ذلك الطعن؟ بل إننا نقطع بأن مثل هذا السؤال مجرد فرض وهمي ، إذ أن أحداً في المنظمة الدولية لا يجروء ولا يجول بخاطره أن يتعرض ، ولو من بعيد ، إلى اليهودية أو المسيحية ، ولا حتى عباد البقر ، فهل صحيح أن الإسلام هو الدين المستباح عند المنظمة الدولية ، في عقيدته التي تطعن «بدم بارد» في أصولها ، ويكابرون في مجرد تقديم اعتذار ، وحتى إنسانه الذي يذبح في مسجده ومصلاه بالجملة ومع ذلك تعاند المنظمة - أو بعض كبرائها - في إدانة المجرمين وحماتهم ، وتتهرب من الالتزام «بحق الإنسان الفلسطيني المسلم» في أن «يعيش» ، وتحرمه من

«الحماية» ضد مسلحين يحملون براكين مكبوتة ، من الحقد والمرارة والعنصرية ضد كل ما هو عربي أو مسلم!

هل أصبح الإسلام هو الدين المستباح في عالم اليوم؟ وهل أصبح طموح المسلمين في كل مكان أي يطالبوا بإقامة «مناطق أمنة» لعقيدتهم التي تنتهك بصورة شبه اعتيادية وعلى مختلف الأصعدة من المنظمات الدولية إلى كتاب وفنانين يحظون بمباركة وحماية أكبر زعامات العالم السياسية وحتى بيوت الأزياء والموضة ؟!

ما الذي يراد بالضبط من المسلمين هذه الأيام ؟ وما معنى هذا المسلسل المتوالي من الاستفزاز والاستثارة المدعم بتيار إعلامي لا ينقطع مدده من دعاوى «الإرهاب الإسلامي»! والتطرف الإسلامي! والخطر الإسلامي! وأي شراك خبيثة تلك التي تنصب للمسلمين اليوم في غير مكان وناحية ؟!

* * *

خبر . . أصدر البرلمان التركي قراراً برفع الحصانة البرلمانية عن النائب «حسن ميزارتش» من «حزب الرفاه» الإسلامي ، ثم ألقت قوات الأمن القبض عليه بعد صدور قرار باعتقاله ، والتهمة «إهانة ذكرى مصطفى كمال أتاتورك»!

انتهى الخبر ، وانتهت معه وبه افتتاحية العدد .

ادخلوا في السلم كافة *

د. عبدالكريم بكّار

إن المراد بـ «السِّلم» هنا : (الإسلام) على ما رجَّحَه عدد من المفسرين وإن (كافَّة) حال من (السِّلم) على ما نرجحه ، ويكون المراد آنذاك : الأمر بالأخذ بتكاليف الإسلام جميعها : ما تميل إليه النفس منها، وما يخالف هواها.

وتصرح الآية الكريمة بأن في عدم الأخذ بالإسلام كاملاً نوعاً من اتباع الشيطان ، حيث إن المنهج الرباني يباين السبل الأخرى في فلسفتها العامة ، وإن التفريط بشيء من ذلك المنهج سيكون فيه اتباع (آلي) لسبيل الشيطان حيث لا يوجد خيار ثالث.

ويمكن أن نستبصر في إشراقة هذه الآية المباركة المفردات التالية :

١ - إن المنهج الرباني يتسم بسمتين أساسيتين هما : التكامل والتفرد فهو- نظراً لتكامله - لا يفسح المجال لعناصر أخرى منافية لجوهره ، وأما تفرده عن المناهج الأخرى فإنه يمنحه نوعاً من الحساسية الخاصة التي تجعل أي انحراف عنه أو به عن مقاصده وغاياته بالغ الضرر على أدائه وإصلاحه للشأن الإنساني كله ، فالصفاء الكلي ليس مطلباً من مطالب الإيمان النظري ، ولكنه مطلب من مطالب توظيف المنهج ورسم دوائر حيويته وفاعليته ، وذلك نظراً للعلاقة الجدلية بين النظرية والتطبيق ، فسلامة الإيمان على مستوى الاعتقاد تتأثر إلى حد بعيد بالأخذ الجزئي للإسلام على مستوى التطبيق!.

وقد حذَّر القرآن الكريم النبي ﷺ من مطاوعة المشركين في الإعراض عن بعض المنهج الرباني حين قال : **﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾**[1] .

٢ - إن خصال الخير في هذا الدين كثيرة ، وعلى مقدار ما يأخذ المسلم منها يكون كمال إيمانه وإسلامه ، لكن بما أن العمر محدود والطاقات محدودة فإن على المسلم إذا أخذ بعُمُد الإسلام ، واهتدى بهديه العام ، وقبس من كمالاته ، أن يبحث عن المجال الحيوي المناسب لاستعداداته وظروفه وطاقاته كي يتخذ منه محراباً لتعبده وتقربه إلى الله تعالى ، حتى نحفظ للمجتمع الإسلامي توازنه ونسد ثغراته .

ومن هنا فإن عبادة طالب العلم محاولة النبوغ ، وإتقان التخصص حتى نحقق للأمة الاكتفاء الذاتي - ولو في حده الأدنى - على الصعيد العلمي والفني وعبادة علماء الشرع القيام بالتبليغ وإحياء السنن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتجديد وظائف التدين والتبصر في واقع الأمة ، وإن عبادة الحكام إقامة العدل ، ورعاية شؤون الأمة ، وحماية البيضة ، والتعفف عن الأموال العامة ونشر الدعوة ، وعبادة الجندي دوام التمرس بفنون القتال ، واستيعاب الأسلحة الجديدة واستشراف الشهادة ، والاستعداد الدائم للبذل والفداء ، وإن عبادة الأغنياء وذوي الجاه سد حاجة الفقراء ومساعدة الضعفاء على حل مشكلاتهم والوصول إلى حقوقهم ، والبذل في تشييد المرافق العامة ، وهكذا . . .

وإن خروج كل واحد من هؤلاء عن مجاله الحيوي سيحرمه ، ويحرم الأمة من خير عظيم ، بل قد يؤدي إلى أضرار بالغة وخيمة العواقب ، فإذا صار هم العالم امتلاك المال بنية إعمار المساجد - مثلاً - تقلصت جهوده في ميدانه الحقيقي الذي ينبغي عليه المجاهدة فيه ، وإذا انشغل الحاكم بأعمال خيرية أو أداء النوافل عن واجباته الأخرى ، لم يكن ذلك موضع مدح ولا نفع ذي شأن للأمة المسلمة ، وهكذا . . .

وهذا كله يحتاج إلى نوع من البصيرة النافذة بغية وضع الأمور في نصابها.

٣ - إن أنظمة الإسلام يكمل بعضها بعضاً، كما يفعِّل بعضها بعضاً ومن ثم فإن أي خلل أو ضعف في نظام من تلك الأنظمة يؤثر بالسلب على أداء باقيها، وهذا يعود إلى ما ذكرناه آنفاً من ميزة (التكامل) التي يمتاز بها المنهج الرباني، ونظراً لأهمية هذه المسألة وضعف الإدراك لها سنفيض القول فيها عسى أن نشعر أننا نقف على أرض صلبة.

وفي البداية فإن مبادىء الإسلام ومنظوماته المختلفة تنضوي تحت رؤية واحدة مما يجعل التخلي عن أي منها هدماً لجزء من الرؤية الكونية الإسلامية ويستوي حينئذ - على الصعيد العملي على الأقل - الجهل بذلك الجزء مع تجاهله أو جحده، والنتيجة واحدة، وهي غبش في الرؤية على المستوى النظري، واختلال في التوازنات العميقة على مستوى الشعور، واضطراب أنظمة الحياة الإسلامية على مستوى الفعل والواقع المُعَاش، وسنضرب العديد من الأمثلة لجلاء هذه الحقيقة.

أ - الزكاة جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي، وعدم القيام بهذه الشعيرة يؤدي إلى عدم كفاءة النظام الاقتصادي، كما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالنظام الاجتماعي والأخلاقي أيضاً، فالمقدار المفروض من الزكاة في الأموال وعروض التجارة هو ٥ , ٢ ٪، وهذا القدر كاف لسد العديد من حاجات المجتمع الإسلامي على مقتضى الحكمة الإلهية البالغة، لكن ذلك سيكون في الأحوال العادية والطبيعية وفي غير الأحوال الطارئة كما في حالات الزلازل والفيضانات، وذلك أيضاً فيما إذا التزم أغنياء المسلمين بإخراجها، وإذا استمر ذلك الالتزام حقبة مناسبة من الزمن، فلو قدرنا أن ١٠ ٪ من الأغنياء أخرجوا الزكاة وأن التزامهم بأدائها - في مجتمع ما - لم يمض عليه سوى سنتين، فإن الزكاة آنذاك لا تقوم بمهامها على الوجه المطلوب، حيث إن الحالتين اللتين

ذكرناهما تجعلان الفقر يتراكم ويتفاقم إلى الحد الذي لا تفي أموال الزكاة بالتخلص منه .

ثم إن نظام الزكاة يؤدي مهامه في ظل فعالية الأنظمة الأخرى ، فإذا كانت موارد القطر شحيحة جداً ، أو كان النظام السياسي فيه مختلاً ، وأدى ذلك إلى انتشار البطالة والعطالة عن العمل ، فإن نظام الزكاة بالتالي لا يوصلنا إلى الأهداف المنشودة منه .

وباعتبار الزكاة جزءاً من النظام الاقتصادي الإسلامي ، فإنها أيضاً لا تؤدي وظائفها إلا بفاعلية النظام الذي تنتمي إليه ، فمثلاً : (القرض الحسن) جزء من ذلك النظام ، وإعراض الدولة أو الشعب عنه يؤدي إلى نوع من تعطيل حركة المال وتداوله ، وبالتالي إلى ضعف حركة التنمية والاستثمار مما يفضي أيضاً إلى قلة فرص العمل وكثرة الفقراء والمعوزين .

ومرة أخرى فإن فاعلية نظام الزكاة ترتبط جزئياً بقيام الدولة بواجباتها من ضمان الحد الأدنى من المعيشة للفقير بالقدر الذي يحفظ كرامته ؛ ويجعله في وضع منتج مثمر ، فإذا عجزت الدولة عن ذلك أو قصرت فيه ، فإن آلية (نظام السوق) ستوجد شريحة واسعة من المحتاجين الذين لا يمكن أن تقوم بهم أموال الزكوات والنذور والكفارات . . . وينفعل كل ذلك ويتأثر بقوة النظام القيمي وفاعليته ، فإذا كان نشطاً اندفع الناس إلى التطوع بكثير من الأعمال الخدمية واندفع كثير من الفقراء إلى العمل والحركة مع حسن التدبير والتعفف عن أموال الآخرين مما يخفف من غلواء الحاجة .

ب - الضبط الاجتماعي في الإسلام يقوم على ركنين أساسيين : الأسرة والمجتمع العام بما فيه من وسائل تثقيف وتعليم ورقابة . . . وإن الخلل في أي من هذين الركنين سيؤدي إلى شيوع الخلل في أداء الركن الآخر . وواضح أن مهمة الأسرة أن تصقل الفرد من داخله بما تغرسه من قيم وآداب

وبما تخطه في ذهنيته ومشاعره من خطوط عميقة، كما أن مهمة المجتمع الأرحب القيام بالرقابة على تشجيع القيم الإيجابية وحماية أفراده من السقوط فيما يعتبر أعمالاً مشينة أو مُخلة.

والحالة النموذجية في هذا تتجلى في عموم الإيمان بالقيم والنظم، وتوحد التربية الفردية مع معايير الضبط الاجتماعي على مقتضى ذلك الإيمان، فإذا ما افترضنا الاختلاف بين القيم الأسرية والقيم التي يبثها الإعلام أو تلقنها المدرسة أو يشيعها الشارع، فإن النتيجة هي تمزق شخصية الطفل بين مختلف هذه المؤثرات، وحينئذ فإن التربية الأسرية تتعرض للخطر من قبل المجتمع الأوسع أو يأتي الخطر مما تواضع عليه من قبلها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الطفل يُخفي في البيت ما تلقفه من المدرسة أو الشارع، ويُخفي فيهما ما لُقنه في البيت، والنتيجة هي الازدواجية والحيرة وانطفاء الفاعلية، أي إجهاض عمل الجهات التربوية المختلفة، وترك الناشيء لموجات الظروف.

ج - الحدود في الإسلام وسائل للردع، وهي بمثابة العمل الجراحي الذي يأتي ترتيبه في التطبب متأخراً، وتؤدي الحدود مهماتها في مجتمع تعمل فيه باقي الأنظمة بكفاءة من نحو الاستقرار والعدل وتوفر فرص العمل المناسبة وانعدام المغريات بالفاحشة وانسجام التربية البيتية مع معايير الضبط الاجتماعي وانتشار العلم . . . وإذا ما فرضنا وقوع خلل فيما سبق أو بعضه، فإن كفاءة الحدود في توفير الأمن للمجتمع سوف تتراجع على مقدار القصور الحاصل في الأنظمة الأخرى، وهذا كله يجعل مسؤولية أمن المجتمع واستقراره مسؤولية عامة يتحملها كل فرد في المجتمع، كما تتحملها الدولة على مقدار المكنة والتخصص.

٤ - إذا كانت أنظمة الإسلام متفردة في رؤيتها الكونية وفي منطلقاتها وأهدافها، فإن مما يضر بتماسكها الداخلي إدخال العناصر البعيدة عن طبيعتها عليها، وهذا ما يمكن أن نسميه بـ(التلفيق)، وإن الثقافة الإسلامية تقبل من الجديد ما ينشط وظائفها، أو يوظف مبادئها، أو يملأ فراغات وهوامش

أوجدتها خاصية المرونة فيها ، فإذا تجاوز الأمر ذلك إلى الجوهر والأنظمة الأساسية ، فإن النتيجة هي ضرب التوازنات العميقة لتلك الثقافة مما يجعلها تنكمش - كما هو الكائن الحي حين يُهاجَم -، وتفرز نوعاً من العطالة الضرورية كيما تحافظ على وجودها وانسجامها.

وإن ثقافتنا الإسلامية تمر بمرحلة عصيبة لا سابق لها في تاريخها المديد حيث يمتلك زمام تثقيف الأمة أناس كثيرون يجهلون ثقافة الأمة ، بل إنهم رضعوا لبان الثقافة المعادية ، ولسنا هنا بصدد بيان ذلك ولا أسبابه ، لكن ما نشاهده اليوم من عمليات التلفيق والتهجين الثقافي كان حصاد مراحل الركود الفكري والحضاري بصورة عامة ، وإذا كان التجديد سنة من سنن الكائن الحي فإنه إذا لم يتوك التجديد أهله تولاه غيرهم ، فالإنسان بطبعه لا يصبر على طعام واحد ، وهو يستهلك الشعارات والأفكار والنظم الصغرى ، فإذا لم نقم بإثراء ثقافتنا بالدراسات والخبرات وتجديدها وتحريرها من عوادي الانحراف والجمود والتقليد فعل ذلك من لا يُحسنه ، وصار الانسجام والتجديد عبارة عن سمات ظاهرة جوفاء ، أما الجوهر فيشوبه التناقض والتآكل الداخلي.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

* من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [سورة البقرة ، آية ٢٠٨].

(١) سورة المائدة ، آية ٤٩ .

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

وتثبيت الأمن بمفهومه الشامل

فهد بن ناصر الجديد

تمهيد:

الدعوة السلفية بنجد التي يرميها شانئوها - زوراً - الوهابية بقصد التنفير منها وادعاء أنها دعوة مبتدعة ، هي دعوة إصلاحية ، ودعوة لتصحيح العقيدة الإسلامية التي انحرفت عن النهج الحق بفعل الاتجاهات الصوفية والبدعية بوجه عام ، وبخاصة في القرون الأخيرة ، ومما يؤسف له أنه مازالت بعض الاتجاهات البدعية تناصب هذه الدعوة العداء بدون وجه حق ، لكن الحق أبلج وأكبر من أن تقف في وجهة المعوقات ، فقد بُينت حقيقة هذه الدعوة وكتب عنها ،وقرظها الكثير من العلماء على مستوى العالم الإسلامي منهم (مسعود الندوي من الهند والشيخ بهجت الأثري من العراق ، والشيخ رشيد رضا من مصر ، والشيخ علي الطنطاوي من الشام وغيرهم) ، وهذه المقالة تتحدث عن جزئية خاصة من الآثار الإيجابية لهذه الدعوة.

- البيان -

يعتبر الأمن من العناصر الأساسية التي تستقر عليها الدول ، وتقوم عليها الحضارات ، ولا يمكن أن يتحقق الأمن بمفهومه الشامل إلا عندما تتحقق عبودية الإنسان لربه ، يقول الله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت

صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾[1] .

والجزيرة العربية وهي مهبط الوحي ومبعث الرسالة الخالدة ، لا يمكن أن تقوم بها حضارة إلا في إطار من الشريعة الإسلامية ، ولا يمكن لأهلها أن ينعموا بالأمن والاستقرار إلا تحت راية التوحيد .

ومع إشراقة العصر الحديث ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قلب الجزيرة العربية ، واستطاع بفضل الله أن يوحدها تحت قيادة إسلامية واحدة ؛ لذا جاء الاهتمام بدراسة هذه الدعوة المباركة وأثرها في جانب من أهم جوانب الحياة الأساسية ألا وهو الأمن ، وقبل البدء في هذا الموضوع لابد من ذكر لمحة موجزة عن الحالة الأمنية قبل تلك الدعوة ، ومدى ما وصلت إليه الحال من التدهور والاضطراب آنذاك .

الحالة الأمنية قبل الدعوة :

اضطربت الحالة الأمنية في الجزيرة العربية بسبب انهيار وانحراف الحالة العقدية «فكانت البلاد تعيش في ظلام دامس بين عدو يأخذها بالقهر وبين صديق يأخذها بالغزو»[2] ، ولمعرفة ما وصل إليه الحال يمكن ذكر المثالين التاليين :

المثال الأول : ذكر المؤرخ ابن بشر عن أحداث سنة ١١٢٠ هـ قوله «وفيها قتل حسين بن مفيز صاحب (التويم) البلد المعروف في ناحية سدير ، قتله ابن عمه فايز بن محمد وتولى بعده في (التويم) ، ثم إن أهل حرمه ساروا إلى التويم ، وقتلوا فايزاً المذكور وأمروا في البلد فوزان بن مفيز[3] ، ثم غدر ناصر بن حمد بفوزان فقتله ، فتولى في (التويم) محمد بن فوزان ، فتمالأ عليه رجال وقتلوه منهم المفزع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال ، فلم تستقم ولاية لأحدهم فقسموا البلد أربعاً كل واحد شاخ في ربعها» - أي صار شيخاً -[4] .

المثال الثاني : ما جرى لبلدة العيينة عندما أصابها المرض الخطير في عام

١١٣٩ هـ وأفنى الكثير من أهلها ، ومات أميرها عبدالله بن معمر، وتولى بعده حفيده محمد بن أحمد ، فاجتمع كلٌ من أمير الدرعية زيد بن مرخان وفايز السبيعي ومعهم أربعون رجلاً ، وليتهم قرروا تقديم المساعدة لتلك البلدة المنكوبة ، لكنهم قرروا الهجوم عليها ونهب خيراتها ، فلما علم أميرها الجديد أرسل إلى زيد بن مرخان قائلاً : «ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا ، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلى أكلمك من قريب وأناجيك»[٥] . فلما قدم زيد ورجاله وجلسوا إذا برصاصة تستقر في جسمه بتدبير من ابن معمر ، فمات من فوره ، وتفرق رجاله داخل البيت .

دعائم توطيد الأمن :

لقد سار الشيخ – وبمؤازرة الأمير محمد بن سعود – على النهج الذي سار عليه السلف الصالح في توطيد الأمن بمفهومه الشامل في المجتمع فلم يحصر معالجة الخطأ على الانحراف الشخصي للفرد ، وإنما امتد الإصلاح إلى انحراف المجتمع الذي مهد لانحراف الفرد ؛ لذلك جاءت دعائم الأمن مرتكزة على ثلاثة أسس[٦] لا مناص عنها ، وهي :

* تربية الفرد.
* إصلاح الأوضاع القائمة .
* إقامة الحدود.

تربيـة الفـرد:

اهتم الشيخ بأن يتكون في الفرد وازع ديني يحول بينه وبين الوقوع في الجريمة ، فكان التوحيد الخالص من شوائب الشرك أول أمر دعا إليه حتى تتحقق عبودية الفرد لربه ، فإذا علم الإنسان أن الله هو الخالق الرازق (توحيد الربوبية) فلا يفكر في الحصول على مغنم بوسائل غير مشروعة ، وإذا تيقن الإنسان أن

الله هو المعبود بحق (توحيد الألوهية) فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يوجه العبادة من دعاء أو استعانة أو استغاثة أو ذبح أو نذر إلا لله وحده ، وإذا علم الإنسان أن الله العليم الخبير المطلع على سرائر الأمور (توحيد الأسماء والصفات) فلا تراوده نفسه الإقدام على الجريمة ، لذا قام الشيخ بتأليف كتابه المشهور «كتاب التوحيد»*.

ولم تكن التربية قاصرة على طبقة دون أخرى ، بل شملت كل طبقات المجتمع حتى كبار السن والعامة ، حيث قام بتأليف رسالة موجزة في العقيدة تعرف بالأصول الثلاثة جاءت على طريقة الحوار وهي مفيدة جداً.

وأما في مجال التربية بالقدوة فقد حرص الشيخ على التأسي بهدي المصطفى ﷺ في جميع أفعاله ، فقام باختصار كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيّم ، مع إبراز العبر والعظات ، كما قام باختصار السيرة النبوية وربط المعتقدات الباطلة في عصره بالجاهلية الأولى.

وقد حرص الشيخ على ضرب الأمثلة بذكر قصص السابقين لما للقصة من أثر بالغ في التربية كما ذكر في كتاب «التوحيد» قصة الرجلين الذين قدم أحدهما قرباناً لصنم قوم عندما مروا عليهم فخلوا سبيله ، وامتنع الآخر فكانت حياته ثمناً لامتناعه فدخل الجنة ، وكذلك قصة الأقرع والأبرص والأعمى.

وقد أكد الشيخ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد المعرفة والفهم «لأن الإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة ، فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله»[٧] ، ومما قال أيضاً في ذلك : «وأهل العلم يقولون الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاثة أمور : أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، وأن يكَون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ، صابراً على ما جاءه من الأذى»[٨].

ومن وسائل التربية ما يلي :

* بعث الدعاة والعلماء إلى البلدان التي انضمت إلى رحاب الدعوة ، مثل إرسال الشيخ محمد بن صالح إلى بلدة منفوحة ، والشيخ عيسى بن قاسم إلى بلدة الرياض ، والشيخ أحمد بن سُويلم إلى بلدة ثادق والشيخ حمد العريني إلى بلدة اليمامة ، وجمع من العلماء إلى منطقة الإحساء ، والشيخ عثمان أبا حسين ثم الشيخ قرناس بن عبدالرحمن إلى بوادي حرب .

* إرسال الرسائل إلى بعض البلدان لتوضيح حقيقة دعوته ، مثل رسالته إلى أهل القصيم ، ورسالته إلى فاضل بن مزيد رئيس بادية الشام ، ورسالته إلى عبدالرحمن السويدي - أحد علماء العراق - ، ورسالته إلى البكيلي صاحب اليمن ، ورسالته إلى أهل المغرب .

* إقامة المناظرات العلمية مع علماء المسجد الحرام في مكة المكرمة عندما تم إرسال كل من الشيخ عبدالعزيز الحصين في عام ١١٨٤ هـ والشيخ حمد بن معمر في عام ١٢١١ هـ .

* تدريس كتاب «كشف الشبهات» ** في بيت الله الحرام (بعد دخول السعوديين مكة المكرمة) في عام ١٢١٨ هـ .

إصلاح الأوضاع القائمة :

لقد فطر الله الكائن البشري على صفات عديدة منها أنه لا يمكن أن يعيش مستقلاً بذاته ، بل لابد له من العيش بين أفراد ومجتمعات ، فإذا كانت تلك المجتمعات غير صالحة ، فلا يمكن للفرد مهما بلغ صلاحه أن ينعم بالأمن في ظلها ، لذا حرص الشيخ على إصلاح الأوضاع القائمة حتى يحافظ الفرد على

صلاحه ، ومن الأوضاع التي تم إصلاحها ما يلي :

- إصلاح الوضع الاجتماعي.
- إصلاح الوضع السياسي.
- إصلاح الوضع الاقتصادي.

إصلاح الوضع الاجتماعي:

حرص الشيخ على تقوية الترابط الأسري في المجتمع ببيان حقوق كل من الرجل والمرأة حتى يسود الأمن الاجتماعي بينهما ، فقد وجد في بعض المجتمعات النجدية آنذاك من ينظر إلى المرأة نظرة ازدراء وتنقص ، فيوقفون أوقافاً يتحايلون بها لمنع المرأة حقها الشرعي في الميراث ، ويزعمون أن ذلك قربة إلى الله ، ومن ذلك ما ذكره الشيخ في بعض رسائله قائلاً : «من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه والتحايل على ذلك بالتقرب إلى الله ، وذلك مثل الأوقاف هذه . . إذا أراد الرجل أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو ابن أو نسل بنات أو غير ذلك ، أو يعطي من حرمه الله أو يزيد أحداً أكثر مما فرض الله أو ينقصه من ذلك يريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه مبعداً عن الله ، فالأدلة على بطلان هذا الوقف ووجوب عودته وقسمته حسب ما قسم الله ورسوله أكثر من أن تحصر»[9].

إصلاح الوضع السياسي:

كانت المنازعات على السلطة بين أفراد الأسر الحاكمة من الأمور المتفشية في بلدان الجزيرة العربية ، وكان غالباً ما يصل الأمراء إلى الحكم عن طريق القوة والاغتيال ، وقليل من يصل سليماً[10] كما أسلفنا.

لذا تعين لدى الشيخ أن السياسة الشرعية في بناء البيئة الإسلامية وهدم البيئة الجاهلية تقتضي البحث عن أمير[11] يقتنع بصحة الدعوة ويجاهد لأجلها.

كما اقتضت السياسة الشرعية لدى الشيخ أن يتم تعيين الأمير - كما يتم تعيين الإمام للصلاة - لكل بلدة تنضم إلى رحاب الدعوة ، ومن ذلك ما ذكره مؤرخا الدعوة - ابن غنام وابن بشر - :

* تعيين مبارك بن عدوان أميراً على بلدة حريملاء في عام ١١٦٨ هـ.
* تعيين دخيل بن سويلم على بلدة ثادق في عام ١١٧٠ هـ.
* تعيين سليمان بن عفيصان أميراً في بلدة الدلم في عام ١١٩٠ هـ.
* تعيين عبدالله بن جلاجل في منطقة سدير عام ١١٩١ هـ.
* تعيين زيد بن عريعر في منطقة الإحساء عام ١٢٠٤ هـ.
* تعيين هادي بن قرملة رئيساً على بوادي قحطان.
* تعيين كلاً من عبدالوهاب بن عامر وفهاد بن شكبان وطامي بن شعيب أمراء في منطقة الجنوب.
* تعيين الشريف عبدالمعين أميراً في مكة المكرمة عام ١٢١٨ هـ ، ثم تعيين الشريف غالب في عام ١٢٢٠ هـ.

إصلاح الوضع الاقتصادي :

تأكد لدى الشيخ أن وقوع الجريمة ليس دائماً بسبب الفرد كما يبدو ظاهراً وإنما هناك سبب حقيقي دفعه إلى اقترافها ، «والمصادر المتوفرة عن تلك الفترة توحي بأن الظلم كان الصفة العامة لأمراء البلدان»[١٢].

لذا اهتم الشيخ بالإصلاح الاقتصادي حتى يسود الأمن الاقتصادي في الأمة ، وأعظم ما قام به في ذلك المجال المعاهدة أو البيعة التي تمت بينه وبين أمير الدرعية (محمد بن سعود) ، حيث نص البند الثاني على التخلي عن خراج الثمار الذي كان يؤخذ من أهلها[١٣] ، ولقد أثبتت الأحداث الجسام بعد تلك البيعة اقتناع أمير الدرعية بالدعوة ودفاعه المستميت عن مبادئها

إقامة الحدود :

إن الهدف الأساسي من إقامة الحدود قائم على أساس حماية الضروريات الخمس التي دعت إليها الشريعة الإسلامية ، وهي : الدين ، والنفس ، والعقل والعرض ، والمال ، فبعد تأمين الحاجز الداخلي لدى الفرد بالتربية الصالحة ، وبعد تأمين الحاجز الخارجي المحيط بالفرد المتمثل في إصلاح الأوضاع القائمة ، تأتي المرحلة الثالثة في حماية المجتمع ، وذلك بإقامة الحدود ، وعلى هذا الأساس يتبين أن العقوبة ليست قائمة على التشفي والانتقام ، وإنما على الردع والزجر ، يقول رسول الله ﷺ (حد يقام في الأرض خير من المطر لأهلها أربعين صباحاً) رواه ابن ماجة[١٤] ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «وهذا لأن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو ، كما يدل عليه الكتاب والسنة فإذا أقيمت الحدود وظهرت طاعة الله ونقصت معصية الله حصل الرزق والنصر»[١٥] .

ومن الحدود التي تم تنفيذها رجم الزانية في بلدة العيينة في عام ١١٥٧ هـ .

ولم تكن الحدود مقتصرة على الأفراد فحسب بل امتدت إلى الجماعات ومن ذلك ما ذكر ابن بشر :

* أرسل الأمير سعود على رأس قوة عسكرية إلى منطقة الإحساء في عام ١٢١٠ هـ لإقامة الحدود على المخلين بالأمن .

* أرسل الأمير سعود قوة عسكرية في عام ١٢١٩ هـ إلى بوادي الظفير بعد أن تأكد تهاونهم عن الصلوات المفروضة ، إضافة إلى إيوائهم لبعض المبدلين لدين الله .

ثمار الدعوة من الناحية الأمنية :

لقد جنى أهل الجزيرة ثمار تلك الدعوة المباركة في توطيد الأمن بمفهومه الشامل ، واطمأن الناس على سلامة عقيدتهم من الأفكار المنحرفة المنتشرة في

كثير من أنحاء العالم الإسلامي ، وأمنت قوافل الحجيج القادمة من مختلف بقاع العالم الإسلامي ، وكان إيراد عمال الزكاة وأخماس الغنائم الذين يقدمون إلى الدرعية ، يتخذون تلك الأموال أطناباً لخيامهم إذا جن الليل عليهم لا يخافون إلا الله[16] . وقد اتخذ الإمام عبدالعزيز بن محمد رعية إبل لحفظ الضوال منها فمن وجد إبلاً ضالة في أي بقعة من الجزيرة أتى بها إلى الدرعية وأخذ المكافأة المعدة له[17] ، وعلى من ضاعت له إبل أن يقدم إلى تلك الرعية فإذا عرفها أتى بشاهدين أو شاهد ويمينه ثم يأخذها ، وربما يأخذ الواحدة اثنتين بسبب التناسل والتكاثر[18] ، وذات مرة حاول نفر من الأعراب - وهم جياع - أن يأخذوا عنزاً ضالة ويذبحوها ويأكلوها ، فلم يتقدم لها أحد ، وعندما ألحوا على أحدهم أجاب قائلاً : «والله لا أنزل إليها ، ودعوها فإن عبدالعزيز يرعاها»[19] .

هوامش :

★ كتاب (التوحيد) من أهم الكتب في تحقيق العبودية لله والخلوص من الشرك ، وقد نال اهتمام الكثيرين من علماء الدعوة ، فشرحوه بين شرح كبير ومتوسط ومختصر ، ومن أهمها (فتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ) و(تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله) و(قرة عيون الموحدين للشيخ عبدالرحمن بن حسن) واعتنى به حديثاً كل من الشيخ عبدالرحمن السعدي ، والشيخ مصطفى العالم والشيخ سعيد الجندول وغيرهم .

★★ كشف الشبهات كتاب حواري في التوحيد يناقش المبتدعة وعباد القبور والأضرحة ويوضح انحرافهم عن الصواب . ولا يملك طالب الحق إلا التسليم للشيخ في حواره الموضوعي وهو كسابقه كتاب التوحيد جديران بأن يترجمان للغات العالم الإسلامي ، لمزيد من التوعية وكشف شبهات البطلين والمرتزقة بالأضرحة والعكوف عليها . والله المستعان .

(١) منير العجلاني ، عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد ، ص ٣ .

(٢) بياض في الأصل ولعل الاسم كاملاً ما ذكر .

(٣) عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف ، ص ٤١٨ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٢٣ .

(٥) الرائد فهد عبدالعزيز الدعيج ، الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، ص ١١٧ ، بتصرف .

(٦) مؤلفات الشيخ الإمام ، الرسائل الشخصية ، رسالة رقم ٢٢ ، ص ١٥٦ بتصرف .

(٧) المصدر السابق ، رسالة رقم ٤١ ، ص ٢٨٤ .

(٨) المصدر السابق ، رسالة رقم ٤٤ ، ص ٢٩٦ .

(٩) المصدر السابق ، رسالة رقم ١٢ ، ص ٧٨-٧٩ .

(١٠) عبدالله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ، ص ١٦ ، بتصرف .

(١١) صالح عبدالله العبود ، عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي ، مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

(١٢) عبدالله العثيمين ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره ، ص ١٦ ، بتصرف .

(١٣) حسين بن غنام ، روضة الأفكار ، تحقيق الدكتور ، ناصر الدين الأسد ، ص ٨١ عثمان بشر ، عنوان المجد ، طبعة وزارة المعارف ، ص ٢٢ .

(١٤) وحسنة الألباني في «الصحيحة» ح ٢٣١ .

(١٥) ابن تيمية ، السياسة الشرعية ، تحقيق محمد أيمن الشبراوي ، دار الكتب العلمية ص ٦٨ .

(١٦-١٩) عنوان المجد ، ص ١٢٢ .

نظرات تربوية
في خلق الصدق
- ١ -

عبدالعزيز بن ناصر الجليل

منزلة الصدق منزلة عظيمة ليس في دين الإسلام فقط بل في جميع الأديان ، لا لأنه خُلق من الأخلاق الحميدة فحسب ، بل لأنه أصل الإيمان المقبول عند الله عز وجل ، وهو أساس النجاة من عذاب الله عز وجل ، وبه يتميز أهل الإيمان الحق من المنافقين الكاذبين ، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في منزلة الصدق : «وهو منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم ، الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين» . . . إلى أن يقول : «فهو روح الأعمال ، ومحك الأحوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين ، وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة (النبوة) التي هي أرفع درجات العالمين» .

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف في فضل الصدق وخطورة أمره وعلو شأنه .

ولقد اخترت هذه الوقفات التربوية لخلق الصدق في ضوء القرآن الكريم لمعالجة هذا الموضوع الذي يهم كل مسلم بصفة عامة ، ويهم الدعاة إلى الله عز وجل

بصفة خاصة ، لاسيما في واقعنا المعاصر ، وتتجلى أهميته في الأمور التالية :

الأمر الأول :

لأنه أساس الإيمان ، وركنه الركين ، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله عز وجل ، وعليه يترتب الأجر والثواب يوم القيامة ، قال تعالى : **﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾**[1] ، وقال تعالى : **﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . . . ﴾**[2] ، ولأنه أساس الطاعات وجماعها ، فقد أصبح الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق .

يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «الصدق أساس الحسنات وجماعها ، والكذب أساس السيئات ونظامها ، ويظهر ذلك من وجوه منها :

* أن الصدق هو المميز بين المؤمن والمنافق ، ففي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[3] ، وفي حديث آخر : « على كل خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة »[4] ، وقد وصف الله المنافقين في القرآن بالكذب في مواضع عدة ومعلوم أن المؤمنين هم أهل الجنة ، وأن المنافقين هم أهل النار في الدرك الأسفل منها .

* أن الصدق هو أصل البر ، والكذب هو أصل الفجور ، كما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر . . . »[5] .

* أن الصادق تنزل عليه الملائكة ، والكاذب تنزل عليه الشياطين كما قال تعالى : **﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾**[6][7] .

الأمر الثاني :

أن الصدق في كل الأمور يوصل صاحبه إلى مرتبة «الصديقية» ، التي هي المرتبة التالية لمرتبة النبوة ، وعندما أقول في كل الأمور أريد من ذلك عدم حصر الصدق في اللسان فقط ، وإنما الصدق في النيات والأقوال والأعمال والأصل تحري الصدق في ذلك كله.

إن مجاهدة النفس على تحري الصدق في جميع الأمور يوصلها إلى هذه المرتبة العظيمة مرتبة «الصديقية» كما جاء في الحديث السابق الذكر : « . . . ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقا »(٨).

وهنيئاً لمن وصل إلى هذه المرتبة ، فيا لها من رتبة ، وما أشرف قدرها وأعظم فضلها ، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في وصف أهل هذه الطبقة : « الطبقة الرابعة ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم ، وهم القائمون بما بعثوا به علماً وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم ، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة ، وهي مرتبة الصديقية ، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾(٩).

الأمر الثالث :

ثمرات الصدق العظيمة التي تحصل منه في الدنيا والآخرة من البركة والقبول والإصلاح في الدنيا ، والأجر العظيم والثواب الجزيل في الآخرة وسيأتي تفصيل كل ذلك - إن شاء الله تعالى - في (ثمرات الصدق).

الأمر الرابع :

خطورة الكذب والنفاق وأثرهما على الفرد والمجتمع والأمة وبخاصة في

مجتمعاتنا اليوم التي كثر فيها الكذب والدجل والمداهنة ، وقل الصدق فيها والصادقون ، ولا أعلم - والعلم عند الله - عصراً ظهر فيه الكذب والنفاق بوسائله الماكرة المتطورة كما ظهر في عصرنا اليوم ، حتى أصبح الكذب له مدارسه وأساليبه التي تعلم الناس كيف يكذبون ، وكيف ينافقون وكيف يدلسون . . . الخ ، ولا أبالغ إذا قلت إن وسائل الإعلام اليوم - المقروءة منها والمسموعة والمنظورة - قد قامت في أغلب برامجها على الكذب ، وقلب الحقائق وتسمية الأمور بغير أسمائها ، وقد تجاوز الأمر حده حتى أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وظهر الحق في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق ، وأصبحنا نسمع من يقول عن المسلم الصادق الذي يتحرى الصدق بأنه ساذج وبسيط وسطحي . . . الخ ، في الوقت الذي يوصف الكاذب المنافق بأنه السياسي الحكيم المحنك ، إن مجتمعاً كهذا حري بالسقوط والدمار ، ولا نجاة ولا فلاح إلا بالصدق ، والأمة الصادقة مع ربها سبحانه ومع رسولها ﷺ لا تهزم أبداً .

الأمر الخامس :

ظهور بعض علامات ضعف الصدق في صفوفنا معشر الدعاة إلى الله عز وجل ، وذلك بوجود بعض التصرفات والممارسات التي تتنافى مع الصدق في الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله ، فقلَّ الصادقون الربانيون الذين يصدقون في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم ، ويضحون في سبيل الله عز وجل بكل ما يملكون لنيل مرضاته وحبه ، نعم إنه بمحاسبة عجلى لنفوسنا يتبين لنا هذا الضعف ، وأننا في أمس الحاجة إلى تقوية هذا الخُلق ، ونبذ كل ما يتنافى معه من صور الكذب والنفاق ووهن العزيمة ، وضعف الهمة ، وإلا فما معنى وجود

هذه الجهود الضخمة المبذولة اليوم في طرق الدعوة إلى الله عز وجل ، ثم لا نرى لها إلا أثراً ضعيفاً لا يكافىء تلك الجهود المبذولة ؟!

الأمر السادس :

إن الصراع الذي نشاهده اليوم بين الحق والباطل ، بين دعاة الشر والكفر ودعاة الخير والإصلاح ، ليحتم على أهل الخير حرصهم الشديد على الصدق مع الله سبحانه واليقين بنصره وثوابه ، حتى لا تزل الأقدام ، وتضعف العزائم إزاء هذا البلاء العظيم والمعركة الشرسة بين الحق والباطل ، وهذه المواطن هي التي يتميز فيها الصادقون عمن سواهم ، قال تعالى : ﴿ **الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾[10] .

وكذلك أيام الفتن لا يثبت فيها إلا الصادقون العالمون العاملون ، وهم الذين يشرفهم الله عز وجل بنصره ، ويمكن لهم في الأرض ، ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين .

حقيقة الصدق :

إن حقيقة الصدق أوسع من كونها الصدق في الحديث فقط ، وإنما حقيقة الصدق شاملة لصدق النية والعزيمة ، وصدق اللسان ، وصدق الأعمال ، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «ومما ينبغي أن يعرف أن الصدق والتصديق يكون في الأقوال وفي الأعمال كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، فهو مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، والأذنان تزنيان وزناهما السمع ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشي ، والقلب يتمنى ويشتهي ، والفرج

يصدق ذلك أو يكذبه »[11]

ويفصِّل الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - القول في هذا المعنى فيقول: « والإيمان أساسه الصدق ، والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر».

وأخبر سبحانه : أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه قال تعالى : **﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوزُ العظيم ﴾**[12] وقال تعالى: **﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾**[13] ، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله ، والصدق إنما يكون في هذه الثلاثة :

فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها ، والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد ، والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الأخلاق ، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة ؛ فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق ، وبحسب كمال هذه الأمور فيه ، وقيامها به تكون صديقيته ولذلك كان لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه وأرضاه - ذروة سنام الصديقية فسمي (الصدِّيق) على الإطلاق ، و(الصدِّيق) أبلغ من الصدوق ، والصدوق أبلغ من الصادق ، فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمُرْسل»[14] .

الفرق بين الصدق والإخلاص:

الصدق والإخلاص عملان قلبيان من أعظم أعمال القلوب ، وأهم

أصول الإيمان ، فأما الصدق فهو الفرقان بين الإيمان والنفاق ، وأما الإخلاص فهو الفرقان بين التوحيد والشرك في قول القلب واعتقاده أو في إرادته ونيته والأعمال - التي رأسها وأعظمها «شهادة أن لا إله إلا الله» - لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص.

ومن هنا كان الصدق والإخلاص شرطين من شروطها ، ولذلك كذَّب الله المنافقين في دعوى الإيمان ، وقول الشهادة لانتفاء الصدق ، فقال : **﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾**(١٥) ، وقال : **﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾**(١٦).

كما أبطل سبحانه زعم أهل الكتاب والمشركين أن دينهم هو الحق بانتفاء الإخلاص فقال : **﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾**(١٧) ، إلى أن يقول : **﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حُنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾**(١٨).

والصدق والإخلاص - مع تقاربهما ترادفهما أحياناً - يميز بينهما بتعريف ضد كل منهما :

فالصدق ضده انتفاء إرادة الله بالعمل أصلاً ، كمن آمن وصلى كاذباً ولم يرد الإيمان والصلاة ، وإنما فعل ذلك لسبب آخر ، كما فعله المنافقون حفظاً لأنفسهم وأموالهم من السيف ، وجبناً عن تحمل أعباء المواجهة الصريحة للإيمان.

والإخلاص ضده انتفاء إفراد الله بالإرادة والتوجه كمن آمن أو صلى صارفاً ذلك لأحد مع الله ، وهذا هو الشرك الذي وقع فيه أكثر العالمين ، وعلى

قدر ما يحقق العبد الإخلاص لربه يكون ترقيه في «المخلصين» الذين صرف الله عنهم غواية الشياطين وأثنى عليهم في كل أمة)[19]

وللحديث بقية . .

هوامش :

(١) الأحزاب ، آية ٢٤ .

(٢) المائدة ، آية ١١٩ .

(٣) البخاري ، كتاب الإيمان ، ج٢٤ الطبعة الأولى ، ص١٤ ، مسلم كتاب الإيمان ، الطبعة الأولى ، طبعة دار الكتب العلمية .

(٤) رواه الإمام الحاكم وضعفه الألباني .

(٥) البخاري ، كتاب الأدب ، ج٣ ص٩٥ ، طبعة إستانبول ؛ مسلم كتاب البر ، ج٢ ص٤٣٨ ، طبعة الكتب العلمية .

(٦) الشعراء ، ٢٢١ -٢٢٢ .

(٧) مجموع الفتاوى ، ٢٠/ ٧٤ .

(٨) سبق تخريجه في رقم (٥) .

(٩) النساء ، آية ٦٩ .

(١٠) سورة العنكبوت ، آية (١) .

(١١) البخاري ، ١٠/ ٢٢ كتاب الاستئذان .

(١٢) سبق تخريجها في رقم (٢) .

(١٣) مدارج السالكين ، ٢/ ٢٦٩ .

(١٤) الزمر ، آية ٣٣ .

(١٥) المنافقون ، آية ١ .

(١٦) العنكبوت ، آية ٣ .

(١٧) البينة ، آية ١ .

(١٨) البينة ، آية ٥ .

(١٩) ظاهرة الإرجاء في الفكر المعاصر ص ٤٣٨ .

إشكالية المناهج في واقع الدعوة

سليمان عبدالعزيز الربعي

مدخل :

سنة ربانية أن تتعدد طرق البلاغ في محاور من السبل المختارة الرامية إلى نتاج مبارك ، وهو واقع مَرْضيٌّ - في حقيقته - منه سبحانه وتعالى ، شرط اتحاد وجهات الهدف على نحو موافق لمراده ومراد رسوله ﷺ بلا لبس أو غبش . إن ذلك أيضاً هو ذات الحقيقة في دعوة المحجة القرآنية في غير ما موضع ، حيث اختلفت - بجلاء - أماكن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في دعواتهم إلى أقوامهم ، في الوقت الذي اتفقت فيه أهدافهم الكامنة في توحيده جل وعز وحده لا ند له .

وبأقل قدر من الملاحظة يمكن للسابر أن يستجلي ما تقرر في آي الذكر الحكيم ، ذلك لوضوحه وبروزه ، وها نحن نصطفي سورة هود تقعيداً وتأسيساً .

إن ذلك يتجسد بمفتتح يذكر فيه تعالى «قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي ﷺ تنبيهاً له على ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم»[1] .

بدءاً بقصة نوح مع قومه ، ثم تتابع قصص النبيين هود وصالح ولوط وشعيب في مضامين حوارية رائعة السبك والمدلول ، ولكل قوم توجيه خاص يناسب معطيات الحدث وتركيبة العقل المخاطب ، فقوم نوح مثلوا قمة البطر العنصري والتجبر الجنسي ، مقسمين المجتمع قسمين : نبلاء أشراف ، وأراذل دهماء : **﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي . . .﴾**[٢] ، قال ابن كثير – رحمه الله – : «وما نراك اتبعك إلا الذين هم أرذالنا كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا»[٣] ، وهؤلاء ناسبهم خطاب التمسك بحق هؤلاء الضعفاء في الدين ، والتسليم بأن مرد ذلك إلى الله وحده فلا يستطيع نوح طردهم ، ولا يدري بما يدخره الله لهم في الآخرة ، إمعاناً في التبكيت ، ودحضاً لوسائلهم المعتادة في الرفض **﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾**[٤] **﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً ، الله أعلم بما في أنفسهم ، إني إذاً لمن الظالمين ﴾**[٥] .

لقد كان فهماً فاسداً مؤداه أن الحق لا يمكن أن يتبعه إلا الأشراف دون غيرهم ، الأمر ذاته الذي تبنته قريش .

وأما قوم هود ، فَحُبس عنهم الغيث ، وانقطع نسلهم ، فكانا خطين متوازيين يؤديان إلى الهلاك المادي والمعنوي ، بانقطاع الذكر والأثر في الثاني وندرة المورد في الأول ، ومن ثم ناسبهم منهاج خطاب الوعد بالغيث ومدد القوة **﴿ ويا قوم استغفروا ربكم يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾**[٦] ، وحكمة هذا البيان الدعوي المحسوس إنما هي موافقته لواقع الحال ، كما ذكر ذلك المفسرون[٧] .

واختلف الخطاب عند البيان لقوم صالح ، إذ جاء مذكراً إياهم بنعمة التعمير والاستخلاف الممتدة طوراً بعيداً ، فكان الواجب آنئذ : الإعمار المبارك

واستغلال طول الأمد بالعبودية المفردة : ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب** ﴾[8]، ومعناه أرجأكم بنسيء الأجل «وكانت أعمارهم من ثلاثمائة إلى ألف»[9].

ويتواصل بيان الدعوة ليمتد إلى عهد لوط - عليه السلام - فيعمد إلى أسلوب التذكرة الفطرية بالتناسب الطبيعي للأجناس البشرية ، من حيث كونه هداية أبدية ، يجنح بها المذكر إلى المؤنث في الأحياء كافة ، وكذا في مثله في السالب والموجب في ذرات الكون كلها ﴿ **وجاءه قومه يُهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد** ﴾[10]، أي راشد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما أجمع عليه المفسرون - رحمهم الله - .

ثم يختلف الأسلوب تماماً في الموقف الخامس من السورة ، في معرض الحديث عن قصة شعيب مع قومه أهل مدين ، فقد كانوا أصحاب تجارة وأرباب أموال ، غير أنهم معه كانوا ينقصون الناس حقوقهم في الكيل والميزان ، ولذا ناسب أن يخاطبهم شعيب - عليه السلام - بقوله المخبر عنه في القرآن الكريم : ﴿ **ولا تنقصوا المكيال والميزان** ﴾[11]، ذلك لكونه لاحظ بطرهم مع غناهم فالقوم كانوا في سعة من الرزق ، يقول الإمام الطبري في معرض تفسيره للخير في قوله : «إني أراكم بخير» : «عن الحسن قال : الغنى ورُخص السعر»[12].

لقد عشنا في خمس جولات تباينت فيها ملامح المناهج الدعوية ، فهي تأخذ في كل جولة معالم محددة بسياقات المناخ والتركيب العقدي والفكري وذلك على النحو التالي :

١ - الأولى منها دعوة إلى المساواة وكسر حاجز البطر العنصري البغيض

الذي يمتد من عهد نوح – عليه السلام– مروراً باليونان فقريش إلى عصرنا المتمدن!.

٢ – والثانية دعوة ذات طرح إصلاحي يعد بالنماء والازدهار وحلحلة الوضع الكاسد في البنية العددية الهيكلية ، والرواء بعد قتامة التصحر والجدب الجاثم.

٣ – وأما الثالثة فيمكن أن يعبر عنها بأنها دعوة تعميرية ناضجة ، قوامها البناء المشيد والعقل المدرك الواعي بأهمية استغلال الاستخلاف الممتد بالصلاح والعمل رجاء رضوان الله ، وتوحيده البتة.

٤ – وتأخذ الرابعة تقاسيم الدعوة الأخلاقية نحو مضامين التناسب الهرمي والمجتمعي للأمة ، والدفاع عن حق المرأة في الاستقرار النفسي والزواج والأمومة والتعبير الحي ، ورفض واقع البشاعة الخلقية والتدمير الفضولي المستمر في حياتهم ، الذي ينتج عنه انقلاب الفطرة وفساد الرؤية وحلول الخواء القيمي والروحي بسبب تلك الممارسات المرفوضة شرعاً وعقلاً وفطرة. إنها باختصار : دعوة نحو الأفق المشرق والغد السعيد والرضا النفسي الذي لا يُحد.

٥ – وفي الموقف الخامس تتضح أمارات الدعوة الاقتصادية المدركة ، ذات البعد الرصين والرصيد الثري من معطيات التفكير الجاد والواعي الذي يحسب لكل شيء حسابه ، تأسيساً لحقائق المعاصرة من كون الغبن الاقتصادي لا يؤدي إلا إلى نتائج معاكسة لا تحمد عقباها : «إن المعاملات والأخلاق لابد أن تستند إلى أصل ثابت لا تتعلق بعوامل متقلبة»[١٣] ، ومن ثم تصبح نتيجة التخلي عن هذا الأصل الثابت دماراً

شاملاً ، إذ «يؤتي هذا الغش والغصب ثمارهما المرة في حالة المجتمع وفي حركة التجارة ، وحين يذيق الناس بعضهم بأس بعض»[١٤].

إننا بعلمٍ هذا التباين يجب أن ندرك حقائق مهمة تكمن في مصادر التشريع، غير أننا عنها غافلون أو متغافلون ، حين يصبح الصخب واللجاجة من أهم أدوات «البروز» لدى البعض ، ومن تلك الحقائق :

أولا : أن الأسلوب في الدعوة خاضع لواقع المدعوين وحالهم التي هم عليها على نحو ما ذُكر آنفاً ، حيث خوطب كل قوم بما ناسبهم ، وبما كان أدعى لقبولهم - لو كانوا يعقلون -! .

ثانياً : أن الله سبحانه وتعالى رضي هذا المنهاج ، بدليل حكايته في كتابه العزيز وتصويره في أكثر من سورة بترسيخ وتثبيت ، الأمر الذي يُفهم منه أن ذلك عرض توجيهي يجب على الدعاة إلى الله تمثله والعلم به ، ملتزمين اختيار الأسلوب الأمثل في موقعه الملائم.

ثالثاً : أن شرط ذلك هو اتحاد الهدف الذي يحاول أولئك الرسل - عليهم الصلوات والسلام - الوصول إليه ، وهو إجماعهم على القول : «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» ، فهذا هو الأصل المبتغى والهدف المرام. ولأجل تحقيق هذا البيان والتأكيد عليه فقد ختمت سورة (هود) بقوله : (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون) ، كما افتتحها بالتأكيد على : (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)، وقبلها (أن لا تعبدوا إلا الله) ، فهو قد «ذكر التوحيد والإيمان بالرسل ، فهذا دين الله في الأولين والآخرين ، قال أبو العالية : «كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين؟»[١٥].

رابعاً : أن في هذا البيان الإلهي إرشاداً خالداً يضعُ أساسيات العمل للدين ، بل لاتخاذ المواقف المناسبة تجاه سائر الأحداث.

إن الواجب علينا جميعاً أن نتمثل هذه الحقائق المكتنزة في سورة (هود) كيما نُخفتْ - إن لم نلغ - ذلك التلاسن النقاشي الذي قلما يُفقد في منتدياتنا ومجالسنا العامة - فضلاً عن الخاصة مع شديد الأسف - حول المناهج وأهليتها الشرعية والتحصيلية في واقعنا المعاصر ، حيث بتنا نسمع - بلا مقدمات - صيحات الحط من فلان أو علان بحجة التخبط في المسار أو سوء الوسيلة يصاحب ذلك أحياناً انثيال إعلامي منقطع النظير يقف موقف الضدية منها ولست أعرف تماماً من الذي أعطى هؤلاء أو أولئك حق النقض والغمز واللمز بل من الذي أنبأهم بأن هذا المنهج مستقيم وذاك معوج؟ إن الواقع يشهد بأن لا أحد ، وعليه فيجب الكف عن مثل ذلك التصور الخاطىء مادامت فروض المرجعية المشروطة متوفرة في الأصول لتلك المناهج ، وإن كان ثمة خلاف بين المصلحين فإننا نطالبهم بتلمس العذر بعضهم لبعض ، ليس في العقائد ولكن في فرعيات النصوص وفصول الفوائد.

لقد اندرجت سنة الله في تقسيم الإمكانات والمواهب بين الخلق تمضي على الأولين والآخرين ، ومن العبث بالعقول أن نحرم دعاتنا ومصلحينا من هذه السنة(!) فلا ندرك تفاوتهم العلمي والإدراكي والاهتمامي ، بأن نبتدع منهاجاً جديداً في الجرح والتعديل.

إن على الجميع أن يعلموا بإدراك أن ثمة معطيات جديدة برزت على السطح ، هي في تشكيلها ومضمونها متباينة مختلفة ، وأن يعلموا بإدراك أيضاً أنه قد نشأت على لوحة الأفق معالم عوالم جديدة ، تبتغي أطروحات مناسبة وتنتظر أصواتاً مكتظة بوعي جديد سديد تبدي عمقاً في التصور والفعل

والممارسة والاختيار ، في وقت يُتمسك فيه بالجذور والأصول من لدن تلك الأصوات .

إن نوحاً وهوداً وصالحاً ولوطاً - عليهم الصلاة والسلام - دعاة إلى الله جل وعز يرتبطون مع غيرهم من سائر الدعاة بهذه الصفة ، سامون عنهم بالنبوة وتشريف الوحي والتلقي ، وهنا نفهم أنهم في اختيار مناهجهم ينطلقون من رصد مضموني ودلالي لأحوال قومهم التي تناسبها تلك المناهج ، وعليه فلا عجب ولا اعتراض حينما يختار الداعية لنفسه منهاجاً في دعوته يستشعر أنه سبيله للتأثير والإقناع شريطة أن تتجذر فيه مرامي الأساس الكامنة في رباط القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة ، لأنهم يفتقدون ميزة امتازت بها مناهج أولئك الأنبياء، ألا وهي التزكية من الله سبحانه عن طريق الوحي والمباشرة .

إن من الدعاة إلى الله من هم ملهمون ، جذلت الأمة يوم أن برزوا على الساحة ، يكملون نقصاً تعتبر أهمية سداده من بدهيات الإحاطة بشمولية الصحوة وعالمية الدعوة إلى الله ، فمنهم من هو مهيأ تماماً للبيان الفقهي والإصابة في الفتيا حين يمتلك شروطها ، علماً بالكتاب وفهماً للسنة ومعرفة بالأصول والناسخ والمنسوخ وأقوال أهل العلم وتوفر كافة متطلبات الاجتهاد وشروط التصدر للإفتاء .

ومنهم من هو مهيأ للبيان العقدي والتحذير من دجل المبتدعة ، وربط المجتمع بأصول الاعتقاد ، ولفت أنظارهم إلى مداخل الشيطان في التشكيك وكيفية التعامل معه ، ودحض مزاعم المفترين ، وزيادة إيمانهم بالتدارس والتعهد .

ومنهم كذلك من لا يُلحق شأوه في المعرفة بكتاب الله قراءة وإدراكاً وفهماً وسبراً ، يسانده تعلق بالقرآن قلبي ، ونهم على كتب

التفسير تمثلاً ووعياً.

ومنهم اللغوي الحاذق، يشرح غريب النص، ويربط بين فقراته، ويبين بلاغته وإعجازه ويحشد الشواهد تأييداً له، ويجعل من فقهه اللغوي خادماً لدعوته.

ومنهم الأديب، يربي الذوق، ويتلمس مواطن الجمال، ويعيد للروح نشاطها وصفاءها وجذوتها، إن من الدعاة من ينتهج أسلوب الأدب الجمالي الفني في محادثة طائفة من الناس ودعوتهم، لا يصلح لهم إلا ذلك، يفتح مغاليق القلوب، ويطرق أبواباً ما كان يمكن أن تُفتح بأسلوب آخر.

ومنهم المطلع على أمور الحياة، يلحظ مجريات الحدث، ويرصد تحركات الواقعة يحلل ويفسر ويقرر ويستنبط، ألمعي فطن يتسلح بإدراك شرعي يحثه على المواصلةومتابعة واقع الأمة وحالة المسلمين، انطلاقاً من: «من تعلم سياسة قوم أحسن التعامل معهم وكشف زيفهم ورد حجتهم وذاد عن المسلمين ما وسعه الوسع»، قياساً على: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم».

ومنهم الاقتصادي الخبير، يحسن الطرح والجمع، ويفقه أحوال البورصة وتداول الأسهم ومضاربات البنوك، يحذر من مصير اقتصادي أو يكشف زيف تلاعب ربوي، أو يمنحه الله قوة وسموقاً فينشيء لأمته مؤسسة بديلة تُغنيها عن جحيم تعاملي مشبوه.

هكذا يجب أن نفهم وأن نتفهم، لا أن نبقى أبداً نجادل في المسلمات ونصرخ بالصدى المعتاد!.

لقد أمسينا نعاني من تضخم في واقع النقد، حيث نُكست سهام المواجهة لترتد فيما بين المُحَارَبين أنفسهم، كل منهم يحاول تلمس النقص لإبدائه، وتتبع

العثرة والزلة لبيانها ، الأمر الذي أثر على مستقبليات الدعوة وآمالها .

إن النقد مطلوب ، وحين يوجد النقد الموضوعي توجد الأعمال المثمرة الفاعلة ، غير أنه نقد ذو مواصفات خاصة قوامها النية الطيبة ، والهدف الخالص الصالح ، والعمق العلمي والمنشود ، فعندئذ نفرح به لأنه يقوِّم ويُعمِّر ويبني ، في حين نرفض كل الرفض ممارسات ثلة من الذين ابتعدوا عن منهاج الدعوة الحقة بنقدهم الجارح الذي يتجه في كثير من الأحايين إلى الشخوص وهو إن اتجه يوماً للمناهج كان ساذجاً إلى حد لا يمكن قبوله مليئاً بالفصل والحسم والرفض والتشريع والقبول والرضا من غير يقين شرعي وتفصيل يفرق بين الصالح والطالح والخطأ والصواب . . . ، وهو نوع من الظلم لا يحق لأحد من البشر ممارسته ، فهم يملكون حق التوجيه والنقد بشروطهما المعتبرة شرعاً وعقلاً وخلقاً .

إن من أدبيات الحوار والخلاف والنقد أن يُفْسَحَ للآخر مكان ينتقد من خلاله ، لا أن تتم المعالجة من خلف الكواليس وفي عتمة الليل ، ونحن نخاطب الذين زُين لهم عملهم فرأوه حسناً، نخاطبهم بأن تكون «قاعدة الأخلاق عندهم هي إرضاء الله وانتظار ثوابه ؛ ليصبح ما يهرف به أصحاب المذاهب لغواً في ظل النظرة الأخلاقية الإسلامية»[١٦] .

لقد مضت أزمان النظرة الواحدة ، والمشروع الفريد ، والأسلوب الأوحد لتحل محلها النظرة السديدة الموضوعية ، والمشروعات المقترحة ، والأساليب المتنوعة ، وهي دعوة للجميع لأن يتمثلوها ، ودعوة خاصة لأولئك الذين نصبوا من أنفسهم الضعيفة مراجع للحكم ، جاعلين على رؤوسهم تيجان التفرد بالقرار والصيغة في حكمهم على المناهج والسبل المختارة والمرتضاة ، ونحن في حقيقة الأمر نطرح قضية كان يجب أن تكون مسلمة من الجميع وبخاصة من يُعنون

بذلك، لأنهم مازالوا مع سورة (هود) يقرؤونها صباح مساء.

أما إن كان أولئك السادة ممن يدعون الفهم والحصافة دون غيرهم، فإننا نسارع إلى تذكيرهم بباب الاجتهاد الواسع بين أهل العلم، ليدركوا أن المنهج الدعوي إنما هو وسيلة لهدف أسمى نبيل، يتجسد بالعبودية لله على اختلاف صورها ومجالاتها ووسائلها، وليس يعوزنا التدليل على ذلك الأمر، فهو مبثوث في آي الذكر الحكيم، يرتبط تمام الارتباط بحال المدعوين وماهية القضية المطروحة، فتأخذ أشكال الاختصاص والنوعية، في حين يبقى للأصول المباركة أهميتها وجذوتها ومشروعية بثها وتعليمها للناس، تلك الأصول التي تطالب بأن تكون مرجعية للمناهج المختارة والوسائل المطروحة على كل حال.

إننا نطالب بهذا الفهم من الجميع بعموم، وأهل القصد بخصوص حتى «يظهر وجه الموالاة والتحاب فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد، وحتى لا يصيروا شيعاً ولا يتفرقوا فرقاً؛ لأنهم مجتمعون على طلب قصد التسارع فاختلاف الطرق غير مؤثر، كما لا اختلاف بين المتعبدين لله بالعبادات المختلفة كرجل تقربُه الصلاة، وآخر تقربُه الصيام، وآخر تقربُه الصدقة... إلى غير ذلك من العبادات، فهم متفقون في أصل التوجه إلى الله، وإن اختلفوا في أصناف التوجه، فكذلك المجتهدون لما كان قصدهم إصابة مقصد الشارع صارت كلمتهم واحدة وقولهم واحداً»[17]، والله وحده المستعان.

هوامش:

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج2، ص22، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.

(2) سورة هود، آية 27.

(3) تفسير القرآن العظيم، ج2، ص442 طبعة دار الفكر.

(٤) سورة هود ، آية ٢٩ .

(٥) سورة هود ، آية ٣١ .

(٦) سورة هود ، آية ٥٢ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ٥١ .

(٨) سورة هود ، آية ٦٣ .

(٩) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ج٢ص٧٣٣ ، طبعة المكتبة التجارية ، مكة المكرمة.

(١٠) سورة هود ، آية ٧٨ .

(١١) سورة هود ، آية ٨٤ .

(١٢) جامع البيان في تأويل القرآن للحافظ الطبري ، ج٢ ، ص٩٧ ، طبعة دار الكتب العلمية «الأولى» ، ١٤١٢ هـ (بتصرف يسير).

(١٣) في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب - رحمه الله - ج٤ ، ص ١٩١٧ ، طبعة دار الشروق «الرابعة عشرة» ، ١٤٠٨ هـ.

(١٤) المرجع نفسه ، ص ١٩١٨ .

(١٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام - رحمه الله - جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد - رحمهما الله - م١٥ ص١٠٤-١٠٥ .

(١٦) في ظلال القرآن ، ص ١٩١٨ .

(١٧) الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي ، م١ ، ج٤ ، ص ١٦٠ ، طبعة دار الكتب العلمية «الأولى» ، ١٤١١ هـ.

أوخير هو؟

محمد العبدة

جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قام فخطب الناس ، (فقال : لا والله ما أخشى عليكم - أيها الناس - إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، فقال رجل : يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ ساعة ثم قال : كيف قلت ، قال : قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله : إن الخير لا يأتي إلا بخير ، أوَ خيرٌ هو؟ إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطاً أو يُلِم . . .)[1] ، أراد رسول الله ﷺ أن يحذر المسلمين من فتنة المال ، وهي فتنة كبيرة ، إلا من أخذه بحقه ، ووضعه في حقه ، فالمال خير ، كما سماه الله سبحانه وتعالى في القرآن ، ولكن الحريص عليه والشره في جمعه هو الذي يهلك ، كما أن نبات الربيع خير ولكن الحيوان الذي يأكل بصورة خاطئة هو الذي يُصاب بالتخمة (ويقتل حبطاً) فالمشكلة في طريقة تناول الخير ، وطريقة أخذ الأشياء بقواعدها وأصولها السليمة . إن العلم خير ، ولكن إذا أُخذ كمعلومات للتكديس ، ولم يتحول إلى ما ينفع الناس في الدنيا والآخرة ، ولم يتحول إلى أداة لتغيير واقع المسلمين المحزن ، فإنه سيكون وبالاً على أصحابه ، وقد قال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل : يا هذا إذا أفنيت عمرك في جمع السلاح فمن تقاتل؟!

والعلم خير ، ولكن ما الفائدة من تسويد مئات بل ألوف الصفحات حول

مشكلة انتهت ومضى عهدها ، وليس لها وجود في واقعنا اليوم ، وما الفائدة من تأليف عشرات الكتب في موضوع واحد دون إضافة جديدة ، أو إبداع يستحق القراءة ، بل يتهالك بعضهم على التأليف ، وتأتيهم شهوة الكتابة عندما يرى مؤلفاً ناجحاً فينسج على منواله تقليداً بحتاً ، يلفقه من هنا وهناك دون عناء أو تعب ، ورغم أن كمية المقروء في العالم الإسلامي (٦,٣) كيلوغرام مقابل سبعين كيلوغرام للفرد في الغرب ، وكمية المطبوعات (٢٩) عنواناً لكل مليون من السكان في العالم العربي مقابل (٤٨٨) عنواناً في العالم الذي يسمونه متقدماً ، كما جاء في إحصائيات اليونسكو ، رغم هذا الكم القليل فإن المشكلة في مضمون هذا القليل وضحالته ، فالأمية الثقافية ضاربة أطنابها ، وطرق التعليم ووسائل التنفيذ لم تؤهل الفرد ليبدأ طريق العلم الصحيح ، وقد وصلتني أخيراً رسالة من صديق يشكو هذا الكم من الكتب التي عناؤها قليل ويذكر أمثلة على ذلك «الأحوال المطلوبة في رؤية المخطوبة» و«فصل الخطاب في رؤية الخطاب» . . . الخ .

لم يؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية تفسيراً كاملاً للقرآن ، لأنه لا يريد أن يكرر شيئاً قد كُتب عنه ، مع أن التفسير كان أحب علم لديه كما يذكر هو عن نفسه، ولذلك علق واستدرك على تفسير بعض الآيات والسور التي رأى أنها بحاجة إلى زيادة بيان ، إن العلم خير ، ولكن كثرة التعريفات والاختلافات وكثرة الردود والمهابشات العلمية ، مما يربك أذهان الناس ويجعلهم في حيرة من أمرهم ، وبخاصة ذلك الناشىء المقبل على الله ، والمقبل على الدعوة ، ولهذا كتب ابن الجوزي (تلبيس إبليس) حتى لا يُخدع طلبة العلم ، وتصيبهم آفات الطلب والتأليف .

محمد العبدة

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، ج٢ ، ص ٤١٩ ، طبعة دار الكتب العلمية .

منهج التفسير التاريخي

قواعد منهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها

(٣)

د. محمد آمحزون

تناول الأخ الكاتب في الحلقتين السابقتين بالعرض للقواعد الثمان المنهجية في تفسير الحوادث والحكم عليها ، وتتلخص فيما يلي :

١ - اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر فيما نصت عليه من أخبار وضوابط وأحكام.
٢ - الفهم الصحيح للإيمان ودوره في تفسير الأحداث.
٣ - أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين.
٤ - ذكر العوامل المؤثرة في حركة التاريخ.
٥ - العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم ، والتثبت فيما يقال عنهم.
٦ - الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف.
٧ - العبرة بكثرة الفضائل.
٨ - إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد.

ويواصل الحديث عن بقية القواعد في هذه الحلقة الأخيرة.

- البيـان -

القاعدة التاسعة - الطريقة المثلى في معالجة القضايا والأخطاء :

يلزم دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه ، والحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي اكتنفت تلك الأحداث ، والأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ قبل أن يحكم عليه ، حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب . . ونكتفي هنا بمثال واحد لبيان الطريقة المثالية في معالجة القضايا

والأخطاء ، ألا وهو موقف النبي ﷺ من صنيع حاطب بن أبي بلتعة حين أرسل كتاباً مع امرأة من المشركين ليخبرهم بمسير الرسول ﷺ إلى مكة ، ومن هذه الحادثة نستطيع أن نحدد ثلاث مراحل للمعالجة العادلة للخطأ أو الحادث :

* **المرحلة الاولى :** مرحلة التثبت من وقوع الخطأ أو وقوع الحادث ، وفي هذا الحادث تم التثبت عن طريق أوثق المصادر ألا وهو الوحي .

* **المرحلة الثانية :** مرحلة التثبت وتبين الأسباب التي دفعت إلى ارتكاب الخطأ ، وهذا الأمر متمثل في قوله ﷺ لحاطب : «ما حملك على ما صنعت ؟»[1] ، وهذه المرحلة مهمة ؛ لأنه إذا تبين بعد طرح هذا السؤال أن هناك عذراً شرعياً في ارتكاب الخطأ تنتهي القضية عند هذا الحد ، وإذا لم يكن العذر مقنعاً من الناحية الشرعية فإنه يصار إلى :

* **المرحلة الثالثة :** وفيها يتم جمع الحسنات والأعمال الخيرة لمرتكب الخطأ وحشدها إلى جانب خطئه ، فقد ينغمر هذا الخطأ أو هذه السيئة في بحر حسناته ، وهذا الذي سلكه النبي ﷺ مع حاطب حيث قال لعمر عندما استأذن في قتل حاطب : «أليس من أهل بدر ؟» ، ثم قال : «لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو غفرت لكم»[2] .

القاعدة العاشرة - الاستعانة بعلم الجرح والتعديل للترجيح بين الروايات المتعارضة وبناء الصورة التاريخية الصحيحة :

ينبغي الاستعانة بمنهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات ، فهو الوسيلة للترجيح بين الروايات المتعارضة ، كما أنه خير معين في رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ صدر الإسلام .

وعلى هذا الأساس يتم اعتماد الروايات الصحيحة ثم الحسنة لبناء الصور التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائماً ، أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة ، على شرط أن تتماشى مع روح المجتمع الإسلامي ولا تناقض جانباً عقدياً أو شرعياً ، لأن القاعدة : «التشدد فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة».

ومن ناحية ثانية ، إذا كان أهل الحديث يتساهلون في الرواية عن الضعفاء إن كانت روايتهم تؤيد أحاديث صحيحة موثقة ، فلا بأس إذن من الأخذ بهذا الجانب في التاريخ وجعله معياراً ومقياساً إلى تحري الحقائق التاريخية ومعرفتها ، ومن هذا المنطلق تتخذ الأخبار الصحيحة قاعدة يقاس عليها ما ورد عند الإخباريين مثل سيف بن عمر الضبي والواقدي وأبي مخنف وغيرهم .. فما اتفق معها مما أورده هؤلاء تلقيناه بالقبول ، وما خالفها تركناه ونبذناه .

القاعدة الحادية عشر : الرجوع إلى كتب السنة كمصدر مهم لأخبار صدر الإسلام :

وكذلك من المفيد جداً في كتابة التاريخ الإسلامي الرجوع إلى كتب السنة إذ هي مصدر موثوق وراجح لأخبار الصدر الأول ، لوجود روايات تاريخية كثيرة فيها على درجة عالية من الصحة ، ونظراً لأن كتب الحديث خُدمت أكثر من كتب التاريخ من قبل النقاد ، فمثلاً قد تميز صحيحا البخاري ومسلم وعرف أن كل ما فيهما صحيح بعد الدراسات النقدية التي قام بها كبار الحفاظ القدامى والدارسون المعاصرون .

وتتضاعف كمية هذه الأخبار الموثوقة بالرجوع إلى كتب السنن والمسانيد والمصنفات ومعاجم الصحابة ، وكتب الفضائل والطبقات ، والتواريخ التي صنفها المحدثون ، وكتابات العلماء الذين كانت لهم عناية بشرح كتب الحديث

وذلك أن ثقافتهم الحديثية الممحصة واقتباساتهم من كتب التاريخ المفقودة التي دونها المحدثون الأولون ، جعلت شروحهم غنية بنصوص تاريخية ، فعلى سبيل المثال يعتبر كتاب «فتح الباري ، شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر مثلاً واضحاً لهذه الكتب وهؤلاء العلماء ، إذ يشمل من الفوائد التاريخية كمية لا يستهان بها .

القاعدة الثانية عشر : معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والفرق :

من القواعد المهمة أيضاً معرفة الحدود التي تراعى عند الأخذ من كتب أصحاب الأهواء من الفرق الضالة المبتدعة ، إما استجابة لشهوة أو هوى أو بدعوى التأويل المتعسف أو بالوقوع تحت تأثير الزندقة والكفر .

وقد اعتنى أهل السنة بضبط مذاهب الفرق وأقوالهم لتعرف أحوالهم ومواقفهم ، ويكون المسلم على بيّنة منها فلا يخدع من قبلهم .

ولهذا الغرض أفرد بعضهم ذلك بمؤلفات خاصة مثل أبي الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» ، وأبي الحسن الملطي في «التنبيه والرد على أهل البدع» ، وابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» .

كما أن أصحاب الفرق أنفسهم قاموا بتدوين مذاهبهم ومعتقداتهم وأخبارهم وتراجم رجالهم وعلمائهم ومناظراتهم وردودهم على المخالفين لهم ومنهم من اشتغل بالتاريخ فقام بتدوين الأخبار وفقاً لمعتقده الخاص أو مذهبه السياسي ، فأظهر مثالب خصومه وأخفى محاسنهم .

ولأجل هذا لابد للمؤرخ المسلم من التعرف على اتجاهات هؤلاء وعقائدهم ، لأن ذلك يمكنه من التعامل مع النصوص التي أوردوها بما يكون لديه من خلفية عن اتجاهاتهم وآرائهم ومواقفهم ، ثم يقارنها بغيرها عند

المؤرخين أو العلماء العدول الثقات.

وعلى ضوء المقابلة والمقارنة بين النصوص ينظر إلى تعصب الراوي من عدمه ؛ فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال ، لأن الخصومة والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة. أما من لا يلحظ عليه التعصب - وإن كان من أهل البدع - وكان صدوقاً في نفسه معروفاً بالورع والتقوى والضبط ، فتقبل روايته ، فقد أخرج بعض الأئمة لنفر من أهل البدع الذين لا يكذبون ، فهذا الإمام البخاري أخرج في صحيحه لعمران بن حطان الخارجي رغم أنه من كبار الدعاة إلى بدعة الخوارج ، لكنه عرف بالورع والتقوى وأنه لا يكذب.

وقد يجد الباحث في ثنايا الأخبار التي يرويها أهل البدع عن أهل طائفتهم ومذهبهم ما يمكن أن يكون حجة عليهم وبمثابة الإقرار منهم كحكاياتهم لبعض الأقوال المتضاربة والمعتلة.

القاعدة الثالثة عشر - معرفة ضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين :

إذا كان للتاريخ الإسلامي قواعد وأصول وضوابط شرعية يجب على المؤرخ المسلم أن يلتزم بها ، ويكون بحثه واجتهاده في نطاقها ، فذلك يعني الاحتياط عند الأخذ من كتب غير المسلمين ، خصوصاً وأن الحرية بلا قيود وبلا ضوابط تلقاها العلمانيون في الغرب أو في الشرق وطبقوها على التاريخ الإسلامي بمفاهيمها المحلية عندهم.

هذا مع الفرق الشاسع بين المنهج العلماني والمنهج الإسلامي بسبب الاختلاف في التصورات والمفاهيم والمباديء - إذ المنهج جزء من التصور - مما جعل نتائج أبحاثهم ودراساتهم مناقضة للأحكام الإسلامية وواقع المجتمع

الإسلامي ؛ لهذا فإن القضايا التي تطرحها كتب غير المسلمين من يهود ونصارى وغيرهم ، التي تعالج التاريخ الإسلامي - خصوصاً الصدر الإسلامي الأول - ينبغي أن تدرس بعناية وحذر شديدين ، لأنهم لا يصدقون في كثير مما يقولونه عن الإسلام ونظمه ورجاله ، ولا يحل وفق ذلك للمسلم أن يروي عنهم أو يأخذ منهم ، لاسيما وأن من شروط البحث في هذه القضايا عرض الأقوال والأعمال على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

على أن غير المسلمين ليس لديهم من الموانع عن الكذب ما لدى المسلمين، وبالتالي فهم لا يعرفون هذه الموانع ، لأنهم لا يجدونها في مجتمعاتهم وبيئاتهم - والإنسان وليد بيئته - وذلك لغلبة التيار المادي عليها وما ينتج عنه من تنافس وصراعات دائمة. وحيث انطلقوا من واقعهم هذا للحكم على غيرهم بنفس المنظار ، وقعوا في الخطأ وعمموا الأحكام وشوهوا التاريخ.

ثم إذا كان علماء الإسلام لا يثبتون الأحكام بما يرويه المسلم ضعيف الضبط ، فكيف يحق لقوم مؤمنين أن يحملوا عن كافر ساقط العدالة ! بل ويضمر من الحقد والبغضاء لهذا الدين ما لا يعلمه إلا الله.

القاعدة الرابعة عشر - مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة :

ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الحوادث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها ، فلا نحكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأي ظروف يعيش فيها غير أصحاب تلك الحوادث ، لأن الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية ، وبالتالي تكون نظرة الحاكم إلى هذه الوقائع لم تستكمل وسائل الحكم الصحيح ، فيصدر الحكم غير مطابق للواقع.

ومن الملاحظ أن الخلط بين الواقع المأساوي الذي يعيشه المسلمون في هذا العصر وبين واقع المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، يرجع إلى الخطأ في الفهم الناتج في الغالب عن الصورة القاتمة والمغرضة التي يتلقاها النشء عن تاريخ الإسلام وحضارته بواسطة المناهج المنحرفة والفلسفات الوضعية التي تعمم الأحكام وتشوه بذلك التاريخ .

ولا شك أن مصدر الخطأ في هذه المناهج والفلسفات هو تدخل أصحابها بالتفسير الخاطىء للحوادث التاريخية وفق مقتضيات وأحوال عصرهم الذي يعيشون فيه ، دون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت ، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها . . أو بعبارة أخرى : إن مصدر الخطأ في منهجهم هو تطبيق واقع العصر الحاضر ومفاهيمه على العصور السابقة ، مع أن لكل عصر مميزاته الواضحة التي تسمى في منهج البحث العلمي «روح العصر» .

وبناء على ذلك يمكن القول إن سبب انحراف منهجهم ومن اتبعهم في هذا الطريق هو القياس الفاسد ، إذ أنه من الخطأ لإنسان يعيش في هذا العصر عصر الأثرة والأنانية ، وتقديم المصلحة الشخصية على مصلحة الأمة ، وعدم الاعتزاز بالأخلاق والمثل والمبادىء ، أن يقيس هذا العصر على عصر صدر الإسلام ، عصر تقدير المسؤولية ، ومراقبة الله جل وعلا في السر والعلن وبذل النفس والمال في سبيل المصلحة العامة للأمة .

فمادمنا في عصر تغلب فيه الصراعات السياسية والاقتصادية والتكتلات الحزبية النفعية ، فقد قام هؤلاء بتطبيق هذا الواقع بظلاله القاتمة وسلبياته على ذلك العصر الذي كانت العقيدة والمبدأ هي المنطلق والأساس لتصرفات الناس فيه ، وسبب ذلك أن الكتابة التاريخية المعاصرة اصطبغت - إلا النزر اليسير -

بالمنهج المادي الغربي الذي هو بطبيعة الحال ابن بيئته ، تلك البيئة التي تتمرغ في أوحال المادية ، وتعاني من مرارة الصراع النفعي ، ولا تؤمن بما يسمى بالقيم والمبادىء لكنها تؤمن بما يسمى بالمصالح ، ثم فوق ذلك كله هي غارقة إلى أذنيها في النظرة المتعصبة الحاقدة على الإسلام.

القاعدة الخامسة عشر - استعمال المصطلحات الإسلامية :

تعد قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار.

والمصطلح كلمة أو كلمتان ، وقد لا تتعدى ذلك إلا في حالات نادرة لكن هذه الكلمة قادرة على تحويل التفكير من وجهة إلى نقيضها ، بل قادرة على أن تفقد الإنسان التفكير أصلاً.

ولأن المصطلحات بهذا القدر من الأهمية ، فإنه منذ أن تقرر في أوكار الصهيونية والصليبية تدمير الخلافة الإسلامية ، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي ، وتشويه العقل المسلم من باب المصطلحات والمفاهيم.

فقد كان من تأثير الغزو الثقافي الأوربي للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كادت أن تختفي المصطلحات الإسلامية . . على أن هذا المنزلق يتمثل في عدم وعي الباحثين المعاصرين بأن المصطلحات الحديثة إنما تنبثق من رؤية خاصة للفكر الغربي فهي ذات مضامين ودلالات محلية وتاريخية لا يمكن فصلها عن ذلك الوسط الاجتماعي والظروف التاريخية والثقافية التي لابست نشوء هذا المصطلح أو ذاك، فالمثقفون في العالم الإسلامي كانوا إلى مشارف الخمسينيات لا

يدركون أن المصطلح جزء لا يتجزأ من التركيبة أو البنية الحضارية لأي مجتمع وكانوا في حالة الدفاع عن الذات يحاولون أن يوجدوا لكل عنوان براق في المدنية الغربية مثيله في الإسلام عن طريق عقد مقارنات شكلية لا تعير بالاً للارتباط الوثيق الذي يوجد بين المصطلحات والعقائد والأفكار المنبثقة من واقع مجتمع معين.

ولنذكر على سبيل المثال مصطلح اليمين واليسار ، فقد نشأ هذا المصطلح خلال الثورة الفرنسية ، وذلك في اجتماع الجمعية التأسيسية المنعقدة بتاريخ الحادي عشر من شهر أيلول (سبتمبر) عام تسع وثمانين وسبعمائة وألف ميلادية، حيث جلس الأشراف ومؤيدو النظام الملكي على يمين الرئيس وجلس خصومهم أنصار الثورة على يساره ، حتى أصبحت قاعدة تستخدم لتصنيف الفكر السياسي[٣].

ومما لا شك فيه أن هذه الخلفية التاريخية تركت بصماتها على التعريف إلا أنه في عصرنا هذا أصبحت كلمتا اليمين واليسار تعبيرين مطاطيين يختلف مدلولهما حسب الدولة والمراحل التاريخية : فاليسار في دولة ما يعتبر يميناً في دولة أخرى.

ورغم أن تصنيفات اليمين واليسار لعبة صهيونية[٤]، إلا أن بعض الباحثين - مع الأسف - وظفوها بصورة آلية ، حتى أن بعضهم ألفوا كتباً يصنفون فيها الصحابة - رضي الله عنهم - إلى يمين ويسار ، وأن قمة الصراع الطبقي - في زعمهم - كانت بين زعيم اليمين معاوية بن أبي سفيان وزعيم اليسار علي بن أبي طالب، والتاريخ الإسلامي بالنسبة إلى هؤلاء عبارة عن يسار ويمين فالمعتزلة يسار والأشاعرة يمين ، والفلسفة العقلانية الطبيعية عند ابن رشد يسار، والفلسفة الإشراقية الفيضية عند الفارابي وابن سينا يمين

والمالكية الذين يقولون بالمصالح المرسلة يسار ، والفقه الافتراضي عند الحنفية يمين ، والتفسير بالمعقول يسار ، والتفسير بالمأثور يمين(٥) ، إلى غير ذلك من التصنيفات الغربية .

إنه يجب الحذر من التقليد الأعمى ، إذ يكمن خطر الذوبان في الفكر الجاهلي الغربي والضياع وسط مصطلحاته الكثيرة التي تفقدنا ذاتيتنا المستقلة وينبغي استعمال المصطلحات الإسلامية ، لأنها ذات دلالة واضحة ومحددة ولأنها معايير شرعية لها قيمتها في وزن الأشخاص والأحداث . . فالقرآن الكريم قسم الناس إلى : «المؤمن» و«الكافر» و«المنافق» ، ولكل من الثلاثة صفات محددة ثابتة ودقيقة لا تقبل التلاعب فيها .

فما ينبغي أن نحيد عن هذا التقسيم إلى مصطلحات نبتت في أوساط غير إسلامية كوصف الإنسان بأنه يميني أو يساري أو غير ذلك من النعوت غير الشرعية والتي ليست محددة بصورة دقيقة وثابتة ، وكذلك فإن الحكم على الأعمال والمنجزات التاريخية والحضارية ينبغي أن تستخدم فيه المصطلحات الشرعية وهي «الخير» و«الشر» و«الحق» و«الباطل» و«العدل» و«الظلم» ، كما جاءت محددة في القرآن والسنة ، ولا تستخدم معايير الفكر الغربي كالتقدمية والرجعية . .(٦) .

وقد تابع الباحثون العرب الغربيين في كل شيء حتى في المصطلحات ذات العلاقة بالتوزيع الجغرافي والتوزيع التاريخي التي لا صلة لها بواقعهم أو تاريخهم ، ففي إطار التوزيع الجغرافي وضع الغربيون مصطلحات الشرق الأدنى والشرق الأوسط والشرق الأقصى ، وهي مصطلحات يستعملها العرب اليوم بلا بصيرة ؛ وذلك لأن المستعمر الأوربي اعتبر نفسه في مركز الأرض فأطلق هذا التوزيع بالنسبة لموقعه .

وكذلك التوزيع التاريخي مثل العصور القديمة والعصور الوسطى والعصور الحديثة ، فهذا التوزيع يتميز بمراحل وتقلبات تاريخية عاشتها أوربا مما يجعل لكل فترة من هذه الفترات خصائص ومفاهيم مستقلة تبعاً للتطورات والانقلابات الفكرية والعقائدية التي عاشتها أوربا في كل حقبة من هذه الحقب: فالعصور القديمة تميزت بالوثنيات الإغريقية والرومانية ، ثم جاءت العصور الوسطى فعرفت هيمنة الكنيسة وتسلط البابوية ، بينما كان من سمات العصور الحديثة ظهور النظم العلمانية والدول الحديثة . . أما التاريخ الإسلامي - بما فيه تاريخ الأنبياء - فهو وحدة واحدة بالنظر إلى المفاهيم والمبادىء السائدة فيه التي لا تتبدل تبعاً لتبدل الزمان والدول والحكام ؛ لأنه تاريخ أمة ذات عقيدة واحدة ثابتة لا يطرأ عليها التغيير ، ولذلك ليس بلازم أخذ هذا التوزيع الأوربي ولا متابعتهم عليه ؛ لأنه يفتت تاريخنا ويوجد الحواجز بين عصوره.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو الباحثين والمؤرخين المسلمين إلى تقديم دراسات مفصلة تكشف عن حقائق التاريخ الإسلامي ، وصياغة منهج نقدي تعامل وفقه الروايات التاريخية ، والمساهمة في تصحيح الأفكار والمفاهيم والعودة بالنشء إلى المنابع الصافية في الكتاب والسنة ؛ لأن تاريخ هذه الأمة بمثابة عرضها وشرفها ، إذ هو القناة التي أوصلت لنا هذا الدين جملة وتفصيلاً وبقدر ما تتلوث القناة يتلوث المنقول خلالها.

ومن الواضح أن إبراز المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ ، وتدوين قواعده ، وبيان ركائزه ومنطلقاته ، والالتزام به من أهم وسائل التصحيح المنشود في هذا السبيل ، وأن هذا الالتزام يعد ضرورة علمية ، ووظيفة شرعية وحاجة إنسانية والإخلال بها إخلال بموازين العلم الصحيحة وبالأحكام الشرعية ، كما يسبب ذلك نقصاً كبيراً في الدراسة وتشويهاً للوقائع التاريخية

بل يسبب انحرافاً خطيراً في التفسير والفهم والسلوك تجاه الأحداث.

ومن ثم أصبح فرضاً على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام أن يعتبر ذلك من أفضل العبادات، وأن يبادر له ويجتهد فيه ما استطاع إلى أن يكون أمام شباب المسلمين مثال صالح من سلفهم يقتدون به ويحددون عهده ويصلحون سيرتهم بصلاح وكمال سيرته.

ولأجل ذلك، لابد من محاولة جادة لإعادة صياغة التاريخ الإسلامي بأقلام إسلامية تؤمن بالله ورسوله، وتحب صحابة رسول الله ﷺ، مع إحساس بدور الإسلام في الحياة، كما تحس بدور القدوة الصالحة للخلافة الراشدة في تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، لاسيما وأن تاريخ الخلفاء الراشدين اختص بصفات تميز بها الخلفاء في سلوكهم الذاتي، وفي إدارتهم لشؤون الأمة ورعايتهم لدينها وعقيدتها، وحفاظهم على المنهج الذي جاء به رسول الله ﷺ من الدعوة والجهاد وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك صار عصرهم مع عصر النبوة معلماً بارزاً ونموذجاً مكتملاً ينبغي أن نسعى إلى محاولة الوصول إليه، وجعله معلماً من معالم التأسي والقدوة الصالحة للأجيال الإسلامية في هذا العصر.

---

(١)،(٢) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب المغازي، ج٥، ص ١٠.
(٣) عبدالرحمن الزيد، مصطلحات سياسية، ص ١٣٩، مجلة السنة، العدد السادس، أكتوبر ١٩٩٠ م.
(٤) انظر عماد الدين خليل: لعبة اليمين واليسار.
(٥) انظر مثلاً: ماذا يعني اليسار الإسلامي، لحسن حنفي.
(٦) أكرم ضياء العمري: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص ٢٣.

الفجر الدامي

جريمة ومجزرة في المسجد الإبراهيمي

د. عدنان علي رضا النحوي

دوّى الأذانُ! فيَا منابـــرُ أوّبـــي ... شوْقـاً إلـى خُضر الجِـنان وردّدي

وكأنّ شقشقةَ الـــطيُور نَداوةٌ ... رفّت وتَسبيـحُ الـربـى والأوهُد

وكـأنّ وَسوَسَة الـزّهـور تـظـلُّ تَسـاً ... لُ مـا يُخبّأ يـا مَرابـعُ فـي غَد

وتَنَفّسَ الـورْدُ الـغنـيّ كأنّهُ ... عَبَقٌ يـجـودُ بـعـطـره المـتـورّد

يُلقي على الساحات من دَمه دَماً ... ليَقُول : يـا دُنيـا أطلّي واشهَدي

* * * *

وتَنَفّسَ الـصبـحُ الـنّديُّ وحوّمَتْ ... بَينَ الـدّيـار مُنـى وطـلـعـةُ شُهّد

يَسْعَون لـلـبيّت المنـوّر بـالـهُدى ... مُستَبشـريـن بـجَولـة أو مَوعـد

نعـمَ البُكـورُ ، وتـلـك عَزْمَةُ مُؤمن ... والجُمـعةُ الـزّهـراءُ لَهفَةُ أرشَد

والنـورُ من رمضانَ مُنبَلجٌ علـى ... سَاحـاتـهَا فَيْضـاً غنـيَّ المـورد

يَا لـلـفضَائـل! كُلُّهـا قـد جُمّعَت ... لـلـصّائمـينَ الـقـائمـينَ السُّهّد

* * * *

رُفـعُ الأذان فـأقـبلُوا وصُفُوفُهـم ... مَرصُوصَةٌ وقُلُوبُهـم شَوقُ الـغَد

اللـه أكبَرُ! فـانحَنَوا لـركُوعـهـم | والـلـه يَسمع خَفقَةَ المُتَوَجِّد
رَفَعوا وأهـوَوا لـلسُّجـود فَلا تَرَى | إلا خُشُوعَ الـعـابـدينَ الـسُّجَّد
دوى الَرصاص! وخَلّفَ كُلّ رصاصة | عـات تمرَّسَ في الضَّلال الأنكَد
دوّى الرصاصُ! فكم شَهيد فجرت | أضـلاعُه ومُجَنْدَل لـم يُرفَد
تـتـطـايَرُ الأشـلاءُ! كُلُّ ضَحيَّةٍ | تَشكُوْ لـبارئـها هَوانَ الـهُجَّد
وتَلاقَت الأشـلاءُ عَبْرَ فَضائـهـا | مـن كُلِّ نـاحـيـة تُباحُ لُمعتَدي
من أرض «كـشـمـير» نـداءُ دمائها | مـن أرض بـوسْنـةَ صَرخَةٌ لـم تُنْجَد
مـن كُلّ مـجـزَرَة بَقـايـا أمّة | تُلْقَى وتُنْثَر فـي الـفَضاء الأربَد
أضْحَت دماء المسـلـمـينَ مُباحَةً | لـلـمُجـرمـينَ! لـكُلّ عات مُفْسد
وديـارُنـا أضحَت مُفَتَّحَةً لَهُم | وقُلُوبُنا فتحت لـفـتـنَة مُلحد

* * * *

يـا لـليَهـود! وخَلفَ كُلِّ مُصـيـبـة | فـتَنٌ لَهُمْ ويَدٌ! فَيَا شَرَّ الـيَد!
جَمَعُوا مـنَ الأحـلاف بَيْنَ حبالـهـم | دُوَلاً فـمـاجُوا بـالـبَلاء المُرعد
لا! لا يُريـدون الـسـلامَ ولا يُريـدُ | الأمـريـكَانُ ولا طـبـائـع مُعـتـدي
جَعَلُوا الـسـلام خَديعـةً نَصَبُوا بـهـا | شَرَكـاً يُمَدُّ لحـائـر مُتَـردّد
أيـنَ الـنـظَامُ الـعـالـميُّ وأيـنَ يـا | دُنـيـا حُقُـوقُ مُقَتَّل ومُطَرَّد؟!
أيـنَ الـعَدَالـةُ والـوُعُودُ وكَيـفَ يَرْ | جى العَدل من ذئب يَجُولُ وأسود[1]؟!
يـا أمّتي إن لَم تُفـيـقي فـاشـهَدي | أمـواجَ لَيل زاحـف مُتَمَدّد
لُمي صفُوفَك ، أمـة الإسـلام ، كَالـ | ـبـنـيَان مَشْدوداً بـعَهـد آكـد

خُوضي مَيادينَ الجِهادِ ورَجِّعي ... شَوْقَ الشَّهادةِ دونَ ذلكَ وانهَدي

يا أُمةَ الإسلامِ تلكَ أمانةٌ ... وشَهادةٌ للهِ! قُومي فاشْهَدي

لا! لن يُقيمَ العَدْلَ إلا مُؤمنٌ ... صَدَقَ الإلهَ وقالَ: يا نَفسي ردي

* * * *

دارَ الخليلِ تحيةٌ من مُهجةٍ ... عَرَفَتْ جَلالَ جِهادِكِ المُتَوَقِّدِ

قد كُنتِ بالأمسِ القريبِ غَنيَّةً ... بالبَذْلِ زاهيةً بجُودِكِ واليَدِ.

طَهَّرتِ أرضَكِ مِن تَدفُّقِ رِجسِهِم ... ورَوَيتِها بالطُّهرِ من دَمِكِ النَّدي[2]

واليومَ أُعلِيَتِ الوفاءَ فهذهِ ... زُمَرٌ تَواثَبُ للشَّهادةِ فاسعَدي

وغَداً تَرَيْنَ مَواكِباً مَوصُولةً ... للهِ زاحفةً وطلعةَ رُوَّدِ

والنصرُ كالفجرِ المنوَّرِ مُقبِلٌ ... بُشرى إليكِ وآيةٌ للمُهتَدي

ميلي إلى الأقصى! حَنينُكِ لم يَزَلْ ... صَفْواً وعَهْداً لم يَزَلْ أمَلَ الغَدِ

ميلي هُناكَ وجَدِّدي عَهداً أبَرَّ ... لجَولةٍ تُوفي بِصِدْقِ الموعِدِ

* * * *

---

(١) الأسود: الحية العظيمة.

(٢) إشارة إلى ثورة سنة ١٩٢٩ م حين طَهّر أهل الخليل مدينة الخليل من اليهود وأعدم الإنجليز على إثر ذلك «عطا الزير ومحمد جمجوم» من الخليل و«فؤاد حجازي» من مدينة صَفَد، وقد نفذ الإعدام يوم الثلاثاء ١٧/ ٦/ ١٩٣٠ م ابتداءً من الساعة الثامنة صباحاً، وكانوا يقدمون في كل ساعة واحداً منهم للإعدام، رحمهم الله.

المسلمون و العالم

- البوسنة على مفترق طرق.
- مجـزرة الـدم الأرخـص.
- مـاذا تبقى من دولـة اليمن؟
- مذبحة المسلمين في غانا.

البوسنة على مفترق طرق

د. أحمد بن راشد بن سعيّد

منذ بدء المأساة البوسنية اجتهد الغرب في أن يفك الحلف بين المسلمين والكروات ، الحلف الذي اعتبره الغرب غير طبيعي ، لأنه موجه ضد الصرب الذين يلتقون مع الكروات في عبادة المسيح! ، وكانت الخطة الإنجليزية الخبيثة «بتطميع» الكروات في أراضي المسلمين عبر خطة (فانس ، أوين) هي إحدى الوسائل التي انتهجها الغرب لفك هذا الحلف ، وقد انقض الكروات بعد هذه الخطة يحاصرون موستار وترافنيك وغيرهما من المدن الآهلة بالمسلمين ؛ لأن الخطة المجحفة أعطتها الكروات . . وبعد برهة أعلن الغرب أن الخطة فشلت وأن (الملاذات الآمنة) هي الحل الوحيد الذي بقي للمسلمين في البوسنة!

ثم كرت الشهور ، وقاتل المسلمون - ببسالة - الخونة الكروات والمعتدين الصرب ، بل قاموا بعمليات هجومية ناجحة ضدهم ، ودحروا الكروات بخاصة في عدة مواقع ، وأنزلوا بهم هزائم فادحة ، وتدخل جيش كرواتيا النظامي في محاولة يائسة لوقف التقدم الإسلامي ، فلم يفلح.

وكان الموقف الغربي إزاء هذه الأحداث المصيرية في حياة المسلمين موقف المراقب المتوتر الأعصاب ، فتارة يشجب الاعتداء الصربي ، وتارة يستنكر تدخل كرواتيا ، ويلوح بالعقوبات ضدها ، وبين هذين الموقفين يدعو

إلى عقد مفاوضات سلام فارغة لتقنين الظلم وتكريس العدوان.

بيد أن المسلمين خيبوا آمال المعتدين وحلفاءهم الغربيين، وسيسجل التاريخ أن أهل البوسنة المسلمين صمدوا صمود الأبطال في معركتهم الشريفة ضد القوى الظالمة ومن وراءها الحضارة الغربية المتخلفة، وأنهم قاتلوا بعدة زهيدة - صنعوها بأيديهم - جيوشاً مدججة بالسلاح، وأنهم نجحوا سياسياً وعسكرياً في إفشال مؤامرة الإجهاز على الإسلام في قلب أوروبا.

أقول: ظل الغرب يرقب الأحداث - وقد أذهله صمود المسلمين وتقدمهم - إلى أن حدثت مذبحة السوق في سراييفو يوم الخامس من شباط (فبراير) الماضي فعمقت الشعور بالحرج لدى العالم الغربي، وأكدت الحاجة إلى عمل ما لوقف المأساة التي لم يستطع الصرب والكروات حسمها، وقد لخص هذا الشعور - الذي كان سائداً لفترة طويلة قبل مذبحة السوق - قول «مارتن وولاكوت» في صحيفة «الجارديان» أن «رفض الضحايا المسلمين لقبول الهزيمة والموت قد حطم أسوأ الخطط الغربية»[1].

إستراتيجية جديدة:

بُعيد المذبحة سلكت السياسة الغربية محورين جديدين هما: محاولة احتواء المقاومة البوسنية المتصاعدة، والسعي لإقامة فيدرالية بين المسلمين والكروات، وقد ساهم في إحداث هذا التغير عوامل مهمة ظهرت على الأرض أبرزها تنامي القوة العسكرية البوسنية، وقد نشر «بول بيفر» مؤلف كتاب (تقويم الأمن الإقليمي للبلقان) مقالاً في صحيفة «الوول ستريت جورنال» الأمريكية بعنوان (ما وراء القوة الجديدة للجيش البوسني) ذكر فيه أن هذا الجيش يتلقى الآن إمدادات عسكرية وأسلحة حديثة، وأن جنوداً مدربين من خارج المنطقة قد انضموا إليه، وأضاف «بيفر» أن الجيش يتكون من (٨٠,٠٠٠) مقاتل، وينقسم

إلى ستة فيالق (كل فيلق ١٠,٠٠٠) ، ولوآءين (كل لواء ٢٠,٠٠٠) ، جنود اللواءين هم الذين يقاتلون بضراوة ويحققون انتصارات حاسمة ، أحد اللواءين - كما يقول «بيفر» - يتألف من (إسلاميين أصوليين متطوعين) ، والآخر يتألف من لاجئي منطقة «كرايينا» التي احتلها الصرب في كرواتيا [٢].

ويحصل الجيش على أسلحته من مصانع السلاح التي أعاد تشغيلها في وسط البوسنة ، وقد بدأ بإنتاج مدافع من عيار (١٠٥ ملم) في مدينة «زينكا» [٣]، كما يحصل على السلاح من غنائم المعارك سيما مع الكروات وتصل إليه أسلحة من تركيا [٤]، ويذكر «مارتن دولاكوت» كاتب صحيفة «الجارديان» أن البلاد الإسلامية تزود البوسنة بالسلاح بشكل غير مباشر حيث تقوم بتحمل أعباء مالية معينة للحكومة البوسنية ، فتقوم هذه الحكومة بتوجيه كل مواردها للمقاومة [٥].

ومن العوامل المهمة التي أحدثت تغييراً في السياسة الغربية تجاه البوسنة فشل الكروات في تحقيق نصر على المسلمين، بل إن النصر كان - بفضل الله - حليف المسلمين في معظم المعارك التي نشبت بينهم وبين الكروات ، كما إن الصرب فشلوا في اقتحام «سراييفو وتوزلا وجوراجدة وبيهاتش وماجلاي . . . » ويقول «مارتن وولاكوت» أن الذي تغير في البوسنة هو أن المسلمين رفضوا أن يؤدوا دور (الضحية) الذي خصصه الغرب لهم ، واختاروا المقاومة ولذا فإن «الاستراتيجية الغربية أفلست وانهارت» [٦] (تأمل !) .

ويبقى العامل الأخير والأهم لتغير الاستراتيجية الغربية في البوسنة هو الخوف القديم الجديد من ظهور دولة إسلامية خالصة وقوية في أوروبا تقض مضاجع الكفر وأهله ، ولذلك اعتمد الغرب - كما أسلفت - محاولة احتواء المقاومة الإسلامية والسعي لإنشاء اتحاد فيدرالي في البوسنة بين المسلمين والكروات يرتبط لاحقاً باتحاد كونفدرالي مع كرواتيا .

احتواء المقاومة :

وكانت الخطوة الأولى التي قام بها الغرب في استراتيجيته الجديدة هي توجيه إنذار بُعيد مذبحة السوق بشأن شن غارات جوية على مواقع الأسلحة الثقيلة في «سراييفو» ، ولم يكن الهدف من هذا الإنذار ردع العدوان الصربي والكرواتي ، فقد تحدث فقط عن سراييفو ، وأغفل معاناة المسلمين في الأماكن الأخرى مثل «توزلا وماجلاي وبيهاتش» ، ولم يطلب الإنذار إنهاء حصار «سراييفو» ، ونص فقط على سحب المدفعية الصربية مسافة (٢٠ كم) ، مع أن الصرب يملكون مدافع يتجاوز مداها هذا الرقم ، كما أنهم يملكون أسلحة أخرى فتاكة كالرشاشات والمدافع الخفيفة وبنادق القنص ، وطالب الإنذار الجميع بتسليم أسلحتهم الثقيلة مما يؤكد استمرار الغرب في معاقبة الضحية ومكافأة وإرضاء المعتدي.

وقد اتضحت ملامح مؤامرة جديدة بانتشار بضع مئات من الجنود (الروس) على جبال سراييفو[٧] بالرغم من اعتراض الحكومة البوسنية الشرعية على قدومهم بدعوى أن روسيا غير محايدة في الصراع ، إلا أن بطرس غالي أكد موافقته على ذلك ، ولم يعر اهتماماً لاحتجاج الحكومة ، كما اقترحت فرنسا وضع «سراييفو» تحت إدارة الأمم المتحدة غير عابئة بسيادة حكومة البوسنة وقد سارع (البطرس) إلى إبداء موافقته على الاقتراح حتى قبل مناقشته من قبل الاتحاد الأوروبي ومجلس الأمن[٨] ، ويتساءل «أنتوني لويس» كاتب «النيويورك تايمز» قائلاً : «هل وقف البوسنيون أمام اعتداءات الإبادة خلال العامين الماضيين ليحكمهم في النهاية «بطرس بطرس غالي» وبيروقراطيته الحمقاء؟!»[٩].

ولقد صُممَّ الإنذار ليخدم مصالح الصرب ، فالمسلمون لابد أن يسلموا أسلحتهم الثقيلة حيث لا يوجد مكان ينسحبون إليه ، والصرب سلموا مئة مدفع

قديمة من بقايا الحرب العالمية الثانية وسحبوا (٤٠٠) استعملوا بعضاً منها مؤخراً في قصف «بيهاتش وماغلاي» ، وقد صرح مسئول بوسني بأن القضية كلها «خدعة» قائلاً : «الأمم المتحدة موجودة هنا لتساعد الصرب ، فبينما يتركز الاهتمام على سراييفو يحاول الصرب أخذ بيهاتش ، إنهم يحاولون وصل كينين ببانيالوكا»[١٠] .

إن فكرة وضع سراييفو تحت إدارة «بطرس غالي» ليست أصلاً فكرةُ فرنسا بل هي فكرة الصرب ، وقد صرح «يوفان زاميتيشا» أحد مستشاري المجرم «رادوفان كاراجيتش» أن «سحب الصرب أسلحتهم أو وضعها تحت إشراف الأمم المتحدة لم يكن نتيجة للإنذار ، إن وضع سراييفو تحت الإدارة الدولية كان مبادرة صربية طرحت قبل مذبحة السوق بوقت طويل ، هدموا سراييفو واجعلوها نموذجاً صالحاً لبقية البلاد ، هذه كانت فكرتنا»[١١] .

في الحقيقة إن إبعاد المدافع الصربية (٢٠ كم) وانتشار الروس على الجبال يعني استمرار حصار سراييفو ، ولكن على بعد (٢٠ كم) بدل (٥ كم) كما كان الحال سابقاً ، إنه يعني تجميد الحصار وتقنينه رسمياً من قبل الأمم المتحدة ، كما يمثل مدخلاً لتقسيم المدينة .

وإذا تم نقل هذا النموذج إلى المدن المسلمة الأخرى المحاصرة كما دعا إلى ذلك بعض السياسيين والصحفيين الغربيين ، فإنها دعوة لاحتواء المقاومة البوسنية، وتكريس المكاسب الصربية ، وتقسيم البلاد أو دعوة لخنق الشعب المسلم في البوسنة «بخيط أزرق رفيع» وجعله فقط « سعيداً بقوافل الطحين»[١٢] .

الاتحاد الفيدرالي :

لقد أدرك الغرب أخيراً أنه لا مفر من قيام كيان إسلامي في البوسنة ، كما أدرك أن المسلمين لن يتخلوا عن خيار القتال حتى تتوفر لكيانهم المنتظر أسباب

البقاء والحياة ، ويرى بعض المحللين مثل «سعيد عكاشة» أن أوروبا ليست على استعداد لتحويل مسلمي البوسنة إلى مهاجرين في شتات أوروبي يتوقع توحيده في غضون سنوات ، كما يذكر أن بعض مفكري أوروبا يرون أن تشتت مسلمي البوسنة «سيصبح دعماً لروح التمرد على الحضارة الغربية التي يقودها مهاجرو العالم الثالث في الغرب في الآونة الأخيرة» ، ولذلك يخلص «عكاشة» إلى القول : إن الخوف الأوروبي من القضاء على الكيان الإسلامي له ما يسوغه [١٣] .

غير أن واقع الأمر يشير إلى أن الغرب لم يفكر بهذا الذكاء منذ البداية بل دفعه الحقد الصليبي إلى محاولة إبادة الشعب البوسني وتذويبه ، وهو الآن يبدو مرغماً على الاعتراف بوجود سياسي حقيقي للمسلمين في البوسنة ، بعد أن فشلت محاولة الإبادة وصمد الشعب البوسني في ميادين القتال ، وعاد بعض أبنائه إلى (الأصولية) كما يقولون ، ولم يبق أمام الغرب بعد فشل التحالف الكرواتي الصربي ضد المسلمين إلا السعي لإقامة اتحاد فيدرالي بين الكروات والمسلمين يتحد بعد ذلك كونفدرالياً مع كرواتيا ، ويهدف الغرب من ذلك إلى عدم قيام كيان إسلامي خالص ، بل مقيد داخلياً بالفيدرالية وخارجياً بالكونفدرالية ، وقد أشار «فرانيو توجمان» رئيس كرواتيا إلى أن أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا «بذلوا جهوداً مهمة في سبيل التوصل» إلى هذا الاتفاق وصرح أن السبب في ذلك هو أن «هذه الدول تريد أن يتوجه المسلمون نحو النمو والتطور حسب الحضارة الأوروبية بعيداً عن الأفكار الإسلامية الأصولية»[١٤] ، وهذا الكلام يدل على عدم وجود خلافات جوهرية بين الدول الغربية فيما يتعلق بمسألة البوسنة ، فالكل متفقون على مكافأة العدوان الصربي وعلى عدم قيام دولة إسلامية .

وقد ضغطت الولايات المتحدة على الحكومة البوسنية لتقبل بهذا الاتفاق ووعدتها بما وعدت به كرواتيا من مساعدات اقتصادية وامتيازات دبلوماسية

وانضمام إلى برنامج الشراكة من أجل السلام ، كما حذرتها من أنها إذا رفضت توقيع الاتفاق فإن أمريكا «لن تتدخل لإيقاف تدمير ما تبقى من البوسنة». من جهة أخرى اقتنع الكروات بأن سياسة (كرواتيا الكبرى) جلبت فشلاً ذريعاً وهزيمة ساحقة وكارثة (علاقات عامة) في الخارج ، كما جاء التلويح بالعقوبات والوعد بالمساعدات ليحمل كرواتيا على القبول بالاتفاق ، وربما يرى الكروات أن الاتفاق فيه مصلحة مرحلية لهم فيؤجلون مشروع (كرواتيا الكبرى) إلى حين وتتساءل مجلة «الإيكونومست» : هل يدعهم الأمريكان يفعلون ذلك ويتخلون عن وعودهم؟[١٥]

تجدر الإشارة إلى أنه حتى كتابة هذه السطور * لم يتفق الطرفان المسلم والكرواتي على بعض النقاط الأساسية كالدستور وتقسيم الأراضي وموعد تطبيق الكونفدرالية ، على أية حال يبقى المشروع غير عادل في حق المسلمين الذين كانوا يشكلون (٤٤ ٪) من مجموع سكان البوسنة والهرسك قبل الحرب وربما كان قبول الحكومة البوسنية به كخيار تكتيكي يحقن دماء المسلمين ويهيىء قاعدة لحلول مستقبلية أفضل ، ولنا أمل في وعي مسلمي البوسنة الذي أفشل كثيراً من المؤامرات السابقة ، وقبل ذلك نحن موقنون بوعد الله بالنصر لدينه والتمكين لعباده : ﴿ **إنهم يكيدون كيداً ، وأكيد كيداً ، فمهل الكافرين أمهلهم رويداً** ﴾ [الطارق : ١٥ ، ١٦ ، ١٧].

هوامش :

(١) (الغارديان) ، ٢١ يناير ١٩٩٤ .

(٢) (الوول ستريت جورنال) ، ٢٧ يناير ١٩٩٤ ، تمثل القدرة التعبوية لجمهورية البوسنة في مئتي ألف عنصر مدرب ، إلا أن القوة الضاربة المسلحة لا تتجاوز ثمانين ألفاً.

(٣) (القبس) ، ٢٧ يناير ١٩٩٤ .

(٤) (الوول ستريت جورنال) ، ٢٧ يناير ١٩٩٤ ، صرح نائب القائد العام لأركان جيش البوسنة «بوفان ديفياك» لصحيفة «الحياة» أن مصانع إنتاج السلاح في وسط البوسنة تمد الجيش بثلاثين في المائة من احتياجاته ، وتمثل الغنائم الحربية مصدراً ثانياً للتسليح ، بينما لمح إلى وجود قنوات سرية لوصول السلاح (الحياة ، ٢٧ جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ).

(٥) (الغارديان) ، ٢١ يناير ١٩٩٤ .

(٦) المصدر السابق.

(٧) ذكرت صحيفة «الأويزرفر» البريطانية أن أكثر الجنود الروس الذين انتشروا على جبال سراييفو قد قاتلوا المجاهدين في أفغانستان ، كما ذكرت أن صحيفة «البرافدا» الروسية الرسمية نشرت صورة محارب مسلم كتب تحتها «البوسنة : دم يسفك ، الجنود الروس سيقفون ضد المسلمين المتعصبين المتوحشين» الأويزرفر ، ٢٠ فبراير ١٩٩٤).

(٨) من المواقف الأخيرة الشاهدة على كون «بطرس غالي» أحد مجرمي الحرب في البوسنة اتهامه مؤخراً المسلمين باستغلال المناطق الآمنة كستار لشن هجمات على المواقع الصربية ، وذكر «غالي» في تقرير قدمه لمجلس الأمن أن جيش المسلمين استخدم مدن «زيبا وسريبرنتشا وجوراجدة» كمواقع لتوفير الراحة وإعادة التدريب والتسليح ، وأوصى بعدم إعلان أي مناطق آمنة أخرى حتى تتم تصفية هذه المشاكل في المناطق الآمنة الحالية (الأنباء ، ١٦ مارس ١٩٩٤).

(٩) (انترناشونال هيرالد تريبيون) ، ١٢ ، ١٣ فبراير ١٩٩٤ .

(١٠) الأويزرفر ، ٢٠ فبراير ١٩٩٤.

(١١) نيوزويك ، ٢١ مارس ١٩٩٤.

(١٢) الأويزرفر ، ٢٠ فبراير ١٩٩٤.

(١٣) الوفد ، ١٩ شعبان ١٤١٤ هـ.

(١٤) الحياة ، ١٧ رمضان ١٤١٤ هـ.

(١٥) الإيكونمست ، ٥ مارس ١٩٩٤.

* تم التوقيع الأولي بين الطرفين ، لكن النقاط الأساسية كالدستور وتقسيم الأراضي لم تحسم بعد.
– البيان –

مجزرة الدم الأرخص ...
وزعامات الورق !

د. عبدالله عمر سلطان

في غمرة الفرح الطاغي وثنايا الانتصار الذي أعمى وأصم ، خرجت برقات «السلام» الذليل تعلن للدنيا وتملأ الكون هتافاً أن أهلاً (بالعصر الإسرائيلي) وأدواته ، وأن عاش الذئب الصهيوني مادام أزلام القضية قد نجحوا في توقيع اتفاق البيت الأبيض الذي ستتم بموجبه عملية جز الرقاب برعاية (الجزار الأمريكي) «راعي السلام» . . . نعم إنه السلام الذي لا حرب بعده أبداً والتعايش الذي لا يعكر صفوه «المتطرفون والأصوليون والمتعطشون للدماء» وما هي إلا بُرهة خاطفة من عمر الزمن حتى اكتسب «سلام الصِغَار» صفة القدسية وارتفع بهامته إلى مكانة المُشَرِّع الحكيم ، فإذا فكر فلسطيني مشرد منذ نصف قرن عن موطىء قدم له في ظل (كانتون غزة - أريحا) صرخ في وجهه غراب الصفقة «عدوي عدو السلام»! ، وإذا ما تساءل مقدسي محروق القلب محطم الخاطر عن مصير القدس ، تصدى له المتحدث الرسمي باسم معسكر السلام «إن هذا التساؤل حق يراد به باطل ، يراد به تعكير جو السلام!» وإذا ما تحدثت المصادر الإسرائيلية المسيطرة على تنفيذ الاتفاق وتفسيره على هواها الضال - عن تعاون مخابراتي وأمني لملاحقة كل من يعكر صفو أمن الصهاينة ونُقل هذا الاتفاق إلى العرب المنكسرين ، لم يجد إنكشارية السلام الجدد من حرج في أن يبرروا هذا الاتفاق بأنه «المصلحة العملية السلمية الجديدة»!.

كل الخيانات وفقدان الذمة والحياء وإراقة ماء الوجه وكسر الظهور وهي راكعة لعجل بني إسرائيل الجديد ، كانت تتم في ضوء النهار بعد أن كانت حبيسة الغرف المغلقة والاتصالات السرية ، لم يعد هناك شك أو تساؤل في أن «سلام الصهاينة» أصبح القاسم المشترك لكل من يريد أن يُطأطىء رأسه ليسير في جادة (النظام العالمي الجديد) المشؤومة ، ولم يعد هناك صوت يعلو فوق صوت «السلام» أو قضية تحدد الولاء والبراء سوى مذهب السلام العاتي ، إذا كنت من المشيدين بالسلام على الطريقة (الرابينية) فأنت واقعي معتدل بعيد النظر ، وإن كنت ممن يبدي حوله أي تحفظ فأنت راديكالي رجعي بشع . . . إن كنت قد شاركت في «الدبكة العرفاتيـة» ورقصت فيها - طوعاً أو كُرهاً - فأنت إذاً (شرق أوسطي) متفتح وعقلاني غير مؤدلج ، وإن كنت اكتفيت بمشاهدة هذا (الصرَع السياسي) فلا بد أنك (أيدلوجي شعاري إسلاموي محنط)!!

المرحلة لا تحتمل القسمة على اثنين ، المرحلة لا تعرف إلا رقماً واحداً وعنواناً يتيماً «السلام» وأنصاره و«التعايش» مع اليهود ومؤيديه ، حتى لو حُشر في هذا الطابور المنافقون والمرتعدون والمنهزمون والشواذ والمتاجرون والراقصون على كل جرح منْ جراح شعوبهم ، فأمريكا - أيها السادة - لها وكيل اسمة «إسرائيل» ، وإسرائيل - يا رعاكم الله - قد أصبح لها وكلاء محليون ، فالسند متصل لا انقطاع فيه ، من ساند سدنة السلام العرب كان له حبل مودة مع سادة صهيون ، ومن ناصر هؤلاء فله قدم سبق مع السادة الكبار هناك خلف بحر الظلمات الأطلنطي ، ومن هنا تتضح معالم المرحلة ، مرحلة السلام الصهيوني الصليبي الذي أصبح عجلاً يعبد ، ووثناً تحرق بخور الباطل من حوله .

لكن عروقاً تنبض بالحق ، وتأبى أن تُغَلف بالدولار الأخضر ، وقفت تحذر من هذا السلام الهزيل ، وتلك الهجمة الباغية ، وقف صوت يقول في يوم توقيع الصك المخزي ليرسم لوحة مبصرة في وجه ضجيج وبريق وموسيقى صهيون ومعسكرها الناطق باللغات الثلاث : العبرية والعربية والإنكليزية

وقف وهو لا يملك سوى قلماً خط قصيدة تقول :

«سينبت هذا السلام الدمار — لتنقضه في الصباح
ويوقد في كل ناحية ألف نار — وما عرفت مرة بوفاء
حذار .. حذار — وما عرفت ذات يوم بحسن الجوار
فإن يهود تعاهد في الصبح عهداً — حذار من الإنهيار
لتنبذه في المساء — بزيف انتشار ، ووهم انتصار ..»[1]
وتبرم ميثاقها في المساء

لكن القائد الهرم والمتنفش بالوهم والزيف أصر ، وأقسم بأن يمضي إلى نهاية الطريق الموحش ، فأنبت لنا غابة من (هتافة التهريج) ، ومروجي التطبيع الذين خلت لهم الساحة فأطلقوا العنان لألسنتهم الجبانة ، وأقلامهم المأجورة وضمائرهم التي طالما تقلبت في ولاءاتها في سوق النخاسة ، خلا لهم الجو حيناً ثم فاجأهم هول أتى من جهة الأرض المقدسة ، فأخرسهم دوي الرصاص في فجر الخامس عشر من رمضان ليصرخ دم المصلين في محراب (المسجد الإبراهيمي) ، فإذا المأجورون عراة إلا من الخسة ، وجوعى إلا من فتات الموائد، خائفين من شعوبهم التي مارسوا في حقها الشعوذة السياسية والعقدية .

لقد كان معسكر «سلام الصغار» صَغَاراً حقاً ، أمام حقائق رمضان ومشاهد السجود والركع الغارقين في دمائهم ، وشموخ المساجد التي انتهكها حلفاؤهم الصهاينة بحماية الرصاص الأمريكي .

ماذا بقي لهم أن يدافعوا عنه ، هذه حليفتهم أمريكا تبدو الشريك الكامل في «الإرهاب البشع» الذي وصل ذروته في مجزرة الخليل ، فالقاتل أمريكي وسلاحه أمريكي ، وتمويله أمريكي ، أما الصهاينة بقيادة رابين فقد شاركوا في المذبحة مباشرة من خلال جيشهم الذي حصد من أرواح المسلمين هناك عشرات بل مئات القتلى الأبرياء والصامدين ، وتحصن المعتدون بصياحهم أحياناً أخرى

كثيرة يمارسون الاغتيال حتى في حق الأطفال الذين سرقوا من عيونهم الفرحة وبراءة الطفولة ، لقد شاءت إرادة الله أن تُظهر المجرمين وأيديهم ملطخة بدم المصلين الركع السجود ، وقد حمل كل ضالع في هذا المشهد المقزز جرمه أمام العالم ، ثم أمام هذه الأمة المصابرة المذبوحة كل نهار ، ولم يكن رصاص (باروخ جولدشتاين) سوى المشهد الأخير من مسرحية السلام الصهيوني ورايته السوداء الموغلة في الخسة ، وما أحرانا أن نقف أمام بعض دلالات الجريمة وتداعياتها بعد أن عرفنا تفاصيلها السردية ، وبعد أن استشعرنا حجم «الاستغفال والاستنذال» الذي مُورس على الجماهير العربية والمسلمة والذي أطلق عليه «عملية التطبيع» ، هذه الجريمة التي قادتها مجموعات وقوى معينة تسعى إلى تمكين الاختراق الصهيوني من عمقنا الجغرافي والشعبي ، وبدا واضحاً أن هذه القوى التي تطبعت تريد أن ترى سواد الأمة قد تطبع وهم يمنون أنفسهم بالواقع الذي تصدق عليه المثل «بال حمار فاستبالت أحمره» .

الدم الأرخص :

كأن النظام العالمي الجديد قد حدد تسعيرة الدم الإنساني ونجح في ذلك أيما نجاح ، الدم المسلم بلا ريب هو الأرخص والروح المسلمة هي المستهدفة في مسلسل العدوان المحتدم منذ انهيار الحرب الباردة ، ولابد للعالم المتحضر ولحضارته الغربية أن يذرف دموع التماسيح ويتظاهر بالاهتمام حينما تقع المجازر المروعة لتأكيد تحضره وأصوله المهذبة ، فمذابح سراييفو وكشمير وفلسطين وبورما والصومال وطاجيكستان تلقى اهتماماً صوتياً/ إعلامياً قصير المدى ثم يوأد بانتظار المجزرة المقبلة ، إن هذا الاستهتار بهذا الدم المسلم يبرز من خلال ممارسة الأمم الصليبية المتحدة التي يرأسها البطرس العربي اللسان النصراني الجنان ، ويكفي أن نستعرض آلية عمل هذه الهيئة تجاه مجزرة الخليل التي استمرت مناقشات مجلس الأمن الظالم حولها أسابيع دون إصدار حتى قرار يدين مجزرة هي الأبشع في التاريخ الإنساني المعاصر ، ثم تَحَجُّم هذه المؤسسة

«الإنسانية جداً» عن إدانة الهند عن ممارساتها في كشمير بالرغم من أن الهند دولة محتلة لهذا الإقليم بموجب قراراتها الشكلية التي لا تعرف التطبيق الفوري والحرفي إلا على أجسادنا وفوق أراضينا المستباحة.

أزهد الأرواح - عندها - أرواحنا، وأبخس الدماء دماؤنا، وأثمن الرصاص هو المزروع في أجسادنا نبالاً وقنابل إنشطارية وأخرى «ذكية»، أما إذا كان المستهدف على أرضنا عصابة مسلحة ومليشيا تمنع الطعام حتى عن مناصريها، فإن هذه الأمم المتحدة ضدنا تشمر عن ساعد الجد والنشاط فتصدر القرارات في ظرف ساعات لأن الضحية نصراني مزروع في خاصرتنا كما هو الحال مع الصليبي (جون جرنج) الذي أرسلت الأمم المتحدة مبعوثاً دولياً لمراقبة «حقوق الإنسان الصليبي» فلم يجد بأساً من مهاجمة الإسلام «البربري» الذي يميز بين البشر حسب معتقدهم (كما يرى) بينما تميز شرعة الغاب وذراعها المرعب بين الأجساد المسلمة وتلك الكافرة فترمي الأولى بالمجازر وتلاحق أبرياءها بقرارات الحصار والتجويع والرعب!! وتشجع الأخرى بالمال والسلاح والدعم الإعلامي المستمر.

لقد تحولت بوصلة الصراع في عمقنا الشعبي من صراع أوطان ونزال عناصر إلى الحقيقة الذاهلة الشاردة حيناً من الزمن، فإذا بالشعوب تدرك مع مطلع كل مجزرة وأنباء كل حصار أنها مستهدفة لإسلامها وعقيدتها، وأن القائمة التي كانت تستهدف حدودها الشرقية اليوم ستنال من نواحيها الغربية غداً أو عمقها الأوسط بعد غد، فالهجمة مستعرة ولا تعرف لدمويتها حداً، أرخص الدماء اليوم سيكون له ثمن غداً، حينما يسيل في بقاع لم تكن تعرف من دينها سوى مظاهر شكلية أو مناسبات موسمية، فتنقلب الدماء إلى وقود والأجساد الهائمة إلى شموع توحيد، والمجازر المتتالية إلى صواعق كهربائية تبث في الأوصال الميتة ذرات الإيمان المتوهج.

الغرب اليوم في ظل هجمته الشرسة يستخدم أسلحة المقاطعة الاقتصادية والحرب النفسية ، ويبرمج لإحداث زلازل سياسية وأزمات اقتصادية خانقة تصب في النهاية في مصلحته ، ولا يمكن أن نجد سائلاً أرخص من الدم المسلم -هذه اللحظة - سوى «النفط العربي» الذي وصل سعره إلى أدنى مستوى منذ حرب (٧٣ م) ، أليس من المتسغرب حقاً أن تكون ثروة الأمة البشرية والمادية هدفاً مستباحاً ومباشراً في ظل هذا التردي المفجع؟!

كلهم جولدشتاين :

أظهرت تحقيقات (اللجنة الصهيونية المُشَكَّلة) للتحقيق في المجزرة الوجه البشع لهذه الصهيونية المغروسة دولياً المدعومة من قبل الدول الكبرى المتكالبة على القصعة المستباحة ، حاكم الخليل «الجنرال جولدشتاين» قال : إن هناك توتراً أمنياً متصاعداً منذ أكثر من عام وأنه نبه إلى ضرورة ضبط «المستوطنين» حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه .

جميلة هذه الديموقراطية الإسرائيلية الخائفة على دماء بني الإسلام في الخليل ، ورائعة هذه الشهادات الإنسانية للدولة الديموقراطية الوحيدة وسط قطيع العرب الهمج !!

ما لا تحمد عقباه ، ترجمه جنود «جولدشتاين» الثاني قائد منطقة الخليل بأكثر من إثنتي عشر صفحة سقطوا وهم في ريعان الشباب بعد المجزرة ، أما أرقام الضحايا الذين سقطوا قبل المجزرة بقيادة «جولدشتاين العاقل» فلا تقل قطعاً عن عدد ضحايا ذلك المأفون المجنون .

وبين «العاقل» و«المجنون» علينا أن نصالح «المجنون» اليهودي الذي يريد رابين ومن خلال مؤسسته الصهيونية أن يصنع سلاماً معنا ، بموجب «روح السلام» وقوانينه يجوز لجيش رابين وجولدشتاين الثاني أن يمزق أجساد النساء والشيوخ والأبرياء بلا تحفظ ، فالضحايا هم من الأصوليين المتطرفين أعداء

السلام ، ويجوز لجولدشتاين الأول وزمرة المستوطنين أن يصطادوا ضحايا «جيش الدفاع» حين يستفز المصلين في حرم الأقصى ، ويطلق رصاص رشاشه تجاه أي فلسطيني لا يروق له مظهره ، ويمتهن كرامة المصلين ، ويقوم على تحطيم سياراتهم وقلب بسطات الخضار المتواضعة لمزارعي الخليل ، وبموجب قوانين «جولدشتاين» الأول والثاني . . . والعاشر ، فإن إزهاق روح مستوطن مجرم جريمة تحتل عناوين الأخبار ، ويندد بها العالم القذر المتواطىء ، وتصبح بضاعة الدمية العرفاتية الذي شاءت الأقدار أن يكون آخر تصريحاته الاستسلامية قبل المذبحة أن يندد بقتل مستوطن إسرائيلي على أيدي المجاهدين الذين لم يزالوا يتمسكون بحقوقهم ، ويدافعون عن مقدساتهم حتى ولو بسكين أو ساطور .

«قانون جولدشتاين» الذي ابتكرته الصهيونية السياسية بقيادة «جولدشتاين الأكبر» الذي يتولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية يقتضي توزيع الأدوار بين الحمائم والصقور والمعتدلين والمتطرفين ، ورصاص جيش يهود ورصاص المستوطنين ، وفي كل الأحوال تبقى الضحية هي الضحية والهدف هو اجتثاث الوجود العقدي والبشري لأهل الإسلام في البقعة المباركة ، ومحاصرة المد الإسلامي المنتشر مع كل هجمة شرسة وكل سقوط درامي لقيادات العلمنة والتطبيع ، هذه القيادات وخلفها الحيات والعقارب الإعلامية التي تريد أن تفرض على الشعوب السلام مع أعداء الله من اليهود ، وتصر على أن المغضوب عليهم أبناء عمومة ، وأن قتلة الأنبياء شرق أوسطيون مثلنا ، وأن أخوة القردة والخنازير شركاء لنا في الآلام والآمال .

القضية هنا أن المؤسسة الإعلامية والسياسية العربية تريد أن تمارس الكذب وغسيل الأدمغة بمحاليل مغشوشة ومنتجات رديئة ، تجعلها في نظر الساذج البسيط قليلة الحياء ، عديمة الذمة ، فنص الكتاب وصحيح السنة لا ينالهما عشرات المهرجانات التطبيعية أو الحملات المتصهينة ، مهما قبض القائمون عليها من ثمن ثم زعموا لسادتهم أنها ناجحة !

وإذا الشعوب سئلت :

ونحن نعيش هول المأساة ومع حالة الذهول التي عمت عالمنا العربي والإسلامي ، خرجت الشعوب المسلمة لتقول كلمتها دون رتوش وفي غياب مقص الرقيب ، لقد كانت الغضبة الشعبية العارمة رسالة أخرى ، تؤكد هوية الصراع ، وتُذكّر بمضامين المواجهة ، فالمسلمون في أقاصي الأرخبيل الأندونيسي وفي قرى سومطرة خرجوا في تظاهرات عارمة ليقولوا أنهم لايزالون أحياء وأن ما يحركهم هو جرح الإسلام النازف ، بالرغم من كل محاولات التنويم المغناطيسي والتطبيع الإعلامي الذي يحاول أن يمهد لعملية الاستسلام الكبير ، وما كانت هذه المظاهرة إلا واحدة من عشرات المشاهد المتتالية في أكثر من موقع وفي أكثر من بلد ، وقد خرجت لتقول وتعبر عن حجم الفاجعة ، كما عبرت عن وحدة المسلمين في بقاع الأرض وتكوينهم العقدي وأن آيات الكتاب وبشارات الرسول ﷺ هي التي تحرك المسلم للهم المشترك وتدعوه لرفض التطبيع وكأن قائلهم يصرخ :

«حذار . . حذار
فإن بشارتنا في الكتاب
الذي يريدون
أن يطمسوا نوره من قلوب الصغار
ويلغوا أحكامه من حياة الكبار
فيغدو تمائم للمائعين
ويعوذ تعاويذ للخائفين
وما كان إلا العقيدة ، إلا الشريعة
إلا الشعيرة . . إلا الشعار
برغم التقول ، رغم التأول ، رغم الحصار !

لقد عم الشارع المسلم عموماً والعربي خصوصاً حالة من «القرف» من هذا الوضع المزري ، فقامت الشعوب لتقول كلمتها ، قامت السيدة الفلسطينية لتقول لمراسل المحطة الأمريكية : « أين عرفات؟ هل استطاع أن ينال أريحا أو غزة كما وعدوه؟ هل يستحق أن أهتف باسمه حتى اليوم؟ لقد رأى اليهود أنه باع القدس ، وصمت في خزي فتجرأوا على الخليل ، القدس والخليل لن تتحرر بعرفات و (. . .) إنها لن تتحرر إلا بالإسلام» .

كانت العجوز الفلسطينية تقول بلسان الحال لهذا المراسل :

حذار . . فلو أنكم للسلام دفعتم أعز ثمن
وسقتم عليه الثرى والثريا شهوداً
وأجلب إبليس بالجند ينعق :
«عشنا . .
وعاشت يهود
وعاش الوطن »
ولو أنكم للسلام سعيتم
بتقتيل كل غيور وتقطيع كل أغر
بتعقيم كل النساء
بتجفيف كل البحار

ستخرج هذي المحار
جنوداً ، يقدون من وهج الشمس
فجر نهار
ويعقب هذا السلام دمار
ويرقد في كل ناحية ألف نار
ويرجع للصابرين الوطن
ويصرع سيف الجهاد الوثن
ويعذب ماء
وتزهو ظلال . . بأهل ودار

نعم . . لقد خرجت جماهير فلسطين داخل حدود ١٩٤٨ م وهي تنادي بإسلامها وأنها جزء من الكيان الكبير ، فقتل مواطن في النقب التي ثارت لأول مرة ، كما شهدت مدن الناصرة وأم الفحم (أم النور) ومناطق الجليل أوسع انتفاضة شعبية معبرة عن الذي يجول في نفوس الشعوب التي أقحمت في أتون التطبيع مع أعدائها ، ويراد منها أن تكون الدواب التي تركبها بني إسرائيل كما هو المفهوم الصهيوني الذي لا يوجد من ينازله ويصده سوى آيات الكتاب التي في الصدور المؤمنة والتي ترفض هذا التعايش التعس الذي تصر قيادات العلمنة

على وصفه بأنه تعايش رائع يلخصه الكاهن الذي ابن المجرم جولدشتاين بقوله «إن مائة مليون عربي لا يساوون ظفر يهودي واحد» ، وهذا ما ترجمه مئات من الذين شيعوا جثمانه بقولهم «كلنا جولدشتاين» ، أما شعوبنا فقد قالت بصوت واحد «ألا لعنة الله على المستسلمين.

زعامات الورق :

المأزق الذي تعيشه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية مؤشر لمدى الإنحدار في أسلوب القيادة وحجم القطيعة بين القمة والقاعدة ، والذي يصلح للتطبيق في أكثر النماذج العربية ، وإن كان نموذج القيادة الفلسطينية جديراً بالتأمل كونها قيادة حركة تحرير شعبي تدَّعي تمثيل الدولة وممارسة شؤونها ولو من باب الإدعاء ، لقد لخص الكاتب الأمريكي (شومسكي) موقع القيادة الحالية بأنه «أسوأ وضع لحركة تحرير وطني في العصر الحديث» ، أو بعبارة معلق أمريكي آخر «إن مجزرة الخليل مؤشر هام لمرحلتين : المرحلة الأولى كانت مشكلة قيادة المنظمة مع أمريكا وإسرائيل ، والثانية تتمثل في مشكلة المنظمة مع شعبها الفلسطيني الذي أحرق صور عرفات وداس عليها . . .».

وهذا التوصيف بالضبط هو ما يستخدمه المحللون السياسيون للقيادات المفلسة. إن مجزرة الخليل كانت بمثابة المشهد الأخير الذي تختتم فيه هذه القيادة المتخبطة آخر خطواتها إلى المجهول ، فحتى جل كوادرها تخلت عنها ، أما القيادة فقد فقدت حتى هيبتها الشكلية ، ولم يستطع عرفات أن يجمع اللجنة التنفيذية قبيل المجزرة للمصادقة على اتفاقه مع بيريز في القاهرة ، فاكتفت إسرائيل بتوقيع (الزعيم!) عليه!!

إن المتتبع لردود فعل عرفات وقيادته يرى أن أرخص ثمن كان يفكر فيه هو دم شعبه ، لذا فقد سارع لتلبية نداء كلنتون لاستئناف المفاوضات ، ودماء شهداء المذبحة لم تجف بعد ، ثم فوجيء بحجم الغضبة الشعبية وتضاؤل التأييد له

فقلب له ظهر المجن ، وأصر على الحماية الدولية لسكان الأراضي المحتلة والتي كانت إحدى المثالب الصارخة لاتفاقه المشؤوم .

لقد أيقن الشعب الفلسطيني أن هذه القيادة أعجز من أن تقود نفسها وتحل خلافاتها الداخلية المتتالية والناتجة عن تهالك المسؤولين على المناصب والأموال والنفوذ ، وأيقن الشعب الفلسطيني عبر ما صدر عنه بُعَيد المذبحة أن اتفاق أوسلو المر لن يحصد سوى الحصرم ، وأصبح رد الفعل الشعبي بمثابة كرة الثلج التي تكبر مع كل تدحرج ، وترفض مع كل مجزرة هذه القيادة التي أحرقت كل مراكبها على شاطيء العجز والاستسلام للعصر الصهيوني/ الصليبي الذي صرح رابين بعد الواقعة بثلاث أسابيع «أن قيادة المنظمة لم تعد قادرة على إقناع الشعب الفلسطيني بالحل السلمي ، لذا فإن وزارته ستبحث عن السلام على الجبهة السورية بدلاً من الفلسطينية» .

إذن أين أطنان السواد الكتابي الذي سطر عن السلام؟ أين الصديق المخلص الذي وجده عرفات في زيارته المشؤومة لواشنطن في البيت الأبيض؟ أين منظروا السلام ودعاة وأنصار عرفات المهذب والمستسلم لقوانين النظام العالمي الجديد . . . ؟ لو كان لدى الزعيم تقدير فعلي لم حدث لتوارى عن كرسي القيادة وموقع المسؤولية ، فمنذ أن تسنم مقاليد الأمور والقضية الفلسطينية وهي من شفا جرف هار إلى هاوية ، ومعظم الانتصارات التي تحققت لها كانت من صنع أطفال الحجار وجنرالات المولوتوف ويافعي الإسلام الذين يدفعون كل يوم من دمهم دفعة تذكر بجهاد عزالدين القسام ورفاقه الأبطال .

إن المجزرة بالفعل ستمايز بين الصفوف والاتجاهات والمواقف أرادوها مجزرة الدم الأرخص ، وكانت شرارة الفجر التي لامست زعامات الورق فأحرقتها ، هناك «بعل سهى الطويل» وشركاه ، وهنا «إخوان أحمد ياسين» وتلاميذه ، وهذا الفريق يرسم وينظم المواقف البطولية . أما الفريق الأول فكان

انعكاساً لحالة الترهل والانكسار التي تترجمها الأبيات الشعرية التي تتلمس معالم مرحلة المجزرة وما[1] قبلها وما بعدها :

«مقتل ستين فتى في مسجد الخليل
تضارب الأنباء حول موتهم
قال . . يقال . . قيل . . .
حمامة السلام مرت من هنا . .
هذا الرصاص بيضها
وصوته الهديل!
عقد اجتماع عاجل لمجلس التنكيل
البحث ينتهي إلى ضرورة التعجيل
في طلب التأجيل!
قصف مركز على أجهزة التسجيل
مستفعلاتن فاعلن مستفعلن فعيل
هذا هو الموجز من أنبائنا
إليكم النشرة بالتفصيل :
تعيش إسرائيل!

---

(١) قصيدة سلام الدم للشاعر سعد عطية الغامدي.

ماذا يبقى من دولة اليمن؟

قراءة في الأزمة اليمنية في مراحلها الأخيرة

عبد الله عبدالعزيز

مرت البلاد اليمنية في الأشهر الأخيرة بعدد من الأحداث وشهدت العديد من التطورات التي تستحق من المتابع للساحة التوقف عندها والنظر في آثارها، كما أنها تستحق من أبناء الحركة الإسلامية دراستها واستنباط فوائدها، ولعل من أبرز ما وقع مؤخراً الأمور التالية:

وثيقة العهد والاتفاق:

اتفق أعضاء لجنة الحوار السياسي بمن فيهم ممثلو أطراف الصراع في اليمن (المؤتمر الشعبي العام + الحزب الاشتراكي) على بنود وثيقة العهد والاتفاق بعد تلكؤ من حزب الرئيس اليمني وإصرار من الحزب الاشتراكي ويعتبر ذلك الاتفاق بمثابة الانتصار للحزب الاشتراكي إذ أنه قد استطاع أن يتجاوز البرلمان الذي لا وجود مؤثر له فيه. كما استطاع أن يضع في هذه الوثيقة التي يسميها بعضهم «الدستور اليمني الجديد» حيث كافة شروطه ومطالبه التي تضمن له النفوذ والبقاء في السلطة، سواء أكان ذلك عن طريق تجريد الرئيس من كثير من مهامه وإعطائها لرئيس الوزراء الذي ينتمي للحزب الاشتراكي نفسه أو عن طريق فرض (نظام اللامركزية الواسعة) وإنتخاب محافظي وكبار مسؤولي (ما يسمى بالمخاليف) والتي يضمن الحزب في كثير منها بطريقة أو بأخرى

وبالأخص في مناطق نفوذه قبل الوحدة انتخاب الناس لمرشحيه، كما أن الحزب استطاع بهذه الوثيقة نزع موافقة طرف الصراع الآخر على تجريدِهِ من أبرز وسائل قوته عن طريق الموافقة على إخراج وحدات الجيش من المدن وإلغاء وزارة الإعلام وإيكال مهام أعمالها إلى هيئة وطنية مستقلة، وتقليص صلاحيات البرلمان بإنشاء مجلس للشورى يختار أعضاؤه من أبناء المحافظات بالتساوي كما أن الحزب عن طريق هذه الوثيقة قد قطع عدة خطوات في العمل على إضعاف نفوذ القبائل اليمنية وتجريد اليمنيين من أهم ما يتميزون به وهو حيازتهم للسلاح وتنقلهم به عن طريق انتزاع موافقة (المنافس) على العمل على إنهاء الوجود المسلح غير الرسمي في إشارةٍ إلى أسلحة القبائل والنظر في قانون حمل السلاح الحالي لجعله أكثر صرامة في إشارة إلى سلاح الفرد العادي كما استطاع ذلك الحزب إبراز بعض القضايا التي تخدمه في صراعه كالجانب الأمني وما يسمى بمحاربة التطرف والإرهاب الذي كان البند الأول من بنود الوثيقة... إلخ ومع الكسب الكبير للحزب الإشتراكي في الوثيقة وضخامة التنازلات التي قدمت له إلا أن أبرز الملاحظات عليها لو توفرت النوايا الصادقة لتطبيقها الجدول الزمني المحدد لتنفيذ بنودها إذ أن كثيراً من القضايا بحاجة لإصلاحها إلى سنوات والوثيقة حددت لها أسابيع أو أشهر مما يضع الكثير والكثير من الاستفهامات حول حقيقة مطالب الحزب المذكور.

تدويل الأزمة:

سعى الحزب الاشتراكي بقوة إلى تدويل الأزمة متخذاً ذرائع عدة لذلك ومن أبرزها:

* إدعاء الرغبة في توفير ضمانات حقيقية لتنفيذ بنود الوثيقة عن طريق حضور عربي ودولي واسع بعد قيامه بحملة إعلامية واسعة لإقناع المهتمين

بالأزمة اليمنية أن الطرف الآخر ليس جاداً في العمل على تنفيذ بنود الاتفاق وأنه يسعى لوضع العقبات والعراقيل أمام ذلك، وقد حصل التدويل بالنسبة للوثيقة بالفعل إذ تم توقيعها في الأردن في ٩/ ٨/ ١٤١٤ هـ وليس في اليمن.

* أبراز خطورة الوضع الأمني والعسكري عن طريق تحريك بعض الألوية التابعة للحزب إلى مواقع مثيرة للقوات الشمالية بالإضافة إلى تحريك بعض الأفراد والقبائل ودفعهم إلى ممارسة بعض الأعمال المخلة بالأمن والتي تقلق الدول الغربية كاختطاف بعض الأجانب كرهائن ونهب بعض ممتلكات الشركات الأجنبية هادفاً من وراء ذلك إلى إثارة اهتمام القوى الغربية بالوضع وتذبيهها إلى خطورة ذلك على مصالحها أو رعاياها أو شركاتها مما يستدعي تدخلها، وهذا ما حصل بالفعل إذ أعلنت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي قلقهما من تفاعلات الأزمة اليمنية وضرورة إنهائها سلمياً، كما تم تشكيل لجنة عسكرية شارك فيها إلى جانب اللجان اليمنية لجان عسكرية عُمانية وأدنية بالإضافة إلى الملحقين العسكريين الأمريكي والفرنسي في صنعاء من أجل وقف التداعيات العسكرية وإرجاع ألوية الجيش المختلفة إلى مواقعها قبل الأزمة وبالأخص الموجود منها في خطوط التماس بين الشطرين سابقاً.

* الزيارات التي قام بها مسؤولوا الحزب الاشتراكي إلى بعض الأقطار العربية كمصر وسوريا والسعودية والكويت والإمارات تحت ذريعة اطلاع الأشقاء العرب على حقيقة الموقف من وجهة نظر الحزب وما استدعته من زيارات مضادة من المؤتمر الشعبي العام لكل من الرياض والقاهرة و(أبو ظبي) لعرض الأزمة من وجهة نظره أيضاً.

* إيهامه لبعض الدول بدعوى وجود عناصر قيادية كبيرة مناوئة لها في اليمن

وأنها تقع تحت حماية طرف الصراع الآخر، وأنه لا فرصة لها لتصفية معارضيها الموجودين في اليمن والقبض عليهم إلا عن طريق الدخول على خط الأزمة والمطالبة بتسليم معارضيها الذين تصفهم بالتطرف والإرهاب.

التداعيات العسكرية:

في الوقت الذي كان زعماء الائتلاف الحاكم في اليمن يوقعون وثيقة العهد والاتفاق في عمان وفي حين لم تجف بعد أحبار أقلامهم كانت المدافع تتبادل القصف في محافظة أبين الجنوبية بين قوات لواء العمالقة الشمالي وقوات لواء مدرم الجنوبي ولقد عزز الحزب الاشتراكي وجوده العسكري في المحافظة عن طريق أو امر قيادته إلى ثلاثة من الألوية التابعة له وهي الوحدة في المكلا وقوات اللواء الخامس في عدن وقوات اللواء الثلاثين مشاة في شبوة بالتوجه اليها بهدف السيطرة على المواقع المهمة في المحافظة وتطويق لواء العمالقة الشمالي الموجود فيها وضرب الوجود المميز في المحافظة لشباب الصحوة الإسلامية العائدين من أفغانستان ولقد أشرك الحزب مع جنود جيشه مليشياته الشعبية كانت نتيجة تلك التداعيات خسائر بشرية ومادية ملحوظة للطرفين ولولا رحمة الله تعالى لكانت تلك المواجهة بداية الشرارة لتصفية الوجود العسكري لما كان يعرف بالشمال في الجنوب ولما كان يعرف بالجنوب في الشمال مما يعني قيام المواجهة المسلحة الشاملة بين الطرفين وبالتالي التشطير والانفصال.

محاولة تصفية وجود الشباب المسلم في أبين:

قبل الوحدة اليمنية حارب الحزب الاشتراكي الدين الإسلامي وقتل الأنفس سحلاً ورمياً وشنقاً، وهتك الأعراض، ونهب الأموال وصادر الدور والأراضي، وأهان العلماء والأعيان وغيرّ في القيم والبنية الاجتماعية مما أثار

عليه النفوس المؤمنة والشريفة وحرض الأيدي المتوضئة على زعمائه فسعت إلى الثأر لدينها ولمن قتل من أفراد عوائلها أو انتهك من أعراضها أو صودر من أموالها ودورها ومزارعها.

وكان عودة الشباب اليمني من أبناء المحافظات الجنوبية والشرقية من أفغانستان بعد قيامهم بواجب النصرة لإخوانهم هناك فرصة لدى أفراد محدودين جداً منهم للانتقام من بعض زعماء الحزب وكوادره مما أخاف الحزب وأقضّ مضجعه فأخذ يتحين الفرصة لنشر أولئك الشباب ومطاردتهم وإيقاع القتل والتعذيب والسجن على من تقع عليه اليد منهم ولقد كانت أضخم محاولة لذلك في شهر رمضان الماضي في محافظة أبين تحت التذرع بمشاركة أولئك الشباب لقوات العمالقة الشمالي في صراعه مع جيش الحزب !!

انفتاح الحزب الاشتراكي:

نتيجة العزلة التي أوقع الرئيس علي صالح نفسه فيها نظراً لموقفه في حرب الخليج الثانية وعلاقاته مع الإسلاميين في اليمن وعدم استيعابه للواقع وطبيعة البلاد الجغرافية والاجتماعية وقيامه بارضاء بعض الدول من خلال طرد بعض رعاياها الذين يتهمون بالإرهاب والتطرف فقد تمكن الحزب الاشتراكي من الخروج عن عزلته التي كان يعاني منها إقليمياً ودولياً ونظراً لتبعيته القوية في السابق للمعسكر الشرقي حيث قام أمينه العام بزيارة القاهرة ليقول لها إنه مستعد لتسليم من تريد ممن يسمونهم بالمتطرفين في اليمن كلها لولا معارضة علي صالح والإسلاميين له من القيام بتسليم من يوجد منهم في المحافظات الشمالية وزار دمشق ليعلن وقوفه إلى جانب حزب البعث السوري في صراعه مع حزب البعث العراقي وليس كما يفعل الرئيس اليمني.

وزار الرياض لينشيء علاقات جديدة وقوية لم تكن موجودة من قبل في وقت يعاني الرئيس علي صالح من تردئ الأجواء في علاقاته معها.

كما قام الأمين العام المساعد بزيارة كل من الكويت والإمارات معزياً اياهما في ضحاياهما وخسائرهما في حرب الخليج الثانية ملقياً بتبعة الموقف اليمني آنذاك على (رئيس الدولة) وكأن الحزب كان خارج السلطة وقد تلقى الحزب الاشتراكي من جراء ذلك الانفتاح دعماً قوياً (أنظر ما صرح به مسؤول إشتراكي رفيع المستوى لمجلة الوسط «عدد ١٠٩») مما دفعه إلى مزيد من التصلب في صراعه مع الرئيس علي صالح.

دعامة الوحدة داخلية ام خارجية ؟

أثبتت الأحداث في الفترة الماضية أن ضمانة استمرار الوحدة اليمنية أمريكية أوروبية، ويظهر ذلك من خلال التصريحات الرسمية لمسؤولين أمريكين وأوروبيين بضرورة إنهاء الأزمة سلمياً ومن خلال التحرك الواضح للسفير الأمريكي في صنعاء ومشاركة الملحقين الأمريكي والفرنسي (الأخير ممثل للمفوضية الأوروبية) في اللجنة المكلفة بمنع استمرار التداعيات العسكرية وأهمية العودة إلى الثكنات العسكرية حسبما كانت عليه الأمور سابقاً.

وكل أطراف الأزمة تدرك أن الغرب لا يهمه من يبقى في الحكم من أطراف الصراع سواء الرئيس اليمني أو أمين عام الحزب الاشتراكي ولكن الذي يهمه أن يكون الباقي منهما أكثر قدرة وأعظم تفانياً في خدمة مصالحه.

والغرب يسعي إلى الاستقرار في اليمن وبالأخص في أماكن وجود النفط حيث يجب أن تبقى بمنأى عن الصراع القائم كما صرح بذلك مسؤول أمريكي وسعي الغرب إلى الدعوة للاستقرار ليس من أجل سواد عيون اليمنيين ولكن

من أجل مصلحته لكي يتمكن من تهيئة الجو الملائم للشركات الغربية المنقبة عن النفط والغاز هناك ومن أجل استخراج خيرات البلاد المختلفة .

ولكن يبدو أن الغرب مع حرصه على الاستقرار فهو يدعم الحزب الاشتراكي مباشرة نظراً لكون الحزب هو الأقدر على ضرب الحركة الإسلامية المتنامية في اليمن وهو الأجدر بمحاربة الانتشار الكبير لها .

كما أن الحزب هو الأقدر على القيام بخدمة المصالح الغربية نظراً لعدم وجود روابط ذات شأن تربطه بعقيدة الأمة وموروثها وللخبرة الطويلة في الخضوع للأسياد التي تميز بها نتيجة تبعيته لفترة طويلة لقادة (الكرملن) في موسكو والتي يمكن انتقالها إلى قادة البيت الأبيض إنْ لم تكن قد انتقلت بالفعل .

كما أن الحزب نظراً لشراسته الشديدة ودمويته الكبيرة هو الأكفأ بالقيام بتقليم أظافر القوى الوطنية الأخرى التي قد تقف حجر عثرة في المستقبل أمام المصالح الغربية كالقبائل مثلاً .

وصحيح أن الغرب يهمه فقط تحقيق مصالحه سواء أكان ذلك عن طريق الوحدة أو الانفصال لكن يبدوا أنه يدرك أن الوحدة أكثر ضمانة للاستقرار وأكثر قدرة على منع وجود توترات قد تصل إلى تهديد مصالحه في المستقبل ، كما أن الانفصال سيعني قوة الحركة الإسلامية في الشمال عن طريق تحالف الرئيس اليمني معها نظراً لحاجته الماسة إليها لمواجهة فلول الاشتراكيين المتنفشة .

وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق هو قراءة للمصالح الغربية في اليمن والتي تصنع القرار الغربي ، لكنها قراءة قد تخطىء من جهة ، وقد يُدخل صُناع القرار في الغرب بعض التعديلات التي تقلب المسألة وتجعل المصلحة ليست في الوحدة بل بالانفصال كأن يُسعى إلى تشتيت قلوب أبناء اليمن وجرهم إلى الحرب

والتقاتل خارج مواقع النفط للتخلص منهم نظراً لعدم رضوخهم لاستعمار سابق - اليمن الشمالي - وعدم الخضوع والاستكانة للرجل الغربي الأبيض، ونظراً لكثرة عددهم وخطورة أن يشكلوا في المستقبل من خلال الوحدة مع إخوانهم في الخليج والجزيرة خطراً يعرض مصالحهم وأمن وليدهم غير الشرعي (العدو الصهيوني) للخطر.

كما تجدر الاشارة إلى أن القول بأن ضمانة الوحدة خارجية لا يعني عدم وجود قوى داخلية خيرة ترغب بالوحدة وتكافح عنها بل هي كثيرة وفي طليعتها أبناء الصحوة الإسلامية لكن المراد أن القوى التي بيدها صنع قرار الوحدة والانفصال يرى أحدها - الحزب الإشتراكي - أن مصلحته بالانفصال ولا يوجد ما يردعه عن ذلك لولا خوف تعريض المصالح الغربية في البلاد للخطر أما ما يوجد من عقبات داخلية أمام الانفصال ككونه قد يؤدي إلى إراقة بعض الدماء نظراً لاختلاط مواقع القوات الحالية للطرفين في الشمال والجنوب وكون الطرف الآخر قد يتخذ موقفاً متشدداً ويفجر الوضع فليس بأمر ذي بال لدى الراغبين في الانفصال بدليل تاريخهم الحافل بالقتل والدماء.

من آثار الازمة:

عانى الشعب اليمني من الأزمة معاناة كبيرة في سائر المجالات حيث اكتوى بنارها واحترق بلهيبها في وقت يتم تصارع الطرفين على بسط النفوذ وكسب المواقع بعيداً عن الشعور بحرقة الشعب وعظيم معاناته، ولعل من أبرز الآثار التي ولدتها الأزمة اليمنية ما يلي:

- تجاوزت الأزمة جميع ثوابت اليمن الشرعية و الدستورية والقانونية وعودة تحكيم كل من طرفي الأزمة لمصالحه وما تمليه عليه رغائبه مما سبب فشل

حركة مؤسسات الدولة الدستورية كمجلس الرئاسة والوزراء والنواب بل وشل حركة جل مؤسسات الدولة عن طريق عودة غالب الوزراء والمحافظين وكبار المسؤولين الاشتراكيين في الشمال إلى الجنوب وعودة غالب المحافظين والمسؤولين التابعين لحزب الرئيس في اليمن إلى الشمال مما سبب تفككاً وفساداً إدارياً كبيراً أضف إلى ذلك ما كان موجوداً من قبل من معاناة كبيرة لا تخفى على معظم أفراد الشعب.

- الارتفاع الكبير في الأسعار حيث وصل سعر برميل الغاز في بعض المناطق إلى ٥٠٠ ريال وكيس السكر إلى أكثر من ٢٠٠٠ ريال وعلبة الحليب المجفف إلى ٧٠٠ ريال. مع قلة دخل الفرد وازدياد في معدلات البطالة والانخفاض الكبير في قيمة الريال الشرائية.

أضف إلى ذلك توجه طرفي الصراع إلى صرف عائدات النفط من العملات الصعبة في شراء الأسلحة لتوزيعها على كوادرهما بدلاً من توفير السلع وتقديم الخدمات والبدء في تنفيذ المشاريع التنموية لصالح الشعب كله.

- بروز النعرات المناطقية والقبلية وانتشار الحقد والكراهية بين أبناء المناطق والقبائل المختلفة - إذ استغل طرفا الصراع أبناء المناطق التي تحت أيديهم والقبائل الموالية لهم وسعى كل طرف إلى تحريض أتباعه على الطرف الآخر وغرس البغض والحقد فيما بينهم والشخص الذي له اختلاط باليمنيين سيسمع ما يسوؤه من مثل أنا شمالي وذاك جنوبي ومن مثل أنا من بكيل والآخرون من حاشد أو مذحج أو يافع أو من الأشراف. . .إلخ.

- عودة الحزب الاشتراكي بقوة إلى المناطق الجنوبية والشرقية عن طريق ايذاء وطرد المسؤولين والجيش والأمن الشمالي، وعن طريق تسليح ونشر ميليشات الحزب وترويع الناس بها لكبت الرأي المخالف واعادة شعار

الحزب المعروف (لا صوت يعلو فوق صوت الحزب) مع زوال كل وجود لسلطتهما يسمى بدولة الوحدة في أراضيه، وقد سببت تلك العودة القوية للحزب في تلك المناطق أموراً كثيرة من أهمها ندرة إن لم نقل توقف قوافل الدعوة إلى الله من الشمال إلى الجنوب وقلة حركة التنقل لكسب الرزق والبحث عن العمل... إلخ.

- تجميد العمليات والحركات الاستشارية الداخلية والخارجية وتعطيل الاقتصاد وشل حركات البيع والشراء والعمران انتظاراً من أصحاب رؤوس المال لما ستسفر عنه الأزمة.
- تشجيع قُطّاع الطرق من الأفراد وشراء ذمم بعض القبائل من أجل قطع الإمدادات من الغذاء والغاز عن بعض المدن.
- غرس الحزب الاشتراكي الروح الانفصالية لدى كثير من أبناء المناطق الجنوبية والشرقية عن طريق نسبة أسباب معاناة الناس وأخطاء المرحلة الانتقالية إلى الشماليين وتجريد الحزب نفسه منها، بل إن الحزب ليقوم بارتكاب بعض الأخطاء كالقتل ويقوم بنسبتها إلى خصمه ثم تقول كوادره للناس: هل تريدون هذا الوضع السيء الذي جاء به الآخر أم ترغبون بالأمن والاستقرار الذي كنتم تنعمون به قبل الوحدة؟! بالاضافة إلى بث الأماني المعسولة بمستقبل واعد نظراً لظهور النفط والدعم اللذين يحلم بهما الحزب ويتوقعهما.

فوائد وعبر من هذه الأزمة:

تستحق الأزمة اليمنية من المصلحين والدعاة إلى الله عز وجل التوقف عندها لاستلهام عبرها واستنباط دروسها وأخذ فوائدها ولعل من أبرز الدروس والعبر ما يلي:

* في الأزمة اليمنية سقوط آخر لدعاوي الديمقراطية في العالم الإسلامي بعد السقوط الكبير في الجزائر، وثبوت أن المتشدقين بتطبيقها من أبناء المسلمين هم ألد أعدائها ما لم توافق مصالحهم التي يبيتونها ورغباتهم التي يطمحون إليها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأزمة اليمنية تسقط دعاوي الغرب في السعي إلى تطبيق الديمقراطية في العالم الإسلامي إذ أنه وحلفاءه يدعمون بقوة الحزب الاشتراكي الرافض لنتائج الانتخابات النيابية ومبدأ حكم الأكثرية للأقلية.

* تقلب حال السياسيين في التعامل مع شباب الصحوة الإسلامية بين مد وجزر حسب مصالحهم واحتياجهم العملي فإن أرادوهم أو خافوهم قربوهم وأعطوهم بعض المكاسب التي لا تؤثر على مواقفهم وإن استغنوا عنهم ولم يخشوهم لفظوهم وآذوهم حساً ومعنى.

* خطورة استعجال شباب الصحوة وعلمائها في اتخاذ المواقف والحكم على الآخرين ويبرز هذا الأمر جلياً في موقف بعض قيادات الإسلاميين في التجمع اليمني للإصلاح من الحزب الاشتراكي فبعد أن أعلنت انتهاء الخلاف العقدي والفكري وبقاء الخلاف السياسي مع الحزب الاشتراكي فقط إذا بالحزب يطلق العنان لكوادره لمهاجمة الإسلام وشرائعه كتعدد الزوجات والمعاهد الإسلامية، وإذا به يشتد في مطاردة الإسلاميين وقتلهم وسجنهم وتهجيرهم، وإذا به يمنع قوافل الدعاة إلى الله ويعرقل أنشطتهم في الجنوب ويخيفهم، وإذا به يصم حتى أولئك الدعاة بالإرهاب والتطرف والسعي إلى الفتنة وعدم فهم الدين على حقيقته. إن الاستعجال آفة خطيرة برزت في تعامل أولئك الإخوة مع الحزب ولو أنهم تأنوا وثبتوا مطالبتهم الحزب بالتوبة والإقلاع عما هو عليه من كفر وردة لكان خيراً لهم. إن دعوة الناس إلى الحق لا يبرر أبداً مداهنتهم ووصفهم بما هم ليسوا عليه من الحق.

* عدم جدوى السعي إلى كسب تغييرات دستورية وقانونية نظرية تصب في مصلحة الشريعة الإسلامية عن طريق دخول الانتخابات النيابية لأن الدساتير والقوانين في عالمنا الإسلامي جلها سائر على رغبة المتنفذين ومحققة لمصالحهم وبالتالي فإن على الدعاة إلى الله أن يبحثوا عن وسائل أخرى للتغيير مع الحرص على الاتباع وتجنب الابتداع.

* إن الإسلاميين مهما أظهروا من مرونة واعتدال وتنازل عن بعض القيم والمبادىء وسكوت عن أخرى من أجل إرضاء العلمانيين في بلدانهم ومن خلفهم من قوى الشر القريب منها والبعيد فلن يغنى عنهم ذلك شيئاً أمام أولئك الأعداء وسيستمر أولئك في الكيد لهم ومحاولة إزهاق أرواحهم والعمل على محاولات تجفيف منابعهم.

هذه بعض من الفوائد والعبر من هذه الأزمة، والله نسأل أن يصلح الأحوال وأن يجمع القلوب على الحق وأن يبصر الجميع بصراطه المستقيم حتى تتلافى في تلك الأخطاء والسلبيات ولعله يتضح للجميع - وبخاصة الإخوة أصحاب التوجه الإسلامي - الفوائد والعبر مما حدث وأهمية استيعابها وتصحيح المسار في الدعوة والإصلاح والجهاد بالطرق الشرعية القويمة فهل نعي ذلك عسى؟ ولعل والله من وراء القصد.

أضواء على
مذبحة المسلمين في «غانا»

مندوب «البيان»

تمهيد:

قد يخفى على كثير من المسلمين ما يتعرض له إخواننا المسلمون في غانا من محنة بتواطؤ من أعداء الإسلام ، وما يؤسَف له أن الإعلام العربي لم يتطرق لها. وقد وافانا مندوب «البيان» بهذا التقرير عنها.

- البيان -

اندلعت الحرب يوم الثلاثاء ٢/ ٢/ ١٩٩٤ م بقرية (بمبلا) الواقعة بالمنطقة الشمالية التي تبعد عن العاصمة (أكرا) بحوالي ٩٦٠ كم ، ويسكن هذه المنطقة عدد من القبائل المسلمة والوثنية ، ولكن أكبر قبيلة فيها عدداً وإسلاماً هي قبيلة (داغومبا) ٩٦ ٪ ، ثم أربع قبائل أخرى تتراوح نسبة المسلمين فيها ما بين ٧٠ ٪ إلى ٨٨ ٪ وهي تحت أربعة ملوك.

وتعيش معها قبائل أخرى وثنية ونصرانية من بينها قبيلة (كونكمبا) النصرانية وهي قبيلة فاسدة متوحشة تعيث في الأرض فساداً وقدشاركت في هذه الحرب بكل شراسة وقسوة ضد المسلمين.

أما سبب إندلاع هذه الفتنة فهي مكيدة من أعداء الإسلام النصارى وتعود

بدايتها إلى ١٢ سنة خلت ، وذلك أن القبائل المسلمة المذكورة - وهم الغالبية في الإقليم - لم تستطع جهود التنصير أن تؤثر فيهم مع ما بذلت من أموال طائلة وإغراءات بالأغذية والملابس للسيطرة على هذا الإقليم وتنصيره. فلجأت إلى أسلوب المكر والتحرش ، وراحت تعبيء قبيلة (كونكمبا) المذكورة وتحرضها على المطالبة بأرض من أراض (داغومبا) المسلمة لتستقل بها. ولما رفض الملك خطط النصارى لهم عملوا على أخذ الأرض قهرا ، وراحوا يجمعون لهم الأسلحة ويدربونهم عليها ، ولما تمت قوتهم هجموا على المسلمين هجوماً شرساً واسعاً ليخرجوهم من الأرض المذكورة بعد احتلالها حتى يبنوا عليها كنائسهم ومدارسهم ، فأحرقوا البيوت والمزارع ، وهدموا المساجد وروعوا النساء والأطفال والشيوخ ، وكانوا يستعملون الأسلحة الحديثة المختلفة. وقد اشترك مع النصارى الوثنيون في القتال ووقفوا بجانبهم ويساعدونهم بالرجال والسهام والسيوف وما لديهم من أنواع السحر اتي يتعاطونها.

حصيلة هذه المذبحة :

وأهم الأحداث البارزة في هذه الحرب أنهم هجموا على ١٥٠ قرية وفعلوا بأهلها ومنازلها الأفاعيل ، ويلاحظ التركيز على هدم وإحراق المساجد على المصلين بها بكل قساوة وعنف ، ويقدر عدد المساجد المحروقة والمهدمة بحوالي ١٠٠ مسجد - حسب الإحصاء الأخير - الذي حصلنا عليه من الحكومة.

ففي قرية (سامبو) دمروا المسجد بما فيه من المصلين ويقدر عددهم بـ ٧٠ شخصاً من بينهم إمام المسجد ، وفي قرية (سوسن) اقتحموا المسجد وقتلوا أكثر المصلين فيه ، وفي قرية (زيزغو) أيضاً أحرقوا المسجد وقتلوا المصلين فيه وكذلك فعلوا (بساباتي ومكييلي) وغيرها من القرى.

وأما عدد البيوت المحروقة والمهدومة فتقدر بستمائة بيت ، أما المزارع التي أحرقت فتقدر بأكثر من ألف مزرعة.

ويقدر عدد الموتى حسب إحصاء الحكومة الأخير بما يزيد عن (٨٠٠٠) قتيل ممن عثر على جثثهم ، ولاتزال فرق التفتيش تواصل عملها لدفن الجثث هنا وهناك.

أما المشردون من اللاجئين فيقدر العدد بـ (٢٠,٠٠٠) شخص ، وقد وصل منهم إلى (تمالي) حوالى (٤٠٠٠) شخص ، أما الشيوخ والأطفال والنساء الذين لم يصلوا بعد فلا يعلم مصيرهم في الأدغال إلا الله.

وأما النازحون لحدود (التوجو) فيدر عددهم بحوالي (٥٠٠٠) لاجىء وهؤلاء اللاجئون يعيشون ظروفاً صعبة جداً من جميع النواحي وحاجتهم ماسة للغذاء واللباس ، ومن بينهم جرحى كثيرون محتاجون إلى علاج وغذاء.

الدعم الحاصل لا يكفي:

وقد حاولت بعض الجهات الإغاثية دعم المسلمين وخاصة المشردين منهم من جمعيات محلية وهيئات خارجية ببعض المال ، لكنه كان قليلاً جداً لا يكفي شيئاً ، ومنها :

١ - المجلس الأعلى للدعوة والبحوث الإسلامية - تمالي.

٢ - جماعة الهدى باكرا.

٣ - مجلس التنمية - بيت الزكاة - الكويتي.

٤ - جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت.

وقد حاول المهاجمون من النصارى والوثنيين احتلال مدينة (ياندي) المسلمة

وحاصروها لأكثر من أسبوع ، وركزوا كل قوتهم عليها ، ولكن المسلمين - بعون الله تعالى - دافعوا عنها ببسالة وردوا الكفار على أعقابهم خاسئين .

وفي هذه الأيام تحسن الوضع وخفت حدة القتال بعدما تدخل الجيش وضرب الوثنين بالطائرات فتراجعوا ، وقد صادر أكثر من (٢٠٠) بندقية حربية (كلاشنكوف) ومدفعية (آر . بي . جيه) وغيرها ، وأعلنت حالة الطوارىء بالمنطقة لمدة ثلاثة أشهر بعد أن سقط من أفراد الجيش عدد غير معروف .

والحقيقة المُرّة هي أن النصارى والوثنيين قد بلغوا هدفهم ، فقضوا على عدد كبير من المسلمين وشردوهم وأحرقوا وهدموا وخربوا مساجدهم ومنازلهم ومزارعهم ، واحتلوا جزءاً كبيراً من أراضيهم

وهكذا فالمسلمون هنا يعانون كما هم يعانون في كل مكان وزمان من مآسي وكوارث من أعدائهم ، فإلى الله المشتكى .

ليس غبياً ومع ذلك مسلم!

قراءة في مذكرات «مراد هوفمان»*

محمد حامد الأحمري

«كانت السيارتان – وهما من طراز «شيفروليه» – قد تصادمتا بمقدمتيهما بسرعة إجمالية تبلغ (٩٥) ميلاً في الساعة تقريباً ، وكانت فرصتي للنجاة من هذا الحادث تعادل تلك التي كان يمكن أن أحظى بها فيما لو أني قفزت من الطابق الخامس في مبنى مرتفع.

وعندما كان الجراح يحاول إعادة وجهي الممزق إلى ما كان عليه ، تساءل بصوت مرتفع عمّا كان عليه شكلي قبل الحادث ، وتمكنت بحركة من رأسي أن أشير إلى أنه يمكنه أن يعثر على جواز سفري في طقم ملابسي المخضبة بالدماء وأخذ الطبيب – لبعض الوقت – يجيل بصره على التوالي بين صورتي في جواز سفري وتقاطيع وجهي الممزقة ، ثم همهم مردداً بأنه يمكنني أن أجري جراحة تجميل بعد بضع سنوات.

وأضاف – بتحفظ – وهو يحقنني بجرعة تخدير في أول ليلة لي بالمستشفى : «يا عزيزي إن المرء لا ينجو في مثل هذه الحوادث! لعل الله قد ادَّخَر لك شيئاً في المستقبل»!.

وبعد تسعة وعشرين عاماً ، أي في ٢٥ (أيلول) عام ١٩٨٠ م استطعت

أن أدرك معنى هذا» (ص ٢٠-٢١).

هكذا يبدأ «مراد هوفمان» مذكراته في سياق ممتع يبهج القارىء المسلم فى زمن قل فيه أن يقرأ شيئاً يفرحه ، والمسلمون يفرحون بهذا النوع من الكتب لأسباب عديدة : أولها فرحة المسلم بمهتد جديد ينقذه الله من النار ، فنفرح له بالهداية والنجاة ، والسبب الآخر أننا نفرح عندما يُعترف بنا ، فنحنُ في عالم النكران والتجاهل ، يصب علينا الرصاص من جانب ، والإعلام الساخر المستهزىء بالمسلمين من جانب آخر ، فإذا سمعنا همسة إنصاف أو اعتراف طرنا بها فرحاً.

وأخيراً فإن المشهور من قصص الذين كتبوا مذكرات إسلامهم أو حياتهم بعد هدايتهم تكشف لنا كثيراً من جوانب عظمة ديننا التي قد لا ندركها ، ولكنها تقدم حلاً لعدد من المشكلات التي يعانونها وعايشوا مرارتها ، وضاقت السبل بهم في البحث عن حل لها ، ثم يجدون في الإسلام خير حل لها. إن في احترام العقل ويقظة الروح واعتدالها عند المسلم الحق وفي مصادر المسلمين السنة ، ما خلب عقل «مراد هوفمان» وهو المثقف القانوني الفيلسوف المتمرس بالسياسة وصاحب الميول الروحية ، لقد جذبه الإسلام بإعجازه الرباني فاندفع له بكل اهتمام وعمق يقين.

يقدم «مراد» قصة التثليث في المسيحية بكل سخرية ، وينقدها ويذكر بعض علماء اللاهوت من أمثال «هانزكونج» الذين بدا لهم أن التثليث خرافة ويتمنى لهم الإسلام إذ يراهم على أبوابه يقفون ، و«كونج» هو مدير معهد الأبحاث المسكونية في «توبنجن» بألمانيا ، وقد اعترف أن الرسول محمد ﷺ نبي حقيقي بمعنى الكلمة ، واشتعل الخلاف بينه وبين رؤوس الفاتيكان الذين يعتقدون «الخلاص فقط في النصرانية» ، وأنه لا أنبياء من خارج الكنيسة.

وقال «كونج» : إن الإسلام طريق حقيقي للخلاص ، وإن الكنيسة لا يمكنها أن تستمر بعد ذلك في إنكار أن محمداً ﷺ المرشد والقائد على هذا الطريق يعد نبياً حقيقياً بكل معنى الكلمة ، ويعتقد «كونج» أن الإنجيل قد بشر بمجيء نبي آخر» (ص ٢٢٣-٢٢٤).

وينقل في نصوص عديدة أنه لو طبق منهج النقد التاريخي على عدد من الأديان لما صمدت للنقد التاريخي ، ولكن الإسلام لا يخشى تطبيق هذه المناهج عليه ، ويتمنى «مراد» لـ «هانزكونج» أن يسلم ، فقد وضع قدميه على الطريق.

إن سعة أفق المؤلف ، وتنوع ثقافته جعلت من الكتاب درساً ثقافياً جيداً وجعلت من عمل المترجم عملاً صعباً ، فقد وفق كثيراً ووقعت له في الترجمة هنات هنا وهناك ، مما لا يعزب عن فطنة القارىء.

وكما أن في الكتاب مناقشات وسيرة حياة ، فإن فيه سيرة قارىء وتجربته مع الكتب والثقافة والشعوب ، فمرة تجدك في بعض الفصول تقرأ عرضاً لكتاب ، وفي أخرى تقرأ نقداً اجتماعياً لمجتمعه الغربي ، ومرة ثالثة في خلاف مع الصوفية ، ورابعة يشيد بأخلاق المجتمع الإسلامي الذي تعمقت فيه أخلاق الإسلام رغم العمل الدائب من أنصار التغريب الذين يحاولون تدمير أخلاق الشعوب الإسلامية ، ويسخر «هوفمن» من هذه الطائفة التي بدأها «أتاتورك» ومسخت أخلاق الشعب التركي وحضارته وأبعدته عن الدين الحق ، ويقص قصصاً مؤلمة لبعد الأتراك عن الدين ، حتى أصبحت الحروف العربية عند الجيل الجديد كالحروف الصينية ، والتي جعلت أحدهم يرد عليه وهو يسأله عن بعض العادات الحسنة في تركيا عندما يطرق الباب ألا يزيد على ثلاث طرقات ، ويبعد يده حتى لا يطرق الرابعة ، فتقول له حماته زكية : «إنها عادة تركية» ولا تعرف أنها سنة الرسول ﷺ ، وكذا الأمانة في البيع وبعض ما ورثه تجار أتراك أصلاء

يعدونه عادة تركية وهي - في الأصل - خُلق إسلامي ، ثم تحدث عن دور الإسلام في إصلاح التجارة ، وأساليب التعامل من خلال إصلاح الإنسان .

«مراد هوفمان» عايش الحقبة الأخيرة من الحرب الجزائرية الفرنسية ، وآلمته مشاهد إحراق الفرنسيين لأحياء كاملة في الجزائر بقنابل النابالم ، وآلمته كلمات جارته في الجزائر لأطفالها - وقد شاهدوا قتل النساء الجزائريات الذاهبات إلى السوق - فقد خففت الأم الفرنسية الروع والهلع الذي استولى على الأطفال من قتل جمع من النساء بلا سبب بأن قالت لهم : «إنهم ليسوا سوى عرب» !!

يقول : بحثت مراراً عن ذلك السر الذي مكن هؤلاء الجزائريين الملتزمين من احتمال كل هذا الاحتقار وسوء المعاملة والعقاب ، وأخيراً وجدت مفتاح هذا السر وأنا أعود لقراءة الآية (١٥٣) من سورة البقرة : **﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾** .

ولا ننسى هنا إعجابه الشديد بأستاذه «محمد أسد» ، وقد ذهب لزيارته في لشبونة وناقشه ، ويرى أنه ما من شخص آخر استطاع خلال المائة عام الأخيرة أن يبز النمساوي «محمد أسد» في إسهامه العظيم في شرح الإسلام ونشره في الغرب (ص ٦٥) ، ويبدو «هوفمان» أقوم منهجاً من أستاذه «أسد» الذي كان مغرقاً في عقلانيته في مواضع عديدة من كتبه ، وله هفوات وغرائب مشهورة ، ولكنها لا تقدح في إسلامه وحسن نيته - رحمه الله - ، وما تركه من أعمال باللغة الإنجليزية تدل على اهتمامه بالقرآن وتفسيره وبصحيح البخاري بخاصة ، وقد ظلمه من شكك فيه ، وكتاباته تحتاج إلى نقد علمي وليس إلى حقد ، ويكفيه وصف «مراد» له وقد أنصفه في قوله «والله أعلم» ، وأما «مراد» فما سبق من تزكية لكتابه فقد كان ذلك في العموم ، ولكنه لم يسلم من هنات في فهمه للدين الإسلامي ولبعض أحكامه ، وقد أشار ودل قوله - في مواضع

من كتابه - على عدم وضوح في الفهم ، مثال ذلك قوله عن الجهاد «إنه لا يعدو في أصله أن يكون جهاداً معنوياً »(ص ١٧٦) ، وكلام له عن الحقيقة الأرحب في نص موهم (ص ١٢١).

وأمثال هذه الكلمة مما يروغ عن التحديد العلمي ، أو تغلب عليه نفسية الاعتذار في بعض المواقع ، والحديث عن فكره وبقية آرائه العقائدية والسلوكية مكانه في دراسة عن كتابه «الإسلام كبديل» الذي خرج بعد هذا الكتاب مدار حديثنا .

لقد أحسنت يا «مراد» كتابة مذكراتك الإسلامية ، ونرجو أن نقرأ قريباً مذكرات أخرى لأفواج من المثقفين وعلماء اللاهوت الذين يسلمون ما بين وقت وآخر ، وقد لاحظ المؤلف عن وعي جوع الغربيين للإسلام ، ولكن عدم وجود قدوة ، حيث لم يسمح للغربيين أن يسلموا ، وهم يبحثون عن دليل مادي عن قدوة يتبعونها ، وأوضاع الفقر والجهل والخوف والفساد والخصام لا تسمح لأحد أن يتبعها إلا قلة ممن يفضلون موقف النبل ، يقول المؤلف : «ومن ثم فقد فضلت موقف النبل المتواضع على موقف الكبرياء الغبي الذي يتخذه اللاأدريون المفترض فيهم الجرأة والاكتفاء الذاتي ، والذين غالباً ما يعيشون في عزلة نفسية جليدية وضيقة ، وبكامل وعيي أسلمت نفسي وفكري لمن هو أكبر من كل كبير« الله أكبر كبيراً»[1](ص ١٢١).

لقد كان «مراد» شجاعاً وجريئاً عندما عرض على مؤتمر الناتو لمديري الإعلام بوزارات الدفاع عام ١٩٨٤ م في «بروكسل» : أن الإسلام فيه حل لمشكلاتهم الدينية والأخلاقية ، وتساءل الحاضرون وهمسوا : هل رئيس المؤتمر جاد فيما يقول أم يمزح ؟!

وأقام لقاءات ومناقشات في الجامعات والتلفزيون الألماني يدعو فيها إلى الإسلام ويصرح بقناعاته ، وفي المؤتمرات الدولية التي يرأسها يخبر معدي الطعام مسبقاً بدينه ، ويحضرون له طعامه وموقعه على مائدة ليس فيه خمر ولا خنزير ، ويتعجب من أحد أثرياء العرب وقد دعاه إلى الخمر فقال له «مراد» : «وأين الله؟!» فرد عليه العربي الذي قال له من قبل إنه من ذرية الرسول ﷺ قال العربي الثري وهو سكران : «لقد تركت الله في المطار! !»[2] ، لقد تجاوز «هوفمان» هذه العقبات والسلوكيات التي تمنع غيرنا من قبول ديننا والتي صنعت حاجزاً بينهم وبين الإسلام ، إن الذين يتعاملون مع الغربيين من المسلمين كثيراً ما يكونون نماذج مكروهة ومنفرة عن الإسلام ، بتهتكها وخلاعتها وانعدام أخلاقياتها ، حتى كان لسان حال الذين ناقشوه يقول : «ليس غبياً ومع ذلك مسلم» (ص ١٧٥) . لقد وصم المتغربون الإسلام بما يليق بهم .

مذكرات (هوفمان) كتاب يناسب عامة المثقفين وتحتاجه - جداً - طائفة المثقفين المخدوعين أو الذين استولت عليهم أوهام العالم النصراني القوي مادياً الذي أفقدنا بريقه ولمعانه القدرة على رؤية الحق الذي عندنا ، إنه نقاش ثقافي يعالج قضية المتطرفين من النصارى في الغرب ، ويعالج مشكلة المتطرفين للنصارى - إلى درجة التشنج - في العالم الإسلامي .

★ صدرت ترجمتها باسم (يوميات ألماني مسلم) ، ترجمة عباس رشدي العماري ، طبع بمركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٣ م ، ويقع الكتاب في (٢٣٨) صفحة .

(١) أشار «هوفمان» إلى قسيسين فرنسيين أسلما مؤخراً (ص ٢٢٤) وإلى قسيس ألماني سوى من سبق ذكره كان يقول : إذا اختلف الإنجيل والقرآن فالقرآن أوثق وهو مقدم .

(٢) (ص ١٣٥) من كتاب الإسلام كبديل.

المرأة بين تفكيرين

إعداد : نورة السعد

لم تعِ المرأة المسلمة بعد أنها الخاسرة في هذه الصفقة العصرية المسماة «تعليم البنات» في كثير من البلدان ، وهي خسارة لم تطلها - وحدها - بل انسحبت بآثارها المدمرة على المجتمع بأكمله . . ماذا جنت المرأة عندما دفعوها دفعاً إلى صعود مراقي التعليم العلماني؟! غير أنها جنت على نفسها وعلى من سواها ؟ لقد أخرجوا المرأة من بيت وليّها : أباً أو زوجاً ، بشتى الحيل وأهونها فكان ذلك بداية المحذورات جميعاً ، وتركت المرأة جهادها الكريم في بيتها وانصرفت إلى نضال مدنّس أو على الأقل ثانوي في الخارج ؛ سعياً وراء تحصيل العلم - بزعمهم - !! وتحقيق الكيان الاجتماعي !! والوظيفة المرموقة ، وباسم العلم والنور والتقدم !! أخرجوا لنا نماذج نسويّة تمرست وتقلبت في معتركات التعليم ومجالات العمل ومسارح الاختلاط المختلفة ، نماذج (رائدة) خلّفَت وراءَها رسالتها وبخاصة هموم البيت ، ومشاكل الزوج والأولاد !! فضلاً عن تخلّي الرجل عن ولايته وقوامته على المرأة ، فلم يعد يأمر في أهل بيته ولا ينهى وانسحبت المرأة من البيت ، وتفككت الأسرة وضاعت المسؤوليات .

لماذا تتعلم المرأة . وماذا تتعلم ؟

تتعلم المرأة لتنير عقلها وقلبها ، وبماذا تنيره يا ترى ؟ بالمناهج الدراسية الرجّالية التي لا تنفع المرأة ، ولا تستقيم مع فطرتها ، ولا مع دورها الحقيقي في

المجتمع ! أم بالمناهج التعليمية - إياها في شتى المراحل - المملوءة بالأفكار اللادينية بل المناوئة للدين أحياناً . . تلك المناهج التي تكرس الازدواجية في الأذهان (تعليم ديني ومدني ، قديم وحديث) وتعرض المفاهيم الدخيلة وتزكيها وتطمس على المفاهيم الإسلامية وتشوهها (لاسيما مناهج التاريخ والتربية والاجتماع ، وخصوصاً مناهج الدين !!).[1]

وما ضرورة الدراسات العليا للمرأة المسلمة ؟ - في كثير من الأحيان - هل حقاً هو التحصيل العلمي !! أم صرعة المساواة مع الرجل ؟ إذن فما الآثار المترتبة على تخريج تلك الأفواج من حاملي الإجازات (العلمية) ؟! أين فاعليتهم الاجتماعية ؟ وماذا قدموا للمجتمع ؟! ماذا قدمت تلك الرسائل الجامعية - في معظمها - غير انتحال أفكار الآخرين واقتباس كلامهم ، وتبني مناهجهم الضالة دون فهم أو تمحيص ؟ حتى أصيب كثير من الرجال والنساء بالخلل العقدي !!

فأجيبوني ما ضرورة الدراسات العليا للمرأة ؟ لاسيما إذا جرها ذلك إلى التغرُّب وحدها ؟! فإن سفر المرأة يعني : سفراً دون محرم ، وإقامة دون ولي واختلاطاً ومنكرات لا تعد ولا تحصى ، خصوصاً في هذا العصر ، وعند فتيات اليوم ، اللاتي لا يبالين بركوب الصعاب ، وخوض غمار التجارب ، برغم قلة الزاد .

وحتى عندما ترافق المرأة زوجها المبتعث إلى الخارج ، يتفتق الذهن التجاري للزوجين في كثير من الأحيان عن فكرة إكمال المرأة للدراسة أيضاً ، لا من أجل سواد عيون العلم ، ولكن تجميعاً للمرتبات (مرتب دراسي هنا ومرتب وظيفي هناك) أما الأولاد فيحصلون على الحشف وسوء الكيلة ، ففوق التغريب يلاقون الإهمال ، فيرمى بهم إلى جليسات السوء (baby setters) والمدارس الأجنبية ، وإلى خضم الحياة الغربية الموبوءة ذاتها .

ويدّعي الجهلة والمضللون : بأن الاختلاط أقل كلفة من إنشاء كليات للبنين وأخرى للبنات ، ولكن ما الداعي - أصلاً - إلى تعلم المرأة لعلوم الذرة والهندسة والزراعة !! والإعلام والصحافة !! والآداب والفنون !! وغير ذلك؟ هل ليستوي الرجل والمرأة ، في الخضوع للغزو الثقافي وغسيل الأمخاخ والتناقضات العقدية ، ولماذا كل هذا الحرص على إخراج المرأة وإفسادها ؟ لماذا تمجّد وتلمّع النماذج الشاذة في المجتمعات الإسلامية من شويعرات ومتأدبات وفنانات ومفكرات ومتحزبات ومستوزرات !! لماذا جعلوا المرأة التقدمية - بزعمهم - تمشي تحت هالة من الأضواء والتعاطف ، وصوروا المجتمع الشرقي المتخلف - كما يحبون أن يطلقوا عليه - يكمن مترصداً وراء الجدار على هيئة رجل ملتح بيده خنجر ؟! هل الإسلام عدو للمرأة ؟! سيقولون لك : لا ، لكن الإسلاميين كذلك ! فالإسلام الموجود بين دفتي المصحف ليس خصماً لهم مادام القرآن مهجوراً !!

ولكن أين هي المرأة المسلمة ؟! هل هي تلك الخيمة المتحركة - كما يدعون- !! المرأة الجاهلة المتخلفة ! تلك التي أورثتها جدران البيت قصر النظر وبلادة الحس ، وسُقم التفكير !! هل هي تلك التي لا تعرف من الحياة سوى الطبخ والنفخ ، «واسكت يا ولد» ، وهات أيها الزوج ؟! أم أنها تلك المرأة العصرية (الواعية) !! التي تتمتع باستقلالية اقتصادية وفكرية !! تلك التي تدفع بأبنائها إلى المدارس الخاصة أو المدارس الأجنبية !! تلك التي تختار بلداً أجنبياً لتمضية الإجازة الصيفية ، لينعم أطفالها «بكورسات» اللغة الإنجليزية ويمارس أفراد العائلة حرياتهم بعيداً عن أعين الرقباء !! تلك الأم العصرية التي اهتدت(!!) إلى تطبيق التربية الحديثة الفذّة فألبست صغيرتها ذات الاثني عشر ربيعاً (!!) «البنطال» و«التي شيرت» وتركتها تقص شعرها كالصبي ، وتمارس الهوايات الرياضية ، وتتلقى دروساً في الموسيقى ، ولأنها تتفوق في الفيزياء والرياضيات الحديثة ، فليس عليها بعد ذلك ألا تحسن شأناً نسوياً واحداً وألا

تعرف من القرآن والدين إلا ما تجتاز به امتحاناً ، دون ممارسة أو تطبيق ، ولماذا تتحجب هذه الفتاة وأمها لا تلتزم كثيراً بالحجاب الشرعي !! ولماذا تتحجب والحجاب مسألة شخصية !! ولماذا تكره على الصلاة ؟ وليس لديها وقت لذلك!! فالوقت مزدحم بالدراسة والنادي والأتاري والفيديو والفسح . . . الخ عندما تبلغ الفتاة سن الرشد فإنها ستختار (أو لن تختار) لنفسها الحجاب والصلاة وبقية الأمور المؤجلة !! أما الآن فالأم تسلح ابنتها بأساسيات الحياة وبما ينفعها حقاً في حياتها العملية !!

هذا جانب من التربية الحديثة التي تفتخر بها الأمهات العصريات في المجالس النسوية ، ويفضلن الحديث فيما أنفقنه على المدارس الخاصة ، ودورات المهارات الالكترونية ، وملابس الصيحات الحديثة ، والسفريات هنا وهناك فسينفقون أموالهم ثم تكون عليهم حسرة .

إن المرأة المسلمة حقاً هي التي بايعت الله ورسوله ﷺ على السمع والطاعة : فصانت نفسها ، وحصنت بيتها ، وجعلت همها الأول في حمل الأمانة التي استحفظت عليها : تربية الأجيال الربانية المحمدية ، وعرفت حق المجتمع عليها ، فانطلقت تتفقه في دينها ، وتدعو قريناتها ، وتنصح لأخواتها .

إنها تلك التي طالبت بنصيبها من الهدي الرباني لما غلبها الرجال عليه فاستجيب لها ، لأنها شقيقة الرجل ، أي شريكته لا نده ، فإن اختلاف الطبائع الجسدية والنفسية ، عند كل من الرجل والمرأة يعني - بالضرورة - اختلافاً حاسماً في الوظائف والأدوار ، وإلا فإنه من المجافي للمنطق أن يخلق الإنسان ذكراً وأنثى دون أن يترتب على ذلك أمرٌ ما .

ولقد خرجت المرأة المسلمة في خير القرون ، مجاهدة في ظل القرآن لكن ذلك لا يعني أنها هجرت بيتها ، وحملت السيف وجالدت الرجال ، فإن النماذج المعروفة لنا لا تمثل صوراً عامة ، لكنها نماذج معدودة فحسب لنساء

مسلمات ، اسهتجبن - بشجاعة منقطعة النظير - لدوافع إيمانية بحتة ، فقد شهدت نسيبة بنت كعب مع زوجها وابنتها أُحداً ، وشهدت أيضاً الحديبية ويوم حُنين ويوم اليمامة ، وشهدت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما اليرموك مع زوجها الزبير ، وشهدت أم سُلَيم حنيناً مع زوجها أبي طلحة ، وابنها أنس بن مالك ، وحمل عبادة بن الصامت زوجه أم حرام معه لما غزا قبرص في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه . . ويتجاهل الكثيرون أن هاتيك النسوة المسلمات ، وعلى رأسهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد شاركت في الأحداث المهمة في عصرهن ، وخُضنَ المعارك ، ومع ذلك كله فلم تكن إحداهن تكلم الرجال إلا من راء حجاب .

إذا كان الرجل نصف المجتمع فإن المرأة هي نصفه وحاضنة نصفه الآخر فهذا الرجل - نفسه - قد تعرض لتربية المرأة أماً وتأثيراتها أختاً وابنةً وزوجاً ، وإذا كان في وسع الرجل أن يتنصل قليلاً أو كثيراً من مهامه داخل بيته ، فإن المرأة لا يسعهامن ذلك أقله ، فهي المربية المدبرة المسؤولة ، شاءت أم أبت ، فإذا صلحت صلح الأمر كله - وإن غاب الرجل - وإذا فسدت لم يُجْد مع ذلك دواء .

إن صلاح الرجل والمرأة ، مرتبط - أساساً - بعودة المجتمع إلى نظام الإسلام ، إنه في بلوغنا القيم الإيمانية التي تجعلنا نحيا في سبيل الله حياة ربانية كاملة ، في أقوالنا وأفعالنا ومشاعرنا وأذواقنا ، وخلجات صدورنا وآفاق تصوراتنا ، وغايات آمالنا ، إنطلاقاً من غاية التربية الإسلامية ومناهجها المبنية على تكوين الفرد الصالح في نفسه المصلح لما استُرّعي عليه . . وقد استُرّعيت المرأة على البيت المسلم الذي يمثل - بحق - نواة مصغرة للمجتمع كله ، بل الحياة بأسرها .

---

(١) انظر د. يوسف القرضاوي - الحل الإسلامي فريضة وضرورة - ط ٣ - ١٣٩٧ هـ - مكتبة وهبة - القاهرة - ص ٤٤-٤٥ .

«قضية الآخر»
في كتابات المثقفين العرب

د. محمد يحيى

أصبحت قضية ما يسمى «بالآخر» تشغل حيّزاً واضحاً في الطروحات الثقافية على الساحة العربية في الآونة الأخيرة ، لاسيما في مجال مواجهة الفكر الإسلامي ونقده ، حيث توجه تهمة رئيسة الآن إلى هذا الفكر بأنه لا يعترف بالآخر ، ولا يفقه التعامل معه ، بل لا يضع قضية الآخر برمتها في الحسبان ويرمى الفكر الإسلامي بهذه التهمة من قِبَل رموز العلمانية على امتداد ساحة العالم العربي الفكرية ، كما تبنى على هذه التهمة اتهامات فرعية ، تتعلق بدعوى ضيق الأفق ، والانغلاق ، والتعصب وما شابه ذلك وتقترن بهذه القضية – أو هذا الطرح – مسائل أخرى ، أصبحت مشهورة ثقافياً في الفترة الأخيرة كقضية التعددية ، والتفاعل الفكري الحضاري ، وإسقاط مفهوم الهوية والذاتية، وتجنب الحديث عن الغزو الفكري والثقافي ، باعتبار أن كل هذه المسائل تعالج قضية الآخر وتحلها ، وفي الوقت نفسه ينشغل بعض المثقفين الإسلاميين بالرد على الطروحات الدائرة في فلك قضية الآخر، بتوضيح انفتاحية الإسلام ، وقدرته على التواصل الحضاري ، وسماحته الدينية ، وعدم تبنيه مفاهيم ضيقة حول الهوية ، والذات . . . الخ .

ولكن في خضم هذه الطروحات والطروحات المضادة ، تغيب حقائق واعتبارات مهمة يغفلها عمداً أو سهواً من أتوا بقضية الآخر إلى الساحة الفكرية

كما إن عدم تعرض من يتصدون بالرد من الجانب الإسلامي لها يضعف من فاعلية دورهم ويجعلها أشبه بالضربات المضادة «الروتينية» التي توجه في لعبة كرة المضرب حتى تستقر الأمور إلي أن يتناول الطرفان الكرة في رتابة ، حتى يسجل أحدهما نقطة ، ثم تعود المباراة إلى وتيرتها ، حتى يسجل الآخر نقطة . . وهكذا ، ومثلما هي الحال في كثير من القضايا الثقافية المطروحة ، ولاسيما في مجال المواجهة بين الإسلام والفكر العلماني ، فإن المطلوب هو كسر حلقة الرتابة في طرح القضية وإدارتها بدلاً من الاندماج الطوعي غير الواعي في داخل هذه الحلقة ، مما ينتهي إلى العقم ، وعدم الجدوى حيث يسجل الطرفان النقاط كل أمام جمهوره ، ويفوز أحدهما في النهاية لكي يواجه الهزيمة في المباراة أو القضية التالية . المطلوب إذن هو الخروج من دائرة التبادل الرتيب للحجج والحجج المضادة داخل حلقة المباراة - القضية المطروحة - إلى فحص وكشف قواعد المباراة ، ومن الذي فرض هذه المباراة - القضية - وحدد أطرها الفكرية؟! والمطلوب أيضاً تسليط الضوء على هذه الأمور الواقعة خارج إطار ساحة اللعب؛ لأن ذلك أكثر فائدة لفهم القضايا ، والتعامل معها ، وكذلك للعلم والوعي بحقيقتها ، وهذا هو المطلوب تجاه قضية «الآخر» برمتها .

لعل أول الأسئلة التي ينبغي أن توضع في هذا السياق هو : من الذي يطرح قضية الآخر ؟ وهو سؤال يفتح الباب لأسئلة حيوية أخرى مثل : ما هو هدف إدراج هذه القضية ؟ ، وهل تطرح هذه القضية بهدف ثقافي محض هو المعرفة المجردة ؟ أم تطرح بهدف سياسي/ ثقافي هو توجيه ضربة ، أو إثارة عقبة أمام تيار خصم ؟ . . هناك سؤال أخطر حول ما الذي يعنيه - بالضبط - من يطلقون مصطلح «الآخر» ؟ وما هي أبعاد القضية وما هي المصطلحات المتصلة بها ؟ . . هذه هي الأسئلة التي يجب أن تطرح قبل الإجابات والحجج والأسانيد التي تثبت أن الإسلام يعترف بالآخر ، ويتعامل معه ويتفاعل ويفكر .

إن مفهوم أو مسألة «الآخر» تستند أساساً إلى تراث أوروبي فكري وفلسفي

بعيد الغور وطويل التاريخ ، فهو متأصل - مثلاً - في النزعة «الإنسانية» أو بالأصح الفردية ، التي غلبت على الفكر الغربي فيما يسمى عصر النهضة وما تلاه من عصور فلسفية ، حيث تضخم إحساس الإنسان الفرد بذاته وشخصيته وكيانه ومشاعره ورغباته وتطوره ومصالحه ، إلى حد أصبح معه هو - وليس الرب أو الإله أو الأمة أو المجموع البشري - محور التفكير والهم الأول والأسبق ، وإزاء هذا التضخم والمحورية للذات المفردة ، وتحولها إلى عالم واسع من الأفكار والمشاعر والرغبات والمصالح تدور حول نفسها في أنانية طاغية أصبح «الآخر» وهو الأفراد ، أو الكيانات ، أو الذوات الأخرى مشكلة أو قضية تفرض نفسها من حيث كيفية التعامل مع هؤلاء ، وتحقيق الذات في مواجهتهم أو على الأقل بتنسيق معهم ، أو دون الدخول في صراع معهم ، أو بالدخول في صراع معهم والفوز في هذا الصراع . . باختصار شديد فإن قضية الآخر نشأت فقط في ظل تضخم وتمدد الإحساس «بالأنا» المفردة ، أو بالذات والكيان والشخصية الفردية إلى حد أصبح معه إيجاد مجال لما هو خارج الفرد أو لما هو غير الذات مشكلة تتطلب الحل ، وتتطلب التفكير في أبعادها ومضامينها .

النزعة الفردية الغربية المسماة أحياناً أو في أصلها «بالإنسانية» هي الرحم الأول الذي ظهرت فيه قضية الآخر ، والتي ظهرت تجلياتها تباعاً في الفلسفات والمذاهب الفكرية الغربية المختلفة حتى العصر الحالي ، ففي فلسفة هيجل المنطقية ، وفي مفهوم الحد والذات غير المطلقة - في كلامه عن النفس والروح والتاريخ - يصبح الآخر ضرورة حتمية تلازم الذات المفردة ، وتحتم عليها التعامل معها ، وإذا كانت الذات والآخر هنا أفراداً أو مفاهيم ، فإن الذات والآخر في فلسفته عن التاريخ تصبح أمماً وجماعات ودولاً يجري التصارع والتناقض بينها على هذه الأسس ، وقد انعكس هذا المفهوم الهيجلي عن الذات والآخر على أفكار ومذاهب سياسية وقانونية كثيرة طيلة القرن التاسع عشر والعشرين ، رأت في غلبة الأنا ، وإطلاقها بالتغلب على الآخر ، أو استيعابه

من خلال «الجدلية» الهيجلية المشهورة ، الحل الأكيد ، والهدف الأسمى الذي تسعى إليه .

والفلسفة النفعية الإنجليزية الشهيرة في منتصف القرن التاسع عشر ، وما تمخض عنها بعد ذلك من مذاهب في علم النفس والاجتماع والسياسة ، وقبل كل ذلك في الأخلاق والسلوكيات ، قدمت هي الأخرى طرحها الخاص لقضية «الآخر» ، أو «الأنا» التي لا يشغلها شيء سوى «حساب اللذة» والحصول عليها بأعظم درجة ، حيث تصبح المشكلة هنا هي كيفية إجراء هذا الحساب للذة والتعظيم للفرد وللأنا في وجه الآخر ، أو بالتنسيق معه وحيث تصبح المشكلة الكبرى في هذا المذهب وما تفرع عنه من مذاهب ليبرالية وبراجماتية ، هي تحقيق مصالح ولذات وسعادة الأفراد والذوات المادية داخل مجتمع مكون من «ذوات» فردية متضخمة الإحساس بكياناتها ، وكل منها هو «الأنا» لنفسه و«الآخر» بالنسبة لغيره ، وتظهر قضية الآخر في مباحث الإدراك المعرفي عند (الظواهرية) في مطلع القرن العشرين حيث رأت هذه الفلسفة أن عملية اكتساب المعرفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بذات العارف الفردية ، التي تسعى لاستكشاف الآخر المعرفي أو النفسي أو الشخصي ، وكذلك تظهر قضية الآخر في بعض الفلسفات الوجودية، ولاسيما في فلسفة (سارتر) ومن لف لفه من الفلاسفة الفرنسيين والأمريكيين وغيرهم ، وهي تظهر هنا على المستوى الفردي البحت حيث يكون هدف الذات المفردة هو «تحقيق الذات» في إطار يكون فيه «الجحيم هو الآخرون» وفق عبارة (سارتر) المشهورة والتي ترى في الآخر (الغريب) الذي ينبغي الدخول في علاقة ما معه ، ولكن فقط في إطار أو سياق تحقيق الأنا لذاتها.

وأخيراً وعلى مدى العقدين الماضيين تبرز قضية «الآخر» في الفكر الأوروبي الثقافي بعامة ، وعلى كل المستويات الفلسفية والاجتماعية وحتى «الأنثروبولوجية» لتعالج قضية الحضارة الغربية في مواجهة المشكلات المترتبة على العهد الاستعماري القديم والإمبريالي الجديد من تعاملات مع شعوب

وثقافات ما يسمى بالعالم الثالث ، ومع الأقليات الكبيرة العرقية والدينية واللغوية والثقافية التي نشأت داخل الدول الأوروبية ثم الأمريكية ؛ بسبب عوامل عديدة كالهجرة والعلاقة الاستعمارية ، وهذا الطرح الأخير هو الذي نقله إلى الساحة الفكرية العربية عناصر النخبة العلمانية في إطار سياستهم الدائبة في المحاكاة والنقل والاستيراد لما يروج في ساحات الفكر الغربي ، وكذلك في إطار استخدام هذه النخبة لأدوات فكرية غربية كأسلحة في حرب المواجهة مع الإسلام ومنهجه.

والخلاصة هي أن مسألة «الآخر» لا تقوم - بل ولا يكون لها معنى - إلا في ظل حالة من تضخم الشعور بالأنا أو بالذات الفردية أو الجمعية أو المعنوية إلى حد تصبح معه علاقاتها مع أي كيان خارجها (الآخر) سواء أكان فردياً أو جمعياً مشكلة من حيث أنه قد يعرقل ، أو يحد من أهم وقائع هذه الأنا أو الذات في تحقيق نفسها بالمعنى الشامل معنوياً أو مادياً ، مما يستتبع أن يكون هناك مشكلة «الآخر» ، وقد تفرقت أنواع الحلول والاتجاهات الغربية في مشكلة الآخر بين ما سمي «بنفي الآخر» أو سحقه والقضاء عليه (وهذا في حالات الصراع بين القوميات ، وبين الثقافة الاستعمارية النصرانية - العلمانية والثقافات المستعمرة) ، وبين محاولات الحوار والاستيعاب بالتعددية على درجات داخل كيان موحد أوسع . . . الخ.

* * * * *

إن المشكلة الحقيقية مع قضية «الآخر» تختلف عن المشكلة التي تواجهنا - نحن المسلمين - مع قضايا فكرية أخرى فرضتها النخبة المتغربة : كقضية العلمانية ، ففي هذه القضايا تكون المشكلة الأولية هي كون هذه القضايا غربية المنشأ أي أنها قضايا تتصل اتصالاً عضوياً لا ينفصم بالسياق الحضاري والثقافي والسياسي والاجتماعي للتجربة التاريخية الأوربية ، حيث إن انتزاعها من هذا السياق وتحويلها إلى مجرد مبادىء نظرية عامة مجردة ذات انطباقية عمومية

يصبح هو المشكلة الأولى التي يتحتم مواجهتها وكشفها قبل الدخول في مناقشات أخرى لتلك القضايا ، أما بالنسبة لقضية «الآخر» - ومع التأكيد أيضاً على خصوصيتها الثقافية السياقية الأوروبية - فإن الوضع يختلف لأن المشكلة الأولية التي تواجهنا معها هي في تطبيقها ، وإدخالها بشكل معكوس من قبل أصوات النخبة العلمانية .

لقد قلنا : إن قضية الآخر تنشأ - أو قد نشأت - في ظروف كان فيها تضخم الذات أو الأنا بمستوياتها المختلفة وأشكالها المتنوعة - فردي ، أو ثقافي أو سياسي/ اجتماعي - يصل إلى حد هائل ، يتحتم معه معالجة وضع «الآخر» بمستوياته وأشكاله المختلفة في إطار عملية تحقيق الأنا لذاتها ، هذا هو السياق الذي ظهرت فيه قضية الآخر في الغرب داخل الإطار الفردي العام للحضارة هناك ، وداخل فلسفاتها من الهيجلية إلى النفعية إلى الليبرالية إلى الوجودية إلى فلسفات الثقافة والمعرفة والنقد الحضاري والأنثروبولوجيا ، ولكن عند نقل هذه القضية إلى الساحة الثقافية العربية نلاحظ أنها تحولت من قضية ذات أبعاد فلسفية/ اجتماعية متعددة ، وذات منظور واسع عميق ، إلى مجرد تهمة توجه ضد خصم ثقافي على سبيل تشويه صورته ، ولفتح الباب أمام توجيه اتهامات أخرى له تشبه السباب الدارج ، ولا تخلو من مسحات الغلو والعصبية كاتهامات التعصب والانغلاق وما أشبه ذلك .

إلا أن الوضع المعكوس الذي أشرت إليه يتجلى في أن تهمة العداء للآخر توجه إلى الذات ، أو الأنا أو الهوية أو الكيان الإسلامي في وقت هو فيه في أشد حالات الضعف والهزال والتراجع ، بل وفقدان الوعي والتماسك ، بحيث إن قضيته الحقيقية ليست في حل مشكلة الآخر ، بل في مجرد ضمان استمرارية ذاتيته وكيانه هو . نحن لسنا أمام ذاتية فردية أو جماعية تعاني من التضخم والغرور والتوسع والابتلاع والاستعلاء المجنون ، كما كانت الحال مع الذاتية الفردية أو الجمعية في عصور النهضة والكشوف الجغرافية وإحياء العلوم

الفلسفية والطبيعية ، ثم عهود ما سمي بالتنوير والفتوح الاستعمارية وتكوين الامبراطوريات والدول القومية الكبرى ، وما صاحب ذلك كله من تأليه للفرد والذات وإخضاع كل شيء - من دين وقيم وشعوب أخرى - لهما وجمعها فيهما ، بل نحن عندما نتحدث عن الذاتية الإسلامية فردية أو جمعية في الفترة الراهنة نتحدث عن ذاتية هي في حالة من الضعف والخمول لأسباب عديدة تاريخية وفعلية - ليس هنا مجال الحديث عنها - بحيث بات يخشى عليها أن تفقد وجودها نفسه - وبالتحديد - من جراء سطوة هذا «الآخر» الذي يجري الحديث عنه كما لو كان هو المهدد من جانب الذات الإسلامية ، نحن لسنا أمام ذات جامحة طامحة ، متوسعة ، عدوانية ، شرسة ، نهمة تمضي لاستعمار الدنيا ، بحيث يصح أن ترفع في وجهها دعوات الحفاظ على «الآخر» من عدوانها واجتياحها ، وبحيث يصح أن تحذر من الدوس على هذا الآخر بالأقدام، والقضاء عليه ونفيه ، أو على الأقل مناصبته العداء .

إن الذات الإسلامية التي ترفع في وجهها الآن تهمة العداء للآخر ورفضه ليست هي الذات الأوروبية الاستعمارية التاريخية ، أو الذات النظرية المصبوغة بالنزعة الإنسانية العلمانية اللتين سعتا وتسعيان إلى محو أو إدماج أو نفي أو استيعاب «الآخر» ، وهذه الذات لم يعرف عنها هذا النزع الإنساني - الاستعماري العلماني أو الصليبي المهدد ، والنافي «للآخر» سواء أكان من ناحية تجربتها التاريخية أو المعاصرة ، أو من ناحية مكوناتها العقدية ، وبصرف النظر عن هذا وذاك فإن وضعها الحالي من التفكك وضعف الإحساس والوعي بالهوية يهددها هي وليس الآخر بالضياع ، وهذا الواقع يجعلنا نفهم التهمة الموجهة لها بالعداء «للآخر» على أنها في حقيقتها ليست تهمة مبنية على تفكير ونظر جدي متعمق في الأمور ، بقدر ما هي تهمة تقوم على تشويه الصورة وتقديم الغطاء لما يتردد الآن بفجاجة في الإعلام الغربي وغيره حول دعوى «الخطر الإسلامي الجديد» و«خطر الأصولية الصاعد» ، وما شابه ذلك من أنواع

الدعاية الإعلامية ، فتهمة العداء «للآخر» لا تكشف عن نظرة جادة لمحتوى الثقافة الإسلامية ، أو لتجربة الذات الإسلامية التاريخية والمعاصرة ، وإنما هي مجرد شعار من شعارات تشويه الصورة والدعاية السوداء ، وإلا لما كان من أبسط الأخطاء أن توضع الذات المتأزمة موضع الذات المستعلية الغربية.

إذن قضية الآخر تبدأ بداية مقلوبة عندما تطرح عندنا ، وهي بداية تخالف تماماً البداية المنطقية والمعقولة والطبيعية لها في سياقها الغربي ، ويكفي أننا لسنا أمة مُستَعْمِرَة أو عدوانية ، حتى تكون لهذه القضية انطباقية علينا من ناحية تهديدنا للآخر ، كما يكفي أننا نحن الذين نتعرض لعداء الآخر ومحاولته نفينا واستعبادنا واستبعادنا.

وهنا يطرح سؤال آخر - من تلك الأسئلة التي لاحظناها فيما سبق - نفسه : فمن هو ذلك الآخر الذي يتهدده الإسلام ويتباكى عليه المتباكون ؟ هل هو الغرب بنزعاته من صليبية إلى استعمارية جديدة وقديمة إلى صهيونية وعلمانية ؟ أم هو غير المسلمين في خارج وداخل البلدان الإسلامية ومعهم النخب الحاكمة والمثقفة (اللادينية) ؟ أم هو اليهودية العالمية والإسرائيلية ؟ وهل هذا الآخر أفراد ودول ، أم أفكار ومذاهب وفلسفات ، أم حركات سياسية واجتماعية ودولية ، أم تيارات اقتصادية ومادية كبرى . . . الخ ؟ ثم من هو الذي يتحدث عن العداء للآخر متباكياً عليه ، وقائماً على حقوقه التي يزعم تعرضها للخطر ؟ إنه نخب وأقليات متغربة ومعلمنة داخل عالمنا العربي المسلم وكأنهم بهذا الحديث المشفق على «الآخر» يهاجمون بني جلدتهم المعترضين متهمين إياهم بالعدوانية والتوسع الاستعماري والجهل الثقافي ، وهل تكون هذه النخب والعناصر قد وضعت نفسها بذلك في زمرة الآخر هذا ، بحيث ينطبق عليها ما تقوله بعض الحركات الإسلامية من أنها انخلعت من ربقة الدين؟

إن البداية الحقيقية للتعامل مع قضية الآخر ، تكون بفهمها وفهم سياقها الحضاري الفكري الأصلي وتتبع هوية وهدف من يطرحونها ، لاسيما وهم

يجعلون من أنفسهم تابعاً لذلك الآخر الذي يتحدثون عنه ، وليس جزءاً أو مكوناً من الأمة الإسلامية التي يوجهون الاتهام إليها ، ولا يمكن أن يكون هناك طرح لقضية الآخر مع تجاهل قضية الأنا أو «الذات» أو الهوية ، وهذا من طبيعة الأشياء المنطقية لأنه إذا جاز لنا أن نتصور وفق المنطق الهيجلي مثلاً أنه لا يمكن أن توجد ذات (غير مطلقة) بدون الآخر ، فإنه في الوقت نفسه لا يمكن وجود آخر - وأيضاً من الناحية المنطقية والفعلية - بدون الأنا والذات ، ولذلك فعندما يصرح بعض عناصر النخبة مثلاً من أن قضية إثبات الهوية الحضارية والعقدية هو أمر بات مرفوضاً وبائداً ، وبأنه لا يجوز الحديث عن الغزو الفكري فإن المرء يستغرب أن يصدر هذا ممن يتحدثون في الوقت نفسه عن احترام الآخر واعتباره والتعامل معه من موقع التفاعل ، وليس العداء ، إذ كيف يكون ذلك إذا كانت الأنا أو الذات (الحضارية الدينية) التي ستقوم بذلك هي عندهم مرفوضة من موقع رفض الحديث عن الهوية والذاتية الثقافية ؟ إن وجود الهوية والأنا الثابتة الواضحة هو الشرط الأول للحديث بعد ذلك عن الآخر وعن أي نوع من أنواع العلاقة معه ، وليس هذا فحسب بل لابد أن تكون هذه الأنا قوية صاعدة ولابد كذلك أن تكون فاعلة داخل ثقافة فردية تعلي من شأن الذات وتجعل من تحققها - أي تحقق الذات - بمعنى بسطها وامتدادها في الزمان والمكان والعمق الحضاري والفني والإشباع والقوة المادية أهم أحد أهدافها ، ولكن عندما تكون الأنا مهددة بالتفتت والضياع وعدم الوجود وعندما لا تتحقق فيها الشروط التي توفرت في الأنا الغربية ، وحتّمت طرح قضية الآخر فإن طرح هذه القضية والإعلاء من شأنها يصبح عملاً مشبوهاً ، وغير منطقي ، ويحق عندئذ توجيه تهمة مضادة من أن هذا الطرح - وبالذات في شكل الاتهام - هو طرح مغرض لا يأتي لوجه الحقيقة - بل لمجرد إحراج الخصم الفكري ، ووضعه في موضع الدفاع بقذفه بالاتهام وراء الآخر ليس لغرض سوى إشغاله بالرد ، أو إحاطة مواقفه بالشكوك والظنون ، وفض الناس من ورائه وقبل كل شيء إجباره على

اتخاذ مواقف يرحب فيها بالأفكار والمذاهب المخالفة وإلا تعرض لتهمة أنه ينفي الآخر ويعاديه.

ولا يمكن كذلك طرح قضية الآخر بإلحاح وخطورة وفي شكل الاتهام الحاد في ظل وضع تتعرض فيه الذات أو الأنا أو الهوية إلى عدوان مستمر وشرس من جانب ذلك الآخر ضد كل مظاهرها، سواء أتخذ هذا العدوان شكل الغزو الفكري، أو الاجتياح الإعلامي أو الهيمنة السياسية والاقتصادية أو الهجوم العسكري المباشر، أو حتى الإبادة والإفناء، كما يحدث الآن على امتداد ساحة العالم الإسلامي.

إن الآخر هو الذي ينبغي أن يوجه إليه النصح والتحذير بأن ينهي عداءه ونفيه للأنا (وهي تعتبر الآخر بالنسبة له) قبل أن توجه للأنا الضعيفة والمحاصرة تهمة العداء للآخر، والحق أن طرح تهمة العداء للآخر بهذا الشكل المعكوس يكشف غرضاً آخر من أغراض الإلحاح عليها من جانب النخبة ألا وهو الإرهاب الفكري وتمييع المواقف الإسلامية، فتحت شعار التفاعل والتقارب مع الآخر والتعرف عليه يجري الإلحاح على كبت وإسكات العديد من المواقف والأحكام الشرعية بحجة أنها تعادي الآخر، وتعوق التعامل معه، وتشعره بالحرج وحتى تشوه صورة الإسلام لديه، ومنها قضايا الجهاد والحكم الإسلامي ورفض الربا، وأحكام المرأة والأسرة، بل وحتى الموقف الشرعي من عقائد النصارى، وسلوك اليهود.

وبنظرة فاحصة إلى الواقع نجد أن الطرح الفعلي لقضية الآخر في عدد من البلدان العربية، قد فرض بالفعل من أجل هذا الهدف دون غيره، حيث يقال من جانب عناصر النخب العلمانية: إن الطروحات الإسلامية في المجال السياسي والاجتماعي ينبغي تغييرها لأنها تسيء إلى الآخر - وهو هنا الغرب والدوائر السائرة في ركابه - وهكذا يصبح مفهوم الآخر هنا ذا طبيعة قمعية واضحة فالآخر هو الكيان الحضاري المخالف الذي تصبح للعلاقة معه أولوية

قصوى تفوق حتى أولوية أن يكون للذات أو للأنا وجود مستقل ، أو أن يكون لها حوار مع نفسها هي أولاً . إن الآخر وفق هذا المفهوم يصبح هو الكيان الأكثر أهمية من الذات التي يتحتم أن تضحي بنفسها ، أو تعدل من طبيعتها ؛ لكي تتوافق معه وتندمج فيه ولا تغضبه !! وهكذا تنقلب قضية العداء للآخر من معناها الظاهر إلى النقيض ، فالمطلوب ليس تخفيف الغلواء ضد الآخر ، بل الاندماج فيه تدريجياً ، والتوافق معه تحت شعار إقامة العلاقة معه والتكيف والتفاعل في ظروف تكون فيها الذات الحضارية ضعيفة ، ويكون الآخر عدوانياً متوسعاً ولا يقبل بأقل من الاستيعاب والهضم ، وليس غريباً - والأمر كذلك - أن يتوافق طرح قضية الآخر مع فرض ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، كأحدث طروحات الغرب لتحقيق الهيمنة العالمية على كل الأصعدة .

إن تعاملنا مع القضايا الفكرية التي تطرح ينبغي أن يسير على الخطوط التي سعينا إلى رسمها هنا من التعمق في الخلفيات والأهداف المرغوبة ، وحقيقة المفاهيم المطروحة والسياقات الحاكمة بدل الانشغال بتبادلات سطحية للحجج لا تغني ولا تفيد .

تعريف

بأنشطة المنتدى الإسلامي

في العدد قبل الماضي سبق التعريف بالمنتدى الإسلامي وأنه أحد مراكز أهل السنة والجماعة، يسير على منهجهم ، ويدعو إلى أصولهم ، ويذكّر بطريقتهم السلفية الخالية من الغلو والانحراف ، وهو يستقبل - وبكل ترحاب - أي مسلم مهما كان لونه أو جنسه .

ووضحنا في تقرير موجز ألواناً من الأنشطة الدعوية والثقافية والمشاريع الخيرية ، التي تمت بعون الله ثم بدعمكم ومؤازرتكم والتي لاتزال بحاجة إلى ذلك الدعم ، انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ ، وكانت - ولله الحمد - محل إعجاب وتقدير القراء والمتابعين لأنشطة المنتدى .

وقد رأينا البدء بإيضاح المزيد من التعريف لكل مشروع على حدة تحدثا بنعمة الله ، سيكون الحديث هنا أولاً عن مشروع كفالة الدعاة وبرامج تعيينهم ، ثم بيان لبرنامج شهر رمضان المبارك الماضي ، وكذلك تفصيل لمشروع مكافحة العمى بدولة تشاد ، بالإضافة إلى بيان إجمالي لمشروعات المنتدى القائمة والمستقبلية .

اولا - مشروع كفالة الدعاة وبرامج تعيينهم

وإيماناً من المنتدى الإسلامي بعالمية رسالة الإسلام ، فقد تم افتتاح عدد من المكاتب الفرعية للمنتدى الإسلامي في بعض الدول وتعيين مندوبين يتابعون

أنشطة المنتدى في دول أخرى ، وبعد طول بحث ودراسة رسمت خطة العمل وحددت الأهداف والوسائل ، وذلك من أجل أن يكون العمل - إن شاء الله - عملاً مدروساً ، معروفة أبعاده ومعالمه ، بعيداً عن الإرتجال والعشوائية .

تم تعيين خمسمائة من الدعاة في عدد غير قليل من الدول الأفريقية والآسيوية مثل : كينيا ، أوغندا ، الصومال ، أثيوبيا ، الأوجادين ، السودان تشاد ، مالي ، النيجر ، نيجيريا ، غانا ، التوجو ، بنين ، السنغال بنجلاديش ، باكستان ، الفلبين ، أندونيسيا . . . ليكون ذلك - إن شاء الله تعالى - إسهاماً في نشر منهج السلف الصالح .

ويخضع تعيين الداعية لشروط عدة من أهمها :

١ - سلامة المنهج معتقداً وسلوكاً . ٢ - الكفاية العلمية . ٣ - الكفاية الدعوية .

وقد وضعت برامج دعوية يومية لكل داعية يسير في عمله بناء عليها وتشمل هذه البرامج :

١ - حلقة واحدة على الأقل لتحفيظ القرآن الكريم .
٢ - دروس ومحاضرات عامة .
٣ - دروس ومحاضرات في المدارس والتجمعات العامة .
٤ - جولات دعوية في القرى المجاورة ، وغيرها .

ثم تتم متابعة الداعية عن طريق المشرف الدعوي في المنطقة نفسها ، وعن طريق إرسال تقارير شهرية إلى اللجنة المختصة بذلك .

ويحرص المنتدى الإسلامي على رفع الكفاءة العلمية الشرعية والدعوية لهؤلاء الدعاة عن طريق الدورات العلمية الشرعية والملتقيات الدعوية والإمداد بالكتب والمراجع ونحوها .

تكلفة كفالة داعية :

يقدم المنتدى الإسلامي راتباً شهرياً لكل داعية ، ومقدار هذا الراتب يخضع في أغلب الأحوال لمستوى المعيشة في بلد الداعية ولمؤهله العلمي ومدى الجهد الذي يقدمه ، وبشكل عام تتراوح الرواتب بين ٦٥ - ٢٤٠ دولار ومتوسط المرتبات كما يلي :

متوسط كفالة الداعية ١٠٠ دولار شهرياً
و ١,٢٠٠ دولار سنوياً

الكفالة تشمل : المكافأة الشهرية بالإضافة إلى مصاريف الجولات الدعوية التي يقوم بها الداعية من نقل ومأكل ومسكن . . . الخ .

ثانياً - برنامج شهر رمضان المبارك

بفضل الله تعالى تمكن المنتدى الإسلامي من القيام بتنفيذ برامجه المعدة لشهر رمضان الماضي ، وذلك من خلال برنامج (تفطير صائم) صاحبتها الأنشطة العلمية والدعوية والتعبدية ، حيث تم بعون الله عز وجل إعداد (٦٧٧ , ٣٢٦) وجبة إفطار وعشاء بتكلفة إجمالية قدرها (١٨٧,٣٥٧) دولار خلال هذا العام .

ولقد حرص المنتدى الإسلامي أن تكون المناطق المستفيدة من البرامج هي الأكثر فقراً والأشد حاجة كمواقع اللاجئين المسلمين في كثير من البلدان كالصومال وبنجلاديش وليبريا ، ولقد تمت إقامة سنة التراويح والقيام والكثير من الخُطب والمحاضرات والندوات والدروس التي تصحح العقيدة وترفع الجهل عند العامة وتفقههم في أمور دينهم المختلفة وبالأخص في أحكام الصيام والقيام والاعتكاف وزكاة الفطر ، وذلك عن طريق دعاة المنتدى الإسلامي الموجودين في تلك البلدان .

ولقد كان لهذا البرنامج أكبر الأثر في نفوس الناس ونفع الله به خلقاً كثيراً وبالأخص في جوانب العقيدة وأحكام الدين ، فلله الحمد والمنة.

وستجد - أخي القاريء الكريم - أدناه جدولاً يبين البلدان المستفيدة من المشروع وعدد الوجبات في كل بلد والتكلفة بالدولار.

جدول مشروع إفطار صائم لعام ١٤١٤ هـ

م	المبلغ الإجمالي	عدد الوجبات	التكلفة بالدولار
١	كينيا (اللاجئون الصوماليون)	٣٥,٩٧٣	١٩,١٦٦
٢	السنغال	٥,٠٠٠	٩,٣٣٣
٣	بنجلاديش :		
	أ - البنجلاديشيون	١٠,٠٠٠	٥,٣٣٣
	ب- اللاجئون البورميون	٩٠,٠٠٠	٤٨,٠٠٠
٤	غانا	٦٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠
٥	نيجيريا	١٠,٠٨٩	٨,٠٧١
٦	أثيوبيا	٨,٣٣٣	٦,٦٦٧
٧	أندونيسيا	٢١,٥٠٠	١١,٤٦٧
٨	الفلبين	١١,٦٦٧	٩,٣٣٣
٩	السودان	١٢,٥٠٠	١٣,٣٣٣
١٠	أرتيريا	٣,٨٤٦	٦,٦٦٦
١١	الصومال	١٠,٠٠٠	٥,٣٣٣
١٢	مالي	٨,٧٥٠	٩,٣٣٣
١٣	أوغندا	٤,٨٨٦	٣,٩٠٩
١٤	تشاد	٦,٠٠٠	٤,٠٠٠
١٥	ليبيريا	٥,٣٣٣	٥,٣٣٣
١٦	ساحل العاج	٢٢,٨٠٠	٦,٠٨٠
	إجمالي المصروفات	٣٢٦,٦٧٧	١٨٧,٣٥٧

ثالثاً - برنامج مكافحة العمى في تشاد

بفضل من الله تعالى قام المركز الإسلامي في السند بتنظيم برنامجه الطبي (برنامج مكافحة العمى) في جمهورية تشاد بالتعاون مع المنتدى الإسلامي الذي تولى مهمة الإعداد والتنسيق والإشراف للبرنامج ، ومع جماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد التي زودت البرنامج بالطاقة البشرية العاملة في حقل الأمن والتنظيم والنقل والتغذية .

وقد استمر البرنامج الطبي خمسة أيام أنجز خلالها ما يلي :

١ - الكشف على ما يزيد عن خمسة آلاف مراجع .

٢ - صرف الأدوية اللازمة للمراجعين .

٣ - صرف النظارات الطبية للمحتاجين وقد تجاوزت (١,٥٠٠) نظارة .

٤ - إجراء (٣٧٨) عملية جراحية للمصابين بالماء الأبيض الذي يؤدي إلى فقد البصر ، وكانت جميع العمليات - بحمد الله - ناجحة وموفقة .

وكان الفريق الطبي العامل في البرنامج مكوناً من ثمانية أطباء واستشاريين وأربعة عشر فنياً .

وقد رافق البرنامج الطبي برنامج دعوي متكامل شارك فيه ما يقارب (٤٠) داعية ، وتضمن :

١ - إلقاء المحاضرات العامة في العقيدة والشريعة على جميع المراجعين في المستشفى .

٢ - تنظيم الحلقات التعليمية للمرضى لتعليمهم أمور دينهم .

٣ - إقامة المحاضرات والندوات العامة في مساجد العاصمة (أنجمينا) ومنتدياتها .

٤ - توزيع كميات كبيرة من الكتب والأشرطة باللغتين العربية والفرنسية وقد شمل هذا التوزيع جميع المرضى والمراجعين والمشاركين ، وكذلك المساجد والجمعيات الإسلامية والمكتبات العامة .

٥ - إقامة مسابقة القرآن الكريم التي كانت على خمسة مستويات تبدأ من حفظ القرآن كاملاً وإلى حفظ خمسة أجزاء ، وقد شارك فيها ما يزيد على (٤٠) شخصاً.

٦ - إقامة مسابقة السنة التي كانت على أربعة مستويات ، وقد شارك فيها قريب من (٣٠) شخصاً.

٧ - إقامة دورتين دعويتين شارك في كل منهما نخبة من الدعاة ، وكانت فترة إقامة كل واحدة ثلاثة أيام ، وكان عدد المستفيدين من الدورتين (٥٠) داعية.

٨ - توزيع بعض الكتب المنهجية على المدارس العربية.

٩ - نفذ المنتدى الإسلامي خلال البرنامج مشروع العقائق الذي تم فيه ذبح (٢٠٠) عقيقة وزعت لحومها على الفقراء والمرضى وطلاب العلم المحتاجين.

هذا وقد كان فرح الناس بهذا المشروع عظيماً ، كما أنه ولأول مرة يقام في تاريخ تشاد كلها برنامج طبي بهذا المستوى الكمي والكيفي على أيدي أطباء مسلمين ، وشعر الناس بالفارق العظيم بين هذا البرنامج والبرامج الطبية التي تقيمها المنظمات التنصيرية التي تأخذ من الدعاية أكثر من حجمها بكثير.

لذا فقد كان غيظ الأعداء من البرنامج كبيراً مما حملهم على وضع العوائق دون إقامته والعراقيل التي تقلل من نفعه أو أثره ، ولكن الله سبحانه سلم فباءت محاولاتهم بالفشل ، وأثبت البرنامج بجدارة نجاحاً منقطع النظير.

وكان هذا البرنامج فرصة طيبة لأن ينفذ الدعاة بما عندهم من علم إلى الناس إذ العلم صار مقروناً بالعلاج والدعوة مصحوبة بالطعام والهدى بالهدايا. لقد تعرف الكثيرون على أركان الإسلام والإيمان بعد أن لم يكونوا يعرفونها.

ومع كل هذا فقد خرج عشرات العميان مبصرين بعد أن ذاقوا مرارة العمى عشرات السنين يضجون بالدعاء ، ويلهجون بالثناء لكل من كان سبباً في عود أبصارهم إليهم ، وقد أسلم - ولله الحمد - (٢٣) نصرانياً.

فالحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً وباطناً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الهم الأدبي

تركي المالكي

الإنتاج الأدبي الإسلامي المعاصر لا يكاد يمثل غير رَف واحد مضيء في مكتبة متخمة بالإصدارات ، مسترخية على مد البصر من الأرض طولاً وعرضاً . . ومايزال النص الأدبي الذي تنبض في جنباته ومضات الخيال وفجاءاته وجماله ووقده المعنى وخلوصهُ من غبار التهويمات المصادمة لجوانب من الرؤية الإسلامية . . مايزال حجم هذا النص وعمقه غير متوازن مع هدير هذا البحر الممتد في طول العالم الإسلامي وعرضه من العائدين إلى حياض الإسلام بعد طول غياب ، بالرغم مما تحقق في السنوات الأخيرة وبخاصة في ميدان النصوص الشعرية .

إن ركن الأدب في المكتبة الأدبية المعاصرة يكاد يمثل جانباً من المنجز الغربي الذي نجح في بناء عقل ثقافي لا يرى إلا من خلال (العيون الزرق)! ويُعجب حتى بالديدان التي تم (تعميدها) في بطون أصحاب البشرة البيضاء والشَعَر الأشقر! مثلما يقبل كل الأقواس الغربية من الرومانسية إلى (ما بعد الحداثة) ، لكنه يصاب بالشلل حين يرى قوساً إسلامياً واحداً ولو كان القوسَ الأخير الذي يُبقي الإنسان في أحسن تقويم .

ولو فتشت في عالم الرواية العربية – مثلاً – عن نموذج واحد مشرق يمكن أن يكون معبراً عن شخصية الإنسان المسلم وهويته الحضارية في أبعادها المختلفة أو معالجاً بعمق لمشكلاته الحقيقية ، لجف عزمك في طريق البحث الذي لا ينتهي

بينما يزدحم الطريق بنماذج الكادحين الذين يصارعون الفقر ويحاولون صناعة الفجر الشيوعي الكاذب ، أو أولئك الذين يسكنون (شقة الحرية) وينقلون ما تضج به من العلاقات الغرامية مع التفصيل الذي يلاحق الحركة والكلمة حتى يجسم الصورة في خيال القارىء بكل تفصيلاتها! ويصفون التنقل في عالم المبادىء المزيفة حتى وهو يتم - أحياناً - بحسب فتاة الغلاف التي تفتح الطريق لقبول الدعوة أو تغلقه !! .

وبين جبال الرماد هذه تكاد تختفي تلك الجمرات المعدودات من أمثال روايتي (الثعابيني) و(ملكة العنب) ، فلا يُحس بها أحد ، وهي التي تحمل نسغ الجمال ملتحماً بهم صادق ، تجري دماء الأمة الحقيقية في عروقه .

من هنا يصبح الهم الأدبي - لزاماً - بعضاً من خارطة الهموم الثقافية للخطاب الإسلامي ، وهل يمكن لدعوة إسلامية أن تهمِّش البعد الأدبي أو تلغيه من اهتماماتها وتحتفظ مع ذلك بمسيرتها الإصلاحية في بقية أبعاد الإنسان الحضارية؟ . . أظن أن ذلك غير مقبول في المنهج الإسلامي من جهة ولا ممكن التحقق في الواقع الإنساني المعاش من جهة أخرى ؛ لأن الهاجس الأدبي والشوق إلى رواء الجمال وعذوبته جزء من البناء النفسي في الإنسان يغذوه الأدب الحقيقي ويعمقه ، ولا تكاد تكتمل الشخصية الإنسانية إلا به ، فضلاً عن بقاء الكلمة سلاحاً متعدد الاستخدامات في الصراع الطويل بين الحق والباطل .

فهل تكون (مجلة الأدب الإسلامي) التي صدر عددها الأول قطرة في أول الغيث ، تقدم النص الفني الجميل ، ملتحماً بالرؤية الإسلامية ، بعيداً عن أدب الأعطيات من جهة ، ونصوص الترجمة لمتاهات الفكر الغربي المقدَّمة في أشكال فنية جميلة من جهة أخرى؟ .

نرجو أن تكون كذلك ونطمح أن ينهمر من بعدها القطر .

مشروعات المنتدى القائمة

م	المشروع	العدد
١	كفالة الدعاة	٥٠٠ داعية
٢	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٤١٨ حلقة (١٢,٤٥٠ طالب وطالبة)
٣	القوافل الدعوية	١٨ قافلة
٤	الملتقيات الدعوية	١٨ ملتقى
٥	الدورات الشرعية	١٥ دورة
٦	المساجد	١٣٥ مسجد
٧	الآبار	٦٥ بئراً سطحية ، ٢ بئر إرتوازية
٨	المدارس	٢٧ مدرسة (٤,٧٥٤ طالباً وطالبة)
٩	المراكز الإغاثية	٢٥ مركزاً (١٢,٢٠٠ شخص يومياً)
١٠	إفطار صائم	١,١٣٦,٦٧٠ وجبة إفطار (في ٢٣ دولة)
١١	إصدارات المنتدى الإسلامي	١٨ كتاباً

وهناك نشرة (المنار) باللغة الإنجليزية تعنى بالتعريف بالإسلام وبيان محاسنه ، وطباعة الكتب المترجمة وتوزيعها ، وحملات الحج والعمرة ، وبناء خلاوي تحفيظ القرآن الكريم ، والإغاثة العامة ، ومراكز الخياطة . . . الخ .

وقد زكى المنتدى الإسلامي مجموعة من العلماء على رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود ، وفضيلة الشيخ صالح الحصيّن ، حفظهم الله تعالى .

للمساهمة في مشروعات المنتدى

م	نوع النشاط	متوسط التكلفة بالدولار
١	كفالة الدعاة	١٠٠ شهرياً ، ١,٢٢٠ سنوياً
٢	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٨٠ شهرياً ، ٩٦٠ سنوياً
٣	ملتقى دعوي إقليمي	٨,٠٠٠
٤	دورة شرعية متخصص	٥,٣٠٠
٥	دورة شرعية محلية	١,٣٥٠
٦	قافلة دعوية	١,٣٥٠
٧	معهد إعداد دعاة (٩٠ طالباً)	١٣٣,٠٠٠ إنشاءات ، ٣٢,٠٠٠ تشغيل سنوي
٨	تشغيل مدرسة (٣٠٠ طالباً)	٢,٣٥٠ شهريا ، ٢٨,٢٠٠ سنوياً
٩	بناء مسجد	من ١٣,٠٠٠ إلى ٤٨,٠٠٠
١٠	مكتبة عامة كبيرة	١٢,٠٠٠
١١	مكتة عامة متوسطة	٣,٥٠٠
١٢	مكتبة عامة صغيرة	١,٧٥٠
١٣	مكتبة طالب علم جامعي	٦٠
١٤	مكتبة طالب علم غير جامعي	٥٠
١٥	الصدقة الجارية*	غير محددة

أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، فتوى بجواز دفع الزكاة للمنتدى الإسلامي برقم ١٢٦٢٧ وتاريخ ١١/ ٢/ ١٤١٠ هـ.

ملحوظة : أخي الكريم ، ما زاد عن تبرعك فسيصرف في مشروع مماثل ، وما نقص فسيكمل من تبرع غيرك.

* يهدف مشروع الصدقة الجارية إلى إيجاد أوقاف ومشاريع استثمارية عقارية دائمة يكون عائدها دعماً لأنشطة المنتدى ومشاريعه الدعوية.

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

على صوت مدافع الصرب وهي تقصف مدينة «غوراجدة» يتم تصميم مخطط التدخل العسكري في المنطقة الجغرافية المرشحة لاحتضان العدو القادم .. تلك التي يلونها الدين الإسلامي وإن تباينت فيما عداه.

هكذا تفكر النخب السياسية الغربية من روسيا إلى أمريكا ، بالرغم من اختلاف الرؤى وصراع الأطماع فيما بينها.

ويبقى حل مأساة البوسنة مرتبطاً بإبقاء النزيف محصوراً في المنطقة المحددة ، إذ لو تعداها لاختلطت الأوراق بصورة قد تفسد جوانب من خطط استراتيجية أبعد مدى في الزمان والمكان ، لذا فإنه لا مانع من تقديم المهدئات ذات الصوت الضخم إعلامياً والأثر الهزيل واقعياً.

إن لنا أن نطرح هنا سؤالاً صغيراً بحجم هذه الكلمة الصغيرة : ماذا بقي للجوقة الإعلامية في العالم العربي من شروحات وتحليلات كي تقدمها وتفسر بها إغراق الأصوليين (زعموا) في وهم ضخم اسمه «نظرية المؤامرة» !؟

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

أما آن للسيوف أن تغمد ..!

رسالة لإخوة الجهاد في أفغانستان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد ..

حينما انطلقت شعلة الجهاد الأولى ولم يُلق أحد لكم بالاً، بل عده بعضهم طيشاً وتهوراً، فكيف يستطيع همج رعاع من رجال البوادي والجبال أن يقفوا أمام قوة نووية كبرى.. ؟! وما هي إلا أشهر يسيرة حتى سارت الركبان بأخبار انتصاراتكم وبطولاتكم، التي أدهشت جميع المراقبين والمحللين وأصبحت الشغل الشاغل للساسة والإعلاميين ورجال الاستخبارات.

كانت هذه الشعلة المباركة روحاً جديدة سرت في العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه، دبت الحياة في نفوس كثير من المسلمين، فراية الجهاد التي ظلت منكسة عقوداً متتابعة في ظل أنظمة العجز والتبعية، شمخت بكل إباء وشمم على ربى أفغانستان، لتثبت للعالم أجمع أن الإسلام لازال حياً، ولازال قوياً قادراً على العطاء. التفت جموع المسلمين على رايتكم، وتقاطر الشباب من كل مكان إلى أرضكم، يتربى على روابيكم وجبالكم، تاركاً وراءه النساء والأولاد والأموال ومن حبسه العذر منهم، ظل قلبه معلقاً بكم، تحدثه نفسه بالجهاد يوماً بعد يوم.

كل انتصار لكم كان يهز قلوب المسلمين، ويزيد من حميتهم وأملهم في الله العظيم، فقد أصبحتم ملء بصر العالم وسمعه، وأصبحتم «قضية المسلمين الأولى».

ألوف من الشهداء نحتسبهم عند الله تعالى . . ألوف من الجرحي والمعاقين . . ألوف من الأيتام والأرامل . . لقد كانت التضحيات جسيمة ، والأرواح العبقة الطاهرة التي نحسبها استشهدت في سبيل الله ما كانت في يوم من الأيام عقبة تحد من عزائمكم ، بل كانت حادياً إلى مزيد من العطاء والبذل والتضحية ، ومازالت تلك القبور المتناثرة على الهضاب والجبال رمزاً من رموز الشهامة والكرامة ، ومازالت تلك الدماء الزكية تلون الصخور ورؤوس الجبال بأزهى الألوان وأعطرها .

كنا نسمع أخبار الشهداء وتضحيات الأبطال ، ثم نرى دموع الشباب ، بل والشيوخ تتساقط شوقاً إلى الشهادة ، كلهم يتمنى أن يكون ذلك الشهيد . ثم . . كانت الثمرة – بحمد الله وفضله – نصراً مؤزراً ، حينما سقطت كابل بأيدي المجاهدين ، وتفرقت فلول الشيوعيين ، وتعالت تكبيرات المسلمين فرحاً بنصر الله تعالى ، وجاء البشير يعطر أسماعنا بهذا الفتح المبارك ، حتى أصبحت آثار السعادة والفرح تُرى على الوجوه ، وضجت مساجد المسلمين بالدعاء والثناء على الله ، وحمده والشكر له .

بدأت جموع المهاجرين في بيشاور وغيرها تحزم الأمتعة ، وتعود إلى وطنها فرحة بنصر الله ، استيقظ الأمل في نفوسهم ، فما أحلى العودة إلى الدور التي هجرت ، والمزارع التي أقفرت . . فضلاً عن حنين الصبية الذين ولدوا في المهجر يشدهم إلى المنزل الأول الذي طالما سمعوا عنه من آبائهم وأمهاتهم . نعم فتحت كابل وتحررت من أسر الشيوعيين ، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك ؟!

هل قامت دولة الإسلام الموعودة ، وحكمت بالكتاب والسنة . . ؟! هل ارتفعت راية التوحيد ، وتساقطت رايات الجاهلية . . ؟ هل اندحر الشيوعيون والعلمانيون والنفعيون ، وشمخت رؤوس الموحدين الأبرار . . ؟! هل تساقطت الأحزاب والتجمعات القبلية ، واجتمع الناس على كلمة سواء . . ؟! هل رسم المجاهدون خططهم لترسيخ الإسلام في بلادهم ، وتعليم الناس أصوله وقواعده

العامة . . ؟! هل ضمدت الجراح ، وجفت الدماء ، وبدأت رحلة الإعمار والبناء . . ؟! هل . . وهل . . أسئلة تتلاحق ، ولكن إجابتها جميعها مع الأسف الشديد واحدة لا تتغير : لم يحدث شيء من هذا على الإطلاق . . !!

إذاً ما الذي حدث . . ؟! تحولت مدافع المجاهدين إلى إخوانهم يقتل بعضها بعضاً ، ويسفك بعضهم دماء بعض . . ! بنيت تحالفات جديدة مدارها على المصالح الحزبية ، والمنافع القبلية . . ! أصبح المتصارعون لا يجيدون إلا لغة الرصاص . . والتدمير ! . . كان النداء الكريم الذي يشحذ الهمم ويقوي العزائم هو : الله أكبر . . الله أكبر ، ولكن أخشى أن نداء الغنيمة أصبح أرفع صوتاً . . !

لم يستطع الشيوعيون أن يعتدوا على المساجد خوفاً من غضبة الشعب أما صراعات الإخوة فقد وصلت إلى المساجد فدمرت بعضها . . !! عند ذلك عادت فلول المهاجرين تحمل متاعها ثانية هاربة من كابل ، ولكنها هذه المرة لا تهرب من الشيوعيين ، بل من تقاتل «المجاهدين»!!

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على الحرِّ من وقع الحسام المهنَّد

عاد الشيوخ والعجزة والنساء ثانية إلى مهاجرهم ، بقلوب امتلأت خيبة وحسرة وإحباطاً . . أهذه ثمرة الجهاد التي نتطلع إليها . . ؟! أهذا هو ثمن النفوس الزكية والجراحات الندية . . ؟! أهذا هو ثمن الدموع والدماء والأشلاء المتناثرة هنا وهناك . . ؟! أربعة عشر عاماً من اللأواء والعنت وألوان المصاعب والأهوال . . أتضيع وتتآكل أمام النعرات القبلية والأهواء الحزبية والحظوظ الشخصية . . !

أيها المجاهدون :

كنا نتابع أخباركم يوماً بيوم ، وننصت سامعين لمن يُحدِّثنا عن أحوالكم وانتصاراتكم بكل فخر ، وتلهج ألسنتنا بالدعاء لكم ، ثم ها نحن اليوم نستحي ونتألم حينما نسمع صراعاتكم وتنافسكم على اقتسام السلطة . . إي والله

نستحي لأنكم أصبحتم مادة لسخرية العلمانيين وتهكمهم . . !

لقد حاول كثير من الإعلاميين استغلال هذا الحدث لإثبات فشل تجربة الجهاد الأفغاني برمته ، بل أرادوا التسلق بذلك إلى القدح في كل عمل إسلامي في أي مكان كان . . !

والذي ينبغي تأكيده أن للجهاد الأفغاني فوائد إيجابية كثيرة ، وكثيرة جداً، منها إحياء تلك الفريضة التي أريد إماتتها في النفوس قروناً طويلة ، وظهر أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة تُهاب متى ما استغلت مشاعرهم الإسلامية وقادهم أناس صالحون مصلحون ، وإثبات أن ديننا الحنيف هو الطريق المستقيم لإعادة مجد القوة والمنعة لأمتنا ، ولا طريق آخر غيره ، فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما طلبنا العزة في غيره أذلنا الله . وهذه المحن الأخيرة يجب أن يستفيد منها المسلمون ، وعليهم أن يدرسوا المحاسن والمساوىء بموازين منهجية متجردة ، لتكون رصيداً فاعلاً يُضاف لرصيد التجربة الإسلامية المعاصرة .

ولهذا نقول لكم أيها المجاهدون بكل صدق :

اتقوا الله في الفتوح المباركة التي فتحها الله على المسلمين . . اتقوا الله في الأرواح التي استشهدت . . اتقوا الله في الشيوخ والعجزة والنساء والصبيان . . اتقوا الله . . اتقوا الله . . اتقوا الله . . !!

﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[1] ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾[2].

التفسير بالمأثور

نقد للمصطلح وتأصيل

مساعد سليمان الطيّار

إن المصطلحات العلمية يلزم أن تكون دقيقة في ذاتها ونتائجها ، وإلا وقع فيها وفي نتائجها الخلل والقصور ، ومن هذه المصطلحات التي حدث فيها الخلل مصطلح (التفسير بالمأثور) ، وفي هذا المصطلح أمران : أنواعه ، وحكمه.

أما أنواعه ، فقد حدَّها من ذكر هذا المصطلح من المعاصرين بأربعة ، هي: (تفسير القرآن بالقرآن ، وبالسنة ، وبأقوال الصحابة ، وبأقوال التابعين) . [1]

وغالباً ما يحكي هؤلاء الخلاف في جعل تفسير التابعي من قبيل المأثور . [2]

وأما حكمه ، فبعض من درج على هذا المصطلح ينتهي إلى وجوب الأخذ به . [3]

وأقدم من رأيته نص على كون هذه الأربعة هي التفسير بالمأثور الشيخ محمد بن عبدالعظيم الزرقاني ، حيث ذكر تحت موضوع (التفسيربالمأثور) ما يلي : «هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة تبايناً لمراد الله من كتابه» ثم قال : «وأما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف بين العلماء : منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة - غالباً - ومنهم من قال : إنه من التفسير بالرأي» . [4]

ثم جاء بعده الشيخ محمد حسين الذهبي (ت : ١٩٧٧ م) فذكر هذه الأنواع الأربعة تحت مصطلح (التفسير المأثور) ، وقد علل لدخول تفسير التابعي في المأثور بقوله : «وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما روي عن التابعين - وإن كان فيه خلاف : هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي ؟ - لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور - كتفسير ابن جرير وغيره - لم تقتصر على ما ذكر مما روي عن النبي ﷺ وما روي عن الصحابة ، بل ضمنت ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير»[٥] .

منشأ الخطأ في هذا المصطلح :

إنه فيما يظهر قد وقع نقل بالمعنى عمن سبق أن كتب في هذا الموضوع وبدلاً من أن يؤخذ عنه مصطلحه استبدل به هذا المصطلح الذي لم يتواءم مع هذه الأنواع ، ولا مع حكمها - كما سيأتي - .

والمصدر الذي يظهر أن هذه الأنواع نُقلت منه هو رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة (مقدمة في أصول التفسير) .

وقد وردت هذه الأنواع الأربعة تحت موضوع (أحسن طرق التفسير)[٦] فهي عند شيخ الإسلام (طرق) وليست (مأثوراً) .

ولو تأملت النقلين السابقين ، فإنك ستجد أنهما يحكيان الخلاف في كون تفسير التابعي مأثوراً أم لا .

وستجد هذا موجوداً في رسالة شيخ الإسلام ، ولكن البحث فيه ليس عن كونه مأثوراً أم لا ، بل عن كونه حجة أم لا ؟

وبين الأمرين فرق واضح ، إذ لم يرد عن العلماء هل هو مأثور أم لا ؟

لأن هذا المصطلح نشأ متأخراً ، بل الوارد هل هو حجة أم لا ؟

وإن كان هذا التأصيل صحيحاً ، فإن اصطلاح شيخ الإسلام أدق من اصطلاح المعاصرين ، وأصح حكماً.

فهذه التقسيمات الأربعة لا إشكال في كونها طرقاً ، كما لا إشكال في أنها أحسن طرق التفسير ، فمن أراد أن يفسر فعليه الرجوع إلى هذه الطرق .

نقد مصطلح (التفسير المأثور) :

مصطلح المعاصرين عليه نقد حيث يتوجه النقد إلى أمرين وإليك بيانه :

١ - ما يتعلق بصحة دخول هذه الأنواع في مسمى (المأثور) .

٢ - ما يتعلق بالنتيجة المترتبة عليه ، وهي (الحكم) .

أما الأول : فإنه يظهر أن هذا المصطلح غير دقيق في إدخال هذه الأنواع الأربعة فيه ، فهو لا ينطبق عليها جميعاً ، بل ويخرج ما هو منها ، فهذا المصطلح غير جامع ولا مانع لسببين :

أ - أن المأثور هو ما أثر عمن سلف ، ويطلق في الاصطلاح على ما أُثر عن النبي ﷺ والصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم .

فهل ينطبق هذا على تفسير القرآن بالقرآن ؟

إن تفسير القرآن بالقرآن لا نقل فيه حتى يكون طريقه الأثر ، بل هو داخل ضمن تفسير من فسر به .

* فإن كان المفسر به الرسول ﷺ فهو من التفسير النبوي .
* وإن كان المفسر به الصحابي ، فله حكم تفسير الصحابي .

* وإن كان المفسر به التابعي ، فله حكم تفسير التابعي .

وهكذا كل من فسر آية بآية فإن هذا التفسير ينسب إليه .

ب - أن المأثور في التفسير يشمل ما أثر عن تابعي التابعين - كذلك - ومن دوَّن التفسير المأثور فإنه ينقل أقوالهم ، كالطبري (٣١٠) وابن أبي حاتم (ت : ٣٢٧) ، وغيرهما .

بل قد ينقلون أقوال من دونهم في الطبقة ، كمالك بن أنس ، وغيره . ولو اطلعت على أوسع كتاب جمع التفسير المأثور ، وهو (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لرأيت من ذلك شيئاً كثيراً .

ولو قُبلت العلة التي ذكرها الشيخ محمد حسين الذهبي في إدخاله تفسير التابعين في المأثور ، لصح تنزيلها على المأثور عن تابعي التابعين ومن دونهم .

وقد نشأ الخطأ في تصور ونقل الخلاف في تفسير التابعي ، وهل يندرج تحت التفسير بالمأثور ، أم لا يصح أن يوصف بأنه تفسير مأثور؟ ونزَّل كلام العلماء - خطأ - في حكم تفسير التابعي على قضية كونه تفسيراً مأثوراً أم غير مأثور ، ولم يكن حديث العلماء على كونه مأثوراً أم غير مأثور ، إذ لم يكن ذلك المصطلح معروفاً ولا شائعاً في وقتهم .

وأما الثاني - وهو ما يتعلق بالحكم - فإن بعض من درج على هذا المصطلح نصَّ على وجوب اتباعه والأخذ به[٧] ، وهو مستوحى من كلام آخرين[٨] .

ومما يلحظ على هذا الحكم أنهم يحكون الخلاف في تفسير التابعي من حيث الاحتجاج ، بل قد حكى بعضهم الخلاف في تفسير الصحابي[٩] .

ثم يحكمون في نهاية الأمر بوجوب اتباعه والأخذ به ، فكيف يتفق هذا

مع حكاية الخلاف الوارد عن الأئمة دون استناد يرجح وجوب الأخذ بقول التابعي ، فهم يمرون على هذا الخلاف مروراً عاماً بلا تحقيق .

ثم إن كان ما ورد عن الصحابة والتابعين مأثوراً يجب الأخذ به - على اصطلاحهم - فما العمل فيما ورد عنهم من خلاف محقق في التفسير ؟ وكيف يقال : يجب الأخذ به ؟

ومن نتائج عدم دقة هذا المصطلح نشأ خطأ آخر ، وهو جعل التفسير بالرأي مقابلاً للتفسير بالمأثور - وهو الأنواع الأربعة السابقة - حتى صار في هذه المسألة خلط وتخبط ، وبنيت على هذا التقسيم معلومات غير صحيحة ؛ ومنها :

١ - أن بعضهم يقررون في تفسير الصحابة والتابعين أنهم اجتهدوا وقالوا فيه برأيهم ، ثم يجعلون ما قالوه بهذا الرأي من قبيل المأثور ناسين ما مرروه من قول بأنهم قالوا بالرأي ، فيجعل قولهم مأثوراً وقول من بعدهم رأياً ، فكيف هذا ؟ وإذا كان الصحابة قالوا في التفسير برأيهم فلا معنى لتفضيلهم على غيرهم ممن بعدهم في هذه المسألة ، وهذا لا يعني مساواة من بعدهم بهم .

٢ - كما تجد أن كتب التفسير تُقسَّم إلى كتب التفسير بالمأثور وكتب التفسير بالرأي ، وعلى سبيال المثال يجعلون تفسير ابن جرير من قبيل التفسير بالمأثور ، ولو أردت تطبيق مصطلح التفسير بالمأثور ، فإنك ستجد اختيارات ابن جرير وترجماته ، فهل هذه من قبيل الرأي أم من قبيل المأثور ؟ فإن كان الأول فكيف يحكم عليه بأنه مأثور ؟! وإن كان الثاني فإنه غير منطبق لوجود اجتهادات ابن جرير ، وفرق بين أن نقول : فيه تفسير بالمأثور ، أو نقول هو تفسير بالمأثور .

٣- وقد فهم بعض العلماء أن من فسر بالأثر فإنه لا اجتهاد ولا رأي له بل هو مجرد ناقل، لا عمل له غير النقل، ويظهر أن هذا مبني على ما سبق من أن التفسير بالمأثور - الذي يشمل الأربعة السابقة- يقابله التفسير بالرأي.

ومن ذلك ما قاله الشيخ الطاهر بن عاشور* : «أما الذين جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب ألا يعدو ما هو مأثور، فهم رموا هذه الكلمة على عواهنها، ولم يوضحوا مرادهم من المأثور عمن يؤثر . . .». ثم قال : «وقد التزم الطبري في تفسيره أن يقتصر على ما هو مروي عن الصحابة والتابعين لكنه لا يلبث في كل آية أن يتخطى ذلك إلى اختياره منها، وترجيح بعضها على بعض بشواهد من كلام العرب، وحسبه بذلك تجاوزاً لما حدده من الاقتصار على التفسير بالمأثور، وذلك طريق ليس بنهج، وقد سبقه إليه بقي بن مخلد، ولم نقف على تفسيره، وشاكل الطبري فيه معاصروه، مثل ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم، فلله درُّ الذين لم يحبسوا أنفسهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور، مثل الفراء وأبي عبيدة من الأولين، والزجاج والرماني ممن بعدهم، ثم من سلكوا طريقهم، مثل الزمخشري وابن عطية».(١٠)

وها هنا وقفات ناقدة لهذا الكلام :

الأولى: لم يصرح الطاهر بن عاشور بأولئك الذين «جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب ألا يعدو ما هو مأثور» وفي ظني أن هذا لم يُقَل به ولكنه تأوُّلٌ لكلام من يرى وجوب الأخذ بما أثر عن السلف.

الثانية: لم يورد الشيخ دليلاً من كلام الطبري يدلُّ على التزامه بما روي عن الصحابة والتابعين فقط، ولم يرد عن الطبري أنه يقتصر عليهم ولا يتعدى ذلك إلى الترجيح.

الثالثة : أنه جعل منهج الطبري كمنهج ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم، وشتان بين منهج الطبري الناقد المعتمد على روايات السلف ومنهج هؤلاء الذين اعتمدوا النقل فقط دون التعقيب والتعليق ، وهذا المنهج الذي سلكوه لا يُعاب عليهم ؛ لأنهم لم يشترطوا التعليق على الآيات والتعقيب على المرويات، بل كانوا يوردون ما وصلهم من تفاسير السلف ، وهم بهذا لا يُعدون مفسرين ، بل هم ناقلو تفسير.

ومن هنا ترى أن الشيخ بن عاشور يرى أن من التزم بالمأثور فإنه لا يكون له رأي كالطبري. وأنَّ من لم يلتزم بالمأثور فلله دره ! كما قال.

وقد سبق أن ذكرت لك أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم اعتمدوا التفسير بالرأي وقالوا به ، وإن من الأخطاء التي وقعت مقابلة أقوالهم التي هي من قبيل الرأي بأقوال أبي عبيدة والفراء وغيرهم ، بل الأعجب من ذلك أن تفاسيرهم اللغوية تجعل من المأثور وتُقابل بتفاسير أبي عبيدة والفراء والزجاج اللغوية ، وتجعل هذه لغوية..

كل هذه النتائج حصلت لعدم دقة مصطلح التفسير بالمأثور.

ما هو التفسير بالمأثور :

بعد هذا العرض ، وتجلية مصطلح التفسير بالمأثور المعتمد في كتب بعض المعاصرين يتجه سؤال ، وهو : هل يوجد تفسير يسمى مأثوراً ؟

والجواب عن هذا (نعم) ، ولكن لا يرتبط بحكم من حيث وجوب الاتباع وعدمه ، بل له حكم غير هذا.

فالمأثور هو ما أثر عن رسول الله ﷺ وعن صحابته وعن التابعين وعن

تابعيهم ممن عُرفوا بالتفسير ، وكانت لهم آراء مستقلة مبنية على اجتهادهم .

وعلى هذا درج من ألف في التفسير المأثور؛ كبقي بن مخلد ، وابن أبي حاتم والحاكم ، وغيرهم.

وقد حاول السيوطي جمع المأثور في كتابه (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) وذكر الروايات الواردة عن الرسول ﷺ وصحابته وتابعيهم وتابعي تابعيهم ومن بعدهم.

وهذا لا يبنى عليه حكم من حيث القبول والرد ، ولكن يقال : إن هذه الطرق هي أحسن طرق التفسير ، وإن من شروط المفسر معرفة هذه الطرق.

أما ما يجب اتباعه والأخذ به في التفسير فيمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع :

الأول : ما صح من تفسير النبي ﷺ .

الثاني : ما صح مما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع كأسباب النزول والغيبيات.

الثالث : ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون ؛ لأن إجماعهم حجة يجب الأخذ به.

الرابع : ما ورد عن الصحابة - خصوصاً - أو عن التابعين - ممن هم في عصر الاحتجاج اللغوي - من تفسير لغوي ، فإن كان مجمعاً عليه فلا إشكال في قبوله ، وحجيته ، وإن ورد عن واحد منهم ولم يعرف له مخالف فهو مقبول كما قال الزركشي : «ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ، فلا شك في اعتمادهم» .[11]

وإن اختلفوا في معنى لفظة لاحتمالها أكثر من معنى ، فهذا يعمد فيه إلى المرجحات.

أما ما رووه عن التابعي فهو أقل في الرتبة مما رووه عن الصحابي ، ومع ذلك فإنه يعتمد ويقدم على غيره .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

هوامش :

(١) انظر على سبيل المثال : مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ١٢-١٣ ، التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ١٥٤ مباحث في علوم القرآن لمناع القطان .

(٢) انظر مثلاً : مناهل العرفان ٢/ ١٣ ، التفسير والمفسرون ١/ ١٥٤ لمناع القطان ٣٤٧ .

(٣) انظر مثلاً : مباحث في علوم القرآن ، ٣٥٠ ، وهذا ما يتوحى من عبارة الزرقاني .

(٤) مناهل العرفان ٢/ ١٢-١٣ .

(٥) التفسير والمفسرون ١/ ١٥ .

(٦) مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق : عدنان زرزور ، ص ٩٣ .

(٧) انظر : مباحث في علوم القرآن للقطان ، ٣٥٠ .

(٨) كالزرقاني ، والذهبي ، والصباغ (لمحات في علوم القرآن ، ١٧٧ وما بعدها).

(٩) لمحات في علوم القرآن ، ١٨٠ .

(١٠) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ١/ ٣٢ ، ٣٣ .

(١١) البرهان في علوم القرآن ، ٢/ ١٧٢ .

* تفسير الطاهر بن عاشور المعروف (بالتحرير والتنوير) بالرغم من شموله واستقصائه لما يفسره من آيات ، إلا أن منهجه العقدي أشعري يؤول آيات الصفات . وللمزيد انظر الكتاب القيم (المفسرون والتأويل) للشيخ محمد المغراوي المغربي ، من مطبوعات دار طيبة بالرياض .

نظرات تربوية في خلق الصدق

- ٢ -

عبدالعزيز بن ناصر الجليل

في الحلقة الأولى ، تطرق الكاتب إلى منزلة الصدق العظيمة ، ومبررات تناول هذا الموضوع ، وحقيقة الصدق والفرق بين الصدق والإخلاص ، ونواصل مع الكاتب نظرات أخرى في الموضوع.

- البيان -

وعلى ضوء ما سبق يتضح للقارىء الكريم أن الصدق أنواع ومراتب تتجلى فيما يلي :

١- صدق النية :

وذلك بأن تكون النية خالصة لله عز وجل وابتغاء مرضاته ، وأن لا يكون هناك باعث في الحركات والسكنات إلا مرضاة الله عز وجل ، فإن شاب النية شيء من حظوظها لم تكن صادقة ، وإن تكلم العبد بلسانه خلاف ما في قلبه فهذا أيضاً دليل على عدم الصدق في النية ، والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى في وصف المنافقين : **﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾**[الفتح ، ١١] وقوله تعالى : **﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾**[هود ، ١٥ ، ١٦].

ومن الصدق في النية : الصدق في العزيمة على الفعل إذا تمكن منه ، لأن النية قد تكون صادقة ، لكن العزيمة على الفعل ضعيفة وصاحبها متردد ، وقد تكون العزيمة صادقة ، لكن إذا حد الجد ، وعزم الأمر ، وهاجت الشهوات خارت وضعفت ، ولم يحصل الوفاء بالعزيمة ، وقد لا تضعف في البداية لكن إذا باشرت الفعل وذاقت مرارته ضعفت وخارت ، والموفق من وفقه الله تعالى وأمده بعونه ورحمته ، ولو وكل العبد إلى نفسه ضاع وهلك ، فيا حي يا قيوم برحمتك نستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً.

٢ - الصدق في الأقوال :

وذلك لا يكون إلا في الأخبار ، أو ما يتضمن الإخبار ، والخبر إما أن يتعلق بالماضي فلا يخبر عن الأشياء على خلاف ما هي عليه ، أو بالمستقبل كالوفاء بالوعد والعهد[١].

وهذه المرتبة من الصدق هي التي يحصر كثير من الناس الصدق فيها ، ولا يتجاوزونها إلى غيرها ، ولا شك أنها مرتبة عظيمة وتكميلها من أعز الأمور وأشقها على النفس ، ولكنها يسيرة على من يسرها الله عليه ، وجاهد نفسه في تحقيقها.

صور من الصدق في الأقوال :

والصدق في الأقوال له صور عديدة منها :

أ - الصدق في نقل الأخبار :

فلا ينقل المسلم إلا الأخبار الصادقة ، وهذا بدوره يتطلب من الناقل التثبت فيما يقال ، واجتناب الظنون والأوهام والحذر من التحدث بكل ما يُسْمَعُ ، فمن حفظ لسانه من الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه ، فهو صادق في خبره

وهذا يقتضي الابتعاد عن الظنون والإشاعات. قال ﷺ : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[2] ، وقال : «كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»[3] .

ب - الصدق في الوعد :

لأن إعطاء الوعد غالباً ما يكون بالقول ، فالوفاء بالوعد من الصدق في الأقوال ، وإخلافه يعد كذباً ، إلا إذا كانت النية عند إعطاء الوعد صادقة ثم حال بينه وبين تنفيذ الوعد أمر خارج عن إرادته ، فإن هذا لا يعد إخلافاً للوعد وبالتالي لا يعتبر كذباً ، والوعد قد يكون على مكان معين أو في زمن معين أو على أعطية أو زواج أو أي أمر آخر يعد به الرجل أخاه ، فإن الإخلاف في هذه الأمور وأمثالها بدون مبرر شرعي يعتبر كذباً لقوله تعالى : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً** ﴾[مريم ، ٥٤] .

ج- الوفاء بالعقود والعهود :

وهذا أيضاً من الصدق في الأقوال ، فإخلاف العهد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب. قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾[المائدة ، ١] وقال تعالى : ﴿ **والموفون بعهدهم إذا عاهدوا** ﴾[البقرة ، ١٧٧]. ومن الوفاء بالعهد حفظ الأسرار وكتمانها ، ولعل قوله ﷺ في التحذير من صفات المنافقين خير شاهد لما سبق ذكره ، يقول ﷺ : «أربع من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر»[4] .

٣ - الصدق في الأعمال :

وهو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة ، وأن يجاهد العبد نفسه في أن

تكون سريرته وعلانتيه واحدة ، وأن لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به حقيقة : كمن يتظاهر بالخشوع في الظاهر والقلب ليس كذلك أو يتظاهر بالحرقة على الدين والغيرة على المحارم وهو في الباطن ليس كذلك والصور كثيرة جداً فمنها صور الرياء المختلفة ، والقول باللسان ما ليس في القلب ، وهذا لا يعني أن يترك المرء الأعمال الصالحة حتى يصلح باطنه ، كلا ولكن يجاهد نفسه في أن يستحيل باطنه إلى تصديق ظاهره ، يقول صاحب الإحياء : «إن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص ، وإن كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق» ، وقال يزيد بن الحارث : «إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النَّصَفُ ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور» ، وقال معاوية بن مرة : «من يدلني على بكّاء في الليل بسّام في النهار؟» أ. هـ.

٤ - الصدق في مقامات الدين :

وهو أعلى الدرجات وأعزها ، الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور مبادىء ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها ، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه ، كما يقال : فلان صدق القتال ، ويقال : هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة . . . وقال الله تعالى : **﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾** إلى قوله **﴿ أولئك هم الصادقون﴾** [الحجرات، ١٥] وقال : **﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ﴾** إلى قوله :

﴿أولئك الذين صدقوا﴾[البقرة ، ١٧٧] .

من علامات الصدق :

إن للصدق علامات ومظاهر تنفي ضدها ، وإذا لم توجد أو كانت ضعيفة فإن ذلك دليل على ضعف الصدق ، وتسلط العوائق عليه ، ومن هذه العلامات ما يلي :

١ - طمأنينة القلب واستقراره :

إن الصدق في جميع الأحوال - باطنها وظاهرها - يورث الطمأنينة والسكينة في القلب ، وينفي عنه التردد والريبة والاضطراب التي لا توجد إلا في حالات الشك وضعف الصدق أو عدمه ، يقول ﷺ : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة»(٥) .

٢ - الزهد في الدنيا والتأهب للقاء الله عز وجل :

ومن علامة طمأنينة القلب - النابعة من الصدق انشراحه وزهده في الدنيا والتأهب للآخرة ، قال تعالى : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً كأنما يصعد في السماء** ﴾[الأنعام ، ١٢٥]، لما نزلت هذه الآية سئل الرسول ﷺ عن شرح الصدر فقال : «نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح» ، قيل فهل لذلك أمارة؟ قال : نعم ، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»(٦) .

فالصادق مع الله عز وجل لا تراه إلا متأهباً للقاء ربه ، مستعداً لذلك بالأعمال الصالحة ، والقيام بأوامر الله عز وجل والانتهاء عن نواهيه ، يريد بذلك وجه الله عز وجل متبعاً في ذلك رسوله ﷺ .

٣ - سلامة القلب :

إن من علامة الصدق سلامة القلب ، وخلوه من الغش والحقد والحسد للمسلمين ، فالعبد المؤمن الصادق في إيمانه لا يحمل في قلبه غلاً للمؤمنين ولا شراً ، بل إن حب الخير والنصح للمسلمين هو طبعه وعادته ، وهذه الحالة القلبية تظهر علاماتها على الأعمال ، وذلك بتجنب الظلم والعدوان والاستطالة على الأعراض ، والحرص على العدل والقسط مع الناس ، والانطلاق بما في الوسع لقضاء حاجات المسلمين وإغاثة ملهوفهم ودفع الظلم عنهم والحزن على مصابهم والفرح لفرحهم. إن كل هذه الخلال تفرزها سلامة القلب الذي يترتب عليه أيضاً مظهر من مظاهر الصدق ألا وهو محبة الناس لمن هذه حاله ، فيصبح مألوفاً لهم لأنه صدق معهم ؛ فألفهم وألفوه ، وتواضع لهم فأحبوه ، وهذا مصداق قول الرسول ﷺ : «المؤمن مؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[٧].

٤ - حفظ الوقت وتدارك العمر :

إن الصادق في إيمانه لا تجده إلا محافظاً على وقته شحيحاً به ، لا ينفقه إلا فيما يرجو نفعه في الآخرة ، ينظر إلى العمر كله كأنه ساعة من نهار وإلى الدنيا كأنها ظل شجرة نزل تحتها ، ثم قام وتركها ، فبادر بالأعمار الصالحة فراغه وصحته ، وشبابه ، وحياته ، وابتعد عن كل آفة تقطع عليه طريقه ، وتضيع عليه وقته ، وتبدد عليه عمره القصير بما لا ينفع .

٥ - الزهد في ثناء الناس ومدحهم بل وكراهة ذلك :

ويتبع ذلك الزهد فيما عند الناس ، والقناعة بما كتب الله عز وجل ، وهذه

الصفة إذا وجدت فهي علامة على الصدق والإخلاص ، وهي تنبع أصلاً من صحة المعتقد ، وكمال التوحيد لله عز وجل ، وحول هذه الصفة والوصول إليها يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار» .

٦ - إخفاء الأعمال الصالحة وكراهة الظهور :

إن من علامة صدق العبد فيما يعمله لله عز وجل حرصه على إخفاء عمله وكراهة اطلاع الناس عليه ، كما أن كراهة الشهرة والظهور علامة من علامات الصدق الذي يبعد صاحبه عن الرياء والسمعة والتصنع للخلق ، فكلما كان العبد صادقاً مع ربه عز وجل كلما كان حريصاً على إخفاء أعماله حيث لا يطلع عليها إلا الله عز وجل ، الذي يسمع ويرى ويجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، وإن حياة سلفنا الصالح مليئة بهذه النماذج الوضيئة نذكر منها ما يلي :

* عن أبي حمزة الثمالي قال : كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول : «إن صدقة السر تطفيء غضب الرب عز وجل»[٨] .

* وقال عبدالله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به .

٧ - الشعور بالتقصير والانشغال بإصلاح النفس ونقدها أكثر من الآخرين :

إن من أخطر ما على النفوس أن ينشغل العبد بغيره بالنقد والتقويم وينسى

نفسه والتفتيش عن عيوبها ، وهذا للأسف كثير عندنا في زماننا هذا ، وإن من علامات صدق العبد مع ربه ومع نفسه أن ينشغل بنفسه وإصلاحها وتقويمها أكثر مما يعطيه لغيرها ، وإذا وجدت هذه الصفة نتج عنها المحاسبة للنفس والتربية والتزكية لها ، كما ينتج عن ذلك أيضاً احتقار النفس في ذات الله عز وجل والنظر إليها بالتقصير في جنب الله ، وبالتالي تنتفي صفات العجب والغرور والاعتداد بالنفس ، وعلى هذا فلا يجتمع الصدق والعجب في قلب مؤمن أبداً ، كما إن هذه الصفة تطهر القلب من الحقد على المسلمين ، وتصيُّد أخطائهم وعثراتهم والتفكه بذلك في المجالس بحجة الدعوة وبيان الأخطاء والتحذير منها .

٨ - الاهتمام بأمر هذا الدين والجهاد في سبيل الله عز وجل :

إن الصدق في محبة الله عز وجل ومحبة دينه تقتضي أن يكون أمر هذا الدين هو شغل المؤمن الشاغل ، حيث لا يقر له قرار ، ولا يهدأ له بال وهو يرى دين الله عز وجل ينتهك ويقصى من الحياة ، وبالتالي يرى الفساد المستطير يدب في أديان الناس ودمائهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم . إن المؤمن الصادق لا يقدِّم على هذا الهم الأكبر أي اهتمام من أمور الدنيا الفانية ، ولكن إلى الله نشكو حالنا ، وضعف إيماننا وركوننا إلى دنيانا حيث إننا إذا رجعنا إلى قلوبنا وما هي الاهتمامات التي تملؤها ، لم نجد عند أكثرنا - وياللأسف - إلا اهتمامات دنيوية بحتة هي التي تحتل الأرقام الأولى في تفكيرنا ، فمنا من همه الأول منصب يحصل عليه ، أو شهادة يستلمها ليعيش بها ، ومنا من همه زوجته وأولاده أو تجارته وأمواله . . . الخ . هذه الاهتمامات الفانية ، ثم إن كان هناك فضول تفكير واهتمامات جاء أمر هذا الدين والدعوة إليه بعد الاهتمامات السابقة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الصدق

عندنا في الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى «وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها ، وهو بارد القلب ، ساكت اللسان ، شيطان أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق» .

٩ - التميز :

إن التميز في حياة المؤمن أمر ضروري جداً خاصة في عصور الغربة ، وإن المسلم الصادق يُعرف بتميزه وإصراره على دينه بين الناس ، فيعرف بصحة معتقده عند فساد المعتقدات ، وبالتزامه بالسنة عند فشوا المبتدعات ، وبصدق إيمانه إذا فشا الكذب والنفاق ، وبعبادته إذا الناس يلهون ويلعبون ، وبأخلاقه إذا هدرت الأخلاق وضيعت .

هذه بعض صفات الغرباء الذين قال فيهم الرسول ﷺ : «طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[٩] .

١٠- قبول الحق والتسليم له :

إن من علامات الصدق لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي أحد كان فالصادق لا تراه إلا باحثاً عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل ويقربه إلى مولاه، وإذا بان له الدليل ولاح له الحق فرح به ووجد فيه بغيته ، ولا يرده إبداً سواء أكان قائله صغيراً أو كبيراً ، أكان عدواً أو صديقاً ، وإذا وجدت هذه الصفة الكريمة عند المسلم ، وصارت من عاداته وأخلاقه فإنها تنفي كثيراً من الصفات الذميمة مثل الكبر والاستعلاء والتعصب للآراء والتحزب للأشخاص والهيئات ، كما أنها تورث المحبة والألفة بين أهل العلم والدين ، وتورث

الاجتماع والائتلاف وتنفي الفرقة والاختلاف ، كما أن قبول الحق والتمسك به يقتضي القول به والدعوة إليه دون لبس أو تردد ، فالصادق لا تراه إلا صادعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يجامل ولا يداهن.

هذه بعض صفات الصادقين . . والله نسأل أن يجعلنا من الصادقين قولاً وفعلاً . . والله المستعان.

هوامش :

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٥٣٣ .

(٢) البخاري ٩/ ١٧١ .

(٣) صحيح مسلم ، المقدمة .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه أحمد ١/ ٢٠١ ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح١/ ٦٣٧ .

(٦) هذا الحديث قواه ابن كثير لتعدد طرقه ٢/ ١٧٦ .

(٧) رواه الإمام أحمد ، ج٢ ٩١٨٧ .

(٨) صفة الصفوة ٣/ ٦١ .

(٩) رواه الإمام أحمد ، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٣٩٢١ .

نشأة أخرى

محمد العبدة

احتار المصلحون في أمر هذه الأمة ، فمنذ قرن ونيف والسؤال يتكرر : أين الخلل؟ وما هي العلة؟ ومن أين يبدأ الإصلاح؟ ووصل الحال بأحد زعماء المسلمين في أول هذا القرن - وقد استقر به المقام في المدينة النبوية - أن يجأر بالشكوى ويقول : «لا يتحرك المسلمون حتى يتحرك جبل أحد من مكانه».

إن هذه الشكوى لها ما يبررها ، فهذه الأمة ليست أمة مستأنفة تبدأ طريقها من جديد ، بل هي امتداد لأمة بدأت في عصر الرسالة ، فهي تحمل بذور نهضتها ، ولكنها تحمل أيضاً أعباء سنين متطاولة من التخلف والضعف والتفرق ، وجاءت آثار التغريب في العصر الحديث فزادت الأمور تعقيداً فكيف نخلّص الفرد المسلم من هذه الأدواء ، وننشئه نشأة أخرى ليعود إنساناً فعالاً صالحاً مصلحاً؟

لقد حام حول هذا الموضوع كثير من المصلحين الذين يريدون بالأمة خيراً، فمن مقرب ومن مبعد ، ورفعت شعارات صحيحة ، ولكنها تصف أعراض الداء ولم تكشف عن العلة ، فعندما يقال : إن الخلل جاء من البعد عن شريعة الله ، فهذا صحيح ، ولكن لماذا يسكت المسلم عندما يطبق شرع غير شرع الله؟ ولماذا يستسهل هذا الأمر ، ولا يدافعه مع خطورته الشديدة؟ ما سبب

ضعف شخصيته حتى يقبل بما هو واقع؟

لا شك أن العطب جاء من قبل ضعف العقيدة ، وعدم وضوحها ، ومن ضعف الإيمان وخلل في تصور الولاء والبراء ، ذلك لأن حرارة الإيمان هي التي تدفع بالسلوك والخلق إلى أعلى مراتبه ، وهي التي تساعد على قوة الصعود وعدم التنازل عن تطبيق شرع الله مهما كلف الأمر ، بل هي التي تحرق المراحل وتذيب العقبات من طريق الدعوة .

وأن قوة الإيمان ، وفهم العقيدة السليمة ، هو الذي ينتشل المسلم من أوضار الجاهلية بشتى أصنافها ومسمياتها ، إلى آفاق الرشد والشهادة على الناس وعالمية الإسلام ، وهو الذي جعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : «بلال سيدنا وأعتقه سيدنا» ، بينما نجد العصبية والحزبية تنخر في صفوف المسلمين الذين يريدون حمل الدعوة ، فكيف بغيرهم؟

قد تعيش أمم بعقائد واهية سخيفة ، وقد يعتريها أزمات في هويتها ومبادئها ثم تستأنف حياتها ، ولكن الأمة الإسلامية أمة نشأت على الدين وقامت بالدين وهو الذي صنعها وحضّرها ، وعندما يحدث خلل في الدين تقع الكارثة ، وتحدث الشروخ في جميع مناحي الحياة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتصبح الأمة حائرة بائرة مرعى لكل راع ، يسومها الخسف وسوء العذاب .

كيف نرفع من وتيرة هذا الإيمان حتى يعود إلى اتقاده وفعاليته؟ ويكون كالآتي الذي لا يقف أمامه شيء؟ وكيف يعود إلى العقيدة صفاؤها وأثرها العملي ولا تكون مماحكات في الكتب والأذهان؟ هذا ما يجب أن تتجه إليه الهمم ، وهذا ما يجب أن تُربى عليه جماهير المسلمين .

التنمية في المجتمع الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة

د. خلف خلاف الشاذلي

... تُعرَّف التنمية بأنها عملية تهدف إلى رفع مستوى معيشة أفراد مجتمع معين على المدى الطويل ، معتمدة بالدرجة الأولى على الإمكانيات الذاتية لهذا المجتمع ، مع تقدير واع للعوامل الخارجية ، وذلك عن طريق دعم مقدرة المجتمع على القيام بوظائفه الإنتاجية ، وتحقيق أفضل استثمار لإمكانياتها المحلية .

ولقد انبهرت الدول النامية ، ومنها الدول العربية والإسلامية بالتجربة الغربية في التنمية ، وما حققته هذه التجربة من إنجازات سريعة ، ومن ثم فإنها رأت - ضرورة - أن تحذو حذو هذه الدول إذا ما أرادت تحقيق التنمية المرجوة وظلت تعتقد في صلاحية النماذج والنظريات الغربية لفترة طويلة ، لتكتشف في آخر الأمر أن النماذج التنموية الخارجية ، شرقية أكانت أو غربية ، لم تكن تهدف إلى خدمة هذه المجتمعات ، ومنها المجتمع العربي المسلم ، بقدر ما كانت تهدف إلى استمرار استنزاف تلك المجتمعات ، وتؤكد تبعيتها لتلك الدول الأجنبية .

وأمام انهيار مصداقية عمومية وثبات النماذج التنموية والنظريات الغربية وعدم تمتعها بالقدسية من ناحية ، والأزمات التي أخذت تتعرض لها عمليات

التنمية في بعض الدول ذاتها التي أخذت تطبق تلك النماذج لسنوات طويلة من ناحية أخرى ، بات من المؤكد عدم وجود نموذج للتنمية معد سلفاً في جملته وتفاصيله يصلح لكل الأزمنة ولكل المجتمعات ، وذلك أن التنمية عملية مجتمعية تخضع لظروف كل مجتمع وخصائصه المميزة .

وقد ركزت استراتيجيات ومداخل التنمية في معظم الدول النامية ، ومنها الدول العربية ، على أهمية التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث وكان الاتجاه السائد في هذه الدول قائماً على محاكاة النموذج الغربي في التنمية دون فهم لأسس بناء هذه النماذج ، ومدى ملاءمتها للواقع والظروف الموضوعية التي تعيشها هذه المجتمعات .

وتبلورت على الساحة الفكرية في مجتمعنا المسلم تيارات ثلاثة هي :

١ - تيار التغريب الذي انبهر أنصاره بالغرب ، وتبنوا الدعوة إلى ضرورة أن نصبح غربيين في كل شيء ، وراحوا يدافعون عن قيمة الثقافة الغربية بل والتغني بصلاحيتها ، وفي الوقت نفسه ينظرون إلى الثقافة الأصيلة على أنها «موضة» قديمة لم يعد لها قيمة جمالية ، على الرغم من أنه كثيراً ما تعود «الموضة» القديمة لتصبح «موضة» جديدة في حقبة تالية .

٢ - تيار الرفض لكل جديد أياً كان ، تحت تأثير العصبية للموروث ، وذلك من خلال العمل على إحياء التراث والتمسك به لضمان الوجود المتميز والمستقل .

٣ - أما التيار الثالث ، فهو تيار الوسط ، الذي يرفض أنصاره التقليد الأعمى والنقل الحرفي عن الحضارة الغربية ، وفي الوقت نفسه يرفضون الجمود والانغلاق .

ويقوم منهج هذا التيار على المزج بين القديم والحديث ، أو بين الأصالة والمعاصرة : أصالة عصر ازدهار الحضارة الإسلامية والمعاصرة التي يحكمها

واقع الأمة ، والاستفادة من حضارات الآخرين ، استفادة الراشد الذي يُميز بين ما يتسق مع تميزه الحضاري ، وبين ما يؤدي إلى طمس الهوية الحضارية وانطلاقاً من الثقة بقدرة هذا التراث على استيعاب معطيات الحديث من ناحية والتفاعل معه من ناحية أخرى .

وفي هذا الإطار طرحت قضية الأصالة والمعاصرة نفسها على بساط البحث والمناقشة ، وترددت أسئلة كثيرة في هذا الشأن ، وتعددت حيث إن كلاً من الأصالة والمعاصرة تظلان مفهومين محايدين حتى تصبحان إطاراً مرجعياً للتنمية في مجتمع من المجتمعات ، فبينما تشير الأصالة إلى الارتباط بالتراث المحلي ، نجد أن مفهوم المعاصرة يشير إلى الارتباط بمناهج عصر الصناعة ومنجزاته .

... وعموماً فإن مفهوم التحديث يرتبط بفكرة الصياغة الغربية للثقافات المحلية دون اعتبار لمضامين تلك الثقافات ، وهو بذلك يعتبر مفهوماً منحازاً لثقافة المجتمع الغربي .

مخاطر التحديث :

تقوم فكرة التحديث على إحلال الثقافة ، والنظم الاجتماعية والاقتصادية الغربية محل الثقافة والنظم الأصيلة ، وقد سيطرت توجهات التحديث على معظم سياسات التنمية ، في الدول النامية ، ومنها المجتمع العربي الإسلامي باعتباره في زعمهم الحل الوحيد والأمثل لمشكلات التخلف ، وهو تفسير عنصري وقاصر للتخلف ، ويغفل جانباً كبيراً من الأسباب الحقيقية للتخلف وأخذت عمليات التحديث تمتد إلى جميع مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، بل والتربوية والثقافية أيضاً ، لتأخذ شكل الغربية أو التغريب .

والتحديث على النمط الغربي - علاوة على ما فيه من مخاطر على

الدين - هو كارثة في شؤون الدنيا ، حيث يجعل من المجتمع العربي الإسلامي مجتمعاً هامشياً ، ويُكرس من تبعيته للخارج ، وتلك هي الغزوة الاستعمارية الحديثة فلقد أصبحت عملية التنمية من خلال محاكاة النموذج الغربي بمثابة أداة لنقل ثقافة المجتمعات الصناعية المتقدمة إلى المجتمعات الأقل تقدماً ، مؤدية بذلك نفس الدور الذي سبق وأن أدته أيدلوجية التقدم في القرن التاسع عشر في كل من أمريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الأوسط وإفريقيا ، عندما حاولت هذه الدول تبني أساليب وسياسات اقتصادية تهدف إلى تحقيق نمو اقتصادي ، متجاهلة بذلك الموروثات الثقافية والتراث الحضاري القائم.

* إنه في ظل التحديث ، على النموذج الغربي ، قد يصبح المجتمع متقدماً من ناحية استهلاكه للسلع والخدمات ، دون أن يتحول إلى مجتمع متقدم من الناحية الإنتاجية ، ويؤدي ذلك إلى الازدواجية الخطيرة على مستقبل التنمية في هذه المجتمعات ، وهي ما نراها اليوم في كثير من المجتمعات النامية ، من حياة إستهلاكية على الطراز المتقدم ، وحياة إنتاجية على نمط التخلف ، حيث تقدمت هذه المجتمعات في مجال الاستهلاك ، بينما تخلفت أو بقيت على حالها في مجال الإنتاج.

* إن التحديث على النموذج الغربي يشكل خطراً على الثقافة المحلية والتراث الأصيل والأبنية الاجتماعية والاقتصادية القائمة ، حيث تصبح تلك المجتمعات أسيرة للقيم والأنساق الثقافية ، وكذا الحلول التكنولوجية والأبنية الاجتماعية والاقتصادية الدخيلة ، كما أنها تصبح أيضاً أسيرة لتطلعاتها الاستهلاكية وعجزها الإنتاجي.

* إن الدعوة إلى التطوير والتحديث ، القائم على محاكاة النموذج الغربي في التنمية ، لا تعد أن تكون دعوة للاحتواء والتبعية ، وتجسيداً للتشوه الحضاري الذي يهدد مجتمعاتنا ، وفقداناً للثقة بالقدرة على الابتكار والتجديد.

* إن التحديث على النموذج الغربي ينطوي على مضامين أيدلوجية ، مادية وعلمانية ، ووجودية وبرجماتية ، تشكل خطراً على المجتمع الإسلامي بخاصة حيث تبدو في ظاهرها الرحمة وفي باطنها يكون العذاب.

* وأخيراً فإن قضية الفكر الهدام ليست قضية محدودة بوقت معين ، ولكنها كانت وستظل مطروحة طالما أن هناك صراعاً بين الحق والباطل ، وقد يختلف الطرح في صوره وأشكاله ، ولكنه ثابت في أهدافه وغاياته والتحديث على طريقة النموذج الغربي في التنمية إنما هو شكل آخر من أشكال الفكر الهدام.

لا للتغريب:

لم تكن المشكلة تكمن بالكامل في المداخل أو النماذج التنموية المستوردة ذاتها ، والتي ربما تكون قد نجحت في الدول التي نشأت فيها ، بل تمثل القصور الأساسي في أن عمليات التحديث في مجتمعاتنا لم تكن نابعة من الواقع الاجتماعي والثقافي الأصيل ، فعلى عكس التنمية في كثير من المجتمعات الغربية ، نجد أن العوامل الأساسية التي دفعت إلى التغيير في مجتمعاتنا بدأت مع اختلال التوازن التقليدي الأصيل ، بفعل عوامل خارجية متضمنة في عملية التحديث والتحضر والتصنيع على غرار النموذج الغربي في التنمية ، وأصبحت عمليات التنمية بذلك أسيرة عوامل خارجية غير متأصلة ، حيث أخذت عمليات التحديث شكل التغريب ، وأصبحت هذه المجتمعات تسير بوعي أو بغير وعي

نحو التبعية ، التي طالما تسعى هذه المجتمعات إلى التحرر من إسارها .

والحقيقة أن التبعية أصبحت تمثل واقعاً بسبب ما نحن فيه من تأخر وشقاق فقد كنا متبوعين أيام كنا أقوياء ، ونحن نتهم الغرب بأنه يجرنا إلى التبعية والحقيقة أننا نتبعه لأننا نشعر بأننا بحاجة إلى تقدمه وعلومه ، وصار أخشى ما نخشاه أن يؤدي ذلك إلى تغلغل أشكال التبعية إلى مجتمعاتنا نتيجة النقل الحرفي ، وعمليات المحاكاة العمياء لكل ما تهب به رياح الغرب دون إمعان النظر فيما أكان هذا مناسباً لنا أم لا .

هل نقول (لا) للمعاصرة ؟!

. . . لا تعني الأصالة في ارتباطها بالتراث المحلي ، الجمود والتقوقع ذلك أن التراث يضم الموروث الحضاري بأجمعه ، ويحتوي على جانبين :

الأول : ثابت ويجب الحفاظ عليه ، ويتضمن اللغة والدين والقيم والتنشئة الاجتماعية ، **والثاني** : متغير يمكن التعامل معه كجزء من الحياة الحاضرة .

فالأصالة بذلك لا تعني مطلقاً - كما قد يتصور بعضهم - الانغلاق على الذات في العلوم أو التقنية التي أصبحت ضرورية ، ولكنها تعني إعادة النظر في النماذج التي لقنها الغرب تلقيناً والتعامل معها بوعي ، بل ومحاولة تجاوزها بمعطيات جديدة ، ولا تعني أن ندير ظهورنا تماماً للتطور الحادث بالفعل من حولنا ، ولكن تعني الدراسة المتأنية لاختيار ما يناسبنا ويدعم الهوية الحضارية والخصوصية الثقافية لمجتمعنا العربي الإسلامي ، ويؤكد أهمية التواصل الحضاري والتاريخي بالنسبة لهذا المجتمع .

فهل نقول الحضارة قذارة ، بحجة أنها حضارة الغرب ، ونغمض أعيننا تماماً عن ما يحدث من حولنا من تطور؟! إن القول بنعم للمعاصرة يعني التفاعل

مع الحضارة ويعني أيضا الحرص على امتلاك القوة بكل الصور ، وهذا أمر مهم لإقرار الحق والعدل في الكون ، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، فالحق يحتاج إلى قوة تحميه وتفرضه.

وحضارة اليوم هي حضارة مادية بكل المقاييس ، تقوم بالدرجة الأولى على العلم التجريبي.

وعلينا باعتبارنا مجتمعاً إسلامياً أن نأخذ بناصية العلم الذي هو السبيل إلى امتلاك عوامل القوة المادية ، وبخاصة تلك العلوم التي تتجاوز الحدود الدولية التي ليست حكراً على مجتمع بعينه ، وهي تلك العلوم الطبيعية التي تتعلق بدراسة المادة وخواصها ، وقد أخذ الغرب نفسه الكثير من النظريات العلمية عن العرب والمسلمين الأوائل أمثال : ابن الهيثم والرازي . . . فلماذا لا نأخذ عنهم في هذا المجال؟! ذلك أن التقنية في حد ذاتها ليست موجبة أو سالبة، ولكن طبيعة المجتمع ومدي تماسك مؤسساته هما العاملان اللذان يجعلانها سالبة أو موجبة في تأثيرها ، ومن ثم فإن الحل لا يكون عن طريق الانغلاق على الذات ، ولكن يكون عن طريق العمل على سد الثغرات ونقاط الضعف التي قد تظهر في المؤسسات الاجتماعية والتي تفرزها التقنية الحديثة أو الانفتاح على العالم الخارجي.

واجبنا في زمن الانهزام

د. محمد بن عبدالله الشباني

تمر الأمة الإسلامية في هذا العصر بمرحلة من الذُّل والهزيمة لم تبلغها في أي حقبة من حقب التاريخ الإسلامي ، فقد اجتمعت قوى الشر من يهود ونصارى فرمت بسهامها عن قوس واحدة ، فأصابت الأمة في مَقاتل عدة ، ومن أهم المَقاتل التي أصابت الأمة التخلخل والنكوص والانهزام والاستسلام لرغبات العدو والإذعان بتنفيذ أوامره ، فأصبحت الأمة لا تملك من أمرها شيئاً .

إن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام قد تعطل ، بل إن الدعوة إليه أصبحت أمراً نشازاً ، وأصبحت الدعوة إلى الاستسلام للأعداء بكل ما يطلبونه هي النغمة السائدة التي يتولى الإعلام غرسها وتثبيتها والتأكيد على أنها الطريق الأفضل لأخذ الحقوق ، فلا جدوى لما عداها من وسائل للحصول على الحقوق، كما أنها الركيزة التي يقوم عليها البناء السياسي في العالم الإسلامي وتتولى القيادات السياسية تنفيذها بحماسة وجدية .

إن السؤال الذي ينبغي طرحه ومناقشته هو : ما دور الفرد المسلم في مجابهة هذا الواقع المؤلم؟ وكيف يمكن للفرد المسلم المجزد من جميع القوى المساندة ممارسة دور فاعل ومؤثر في مقاومة هذه الغارة التي تعددت أشكالها وأنواعها؟ وهل يمكن للفرد أن يمارس دوراً مؤثراً في ظل هذا الواقع؟ وكيف

لهذا الفرد أن يمارس دوره الجهادي؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة ترتبط بمدى فهم الفرد المسلم لأهمية دوره في إحداث التغيير في المجتمع ، وإن الدور السلبي الذي يمارسه كل فرد من أفراد المسلمين إنما يعود في أساسه إلى الجهل المطلق لما يوجبه الإسلام على المسلم من مسؤولية تجاه مجتمعه .

لقد وردت أحاديث كثيرة تحدد دور الفرد في المجتمع المسلم ، وترتبط معرفة هذا الدور بفهم هذه الأحاديث وربطها بالواقع ، فمن تلك الأحاديث التي حددت دور الفرد في المجتمع ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس فقال : (ألا أخبركم بخيركم من شركم، قال : فسكتوا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل : بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا وشرنا ، قال : خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره) [1] ، وما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : (المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضعفه ويحوطه من ورائه) [2] وما رواه ابن حبّان والنسائي والحاكم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) [3] .

إن المعنى العام لهذه الأحاديث يؤكد أن دور الفرد المسلم دور إيجابي يتفاعل مع قضايا المسلمين ، ويكون عوناً للمسلمين ، فيعمل بكل جهده على تقوية ومساندة إخوانه ممن يعانون الظلم والاضطهاد من الأعداء ، فعلى المسلم أن يؤمن شره عن المسلمين ، وأن يحوط إخوانه ، ويكف يده عن مساعدة أعدائهم وكف اللسان واليد يأخذ أشكالاً عدة إذا أحسنَ استعمالها ، فإن تأثيرها على الأعداء كبير كما إنها نصرة للمسلمين . والسؤال هنا : كيف يمكن للمسلم أن

يمارس هذا الدور المؤثر لصالح المسلمين في هذا العصر الذي أصبحت المناصرة الجهادية باليد والمال محظورة ، وباللسان ممنوعة في معظم الأقطار ؟!

إن الفرد المسلم الواعي قادر على ممارسة دوره الجهادي إذا استشعر المسؤولية تجاه أمته ، وعزم على أن يُمارس دوره الفردي مجرداً من كل أنواع القدرة على المجابهة ، وإن أول خطوة لممارسة هذا الدور تتمثل في معرفة أعداء الأمة الذين يحملون الحقد والضغينة على المسلمين وعلى الإسلام ، إن هذه المعرفة وتعمقها في نفس الفرد تمثل الخطوة الأولى في المجابهة ، ولهذا نجد أن من ركائز الإيمان الولاء والبراء ، ومن رحمة الله بالمسلمين أنه لم يدع أمر اكتشاف أعدائهم لقدراتهم ، ولكنه سبحانه أوضح أولئك الأعداء بجلاء ووضوح لا لبس فيهما ، فقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بصريح العبارة في قوله تعالى : **﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾**[٤] ، وقوله تعالى : **﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾**[٥] ، وقوله تعالى : **﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾**[٦] ، فاليهود وأنصارهم من النصارى الذين تتركز قوتهم المعاصرة في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا ودول أوروبا في الغالب ، هم الأعداء الذين حذر الرسول منهم ، والذين ينبغي على كل فرد مسلم أن يَحذرهم على أساس أنهم أعداء لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، إن التاريخ القديم والمعاصر أكبر شاهد على ذلك ، بل إن المصائب المعاصرة التي حلت بالمسلمين من احتلال لأراضيهم ، وانتهاك لحرماتهم ونهب لخيراتهم، ومساندة لأعدائهم من اليهود والوثنيين من الهندوس والسيخ ، والسعي بكل جهد على إيجاد الظروف السياسية والاقتصادية المعيقة لانعتاق بلاد المسلمين من قبضتهم من خلال التمكين للمنافقين والمرتدين من العلمانيين والمستغربين والانتهازيين بتسلم زمام الأمور في البلاد الإسلامية ، والعمل على القضاء على أي توجه

شعبي للعودة إلى منابع القوة للأمة الإسلامية من خلال محاربة القيادات السياسية والفكرية ذات التوجه الإسلامي ، التي تطالب بأن يكون شرع الله هو الحاكم والموجه لشؤون الحياة لاشك أن لهم دوراً فيه.

إن هذا الواقع السيىء للأمة أدى إلى بروز ظاهرة الانهزام والشعور بالعجز عن مقاومة الهجمة الصليبية اليهودية والوثنية من الهندوس وغيرهم.

إن الفرد المسلم يستطيع لو تم إنماء الوعي الإيماني لديه أن يمارس دوراً فاعلاً ومؤثراً لصالح المسلمين من خلال الجهاد الاقتصادي والجهاد العقدي والثقافي بتحصين الأمة من خطر الغزو الثقافي الذي يمثل الخطر الأكبر على جهاز المناعة لدى الأمة.

من مظاهر الجهاد الفردي :

يستطيع الفرد المسلم ممارسة الجهاد الفردي في زمن الانهزام من خلال ممارسة دوره الاقتصادي ، وتنمية الوعي الثقافي لأفراد الأمة الآخرين من خلال موقعه مستهلكاً للسلع ، وموجهاً لأسرته وممارساً لحقه الطبيعي في إبداء التعبير وإزالة المنكر والأمر بالمعروف من خلال أداء واجب الكلمة في محيطه الاجتماعي وتتمثل الوسائل التي يمكن للفرد أن يمارس دوره الجهادي في محاربة أعداء الأمة من خلال موقعه في المجتمع في عدة أمور يمكن تلخيصها في الآتي :

الأمر الأول : المقاطعة الاقتصادية بالامتناع عن شراء السلع سواء أكان الشراء للاستهلاك أو الاقتناء ، والتي تنتج وتُصَدَّر إلى بلاد المسلمين من الدول الغربية بعامة والعدو الصهيوني بخاصة ، والاستعاضة عنها بشراء السلع المنتجة في البلاد الإسلامية ، فهذه المقاطعة الفردية لا تكلف الفرد المسلم أي جهد ما عدا تغيير نمط الاستهلاك ، وإحلال سلع منتجة ومصنعة في البلاد الإسلامية محل السلع المنتجة في بلاد أعداء الإسلام ، وبهذه المقاطعة يتحقق

أمران الأول : تشجيع منتجات البلاد الإسلامية وتقوية اقتصادياتها ، والثاني : محاربة العدو اقتصادياً بالامتناع عن شراء السلع المنتجة في تلك البلاد ومحاربة كل تاجر مسلم يستورد السلع الاستهلاكية من بلاد أعداء المسلمين وعلى كل فرد رفع شعار «قاطعوا الأعداء» بالامتناع عن شراء أي سلعة منتجة وموردة من بلاد النصارى ، وبالأخص الدول التي تتولى قيادة دول النصارى في عصرنا الحالي وتفضيل الدول الأخرى من غير الدول الإسلامية في حالة عدم وجود تلك السلع لديها بشراء السلع المنتجة مثلاً من الصين واليابان وجنوب شرق آسيا مثلاً وإن امتناع كل فرد مسلم عن شراء أي سلعة منتجة أو ذات علاقة تجارية أو اسم تجاري مرتبط بالشركات الغربية ، سوف يؤدي إلى وجود غضب شعبي تجاه ما تمارسه القوى الصليبية الحاقدة ، إن على كل فرد مسلم الامتناع عن شراء هذه السلع ودعوة الآخرين لذلك.

الأمر الثاني : أن يقوم كل فرد إذا كان صاحب شركة أو مؤسسة تمارس الأعمال التجارية بالامتناع عن الاستيراد من الدول الغربية والاستعاضة بالاستيراد من الدول الإسلامية ، أو الدول التي يمكن أن تكون يوماً عدواً للدول النصرانية ، كما أن على كل فرد يمتلك القدرة على الاستقدام للأيدي العاملة أن يمتنع عن الاستقدام من تلك الدول ، وأن يمارس كل فرد إذا لم يكن صاحب شركة أو مؤسسة الضغط الاجتماعي من خلال النقد وإثارة الإحساس الديني لدى أصحاب هذه الشركات.

الأمر الثالث : أن يقوم كل فرد وبخاصة العاملين في حقل التعليم باستخدام التعليم وسيلة للجهاد بالكلمة بغرس القيم والمبادىء والأفكار الإسلامية التي تحمي أفراد الأمة - وبخاصة الطلبة والطالبات- من الغزو الثقافي ، فالدول النصرانية تسعى إلى طمس الهوية الإسلامية ، فقد تكالب الأعداء وسخروا جميع الإمكانيات من أجل هدم مقومات الأمة بإضعاف

مفهوم الولاء والبراء من خلال الدعوة إلى التقارب بين الأديان ، الذي أصبح مصيدة وقع فيها كثير ممن ينتسبون إلى العلم والثقافة ، فالقصد من التقارب بين الأديان هو الاعتراف بالديانتين اليهودية والنصرانية المحرفتين وكأنهما صحيحتان ، مع أن الله أخبر أنه لا يقبل غير الإسلام ديناً في قوله تعالى : **﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾**[٧] ، وإن مبدأ الحوار مع الأديان المحرفة قد حدده الله ، فلا يجوز الحوار إلا وفق القاعدة القرآنية في قوله تعالى : **﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾**[٨] ، كما إن الغرب النصراني يسعى إلى إبعاد الأمة عن تحكيم شرع الله في الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وتبني سلوكيات الغرب النصراني من حرية مزعومة ، وإباحية وإلحاد وكفر بالله ، ولهذا فإن للمعلم أو المعلمة دوراً كبيراً في الجهاد من خلال جهاد الكلمة ، وتزويد الطلبة والطالبات بالقيم السليمة ، ومحاربة جميع المظاهر السلوكية المنافية لقيم الإسلام وتعاليمه .

الأمر الرابع : أن يمارس الفرد المسلم من موقع عمله في غير حقل التعليم دوره في محاربة الخطط التي تسعى لتقويض مقومات المجتمع ، وبخاصة في حقل الأمن والإعلام ، فالدور الجهادي للفرد المسلم الذي يعمل في هذه الأعمال كبير وخطير ، وبخاصة ما يتعلق بمحاربة المفسدين الذين يعملون على إفساد الشباب من خلال نشر الرذيلة بينهم ، فإن هدف الأعداء هو نشر المخدرات والزنا وغير ذلك من الإفساد الأخلاقي ، وبالتالي فإن على المسلم الذي يعمل في الأمن مسؤولية تفويت الفرصة على الأعداء من خلال القضاء على أوكار الفساد ، وكذلك بالنسبة لمن يعمل في حقل الإعلام فإن عليه واجب نقل الصورة الصحيحة عن واقع المسلمين واستخدام المنبر الإعلامي بقصد توعية المسلمين بواقعهم وكشف أساليب الأعداء ومنع كل وسائل الهدم والتخريب

لعقائد الأمة وقيمها ، وبالتالي فلو أن كل صحفي أو كاتب في جريدة أو صاحب دار نشر امتنع عن نشر أي كتاب أو مقالة فيها إساءة للإسلام أو تساهم بنشر فكرة إلحادية ، أو تسويغ الفاحشة ، فإنه بهذا يمارس دوره الجهادي في حماية الأمة والمجتمع الإسلامي من الوقوع في مصيدة الأعداء ، وتوفير الأرضية لاتساع الصحوة الإسلامية.

إن للفرد دوراً كبيراً في محاربة الأعداء وإفشال خططهم ، وبالتالي فالجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام لا يقتصر على حمل السلاح فقط ، بل يشمل جميع أوجه الجهاد ، فالتفاعل مع هموم الأمة وقضاياها يمثل لوناً مهماً من ألوان الجهاد فالمسؤولية الفردية هي مناط التكليف في الشريعة الإسلامية ففي الحديث المشهور : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ، فقد شملت المسؤولية جمع أفراد الأمة ، ويؤكد هذا المفهوم حديث ابن عباس الذي رواه البخاري ، فقد قال رسول الله ﷺ : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه وإذا استنفرتم فانفروا) [(٩)] والاستنفار في زمن الانهزام يتمثل في قيام كل فرد بواجبه الفردي تجاه حماية الأمة من خلال استخدام الإمكانات المتاحة له لصالح الأمة ، وأن يكون قدوة للآخرين بممارسة دوره الفعال ، ودعوة الآخرين للاقتداء به.

هوامش :

(١) رواه الترمذي ، كتاب الفتن ح٧٦ .

(٢) رواه أبو داوود ، كتاب الأدب ح٤٩ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ح٥١٤ ، الرقاق ح٣٦ ؛ مسلم ، كتاب الإيمان ح١٢ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٨٢ .

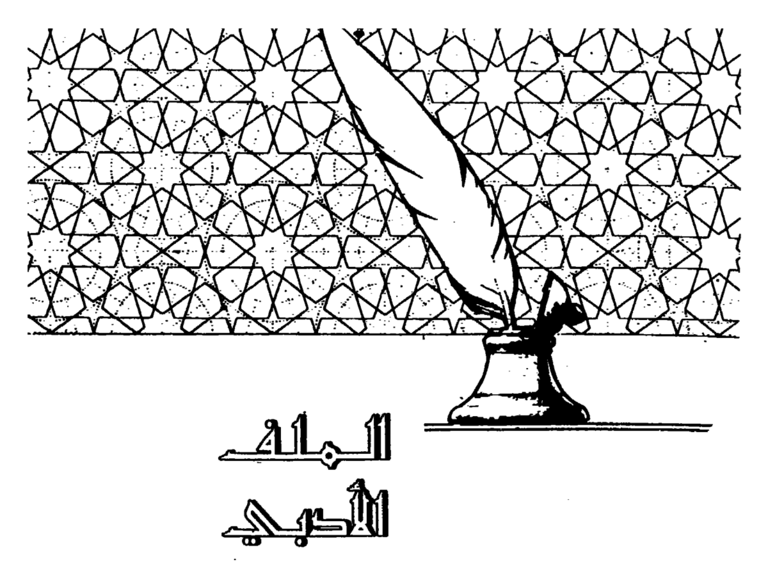
(٥) سورة البقرة ، آية ١٢٠ .

(٦) سورة البقرة ، آية ٦٤ .

(٧) سورة آل عمران ، آية ٨٥ .

(٨) سورة آل عمران ، آية ٦٤ .

(٩) رواه البخاري ، كتاب الصيد ج١٠ ، كتاب الجهاد ح١٩٢٢٧ ؛ مسلم ، كتاب الإمارة ح٨٦ .



الملف الأدبي

■ رتـابـــة (قصيدة)

■ نقـد ظالم .. ونقـد نائم (مقال)

■ ذكـــرى الـعـبـــــور (قصيدة)

■ شـــيء لم يحـدث (قصة قصيرة)

■ دمعة على أطلال «سربنتسا» (قصيدة)

■ رؤية في القراءة النقدية (مقال)

.. رتابــة ..

د. صالح الزهراني

مُنذُ تسعينَ حجَّةً . .
ثورة الوعي خامدة
يبدأ العرض ميّتاً ! . .
فوق أشلاء صامدة . .
البدايات واحدة !
والنهايات واحدة !
بطل العرض واحدٌ . .
قصة العرض واحدة . .
مخرج العرض واحدٌ . .
والجماهير راقدة !
بعد يوم من الضنى
والوجوه المزايدة ! . .
. . أعلن الفاتح الأبي . .
والزغاريد شاهدة . .
عن فتوحات جيشه . .
عن قواه المجاهدة . .

أنها شقت المدى . .
واستباحت وسائده ! !
وأراقت دمَ الدجى ! . .
وأضاءت فراقده . .
كذَّبت كلٍّ خائن . .
فهي بالنصر عائدة . .
وبدا شاعر الهوى . .
يتهجَّى قصائده !
وانتهى الفتح رقصة . .
وغناءً ، ومائدة !
والجماهير لم تزل . .
تشهد العرض جامدة . .
عرفت كيف ينتهي . .
عرفت كيف يبتدي . .
أصبح الزيف قاعده ! !

نقد ظالم .. ونقد نائم

محمود مفلح

يبدو أن صوت النقد في صحافتنا الأدبية الإسلامية وعلى أقلام كتابنا خافتٌ جداً ، ومهما حاولت أن تُصغي إلى هذا الصوت فإنك لن تظفر بشيء ذي بال ، على أن هذا الصوت لدى الآخرين قويٌ ، واضح النبرات ، شديد التأثير حيث تبلورت خطوطه ، وتحددت توجهاته ، واستقرت - كذلك - رموزه.

ولا أبالغ إذا قلت - ومن خلال متابعتي المتواضعة لما يصدر هنا وهناك من صحافة أدبية - أقول لا أبالغ إذا قلت : إن المرحلة الراهنة هي مرحلة النقد ، وإن القوم جادون في تأسيس نظرية نقدية تناسب رؤيتهم ومنطلقاتهم ، وهم مشغولون بتأصيلها ، يقيمون تنظيراتهم على ضوئها ، ويُجرُون - كذلك - التطبيقات اللازمة على نصوص يختارونها من أجل دعم هذا التوجه النقدي وترسيخه.

حتى ظهرت أسماء نقدية مهمة لا نستطيع أن نتجاوزها ، أو نقفز فوقها أو نستهين بجهوداتها الدؤوبة في مشرق الوطن العربي ومغربه ، وإن المتأمل كذلك فيما يُكتب من نقد هنا وهناك لابد وأن يلاحظ أن ثمة اتفاقاً وإجماعاً على توجه نقدي معين ، وأن ثمة جسوراً تقام بين هذا الناقد وذاك ، فكأن هذا هو الصوت ، وذاك هو الصدى في تناغم عجيب ، واتفاق يبعث على الدهشة !

وإن النصوص التي يختارها هؤلاء النقاد تدور كلها في فلك الحداثة والتغريب ، والأشكال التعبيرية الجديدة ، التي يكتنفها الغموض ، ويُشكل لحمتها وسُداها اللغز والأسطورة والسحر ، و«يفلسفون» لها ويؤولونها ويحاولون جاهدين أن يُقنعوا القارىء بأهميتها وريادتها .

حتى أصبحنا نسمع بأسماء شعراء وقصاصين وروائيين ظهروا على الساحة فجأة ، بجهود هذه الأقلام النقدية الدؤوبة في التلميع والترصيع . . !

وظهرت على الساحة كتب تحمل سمات هذا الاتجاه النقدي ، تُبشر بها الصحافة ، ويكتب بعضها عن بعض ، وكلها تنويعات على وتر واحد ، إلا أن طابعها الإصرار والالتزام .

وكل النصوص التي تتناولها هذه الدراسات إبداعية ومعاصرة ومهمة وجديرة بالقراءة . . . إلا النصوص الإسلامية !! أو ما يقترب منها ، فإنها - في زعمهم - فقيرة ، متخلفة ، فجة ، تغلب عليها الخطابية والسطحية وهي تجافي روح الفن ، وتتنافى مع الحساسية الجديدة ، والرؤية المعاصرة !!

إنه حصارٌ محكم ، سبق التخطيط له ، والاتفاق عليه ، في لقاءات أدبية تمت وتتم هنا وهناك .

وهو واقع نقدي مؤثر حفر مجراه ، وظهرت نتائجه ، قَبلْنا ذلك أم رفضناه ، فرض نفسه على الساحة الأدبية بقوة ، ولا تكاد تخلو مطبوعة أدبية واسعة الانتشار من هذا التوجه النقدي الحديث .

حتى أصبح القارىء يُردد عن وعي ودون وعي مقولات هؤلاء النقاد ويتأثر بالنصوص التي يعرضونها ، ويعرف الكثير من الأسماء التي تمارس هذا النقد ، وتشتغل به .

وفي الجانب الآخر ترى النقد الإسلامي - وللأسف البالغ - مازال يحبو وليته يحبو بنشاط وحيوية.

واستعرض إذا شئت الصفحات الأدبية الإسلامية في أي مطبوعة تشاء فإنك قلَّ ما تجد دراسة أدبية جادة عميقة ذات رؤية نقدية واضحة، تنسجم مع قيمنا الحضارية وتعطي لهذا العمل أو ذاك حقه، ولن تجد - كذلك - توجهاً نقدياً عاماً واضح المعالم، ولن تجد - أيضاً - وأقولها بمرارة، أسماء نقاد جادين دؤوبين مخلصين لهذا الفن أو ذاك، رغم أن النتاج الأدبي الإسلامي معافى ومقروء ولا يخلو من جماليات تستحق أن يتوقف عندها النقد.

ورغم أن الأساتذة الجامعيين الذين يحملون شهادات عليا في النقد الأدبي كُثر - والحمد لله - وفيهم القادر على النهوض بهذا العبء، لو نفض عنه غبار الكسل وتجرد لهذه المهمة، وإن تجربتي في هذا الصدد مع بعض هؤلاء الأساتذة الأفاضل - للأسف - غير مشجعة، إذ قمت عندما صدر ديواني الجديد «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني» بإرسال نسخ منه إلى خمسة من هؤلاء الأساتذة، وطلبت منهم في عبارة رقيقة أن يتفضلوا بالكتابة عن هذا العمل سلباً أو إيجاباً، إذ أن الشاعر لا يطمئن على تجربته الإبداعية حتى يسمع قول النقد فيها.

وانتظرت شهوراً وشهوراً، ولم يصلني من أحد منهم وريقة تشعر أن الديوان قد وصل فضلاً عن القيام بالكتابة عنه، رغم أن حظي أفضل من غيري في هذا الصدد.

وأنا أعرف عشرات الأعمال الأدبية الإسلامية قد صدرت هذا العام والعام الذي قبله، ولم ينهض لها النقد، ولم يقترب منها رغم أهميتها.

فالإبداع في واد والنقد في واد ، ومازال بعض نقادنا مشغولين بتنظيراتهم، ورؤاهم ، وتعريفاتهم ومصطلحاتهم ، ولم يكلفوا أنفسهم مقاربة النصوص الإبداعية ، أو الحديث عنها ، حتى نهض بهذه المهمة أخيراً أو ببعضها الشعراء أنفسهم تعريفاً وتطبيقاً.

ولا أريد أن أدلل على أهمية النقد برواية «الذئب» ، التي كتبها أديب إيطالي مغمور ، ورفضت جميع دور النشر في إيطاليا طباعتها مما جعل صاحبها يتأثر تأثراً عميقاً أدى به إلى أن أصيب بنوبة قلبية مات على إثرها ، حتى سمع بالرواية ناقد شهير ، أعجب بها فكتب لها مقدمة ضافية ، ودفعها إلى دور النشر فلاقت رواجاً كبيراً ، وإقبالاً من القراء عجيباً ، وترجمت إلى جميع لغات العالم ، وصدرت منها حتى الآن الطبعة الخامسة والأربعون . .

فالنقد هو الذي يعطي العمل الأدبي قيمته ، ويضيء أبعاده ويخط له مساراته الإبداعية الجديدة ، بالإضافة إلى أن الناقد يمارس عملاً إبداعياً جديداً لا يقل متعة وأهمية عن العمل المنقود.

وما لم تكن هناك حركة نقدية جادة ومستمرة ، تواكب الأعمال الأدبية وتعلن عن ولادتها ، وتمنحها شرعية القبول ، فإن الأدب الإسلامي عندنا سوف يظل يسير على قدم واحدة.

ذكرى العبور

محمد البراهيم

عندما حلت به ذكرى العبور
أنف الشامخ من صمت الجموعْ
ساقها روّادها سوق الأمةْ
زهن الشامخ للسيف دمهْ
حطم الأوهام فيما حطمهْ
باع أمناً . . ورخاءً سئمهْ
واشترى خوفاً وتَرَعباً . .
حيثما دار يدورْ
واشترى حبراً . . وغذّى قلمهْ
وامتطى الفارس ظهر الكلمةْ
ومضى ينشد ما بين السطورْ . .
وطناً ضيّع يوماً رقمهْ

* * *

تلكمُ جملة ما قال الشهودْ . .
ومضى . . مثلما النجم يغورْ
غير أني . .
أعلم اليوم تمام الملحمةْ
فلقد بِرٍّ بوعدهْ
ومشى الدرب لوحدهْ
لكأني . .
أسمع الآن وجيبَ الحمحمةْ
وأرى الفارس يعلو فرسهْ
نسج العز لجاماً ألجمهْ
هتف المخبرُ . . إذ كان معهْ :
ويحه . . ما أقدمهْ ؟!
حدثته النفسُ : «ماذا لو يحورْ؟!
أتُرى يُبدي أسيفاً ندمهْ؟»
فأجاب العزم في عزم وقورْ :
«إن يك الموت قضي . .
فلم الخوف لهْ؟
أفراراً من قضاء لزمهْ؟!»

* * *

أبصر الشامخُ أمراً نكره . .
أبصر السادنَ يعلي صنمهْ
ناكرَ الأصل ربيبَ الدوغمةْ!
يطمس الحق . . ويفري أممهْ
حسب الحق . . كما الماء يغورْ . .
إنما يتبع فهماً فهمهْ

* * *

سمع الشامخ أمراً نكرهْ . .
إذ بعيداً . .
حيث لا ثمَّ سوى همس الطيورْ
يسكن الشيخ الذي ظل خفياً . .
وسميراً للنجومْ
يزرع الحقل ويرعى غنمهْ
يعشق الليل ويهوى نسمهْ
يذكر الله ويرجو كرمهْ
رجع الشيخ . . إلى الكوخ الصغيرْ
متعباً ذات مساءْ
فرأى الكوخ هباءْ!
عسكر الظالم غَدراً هدمهْ
إذ وشى بالشيخ كيد العملاءْ
أي جرم أجرمهْ؟!
«أي جرم ؟!» . .
وعلى الوجه تفاصيل ذهول وخفاءْ!

فأتى الرد نسيئاً . . من سفيه لطمهْ :
(أتظنْ السيدْ الوالي يجورْ؟!)
ضحك الكل . . . وأنشدْ :
يسقط الصبح . . وتحيا العتمهْ!
يسقط العدل . . وتحيا الظلمةْ!
رمق الشيخ بعينيه السماءْ . .
سأل الله سؤالاً كتمهْ
سمع الشامخ . . والتذَّ الفداء
ومضى يسعرُ حربَ الكلمةْ

* * *

قرأ القارىء سطراً . . .
في بقايا صفحة مهترئةْ :
«غيلَ بالأمس عدو الأنظمةْ!»

* * *

أيها الشامخ . . عذراً . .
لم يزل يدهمنا سيل الفجورْ
لم تزل تسكننا عدوى الجحورْ
غير أنّا . . سنصلي . .
كلما مرت بنا ذكرى العبورْ :
«رحم الله قتيل الكلمةْ»
«رحم الله قتيل الكلمةْ»

شيء لم يحدث ..!!

عبدالحليم البراك

يرقب جدار صمت قد امتدت قامته حتى الأفق البعيد . . لونٌ أشهب وبرودة قاسية . . تجعله يحس بشيء من الانتشاء . . طعمهما الحلو في شفتيه اليابستين . . هذه الفتحة العلوية التي تكاد تختفي في ثنايا هذا الجدار الشامخ . . ثمة نور ضئيل منها . . كأمل ينتظره من بعيد . . الجدار يعانق الجدار . . وهذه السلسلة الحديدية لا تثقل أنفاسه الحرة داخله . . لا تمنعها من الفرحة . . وكأن شيئاً . . لم يحدث . .

* * *

طريق مستطيل . . ينتهي بأفق حقله الصغير . . ثمة جموع وقحة . . قادمة . .

ـ ألقها . . هيا . .

ـ انتظر . .

ـ ألقها . . قبل أن يرونا . .

ـ أريد أكبر عدد منهم . .

ـ أنت تقودنا نحو الحديد . . معاً . .

ـــ اذهب أنت . .

ـــ ولكن . .

ـــ إني آمرك . . هيا . .

ـــ ولكن . .

ـــ ولكن اذهب . . هل سمعت ؟!

ـــ حاضر !! . .

غضب أحمر يتمخض عن انفجار مدو يحصد أربعة من ذوي الأكتاف المذهبة . . وأكثر من عشرة قد زينت أذرعهم الوقحة بشرائط خضراء . . ثمة عين لمحته . . لا محالة . . أمسكوا بـه . . أحس بشيء من اللذة . . وكأن شيئاً . . لم يحدث . .

* * *

يرقب حلقات من حديد متراصة ومترابطة . . «ستحاكم !! . .»

(لم أقترف جرماً . . أرادوا سرقة أنفاسي من أضلعي).

. . . يرقب باباً حديدياً أمامه . . أسود . . وعليه كتابات ثائرة . .

صوت حذاء عسكري يرن . . يقطع مسافات من كهوف الصمت الداكنة . . حركة غليظة تهز هذا الباب المترس . . رجل ضخم الجثة مكتنز الخطوات كجسمه . . . :

ـــ موعد المحاكمة اليوم . .

اجتاحت صدى كلماته أرجاء الفضاء الموحشة . . لم يعلق . . قام . .

مشى . . خرج . . شم هواءً عفناً . . تفل عن يساره . . أحس وكأن شيئاً . . لم يحدث . .

* * *

دلف إلى القاعة . . ثمة أشياء ميتة . . مسح القاعة بعينيه . . الهواء العفن أيضاً يتكوم في وسطها . . جهة المنضدة اللامعة . . يرقد عليها ثلاثة أشخاص . . هم أنفسهم الذين راحوا جراء القذيفة . . **«يبدو أنهم سيتهمون الآن . .»**

طلبوا منه أن يقترب من أوسطهم . . نظرة ممددة ألقاها عليهم . . :

ـ أنت مدان !!

ـ بماذا ؟!! . .

ـ بقتل أربع حمامات . . !!

ـ . . . ؟؟!!

تذكر طفولته الممزقة . . وأحس وكأن شيئاً . . لم يحدث . .

.. دمعة ..
على أطلال سربنتسا

فيصل بن محمد الحجي

سربنتسا .. مدينة بوسنية مسلمة ، صبرت تحت وطأة الحصار والقصف الصربي الشديدين عاماً كاملاً ، وهي تنتظر لجدة أحفاد طارق وصلاح الدين. كان يكفيها الإمداد بالسلاح دون الرجال ، فلم يطلع عليها وجه نصير إلا قلة من شباب الصحوة الذين زرعوا قبورهم في أنحاء الأرض من أجل أن يورق الأمل ، أما من بقي منهم حياً فهو ينتظر الاعتقال والمحاكمة إن عاد إلى بلده بتهمة (البوسنيين العرب! فما أمر (الأفغان العرب) عنا ببعيد.

واضطرت المدينة البطلة بعد نفاذ الذخيرة إلى الاستسلام المهين لقوات الأمم المتحدة التي قامت بتنفيذ شروط (الصرب) ، وذلك بتدمير ما تبقى من سلاح المدينة لتقف عارية أمام عدوها الفاجر .. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سربنتسا .. ما حفظناك كما ... يحفظ الحرةَ حرٌّ بالدما

عَظُمَ الخَطبُ ولم نرفع له ... رايةً تغزو العدا أو علما

لم يثُر (هارونُ) من علج غزا ... وسبى (فاطمةً) أو (مريما)

عاث كلبُ الروم في أقداسنا ... ودفعنا جزيةً كي نَسْلَما!

صوفَنا أو قطننا أو زيتنا ... ناله (نقفور) منا كرما!!

جزية (الكربون) من يجهلها؟! ... جشع يمتص منا الدما!

سربنتسا .. أي جرح راعف ... مَلأ الآفاقَ حُزناً معتما؟!

هذه صلبانهم ... نعرفها حقدها يكسو رُبانا عدما

* * * *

سربنتسا .. أي ذل قاهر لطخ الهامات عاراً مؤلما

نحن أسلمناك للعار وما أغضب العار بنا (معتصما)

جهرةً .. تلمس كفُّ المعتدي موضعَ العفة لمساً مجرما!

وأخو النخوة يرنو صامتاً كالذي يحجب عينيه العمى

كم أنين .. كم صُراخ ضارع!.. فهل الأسماع تشكو صمما؟!

يا جيوشاً أتخمَت أسلحةً لم تدع في بيت مال درهما!

سمنت من جوعنا .. وانتفخت وغدا المغنمُ فيها مغرما!

جثمت فوق تراقينا وقد كتمت إصرارنا فانكتما

سمنت .. حتى حسبناها إذا دوهمت أوطانُنا .. تحمي الحمى

كم تحدت خصمَها هادرةً وأتى الخصمُ ضحىً .. فالتحما

وانجلى الموقفُ عن مهزلة : جبهة ديست .. وأنف رُغما

جرت الخذلانَ .. وانسلت إلى مجلس الأمن .. تنادي الأمما !!

رؤيـة في القراءة النقديـة

د. مصطفى بكري السيد

القراءة النقدية : هي نظرية القواعد التي تحكم تفسير نص من النصوص الأدبية ، يتأكد فيها دور القارئ بوصفه أحد منتجي النص عبر علاقة تفاعلية تصل القارئ بالمقروء لتثمر إنتاج معرفة جديدة تتيح للقارئ توظيفها في إغناء ذاته أو في إعادة بنائها.

هذه القراءة الإنتاجية هي نقيض للقراءة الاستهلاكية ، والقراءة الإنتاجية فعل حضاري ، وهي - بعد توفيق الله - السبب القوي لتفسير المواقع والواقع ومن ثم تطويرهما ، وهي معيار الحكم في الخلاف في كثير من القضايا التي لا يكون سبب الاختلاف فيها راجعاً إلى الموضوع بل يعود إلى الكم والكيف القرائي حول هذا الموضوع.

ومثل هذه القراءة وهي قراءة «التدبر» بحسب المصطلح القرآني لم ولن تموت في العالم الإسلامي ، ولكن الذي مات بل في الحقيقة ولد ميتاً وجمهوره آخذ في التناقص هو اجترار الكلام والفكر المعلب ، والرؤى القَبْلية ، وإخضاع التعامل مع الإبداع إلى قوالب جامدة منغلقة لتصبح ذات صيغة سلطوية وتسلطية على الفكر الموضوعي ، ويكون سقف الفن عندها هو المقنن الجاهز

والسلبي المستهلكم ، والمثال الذي أسوقه على هذه القراءة تلكم القراءة اللغوية التي تتعامل مع كل علم من علوم اللغة تعاملاً مستقلاً دون أن تتمكن من سبكها في سبيكة معرفية تستدرج النص إلى الحكي والقول ، وتكاد تحصر النقد بمرجعية معجمية ويكون اهتمامها اهتماماً معجمياً في المفردة والتركيب لا اهتماماً بنائياً ودلالياً .

في هذه القراءة تغيب عن القارىء أوليات التعامل مع الشعر والأثر الفني عامة ، فهي تمكنه من الإحاطة بالمستوى الإخباري للنص ، ولكنها تحجب عنه المستوى الإشاري ، وهو ما تزخر به اللغة الشعرية فيما وراء المؤدى المباشر والذي يُكوِّن نظام العلاقات الدلالية والإيقاعية في النص ، وهو الذي يجعل النص يُفلت من الظرف المحدد ، ويمتلك القدرة على البث المتجدد بحيث يخاطب أجيالاً عديدة .

تستهدف القراءة النقدية وضع النص في موضع البحث المعرفي استكشافاً لجمالياته وطاقاته الإبداعية وما يحمله من رؤى تحول وتحويل ، هذه القراءة يحجب نور شمسها أو يكاد التضخم في الدراسة الاجتماعية أو التاريخية الأدبية التي تجعل الأدب ملحقاً بالحياة لاحقاً بالأحداث ، هل هناك أكثر اغتيالاً للأدب من أن يكون تاريخ الأدب أوفر حظاً في ساعات التدريس من النصوص ، وفي تاريخ الأدب يغيب النص أو يُغيَّب لا فرق ، ويصبح شهيداً لا شاهداً ، قتيلاً لا مقاتلاً ، ويكف عن البحث المتجدد والدور المتعدد ، ولا أمل في استنقاذ النص الأدبي من تقزيه وتحطيمه المتمثل بالبحث في ثناياه عن كل شيء إلا أدبيته . لا أمل إلا بأن نبذل جهداً مقابلاً لقراءة الاغتيال ابتغاء بلورة مفهوم ونهج جديدين في قراءة الأثر الأدبي ، دون ذلك لن يتم اللقاء بين المبدع والقارىء ، وهذه القراءة هي قراءة الكشف لا الوصف ، وبالمناسبة لنتذكر أن الزمخشري أطلق

على قراءته للقرآن الكريم اسم «الكشاف».

مقتل القراءة الأولى وخطورتها أن تكون أخيرة ، وهي تلك التي يتكلس فيها فهم الأدب كتكلس الشعب المرجانية حيث تُخضعُ الأدب لطفولية الفهم الذي يكتسبه الطالب في المرحلتين المتوسطة والثانوية أو تلزمه به البيئة المحلية.

القراءة الأدبية هي التي تَستْغور النص كما لو كان منجماً ، تبحث عما هو ثمين ومحجوب في طياته ، فتعمل على استخراجه ، القراءة الأدبية لا تخرج إلينا قبل أن تدخل هي من خلال الناقد ، تدخل إلى العمل الأدبي لتعايشه وتنفذ إلى باطنه ، فتكشف عن الأدب قبل الفكرة ، فإن لم يكن ثمة أدب فليس بشافع له أدبياً أن يحتوي على أدق الأفكار.

القراءة الأدبية تتم على مستويين:

في القراءة الأولى يسلم الناقد نفسه للعمل ، أي أنه يمارس قراءة النص بوصفه قارئاً متذوقاً للأدب ومدرباً على هذا التذوق ، وعادة ما يخرج من هذه القراءة بانطباعات تختلف من عمل إلى آخر ، فقد يخرج بالشعور باكتمال المتعة ، أو بالشعور بأن شيئاً ما - خطأ أو لم يكتمل - يحول بين شعور المتعة والاكتمال.

وفي القراءة الثانية يقيد انطباعاته مطبقاً للمنهج التحليلي على العمل الفني ومتبيناً للعلاقات التي تجمع الجزئيات في كلية فنية.

ومما يساعد على القراءة الأدبية أن يحرص الناقد على الإحساس بالأثر الفني بعد معايشته والالتصاق به التصاقاً كاملاً ، يمكن أن نسميه كمال الاتصال ، ذلك الذي يتم فيه استغراق يُوحد بين القارىء والموضوع ، بحيث يصبح الموضوع - أي الأثر الفني - ذاتاً وتصبح الذات موضوعاً . بذلك يستطيع

القارىء أن يخرج انطباعه من حيز الخصوص إلى نطاق العموم ، وتبيت قراءته وسيلة من وسائل المعرفة عندما تأطرت بأطروحة ممنهجة تفيد كل مُتَلَق ومُتَلَقّى.

يجب أن يتذكر القارىء الأدبي أن ثمة فرقاً بين أن يقرأ صامتاً لنفسه وبين أن يقرأ ناطقاً لغيره.

وأخيراً فإن مشكلة النقد ليست معزولة عن مشكلة الفكر عندنا ، بل إن مشكلة النقد هي مشكلة هذا الفكر أو هي وجه من وجوهها.

ونحن نمارس قتل روح النص في حق النصوص الحديثة والتراثية على السواء ، هكذا مانزال ندرس المتنبي ، المادح ، ومايزال الموضوع - أي سيف الدولة وحروبه - محور شاعريته ، ويغيب عنا مناخ القمم الذي يكشف عنه نظام العلاقات اللغوية في شعره ، يغيب عنا جواب المتنبي على عصر تقهقر فيه العنصر العربي المسلم ، يغيب عنا رفعه للصوت العربي في مقابل هيمنة العجم والعجمي في الفعل والقول ، رفعه لهذا الصوت أخاذاً في سماء أخذت فيه النجوم العربية الإسلامية بالأفول ، وآذنت شمسها بغياب العرب المسلمين عن قيادة الأمة التي سلبتهم إياها ، عناصر أعجمية عملت لحسابها أكثر مما عملت لحساب تواصل الدور الإسلامي وحضوره الدائم.

إن الولوج إلى عالم المتنبي وأمثاله من الشعراء العظام لا يتحقق بقراءة سكونية سلبية مغلقة ، بل بقراءة متحركة فعالة ، لأنها تعامل حركي مع أثر يتميز بالحياة وقابليته للنمو والتوهج ، وقدرته على العطاء ، إن هذه القراءة تحقق اتصال الإبداع بالإبداع - أي اتصال الإبداع النقدي بالإبداع النصي - وتتسع لكلمة الآخر وسؤالاته.

ومع أننا نعتقد أن المتنبي قد أفرز مكتبة قرائية كاملة ، فإن كل قراءة لاحقة

إضاءة للقراءة السابقة ، وكشف عن قارة من الطموحات انطوت عليها عبقريته الفذة.

إن النص الأدبي يستحضر إلى ساحته قراءات بعدد الاتجاهات القائمة في المجتمع ، فهناك القراءة المثالية التي تستحضر معها مسطرة القيم المجردة المطلقة وتريد من الأدب أن يكون موعظة أخلاقية لا يعدوها إلى غيرها ، فإن لم تجد فيه بغيتها أعرضت ونأت بجانبها.

وهناك القراءة الخيالية التي تريد من النص أن يكون ركوباً يحملها بعيداً عن الواقع والوقائع ، لا تريد لغة مفهومة ولا قضية مخدومة ، بل تريد هروباً واختباء بالكلمات وتترساً بالمبهمات ، وهناك القراءة السياسية التي لا تبتغي من النص أكثر من أن يكون نشرة أخبار جوية - عفواً - بل سياسية.

أما مستويات القراءة فمنها ما يكون استكشافياً ، ومنها ما يكون استرجاعياً ، ومنها ما يكون عمودياً ، ومنها ما يكون أفقياً ، ومنها ما يكون استنطاقياً يقول فيها النص ولا يُقوَّل.

هذه القراءات كلها تشكل مراجع ثانوية للقراءة الأدبية التي هي القراءة الأساس للنص ، والتي تعتمد على منظومة العلاقات الداخلية للبنية اللغوية وغيابها يعني إفقار النص واختزاله ، وبالتالي إلغاءه.

إن هذه القراءة تسير في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارىء ، ومن القارىء إلى النص ، فبقدر ما يقدم النص للقارىء ، يضفي القارىء على النص أبعاداً جديدة قد لا يكون لها وجود في النص ، وعندما تنتهي العملية بإحساس القارىء بالإشباع النفسي والنصي ، عندئذ تكون عملية القراءة قد أدت دورها.

إن من أكبر مهام ومسؤوليات القراءة النقدية أن تؤصل وتؤثل وتوسع من أمداء قراءة النقد التساؤلي الذي يضيف بالسؤال المهموم أكثر مما يعطي بالجواب المحفوظ .

وهذه مقاربة لاستنطاق النص القصصي الموجود في العدد (٧٤) من مجلة البيان والمعنون بـ «حدث في السوق» بقلم د/ محمد الحضيف .

١- تلخيص النص :

ليس بمكنة أحد أن يختزل لغة النص ، فإذا كانت علامات الاستفهام والتعجب مقصودة ومن الدوال فما بالك بالكلمات بَلْه الجمل؟ إذن سأختصر الحدث .

المكان : سوق مزدحم (عنوان الجزء الأول من النص) ، رجلان من رجال الحسبة - هيئة الأمر بالمعروف - يؤديان واجبهما في مراقبة السوق ، يشك الأول منهما برجل ذي مظهر مريب ، فيقف منه موقف المتهم ، الرجل الآخر يرفض التهم المعلبة . يتمسك كل من عضوي الهيئة برأيه بعد حوار مقتضب . يتابع الثلاثة سيرهم ، يلقي الرجل ذو المظهر المريب برقم هاتف على عنقود من النساء ، تتحقق رؤية الأول في الرجل المريب ، ويمسك بالرجل ، ويدور بينهما حوار ، ويجتمع الناس ، منهم من يريد الدنيا فيقول : (حرام عليكم اتركوا الناس وشأنهم) ، ومنهم من يريد الآخرة ، ويوافق على اعتقال المريب : (جزاكم الله خيراً) ، الرجل الثاني يحاول أن يمحو صورة العنف في نفس المتهم يحاوره ويناوله شيئاً سقط منه ، ولا يتركه إلا بابتسامة تضيء وجهه .

المكان : مجلس مزدحم بعشرات الضيوف : انتهى الحدث في السوق ،

يبدأ التعليق عليه في مجلس واسع (مزدحم بعشرات الضيوف) . . يجمع الحاضرون على فظاظة بعض رجال الهيئة ، ويصفونهم بنعوت قاسية (. . . . .) أو (وحوش) ، ويتفنن الحاضرون في السرد والقص وإلقاء التهم جزافاً. صوت واحد في المجلس - إن الكرام قليل - يقطع على الحاضرين حديثهم مفاجئاً إياهم بالرواية الصحيحة عما حدث. وهكذا يفاجأ الحاضرون بمن يقلب سحرهم عليهم ، ويرد سهمهم إليهم فيكون هذا السؤال : ما هي القصة إذن؟ إنه سؤال يعيد الحدث إلى درجة الصفر.

الصراع في النص : الصراع بين عضو الهيئة وزميله حول مدى اتهام الرجل ، وما إمكان براءته. عضو الهيئة الأول يقول عن الرجل المريب : (حليق ، والثوب طويل . . . والدخان ، والنظارة الشمسية).

العضو الثاني : (هذه ليست أدلة إدانة) . . (الحكم الأول).

الصراع بين الجمهور والمشاهدين : بعضهم وقد رأى الصراع والاشتباك بالكلام والأيدي بين عضو الهيئة والمتهم يقول : حرام عليكم اتركوا الناس وشأنهم. البعض الآخر : (جزاكم الله خير، يا جماعة نظفوا البلد من ها العينات).

مسافة واسعة بين الدعوة إلى حرية العبث ووصف التعرض لهؤلاء العابثين (بحرام) ، والدعوة إلى تطهير البلد من هؤلاء (الحكم الثاني).

الصراع في منزل (مجلس مزدحم) : حيث يرمي الحاضرون وهم (عشرات) يرمون الهيئة عن قوس واحدة ، وذلك بنسج (إسرائيليات) عن تجاوز رجال الهيئة ، وإخراج قصة من لا شيء ، ثم تنويع السرد في القصة الملفقة : (قبل أسبوعين في أسواق (. . . . .) وأمام الناس كلهم هجم اثنان من رجال

الهيئات) (إن أولئك الوحوش طلبوا من الشاب أن يثبت أن المرأة التي بصحبته هي زوجته) (كان مشهداً لا ينسى حينما وضع أحدهم قدمه على وجه الشاب وقال له : أين لحيتك يا فاسق ، أو يا كافر على ما أظن !!). تقابل هذه النصوص والشهادات المعنعنة بشهادة من شهد الوقيعة ، فيرد الأمر إلى نصابه ولعل المتحدث الأخير (هو الذي يمثل الكاتب) ، وهو ليس بعيداً أن يكون الرجل المتهم الذي يظهر في أول النص ، فهو يقول للحاضرين - الذين لا يهضمون طعامهم إلا بهاضوم من الباطل - : (أنا الذي كنت في السوق ، وأنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهيئة . . سوء فهم حدث وتمت تسوية القصة بطريقة ودية).

٢ - ***القضية التي تموضع النص حولها:***

يطرح النص الهيئة موضوعاً لمناقشته قصصياً ، الهيئة دوراً لا خلاف عليها - نفى الخلاف ظاهراً على الأقل - ولكن الخلاف على أداء هذا الدور .

فعضو الهيئة الأول أشعل معركة أكبر من طاقة القضية ، ولقد استعمل «مطرقة» لكسر «جوزة» ، أما الثاني فقد التزم الحوار وسار بالشوط إلى آخر المشوار ، فهو قد طيب خاطر المتهم ، ليقلب الطاولة في وجوه عصبة الإفك في نهاية القصة عندما جعل من خصم الهيئة رجلاً يدفع عنها حجج الحشرات التي اعتادت أن تمضغ أعراض الطيبين ، وإعمال مبضع النقد في ممارسات أهل الحسبة ظلماً وباطلاً. لقد أدان النص تسرع عضو الهيئة الأول وتشنجه وأظهر التعقل حلاً مطلوباً وطريقاً آمنة للوصول إلى أفضل النتائج ، ممثلاً بعضو الهيئة الثاني .

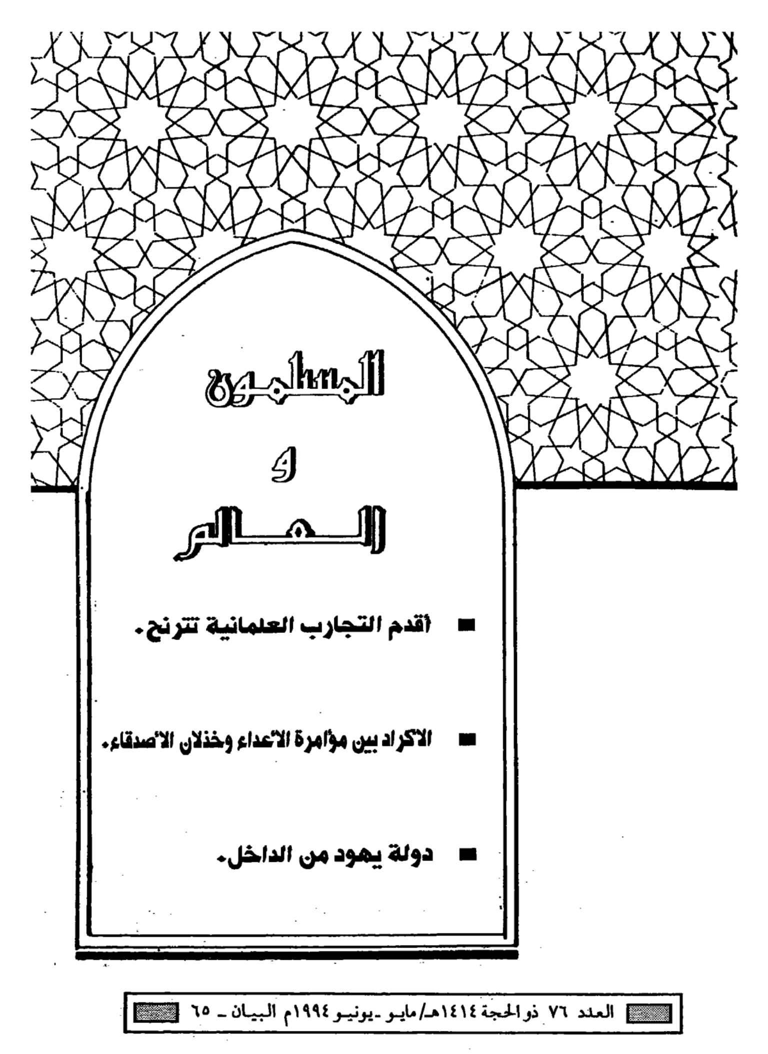
كما يطرح النص موقف خصوم الهيئة ، فهي لا تتحرك في فراغ إنها

تصطدم بشهوات جامحة ، وشخصيات لا تتورع عن إنتاج الكذب وترويجه ومواجهة هؤلاء - كما أشار النص - أجدى ما تكون من داخل صفوفهم فصاحب العلاقة تكلم فسكت الجميع ، هل يمكن أن نقول إن نوعاً من التناص (تداخل النصوص) قد حصل بين هذا النص وشخصية امرأة العزيز في سورة يوسف عليه السلام عندما قالت (أنا راودته عن نفسه) والرجل هنا أيضاً يقول بملء فيه : (أنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهيئة ، سوء فهم حدث ، وتمت تسوية الأمر بطريقة ودية).

ينتهي النص بالسؤال : ما هي القصة إذن؟

لم يجب الكاتب ، لأن قوة النص ليست فيما يقوله فقط ، بل وفيما لم يقله أيضاً. هل يحق للمرء أن يسأل هل الهيئة هنا رمز للدعوة الإسلامية؟ وهل إن السوق والمجلس المزدحمين رمز للمجتمع. ؟ وهل يتعين على الإسلاميين أن يعتبروا أو يصلحوا بعض أدواتهم (عضو) الهيئة الأول؟ وهل اقتنعوا بأن الحوار - وإن طال - أسلم عاقبة وأرخص تكاليف من منازلة (دينكوشوتيه) تؤذي الدعوة ، وتحرج الدولة؟ وهل تكون أساليب الدعوة جامدة في عالم متغير؟

أعتقد جازماً أن الحل في الإسلام فقط ، ولكن المشكلة في المسلمين - كأدوات لهذا الحل - ما مقدرتهم على تحقيقه؟ لا بأس أن تعيد قراءة القصة. وشكراً.


المسلمون
و
العالم
أقدم التجارب العلمانية تترنح.
الأكراد بين مؤامرة الأعداء وخذلان الأصدقاء.
دولة يهود من الداخل.

أقدم التجارب العلمانية تترنح!

قراءة في الانتخابات البلدية التركية الأخيرة

د. عبدالله عمر سلطان

بعد أيام من ظهور نتائج الانتخابات البلدية في تركيا ، التي انتهت بتقدم ملموس لحزب الرفاه ذي التوجه الإسلامي ، زار وزير خارجية الكيان الصهيوني «شمعون بيريز» تركيا والتقى برئيسة الوزراء «تشيلر» ، وأجرى مباحثات تركزت على إحياء محور التعاون بين الدولتين في مجالات متعددة وصفتها المحللة الأمريكية «كاثي دافيس» بأنها ستغير من ملامح المنطقة إذا وجدت طريقها إلى التنفيذ ، حيث إنها ترمي فعلاً إلى قيام كيان شرق أوسطي فاعل ، يرتكز على التكامل بين الدولة اليهودية وأقدم حكومة علمانية في المنطقة ، وبخاصة أن الزيارة جاءت بعد اهتزاز الثقة في قدرة النظام العلماني في أنقرة على الاستمرار كنموذج أمثل لبقية الكيانات العلمانية التي تتفاوض مع «إسرائيل» .

لقد قررت الصهيونية ممثلة في رمزها الفكري/ السياسي «شمعون بيريز» القيام بخطوة أكثر جسارة ، حينما سارع إلى زيارة أنقرة عارضاً عليها ملامح مشروعه «الشرق أوسطي» ، الذي طرحه بالتفصيل في كتابه الأخير ، وركز خلال هذا الطرح على أهمية وجود ركائز مشتركة بين «إسرائيل» – قطب الرحى في المعادلة– ، والنظم والكيانات السياسية المرتبطة والمندمجة معها «حضارياً» ، وهذا الشرط الحضاري يقتضي وجود حد أدنى من التبعية للغرب والولاء لنظامه السياسي

العلماني ، هذا النظام الذي تُعتبر تركيا أبرز وأقدم وأقسى أمثلته الراهنة.

خطان متقابلان :

إن خط الصهيونية مع تركيا قديم ، ويمتد إلى ما قبل وجود كيان الصهاينة في فلسطين ، ففي الذهن الصهيوني هناك مثالان متقابلان لتركيا ، أحدهما مثله السلطان عبدالحميد الذي رفض «التطبيع» مع مشروع هرتزل الصهيوني الذي كان يمثل مخرجاً «واقعياً» لمحنة السلطان والدولة المريضة في حالة موافقته على مشروع الاغتصاب لأرض فلسطين . . . ، وتلك تجربة لا ينساها الصهاينة أبداً لرمز الخلافة الإسلامية التي شمخت رغم ضعفها ، ورفعت جبينها والمهالك تسن أنيابها وأظافرها لتقتلعها وتزيلها من الوجود . . . ، أما الصورة الأخرى لتركيا فهي التي يسارع «بيريز» - وأي صهيوني آخر - لمد الجسور معها والتحالف والتعاون مع القائمين عليها ، وتلك هي تركيا العلمانية الأتاتوركية التي كانت دوماً بمثابة النافذة التي يتسلل منها المشروع الصهيوني إلى المنطقة ، ومنذ وقت طويل . . . ، لذا فإن زيارة «بيريز» وكلامه أمام الأقلية اليهودية التركية عن تعاون عسكري وأمني واستراتيجي مع تركيا العلمانية «البعيدة عن التعصب» يؤخذ في إطار المحور الذي شهد تحسناً كبيراً في الآونة الأخيرة حيث تعد النخب العلمانية التركية جماهيرها لمرحلة «شرق أوسطية» يكون لليهود والأتراك العلمانيين قصب السبق والريادة فيها ، خصوصاً في ظل خصوصية العلاقة مع الغرب وأمريكا بالذات.

وفي كلام معلق الإذاعة الإسرائيلية تلخيص لخصوصية العلاقة بين العلمانية الطورانية والصهيونية البشعة ، حيث يقول : ظلت تركيا الرئة الوحيدة التي نتنفس من خلالها في المنطقة ، وظل النظام الحاكم في أنقرة صديقاً وحيداً لإسرائيل منذ البداية انطلاقاً من علمانيته الصادقة ، وتحالفه الجدي مع المشروع

الإسرائيلي التقدمي ، لذا فإسرائيل تشعر بالقلق حتماً من تنامي التيار الأصولي في هذا المركز الاستراتيجي المهم ، وهي مستعدة للدخول في شراكة حقيقية للحفاظ على مكتسبات سبعة عقود من التجربة الأتاتوركية .

الأواني المستطرقة :

فوز حزب الرفاه بنسبة ١٨,٦ ٪ من الأصوات والحصول على المناصب البلدية في ست مدن كبرى و ٢٢ بلدية في مراكز الولايات و ٩٢ بلدية من بلديات الأقضية و ٢٠٣ بلدية من بلديات البلدات ، مؤشر على تنامي العاطفة الإسلامية لدى الشعب التركي ، وصعود التيار الإسلامي ممثلاً في هذا الحزب في بلد مورست فيه العلمانية بقوة الحديد والنار ولأطول فترة في عالمنا الإسلامي ، فتجربة تركيا العلمانية هي الأقوى ، وهي الأكثر خبثاً وتلوناً وثقلاً فهي تجربة بدأت عام ١٩٢٣ م على يد الهالك «كمال أتاتورك» الذي أتى بمشروع تغريبي إلحادي متكامل يبدأ باللغة وينتهي بلباس الرأس مروراً بالقوانين والأنظمة والتهميش القسري لهوية تركيا المسلمة .

لقد تدخلت الآلة العسكرية الثقيلة ثلاث مرات على مدى سبعة عقود كلما شعرت أن «مبادىء أتاتورك» ومشروع العلمنة التركي في خطر : حدث هذا عام ١٩٦٠ م حينما أعدم العسكر الهمج «عدنان مندريس» الذي كانت جريمته عودة الأذان باللغة العربية بعد أن حُرم المسلمون من صوت «الله أكبر» لأربعين عاماً ثم ما لبثوا أن خرجوا من ثكناتهم مرة أخرى عام ١٩٧١ م بعد أن تعرض حزب الشعب الذي أسسه «أتاتورك» لنكسة انتخابية ، أما في انقلاب «كنعان أفرين» الأخير عام ١٩٨٠ م ، فالسبب كان أكثر إلحاحاً ، بعد أن جاءت تحركات شعبية بالهوية الإسلامية وأعادتها إلى الواجهة والمناقشة ، وهو أمر يرفضه العسكر الأتراك الذين يشكلون العصا الغليظة لحزب الناتو «الأطلسي» ، الذي يصر على

تخلي تركيا عن إسلامها مقابل أن يقوم الجيش التركي «بالواجب» الملقى على عاتقه، وهو حماية البوابة الشرقية والجنوبية لدول أوروبا النصرانية.

الغرب وتركيا العلمانية:

إن دول أوروبا إضافة إلى الولايات المتحدة، ينظرون إلى تركيا العلمانية نظرة صغار واحتقار، فبالرغم من الطرق المستمر لباب السوق الأوربية المشتركة ظل الباب مغلقاً أمام تركيا، التي تريد أن تكافأ على خدماتها وانضباطها العلماني وسلخها لهويتها الإسلامية، كما ظل الغرب ينظر إلى الجمهورية الأتاتوركية على أنها نموذج «جيد» يستحق الاستنساخ في بقية المناطق العربية والإسلامية، فهذه الملايين السبعين تعيش منذ تفجير المشروع العلماني دون هوية أو هدف أو رسالة، بعد أن كانت هذه الأمة قبل قرنين تهدد قلب أوروبا وهي تحمل شيئاً من روح العزة الإسلامية، وهذا العملاق الأناضولي قد تم استئناسه بطريقة عبقرية جعلته مسخاً لا هو بالمسلم الشرقي المعتز بأصوله، ولا هو بالعلماني الأوروبي المفتخر بانتسابه إلى نادي أوروبا النصراني والمسمى بالسوق الأوربية المشتركة. وما أقسى أن يعيش الإنسان دون هوية، وما أفظع أن تكون الأمة بلا نسب أو حدود . . . ، ولابد هنا أن تمر الأمة بمرحلة البحث عن الذات والعودة إلى الأصول، وهذه مرحلة انتقالية تمر بها أي أمة وهي تبحث عن هويتها، وخلال عملية البحث تبرز المفارقات وتفرض المسلمات نفسها لاسيما بعد أن تأخذ التجربة - أي تجربة - مداها وزمنها والمساحة التي لابد بعدها من التوقف للتفكير، وإعادة طرح الأسئلة البدهية التي غيبت عن هذه الشعوب بقوة الحديد والنار، أو بوعود الرفاه الاقتصادي والتقدم الاجتماعي الذي كان أشبه ما يكون بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً. صحيفة «الوول ستريت جرنال» الأمريكية كتبت عن أزمة الهوية هذه بعد بروز نتائج

الانتخابات التركية قائلة : «يمكن القول بكلمات قليلة إن تركيا تمر الآن في مرحلة انتقالية غير أن هذا الانتقال يحدث وسط فراغ أيديولوجي يتعين على البلاد من خلاله أن تحدد هويتها في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة.

والواقع أن هذا الفراغ ، الذي زادت من حدته الأزمة الاقتصادية العميقة والحرب الشاقة ضد الأكراد ، هو الذي دفع الأتراك نحو الإسلام لتحديد الاتجاه.

ومن الواضح أن أزمة الهوية هذه كانت تتفاعل منذ وقت طويل ، ذلك أن أيديولوجية تركيا المشتقة من تصميم «أتاتورك» على تحويل خرائب الامبراطورية العثمانية إلى بلد عصري على النمط الغربي ، غير قادرة - في حقيقة الأمر- على توفير الإجابات لعدد كبير من الأسئلة التي تواجه الأتراك اليوم.

إذ بعكس الماركسية والديمقراطية الليبرالية ، لا تملك «الكمالية» الأيديولوجية الشاملة التي تفسر المجتمع والتاريخ ، وهي ليست نظاماً أخلاقياً اجتماعياً في شكل ديانة تقليدية ، كما أن ظهورها وهيمنتها خلال القرن الماضي حرم المجتمع التركي من الجذور الأخلاقية والاجتماعية التي يوفرها الإسلام وتجعل الناس يشعرون بالأمان.

لقد كان إنجاز «الكمالية» الرئيس هو تثبيت وتعزيز القومية التركية ، لكن ما إن ضربت القومية التركية جذورها في المجتمع حتى فقدت سبب وجودها ، هذا ما قاله الكاتب «ديليب هيرو» في كتابه الأخير الذي تناول فيه تركيا وآسيا الوسطى.

ومما لا شك فيه أن الإسلام يوفر الحل بالنسبة للكثيرين من الأتراك ، ففي كل سنة يتدفق مئات الآلاف من المهاجرين المتدينين غير المثقفين من منطقة الأناضول إلى الضواحي الفقيرة في أنقرة واسطنبول ، ولعدم استعداد هؤلاء لفهم متع الحياة في

اسطنبول ، ولذهولهم من الفساد المستشري في كل مكان ، يتحول معظم هؤلاء المهاجرين إلى حزب الرفاه ، بأمل أن يقيهم من السقوط الأخلاقي».

إن ما شهدته تركيا تشهده بقية بقاع العالم الإسلامي ، فهذا البعث الإسلامي أصبح هو الرقم الصعب والعامل المشترك لأي أمل قائم للخروج من نفق الواقع الملبد بالإحباط والتدهور ، إن انتخابات تركيا أكدت أن الصحوة الإسلامية تعيش حالة تشبه الظاهرة الفيزيائية المعروفة بظاهرة الأواني المستطرقة ، فأنت حينما تضع مجموعة من الأواني المختلفة الحجم والشكل وتربط بينها بقاعدة مفتوحة ومشتركة ، تجد أن الماء المصبوب في آنية منها ينعكس تلقائياً على مستوى المياه في الأواني الأخرى ، وهكذا فالحالة الإسلامية اليوم تشبه مجموعة الأواني المستطرقة التي تستفيد من كل قطرة ماء تسكب في قالب مع اختلاف نوعي بين القوالب ، نصر المسلمين في تركيا ينعكس على الحالة المعنوية لدعاة الإسلام في أندونيسيا ، وارتفاع راية الإسلام في أقصى طاجيكستان تحس بإيجابيته شوارع ساربيفو ، والخلاصة أن عودة المسلمين إلى جذورهم في بلد الخلافة الإسلامية يعطي أملاً للعاملين من أجل الإسلام . إن أعتى وأبشع النماذج العلمانية بدأ يتحول إلى خندق الدفاع ، بعد أن ظل يطارد أهل الإيمان من مواقع الهجوم ملوحاً بالرخاء والتقدم والاندماج مع الغرب المنتصر والمحارب لهذه الأمة ، لاسيما بعد غروب شمس دولة الخلافة .

التحدي لايزال ضخماً:

بالرغم من النتائج المفرحة لأداء حزب الرفاه التركي في الانتخابات ، فإن بصمات العلمانية المنفرة لاتزال ملموسة على كافة الأصعدة ، في الوقت الذي يظل اليسار الملحد واليمين الأمريكي يحظى بثقل وتأثير على الساحة السياسية والاجتماعية في تركيا ، وأمام هذا التحدي تبرز نقاط لابد من التوقف أمامها :

* أمام حزب الرفاه تحد عقدي يتمثل في قرون طويلة من التصوف والخرافة التي تسللت إلى الحياة التعبدية لقواعد واسعة من الحزب ، كما يشكو الحزب من جانب آخر من ضعف في الجانب الفكري والتجديد في طروحاته العقدية ، وما يتفرع عنها من مواقف سياسية واقتصادية واجتماعية ، وفي الوقت الذي يعتبر فيه الحزب صاحب صوت ضخم حالياً ، فإن هذا الصوت بحاجة إلى حنجرة قوية وفكر متجدد ودورة دموية نشطة تساعده على تكوين قاعدة صلبة تجمع الرموز الإسلامية في تركيا على منهجية واضحة ، ولا بأس أن يبدأ الحزب بالاهتمام بهذا الجانب من الآن ، خصوصاً أن في تجربته بعداً عن الحزبية الضيقة التي جعلته متعاطفاً مع قطاع عريض من الحركات الإسلامية .

إن التحدي القائم أمام الإسلاميين في تركيا أكبر من حجم المنافسة السياسية ، إنه تحد حضاري شامل ، وما لم يكن الشمول المتسلح بمنهجية سليمة حاضراً ، فإن دور الحزب سيظل جزئياً ، كما أن تكوينه العقدي والمنهجي سيظلان نقطتي ضعف واضحتين .

* أمام الرفاه تربص من قبل أحزاب الإلحاد والعلمانية والقومية المتطرفة كما أن العلمانية التركية تتمثل في شخصيات ورموز ومؤسسات تعيش على الإرهاب العلماني القائم ، هذه الأحزاب والشخصيات ستركز على البلديات التي يحكمها الإسلاميون ، وستتجنى في الحكم عليها ، وستضخم أخطاءها وستحاربها بالشائعات والقصص المختلفة ، وهذا ما يحتم على الحزب اليقظة والحذر وممارسة أساليب النقد الذاتي ، فالعلمانية التركية تظل أقدم تجارب العلمنة تاريخاً وجذوراً إذا ما قورنت بالتجارب العلمانية الأخرى في عالمنا الإسلامي .

* أما أكبر الدروس التي نخرج بها ، فهي قوة هذا الدين الذاتية التي صمدت وتصمد أمام أعتى الحروب وأقسى المواقف والظروف ، ويوماً بعد يوم

يصلب عود هذه الأمة وتعود إلى نبعها الصافي ، وحين نقارن بضعف الجهود وكثرة الأخطاء وقلة ذات اليد ، فإننا لابد أن نخرج بمُسَلَّمَة تصرخ وتقول : إن هذا الأمر هو أمر الله ، وإن ضعف الداعي ، وحورب المبلغ ، وتكالب العدو .

* هناك المؤسسة العسكرية التي صرح مسؤول المخابرات فيها بُعيد ظهور النتائج : أنها ستتدخل في أي ظرف تشعر أن مبادىء «أتاتورك» مهددة أو أن العلمنة تتعرض للخطر ، هذا التصريح أمامنا تتناقله وسائل الإعلام ، وبين أيدينا تاريخ العسكر الطورانيين يؤكد انحياز العلمنة إلى التسلط وفرض خياراتها بالقوة أو الديموقراطية التي توافق مكاييلهم .

* الصحافة التركية وكر من أوكار الملاحدة والعلمانيين ، مارست وتمارس التحرش بالإسلام وأهله ، كما أن قنوات الإفساد التي تنتشر في تركيا وبتشجيع من أهل الفساد والإضلال ستزيد من نشاطاتها ، مما يحتم بروز قنوات إعلامية ملتزمة بالدفاع عن المشروع والهوية الإسلامية في تركيا .

* النزاع العرقي كشف أن الأكراد وغيرهم من الأقليات المسلمة المضهدة قد أعطت صوتها لحزب الرفاه ، لأنه دعا إلى رفع الاضطهاد الطوراني عنها ووعدها بعدل الإسلام وسماحته ، والمطلوب الآن أكبر من شعار حيث إن انتشار الدعوة بين هذه الأقليات وتعريفها بكينونتها الإسلامية وهويتها ، أمر مطلوب بل بالغ الأهمية في هذه المرحلة .

* الغرب الخائف المذعور من كل نصر للإسلام سيمارس حرباً ضروساً ضد الإسلام وأهله ، سواء أكان عن طريق مباشر أو بواسطة حلفائه وفي مقدمتهم اليهود ، وهذا يقتضي الكياسة والبعد عن الاستعراض الخطابي والعمل بجد وإخلاص على أرض الواقع بشمولية ، وعدم قصر النشاط الإسلامي على الجانب السياسي الذي هو أكثر النشاطات إثارة وغيظاً للقوى

الدولية ، وأمامي الآن مثال لهذه الحرب السافرة ، يتمثل في مقال لمجلة «الإيكونمست» البريطانية التي تبث الذعر في قلوب الغربيين من حكم حزب الرفاه الذي سيحظر أهم إنجازات «أتاتورك» في إسطانبول وهي : الخمارات ودور الدعارة ، وتتهكم بوعد رئيس البلدية الجديد الذي وعد بالقضاء على الدعارة والفساد وتحويل نشاط المدينة كمركز للمؤتمرات الدولية ، ولم تجد المجلة تعليقاً سوى : كيف سيحضر النساء المؤتمرات وهن بالعباءة؟!

* ويبقى الاقتصاد المنهار تحدياً آخر يمثل نتائج التخبط الذي مارسته الحكومات العلمانية المتعاقبة ، وهو يحتاج إلى إصلاح جذري وانفتاح على العالم الإسلامي الذي هو الامتداد الطبيعي لتركيا .

إن تنوع هذه التحديات وضخامتها يجعلنا ندعو لإخواننا المسلمين في تركيا بالنصر والتمكين والمبادرة إلى استخلاص الدروس والعبر من تجارب إسلامية مشابهة ، على أن تكون ذخيرة في معركة الصراع بين الإلحاد والإيمان ما بين الكفر والإسلام ، ما بين العلمنة والحل الإسلامي . . . وهي معركة ضخمة نؤمن أنها طويلة وقديمة قدم الحق والباطل ، والعاقبة للمتقين والبشائر هي علامات الترنح التي نشاهدها تعتري أقدم تجربة علمانية . . .

أحفاد صلاح الدين
بين مؤامرة الأعداء وخذلان الأصدقاء

أحمد العويمر

لم يتعرض شعب من شعوب الدنيا للظلم والمحن وهضم حقوقه - بعد الشعب الفلسطيني - مثل الشعب الكردي المسلم، وملف هذه القضية ، بل المأساة الكبرى لهذا الشعب كما يراه خبراء الاستراتيجية الغربيون مطروح وبقوة على طاولة القضايا الكبرى في المنطقة ، وإن هذا الملف مرشح للعديد من التطورات والتفاعلات خلال السنوات القادمة لأكثر من سبب ، مما يمكن إجماله فيما يلي :

* ازدياد الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان ومشاكل الأقليات في العالم.
* مطالبة الأكراد بحل تاريخي على غرار «حل الصراع العربي الإسرائيلي» و«الصراع بين البيض والسود» في جنوب افريقيا.
* تنامي وعي الأكراد وتحولهم إلى قوى سياسية في كل تركيا والعراق وإيران.
* شعور الغرب بوجود فراغ استراتيجي في المنطقة يمكن أن يخترق من قبل ما يسمونه بالأصولية الإسلامية .
* محاولة الغرب استغلال هذه الورقة وتأسيس المناطق الآمنة للأكراد شمال العراق ، هو الخطوة الأولى لتوتير الصراع الدائم في المنطقة [1] وسيكون هذا المقال فرصة لإعطاء فكرة موجزة عن هذا الشعب المسلم تاريخاً وواقعاً وعن معاناته وأسبابها والمؤامرة ضده والحل لمشكلته على النحو

التالي :

لمحة جغرافية وتاريخية :

بلاد الأكراد أو «كردستان» منطقة واسعة تبلغ مساحتها (٥٠٠,٠٠٠) كم٢ يعيش فيها مابين (٢٥ - ٣٠) مليون كردي مسلم ، وهم أكبر شعب في العالم ممن لا يملك السيادة على أرضه ، ولا إدارة بلاده بنفسه ، إذ أنهم موزعون على خمس دول هي : تركيا حيث يعيش فيها حوالي (١٠,٠٠٠,٨٠٠) نسمة وفي العراق (١٠,٠٠٠,٤٠٠) نسمة ، وفي سوريا (مليون) ، وفي إيران (٥,٠٠٠,٥٠٠) نسمة ، والأكراد شعب عريق دخل الإسلام بعد فتح بلاده على يد الصحابي الجليل «عياض بن غُنْم» سنة (١٨ هـ) ، وكان «القعقاع بن عمرو» قد فتح قلعةِ حلوان جنوبي بلادهم سنة (١٦ هـ) ، فدخلوا في دين الله أفواجاً وحسن إسلامهم وبقوا موالين للدولة الإسلامية حتى بعد سقوطها في حمأة النعرات القومية من عربية وطورانية ، وشارك الأكراد في كثير من الأحداث التاريخية الإسلامية ، ومن أبرزها نصرتهم للعباسيين في قيام دولتهم وإعادة الخلافة العباسية إلى مصر على يد القائد المظفر «صلاح الدين الأيوبي» ثم كانت لهم حكوماتهم المستقلة في ظل الخلافتين العباسية والعثمانية ، ومن أهمها الحكومة الروادية في تبريز : ٢٦٠-٦١٨ هـ ، والحكومة الشدادية بآران : ٣٤٠-٤٦٥ هـ ، الحكومة الدوستكية في ديار بكر ، والحكومة الأيوبية في مصر والشام وغيرها ، ونبغ من الأكراد علماء مشهورون ، أثروا الفكر الإسلامي أمثال (ابن خلكان ، وأبناء الأثير الثلاثة ، وابن الحاجب ، وابن الصلاح والحافظ العراقي) ، ومن أبرز دعاتهم وعلمائهم المعاصرين (أمجد الزهاوي ود/ علي محيي الدين القره داغي ، ود/ مصطفى مسلم ، والشيخ علي عبدالعزيز ، ود/ حمدي السلفي وغيرهم).

مأساة الأكراد البداية والمقاومة :

نشأت هذه القضية وفقاً لاتفاقية «سايكس بيكو» عام ١٩١٩ م ، حيث وزعت مناطقهم على خمس دول كما سبق الإشارة ، وذلك حينما عرف

المستعمرون إصرار هذا الشعب المسلم على رفض التجاوب معهم ، والسير في ركابهم ، مما أدى إلى معاناتهم ممن حكمهم بالتمييز العنصري وتعرضهم للمجازر الوحشية وحملات الإبادة المنظمة كلما بدرت منهم بادرة مقاومة فأصبحت مناطقهم مرتعاً للجهل والتخلف ومسرحاً لتطبيق الأحكام العرفية فحدثت عدة انتفاضات في أجزاء عديدة من كردستان ، ففي تركيا قامت ثورة الشيخ «سعيد بيران» عام ١٩٢٥ م ، وأخرى قادها الجنرال «إحسان نوري باشا» ١٩٢٧-١٩٣٠ م وثالثة في إقليم «دسيم» عام ١٩٣٧ م ، عدا الانتفاضات التي مازالت قائمة حتى الآن التي يغلب عليها النزعات القومية البحتة ، وفي إيران حينما قامت دولتهم (مهاباد) عام ١٩٤٦ م نسّق الشاه مع السوفيات آنذاك وبعد وقف دعمها سقطت الدولة عام ١٩٤٧ م .

وفي العراق لم تهدأ ثورتهم بدءاً بثورة الشيخ «محمود الحفيد» ١٩٢٠-١٩٣٠ م ، مروراً بالثورات البرزانية الثلاث[٢] ، التي كان آخرها عام ١٩٦١-١٩٧٥ م حيث انطفأت بعد اتفاقية الجزائر بين شاه إيران البهلوي وشاه العراق صدام ، لكن الثورة استمرت ولم يوقفها إلا الغازات السامة التي راح ضحيتها ألوف من النساء والشيوخ والأطفال ، ومازال الأكراد يتعرضون لبطش طاغوت العراق حتى الآن .

لهذا تآمر الغرب عليهم!

يؤكد علماء الأكراد ومفكروهم المعاصرون أن شعبهم تعرض لمؤامرة دولية قام بها المستعمر الغربي بتوزيعهم في مناطق متناثرة ، وهذا التقسيم من أهم مظاهر مأساتهم ، يقول الشيخ «القره داغي»[٣] إن ذلك التقسيم لم يأت اعتباطاً ، بل هو مقصود وبخطة استعمارية مرسومة تهدف إلى ما يلي :

* الثأر من أحفاد صلاح الدين الذين هزموا الغزاة لصليبيين في معركة حطين .
* إن الصليبيين لم ينسوا صلاح الدين حينما قام قائدهم وركل قبره برجله قائلاً : «ها نحن عدنا يا صلاح الدين» .

* تمزيق هذا الشعب وإعطاء كل جزء منه لدولة ، لجعل المنطقة بؤرة صراع دائم ، وهذا ما حدث بالفعل.

وتعرض الأكراد لحروب طاحنة وإفناء بمختلف الأسلحة المحرمة دولياً ولعل أشهرها مذبحة «حلبجة» ، ومما يؤسف له أن كثيراً من الدول العربية ساعدت في إبادة هذا الشعب بتعتيمها إعلامياً على هذا الظلم والطغيان ثم حصل اهتمام مفاجيء بعد حرب الخليج الثانية بالقضية الكردية حيث فتح الباب على مصراعيه أمام عدد من الباحثين والدارسين والإعلاميين ، فنقلت معاناة هذا الشعب ونشرت في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، وصدر الكثير من الكتب والمجلات عن الشعب الكردي لبيان تاريخه ودوره الإسلامي ومعاناته من ظلم الظالمين ، وإبراز ذلك بعد أن كان معتماً عليه ، ولكن كما قيل «بعد خراب البصرة»☆ .

المأساة مستمرة :

تضمنت اتفاقية الجزائر آنفة الذكر ضمان العراق لأمن الأكراد واستقلالهم إلا أنهم تعرضوا للبطش ، وزادت معاناتهم بعد حرب الخليج الثانية ، ومازالوا يعيشون في ضيق وحرمان ، وقد ضيق الخناق عليهم سياسياً واجتماعياً وهُجِّروا من مناطقهم ، وكان ذلك مقدمة لحصارهم وتصفيتهم جسدياً ، كل ذلك لم يحرك ساكناً لدى ما يسمى بالضمير العالمي والأمم المتحدة ومنظماتها ، وتشرد الشعب الكردي عن دياره ، ولجأ إلى تركيا وإيران حيث الجوع والبرد والضياع.

لماذا فشلت انتفاضتهم الأخيرة ؟

حينما ثار الأكراد على حكم طاغوت العراق مؤخراً بعد تنفس الصعداء وتشجيع الغرب لهم ، فشلوا في استثمار انتفاضتهم لأسباب منها :

* لم يعرف مقاتلوهم استعمال الأسلحة الثقيلة التي استولوا عليها من جيش العراق ، واستمروا في استخدام أسلحتهم الخفيفة.

* النقص في وقود الدبابات وتموين المقاتلين.

* مواطن العجز في القيادة والتحكم والاتصالات بين القادة ، وما وجد من وسائل لم يكن فعالاً .

* فشلهم في حرب المدن حيث لم يتعودوا إلا على حرب العصابات .

* تردد الغرب في مساعدتهم حتى لا تقوم لهم دولة ، وربما يكون لها أبعاد أخرى غير مرغوب فيها (٤) .

* التحرك من خلال رؤية قومية .

ومما يؤسف له أن هذه الألوف من المهاجرين كانت مكاناً مهيأ للغزو النصراني بكافة جمعياته ومنظماته ☆☆ ، أما المسلمون فلم يكن لهم أي دور يذكر سوى جهود بعض الجمعيات الخيرية والشعبية ، وحينما زار الأمين العام لمنظمة حقوق الإنسان «إسلام أباد» في باكستان قال في تقريره عنهم بأنه قام بجولة في مخيم «ديار بكر» التركي ، ووجد الخدمات المقدمة للمهاجرين محدودة ولا تكفي حاجاتهم الضرورية ، وبخاصة أثناء فصل الشتاء ونزول الثلوج فالمهاجرون أعطوا خيمة واحدة لكل أسرة مهما كان عددها ، وبعض الفرش التي لا تؤدي الغرض مع تقديم القليل من الخبز والعلاج ، وقد تحدث المهاجرون للمندوب عن مأساتهم ، وكيف ضربوا بالغازات السامة بواسطة الطائرات ، مما اضطرهم للهرب من الموت المحقق ، تاركين موتاهم وجرحاهم وممتلكاتهم وأراضيهم .

ثم قدمت منظمة حقوق الإنسان مشروعاً عاجلاً للإغاثة بعدما وعدت الحكومة التركية بتقديم التسهيلات لإيصال المساعدات للمنكوبين ، ولكن المأساة مازالت مستمرة وواقعهم مايزال بائساً ، ومازالوا تحت الحماية الدولية من الناحية الأمنية مع اختراقها أحياناً من قبل حاكم العراق ، لكن معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية كبيرة ، وحتى تؤدي المعونات دورها لابد أن تعاش مأساتهم المروعة التي نقلت بعضها وكالات الأنباء مع التجاهل للكثير منها لاسيما بعد تحركات الحكومة التركية واضطهادها للأكراد فيها والضغط عليهم وتجريدهم من حقوقهم الإنسانية ، وبخاصة بعد الصراع بين الحكومة التركية

وحزب العمال الكردي ، الذي تسبب في إيجاد المزيد من المعاناة لهذا الشعب المغلوب على أمره[٥] .

لماذا تسيد العلمانيون الأكراد؟

الملاحظ أن العلمانيين الأكراد هم أولوا قوة وسلطة وبروز ، وذلك لأن الأكراد - منذ بداية هذا القرن - ابتلوا بما ابتلي به كثير من الشعوب العربية والإسلامية من الجهل بالإسلام الصحيح ، والغزو الثقافي فكثرت فيهم الاتجاهات المنحرفة وعلى رأسها الأحزاب العلمانية والقوميات والتوجهات الصوفية ، التي عزلت الدين عن الحياة ، وعاشت طقوسها بعيداً عن واقع شعبها وضرورة النهوض به .

وأسباب التوجهات العلمانية يمكن أن ترجع إلى ما يلي :

* أن الدول التي عاشوا فيها قامت على نزعات قومية كما في العراق وتركيا مثلاً، مما دفعهم إلى الدعوة إلى القومية الكردية ، مع ملاحظة أن الأكراد من أواخر الشعوب المسلمة التي أخذت بهذه النعرة ، إذ بقيت انتفاضاتهم حتى العشرينيات وهم ينادون بالإسلام كما في ثورة الشيخ «محمود الحفيد».

* قيام الدول والأنظمة الحاكمة بإيقاع أشد أنواع الظلم لهم وهضم حقوقهم مما جعلهم في حالة ثورة وغضب دائمين ، فجاء القوميون ورفعوا شعاراتهم البراقة بدعوى الإنقاذ مع دعايات كاذبة ضد الإسلام ، من هنا جاءت شعبية أولئك العلمانيين من قبَل الأكراد ، مع جهلهم بحقيقة هؤلاء وانحرافاتهم الفكرية .

* الدعم الضخم الذي حصلت عليه تلك الأحزاب القومية من الشرق والغرب ، بينما لم يحصل الإسلاميون على شيء وجهودهم المحدودة تقوم على مواردهم الذاتية الضعيفة .

* وسائل الإعلام الغربية والشرقية أبرزت العلمانيين ، وضخمت صورتهم واعتنت بهم ودعمتهم .

* إن الحركات الإسلامية لم تولي عنايتها بكردستان ، ولم تقم بواجبها نحوها في البلاد العربية وتركيا ، ولذلك تأخر قيام كيان خاص بالجماعة الإسلامية هناك[٦] .

* محاولة إيجاد فرقة وصراع بين الأكراد والعرب عن طريق إحياء القوميات .

الحركة الإسلامية الكردية :

انتبه العلماء والمفكرون الأكراد إلى واقع شعبهم واستغلال العلمانيين لمعاناته ، فقامت جهود دعوية مشكورة منها الجماعة الإسلامية الكردية «بارتيا إسلاميا كردستاني» ، التي تأسست في ١١/ ١٢/ ١٤٠٠ هـ ، وقام المؤسسون بإعلان دستورهم الإسلامي بعنوان «يا شباب كردستان اتحدوا» ، داعين للالتفاف حول الإسلام ، وأن الغاية المنشودة توجيه ضربة قاصمة للاستعمار وأعوانه ، ولها مجلة هي لسان حال الجماعة والناطق الرسمي لها ، وشعارها «الله ربنا والإسلام ديننا ومحمد نبينا» ، وتستلهم مواقفها من واقع الشعب الكردي وفق تصور إسلامي بعيد عن القوميات والعنصريات[٧] .

ومع انتشار التوجهات الصوفية السائدة في المجتمع الكردي مثل «الطريقة النقشبندية» والطريقة «القادرية» ، إلا أنه برز عدد من العلماء الأكراد المتميزين بعيداً عن التوجهات الصوفية السائدة ، فدعوا إلى الإسلام الصحيح ، وقاموا بجهود علمية وإعلامية ، وأسسوا المجلات الإسلامية المعروفة ، ومن أبرزها :

١ - نداء الحق : التي يشرف عليها الشيخ «علي القره داغي» .
٢ - حلبجة : والتي يرأس تحريرها «الأستاذ محسن جوامير» .
٣ - جودي : لسان حال الحركة الإسلامية

وفي نظري أن على إخواننا علماء الأكراد بذل المزيد من التوعية للشعب الكردي ، ومحاولة إيقاظه من الجهل بإسلامه ، لاسيما ما ينتشر فيه من اتجاهات عقدية منحرفة وعلى رأسها «اليزيدية» و«العلوية» و«والصوفية» ، وكذلك فضح الاتجاهات القومية والعلمانية السائدة المرتزقة باسم هذه القضية ، التي كثيراً ما لمزت الإسلاميين ووصفتهم بالتطرف والإرهاب زوراً وعدواناً ، ومن ذلك ما

ذكره الصحفي الكردي «هيلكوت حكيم» الذي يقول بكل صفاقه : إنه لا يوجد قرية كردية يفهم سكانها بوجود حزب إسلامي سياسي [الحياة - العدد ١١٣٥٢].

والأكراد ولله الحمد أكثرية سنية اشتهروا بالشجاعة والكرم ، يحبون الإسلام ويعتزون به ، ويحترمون رموزه الإسلامية قديماً وحديثاً ، ولو وجد الإسلام الصحيح لما تَسَيَّد أمثال البرزاني والطالباني في صفوف الأكراد ، ومن قبل حاول القياصرة والروس استغلال هذا الشعب المسلم والاستعانة به ضد العثمانيين ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل .

إن غياب الإسلام الصحيح اليوم هناك جعل بغاث الطير يستنسر ، أليس من المخجل أن يسبقنا الشيوعيون والعلمانيون واليهود والنصارى إلى إخواننا الأكراد الذين عاشوا بالإسلام وللإسلام طوال تاريخهم؟

- إين الدعاة إلى الله في مناطق الأكراد؟
- أين الطلاب الأكراد في المعاهد والجامعات الإسلامية؟
- أين الكتب والرسائل والصحف والمجلات المترجمة لكل ما ينفهم بلغتهم؟
- أين الجهود لإنشاد الجمعيات الخيرية التي تهتم بهم وتعينهم على أعباء الحياة بدلاً من جمعيات التنصير؟!

ليت الدعاة المسلمون يدركون خطورة الموقف ، ويفتحون قلوبهم لإخوانهم هناك ، وليت التجار يتنادون إلى فتح المدارس والمستشفيات والمساجد في مناطق الأكراد[٨] .

الحل لمشكلة الأكراد :

هل الأكراد يريدون دولة مستقلة؟ هل هم انفصاليون؟ الحقيقة أن الأكراد يريدون أن يعيشوا في ظل عزة وكرامة كبقية الشعوب الأخرى ، يريدون أن يعترف بوجودهم وبلسانهم وحقوقهم . . هذا ما يريدونه ، وحتى المشروع الذي قدمه الأكراد ليس فيه الرغبة للانفصال وكل ما فيه المطالبة بالحكم الذاتي ليس إلا .

وليس من مصلحتهم المطالبة بإقامة دولة مستقلة لهم في ظل الأوضاع الحالية ، وذلك لما يلي :

* كونهم موزعين على أكثر من دولة ولا يمكن أن تسمح تلك الدول بقيام دولتهم .

* ومع تشجيع ما يسمى النظام العالمي الجديد لحق تقرير المصير لكثير من الشعوب إلا أن مصالح الغرب مع دول المنطقة تجعله لا يؤيد قيام تلك الدولة .

* موقع الدولة الداخلي لا يشجع على استقرارها لكونها محاطة بأعدائها مما يطيل معانات شعبها .

* لو قامت تلك الدولة فإن زعماءها سيكونون من العلمانيين اليوم ، الذين نادوا بالتعاون مع الصهاينة جهاراً نهاراً .

ولو قدر جدلاً قيام دولة كردية لأي ظرف طارىء فإنها لضمان قيامها ستنفذ المطلوب منها كما يلي[٩] :

= إقامة علاقات وثيقة مع العدو الصهيوني ، وستكون منطلقاً له ضد أي نهوض عربي أو إسلامي قادم .

= ستنسق مع تركيا للسيطرة على موارد المياه لنهري دجلة والفرات مما قد يؤثر على المدى الطويل على إمداد المنطقة العربية بالمياه .

= ليس من المستبعد أن يعرض العلمانيون الأكراد خدماتهم على الغرب لضرب التوجه الإسلامي في المنطقة وبخاصة وأن موقفهم من الإسلاميين سيء جداً وضربهم لهم مؤخراً معروف .

= فضلاً عن أن تجارب الأكراد المعاصرة في محاولة إقامة دولتهم غير مشجعة وسلبياتها أكثر من إيجابياتها .

إن حل مشكلتهم في الإسلام - والإسلام وحده - لو طبق . فعلى إخواننا الأكراد في ضوء هذا الواقع المؤلم أن يعطوا ثقتهم للعلماء والمفكرين الإسلاميين بعد فشل العلمانيين في مشاريعهم المعتادة ، وعلى الدعاة والعلماء

أن يقوموا بواجب الدعوة للإسلام الصحيح ونبذ الاتجاهات المنحرفة ، والتربية لشعبهم المسلم وتحذيره من الأحزاب العلمانية المرتزقة ، وألا يستعجلوا الصراع مع تلك الأحزاب كما حصل في الآونة الأخيرة ، لأن النتائج معروفة سلفاً فهم أقل عدة وعتاداً من تلك الأحزاب العلمانية . فهل يفطن أحبتنا الأكراد لهذه المسألة ويقوموا بواجباتهم المفترضة ؟! عسى ولعل .

والله نسأل لهم النصر والعز والتمكين تحت راية التوحيد ، والله غالب على أمره .

هوامش :

(١) الإصلاح ، العدد ٢٧١ ، بتصرف من مقال عن القضية الكردية للأستاذ عبدالله عبدالرحمن .

(٢) اتهم الملا (مصطفى البرزاني) باتهامات كثيرة ، وهناك رأي آخر منصف ، انظر (علماء الأكراد) .

(٣) مجلة المجتمع «لقاء مع الشيخ الدكتور/ علي محيي الدين القره داغي» ، العدد ١٠٥٢ (بتصرف) .

(٤) مجلة «قراءات سياسية» ، العدد ٣/١ عام ٩٣ ، بتصرف من مقالة «المسألة الكردية» .

(٥) الشعب الكردي المسلم (بتصرف) .

(٦) المجتمع ، العدد ١٠٥٢ (بتصرف) .

(٧) المجتمع ، العدد ٧٣٩ بتصرف ، وانظر تقويم لهذه الجماعة في كتاب المذاهب والأفكار المعاصرة للأستاذ محمد الحسن .

(٨) مؤامرة الدويلات الطائفية ، محمد عبدالغني النواوي (بتصرف) .

(٩) مجلة «قراءات سياسية» (بتصرف) .

☆ انظر حواشي المقالين المنشورين في مجلة «قراءات سياسية» السابقة الذكر وما يحفلان به من مراجع أجنبية كثيرة ، وكذلك كتاب «الأكراد شعب مهضوم» لديفيد داول ، انظر عرضاً له في مجلة «المجلة» العدد ٦٣٩ ، وبعض المراجع المشار لها في هذا المقال ، لتعطي فكرة عن الأكراد والواجب حيالهم .

☆☆ انظر ما يتعرض له أطفال الأكراد من تنصير ، وكذلك دور المرأة الكردية وحاجتها للتوعية الإسلامية في كتاب «من للأكراد؟» لأحمد إسلام .

دولة يهود من الداخل

صالح العويشق

لقد كان محور تفكير «يهود» على مر القرون ينصب على **أمرين مهمين** **الأول** المال حيث إنهم قد أشربوا حبه كما قال تعالى : **﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾**[1] ، أما **الثاني** فهو العودة إلى أرض كنعان ، وإذا كانت الأفكار الصهيونية الداعية للعودة قد ظهرت ممثلة في حركة سياسية في القرن التاسع عشر الميلادي ، فإن جذورها الفكرية تعود إلى أيام النفي إلى بابل ، ولقد نجحت الحركة الصهيونية في تجميع «يهود» وإقامة دولة لهم في فلسطين ، ولكن آثار فترة الشتات الطويلة تبدو واضحة للعيان في التركيبة الاجتماعية والدينية والسياسية لمجتمعهم اليوم .

وفيما يلي نبذة موجزة توضح التناقضات التي يعيشها «يهود» مصداقاً لقوله تعالى : **﴿ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جُدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾**[2] .

النظام الاجتماعي :

المجتمع **اليهودي : مكون من خليط متنافر من الجماعات ذات الاتجاهات المتنافرة ، والأصول المتباعدة ، والفروقات الثقافية والعنصرية** ؛ لذا كان من

الطبيعي أن يكون لكل جماعة منها تأثيرها على الواقع السياسي للعدو.

والهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على تلك الفروقات والتناقضات التي تضرب أطنابها في تركيبة ذلك المجتمع ☆.

ويمكن تقسيم المجتمع في دولة يهود إلى قسمين رئيسين :

١ - **الإشكناز** : وهم يهود استقروا في شمال أوروبا وشرقها ، وقد تأثروا بنمط الحياة الغربية ، ويختلفون عن غيرهم في بعض نصوص الصلاة وبعض طقوس الأعياد ، وهم أقطاب الصهيونية الحديثة.[٣]

٢ - **السفارديم (السفارد)** : وهم اليهود الذين استقروا في حوض البحر المتوسط وفي الوطن العربي وإيران ، وكان للغة العربية تأثير قوي على لغتهم الأم[٤].

ويمثل الإشكناز أقلية إلا أنهم هم المتنفذون في الكيان الصهيوني ، فنظرة إلى أعضاء الكنيست (البرلمان) أو أعضاء الحكومة ، أو حتى رؤسائها تجد هذا الأمر واضحاً :

* حكومات العدو حتى ١٩٨٤ م قد ضمت ٦ وزراء شرقيين من بين ٥٨ وزيراً ، حيث شغلوا وزارتي البوليس والبريد غالباً[٥].
* لم يرأس الحكومة قط يهودي من السفارديم.
* أما رؤساء الدولة فكانوا كلهم إشكناز ما عدا واحد من السفارديم ، مع العلم أن منصب رئيس الدولة شرفي.
* لا يمثل السفارد سوى ٩٪ فقط من الوظائف القيادية في المجال الاقتصادي[٦].

وعلى الرغم من أن اليهود الشرقيين يشكلون غالبية السكان ، إلا أن اليهود الإشكناز يحاولون منذ زمن بعيد المحافظة على الوجه الغربي الحضاري للدولة .

يقول «إسحاق دويتشر» : «يوجد نوع من العداوة بين اليهود الشرقيين والغربيين ، إلا أنني أعتقد شخصياً أن اليهود الغربيين سوف يصهرون - في النهاية - الشرقيين ؛ لأنهم يمثلون الحضارة الأرقى التي تنتصر في العادة على الحضارة الأدنى»[7] .

ومع أن الهوة بين المجتمعين واسعة جداً ، إلا أنها تزداد اتساعاً عند الحديث عن يهود «الفلاشا»[8] ، فإننا نجد معظمهم يعاني من العزلة والوحدة في المجتمع الصهيوني ، ويتعمد اليهود الآخرون استخدام لفظ (كوشي) بمعنى (العبيد) في التعامل مع الفلاشا ، مما يزيد من عمق الهوة الفاصلة بين هاتين الطبقتين .

ويصور بعض ما يعانيه يهود الفلاشا قول أحدهم : «لقد كُنا في أثيوبيا بشراً أما هنا فلسنا سوى حمير»[9] ، وفي الجهة المقابلة يقول رئيس وزراء إسرائيل - سابقاً - (ليفي أشكول) : «إن كل المهاجرين متساوون ، إنما هنالك مهاجرون متساوون أكثر»[10] .

أما الحديث عن الاختلافات المذهبية بين اليهود فهو حديث ذو شجون وسآخذ بطرف منه هنا - مع الإشارة إلى أن بعض تلك المذاهب قد اندثر - وفيما يلي أهم المذاهب اليهودية :

١ - **الفريزيون** : وهم (الربانيون) يلقبون أنفسهم «الحسيديم» أي الأتقياء ويعتقدون بأن عيسى - عليه السلام - زنديق! وإن كانوا معتقدين بظهور

مسيح منتظر ، كما أنهم يوجهون العامة إلى احتقار الأمم والأديان والأجناس الأخرى[11].

٢ - **القـنـاؤون** : شعبة من الغريزيين إلا أنهم يمتازون بالتطرف والعنف ويتمسكون بفكرة الوطن اليهودي الحر المستقل ، وهم يفضلون الموت على أن يبايعوا حاكماً أجنبياً ، ومع أنها اندثرت كجماعة إلا أن أفكارها تسربت إلى الفكر الصهيوني الحديث[12].

٣ - **القـراؤون** : من أشد أعداء الغريزيين ، ويرون أن الربانيين قد استولوا على مقدسات إسرائيل ، ومن الملفت للنظر وجود التشابه بين المنحى الفلسفي لهذه الطائفة مع المنحى الفلسفي عند المعتزلة[13].

٤ - **الإصلاحيون** : يميلون إلى التساهل في أخذ الأحكام ، وينكرون التوراة كمصدر ، وقد صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل المزعوم ، كما أنهم أنكروا أن يكون الخلاص معناه إقامة دولة في فلسطين ، ومما يرونه أن اليهودية دين فقط ، وليست جنسية[14].

٥ - **المـارانـوس** : يعتبرهم المتأخرون من علماء اليهود خارجين عن الدين اليهودي ، وكانوا في أسبانيا مدة عيشهم يظهرون النصرانية ، ويبطنون اليهودية[13].

٦ - **الصهيونية : هي حركة التحرر الوطني اليهودي ، ومن مضامينها العودة إلى «أرض الميعاد» وإقامة الدولة اليهودية عليها ، ويمكن اعتبارها حركة سياسية ترفع شعاراً دينياً مع تبني العلمانية في نظم الدولة ، ومن أهم أهدافها :**

* المحافظة على تميز العنصر اليهودي.

* العمل من أجل العودة إلى «أرض الميعاد».
* السيطرة على جميع شعوب الأرض وتسخيرها لخدمة الجنس اليهودي[١٦].

٧ - **الفلاشا** : طائفة من اليهود على أساس مذهبي وعرقي ، حيث إنهم يسكنون شرق القارة الإفريقية وفي الحبشة بخاصة ، كما أنهم لا يعرفون اللغة العبرية ولا يؤمنون بالمشنا ولا بالتلمود ، إلا أنهم يؤمنون برسالة موسى - عليه السلام - ومن بعده وبالكتاب المقدس ، والجدير بالذكر أنه لا يوجد أي دليل قوي يبين مبدأ نشأتهم ، وسبب اعتناقهم للدين اليهودي[١٧].

النظام السياسي لدولة يهود :

إن من الأمور الملفتة للانتباه في النظام السياسي عندهم هو ذلك العدد الهائل من الأحزاب السياسية - (٢٨) حزباً - تجتمع فيما بينها في تكتلات ذات أهداف قد تتوافق في بعض خطوطها العريضة ، ويرجع بعض الباحثين ذلك التعدد إلى الأسباب التالية :

١ - عدم انتمائهم إلى تراث تاريخي واحد.

٢ - وجود اختلافات عقائدية بين الصهيونيين أنفسهم ، تتفاوت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

٣ - نزعة كل فريق منهم إلى التكتل مع أبناء وطنه القديم الذي هاجر منه[١٨].

والواقع أن تعدد الأحزاب ليس إلا انعكاساً للتركيبة المتناقضة لذلك المجتمع والتفاوت الظاهر بين مختلف فئاته.

ويمكن تصنيف الأحزاب عندهم على النحو التالي : «التجمع العمالي» وفيه حزب العمل ، الأحزاب اليمينية (الليكود) ، الأحزاب الدينية ، الأحزاب الشيوعية .

وهناك بعض الكتاب يرى تقسيمات وتصنيفات أخرى للأحزاب السابقة، وسأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم برامج وأهداف بعض الأحزاب والتجمعات السياسية اليهودية الرئيسة .

أهداف حزب العمل :

السلام الحقيقي والدائم بين دولتهم وجاراتها ، تجميع الشعب اليهودي في «بلاده» ، القدس الموحدة هي عاصمة دولتهم ، معارضة قيام دولة فلسطينية في المنطقة الواقعة بين إسرائيل والأردن .

أهداف حزب الليكود :

منع إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، القدس عاصمة دولتهم الموحدة ، ضمان قوة الدولة وتعزيز أمنها وإقرار السلام مع جيرانها شرق الأردن هو جزء من أرض دولتهم التاريخية .

الأحزاب الدينية :

بالرغم من أن كثيراً من اليهود غير متبعين لأحكام الدين اليهودي ، إلا أنهم يتأثرون بالمطالب ذات الصبغة الدينية التي تطالب بها هذه الأحزاب[١٩] .
والأحزاب الدينية قديمة ومن تطلعاتها :

* يولي حزب (أغودات) المسائل الدينية الاهتمام الأساس في نشاطه

السياسي ، ويربط تأييده للحكومة بمدى استعدادها لتطبيق بعض القوانين الدينية اليهودية .

* أما حزب (المفدال) فهو لن يُسَلِّم أي جزء من «أرض إسرائيل» - المزعومة - إلى حكم أجنبي ، وبين النهر والبحر تقوم دولة واحدة هي إسرائيل وعاصمتها الموحدة القدس ، كما يسعى إلى سلام بين إسرائيل وجيرانها .

الأحزاب الشيوعية :

ومنها حزب (حداش) الذي يتكون من حزب (راكاح) ومنظمة الفهود السود ، ومما يدعو إليه تحقيق السلام العادل في نظره ، وذلك بانسحاب إسرائيل من جميع المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ م بالإضافة إلى الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، وإقامة دولة له في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية[٢٠] .

ومن إفرازات الصراع الطائفي اليهودي ظهر حزب (حركة شاس) المسمى اتحاد السفارديم حراس التوراة ، وتركز هذه الحركة اهتمامها على المجالات الدينية كما أن هذه الحركة ترى أن فلسطين كلها (لشعب إسرائيل) بحكم وعد التوراة .

ونستطيع ملاحظة مدى التشابه بين برامج الأحزاب الإسرائيلية وبخاصة فيما يخص العلاقة مع الدول العربية .

والجدير بالذكر أن تلك الأحزاب السياسية تتجه دائماً إلى التكتل في وجه أي خطر خارجي بغض النظر عن الاختلافات الموجودة حال السلم[٢١] .

وفي ختام الحديث عن الأحزاب الإسرائيلية أشير إلى ما قاله عضو حزب العمل السابق (أبا إيبان) : «إن إسرائيل الآن في مفترق الطرق ، فإما أن تتفاوض

وتبادل الأرض بالسلام ، وتحافظ على حلم إقامة الدولة اليهودية ، وإما أن تتخلى عن هذا الحلم ، وتصبح دولة قمعية مستبدة يحكم مصيرها صراع داخلي رهيب»[٢٢] .

هوامش :

(١) سورة البقرة ، أية ٩٣ .
(٢) سورة الحشر ، أية ١٤ .
(٣) الفكر اليهودي ص ٢٠٢ .
(٤) الفكر اليهودي ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .
(٥) حكم الإشكنازيين ، نقلاً عن «إسرائيل من الداخل» ص ٥٧ .
(٦) الأيدلوجية الصهيونية ، ج٢ ص٣٢ - ٣٦ .
(٧) اليهودي واللايهودي ص ٧٧ .
(٨) وهم يهود الحبشة ويختلفون عن الآخرين بعباداتهم وبعض معتقداتهم .
(٩) يهود الفلاشا ص ١٩٠ - ١٩١ .
(١٠) إسرائيل من الداخل ص ٥٧ .
(١١) الفكر الديني اليهودي ص٢١٠-٢١٣ ، اليهود تاريخ وعقيدة ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(١٢) الفكر الديني اليهودي ص ٢١٧ - ٢٢٠ .
(١٣) الفكر الديني اليهودي ص ٢٣٧ - ٢٥٦ ، اليهود تاريخ وعقيدة ص ٢٠٨ .
(١٤) الفكر الديني اليهودي ص ٢٦٤ - ٢٦٩ .
(١٥) الفكر الديني اليهودي ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
(١٦) الصهيونية : نشأتها وتنظيماتها ص ٢٦ - ٣٠ .
(١٧) انظر يهود الفلاشا ، الفكر الديني اليهودي ص ٢٧٠ .
(١٨) النظام السياسي الإسرائيلي ص٣٣٥ - ٣٤٧ ، الصهيونية جذورها ص ١٣١ - ١٣٢ ، نظام الحكم في إسرائيل ص ٧١ .
(١٩) رسالة د. مونيه ، نقلاً عن نظام الحكم في إسرائيل ص ١١٩ .
(٢٠) انظر : النظام السياسي الإسرائيلي ص ٣٥٧ - ٤٩٩ ، نظام الحكم في إسرائيل ص ٨١ - ١٤٨ .
(٢١) نظام الحكم في إسرائيل ص ٨٠
(٢٢) إسرائيل من الداخل ص ٥ .

☆ انظر إلى كتاب «التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل» ، بحث «هلدا الصايغ» رقم ٨٥ من دراسات فلسطينية ، مركز أبحاث م.ت.ف. ، ١٩٧١ م ، والذي يشكل فضحاً للمساواة المزعومة عندهم وأنه لا أمل في حل هذه المشكلة . - «البيان»

«الاستغراب»*

محاولة جادة لتحصين الهوية

د. أحمد بن محمد العيسى

ليس هناك حاجة كبيرة لايضاح طبيعة العلاقة القائمة بين الشرق الإسلامي، والغرب (النصراني- العلماني) من الناحية العسكرية والسياسية منذ أن تمكنت الدولة الإسلامية الوليدة من تهديد وجود الدولة الرومانية في الشام ومصر وشمال أفريقيا، ومن ثم تهديد أوربا ذاتها. لقد كان أساس هذه العلاقة ولايزال، الصراع والصدام العسكري. وعلى الرغم من أن أهداف الفريقين لم تكن واحدة، إلا أن كل فريق يرى في الفريق الآخر منافساً قوياً وعدواً لدوداً يسعى إلى فرض سيطرته، وفرض نظامه العقدي والحضاري في منطقته وبين سكانه. والمسلمون في عصورهم الزاهية كانوا يرون الامتداد الطبيعي للدعوة والجهاد يسير في الاتجاهين: الشرق من بلاد فارس والهند وآسيا الوسطى إلى جنوب شرق آسيا، وفي الغرب من المغرب العربي والأندلس إلى جنوب أوربا وشرقها. والغرب كان يرى الامتداد الطبيعي لمصالحه وسيطرة ممالكاته النصرانية (في العصور الوسطى) ثم دوله الاستعماريه وشركاته المتعددة الجنسيات، في العصور الحديثة يسير في اتجاه الشرق، ولابد أن يخترق العالم الإسلامي بأكمله حتى يصل إلى الشرق الأقصى.

ورافق علاقة الصدام العسكري والسياسي، بعدٌ حضاري وثقافي شديد

الوضوح والاستقطاب، فكل فريق منتصر يقوم بتثبيت أركان نظامه العقائدي ورؤاه الحضارية للكون والإنسان في المناطق «المحررة»، وغالباً ما يقوم الفريق المنهزم - كما يقرر ابن خلدون - بتقليد الفريق المنتصر «ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه، في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله..»[1].

ولهذا فلو تتبعنا العلاقة الثقافية بين المعسكرين منذ عصر صدر الإسلام، وحتى اليوم نجد أنها تميزت بمراحل ثقافية وتاريخية متميزة:

١ - في أول عصور الاصطدام الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني، لم يكن للدولة الرومانية المنهزمة أي فعل حضاري متميز، عدا بعض ما نقله المسلمون من أدواتهم الثقافية مثل حركة تعريب الدواوين وسك العملات.. ولهذا فقد دخل سكان البلاد التي فتحها المسلمون في الدين الحنيف دون مقاومة كبيرة.. ولكن حصل بُعيد ذلك وفي أواخر عهد الدولة الأموية، ثم تطور في عهد الدولة العباسية، ماسمي في التاريخ الإسلامي «بحركة الترجمة»، حيث تُرجمت العلوم اليونانية، مثل الفلسفة والرياضيات والفلك، إلى العربية. وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد أثرت تأثيراً مهماً في الفكر الإسلامي حيث ظهرت بعض المذاهب «العقلانية» المتأثرة بالفلسفة اليونانية مثل مذهب المعتزلة، إلا أن هذا التأثير كان تأثيراً ذاتياً تم بمبادرة من المسلمين، ولم يكن فعلاً ثقافياً مفروضاً من الخارج.

٢ - وعندما كان المسلمون يمثلون القمة في الفعل الحضاري والتفوق العسكري، كان لزاماً أن ينتقل التأثير إلى مراكز الضعف الثقافي في مختلف البلاد التي احتكت بالعالم الإسلامي، وكان الغرب أحد هذه المراكز، فحدث أن حصل بعد الحروب الصليبية، رد فعل قوي في الغرب من جراء الاصطدام

بالحضارة الإسلامية ومنجزاتها سواءاً أكان ذلك في الشرق الإسلامي أم في بلاد الأندلس التي كانت تعيش في الناحية الأخرى أزهى عصورها حضارياً. .

ولهذا حدث ما يسمى بالاستيقاظ والانتباه الغربي، قبل ما يسمى «بعصر النهضة» الأوربية. وبدأت تسير بعد ذلك عملية البناء الثقافي في الغرب في اتجاهين: الأول: ببعث التراث الثقافي اليوناني والروماني بشكل مكثف، حتى يكون الركيزة الأساسية للنهضة، والثاني: كان لابد من صد هذا الفكر الغازي وجعله غريباً بين الناس، إما بتجاهله، أو بإيجاد المراجع العلمية التي تستطيع تفسير هذا الفكر (الغريب) وتصويره للناس بما لا يتعارض مع المقومات الأساسية التي سار بها الإتجاه الأول. أما كيف يتم تجاهل حدثاً ثقافياً بارزاً، وفعلاً حضارياً يطرق الباب، فتحدثنا عنه المستشرقة «زيغريد هونكة» بقولها: «أما أن تكون ثمة شعوباً أخرى، وأطراف من الأرض لها شأن عظيم في التاريخ، بل وفي تاريخنا الغربي خاصة، فذلك أمر لم يعد بالإمكان تجاهله في حاضر قد طاول النجوم عظمة. لأجل ذلك، يخيل إلي أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثر بقوة على مجرى الاحداث العالمية، ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير. وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مئة كتاب تاريخي، لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها. وحتى هذا اليوم، فإن تاريخ العالم، بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ - بالنسبة إلى الإنسان الغربي وتلميذ المدرسة - إلا بمصر القديمة وبابل بدءاً خاطفاً وسريعاً، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الاغريق ورومة، ماراً مروراً عابراً ببيزنطية، ومنتقلاً إلى القرون الوسطى المسيحية، لينتهي منها آخر الأمر، بالعصور الحديثة. .»[٢].

كان هذا التجاهل جزءاً من الاستراتيجية الغربية في صد الفكر الإسلامي

أما إذا اضطر الغرب إلى التعامل مع بلاد الإسلام وخاصة منذ عصر «النهضة» الغربية ، فكان لابد من إيجاد وسيلة أخرى ، وكانت هذه الوسيلة هي ما يسمى اليوم بـ«الاستشراق». لقد كان للإستشراق مهمة تاريخية واضحة ، وهي تحصين الهوية الثقافية الأوربية عن طريق تكوين المراجع العلمية الغربية التي تستطيع أن تحدث وتناقش بطريقة علمية لا تدع مجالاً للاختراق الثقافي من الخارج. (يمكن الاطلاع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر في بحثه المتميز : «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» عن تاريخ الاستشراق وأهدافه). ويؤكد إدوارد سعيد في كتابه الهام «الاستشراق» حقيقة أن الدراسات الاستشراقية لم يكن هدفها في الأساس معرفة الشرق على حقيقته ، ولهذا فهو يقول : «أنا شخصياً أعتقد أن قيمة الاستشراق على وجه الخصوص ، هي في كونه علامة على السلطة الأوربية - الأطلنطية على الشرق ، أكثر من كونه بحث حقيقي عن الشرق ، (وهذا ما يدعيه شكله الأكاديمي) . . . ولذلك فإن الاستشراق هو بعد هام للثقافة الفكرية - السياسية الحديثة ، ولهذا فليس له علاقة كبيرة بالشرق ، أكثر من علاقته بعالمنا «نحن» . . وبطريقة ثابتة فإن الاستشراق يعتمد في استراتيجيته على التفوق المركزي الذي يضع الغربي في مجموعة من العلاقات المحتملة مع الشرق ، ولكن بدون أن تفقده دائماً اليد العليا . . . »[٣].

وأصبح «الاستشراق» من هذا المنطلق يمثل رأس الحربة في توجه سياسات الغرب الاستعمارية منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وحتى الآن حيث لايزال يمارس نفس الدور تقريباً من خلال مراكز الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية ، ومن خلال مراكز الدراسات الاستراتيجية التي ترسم السياسات الغربية في مجالات متعددة.

٣ - أما المرحلة الثقافية الثالثة التي تميز العلاقة الحضارية بين الغرب

والشرق الإسلامي فتتمثل في مرحلة «التغريب» التي بدأت منذ بداية عصر الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي من قبل أوربا ، وبالتحديد من غزو نابليون مصر عام ١٧٩٨ م. وقد استمر «التغريب» سمة ثقافية بارزة حتى بعد أن اضطر الغرب إلى تقويض خيامه العسكرية والرحيل. أما كيف حدث هذا؟ فيحدثنا الكاتب الفرنسي (ك موريل) بسخرية عن تلك الفترة - فترة تصفية الاستعمار - : «إذا أرخنا للمعارك فقد أخفق الاستعمار. ويكفي أن نؤرخ للعقليات لنتبين أننا إزاء أعظم نجاح في كل العصور. إن أروع ما حققه الاستعمار هو مهزلة تصفية الاستعمار . . لقد انتقل البيض إلى الكواليس ، لكنهم لايزالون مخرجي العرض المسرحي . . .»[٤].

ويشير المؤرخ الأمريكي (دافيد فرومكين) عن تلك الحقيقة في كتابه (سلام ما بعد سلام) بقوله : «كان أمراً مألوفاً في بدايات القرن العشرين ، عندما كان تشرشل وضيوفه يمضون الوقت في رحلتهم على متن اليخت أنشانترس ، أن يفترض المرء أن الشعوب الأوربية ستواصل القيام بدور السيطرة الذي تمارسه في الشؤون العالمية إلى أبعد ما تستطيع البصيرة أن ترى. وكان من الشائع أيضاً الافتراض أن الشعوب الأوربية بعد أن أنجزت معظم ما اعتبره كثيرون رسالة الغرب التاريخية - أي تحديد المصير السياسي للشعوب الأخرى على الكرة الأرضية - فلا بد أنها متممة هذه الرسالة. وكانت بلدان الشرق الأوسط بارزة بين البلدان التي كان على الأوربيين التعامل معها ، إذ هي بين قلة من المناطق المتبقية على كوكبنا دون أن يعاد تكوين شكلها اجتماعياً وثقافياً وسياسياً على صورة أوروبا ومثالها . . .»[٥]. إذن كان التغريب الثقافي والفكري (على صورة أوروبا ومثالها) هدف من أهداف الاستعمار العسكري والسيبريالية على الشرق الإسلامي. وبالفعل تمكنت أوروبا من تحويل اتجاه

طلائع «المثقفين العرب» إلى الفكر والفلسفة الأوربية لتبدأ «حركة الترجمة» الثانية ، ولكنها هذه المرة حركة مفروضة من الخارج ترى في أوروبا المثال - النموذج ، وترى في التراث الإسلامي التأخر والرجعية ، وأصبحت تنظر للحضارة والثقافة من منظار غربي لا أثر فيه للتميز الحضاري ، بل أن «نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يُعاب ، وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشياء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها . . . »[٦] .

الحقيقة أن التغريب يجري على دم وساق ، ويواجه العالم الإسلامي وبقية دول ما يسمى (بالعالم الثالث) ، بشكل لم يسبق له مثيل، خطر تفتيت الهوية الثقافية والاجتماعية . وعلى الرغم من أن مسيرة التغريب قد بدأت منذ وقت طويل، إلا أنها بدأت تأخذ أشكالاً مختلفة وأكثر خطورة منذ سقوط الشيوعية، وانفراد القوة الأخرى بالمسرح العالمي . فقد سيطرت المنظومة الليبرالية - الرأسمالية على المنظمات الدولية (الأمم المتحدة، صندوق النقد الدولي، اليونسكو، منظمات الإغاثة العالمية، وأخيراً منظمة التجارة العالمية «الجات» . .) وتمكنت عن طريق هذه السيطرة من فرض القوانين الدولية التي تراعي نظامها ومصالحها . كما سيطرت المنظومة الليبرالية - الرأسمالية على وسائل الإتصال الحديثة وتمكنت بفضل التقدم التقني الهائل من الوصول بقيمها ومعتقداتها إلى جميع بقاع العالم تقريباً . (ينطلق فيض «ثقافي» بمعنى فريد من بلدان المركز - الغرب - ويجتاح الكرة الأرضية) . تتدفق صور، كلمات، قيم أخلاقية، قواعد قانونية، اصطلاحات سياسية، معايير كفاءة، من الوحدات المبدعة إلى بلدان العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام (صُحف، إذاعات،

تلفزيونات، أفلام، كتب، أسطوانات، فيدو). ويتركز الجانب الأكبر من الإنتاج العالمي «للعلامات» في الشمال، أو يصنع في معامل يسيطر عليها، أو حسب معاييره وموضاته. وسوق المعلومات شبه احتكار لاربع وكالات: أسوشيتيد برسس ويونايتد برس (الولايات المتحدة)، رويتر (بريطانيا العظمى)، فرانس برس. وتشترك في هذه الوكالات كافة إذاعات العالم، كافة شبكات تلفزيون العالم، كافة صحف العالم. ويتدفق ٦٥٪ من المعلومات العالمية من الولايات المتحدة. ومن ٣٠ إلى ٧٠٪ من البث التلفزيوني مستورد من المركز.. وهذا الفيض من المعلومات لا يمكنه إلا أن «يشكل» رغبات وحاجات المستهلكين، أشكال سلوكهم، عقلياتهم، مناهج تعليمهم، أنماط حياتهم»[(٧)].

ولعل من مظاهر هذه السيطرة تفشي الأنماط الثقافية الاستهلاكية في المجتمعات الإسلامية، ومنها طغيان النزعة الفردية وحب الذات في التعمْل مع الآخرين، وأيضاً الاستسلام للعامل الدعائي في ترويج المنتجات، وكذلك إتجاه الأفراد وخاصة الشباب إلى الثقافة السطحية السهلة، فتجد الشاب لا يستطيع أن يجلس ليقرز كتاباً كاملاً، بل يريد الكتاب مختصراً فى صفحة أو صفحتين.. وهكذا، فنحن - كما يقولون - في (زمن السرعة) ومنها أيضاً تفشي ظاهرة المأكولات السريعة، نتيجة لانتشار هذه النوعية من المطاعم والمتاجر، وكل هذا يعكس الانماط الاجتماعية السائدة فى بلاد الغرب وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.

وربما كان من أخطر مظاهر التغريب فى العلاقات الولية أن أصبح الاقتصاد والقوة المالية هي العامل الأساسي في علاقات وتحالفات الدول، فلا قيم ولا ثقافة، ولا مبادىء. وهذا يؤكده المفكر والاقتصادي الفرنسي (جاك أتالي) بقوله: «إن البشرية تدخل في مرحلة من الزمن جديدة تماماك التاريخ يتسارع، التكتلات تتفكك، الديمقراطية تحقق انتصارات جديدة، ممثلون

ورهانات جديدة تبرز على المسرح، أمام هذه التحولات التي تبدو في ظاهرها مبعثرة لا يربط فيما بينها أي رابط، يسود لدى المراقبين الحذر من النماذج الموجودة، ويغلب الاستسلام لمزاج القوى العديدة التي تحرك كوكبنا، كما يغلب الميل إلى إعطاء السوق دوراً حاسماً في كل شيء بما في ذلك دور الحكم في مصير الثقافات . . »[8].

الاستغراب: هل يكون المحطة الرابعة ؟

ولمواجهة هذا المد التغريبي الهائل، لابد أولاً من إدراك خطورة العلاقات الغير متكافئة بين الفريقين، ثم بإتخاذ استراتيجية تعتمد على محورين أساسيين، أولهما: بعث العقيدة الإسلامية الصحيحة والفكر الإسلامي الأصيل ونشره بين الناس ليكون الركيزة الأساسية للنهضة، ثم قيام مراجع علمية إسلامية تدرس الغرب، وتفهم منطلقاته وأهدافه ونظم حياته الثقافية والفكرية، لتكون الحاجز الأول لتحصين الهوية الإسلامية، وهذا ما نسميه بـ «الاستغراب». (وهذين المحورين شبيهين بالطريقتين اللتين سلكهما الغرب عند مواجهته للحضارة الإسلامية، وعندما كان في بداية نهضته الحالية. وليس في هذا تقليداً للغرب، بل هما - فيما أحسب - سنة من سنن الله في الكون).

وعلى الرغم من أن الصحوة الإسلامية المعاصرة قد أدركت أهمية الشق الأول من هذه الاستراتيجية، فبدأت بالاهتمام بالعلم الشرعي، وتصحيح المعتقدات، ونشر كتب العقيدة والعلوم الإسلامية، بل لا يزال كثير من المفكرين والمنظرين للصحوة، لا يدركون خطورة المرحلة الحالية، ويحتفظون بأفكار سطحية عن الغرب، وعن علاقاته بالمجتمعات الإسلامية، وذلك لغياب المراجع التي يتستطيع أن تشكل الرؤية الإسلامية عن الغرب، بعيداً عن تنظيرات فلاسفة «التغريب» المعاصرين (ولا تقل عنها سوأ تنظيرات احجاب الفكر

الإسلامي المستنير ! عن طبيعة العلاقة بين الغرب في ظل ظروف التغريب الشامل).

إن الاستغراب الذي نشير إليه هنا، ينبغي أن ينطلق من أسس واضحة ليحقق بعض الأهداف الهامة :

١ - استثمار نجاح الصحوة الإسلامية في كسر حدة الانبهار بالغرب، حيث بدأ كثير من الشباب المسلم يعيد تقويمه للتقدم التقني الغربي. وحتى يتم تعميق الاعتداد بالنفس، والشعور بالانتماء للأمة والتميز الحضاري والفكري، ينبغي نقض وتعرية مفاهيم الغرب وقيمه التي يبثها في العالم (الديمقراطية، الحداثة، الثقافة العالمية.. الخ) ولن يتم هذا النقض إلا بمعرفة أسس هذه المفاهيم وتناقضاتها على مستوى التنظير، وعلى مستوى التطبيق.

٢ - عند إيجاد المراجع الإسلامية - الذين يمكن أن نطلق عليهم بـ «المشتغربين» - سوف يتظاءل تأثير (المتغربين) من أبناء المسلمين، الذين يرون في الغرب، النموذج والمثال، في الفكر والأدب والاقتصاد وقيم العمل، وقيم السياحة، والعلاقات الاجتماعية.. الخ، ولن تحتاج الأمة إلى عناء كبير لكشف شبهاتهم التنظيرية، رذ أن لديها من يعرف فكر (القوم) ومصالحه ومخططاته.

٣ - وعندما نتمكن من دراسة الغرب دراسة واعية في سبيل تحصين هوية الأمة، والحفاظ على مصالحها، سوف نستطيع دراسة تأثير التطورات التي تحدث في الغرب في جميع المستويات السياسية، والاقتصادية، والفكرية، والاجتماعية، على ثقافة الأمة وعلى مصالحها ومستقبلها. إن غياب الرؤية الحقيقية لما يجري في الغرب تجعلنا نعيش في ظروف وأحوال ليست من صنعنا، ولا نعرف كيف حدثت، ولماذا، ومن المستفيد منها ؟

إن الاستغراب هو محاولة جادة لدراسة الغرب، ليس بهدف الترف الثقافي والفكري - كما حصل عندما ترجمت الفلسفة اليونانية في القرون الإسلامية الزاهية - وإنما لتحقيق مصالح في غاية الأهمية ومنها في المقام الأول تحصين الهوية الإسلامية في ظل ظروف التغريب الجامح الذي يجري تطبيقه على أكثر من صعيد .

هوامش:

* تناول مصطلح الاستغراب بالبحث والدراسة د/ حسن حنفي في كتابه المعنون بـ(مقدمة في علم الاستغراب) ، وهذا المقال لا يعتمد على ما طرح في الكتاب المذكور بل هو طرح مستقل - كما ترى - للموضوع ، وكاتب المقال لا يتفق مع د/ حسن حنفي في كثير من منطلقاته الفكرية سواءً ما هو مقروء منها في كتابه المشار إليه أو في كتبه الأخرى.

(١) بن خلدون، المقدمة، دار القلم - بيروت ١٨٧٨، ص ١٤٧ .

(٢) زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغربْ، ترجمة: فاروق بيضون، وكما دسوقي، منشورات دار الآفاق الحديثة - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م . ص ١١ .

(٣) ادوارد سعيد، الاستشراق، (الطبعة الانجليزية)، ١٩٧٩ ، ص٦ وما بعدها.

(٤) ك. موريك، ١٩٨٥ م. نقلاً من كتاب سيرج لاتوش، «تغريب العالم»، ترجمة : خليل كلفت، دار العالم الثالث، ١٩٩٢م، ص٧ .

(٥) دافيد فرومكين، سلام ما بعده سلام: ولادة الشرق الأوسط، ترجمة: أسعد كامل الياس، رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٢م، ص٢٢ .

(٦) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ص٤٤ .

(٧) سيرج لاتوش، «تغريب العالم»، ترجمة: خليل كلفت، دار العالم الثالث، ١٩٩٢م، ص٢٧ .

(٨) جاك أتالي، آفاق المستقبل، ترجمة: محمد زكريا إسماعيل، دار العلم للملايين، ١٩٩١م، ص ٣٥ .

أنشطة المنتدى الإسلامي

التحرير

سبق الحديث عن بعض مشاريع «المنتدى الإسلامي» مثل : «كفالة الدعاة ، وبرنامج شهر رمضان الماضي ، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد» ، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي :

- البيان -

رابعاً - الدورات والملتقيات العلمية :

ينتشر الدعاة المحليون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وتختلف قدراتهم الدعوية ، ومستوياتهم العلمية ، وبسبب غياب العلماء وطلاب العلم وانهماك كثير من الدعاة في أمورهم الخاصة ، أصبح الضعف العلمي سمة سائدة عند كثير من الدعاة.

والعلم الشرعي هو الأساس في العمل الدعوي ، فإذا غاب العلم حصل الاضطراب عند الدعاة ، قال الله تعالى : ﴿ **أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم** ﴾[الملك ، آية ٢٢].

ومن أجل ربط الدعاة بالعلوم الشرعية ، وتنمية قدراتهم العلمية ، سعى المنتدى الإسلامي إلى إقامة الدورات الشرعية والملتقيات الدعوية التي بلغ عددها حتى إصدار هذا العدد (١٨) ملتقى دعوي و (١٦) دورة شرعية ، وهي أربعة أنواع :

١ - دورات شرعية متخصصة قصيرة :

يشترك فيها الدعاة المتخرجون من الجامعات أو الدعاة المتميزون في المنطقة ، وتقوم اللجنة العلمية في المنتدى الإسلامي بإعداد برنامج تفصيلي لهذه الدورات حسب حاجة الدعاة المستفيدين بالتشاور مع بعض العلماء وطلاب العلم ، ثم يتكفل المنتدى الإسلامي بإرسال عدد من طلاب العلم إلى مقر الدورة ، ويقوم مكتب المنتدى في المنطقة بالترتيب والإعداد لهذه الدورة ويتراوح عدد المستفيدين في الدورة الواحدة من ٥٠ إلى ١٠٠ داعية .

٢ - دورات شرعية متخصصة طويلة :

يشترك فيها الدعاة المتخرجون من الجامعات الإسلامية ، وهي دورات مركزة يشترك فيها حوالي ٣٠ داعية لمدة ثلاثة أشهر ، وتقام فيها الدروس المتابعة يومياً بعد الفجر إلى المساء في العقيدة والفقه وأصوله والتفسير والحديث ومصطلحه وفقه الدعوة ، بالإضافة إلى بعض التطبيقات الميدانية .

٣ - ملتقيات دعوية إقليمية :

ويدعى إليها الدعاة من دول مختلفة ، ومن أماكن متفرقة ، ويرسل المنتدى الإسلامي عدداً من الدعاة المؤهلين شرعياً ودعوياً لإلقاء الدروس والمحاضرات في هذه الملتقيات ، ويستمر انعقاد الملتقى من عشرة أيام إلى خمسة عشر يوماً ، ويتراوح عدد المستفيدين من الملتقى الدعوي من ٨٠ إلى ١٥٠ داعية .

٤ - دورات شرعية محلية :

يشترك فيها الدعاة المحليون بمختلف المستويات ، حيث يقوم الدعاة المحليون الأكفاء التابعون للمنتدى الإسلامي بالتدريس في هذه الدروات ، ويتم إعداد المنهج العام من قبل اللجنة العلمية بالمنتدى .

ويعتزم المنتدى إقامة عدد من الملتقيات الدعوية والدورات الشرعية في

الصيف القادم إن شاء الله .

وتهدف هذه الدورات والملتقيات الدعوية إلى :

١ - نشر وترسيخ العقيدة الصحيحة .

٢ - تنشيط وتقوية الدعاة .

٣ - نشر العلم الشرعي بين أوساط الدعاة .

٤ - تواصل الدعاة وطلاب العلم .

٥ - ترشيح الدعاة المتميزين لكفالتهم ضمن دعاة المنتدى الإسلامي (إن لم يكونوا مكفولين من أي جهة أخرى) .

٦ - جمع معلومات عن المناطق التي ينتمي إليها المشاركون .

٧ - معالجة المشكلات الدعوية الميدانية التي يعاني منها الدعاة .

تكاليف هذه الدورات :

- **التكلفة التقديرية لدورة شرعية متخصصة = ٥,٣٠٠ دولار .**
- **التكلفة التقديرية لدورة شرعية محلية = ١,٣٥٠ دولار .**
- **التكلفة التقديرية لملتقى دعوي إقليمي = ٨,٠٠٠ دولار .**

وهذه التكلفة شاملة لمصاريف السفر والإقامة ومقر الدورة والتغذية والكتب ونحوها .

خامساً - حلقات تحفيظ القرآن الكريم :

أنزل الله عز وجل كتابه العزيز لكي يكون نوراً وهدى للناس ، وحث الرسول ﷺ على قراءته وحفظه وتدبر آياته ، وجعل الله عز وجل أهل القرآن هم خاصته وأحباءه ، فهم خير الناس وأعلاهم منزلة ، قال النبي ﷺ : (خيركم

من تعلم القرآن وعلمه).

وتعلم القرآن وحفظه في الصغر مما يفيد المسلم ويعينه ، وتربية النشء على تلاوة الكتاب العزيز وحفظه وتفهمه مطلب أساس من المطالب التربوية.

ويسعى المنتدى الإسلامي - ولله الحمد والمنة - إلى تكوين المحاضن التربوية لأبناء المسلمين ، عن طريق افتتاح حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وقد أعدت اللجنة العلمية في المنتدى خطة متكاملة لهذه الحلقات يحفظ فيها الطالب كتاب الله عز وجل كاملاً في ثلاث سنوات ، كما أعدت اللجنة منهجاً مبسطاً لتعليم العقيدة الإسلامية وأصول الإسلام العامة ، ليشب الطفل ويترعرع منذ نعومة أظفاره على العلم الصحيح والعقيدة السليمة.

يُدَرِّسُ في كل حلقة داعية ، أو معلم قرآن ، ويشرف عليه أحد الدعاة ويقدم المدرس بعض الهدايا والجوائز التشجيعية للطلاب لجذبهم وتقريبهم إلى الحلقة ، وبخاصة المتفوقين منهم ، ويبلغ عدد الدارسين في الحلقة من ٢٠ إلى ٥٠ طالباً.

وحيث إن المصاحف غير متوفرة في كثير من البلاد الإسلامية ، فإن الطلاب يستخدمون غالباً الكتابة على الألواح ، ولهذا فإن المنتدى سوف يقوم - إن شاء الله تعالى - بتوفير نسخ من القرآن الكريم لجميع الطلاب.

كما سوف يطبع المنتدى الإسلامي - إن شاء الله - المنهج العلمي المعد لتوزيعه على المعلمين.

ويبلغ متوسط التكلفة الشهرية لحلقة تحفيظ القرآن الكريم ٨٠ دولار ، والمتوسط السنوي يبلغ ٩٦٠ دولار ، وذلك يشمل : مكافأة المعلم ، والمصاحف ، والمنهج العلمي ، والجوائز التشجيعية ، والمستلزمات الأخرى.

الاعتذار من العلم!!

جمال الحوشبي

مع كل يوم تشرق شمسه . . تقذف المطابع بالآف الكتب والرسائل العلمية التي تُعنى بقضية (الردود) بين العلماء ، أو قضية (النقد) للأطروحات أو المطبوعات ، طمعاً في التعديل أو التبديل .

كل ذلك أضحى سمة من سمات العصر اكتسحت الساحة الإسلامية كغيرها من القضايا ، وأخذت هذه الردود بالفعل (حيزاً) لا بأس به من المكتبة الإسلامية الخاصة لدى كثير من الأفراد .

لم تعد وسائل نشر تلك الردود هي الأوراق ، فقد تعدت ذلك النطاق إلى وسائل أخرى مسموعة ومرئية ، وحتى نتبين حقيقة الأمر علينا أن نرجع قليلاً إلى الوراء!

لقد مر على الأمة الإسلامية حقبة من الزمن - ليست بالبعيدة - كان الفقه فيها أحكاماً بلا أدلة ، والفقيه راوية بلا اجتهاد ، والنحوي حافظاً بلا ملكة ، كل ذلك يسير في رتابة عجيبة لم تتبدل ، وعلى طريقة شوهت صفاء الشريعة ونقائها ولما أراد الله أن تعود للشريعة مكانتها ، ويعود الفقه الإسلامي دفاقاً زاخراً متحرراً من ربقة (التعصب) المذهبي والجمود الذي قضى على روح البحث والاجتهاد يُسرَ سبيل مثل تلك الردود العلمية المجرّدة من الهوى ، ومثل ذلك النقد الهادف

بين العلماء. إن التجرّد (للحق) لا للأشخاص والدعوة إلى نبع الكتاب والسنة ونبذ ما خالفهما هي السمة التي يجب أن تُصبغ بها تلك الردود.

واليوم وفي غمرة انشغال بعضهم بمثل هذه الردود التي أخذت تطفو على السطح أكثر من أي وقت مضى، تبقى الحاجة ماسة إلى التذكير بضوابط مثل تلك الردود والانتقادات.

إن من أهم تلك الضوابط وأولاها بالطَّرْق والتذكير قضية التأدب مع العلماء المجتهدين والدعاة المخلصين من أهل السنة في شتى بقاع الأرض وتتأكد أهمية تلك القضية إذا علمنا أن بعض القضايا قد يتصدى لها من لا يحسنها، كما أن الأمر قد يوسد أحياناً إلى غير أهله!! وقبل هذا وذاك الحذر من خطرات النفس والهوى وتزيين الشيطان وحزبه، فإنهما يؤديان إلى تزييف الحقائق، وإلى اتهام النوايا بغير برهان!

لقد زاد من غربة العمل الإسلامي اليوم فئام من الناس مادت بهم سفينة العمل الإسلامي، وهم مع من يدّعون الإصلاح: يقولون ما لا يعملون ويعملون ما لا يحسنون، يرصدون الزلة، ولا يبصرون شوامخ الصواب ويتتبعون الهفوة، ولا يرجون لمجتهد ثواباً!؟

إنه وإن ولى زمان كان يُستحى فيه من الجهل، فقد أطل زمان احتاج فيه علماؤه ودعاته إلى أن يعتذروا مما عندهم من العلم إذا قاموا بحقه واجتهدوا في نشره وتبليغه للناس، كل ذلك حتى لا تتهم النوايا، ولا تحمل على غير محاملها الطوايا! وكأني بهم يرددون مقالة عبدالله بن مسلم بن قتيبة لـمّا أخرج كتاباً استدرك فيه على (أستاذه) أبي عبيد القاسم بن سلام أسماه (إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد)، فقال - رحمه الله - بعد أن كثر عاذلوه وتصدى له شانئوه ومبغضوه - من جملة ما قاله:

«... وقد كنا زماناً نعتذر من الجهل، فقد صرنا الآن نحتاج إلى

الاعتذار من العلم ، وكنا نؤمل شكر الناس بالتنبيه والدلالة ، فصرنا نرضى بالسلامة ، وليس هذا بعجيب مع انقلاب الأحوال ، ولا ينكر مع تغير الزمان وفي الله خلف وهو المستعان» ، إنه لسان حال كثير من دعاة الإسلام وعلمائه في ظل تكالب الأعداء ، وكيد الحساد ، وظلم ذوي القربى ، وتواطؤ السواد على الصمت والرضى بالسلامة ، ونقل الأخبار من غير توثيق أو تمحيص .

أناس أمنّاهم فبثوا حديثنا ... فلما قصرنا السير عنهم تقوّلوا

بريد القراء

* الأخ أسامة الخميس : نشكرك على تواصلك ويلزم في مقال عن العلمانية ومحاولة الفهم لها الإتيان بالجديد لأن ما تطرقت إليه معروف ومقتول بحثاً ، ونرحب بك في مشاركة قادمة .

* الأخ عبدالرحمن البراهيم : قصيدتك سوق عكاظ عليها ملاحظات فنية كثيرة ، فلعلك تكثر من الاطلاع على الشعر العربي قديمه وحديثه لتستقيم ملكتك الشعرية .

* الأخ عبدالله الدريهم : موضوعك عن أعمال القلوب لا جديد فيه ونراك في مشاركات قادمة أوفر حظاً وأكثر عمقاً إن شاء الله .

* الأخ أحمد بن صالح : موضوعك عن المحبة في الله يحتاج إلى مزيد من الاطلاع في مظانه حتى يكون صالحاً للنشر وغير مكرر لما سبقه فيمن كتب حول الموضوع . .

* الأخ الكريم الأستاذ/ حسن بن علي الزومي : نشاركك الرأي وأنت وضحت الحقيقة واستدراكك هو ما نعنيه بالضبط ، وفقنا الله وإياك للعلم النافع والعمل الصالح وجزاك الله خيراً.

* الأخ عبدالله بن سعيد العيش : يهيب بإخوانه من الشباب المسلم بعد رحلة مع الغواية بحثاً عن السعادة ، اهتدى بعدها - ولله الحمد - إلى الطريق الحق والصراط المستقيم ، ولم يجد السعادة إلا في العودة إلى الله ، يهيب بهم أن يتمسكوا بدينهم ، مذكراً بأن السعادة كل السعادة في التمسك بديننا الحنيف فالتوبة التوبة قبل الممات وما بعد الحق إلا الضلال.

* الأخ صالح بن أحمد الحميد : أرسل كلمة قصيرة حول قوله تعالى : **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾** أكد فيها على خلق العفو وتجاوز الزلات من الصديق الصالح ، مؤكداً على أمرين هامين : الأول أن الصديق الذي لا عيب فيه لم يخلق بعد والكمال لصاحب الكمال والثاني أن ليس في الوجود من يستغني عن ذلك الصديق وكفى المرء نبلاً أن تعد معائبه.

* الأخ مصعب الطيب : اقتراحك محل البحث من هيئة التحرير ، ومقالك مقتضب ولا جديد فيه إذ أنه كتبت فيه دراسات ومؤلفات معروفة.

* الأخ عبدالرزاق القاسم : مقالك عن دروس غزوة الأحزاب ينقصه العمق البحثي والجدة في الطرح ، وهما ما حجباه عن النشر ، وعسى أن نراك في مشاركة قادمة.

الدعاة بين رجل ورويجل

أحمد بن عبدالرحمن الصويان

الأحداث في العالم الإسلامي تتلاحق ، والمتغيرات السياسية تتابع والصراع بين الإسلام والكفر ينتقل من طور إلى طور ومن دائرة إلى أخرى والمسلمون في جميع الأحوال كالأيتام على موائد اللئام!

ولقد ورثت الصحوة الإسلامية المعاصرة تركة مهترئة من الانحراف والتخلف الذي أصاب الأمة الإسلامية بعامة ، نتيجة قرون متتابعة من العجز والضعف ، ولن ينهض بها من هذه الكبوة جهود أفراد معدودين مهما بلغت إمكاناتهم وقدراتهم ، بل هي في حاجة لكل الطاقات والجهود يُكمل بعضها بعضاً ، ويُسدِّد بعضها بعضاً. . . والعمل الإسلامي – بفضل الله تعالى – سائر بكل ثقة واطمئنان ، يشق طريقه على الرغم من كثرة العراقيل والعقبات ، ولكن ألم يسأل الواحد منا نفسه في يوم من الأيام : ما هو دوري في هذه المسيرة؟! وماذا قدَّمت لخدمة هذا الدين؟!

هل يكفي أن يبقى الإنسان متفرجاً ، متابعاً لمسيرة الصحوة الإسلامية من بُعد لا يتجاوز دوره التشجيع والتعاطف . . . ؟! هل يكفي أن يكون دور الإنسان تكثير سواد الصالحين فحسب . . . ؟! أيجوز أن يقتصر الدور على الحوقلة والاسترجاع إذا أصاب الدعوة ما أصابها؟!

لا شك بأن هذه سلبية مفرطة ، أقعدت كثيراً من الناس عن الإنتاج والعطاء ، وإننا نملك طاقات هائلة – بحمد الله تعالى – ولكنها طاقات كامنة

خاملة ، لم تُسخر التسخير الأمثل لخدمة الأمة ، ولقد كُبلت كثير من هذه الطاقات بآسار من العجز والضعف ، حتى أصبحنا نرى جموعاً غفيرة من الصالحين ، ولكن مع الأسف الشديد حالهم كما وصفهم الشاعر :

يُثقلون الأرض من كثرتهم   ثم لا يُغنون في أمر جلل

إن الثروة الحقيقية التي تملكها الأمة ليس في الأموال أو الأجهزة والمعدات ونحوها ، وإنما هي في الإنسان الجاد الذي يشعر بالمسؤولية وعظم الأمانة .

وإننا في مرحلة تقتضي أن يُفكر الإنسان كيف يستطيع أن ينتج ، بل كيف ينتج بأكثر من طاقته . . ! ولن يكون ذلك ممكنا إلا إذا وجدت الهمَّة العالية والعزيمة الصادقة ، التي تتطلع إلى أفق عال وقمّة سامقة من العطاء والإبداع ولا ترضى بالقليل من العمل .

فلا يقتل الطموحات إلا استصغار الإنسان نفسه ، يُكبلها بالعجز ، حتى يصل إلى حد الشلل الذي يعوقه عن الحركة والإنتاج ، وإن طاقة الإنسان تتآكل غالباً حينما يزدري الإنسان نفسه ، ويشعر أنه ضعيف لا يستطيع أن ينجز عملاً أو يبدع أمراً . وفي كثير من الأحيان لا يكتشف الإنسان طاقاته ومواهبه إلا من خلال التجارب .

وإنتاج المرء غالباً يعتمد على مقدار طموحه وهمته ، فالإنسان الطموح هو الذي يجعل أمامه هدفاً عالياً ، حتى ولو كانت قدراته لا تؤهله لذلك الآن لأنه سوف يحرص على تنمية قدراته للوصول إلى هدفه ، فإذا نمت القدرات فإنه لن يبقى عند هدفه الأول ، بل سوف تنمو طموحاته وتزداد ، وما أجمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية : «العامة تقول : قيمة كل امرىء ما يُحسن والخاصة تقول : قيمة كل امرىء ما يطلب»[1] .

---

(١) نقله عنه ابن القيم في مدارج السالكين (٣/٣).

مشروعات المنتدى القائمة

م	المشروع	العدد
١	كفالة الدعاة	٥٠٠ داعية
٢	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٤١٨ حلقة (١٢,٤٥٠ طالب وطالبة)
٣	القوافل الدعوية	١٨ قافلة
٤	الملتقيات الدعوية	١٨ ملتقى
٥	الدورات الشرعية	١٥ دورة
٦	المساجد	١٣٥ مسجد
٧	الآبار	٦٥ بئراً سطحية ، ٢ بئر إرتوازية
٨	المدارس	٢٧ مدرسة (٤,٧٥٤ طالباً وطالبة)
٩	المراكز الإغاثية	٢٥ مركزاً (١٢,٢٠٠ شخص يومياً)
١٠	إفطار صائم	١,١٣٦,٦٧٠ وجبة إفطار (في ٢٣ دولة)
١١	إصدارات المنتدى الإسلامي	١٨ كتاباً

وهناك نشرة (المنار) باللغة الإنجليزية تعنى بالتعريف بالإسلام وبيان محاسنه ، وطباعة الكتب المترجمة وتوزيعها ، وحملات الحج والعمرة ، وبناء خلاوي تحفيظ القرآن الكريم ، والإغاثة العامة ، ومراكز الخياطة . . . الخ .

وقد زكى المنتدى الإسلامي مجموعة من العلماء على رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود ، وفضيلة الشيخ صالح الحصيّن ، حفظهم الله تعالى .

للمساهمة في مشروعات المنتدى

م	نوع النشاط	متوسط التكلفة بالدولار
١	كفالة الدعاة	١٠٠ شهرياً ، ١,٢٢٠ سنوياً
٢	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٨٠ شهرياً ، ٩٦٠ سنوياً
٣	ملتقى دعوي إقليمي	٨,٠٠٠
٤	دورة شرعية متخصص	٥,٣٠٠
٥	دورة شرعية محلية	١,٣٥٠
٦	قافلة دعوية	١,٣٥٠
٧	معهد إعداد دعاة (٩٠ طالباً)	١٣٣,٠٠٠ إنشاءات ، ٣٢,٠٠٠ تشغيل سنوي
٨	تشغيل مدرسة (٣٠٠ طالباً)	٢,٣٥٠ شهريا ، ٢٨,٢٠٠ سنوياً
٩	بناء مسجد	من ١٣,٠٠٠ إلى ٤٨,٠٠٠
١٠	مكتبة عامة كبيرة	١٢,٠٠٠
١١	مكتة عامة متوسطة	٣,٥٠٠
١٢	مكتبة عامة صغيرة	١,٧٥٠
١٣	مكتبة طالب علم جامعي	٦٠
١٤	مكتبة طالب علم غير جامعي	٥٠
١٥	الصدقة الجارية*	غير محددة

أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، فتوى بجواز دفع الزكاة للمنتدى الإسلامي برقم ١٢٦٢٧ وتاريخ ١١/ ٢/ ١٤١٠ هـ.

ملحوظة : أخي الكريم ، ما زاد عن تبرعك فسيصرف في مشروع مماثل ، وما نقص فسيكمل من تبرع غيرك.

* يهدف مشروع الصدقة الجارية إلى إيجاد أوقاف ومشاريع استثمارية عقارية دائمة يكون عائدها دعماً لأنشطة المنتدى ومشاريعه الدعوية.

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي (لندن)

رئيس مجلس الإدارة
د/ عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المدير الإداري
د/ عادل دعبول

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

أعلنت الإدارة الأمريكية مؤخراً قائمة بالدول المتهمة بالإرهاب أو التي تدعمه وبغض النظر عن مدى صحة أو عدم صحة الاتهام لتلك الدول ، إلا أننا - ومعنا كل منصف - وبنظرة موضوعية نؤكد أن ذلك التصنيف ناقص وغير موضوعي حيث لم يذكر فيه ما يلي :

١ - دول غربية لها باع كبير في الإرهاب وعلى رأسها صربيا وكرواتيا.

٢ - العدو الصهيوني أكبر دولة إرهابية مسؤولة عما يتعرض له الشعب الفلسطيني من اضطهاد.

٣ - دول عربية لا يكاد يمر يوم إلا ويقتل رجال الأمن فيها أفراداً من شعوبها، ولا يمر شهر دون أن تعلق الرقاب فيها ظلماً وعدواناً!

٤ - دول أخرى تمارس الإرهاب ضد المسلمين مثل الهند وبورما والفلبين وتايلند وطاجكستان!

إننا نعلم أن حقد الغرب وعداوته لأمتنا وديننا لن يجتمع مع العدل في سلة واحدة ، وستظل قائمة الإرهاب تلك يداً تهز سنوياً أكتاف المخدوعين بعدالة الغرب!

وستبقى القائمة نفسها ناقصة يخرج منها كل إرهابي حقيقي مادام إرهابه لا يخدش البشرة البيضاء من جهة ، ولا يختلف مع سياسات ذوي العيون الزرق ومصالحهم من جهة أخرى!؟

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

ولكنه ضحك كالبكاء !

شهور طويلة متتابعة منذ مسرح مدريد حين انكمش الزعيم وتقبل صفعات الأسياد بكل امتنان ، إلى احتفال واشنطن حيث كان يتنفس نسمات الفرح ويرش الابتسامات يميناً وشمالاً ، وحتى لحظات العبوس وقسمات الذل التي حملتها عدسات المصورين في لقاء التوقيع الأخير في القاهرة.

هذه الشهور الطويلة كانت - عند صناع الحدث - ضرورية للغاية كي تكسر باباً نسيجه الدماء والأشلاء ، يغذيه نزيف عمره نصف قرن ، وذاكرة تاريخية تمتد جذورها إلى متون أربعة عشر قرناً من حركة التاريخ ، حيث تتخللها صفحات عديدة سود ، تحكي عن حقد ممتد من خيانات بني قريظة وحتى كيد بني جنسهم من «يهود» الدونمة ، ويوقد جذوة ذلك كله آيات الكتاب المتلوة إلى قيام الساعة.

لقد كان هذا جميعه سداً منتصباً واقفاً ، يمنع عابدي ذواتهم وعروشهم من الولوج إلى الحضن الإسرائيلي ، وتوقيع صكوك البيع بلا ثمن ، الذي قال عنه شاعر عربي يوماً :

ترقى العار من بيع إلى بيـــع بلا ثمن!
ومن مستعمر غاز إلى مستعمر وطني!

لقد بدأ البيع بثمن بخس في «كامب ديفيد» حين ابتلعت ثمنَه «القططُ السمان» سريعاً ، وكان من بعض آثاره التنموية أن يعم رفاه العيش تحت مستوى الفقر! أكثر من ٥٠ ٪ من الشعب المصري ، ويستوطن المقابر مليونان ممن أدركهم الرفاه! واليوم انتهى القوم إلى بيع بلا ثمن في القاهرة . . بلى كان الثمن توكيلاً رسمياً لمستعمر وطني قادم ، سيطلق رصاصاً حياً بالنيابة عن جيش إسرائيل وسينشىء دولة شرطة خالصة ، تضيف رقماً جديداً في سجل عام اسمه «الدولة ضد الأمة» وشعاره «إذا اختلف رأي الشعب مع حماقات الدولة وخياناتها فلابد من تغيير . . الشعب»! .

ومع ذلك فليس ما تم إلا نموذجاً مُجسِّداً لما هو قادم ، حين تنتقل «الدولة» في المنطقة من دور الممانعة السلبية للعدو الإسرائيلي إلى دور الشريك الأمني والاقتصادي ، الذي يقوم بمهمته في قمع الأمة ، وتجفيف منابع هويتها الحقيقية كي تموت روح المقاومة فيها ، وتقبل بعيش العبيد في ظل العصر الإسرائيلي المرتقب ، وستنتصب بالنيابة عن الصديق اليهودي في إنهاك كل عناصر المُمانعة وتفكيكها والقيام بدور الوكيل الأمني في «صراع الحضارات» القادم! .

وكما تم سحق محاولات الشعوب لاستعادة هويتها الإسلامية - زمن الحرب ثم المقاطعة من بعد - باسم التفرغ لمواجهة إسرائيل ، ومن خلال لغة : «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» ؛ فإن الزمن القادم ينذر بوحشية أشد وإرهاب أعتى تمارسه الدولة ضد الأمة ، ولكن تحت لافتة جديدة وباسم : «لا

صوت يعلو فوق صوت السلام»! ، ولا عجب فقد لحقت الحظيرة كلها بالثور الهارب الذي شجبت هربه في الأزمنة الخوالي! .

وها هي أقلام «مرتزقة السلام» تحدثنا عن انفراج الصراع ، بل يطالبنا بعضها بالتخلي عن الحقد والبغضاء! والنظر إلى الآخر «الإسرائيلي» بعين الرضا العمياء ، ولم لا؟! أليس شقيقَنا القادم في أسرتنا الجديدة «الشرق أوسطية»؟!

غير أن «الشقيق» لايقبل المنطق نفسه ، بل يزرع عيون السخط في كل زاوية ، ومن بين مطامعه التي يسعى إليها - بجد - في الحقبة القادمة ما صرح به «رابين» أمام أركان اللوبي اليهودي في أمريكا حول ضرورة تحويل الـ ٢٠ دولة عربية إلى ٤٠ دولة على الأقل في غضون السنوات العشر الآتية .

هذا الحلم . . يسعى «الشقيق» إلى تنفيذه على الأرض بدءاً من جنوب السودان حيث يدعم التمرد النصراني بكميات من صواريخ «ستنجر»، ويستقبل بعض قوات «قرنق» لتدريبها في إسرائيل ، ومروراً بالجزائر حيث اكتشفت شحنة من الأسلحة مرسلة من إسرائيل في طريقها إلى الحزب البربري الأمازيغي الذي يدعو الناس إلى حمل السلاح ومقاتلة دعاة الإسلام في الجزائر، وحتى تمويل الدراسات والمؤتمرات التي تنبش عن الأقليات العرقية والدينية في أرجاء العالم العربي ، وتؤجج فيها نوازع الانفصال باسم الدفاع عن حقوقها المهضومة!!

إنه بعض من «السلام» الذي لم يكن يعني في قاموس «يهود» إلا «السام»! أما اللام الزائدة فحسبها أن تكون طلاءً يخفي عورة العصر الإسرائيلي القادم ويعطي لأبناء سلول وابن العلقمي فسحة في الترويج لبضاعة الوهم ، وأحلام السراب عند أبناء أمتهم ، حتى وهم يرقصون على دماء الضحايا وأشلاء

المصلين! . . وبنو «يهود» هناك يطّاير بهم الفرح لما حققوه من سلام تحرسه قوتهم النووية ، ومستعمرون بالنيابة يغسلون أذى التطرف من طريق الهيمنة الإسرائيلية وأسواق تصدر خاماتها إلى «الشقيق» القادم بثمن بخس ، ومن ثم تستورد بقيمة الألف طن من خاماتها ما يعادل طناً واحداً تم «تعميده» في مصانع إسرائيل! .

ماذا بقي للأمة إذن؟! لقد بقي لها الكثير ، بقي لها أولوا الأمر من علمائها الربانيين ، وذوي الرأي من صالحيها المدعوين إلى جمع أمورهم ، فلا تكون شتى وأمر العدو مجتمع ، وإلى وعي الكيد ، فلا يكونون غائبين وعيون العدو تتقد بشرر اليقظة والمكر ، وإلى أن يكونوا فاعلين قادرين على المبادرة ، فلا يقعد بهم اليأس وبين أيديهم بشارة الله بالتمكين ولو بعد حين .

ثم يبقى من بعدُ دور الأمة كلها في الخروج من ربقة الغفلة ، وإسار الخوف ، وقيود الشهوات . . أما الصراع فسيظل بعد ذلك وقبله صراع وجود لا يلغيه زمن السلام الممتد ، ولا عقود القران الاحتفالية المعلنة بين كفر أبي جهل ونفاق ابن سلول وتسيُّد حيي بن أخطب! . . حتى وإن توالت توقيعات عابدي الذوات ، وشهد عليها عمالقة القوة العسكرية في العالم .

فقه النوازل والواقعات

دليل على ارتباط الفقه بالحياة

-١-

د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارىء

فضيلة الدكتور عبدالعزيز القارىء أحد العلماء المعروفين عقيدة وعلماً ومنهجاً ، وهو عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وله العديد من الدراسات العلمية الجادة. وقد اخترنا له هذه المحاضرة المهمة في بابها مع تصرف بسيط يقتضيه مقام أن تكون مقروءة ، وقد أذن لنا فضيلته بذلك ونأمل من فضيلته المساهمة في هذه المجلة ببعض دراساته ومقالاته العلمية التي هي محل اهتمام ومتابعة الكثير من القراء.

– البيـان –

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .. أما بعد :

فقه النوازل والواقعات أحد موضوعات الساعة أبدأه بقول الرب عز وجـل : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ [سورة البقرة ، آية ٢٦٩] ، قال مجاهد – رحمه الله – : «الحكمة : العلم والفقه والقرآن» ، وقال الإمام مالك – رحمه الله – : «وقع في قلبي أنه الفقه في الدين» ، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمةً فهو يقضي بها)(١) ، ويدل عليه أيضاً قوله ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقهه في

الدين)[٢] ، فالخير كل الخير في الفقه في الدين ، ومن أوتي الفقه فحري به أن يعرف كتاب الله عز وجل ، وأن يعرف سنة نبيه ﷺ ، وأن يَذّكر فإن التذكُّر من شيم أهل العلم والفقه والفهم ، والفقه هو الفهم : فهم مرامي الكلام ومرادات الحديث - ، قال تعالى في ذم المنافقين : ﴿ **فما ل هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً** ﴾ [سورة النساء ، آية ٧٨] ، وقال سبحانه وتعالى منبهاً المؤمنين : ﴿ **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** ﴾ [سورة الأنعام ، آية ٤٩٨].

فهذا القرآن قد أحكمت وفصلت آياته ، وهذه سنة النبي ﷺ قد ثبتت ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ، فكم من مرتل لآيات القرآن الكريم لا يفقه كثيراً مما يُرتل ، وكم من حافظ لحديث الرسول ﷺ لا يفقه ما يحفظ والفقه مراتب ، والفقهاء مراتب بعضهم أفقه من بعض كما قال النبي ﷺ : (رب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)[٣] .

وأصحاب النبي ﷺ - وهم أصدق هذه الأمة إيماناً وأنقاها قلوباً وأغزرها علماً - كانوا يتفاوتون في الفقه ، وهم في الجملة - رضوان الله عليهم - أفقه ممن جاء بعدهم ، يقول مسروق - رحمه الله - : «جالست أصحاب محمد ﷺ فكانوا كالإخاذ - جمع إخاذة ، والإخاذة الغدير - يقول : الإخاذة تروي الراكب والإخاذة تروي الراكبين ، والإخاذة تروي العشرة والإخاذة لو نزل بها أهل الأرض جميعاً لأصدرتهم» ، وكان عبدالله من هذه الإخاذ ، يعني عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - ، أي من تلك الإخاذ التي تروي أهل الأرض جميعاً لو نزلوا بها ، وقال أيضاً : شاممت أصحاب محمد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة : علي وابن مسعود وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب ، ثم وجدت علم هؤلاء الستة انتهى إلى اثنين : إلى علي وعبدالله بن مسعود) فالفقه درجات والله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء .

والمقصود من هذه المقدمة حث شباب الصحوة على العناية بالفقه في الدين ، فإن الفقه هو الواجب وما عداه من العلوم أكثره نافلة .

حقيقة الفقه :

الفقه في الدين بنوعيه - فقه العقيدة وفقه الأحكام - هذا هو الواجب وما عداه من العلوم أكثره نافلة . قال تعالى : **﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾** [سورة التوبة ، آية ١٢٢] ، فهذه الآية دلت على مسألتين أولاهما : أن الناس جميعاً بأمس الحاجة إلى الفقه لقوله (لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) ، فإذاً كل قوم هم بأمس الحاجة إلى فقهاء في الدين يبينون لهم وينذرونهم ، والأخرى : أنه ينبغي أو يجب أن يَنْتَدب أناسٌ أنفسهم ، أو يُنْتَدَبُونَ للتفقه في الدين ويقصد أن يعلّموا غيرهم (لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) ، فالتفقه بقصد تعليم الآخرين واجب كفائي بدليل أول الآية وهو قوله تعالى : **﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾** ، فالتفقه بذلك القصد واجب كفائي ، أما التفقه بقصد معرفة الأحكام للامتثال فهذا واجب عيني على كل مسلم بقدر طاقته ووسعه .

وقفة مع ظاهرة جديدة :

أقول هذا ونحن نشاهد أبناء الصحوة المباركة قد انشغلوا عن الفقه بعلوم الصناعة الحديثية ، من مصطلح وأسانيد وتخريج وعلم رجال ونحو ذلك ، ولا شك أن علم الصناعة الحديثية علم شريف جليل الشأن والمقدار ، ولكنه من علوم الخواص - ليس الخواص بالمعني الصوفي حاشا وكلا - التي لا يشتغل بها العوام ولا صغار طلبة العلم ولا المبتدئون ، فإذا اشتغلوا بها عن الفقه فإنهم في الغالب يَضلُّون ويُضلون ، فلابد من التفقه قبل ذلك ، وبخاصة أنه واجب قبل

الاشتغال بمثل هذه العلوم على شرفها وقدرها ، وهذا ليس تقليلاً من قيمتها أبداً لكنني أشفق على المبتدئين من تبعتها ، فالأمور مرتبة والواجبات مرتبة ، فالفقه أولاً في العقيدة وفي الأحكام الشرعية ، ومن نتائج الخوض في غير الأولويات أننا نشاهد نوعاً من الفوضى الفكرية تتخلل هذه الصحوة المباركة ، وإن كانت لن تؤثر فيها - إن شاء الله- .

نشاهد مثلاً أقواماً - وإن كانوا قلة - اشتغلوا بالجرح والتعديل لا لنصرة الدين ولا للذب عن السنة النبوية ، وإنما لزرع الشقاق بين أبناء العقيدة الواحدة .

ونرى أقواماً حملوا أختاماً يختمون بها على ظهور المسلمين ولا يتورعون في إصدار الأحكام مع قلة بضاعتهم ، وغلبة الأهواء عليهم .

نعود إلى مقصودنا وهو الفقه ، فمقصودنا بالفقه اليوم تحت هذا العنوان المذكور سلفاً ، هو ما قاله العلماء في تعريفه أنه : «الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية» ، أي فقه الأحكام .

والمراد بالأدلة التفصيلية كما يعرف غالب المتفقهين : الكتاب والسنة فهما المصدران الأساسيان ، ويلحق بهما الإجماع والقياس فإن لهما قوة إثبات الأحكام باعتبار أنهما يستندان إلى دلالات المصدرين الأساسيين : الكتاب والسنة ، ثم يأتي بعد ذلك الاجتهاد ، والاجتهاد أوسع مدلولاً من القياس فإنه قد ينحل إلى قياس سواء أكان جلياً أو خفياً ، أو ينحل إلى غير ذلك من أنواع الأدلة المعروفة عند العلماء كالاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع ونحو ذلك ، وهذه الأنواع وإن كانت لم تعرف بهذه المسميات في جيل الصحابة لكنها مقتبسة ومستنبطة من فتاويهم واجتهاداتهم ، فمعانيها متشبعة بها عقولهم مغروسة في نفوسهم وملموسة من فتاويهم - رضوان الله عليهم أجمعين - .

مسألة مهمة حول الاجتهاد :

ولأن نصوص الكتاب والسنة محدودة والنوازل والوقائع والحوادث غير محدودة ، فمن هنا تأتي أهمية الاجتهاد .

وهنا مسألة لا بد من التنبيه عليها ، وهي أن الاجتهاد في حقيقة الأمر ليس تشريعاً ، بمعنى أنه ليس منشئاً للحكم ، لكنه مظهر له ، فالاجتهاد فهم لنصوص الكتاب والسنة ، أو إظهار لحكم مسألة لم يجد فيها المجتهد نصاً فيجتهد في استخراج الحكم الشرعي لها بفهم نصوص المصدرين الأساسيين ولذلك - كما سيأتي - فإنه مقيد بأن يكون ضمن القواعد الكلية والأصول والضوابط الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة ، وأن يكون بواسطة إحدى دلالات الكتاب أو السنة المعتبرة لدى العلماء ، وذلك الاجتهاد حث عليه النبي ﷺ أصحابه والأمة من بعده ، بل ودرب أصحابه عليه ، وأشرف عليهم مصوباً ومقوماً ، فمثلاً قال ﷺ لمعاذ بن جبل - وهو واحد من أشهر وأفقه أصحاب رسول الله ﷺ - لما أرسله إلى اليمن ،(قال له : ماذا تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال معاذ : أحكم بما في كتاب الله ، فقال ﷺ : فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال أحكم بما في سنة رسول الله ﷺ ، قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، قال معاذ : فضرب رسول الله ﷺ في صدري بيده وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله) ، وقد تكلم بعضهم في سند هذا الحديث من جهة الجهالة في بعض أصحاب معاذ ، ولكنها جهالة لا تضر ، فقد روي موصولاً من طرق أخرى ومن أراد التفصيل فليراجع «أعلام الموقعين»☆ .

وهكذا سن النبي ﷺ لأصحابه وللأمة من بعده منهج الاجتهاد ، بل

درَّب أصحابه على الاجتهاد وأشرف عليهم ، وقد اجتهدوا - مثلاً - بين يديه في فهم أمره ﷺ : (ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[٤] في غزوة بني قريظة ، وكان اختلافهم مؤثراً فبعضهم صلاها في وقتها في الطريق وبعضهم أخرها وصلاها في بني قريظة ولم يكن اختلافهم في هذا الأمر لفظياً كما يقال في بعض الاختلافات ، ومع ذلك سكت النبي ﷺ عن الفريقين ، ولم ينكر على أي منهما ، فقلنا بذلك : إن من أدب الاختلاف أن لا ينكر أحد المجتهدين على صاحبه إذا كان النص محتملاً لفهمين ، نعم قد يكون أحد الفهمين أرجح أو أصوب ، ومع ذلك مادام ظاهر النص يحتمل الوجهين ، فلا يجوز أن ينكر أحد المجتهدين على صاحبه ، لكن عندما يشتط الفهم بمجتهد إلى فهم بعيد عن النص ، فقد كان النبي ﷺ يصوب له فهمه ، وقد يلومه بأسلوب لطيف كما حدث مع عدي بن حاتم - رضي الله عنه - لما وضع خيطين أسود وأبيض تحت وسادته يفسر بذلك قول الله عز وجل : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ [سورة البقرة ، آية ١٨٧] ، فقال له النبي ﷺ : «إن وسادك إذاً لعريض»[٥] .

فالاجتهاد إذاً مهم جداً ، وعظيم الأثر في حياة الناس ، وعظيم الأثر في بيان الأحكام الشرعية ، لكنه يحتاج إلى ذكاء وإلى قريحة فقهية قوية ، وإلى فراسة وإلى فهم للواقع وإدراك للوقائع . . فمن لم يفهم الواقع ولم يدرك الوقائع - وإن فهم الحكم - قد يعجز عن التطبيق ، فالفقه في حقيقة الأمر في مجال الأحكام الشرعية فقه للحكم الشرعي وفقه للتطبيق ، وكان من أفقه أصحاب رسول الله ﷺ في التطبيق عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود - رضي الله عنهم أجمعين - ، هؤلاء كانوا أفقه وأبرز الصحابة في الفقه بعامة وفي فقه التطبيق بخاصة .

هذا هو فقه التطبيق :

وحتى نفهم فقه التطبيق إليكم هذه الواقعة ، التي هي من أوضح الأمثلة على فقه التطبيق ، واقعة تسمى واقعة (زبية الأسد) ، وقعت لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن : روى الإمام أحمد في مسنده[٦] عن حنش بن المعتمر قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فانتهينا إلى قوم قد بنوا «زبية» للأسد ، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل ، فتعلق بآخر ، ثم تعلق رجل بآخر ، حتى صاروا فيها أربعة ، فجرحهم الأسد ، فانتدب له رجل بحربة فقتله ، وماتوا من جراحهم كلهم ، فقاموا ، أولياء الأول إلى أولياء الآخر فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم علي على تفيئة ذلك ، فقال : تريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حي؟! إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم فمن عدا بعد ذلك فلا حق له ، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة ، للأول الربع ، لأنه هلك من فوقه وللثاني ثلث الدية ، وللثالث نصف الدية ، فأبوا أن يرضوا ، فأتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم ، فقصوا عليه القصة ، فقال : أنا أقضي بينكم ، واحتبى فقال رجل من القوم : إن علياً قضى فينا ، فقصوا عليه القصة ، فأجازه رسول الله ﷺ» ، ولقد حكم علي - رضي الله عنه - في تلك النازلة بفقه عجيب دقيق : للأول ربع الدية ؛ لأن ديته حسم منها دية الثلاثة الذين تسبب في قتلهم لأنه لما تعلق برجل وتعلق الرجل برجل وتعلق ذاك برجل ، وقع الثلاثة بسببه في الحفرة فحسم من ديته نصيب الثلاثة وبقي له الربع ، والثاني تسبب في قتل اثنين فبقي له الثلث والثالث تسبب في قتل واحد فبقي من ديته النصف ، والرابع لم يتسبب في قتل أحد فاستحق الديّة كاملة .

هل هناك مثال أوضح من هذا المثال – في فقه التطبيق – على أهمية معرفة الوقائع ومعرفة الواقع حتى ينجح المجتهد في التطبيق ؟!

ولما تعلم الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – الفقه في مدرسة النبوة بإشراف النبي ﷺ ، واجهوا النوازل والحوادث والواقعات المستجدة بعقلية فقهية راقية وممتازة تدل – ليس فقط – على علم بكتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ وعلم بأحكام الشريعةفحسب ، بل تدل على بصر نافذ وبصيرة ممتازة بواقع الحياة الذي كانوا يعيشونه ، وبحقيقة الوقائع التي كانوا يواجهونها فبصرهم في ذلك بصر نافذ وبصيرتهم صحيحة ، ولذلك برعوا – رضوان الله عليهم أجمعين – في فقه التطبيق مؤسساً على معرفة الواقع وكيف يطبق الفقه عليه ، وإدراك لحقيقة الوقائع وكيف يستخرج الحكم لها .

فقه الصحابة ومعرفتهم بالواقع :

قبل أن أسوق بعض الأمثلة من فقه الصحابة بالوقائع والنازلات التي استجدت عندهم ، أمهد بهذه الحقيقة وهي أن الفقه مرتبط بالحياة بل الشريعة نفسها مرتبطة بالحياة ، لأننا في هذا الصدد وفي هذا المجال أمام أمرين : أمام شريعة منزلة وأمام فقه يمثل فهم العلماء والمجتهدين لهذه الشريعة ، وكلاهما يكونان ثروة من الأحكام لا يستغني عنهما أحد أبدا ، فالفقه مرتبط بالحياة. الحياة يجب أن ترتبط بالفقه ولا يزدهر الفقه إلا إذا كان مرتبطاً بالحياة ، كما أن الحياة لا تزدهر إلا إذا كانت تحت سلطة الفقه والفقهاء ، فأما إذا كان هناك خصام نكد بينهما فإنهما يفقدان الازدهار ، فالفقه يصيبه الشلل وقد يموت كما حصل في عصور الجمود والانحطاط ، والحياة يصيبها الفساد ، والمجتمع قد ينهار بل ينهار فعلاً ويتفكك ، فالارتباط بين الفقه وبين الحياة ارتباط وثيق . . . ثم حقيقة أخرى : وهي أن الفقه الإسلامي لا يؤتي ثمرته المرجوة إلا إذا كانت

جوانب الحياة كلها مرتبطة به خاضعة لسلطته. في أي مجتمع إذا كانت هناك جوانب من الحياة أو بعض مرافق المجتمع خرجت عن سلطة الفقه، فإن الفقه لا يؤتي ثمرته المرجوة، كما هو الحال اليوم في أكثر مجتمعات المسلمين، إذ أن هناك جوانب من الحياة لا تخضع للفقه وبخاصة الجانب السياسي، والإعلامي وفي بعض المجتمعات لا يخضع التعليم أيضاً للفقه، فإذا خرجت مثل هذه الجوانب الأساسية في المجتمع عن سلطة الفقه يفسد المجتمع، ولكن الحقيقة الأخرى أن الفقه أيضاً ينقص ولا يؤتي ثمرته المرجوة لأن الفقه لا يزدهر إلا بالتطبيق.

الفقه ليس نظريات فقط:

والفقه الإسلامي ليس مجرد نظريات ميتة في الكتب فقط كنظريات الفلاسفة، بل هو فقه للحياة لأن الشريعة التي أنزلها الله عز وجل أنزلها قانوناً للحياة، فالفقه يواكب الحياة دائما مرتبطاً بحركتها، ويزدهر بهذا الارتباط يزدهر على أيدي القضاة وأيدي المفتين وأيدي المجتهدين الذين يتقون الله عز وجل في بيان الأحكام، من أراد أن يتلمس أمثلة لهذا الازدهار في الكتب فليقرأ كتب النوازل وكتب الواقعات وكتب الفتاوى، فعندما تقرأ مختصر الفتاوى أو مجموعها لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لو قدر لك أن تقرأ هذا المجموع كله فإنك تقرأ حياة كاملة بكل نواحيها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية... بل حتى الجغرافية، ففي بعض الأجزاء جغرف شيخ الإسلام ابن تيمية المناطق السياسية للعالم الإسلامي في وقته، ما رأيت أعجب من كتابته تلك في تصوير حالة العالم الإسلامي من الناحية العقدية والسياسية والاجتماعية في عصره: بين حال العراق وحال الشام وحال الحجاز، وغير ذلك من الأقطار. فهذا كتاب من الكتب إذا قرأته

ترى كيف يرتبط الفقه بالحياة ، كيف يواكب الفقه الحياة ، وفي عهد الصحابة - رضي الله عنهم - كان الفقه مرتبطاً بالحياة - بالواقع - لو سميناه فقهاً واقعياً أو فقه الواقع بهذا المعنى ، لصحت هذه التسمية ، ما كان الفقهاء يفترضون مسألة من المسائل أبداً بل كانت الواقعة تقع ، والنازلة تنزل فيسألون فتصدر الفتوى وإذا لم يجدوا نصاً في النازلة اجتهدوا في استخراج الحكم لها ، وربما كان الاجتهاد جماعياً .

وللحديث بقية . . .

هوامش :

☆ انظر أعلام الموقعين ، ج١ ، ص١٥٤ ، تحقيق محمد عبدالسلام إبراهيم . .

(١) البخاري ، كتاب العلم ، ج١ ، ص٢٦ ، ح ١٥ .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، ج١ ، ص ٢٥ ، ح١٠ ، ١٣ .

(٣) أبو داود ، كتاب العلم ، ج٢ ، ص ٦٩٦ ؛ صحيح أبي داود ، السلسلة الصحيحة ، ح٤٠٤ .

(٤) البخاري ، كتاب المغازي ، ج٧ ، ص ٤٧١ ، ح/ ٤١١٩ .

(٥) البخاري ، كتاب التفسير ؛ مسلم ، كتاب الصيام.

(٦) مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر ، ج١ ، حديث ٥٧٣ .

من عوارض الإخلاص :
عبادة الذات

هيثم الحداد

إن من أشد الأمراض فتكاً بالأفراد والجماعات المسلمة ، انعدام الإخلاص ، بل يمكننا أن نقول : إنه سبب رئيس لتأخر النصر والتمكين ، وإنه السبب الرئيس كذلك لتفرق المسلمين وبعدهم عن الألفة والمحبة ووحدة الكلمة التي هي من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية .

ذلك أن عدم الإخلاص نوع من أنواع الشرك ، فهو إشراك غير الله مع الله في نوع من أنواع العبادة ، وقد يكون هذا الشريك بشراً كما هو الحال في الرياء ، وقد يكون غير ذلك .

وتكمن الخطورة الشديدة لهذا المرض في عدة أسباب منها :

— أن عدم الإخلاص محبط للعمل ، فلا يجني العامل من عمله إلا الحسرة والندامة ، قال تعالى : **﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾** [1] ، وقال ﷺ : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والتعب) [2] ، فبذلك يخسر الإنسان الخسران المبين .

— كما أن عدم الإخلاص – في كثير من الأحيان – مرض خفي ، بل خفي جداً : (إياكم وشرك السرائر ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما

يرى من نظر الرجل إليه ، فذلك شرك السرائر)[٣] ، وصاحبه قد لا يتفطن إلى أنه مصاب به ، بل إن صاحبه يظن أنه يحسن صنعاً ، وهو من الأخسرين أعمالاً .

ومن أظهر عوارض الإخلاص وأشهرها الرياء الذي يمكن أن نُعرِّفه : بأنه العمل لأجل البشر ، وهناك عارض آخر يطرأ على الإخلاص لا يقل خطورة عن سابقه وربما يكون قسيماً له- لكن قل من يتفطن له - وهو عبادة النفس بأن يعمل العامل العمل لأجل نفسه .

فالمرائي يعمل العمل لأجل أن يقول عنه الآخرون ما يحب من الثناء وصاحبنا يعمل لأجل أن يقول هو عن نفسه . . . لأجل أن يرضي نفسه ، حتى يحقق الصفة التي يصفه الناس بها .

فهذا الإنسان يأخذ من الليل ، ويصوم الهواجر ، ويكثر من الصدقة ويحسن معاملة بعض الناس ، ويبذل من وقته وماله الكثير في الدعوة ، وقد ترى عليه مسحة من الزهد متزيناً بالورع لأجل من؟ لأجل أنه فلان ابن فلان الداعية أو المربي أو الشيخ ، لا لأجل الله وحده ، ولا لأجل أن يلقى ثواب ذلك عند الله .

قد يكون هذا غريباً لا يمكن تخيله ، ولكنه عند التأمل واقع ، وواقع وللأسف بين صفوف بعض المتصدين للدعوة وطائفة من المتعالمين ، ولكن كيف يمكن تشخيص هذا المرض؟

بادىء ذي بدء نقول : إن العلماء يعرِّفون الإخلاص بعدة تعاريف منها : أن يستوي حال الإنسان في الظاهر والباطن ، فالمخلص لله وحده يعمل العمل سواء أرآه الناس أو لم يروه ، أكان له حظ من حظوظ الدنيا أو لم يكن له ، أكان له ميزة معينة أو لم تكن ، فليس له توجه إلا لله ، وليس له هم إلا الهرب من النار

والفوز بالجنة ، فمهما تغيرت الظروف التي حوله فلن يزيد من عمله لأجلها وكذلك لن ينقص ، فالمخلص يعمل الطاعات سواء أكان هو فلاناً المربي أو الشيخ ، أو لم يكن (إن كان في الساقة فهو في الساقة ، وإن كان في الحراسة فهو في الحراسة) وهذا معيار لمن أراد الكشف عن وجود هذا المرض الخفي في نفسه.

ولا يظن ظان أن العمل الدعوي هو المعرض للإصابة بهذا المرض فقط بل إن كل أعمال الإنسان من دعوة وغيرها معرضة للإصابة بهذا المرض ، لأنه يغزو القلب الذي هو منبع الأعمال وأساسها ، فمتى ما أصيب القلب أثر ذلك على جميع أعمال الإنسان البدنية وغيرها ، حتى في عبادته الخاصة من صلاة وصيام وذكر ، فالمصاب بهذا المرض قد يؤدي كثيراً من العبادات ، وقد خلى قلبه من نية التعبد والتقرب إلى الله بها ، وحقيقة نيته وأصل دافعه لها أن هذه العبادات من صفات طالب العلم أو الداعية ، فلابد من الإتيان بها لأجل أن تكتمل صورة هذا الداعية أو طالب العلم أمام نفسه ، كمن حصل على منصب ديني ، فإنه يبدأ بالإتيان بلوازم هذا المنصب من عبادات وغيرها ، فمن عُيِّنَ قاضياً مثلاً لا بد أن تكون هيئته هيئة طلبة العلم وسيماه سيماء العلماء ، فإن أتى ببعض السنن بناء على ذلك فإن دافعه ربما كان لتحقيق لوازم هذا المنصب لا نية التقرب إلى الله بتلك السنن.

قد يقول قائل إن ما تتحدث عنه أمر لا يكاد يعرف ، بل قد لا يظهر لكل أحد ، فعلاجه من الصعوبة بمكان ، فلا داعي للدخول في هذه التفاصيل ولنأخذ الأمر بكل يسر وسهولة.

وجواباً على ذلك يقال : موضوع النيات موضوع خطير جداً ، إذ هو أساس قبول الأعمال وردها ، فهو أساس الفوز أو الخسران المبين ، أي أنه طريق الجنة أو النار ، والجميع مقرون بأن أمره شاق ، بل شاق جداً ، وكما قال سفيان الثوري : «ما عالجت شيئاً أشد من نيتي فإنها تتقلب علي» ، وعن يوسف بن

أسباط أنه قال : «تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد»[٤] . وقد نقل عن بعض العلماء أنه قال : وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم ، ويقعد للتدريس في أعمال النيات ليس إلا ، فإنه ما أتي على كثير من الناس إلا من تضييع ذلك[٥] .

وقد تكلم الأستاذ «عبدالجليل حسن» عن هذا المرض في لمحاته التربوية من السيرة النبوية ، وأجد من نسبة الفضل لأهله أن أقتطف من كلامه ما يناسب الموضوع – وإن طال – لأنه أجاد فيه وأفاد .

يقول : «ولمحتنا التربوية التي نشتمها من هنا هي التفرقة بين عبادة الله وحده الذي لا شريك له ، وبين عبادة أنا ، التفرقة بين الحق الذي لا مرية فيه سواء أكان هذا الحق الذي أتى على يدي أو على يد غيري ، سواء أكنت أنا فيه أو كان غيري ، وبين الحق الزائف الذي يكون فيه أنا وأنا فقط ، فإن كان غيري فهي الردة والنكوص والهلاك والخسران ، إنها التفرقة بين عبادة الله وعبادة أنا ، أو بين عبادة الله وعبادة النفس من دون الله .

إن كثيراً جداً ممن ينتسبون إلى الدعوة الإسلامية اليوم يتعاملون مع الدعوة ورجالها بمنطق أبي عامر[٦] ، فهو لا ينشط في دعوته إلا إذا كان هو صاحب الإمارة وصاحب المنزلة ، صاحب التوجيه ، صاحب المقام في قلوب الخلق هو القائل ، وهو المتحدث ، هو القائد . . . المهم أن يكون هو وهو فقط ، فإذا كان الأمر كذلك كان النشاط والحركة ، والدعوة والهمة العالية ، العمل الدائب وربما يغلف كل ما سبق من عمل وحركة بشيء من التواضع ، والزهد الزائفين فإذا اهتزت في نفس هذا النمط من الدعاة (أنا) فوجد نفسه نزل من موضع إلى موضع ، أو سبقه من هو دونه ، أو لم يحز ما ترنو إليه نفسه ، انقلبت الأمور وهدأت الحركة ، وانطفأت شعلة النشاط ، وبردت جذوة الأمل ، وانكفأ إلى

بيته ، وعلى أحسن الأحوال أخذ إجازة من الدعوة ، تنم عن غضب ومشاحنة ينطوي عليها الصدر ، وقد يسوء الحال عن ذلك ، فتكون الردة والنكوص عن الطريق كله، بحجة أن الجماعة قد انحرفت عن خطها الصحيح ، وهو لا يرضى هذا الانحراف ، ثم يبدأ البحث - كما يزعم - عن طريق آخر فيه أنا وأنا فقط» .

«أخي الحبيب : إن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فلابد لنا من وقفة صادقة مع النفس لتتوجه من جديد إلى الله ، إلى الله وحده لا شريك له ، إنه صفاء الابتداء ، فمن خانه ذلك وكان في النفس شيء فليبدأ من جديد ، بتوبة صادقة ، ونية صادقة ، على ألا يكون في القلب والنفس إلا الله وحده لا شريك له ، إن كل ما سوى الله من غايات إنما هي أقذار وأوحال وعفن وعطب يصيب القلوب فتَهْلك وتُهْلكْ ، فيبعد النصر ويطول الطريق ، فمن كان يريد السير إلى الله عز وجل في دعوته المباركة فلا يتطلع إلى شيء ، ولا يعمل بشرط أن يكون كذا وكذا، ولا ينظر إلى تقدم أو تأخر ولا يرسم لهدف في النفس لا يعلمه إلا الله» .

«إن السعادة والسداد والفوز في الدارين ، والتقدم والفلاح إنما هما في توجه النية دائماً إلى الله وحده لا شريك له ، دونما التفات إلى ما سواه ، ولو كنت ذَنَباً في الحق وأنت على ذلك خير لك من كونك أميراً مطاعاً ورأساً مرموقاً وأنت على غير ذلك ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون** ﴾[7]»[8] .

إذاً فمن أنجع أساليب علاج هذا المرض والكشف عن الإصابة به المحاسبة والمراقبة الدائمتين ، ليسألْ الإنسان نفسه دائماً ، ويفتش عن حقيقة دافعه للعمل - أي عمل - ولا يتسامح أو يتساهل مع نفسه ، وبخاصة في أمر النية والباعث على العمل ، إذ مدار الثواب والعقاب على صلاح النية وفسادها وليعلم أن معالجة أمر النية من أصعب وأدق الأمور كما تقدم .

لكن هنا ينبغي لنا أن ننبه على أمر قد يقع خلط بينه وبين ما نحن بصدده فقد يفعل الإنسان أموراً لا يفعلها إلا لأجل أن الناس يقتدون به ، ولو لم يكن في موضع القدوة لم يفعلها ، وهذا أكثر ما يكون في باب التروك ، وقد تحدث العلماء عن هذا فرغبوا لمن يقتدى به أن يترك بعض الأمور خشية أن يعتقد الناس فيها ما ليس بصحيح .

وما نحن فيه ليس من هذا الباب وإن كان الفرق بينهما دقيقاً ، فمن يقتدى به ، إذا فعل أو ترك أمراً كي يقتدي به الناس فعلاً أو تركاً إنما يفعل ذلك حتى لا يكون هو سبباً لوقوع الناس في الحرام ، أو سبباً لترك الناس المستحب أو الواجب فيعاقبه الله على ذلك كما يعاقب فاعل المحرم ، إذ الوسائل لها أحكام الغايات .

فالغاية النهائية لمثل هذا هي الدلالة على الخير لأنه سبب لمرضاة الله ونيل ثوابه ، والتحذير من الشر ، لأنه من أسباب سخطه ونيل عقابه .

لكن صاحبنا – الذي سبق الكلام عنه – هنا لم ينظر إلى الآخرة ، ولا إلى الثواب أو العقاب ، وإنما غايته النهائية تحقيق منزلته عند الناس .

وكذلك نيته هنا إلى الفرق بين الشعور بالمسؤولية إذا ألقيت على الإنسان ومن ثم النهوض بأعبائها ، وبين هذا الذي نتحدث عنه ، فعمر بن عبدالعزيز كان غاية في التنعم والترفه ، حتى إذا ولي أمر المسلمين أبدل غاية ما فيه من تنعم وترفه بغاية الزهد والتقشف ، فالفرق كبير ، فإن الذي دفع عمر بن عبدالعزيز لذلك القيام بالمسؤولية التي امتحنه الله بها ، ذلك أن القيام بها كما أراد الله يستلزم انشغالاً بمصالح المسلمين عن مصالح نفسه ، وورعاً في المال الذي وكله الله عليه ، وعبادة يستعين بها على القيام بأعباء هذا الواجب الثقيل ، فمقصده النهائي طلب مرضاة الله بالنهوض بما أوجبه الله عليه ، والقيام به على أتم وجه .

فإذا حُمِّل أحد من الناس أعباء أو تكاليف منصب ما ، فالواجب أن يبذل غاية ما في وسعه للقيام بهذا الواجب الذي تحتم عليه ، فما من شك أن ما أوجبه الله عز وجل على من يتحمل أمراً من أمور المسلمين ، ليس كما أوجبه على آحاد المسلمين ، وعليه فلابد أن يكون عمل ونشاط وحركة الأول أكثر من عمل ونشاط وحركة الثاني بكثير ، إذ لا يتم له القيام بذلك الواجب إلا بهذا الكم من العمل والحركة ، فعلى كليهما أن يقوم بواجباته طلباً لمرضاة الله ، وتخلصاً من إثم الإخلال بحقوق الله وحقوق الناس .

إخواني الدعاة وطلبة العلم : إن أخشى ما أخشاه على أنفسنا أن نأتي يوم القيامة ، وقد أخذ كل مكانه من الجنة بمن فيهم من كنا نظن أنه أقل رتبة منا ، ثم لا نجد مكانا لنا لأننا لم نمهد لهذا المكان بعملنا ، ولم يكن الهرب من النار وطلب مرضاة الله حادينا إلى العمل ، بل كانت دوافعنا إما حزبية من باب تكثير الأتباع ، أو من أجل التصدر ، أو غير ذلك ، فالله الله في أنفسنا وفي قلوبنا ولندعُ الله أن يجعل همنا في أعمالنا الصالحة التقرب إليه إنه سميع مجيب .

هوامش :

(١) سورة الفرقان ، آية ٣٣ .

(٢) رواه ابن ماجة ، وهو صحيح ، صحيح الجامع ٣٤٨٨ .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٤) جامع العلوم والحكم ، ص ١٠٠٩ ، طبع مصر .

(٥) عن مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر ، ص ٥ .

(٦) أبو عامر هو عبد بن صيفي بن النعمان ، وهو والد أبي حنظلة غسيل الملائكة ، وكان أبو عامر ترهب في الجاهلية وكان يقال له أبو عامر الراهب لكثرة عبادته ، وكان سبب ترهبه أنه سمع بأن زمانه زمان نبي فأراد أن يهيء نفسه للرسالة ، لمحات تربوية من السيرة النبوية ، ص ٨ ؛ وانظر السيرة النبوية لابن هشام ، ٥٨٤-٥٨٦ ، طبع مصر .

(٧) سورة القصص ، آية ٨٨ .

(٨) لمحات تربوية من السيرة النبوية ، ص ٨-١٠ .

حتى لا يتوقف عطاء الدعاة

فيصل البعداني

يشاهد المطلع على أحوال الدعاة إلى الله تعالى ممن يعانون من الفقر وقلة ذات اليد – وهم كثر في عالمنا الإسلامي – ظاهرة انتكاس بعضهم عن الطريق ووجود فتور كبير لدى عدد ليس بالقليل منهم.

ونظراً لخطورة هذه الظاهرة على مسيرة العمل الدعوي ، وما تدل عليه من ضعف الثقة بالله عز وجل ، وعدم الرضا بالقضاء والقدر ، بالإضافة إلى الجهل بسنن الله عز وجل في المنع والإعطاء . . . بادرت مستعيناً بالله تعالى في كتابة هذه السطور محاولاً إلقاء الضوء عليها ، راجياً أن تتضح الرؤية لأولئك فيعود من ضاع منه الطريق ، ويقوى على السير من لبث في مكانه وفتر عزمه ولم يواصل المضي ، عسى أن تكون كلماتي عامل تقوية وتثبيت لبعض من تتحرش بهم شياطين الجن والإنس ، وتكاد ضغوط المعاناة وشدة الواقع أن تأتي عليهم ، فتقعدهم عن مواصلة المسير في سبيل الدعوة إلى الله.

وسيكون الحديث بالأصالة متجهاً إلى من يعيش الأزمة ويكتوي بنارها كما أن جزءاً منه سيكون موجهاً لإخوانهم الموسرين الذين يشاطرونهم حمل هم هذا الدين ، وهم على معرفة بأحوالهم وشدة معاناتهم.

من تلك حاله كيف يصنع؟

وبما أن الأمر في ذلك وارد على كل داعية إلى الله ، فلابد أن يوطن

الداعية نفسه على الآتي :

١ - يتذكر أن الله يبتلي عباده بالغنى والفقر ، فيوسع على بعضهم في رزق ، ويهبهم من عظيم خيراته الشيء الكثير ؛ لكي يقوموا بواجب الحمد والشكر له ، ويمنع سبحانه بعضهم من تلك السعة ، ويقدر عليهم رزقه؛ لكي يقوموا بواجب الصبر وكمال الرضى ، فيوفق للحمد والشكر من الأغنياء فريق ، ويتجبر الفريق الآخر منهم ويطغى كما قال تعالى ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾[العلق : ٥-٦] كذلك حال الفقراء حيث يوفق للصبر والتسليم والرضى بالقضاء طائفة منهم ، وتتجه الأخرى إلى التسخط والجزع ، بل وربما إلى ممارسة كسب المال من طرق غير مشروعة .

٢ - معرفة أن الله عز وجل قد تكفَّل برزق الخلائق كما قال تعالى : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾ [هود : ٦] ، وما تكفل الله به فلا خوف من تأخره أو ضياعه وعدم وصوله ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لأصحابه الذين تعرضوا له بالمسألة رجاء التوسعة عليهم : « . . . فو الله ما الفقر أخشى عليكم . . . »[1] ، وهذا راجع إلى كمال اطمئنانه وعظيم ثقته بموعود ربه ، ويقينه التام بأن ما قدره الله للعبد من رزق فهو آتيه لا محالة .

٣ - العلم بأن لهذا الابتلاء فوائد جَمَّة متى استطاع المرء تحقيقها تحول الأمر في حقه من محنة إلى منحة ، ومن نقمة إلى نعمة ، ومن تلك الفوائد :

* أن العبد بصبره على الابتلاء ينال ما ذكره تعالى في سورة البقرة في قوله : ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾[البقرة : ١٥٥-١٥٧].

* أن العبد المبتلى بذلك يتقلب بين مقامات العبودية المختلفة من صبر وتسليم ورضا وتوكل ورجاء وورع ولجوء وتضرع وسكينة وثقة . . . إلى غير ذلك من المقامات العالية لذلك التي قد يحرمها لو لم يُصَب بذلك.

بالإضافة إلى المقامات الأخرى من حمد وشكر وإحسان إلى الآخرين . . . الى غير ذلك مما يناسب النعم التي أعطيها العبد كنعم الإيمان والصحة والأخلاق الحميدة والاشتغال بما ينفع في الآخرة . . . الخ .

* أن من ابتلي بذلك من الدعاة وصبر يصلب عوده ويقوى ويصبح أكثر قدرة على الثبات في مواجهة المحن والأزمات[2] ، وبخاصة إذا كان السبب المباشر لمعاناته من الفقر وقلة ذات اليد تَمَسُّكُه بدينه وثباته على دعوته وقيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* أن المصيبة والابتلاء في الدنيا لا في الدين ، ومن عرف حقيقة الدنيا والدين وابتلي وكانت مصيبته في دنياه ، عرف أنه قد سلم وعوفي وأن واجبه الشكر والثناء لا السخط وعدم الرضا[3] .

* أن كل مصيبة سببها المعاصي والذنوب كما قال تعالى : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾[الشورى : ٣٠] ، والمصائب والبلايا تُكفِّر الذنوب ، ولولا رحمة الله تعالى بإيقاعها عليه في الدنيا لأجلت عقوبة ما اقترف من ذنوب الى الآخرة ، وعقوبة الآخرة ليست كعقوبة الدنيا مهما عظمت وجلّت ، وعند ذلك يجب في حق العبد الشكر والثناء على الله تعالى.

* أن المصيبة واقعة لا محالة لكونها مكتوبة على العبد ، قال ﷺ : (وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك)[4] وكونها قد وقعت فقد استراح منها إن انتهت ومن بعضها إن بقيت وهذه نعمة وتوفيق وفضل من الباري سبحانه[5] .

٤ - استشعار حقيقة الدنيا والآخرة والنظر في النصوص الكثيرة من قرآن

وسنة التي تزهد في الدنيا ، وتخبر بمصيرها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها وشدة فتنتها من جهة ، وتُرغِّب في الآخرة وتخبر بشرفها ودوامها ومن ذلك قوله تعالى : **﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾** [النساء : ٧٧] ، وقوله عز وجل : **﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى ﴾**[الأعلى : ١٦-١٧] ، وقوله سبحانه : **﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾**[النحل : ٩٦] ، وقوله ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)[٦] ، وقوله ﷺ : (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم)[٧] .

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعد كلام له جميل حول هذا الموضوع : « . . . فإذا أراد الله بعبد خيراً أقام في قلبه شاهداً يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة ، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار »[٨] .

٥ - إدراك أن الدنيا لا يقوم عليها ميزان التفاضل في الدار الآخرة ، بل ذلك يقوم على التقوى فمن أكرمه الله وفقه لطاعته والإيمان به ومحبته ومعرفته والدعوة إليه وتحمل الأذى في سبيله ، ومن أهانه سلبه ذلك قال يحيى بن معاذ - رحمه الله - : « لا يوزن غداً الفقر والغنى وإنما يوزن الصبر والشكر »[٩] ، وقال ابن القيم - رحمه الله - ناقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى ، فإن استويا في التقوى استويا في الدرجة »[١٠] .

وبالتالي فلا غضاضة على العبد أن يكون فقيراً في هذه الدنيا إذا كان الفقر لا يعني دناءة المنزلة عند الله عز وجل ، بل إن لله أولياء من خلقه شعثاً غبراً مدفوعين في الأبواب كما قال النبي ﷺ : (رب أشعث مدفوعاً في الأبواب لو أقسم على الله لأبره)[١١] ، وكما قال ﷺ للصحابة حين مر رجل من أشراف الناس فقالوا : هذا والله حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، ومر رجل من فقراء المسلمين فقالوا هذا حري إن خطب

أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع لقوله : (هذا خير من ملء الأرض من هذا)[١٢]

حتى تكون راضيا مطمئنا:

من أجل أن يخفف الداعية عن نفسه القلق الناتج عن المعاناة من قلة ذات اليد ، وينقلب توتره وضجره – إن كان موجوداً – إلى هدوء واطمئنان ورضا ، عليه التأمل فيما يأتي :

* النظر في حال رسول الله ﷺ كما ورد في سيرته «حيث توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»[١٣] ، وكان ﷺ «يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه»[١٤] ، وتوفي ﷺ «وما شبع ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة»[١٥] ، «وكانت تمر عليه ثلاثة أهلّة في شهرين دون أن يوقد في بيته نار ، إنما طعامهم الأسودان التمر والماء»[١٦] ، وكان ﷺ يأكل ومن معه في صدر الإسلام ورق الشجر كما قال عتبة بن غزوان : (لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما طعامنا إلا ورق الحُبْلَة حتى قرحت أشداقنا)[١٧] ، إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي نقلها لنا مَنْ دَوَّنَ سيرته ﷺ وسير صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، على الداعية الحق أن ينظر في ذلك ، ويتذكر أنه ليس الوحيد الذي يسير في قافلة الدعوة ، ويعاني من قلة ذات اليد ، فهذا قائدها ﷺ وكبار أعلامها قد عانوا ما يعاني وله بهم أسوة كما قال تعالى : ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[الأحزاب : ٢١].

* عليه أن ينظر إلى من حوله من إخوانه ، الذين هم أكثر فاقة وأشد معاناة ويرى عظم مصيبتهم وضخامة حاجتهم ، فيواسي نفسه بمقارنة مصيبته بمصيبتهم ، وخفة حاجته عند عظيم فاقتهم ، فيحمد الله على التخفيف والرحمة بأن لم يبتله كما ابتلاهم ، ولم يمتحنه كما امتحنهم ، قال رسول

الله ﷺ : (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه) وفي رواية (فهو أجدر ألا تزدروا نعمة من الله عليكم)[18] .

* وعليه أن ينظر إلى نفسه بشمول في وقته السابق واللاحق ، وسيجد عند ذلك عظم نعم الله تعالى عليه في سائر أحواله الماضية والحاضرة ، وأن الله عز وجل إن كان قد منعه في وقت فقد أعطاه في أوقات ، وإن كان قد حرمه في جانب فقد منحه الشيء الكثير في جوانب إخرى ، وعليه أن يقوم بتعداد نعم الله ، وسيجد أن لا قدرة له على حصرها وتقصيها ليعلم عند ذلك مدى كفرانه بنعم الله ، وجحوده بها من جهة ، وواسع رحمة الله ولطفه وعظم تجاوزه عنه ومغفرته من جهة أخرى ، قال تعالى : **﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾** [إبراهيم : ٣٤] وقال عز وجل : **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾** [النحل : ١٨] ، مع أنه ليس للعبد من ذاته في الحقيقة سوى العدم وكل ما فيه وله من خير فهو محض جود الله تعالى وإحسانه .

* عليه التأمل في حال أصحاب الأموال الذين لم يرد الله لهم خيراً ، وجعل ما آتاهم من رزق سبب شقاوتهم في الدنيا ، فلا هم يهنأون بعيش ولا يشعرون بطمأنينة واستقرار أو بسكينة وهدوء بال ، بل قد يُودي ببعضهم إلى قتل النفس والانتحار ، وسبب شقاوة بعضهم في الآخرة حيث قادهم إلى الكفر بالله والجحود ، وبالتالي قادهم إلى النار كقارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ، فطغى وتجبر وجحد وقال إنما أوتيته على علم عندي ، فكانت عاقبته كما قال تعالى **﴿فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾** [القصص : ٨١].

٧ - العلم بأن الفقر بلاء عام بين الخلق يبلتي به الله تعالى من شاء من عباده - الدعاة وغيرهم - ولا علاقة لوجوده بالاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى

والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالتالي فإن التذرع عن ترك الاشتغال بالدعوة وحمل هم هذا الدين بطلب الرزق والسعي إلى كسب المال خطأ فاحش إذ لا علاقة لهذا العمل الجليل بوجود الفقر ، بل إن الأمر على العكس من ذلك ، فإن القيام بطاعة الله تعالى وتقواه من خلال نشر هذا الدين بين الناس ومحاربة الكفر والبدع والمعاصي في الأمة ، من أعظم أسباب جلب الرزق كما قال تعالى : **﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾** [الطلاق : ٢-٣].

مع أن تارك السير في قافلة الدعوة لأجل ذلك أضاف إلى معاناته من الفقر وعدم سلوك الأسباب الجالبة للرزق حرمان نفسه من الأجر والثواب عند الله تعالى - وما عنده خير وأبقى - وقيامه بتعريضها للعقوبة لعدم قيامه بزكاة العلم الذي آتاه الله إياه ، وتتمثل بنشره بين الناس وتعليمهم إياه.

٨ - أن يعلم أن الخير له فيما اختاره الله عز وجل ، وأن الفقر قد يكون هو الخير له لأن من عباد الله أناساً من لو أغناهم لحملهم ذلك على البغي والطغيان والكفر بالرحمن والتجبر على الخلان أشراً منهم وبطراً ، كما قال تعالى : **﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾** [الشورى : ٢٧] ، قال العلامة ابن سعدي مفسراً لهذه الآية : («ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض» أي لغفلوا عن طاعته وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا ، فأوجبت لهم الانكباب علي ما تشتهيه نفوسهم ولو كان معصية وظلماً «ولكن ينزل بقدر ما يشاء» بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته «إنه بعباده خبير بصير» ، كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول : « إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك . . . »)[١٩].

٩ - الحذر من القيام بالتعرض للآخرين للحاجة والتنبه إلى عدم طرق أبواب

المسألة ، والعلم بأن ذلك وإن جاز لأناس رخص لهم الشارع بذلك ، فإنه مما لا ينبغي للدعاة سلوكه بحال لأن سبيلهم التعفف والتجمل وعدم إظهار الشكوى والفقر ، بل ستره وكتمانه اتصافاً بقوله تعالى : **﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾** [البقرة : ٢٧٣] ، ورجاء تحقيق الامتثال لقوله ﷺ : (ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله)[٢٠] .

١٠- ليعلم الداعية الذي هذا حاله أن ما سبق بيانه ليست بدعوة إلى ترك العمل ، وتعطيل أسباب تحصيل الرزق ، فإن ذلك في الحقيقة نقص في العقل وجهل بالشرع ومخالفة له ، كما قال تعالى آمراً بالأخذ بالأسباب مع عدم الركون إليها : **﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾** [الملك : ١٥] .

بل إن تعريض الإنسان نفسه للفقر حتى يضطر إلى الآخرين مع قدرته على الكسب – غير اقتراف الإثم – له آفات ومفاسد كثيرة منها :

* تعلق القلب بما يقيم أوده ويعيشه وما هو محتاج إليه في هذه الدنيا، فيبقى في تفكير عميق ومجاهدة شديدة مع نفسه لترك حظه منها وهذا من قلة الفقه وعدم الرشد ، والعاقل في تعامله مع نفسه من يقوم بإعطائها حقها ويطالبها بما عليها ، وهذه هي طريقة وهدي رسول الله ﷺ كما جاء في قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء والذي صدَّقه فيه ﷺ : «إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه»[٢١] .

وعلى العبد القادر على الكسب أن يستبدل مجاهدته لنفسه في شهوة مباحة مجاهدته لأعداء الله وشرعه من شياطين الجن والإنس ، وأن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله على بصيرة .

* تطلع النفس إلى ما في أيدي الناس ، وتعريضها للحاجة والسؤال إذا مسته الحاجة إلى المال . ولا شك أن استدامة طلب الرزق الحلال لمن هذه

حاله أنفع له من ترك ذلك.

* مع التسليم جدلاً بأن من هذه حالته سيقطع تعلق قلبه بحاجات نفسه ويقوم بمنع نفسه من المسألة ، فإنه يخشى عليه أن يداخله من الكبر والعجب والزهو والغرور ما يفسد عليه قلبه ويمرضه إن لم يميته ، وتلك والله القاصمة[٢٢].

كما أن هذه الأسطر ليست دعوة إلى الإعراض عن نعم الله المتيسرة من الحلال ونبذها وإضاعتها ، لأن تلك النعم في نظر الأخيار عوناً على الإيمان والعمل الصالح ، ولكنها نداء إلى استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ، والسعي إلى عدم تعلقه بها وحرصه عليها واشتغاله بأجمعه بها حتى يصل إلى مرحلة عدم الفرح بموجود فيها وعدم الأسف على مفقود منها كما قال تعالى : **﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾**[الحديد : ٢٣].

إنها دعوة إلى أن يربي العبد نفسه على غنى النفس ، وأن يكبح جماحها ويقوم بتهذيبها حتى تصل إلى مرحلة القناعة بأنه لن يفوتها شيء من الرزق قسمه الله تعالى لها في الأزل ، وأن يقوم بتوطينها على الرضا باليسير حتى يصل بها إلى درجة الاستغناء عن الخلق ، كما قال ﷺ : (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس)[٢٣].

١١- ومع الدعوة إلى طرق أسباب الرزق الحلال من تجارة وزراعة وصناعة ... الخ ، فإنه لابد من التذكير بأن العبد لا ينبغي له ترك ما بيَّنه الشرع من أمور جالبة للرزق ومنها :

* التقوى كما في قوله تعالى : **﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾**.

* الاستغفار كما في قوله تعالى : **﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات**

ويجعل لكم أنهاراً ﴾[نوح : ١٠-١٢].

* الإنفاق والصدقة كما في قوله تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾[سبأ : ٣٩] ، وقوله ﷺ : (ما نقصت صدقة من مال)[٢٤]، وقوله تعالى في الحديث القدسي : ﴿ يا ابن آدم أنفق أنفق عليك ﴾[٤٣].

* الشكر للنعم وعدم كفرانها كما قال تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾[إبراهيم : ٧].

* الاستغناء عن الخلق والتعفف عما في أيديهم كما في قوله ﷺ : (ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)[٢٠].

* صلة الرحم كما قال ﷺ : (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أمره فليصل رحمه)[٢٥].

* الدعاء كما قال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠]، وقوله ﷺ : (لا يرد القضاء إلا الدعاء)[٢٦].

نداء إلى الأغنياء:

١ - لابد للأغنياء من إدراك خطورة الفقر حيث إنه كما قيل قرين الكفر ، وأن خطورته تزداد على الدعاة إلى الله عز وجل ، والعلم بأنه من شدة خطورته كان ﷺ يدعو الله تعالى بأن يغنيه منه ويستعيذ بالله من فتنته كما في قوله ﷺ (اقض عنا الدين وأغننا من الفقر)[٢٧] ، وقوله : (اللهم فإني أعوذ بك . . . ومن شر فتنة الفقر)[٢٨].

ولذا كان لابد لمن يسر الله تعالى عليه من الدعاة وكذلك الموسرين الصالحين أن يتفقدوا حال إخوانهم فإن لهم عليهم حقاً ، وما لم يصل الأمر إلى ذلك فإن الأخوة لن تنعقد في الحقيقة والموجود منها مجرد مخالطة ليس إلا ، لا حقيقة لها في العقل والدين[٢٩] ، وليعلم الموسرون بأن لهم

بالأنصار من صحابة رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث واسوا إخوانهم من المهاجرين وقاسموهم الأموال.

٢ - وأن يتذكروا - أيضاً - ما جاء من نصوص في الأمر بالإنفاق وبيان فضله والتحذير من عدمه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقوله سبحانه: ﴿ **الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وقوله عز وجل: ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقوله ﷺ: (يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟)[٣٠]، وفي رواية (وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)[٣١]، وقوله ﷺ: (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً)[٣٢]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه - وإن كانت تمرة - فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فُلوَه أو فصيله)[٣٣].

ولا شك أن الصدقة على الإخوان أفضل من الصدقة على الفقراء كما قال علي - رضي الله عنه - «العشرون درهماً أعطيها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق مئة درهم على المساكين»[٣٤].

٣ - ولا يكفي تفقد الإخوان والإنفاق على المحتاج منهم فحسب، بل لابد من سلوك أفضل السبل لإيصال ذلك إليهم بما يحفظ لهم ماء وجوههم ويصونهم من الذل والمهانة أمام إخوانهم المنفقين، وبما يمنع من تسليط الآخرين ألسنتهم الحداد عليهم أو غيبتهم أو سوء الظن بهم، وبما لا

يساعد المعوزين على ترك الحياء أو التشجع على طرق أبواب المسألة والخروج عن هيئة التعفف والاستغناء عن الآخرين.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

هوامش :

(١) البخاري مع الفتح ٧/ ٣٧١ ح ٤٠١٥ .
(٢) انظر الظلال ١/ ١٤٥ .
(٣) انظر موعظة المؤمنين ٢/ ٣٣٦ .
(٤) المسند ٥/ ١٨٥ وصححه الألباني في رياض الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ١/ ١٠٩ .
(٥) انظر موعظة المؤمنين ٢/ ٣٣٦ .
(٦) الترمذي ٤/ ٥٦٠ ح ٢٣٢٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢٩٢ .
(٧) الترمذي ٤/ ٥٦١ ح ٢٣٢٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٤١٤ .
(٨) تهذيب مدارج السالكين ٢٨٣ .
(٩) المصدر السابق ٢٧١.
(١٠) المصدر نفسه.
(١١) مسلم ٤/ ٢٠٢٤ ح ٢٦٢٢ .
(١٢) البخاري مع الفتح ١١/ ٢٧٨ ح ٦٤٤٧ .
(١٣) البخاري مع الفتح ٦/ ١١٦ ح ٢٩١٦ .
(١٤) مسلم ٤/ ٢٢٨٥ ح ٢٩٧٨ .
(١٥) مسلم ٤/ ٢٢٨٤ ح ٢٩٧٦ .
(١٦) مسلم ٤/ ٢٢٨٣ ح ٢٩٧٦ .
(١٧) مسلم ٤/ ٢٢٧٩ ح ٢٩٧٢ .
(١٨) مسلم ٤/ ٢٢٧٥ ح ٢٩٦٣ .
(١٩) تفسير العلامة ابن سعدي ٦/ ٦١٦ .
(٢٠) البخاري مع الفتح ٣/ ٣٤٥ ح ١٤٢٧ .
(٢١) البخاري مع الفتح ٤/ ٢٣٦ ح ١٩٦٨ .
(٢٢) انظر تهذيب مدارج السالكين ٤٧٢-٤٧٣
(٢٣) المسند تحقيق الشيخ أحمد شاكر ١٥/ ٢٢٨ ح ٨٠٨١ وقال المحقق «في إسناده ضعف ولكن يكون صحيحاً بغيره».
(٢٤) مسلم ٤/ ٢٠٠١ ح ٢٥٨٨ .
(٢٥) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٢٩ ، ح ٥٩٨٦ .
(٢٦) الترمذي ٤/ ٤٤٨ ح ٢١٣٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٧٦٨٧ .
(٢٧) مسلم ٤/ ٢٠٨٤ ح ٢٧١٣ .
(٢٨) مسلم ٤/ ٢٠٧٨ ح ٢٧٠٥ .
(٢٩) انظر موعظة المؤمنين ١/ ١٣٩ .
(٣٠) مسلم ٤/ ٢٢٧٣ ح ٢٩٥٨ .
(٣١) مسلم ٤/ ٢٢٧٣ ح ٢٩٥٩ .
(٣٢) مسلم ٢/ ٦٨٨ ح ٩٩١ .
(٣٣) مسلم ٢/ ٧٠٢ ح ١٠١٤ .
(٣٤) موعظة المؤمنين ١/ ١٣٩ .

نشـأة أخـرى
- ٢ -

محمد العبدة

الإيمان الغامر ، والتوحيد الخالص ، الذي يملأ النفس يقيناً ، فلا تتفرق ولا تتهافت أو تضطرب ، هو الذي يرفع المسلم ليكون (صاحب رسالة) ، وهو الذي يدفعه لاستصغار الأهوال والخطوب ، ويعطيه قدرة على الصبر والاحتمال ، ويستكبر على الشهوات ، ويعلو على العصبيات ، فيكون همه الذي يقيمه ويقعده ، هو انتصار هذا الدين.

المؤمنون حقاً هم الذين دفعوا بالمد الإسلامي الأول قوياً ، حتى كاد أن يغطي المعمور من الأرض ، وعاشت أجيال من بعدهم على قوة هذا الدفع عاشت أجيال بقوة إيمان مثل أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - الذي لا يعبأ بنفسه وإنما كان همه الأول هو هذا الدين ، ولذلك قبل بإمرة عمرو بن العاص في غزوة (ذات السلاسل) ؛ لأن الرسول ﷺ قال له : «تطاوعا ولا تختلفا».

وإيمان خالد بن الوليد هو الذي جعله يقبل بأن يكون تحت إمرة أبي عبيدة بعد أن كان القائد العام للجيوش الإسلامية في الشام ، والحرص على الدعوة ووحدة الصف هو الذي جعل الصحابي الجليل أبا برزة الأسلمي يتألم من القتال الواقع بين بني أمية وعبدالله بن الزبير ويقول : «إني أحتسب عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش ، وإن هذه الدنيا هي التي أفسدت بينكم».

ونحن - والله - قد أصبحنا ساخطين على هذا الذي يجري في أفغانستان حيث لم تراعَ مصلحة المسلمين وسمعة الإسلام ، ولم يقبل صلح أو تعاون أو مشورة ، وأما ما يجري من القتال بين المسلمين - من القتال بالكتب لا بالكتائب - من الذم والثلب وتصنيف الناس ، والولوغ في أعراض الدعاة الصادقين ، وما يجري من الشقاق والبغضاء لأتفه الأسباب ، فلا شك أنه من الأهواء والأنانيات .

ما الذي يقضي على آفات النفس ، من الحسد والبغي ، وحب العلو والرئاسة ، أو الوقوع في سفاسف الأمور وترك معاليها؟ ليس غير الإيمان الذي يملأ الجوانح - هو الذي يقضي على هذه الآفات - الإيمان بالله الذي يعلم هذه النزغات ، والإيمان باليوم الآخر ، حيث يلاقي الإنسان ربه ، وليس غير حب هذا الدين والرغبة في أن يطبق في الأرض ، وأن يهيمن ويعلو ، ويستظل الناس بخيره وعدله .

ومن هنا ندرك مدى دلالة وعظمة قول الرسول ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات» ، فإنه من الجديرَ بالتأمل أن العمل الذي يقوم من بداياته على نية صادقة وسنة ماضية ، فإنه يكون قوياً مستمراً بإذن الله ، وإن كان غير ذلك فإنه مُنبتٌ يعود لأصله وجذره ولا يبارك فيه ، ولهذا قال عالم الأمة عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : «أنتم أكثر أعمالاً من أصحاب محمد ﷺ وهم أفضل منكم ذلك لأنهم كانوا أبر قلوباً . . .» ، فالحياة هي حياة القلب ، والموت هو موت القلب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .

مناجـاة .. للعام الجديد

محمد العتيـق

صاح في الناس المنادي :
«أيها الناس استفيقوا . .
شيعوا العام الطريدْ
واحضنوا العام الجديدْ
واحتسوا من غير لأي خمرة العام السعيدْ
كي تظل النفس سكرى . .
في مدى العام المديدْ»
«أيها العابث فينا . .
ما نداءاتك إلا صرخة . .
في مسمع الوادي السحيقْ»
هكذا . . ردد صمت السامعينْ!
وانبرى صوت المناجي :
أيها العام الجديدْ . . يا ترى ما قد تكون؟
أترى نتلوك سطراً . .
في كتاب البؤس من عيش العبيدْ؟
أم ترى نرويك شعراً . .
في رثاء العز والمجد التليدْ؟
أيها العام الجديد . .
طال عمر لجفاف الريق والأرض هنا
وارتوت من دمعها مليون عينْ
واشتكى الضيم سوادُ الثقلينْ
وارتدى النّاس من الإملاق أخفاف حُنينْ
بدل الواحد شدوا محزمين!
ويطول الحزن في مأتمهم . .
ويفك الدين دينْ!
أيها العام الجديد

بلغ الأولاد عشراً من سني العمر
في ظل حياة الفقر لا يدرون ما معنى «المطرْ»
قال لي أكبرهم :
حدثتنا أمنا ذات مساءْ
أن شيئاً كان من مهد السماءْ
كان يهمي فوق أجساد البشرْ
وتسميه العبارات «مطر»!
صارت الأمطار ذكرى . .
أصبحت محض خبرْ!
أيها العام الجديدْ . .
أترى فيك نرى . .
نشوة الأطفال من تحت المطرْ؟
وانتشاء الروض من عبق الزهرْ؟
وابتهاج العيد في أحلى الصور؟
في بلادي من جديد!
أترى يوماً يعود . . ؟
منتدى الأرواح في عذب السمر . .
وحديث الحب في صمت السحر . .
في رياض ضاءها نور القمر . .
في بلادي من جديد؟!
واختفى صوت المناجي . .
حيث لا ثَمَّ سوى همس الظلامْ!

المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

- ١ -

د. محمد عبدالله الشباني

تمثل المشكلة الاقتصادية محور الاهتمام لدى علماء الاقتصاد ، كما أنها محور اهتمام الدول عند معالجتها لقضاياها الاقتصادية ، فالمشكلة الاقتصادية مرتبطة بوجود الإنسان على الأرض ، وهي من العوامل المؤثرة في المسيرة التاريخية للإنسان ، بل إن أحد أنبياء الله المرسلين وهو النبي شعيب - عليه الصلاة والسلام - قامت دعوته لقومه على تأكيد الجانب الاقتصادي وأهمية الإصلاح الاقتصادي المرتبط بسلامة العقيدة ، فقد حكى الله في القرآن الكريم قصة شعيب مع قومه ، وأبرز أهم نقاط إنكاره - عليه السلام - على قومه المتمثلة في عملية البخس في التبادل التجاري ، وأكل أموال الناس بالباطل من خلال التأثير في عملية التوزيع ، التي تمثل أهم جوانب المشكلة الاقتصادية يقول الله تعالى مخبراً عن واقع قوم شعيب وسلوكياتهم الاقتصادية المرتبطة بسوء التوزيع : ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ، قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن**

أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾[1] .

ولعل في الآيات إشارة إلى تأثير عدم العدل في التوزيع وفي التبادل التجاري ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وأن ذلك من أسباب سوء الأوضاع الاقتصادية للفرد والمجتمع ، فقد وصف نبي الله شعيب واقعه باعتباره تاجراً يلتزم بأوامر الله بأن الله قد رزقه رزقاً حسناً بسبب التزامه بما يأمر به قومه من العدل في التعامل .

تتمثل المشكلة الاقتصادية في جوانب ثلاثة هي :

١ – ندرة الموارد الطبيعية وقلتها ومحدوديتها ، وبالتالي فإن المشكلة في هذا الجانب تتمثل في الاختيار بين ما ينتج وما لا ينتج لاختلاف وكثرة حاجات الإنسان ، وكيفية تخصيص الموارد المتاحة للاستخدام ، أي تحديد الموارد التي يمكن استخدامها ، وأسلوب الإنتاج الذي ينبغي اتباعه وبالتالي فإن المشكلة تمتد لدراسة نظرية الائتمان لهذه الموارد ونوعية السلع وكمياتها ، وأولويات إنتاجها ، والبدائل بينها .

٢ – الطريقة التي يتم بها توزيع الدخل العام على عناصر الإنتاج المختلفة أي نمطية ونوعية توزيع عناصر الإنتاج على أفراد المجتمع ، وأنصبة عناصر الإنتاج في ذلك الدخل على أساس الوظيفة التي أداها كل عنصر في تحقيق هذا الدخل ، فهذا الجانب من المشكلة الاقتصادية يتعلق بتحديد مصادر الدخول الفردية وقواعد اكتسابها وتوزيعها ، وكذلك تحديد أنصبة عناصر الإنتاج في الدخل وهي الريع للأرض والأجر للعمل والعائد على رأس المال والربح للمنظم أي للمضارب بالعمل .

٣ – الأهمية النسبية لعناصر الإنتاج ودور كل عنصر وأهميته في العملية

الإنتاجية ، والأهمية النسبية مرتبطة بالمفهوم الفلسفي الذي يعتنقه المجتمع ، فإن للنظام الاجتماعي بما يحتويه من تنظيمات اقتصادية تأثيراً في تحديد مقدار الإنتاج ونوعه سواء أكان من حيث مدى اتساع وضيق حرية التملك أو حرية العمل والاستهلاك ، أو تشجيع التقدم الفني والتقني لتحسين وزيادة الإنتاج بقصد الاستفادة من عناصر الإنتاج الأساسية المتمثلة في الموارد الطبيعية ورأس المال والعمل .

إن هذه الجوانب الثلاثة للمشكلة الاقتصادية هي محور الدراسات الاقتصادية ، كما أن لها دورها في الصراع بين مختلف الشعوب والمجتمعات بجانب أنها من العوامل المسببة لنشوء الحروب وسقوط الحضارات .

إن وجود المشكلة الاقتصادية هو جزء من سنة الله الكونية ، وابتلائه وامتحانه للبشر حتى يتميز الخبيث من الطيب ، والصالح من الفاسد ، والمؤمن من الكافر .

إن الإسلام يقر بوجود المشكلة الاقتصادية ، ويعتبرها من الظواهر الكونية ومن السنن الإلهية المصاحبة لوجود الإنسان على الأرض ، وجزء من امتحان الله له حتى يمكن تحديد مصيره في الحياة الآخرة .

إن النقص والندرة في الموارد الطبيعية جزء من إرادة الله الكونية ، كما إنها أحياناً تكون نوعاً من العقاب الإلهي لطغيان الإنسان في الأرض وإفساده فيها .

لقد حدد الله في كتابه العزيز العلة لوجود هذه الظاهرة ، أي ظاهرة ندرة الموارد وقلتها ، بأنها تعود إلى طبيعة الإنسان التي خلقه الله عليها ، تلك الطبيعة المتمردة الطاغية التي تستغني عندما تشبع ، يقول الله تعالى موضحاً هذه الحقيقة : **﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ﴾**[٢] ، ويقول تعالى واصفاً طبيعة النفس البشرية عندما تصل إلى الرفاه

وتحقق متطلبات وحاجات الإنسان ، بأنها تصبح طاغية مستبدة : **﴿ كــلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾**[٣] ، كما إن المجتمع الذي يستغني فإنه يمارس ما يمارسه الفرد ، وهذه الحقيقة أوضحها القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴾**[٤] ، وقوله تعالى : **﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾**[٥] .

إن للندرة في الموارد الطبيعية حكمة تقتضيها ، فالنقص في الموارد يوجد الحافز على عمران الأرض واستمرارية البشر عليها حتى الأجل المحتوم بالعمل حسب الطاقات والإمكانيات الفعلية والعقلية الموزعة بين البشر ، مما يؤدي إلى قيام عنصر العمل بدوره في الاستفادة من الموارد الطبيعية ، ومساهمته في استخراج الكنوز المودعة في الأرض ، ولن يتم ذلك إذا انعدمت وزالت المشكلة الاقتصادية ، لقد حدد القرآن الكريم هذه الحكمة بأنها جزء من سنة الله الكونية وآية من آيات ربوبيته في قوله تعالى : **﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾**[٦] .

يحدد القرآن الكريم المنهج الذي يمكن للإنسان عند اختياره له تحقيق الرخاء والحصول على رغد العيش وكفايته ، فقد تكفل الله بتوفير احتياجات الإنسان المرتبطة بمقومات وجوده ، حيث تكفل الله بإشباعها ، هذا المنهج الذي أوضحه الله سبباً موجباً لكفاية الاحتياجات ، هو إيمان الإنسان بالله قولاً وعملاً وسلوكاً وتشريعاً ، إن انحراف المجتمعات الإنسانية يعتبر سبباً في تحقيق النقص في الإنتاج سواء أكان ذلك بسبب تسليط الله لبعض مخلوقاته بإفساد

وتحطيم الإنتاج ، أو بنزع بركة الخير والرزق الذي يبسطه الله لعباده ، يقول الله تعالى : **﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾**(٧) .

إن معالجة الإسلام للمشكلة الاقتصادية ، والأسلوب الذي يأمر باتباعه لتجنب الوقوع في المشكلة بالشكل الذي يخل بتوازن المجتمع ، يقوم على معالجة جميع جوانب المشكلة الاقتصادية بشكل متكامل بحيث تتكاتف جميع العناصر المؤثرة في التنظيم الاجتماعي بالعمل في تناسق وتكامل لتحقيق المجتمع الفاضل الذي تسير الحياة فيه وفق منهج الله الذي أوضحه سبحانه في كتابه على لسان نبيه ﷺ ، فإذا تحقق هذا الأمر باليسر وفق شريعة الله عقيدة وشريعة ، فإن المشكلة الاقتصادية بمختلف جوانبها لا تصبح معوقاً لاستقرار الفرد وتحقيق الغاية التي من أجلها خلقه الله وأهبطه إلى الأرض ، ليعمرها فترة زمنية محددة ، حيث ينتهي به المطاف إلى الحياة الأخرى التي لا نصب فيها ولا تعب ، وإنما هي دار جزاء على ما قدمه خلال الفترة الزمنية التي مكثها على وجه الأرض .

إن دراسة المنهج والأسلوب الذي يعالج به الإسلام حل المشكلة الاقتصادية يقتضي دراسة جميع جزئيات وكليات النظام الاقتصادي من المنظور الإسلامي ، أي دراسة كاملة وشاملة لمنهجية وأسلوب الإسلام في تنظيم المجتمع من الناحية الاقتصادية ، وبالتالي فليس من مهمة هذه المقالة وما يتبعها من مقالات طرح كامل لكافة الحلول التي يطرحها الإسلام لعلاج المشكلة الاقتصادية باعطاء تصور كامل لمنهج الإسلام ، فهذا يحتاج إلى دراسات مطولة ومتنوعة لمختلف فروع الاقتصاد ، ولكن سوف نحاول في هذه المقالة وما بعدها من مقالات ترتبط بالمشكلة الاقتصادية إعطاء القارىء تصوراً عاماً للحلول التي يأمر بها الإسلام لحل المشكلة الاقتصادية بجوانبها الثلاثة التي أشرت إليها في

بداية هذه المقالة ، وتأصيل فكرة أن الإسلام لا يقتصر على معالجة العلاقة بالله تعالى فقط ، وإنما يعالج مشاكل البشر المادية بما يتفق مع الطبيعة البشرية والسنن الكونية التي اقتضتها حكمته من خلق الإنسان على هذه الأرض.

إن الندرة في الموارد الطبيعية مرتبط بحكمة خلق الإنسان ، حيث إن الأرض التي خلقها الله للإنسان ليسكن فيها لم تخلق لتكون مكان راحة وسعادة ونعيم ، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى عندما أهبط أبا البشر آدم عليه السلام : **﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾** [8] ، فلم يفض الله أنعمه على الأرض كما أفاضها في الجنة بل جعل متاعها قليل وجعل مواردها محدودة ، ولكن الله الذي خلق الأرض وخلق البشر عليها ، قد أوجد فيها من الخيرات والموارد التي تكفي حاجة الناس إذا قاموا على الطريق السوي وامتثلوا لأمر الله ، ولكن إذا انحرفوا فإن قانون الندرة يؤدي إلى استفحال المشكلة الاقتصادية وإصابة الناس بالألم والعذاب والشقاء والفقر والجوع والخوف . .

إن منهج الإسلام في معالجة الندرة في الموارد الطبيعية يتمثل في توجيه المجتمع إلى استغلال جميع الموارد الطبيعية ، وبذل الجهد في سبيل الحصول عليها والاستفادة منها ، فاستغلال هذه الموارد يحتاج إلى بذل الجهد ، فمن أراد أن يستفيد مما أوجده الله على الأرض أو في السماء ، فإن عليه بذل الجهد فالموارد الطبيعية التي هي أحد المصادر المسببة للمشكلة الاقتصادية ، سواء أكان ذلك من ناحية القصور في استغلالها ، أو من ناحية الأسلوب والتقنية المتبعة من قبل الإنسان عند استغلاله لهذه الموارد ، لهذا فإن معالجة واقع الندرة للمواد الطبيعية يأتي من كيفية استغلال هذه الموارد وبذل الجهد لاكتشافها ، فالأرض هي مصدر أساس من مصادر الرزق ، وهي تكتنز في باطنها المواد الأولية لإنتاج المنتجات التي يحتاج إليها الإنسان في حياته ، كما إنها تحتفظ على ظهرها

بمصادر الإنماء من تربة وماء فيتحقق باجتماعهما انتاج حاجة الإنسان من الغذاء ولهذا فإن معالجة الإسلام لجانب قلة الموارد وندرتها يأتي من خلال استغلال الأرض وتوجيه انتباه الإنسان إلى الأرض ، وضرورة استغلالها باستصلاح الأرض والعمل على استغلالها وخلق الحافز للإنسان لتحقيق ذلك .

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو حق)[٩] ، فيتضح من هذا الحديث جانب من جوانب معالجة الإسلام لكيفية التعامل مع الندرة ، وذلك بالحث على استغلال الأرض واستثمارها من خلال تشجيع الإنسان على استغلال الأرض من خلال الاستفادة من غريزة التملك لدى الإنسان بحثّ الأفراد القادرين على استغلال الأرض المعطلة ، وبالتالي فإن الإسلام يحرص على دفع عوامل الإنتاج في التفاعل من أجل تخفيف آثار الندرة في الموارد في استفحال المشكلة الاقتصادية فعدم استغلال الأرض يؤدي إلى تعطيل مصدرين من مصادر الإنتاج وهما الأرض والعمل ، ولهذا فقد وجه الإسلام الاهتمام إلى هذا الجانب من جوانب معالجة الندرة بتوفير المناخ المساعد على استغلال المتاح من الموارد الطبيعية فأوجد السياج النظامي لحماية الفئة النشطة من بني الإنسان ، بتوفير الحافز على استغلال الأرض من خلال إعطاء حق التملك لمن يستثمر الأرض ، وحماية هذا التملك بإهدار أحقية أي مغتصب فعبارة : وليس لعرق ظالم حق - التي وردت في بعض الروايات - يقصد منها أنه لا يحق لرجل يأتي إلى أرض قد أحياها رجل قبله فيغرس فيها غرساً غصباً ليستوجب بهذا الغرس تملك الأرض ، فقد أهدر حقه ومنعه من ذلك الحق ، وتقع حماية التملك على ولي الأمر المسلم الذي يتولى رئاسة الدولة الإسلامية .

إن مشكلة الدول المتخلفة هي في عجزها عن استغلال مصادر الطبيعة المتاحة للإنسان ، إما بسبب التشريعات الظالمة التي تعيق الحافز على العمل

والتاريخ المعاصر يقدم الدليل على أن التشريعات الظالمة ، وتبني الأفكار المنحرفة أدى إلي انهيار النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي الذي قام تنظيمه الاقتصادي على تقليص دور الفرد في استغلال الموارد الطبيعية بكبح غريزة حب التملك ، وبالتالي إبعاد الحافز عن العمل بمنعه من أداء دوره في التأثير بعدم الاستفادة القصوى من الموارد الطبيعية .

لقد وجه الإسلام الانتباه إلى أن الموارد الطبيعية لا تقتصر على ما يظهر على وجه الأرض ، وأن الندرة قد تكون بسبب عدم بذل الجهد الفكري والعضلي ، وأن الندرة يمكن حلها إذا بذل الإنسان الجهد ، وعمد إلى البحث عن مصادر الرزق بعدم الركون إلى المصادر الظاهرة ، لقد روى أبو يعلى في مسنده حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ : (أطلبوا الرزق في خبايا الأرض)[10] ، ففي هذا الحديث إظهار لحقيقة أن الأرض تخبىء كثيراً من الخيرات ، وأن الله الذي خلق الإنسان قد تكفل بأن يوفر له احتياجاته ولكن بشرط أن يعمل على البحث والتنقيب ، فالحديث فيه إشارة صريحة على أن الرزق مخبؤ في باطن الأرض ، لكنه يحتاج إلى طلب .

إن من سنن الله الكونية أن الله قد أوجب على الإنسان السعي في الأرض وبذل الجهد والتعب ، أما التمتع بدون تعب فهو في الحياة الأخرى ، وهذا من الأسرار التي جعلها الله في قلة الموارد ، ولكن ليس الانعدام الكلي وعدم إمكانية توفير الاحتياجات ، فالندرة حسب المفهوم الإسلامي نسبية وليست مطلقة ، أي أن الندرة تحدث إذا عطل الإنسان ملكاته وقدراته ولم يعمل على استغلال طاقاته الذهنية .

إن من واجب الإنسان أن يمارس عملية التفكير والاختراع ، فما يصنعه الإنسان أو يكتشفه هو من صنع الله ، لهذا ينبغي فهم قول الله تعالى على حقيقته ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[11] ، فإن ما يتوصل إليه الإنسان من

مخترعات، وما يلهمه الله من معرفة للأسرار الكونية ، إنما أذن الله بها في هذا العصر مع كثرة الناس ، ولم يأذن بها فيما سبق من تاريخ البشرية ليؤكد حقيقة ثابتة لا جدال حولها أن الله قد تكفل بتوفير احتياجات الإنسان وأن الموارد المتاحة كفيلة بتوفير احتياجات الإنسان بشرط أن يسعى وفق سنن الله وضمن نطاق العبودية له تعالى ، ولهذا فإن الانحراف عن هذا المنهج سيكون سبباً في ندرة الموارد حيث يصبح ذلك أداة لإنزال عقاب الله تعالى على ظلم الإنسان .

هوامش :

(١) سورة هود ، الآيات ٨٤-٨٥ ، ٨٧-٨٨ .

(٢) سورة الشورى ، آية ٢٧ .

(٣) سورة العلق ، الآيتان ٦-٧ .

(٤) سورة سبأ ، الآيات ١٥-١٧ .

(٥) سورة النحل ، آية ١١٢ .

(٦) سورة الزخرف ، آية ٣٢ .

(٧) سورة الأعراف ، آية ٩٦ .

(٨) سورة البقرة ، آية ٣٦ .

(٩) البخاري ، كتاب الحرث والزراعة ، حديث رقم ٢٣٣٥ .

(١٠) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد أن ابن حبان ضعفه لأن فيه هشام بن عكرمة ، وإن كان المعنى يمكن أن يؤخذ من عموم نصوص أخرى.

(١١) سورة الصافات ، آية ٩٦ .

المسلمون و العالم

■ المسافة بين فلسطين وجنوب افريقيا.

■ رسائل عاجلة إلى الشعب اليمني.

■ أحداث «راوندا»: خلفية الصراع.

■ هكذا تهدم مساجد السنة في «إيران»!

مسرح!

عبدالله محمد العسيري

يجر خطاهُ . .
على «مسرح» من سآمةْ
ومن خلفه «ابنُ سلول» له أوجه عدةٌ
ليس فيها جباهُ!
وفي مقلتيه جهامةْ
وفوق الجبين حمولة ذل . .
غدت للعبيد علامةْ!
- «وقّـع هُنا»
يخط بريشته في الورقْ
هامساً وهو يحني العنقْ :
- «سمعاً وطاعة!
نحن باعة . .
وما كانت القدس والأرض إلا بضاعة!
وكلي قناعة . .
غير أني أفضّل كتمان سري»
ويُغرقُ همساً :
«كيف أصنع لو أبصرَ الشعبُ أحداقَه السائلةْ!
ويدي القاتلةْ!
وجنينَ «السلام» الذي جاء ميتاً
وإن صفقت فرحاً فرقةُ «القابلةْ» !!
إن شرطي الحفاظ على السر حتى استلام الثمنْ».
هو يهوي على الطاولة . .
يغمس الآن ريشته . . والعفن . .
يتحدث عبر روائحه! . .
عن حقيقة هذا الظلام الذي . .
يتستَّر متزرّاً بـ«السلامْ»!
أفٍّ . . هذا زمان الوَهَنْ!
- ما الوهن؟!
- أن تبيع دمي . .
وتجعل دولارهم بعد قتلي الكفنْ!!
ثم تسلبه حين تبتعد العدساتُ . .
لتأخذ أنت الثمنْ! . .

المسافة بين فلسطين وجنوب افريقيا

رؤية في حدثين

د. عبدالله عمر سلطان

لم يجد وزير الخارجية الأمريكي من عبارة لوصف دخول الشرطة الفلسطينية إلى غزة وأريحا سوى القول : «إنها تجربة تشبه التجربة المثيرة التي نراها اليوم في جنوب افريقيا» ، وما أبعد الشبه وأخبث المقارنة بين تجربة جنوب افريقيا التي عادت لتُحكم وتسير وفق رأي أهلها ، وبين «الجيب» الاختباري الذي يحاول المستفيدون من وجوده أن يروجوا له ، ويربطوا بينه وبين تجربة الأفارقة الجنوبيين.

ولكن مهلاً ، قد يكون هناك شيء من التشابه بين هذا الحدث ، وذاك ربما يكون هناك خيط رفيع يربط المشهدين ، والمسرحين ، والجمهور الفاغر فاه لهثاً وراء ما تخبئه بقية الفصول التي اعتاد الجميع أن تكون مأساوية وفي اتجاه واحد ، والجمهورَ الذي يهنأ بلذة النصر على الظلم بعد كفاح مرير ، ولنتأمل ملامح الشبه بين الروايتين :

أولاً : كلا المشكلتين في الجنوب الأفريقي أو فلسطين المحتلة بدأت مع انتشار الرجل الأبيض وحضارته المشينة ، التي كانت تحمل الإنجيل المحرّف بيد بينما تنشغل الأخرى في صب الرصاص والبارود باتجاه سكان العالم من غير

البيض ، الرجل الأبيض الذي ينظر إلى نفسه باعتباره مخلوقاً فوق البشر الآخرين كان من حقه أن يعلن وهو يطأ القدس (بظلالها الإسلامية) انتهاء الحروب الصليبية - كما فعل الجنرال اللنبي - أو أن يمارس الصيد البشري في حق سود جنوب افريقيا وملونيها لأنهم دون البشر، الذين يحملون الدماء والأعين الزرقاء.

ثانياً : كلا الكيانين العنصريين في جنوب افريقيا أو في كيان الصهاينة لم يكن ليكتب له الاستمرار والبقاء لولا الدعم الغربي المادي والمعنوي المباشر ورغم تعاقب الشعارات التي بدأت منذ إطلاق الفكرة السخيفة التبريرية بأن الاستعمار جاء ليطور الشعوب المحرومة ، وحتى شعارات «ولسون» وعصبة الأمم في تقرير حق الشعوب ، إلى إعلانات الأمم المتحدة ودساتيرها الطنانة بالرغم من توالي كل هذا الطنين الهائل ، فإن الغرب لم يغير موقفه العملي من هاتين التجربتين المرَوعتين ، بل ظل ينظر إلى هذين الكيانين باعتبارهما امتداداً حضارياً له بكل شمولية التجربة الحضارية وتعقيدها.

ثالثاً : ظلت جنوب افريقيا - كما ظل العدو الصهيوني نموذجاً آلياً لما تعنيه العنصرية والتفرقة على أساس الجنس أو العرق (وأهم من ذلك الدين) فالآبارتايد - التي تعني بلغة المستعمرين البيض التفرقة على أساس اللون - والصهيونية كلاهما كانا ولازالا وجهين لنفس العملة التي جرمها العالم ودوله ومنظماته الدولية عبر أكثر من عقد ، وحتى سقوط نظام التفرقة في جنوب افريقيا التي ظلت تجربتها ممقوتة ومقاطعة دولياً ، بالرغم من الخطوات والمبادرات الإيجابية للبيض لحل هذه المعضلة ، بينما حظيت الصهيونية بدعم أمريكا خصوصاً حتى أجبر العالم في ظل «النظام العالمي الجديد» أن يبتلع اعتراضه ويدوس على قراراته السابقة لكي تشرق شمس الصهاينة في ظل الحرب الصليبية.

رابعاً : في ظل هذا المشروع الغربي القذر ، وبالدعم الدولي لدوله المنتصرة في هذا القرن ، ومع تزامن الاعتراض الدولي الصوتي غالباً والدبلوماسي أحياناً ، أظهرت الشعوب الأفريقية المجاورة ، والدول العربية المحيطة بفلسطين ، فشلاً تلو فشل ، وكشفت المواجهة المفروضة على هذه الأمم عن فجوة حضارية هائلة ، وغباء سياسي لا مثيل له ، لاسيما حين كان يحارب المهزوم والمظلوم بسلاح ظالمه وعقيدة من قهره ، وهذا بحد ذاته كان دافعاً لطرح أسئلة ضرورية وبدهية حول الكينونة والذات والجذور الحضارية ، وإجابات هذه الأسئلة هي البداية الصحيحة ، لتصحيح المعادلة القائمة .

خامساً : وهنا ، ومع تراكم هذه العوامل هب السود في افريقيا مطالبين بحقوقهم وأرضهم وثرواتهم . . . ، بل قبل ذلك بإنسانيتهم ، بينما كان شعب فلسطين المسلم يدفع بالدم الأحمر كل يوم ليغذي روح الجهاد والانتفاضة في وجه الظالم ، ومن يقف وراءه ويستتر بدرعه وآلته العسكرية العجيبة .

أنا أزعم أن عوامل الشبه وتقاسيم الملامح تنتهي هنا ، ليبدأ مفترق طرق قاد تجربة جنوب افريقيا نحو الانتصار ، بينما قاد قضية فلسطين نحو وضع أقسى من الاحتلال المباشر ، وأفظع من التسليم بمفرداته التي تلاشت مع الدخول الهزيل لقوات القمع الفلسطينية الناشئة .

لماذا نجح «مانديلا»؟

هذا التساؤل الملح طرحه العديد من المراقبين والمهتمين والمندهشين ، وهم يرون «نلسون مانديلا» يُقْسم رئيساً للدولة الجديدة في جنوب افريقيا ، وأكثر ما أثار دهشة هؤلاء هو مقارنة مصير فلسطين المظلم – بالرغم من عدالة قضيتها مع واقع مشروع «مانديلا» الذي انتهى إلى انتصار باهر– ولهذا التساؤل مكانه

المشروع وأهميته البالغة.

لقد اجتمع لمشروع «مانديلا» القائم عدة عوامل لابد من وضعها في الحسبان عند تناول القضية، بعضها يمكن الإفادة منه كونه تجربة بشرية وتحركاً إنسانياً يستفاد منه، لاسيما لأولئك الذين تصدوا لحل مشكلة فلسطين من أبناء جلدتنا، نجح «نلسون مانديلا» بعد ثمن باهظ وكفاح لاشك في مرارته، فقد نفي هذا الرجل الذي حمل قضية أبناء جلدته إلى جزيرة روبن عام ١٩٦٤ م ومكث في السجن أربعة وعشرين عاماً، حمل فيها هم أمته، ويقول تعليقاً على ذلك: «طردت من الجامعة في أول سنة لي فيها، وكنت ابن تسعة عشر عاماً بعد أن قدت اعتصاماً داخل مبنى الجامعة، بعدها عرفت أن هذا الطريق مليء بالمفاجآت وأن هذه البداية، مجرد بداية»، ولم يثن هذا الأمر «مانديلا» عن قناعته، فظل تحت المراقبة والملاحقة حتى اعتقل عام ١٩٥٦ م لمدة عام بتهمة إثارة الشعب، ثم أعقب ذلك قرار بحظر نشاط «المؤتمر الوطني الأفريقي» فاندفع «مانديلا» نحو العمل السري وانشأ عام ١٩٦١ م جناحاً عسكرياً تابعاً للمؤتمر، وإثر ذلك اعتقل ثم أدين عام ١٩٦٤ م، وحكم عليه بالسجن المؤبد وحينذاك قال: «ظننت أن الحياة لا طعم لها بعد شهور من السجن.. كدت أن أنس ما معنى الحياة، لكني لم أنسَ أنني كنت أعيش لقضية تستحق أن أدفع حياتي ثمناً لها فضلاً عن أن أنساها..».

ولنا أن نقارن بين هذا الرجل الضال الذي كان يتخذ من الماركسية نموذجاً بالرغم من نصرانيته، وبين قيادات العار التي قادت قضية المسلمين الأولى كانت قيادة المنظمة تعيش في الفترة التاريخية نفسها، ولكن ممارستها أبعد ما تكون عن طريق التضحية التي مارسها كافر، فضلاً عن متابعة طريق الحق والرشاد، لقد رفض «مانديلا» أن يفرج عنه ليمضي كدمية تقبل بشروط

المؤسسة الحاكمة في جنوب افريقيا ، وفضل السجن على الحرية العوراء ، حدث هذا مرتين عام ١٩٧٣ م وعام ١٩٨٤ م ، ولما كان يسأل كانت إجابته : «لقد سجنت لرفض التفرقة العنصرية ، وسأقبل الإفراج عني شريطة أن ترفع هذه التفرقة البشعة» ، لقد قبل «مانديلا» السجن لمدة ربع قرن ، ثمّ اضطر الجلادون أن يفرجوا عنه بعد ما رأى العالم كيف يستطيع فرد أن يرتفع بقضية إلى الآفاق البعيدة ، وكيف تستطيع قيادات أخرى أن تهوي بشعبها وتاريخها ودمائها إلى تلك الهوة السحيقة ، وهي تعيش عيشة الأباطرة ، وتمارس النضال على الفرش الحريرية والبسط الحمراء ، ثم تُقتَنَص كالطيور المرعوبة في قصورها الصغيرة أو على الشواطىء حيث لقي بعض قادة التهريج النضالي لقضية فلسطين حتفهم وهنا يحضرني مقال «زهير محسن» الذي اغتيل في مدينة «كان» الساحلية بفرنسا حيث كان يمارس النضال السياحي!! بعيدة هي القيادات الفلسطينية بأنانيتها وتهريجها وقصر نظرها ونزقها وطفولتها السياسية ، مقارنة بالمواصفات القيادية المتميزة التي صقلتها التجربة والممارسة في المثال الذي نطرحه للمقارنة .

لقد علق «جفري بارثولت» المعلق الأمريكي على هذا البون الشاسع بقوله «قيادة تصنع الحدث وأخرى تلهث لتظل في دائرة الحدث» ، ونحن نقول : قيادة تعرض عن شعبها وعقيدتها وعمقها لتظل تحكم ولو شبراً من الطين وأخرى ترفض أن تتاجر بآلام من ائتمنوها على قضيتهم حاضرهم وغدهم .

إن من الظلم بمكان أن نقارن بين القيادتين رغم المعطيات المتعددة التي سنحت لعرفات وشركاه فأصروا دوماً على أن يختاروا مقعد القيادة بأي ثمن ولو كان هذا الثمن باهظاً وغالياً وثميناً ، كقيمة القدس ومنزلة الأقصى في قلب كل مسلم ، إن من المفارقة حقاً - هنا - أن شعب فلسطين قد خاض حرباً ضروساً في وجه الاحتلال تزيد ضراوتها وتضحياتها على تلك التي شهدتها

جنوب افريقيا ، لكن جهاد الشعوب قد يذهب أدراج الرياح في ظل قيادات الترهل والعجز ، وهذا أبلغ الدروس التي يجب أن يستفيد منها الشعب الفلسطيني الآن ، وهو يشهد - بالرغم من الاتفاق الهزيل - ذروة اشتعال المقاومة والجهاد ، فالقيادات التي سطرت الاتفاق الهزيل بأي ثمن سيطويها الزمن ، وحينها ستُظهر الأحداث القيادات الراشدة التي تصبر وتصابر وترفض الانحناء إلا لربها ، وهناك ستبدو تجربة «مانديلا» حتى من الناحية القيادية ضئيلة ، ولكم أن تتأملوا بذرة الصمود التي وضعها الشيخ المقعد المصابر «أحمد ياسين» ، وهو يواجه بجسده المشلول أعتى قوى الجبروت الوحشية.

وإذا وضعنا في الحسبان الفارق بين القيادتين ، نجد عاملاً آخراً لا يقل أهمية عن هذا العامل ، وهو يتمثل في جوهر الصراع في فلسطين ، حيث يمثل ذلك الصراع امتداداً للحرب الصليبية اليهودية التي شنت على أهل التوحيد المضطهدين في الدعوة ، وحتى ظهور الملاحم والفتن ، فالحرب في جنوب افريقيا كانت لا تحمل البعد العقدي ، بعد أن روض الرجل الأبيض افريقيا السمراء ونصرّها وألحقها بمنظومته الحضارية ، وإن كان ينظر إليها نظرة العبد المقود والمسيحي الوضيع ، فالإسلام - إذاً - غائب عن هذه المعادلة ، وفي ظل التغيرات الدولية وانقشاع خطر الشيوعية ، وتحول «مانديلا» من شيوعي أحمر إلى متعصب للرأسمالية وأنصار الليبرالية بمفهومها النصراني وجذورها اليونانية فلا يوجد سبب للقلق داخلياً أو خارجياً ، فهذه الدولة ستظل انعكاساً لحضارة الرجل الأبيض تستورد قيمه ومبادئه وديموقراطيته ، وستهتم بقضاياها الداخلية وكيف تحسن من وضع الإنسان الأسود المسحوق ، الذي سيدور في النهاية حول رحى القوى الغربية ، «لن يكون (مانديلا) خطراً على الحضارة الغربية فليس لديه (جرثومة الأصولية) أو فكرة نشر (حضارة مغايرة)» كما يقول المعلق

الأمريكي «ساوندرز» ، بينما نرجع إلى فكرة «جفري برثولت» عن ماهية الصراع العربي الإسرائيلي ، حيث يعلق على دخول اتفاق غزة/ أريحا - أولاً حيِّز التنفيذ بقوله : «سواء أكان هذا حسناً أو سيئاً فإن جنوب افريقيا اليوم تتعامل مع واقعها الشاب ، ومهما كان الماضي قاسياً وخاطئاً فإنه من البقايا التي ينظر إليها بسماح وعفو ، أما هناك في الأراضي المقدسة فإن الوضع يختلف فالتاريخ حاضر ، منذ إبراهيم - عليه السلام - الذي يعتبر نبياً لدى اليهود والمسلمين ، وهذا الماضي يظل كسحابة داكنة يحكم الحاضر ونقاشاته ، ويسحبه إلى الوراء بالرغم من توالي القرون . . . ».

الصراع - حتى في منظور أولئك المحايدين نظرياً - صراع عقدي حضاري طويل ولاهث لا يمكن حله على الطريقة «المانديلية» ، لأن المعادلة فيه أن نكون أو لا نكون ، والغرب يرفضنا مهما تصنعنا الذل وتعلمنا العبودية لأن الحق أخبرنا أن هذا النفق ليس له من مخرج إلى أن نتبع ملتهم كما اتبع «مانديلا» ملتهم ، فرضوا عنه ، ولكن ضمن المعادلة نفسها ، التابع والمتبوع ، السيد والعبد، الأبيض «السوبرمان» والمملوك المنبوذ . .

ونتيجة لذلك العامل وذاك الإطار ، فقد نجح «مانديلا» حينما أثبت للغرب أن قضيته معه محصورة في رفع التفرقة غير الإنسانية التي تمارس ضد السود من بني جلدته ، وفي سبيل هذا سعى منذ خروجه من السجن قبل ثلاث سنوات إلى إثبات اندماجه العضوي ضمن قواعد ومفردات الغرب النافش ريشه اليوم ، أعلن بعد خروجه من السجن تمسكه بالليبرالية الغربية وديمقراطيتها وتجاربها الغربية الرائجة ، ثم أعلن بلا مواربة أنه كان مخطئاً - أو مبالغاً - في إعجابه بالشيوعية أو الاشتراكية - ورغم كونهما نبتتين غربيتين - ثم خطى الخطوة المهمة والحاسمة حينما أدرك بعد جولته التاريخية في الولايات المتحدة

بُعيد الإفراج عنه ، أن عليه أن يتقرب ويتودد ليهود العالم ، فأعلن دون تردد عن بالغ أسفه واعتذاره عن موقفه السابق والقائل بأن الصهيونية صورة من صور العنصرية ، إنها ليست كذلك ، هكذا اكتشف الزعيم الواقعي قواعد اللعبة وحصل على جواز السفر الذي قُبل بموجبه عضواً بارزاً ورصيداً مهماً ، فزاد هذا من بريقه ولمعانه ، فقصته وتاريخه وكفاحه ثروة وجهت نحو رصيد هائل لنجاحات الغرب ، ومن يقبل أن يوظف كل هذه المعطيات المهمة في اللحظة المناسبة وبالأسلوب الذي يكفل إعادة التأهيل ، ثم الانطلاق في شرايين هذه الحضارة المتوحشة التي توظف كل من يقبل بشروطها وقواعد لعبتها .

الحقيقة التي تصفعنا :

الحقيقة التي تصفعنا - شئنا أم أبينا - أن نموذج غزة/ أريحا - أولاً هو نموذج إقليم «بانتوستان» وهو إقليم كان يقطنه السود في ظل الحكم العنصري البائد ، ويحكمون أنفسهم ذاتياً ويمارسون فيه ضبط العناصر التي تقلق أمن البيض كما يجمعون القمامة بطريقتهم الخاصة ، ويوزعون الحصص الدراسية حسب اتفاقهم ، ويحق لهم سماع طبولهم التقليدية ، وإصدار الطوابع التي تحمل اسم «الكانتون» !! ، لكن كان لهم حرية أكبر في المجال الاقتصادي وعبور البشر والتجارة الخارجية .

لقد رفض «مانديلا» دولة «بانتوستان» ليقبل «فخامته» بأقل منها بكثير بعد شهور من إراقة ماء الوجه والمفاوضات الشاقة التي انتهت بمهرجان التوقيع الأخير الذي أثبت للعالم الذي كان يتابع حفل الاتفاق أنه يشاهد مسرحية بكل ما تعنيه الكلمة من قيمة ترفيهية ، وأن التهريج السياسي قد يكون أكثر فكاهة من الترفيه التجاري القائم .

إن الحقيقة التي تصفعنا اليوم تقول لنا مرة أخرى : إن علينا أن نختار موقعنا في الوجود ، فإما أن نكون وإما أن لا نكون ، لأن الحل المطروح والقيادة الحالية - في شأن القضية الفلسطينية - يقودان حتماً إلى الإندماج في الكيان الصهيوني، والالتحاق بركب المتنصر الذي قهرنا بالسلاح الفتاك دهراً ، ثم روضنا إلى شباكه تحت شعار السلام والاستقرار والسوق الشرق أوسطية.

إن العالم اليوم لا يعترف إلا بلغة القوة ومفرداتها ، ولا يؤمن إلا بجبروت المتنصر الذي يمارس استعماره بشتى الطرق والوسائل السياسية والاقتصادية والإعلامية ، ومن كان يصدق أو يلهث وراء المبادىء والشعارات فعليه أن يتأمل في واقع البوسنة ، ودفاع «مانديلا» السابق عن حق فلسطين في الوجود وتجريم الصهيونية الغاشمة وجرائمها.

لازلت أتذكر دفاع بعض الدعاة والإسلاميين الحار عن «مانديلا» الذي وقف في وجه الصهيونية واليهود ، أما اليوم فالأحداث المتوالية والحقائق الدامغة لا تفسح مجالاً لأنصاف الحلول أو التمييع أو التسطيح ، ولهذا نال شعب افريقيا الجنوبية حريته وفق قانون ومعايير الغرب النصراني ، بينما نال شعب فلسطين ومجاهدوه المصرون على المقاومة هدية رمزية وهي قوة قمع تطارد فيه روح الإسلام الذي هو المستهدف في هذا الصراع ، وشتان بين مظلوم ينال حريته ، ومقموع يصب عليه مزيد من القهر والعسر الذي لابد أن يعقبه اليسر ، حسب وعد الله المحتوم.

.. في الغابة الجديدة ..*

فيصل بن محمد الحجي

أنا في الغابة قد أحدق بي | خطرٌ يُنذرني بالعطَب
أنا في الغابة وحدي أعزلٌ | خائفٌ مضطربٌ كالأرنب
ضاريات الغاب حولي كشَّرت | عن نيوب كسياط اللهب
ليس لي منها نصيرٌ منقذٌ | ليس لي في طوقها من مهرب
والردى يرقبني من مخلب | أو من الناب وسُم العقرب
ما جدى الحيلة حين امتزجت | قوة الليث بمكر الثعلب؟
آه يا ربي أغثني .. إنني | تائبٌ .. والأمن أقصى مطلبي
فبدا (سعدٌ) صديقي قادماً | حاملاً سيفاً شديدَ المضرب
فتعانقنا فيا .. يا مرحبا | بصديق مُسعف في الكُرَب
وجلسنا بأمان راسخ | وتوارى الخوف خلفَ الحُجُب
وتذاكرنا لقاءات الصبا | وتهادينا قطوفَ الأدب
واختلفنا بحديث عابر | وتشاتمنا لأدنى سبب
وتفرقنا كما يقضي الجفا | عندها أيقنتُ أني عربي!!

* * * *

لم تكن أعمالنا تودي بنا | لو تخلقنا بأخلاق النبي!

رسائل عاجلة
إلى الشعب اليمني المسلم

أيمن بن سعيد

وصلتنا هذه المقالة من الكاتب الكريم ، وهي في الحقيقة لسان حال كل مسلم مخلص لإخوانه شعب اليمن ، لعل الله أن ينفع بها كل من تصل إليه منهم.
- البيان -

أيها الشعب اليمني المسلم في كل مكان ، يسرنا أن نبعث إليك هذه الكلمات من منطلق الأخوة ، وواجب المحبة التي فرضها الله بين عباده المؤمنين رغبة منا في القيام بواجب النصح الذي أوجبه الله تعالى على المؤمنين تجاه أنفسهم وإخوانهم ، مخاطبين من خلالها إيمانك وحكمتك لما جاء في الحديث الصحيح : (الإيمان يمان . . .) ، مذكرين بسابقتك في التمكين لهذا الدين ونشره في جهات كثيرة من الأرض ، وببذلك في سبيل تحقيق ذلك النفس والنفيس ، ونحن أيها الشعب المؤمن الأبي حين نتوجه إليك بتلك الرسائل نخاطبك من خلالها بأسلوب الناصح المشفق عليك ، وحاشا لله أن يكون هدفنا التعالي عليك ، أو التشفي منك لما ينزل بساحتك ، وذلك لأنك جزء منا ونحن جزء منك ، فما يصيبك يصيبنا ، وما يسوؤك يسوؤنا ، قال ﷺ كما في صحيح مسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) ، ولذا فإننا نحرص على الوضوح والمصارحة لك قدر طاقتنا ، مبررين ذلك بعلمنا لحبك للحق ، وسعة صدرك له ، واستعدادك لقبوله .

أيها الشعب اليمني المسلم : إنا نتابع بقلق وخوف ، ما يقوم به بعض القادة الحاكمين بأمرهم على أرضك من سفك للدماء ، وإزهاق للأرواح وتدمير مكتسبات الأمة وخيراتها ، وكل ذلك من أجل الحفاظ على مناصبهم وتثبيت كراسيهم ، واستمرار نفوذهم ، ونظراً لوجود غبش في تصور الكثيرين وبخاصة من أبنائك تجاه تلك الأحداث ، ووجود تباين كبير في المواقف من شخص إلى آخر ، قمنا بتوجيه هذه الرسائل المختصرة إليك ، والتي نلقي من خلالها بعض الضوء على ما يمر بك اليوم من أزمة ، محاولين تنبيه أولئك الأشخاص إلى الموقف الحق في هذا الأمر الجلل ، علها أن تجد قبولاً فينفع الله تعالى بها ويسدد ، وجاء الآن دور الشروع في تلك الرسائل :

الرسالة الأولى - الذنوب سبب الأزمة :

أيها الشعب اليمني المسلم من الأمور المتقررة في الشرع أنه مانزل بلاء بأحد - فرداً أو شعباً - إلا بذنب ، وما حلت مصيبة إلا بمعصية ، قال تعالى :
﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾[الشورى : ٣٠]
ولقد انتشر في الساحة اليمنية في السنوات الأخير العديد من الذنوب والمعاصي فمن قيام الدولة الموحدة على دستور علماني مشبوه كان لعلمائك الأفاضل منه موقف صريح معروف ، إلى إفساح المجال للأحزاب العلمانية على اختلاف مشاربها لتقدح في الدين ، وتجذب إليها بعض أبناء المجتمع ساعية إلى إقصاء شرع الله تعالى ونشر التغريب والعلمنة في المجتمع تحت شعاراتها البراقة المختلفة كالتحديث والتطوير والعدالة . . . الخ ، إلى محاربة الدعاة والمصلحين ومحاولة إجهاض مكتسبات الأمة الموافقة للشرع في التعليم وغيره ، إلى تجديد الكنائس في بعض المدن والسماح لوجود نشاط تنصيري قوي في القطاع الصحي وبين العاملين من المسلمين في شركات التنقيب عن النفط ، إلى انتشار الربا ، وتفشي صناعة الخمور وتعاطيها ، إلى عودة ظهور أهل البدع والخرافة

ويقوة من رافضة وصوفية وإسماعيلية ، إلى ضعف القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم ، إلى ازدياد تعلق كثير من الناس بالدنيا وقلة استمساكهم بتعاليم الشرع ، إلى اختلاف أهل الخير وتفرقهم وعدم اجتماعهم على كلمة سواء ، إلى غير ذلك من المنكرات الكبيرة والصغيرة التي لا تخفى.

أيها الشعب اليمني المسلم : إن الطريق إلى تجاوز المصائب والبلايا التي حلت بك يكمن في العودة الصادقة على وجه السرعة إلى الله تعالى ، والالتزام بكل جد بشرعه المطهر ، والقيام بنبذ تلك المنكرات ومقاومتها سواءً أكانت عامة أو خاصة ، وذلك لأنه ما دفع بلاء إلا بتوبة ، قال الله تعالى : **﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾**[يونس : ٩٨].

الرسالة الثانية - ضرورة الالتفاف حول العلماء والدعاة :

أيها الشعب اليمني الأبي : إن العلماء الناصحين ، والدعاة المخلصين هم مصابيح الأمة وشموعها التي تضيء لها الطريق في الظلم ، وتقودها إلى بر الأمان في النكبات والفتن ، وقد أمر الله تعالى بسؤالهم والأخذ عنهم في قوله عز وجل : **﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾**[النحل : ٤٣] ، وذلك لأنهم العالمون بدين الله تعالى ، العاملون بتعاليمه ، الداعون إليه ، المنافحون في سبيل تمكينه ، المحاربون لأعدائه ، فوجب لذلك الالتفاف حولهم ، للأخذ عنهم ، ومناصرتهم وشد أزرهم أمام أعدائهم الذين يكيدون لهم ، ويمكرون بهم ، لا لأشخاصهم ، وإنما لما هم عليه من دعوة للحق ومنافحة للباطل.

أيها الشعب اليمني : إننا حين ندعوك إلى الالتفاف حول علمائك ودعاتك المخلصين ، نحذرك في الوقت نفسه من فئة تريد الاندساس في

صفوفهم لتمزيق كلمتهم ، وتحذير الناس من الأخذ عنهم ، وهم قلة ولله الحمد، ولكن علامتهم الواضحة التي لا يستطيعون إخفاءها - بالإضافة إلى انحراف مناهجهم وما هم عليه من خرافات وبدع وحب لمتع الحياة وشهواتها - ولاؤهم لأعداء الدين من العلمانيين والاشتراكيين ، ومحاولة تبرير انحرافاتهم وجرائمهم في حق الدين والأمة ، والسعي إلى جعل سيئاتهم في نظر الشعب حسنات ، وشرورهم خيرات.

الرسالة الثالثة - الوحدة مطلب ومكسب:

أيها الشعب اليمني : إن الوحدة بين الشعوب الإسلامية ومنها الوحدة بين اليمنيين مطلب يدعو إليه الشرع ، ويحث عليه العقل ، وتحتمه المصلحة وهو طريق العودة إلى الأصل بعد أن مزقه الأعداء وشتته المستعمرون إلى دويلات هزيلة ، إلا أن الوحدة التي تقوم على دستور علماني مشبوه وقيادات وأحزاب لا هم لها إلا ذواتها وأطماعها الشخصية ، لن تؤدي إلا إلى مزيد من الفرقة والتمزق ، ولن تكون الوحدة عندها إلا وسيلة تتعارض أو تتوافق مع هوى القيادات ، وتتناقض المواقف بالتالي بحسب ما تقدمه هذه الوحدة باعتبارها وسيلة يستخدمها كل طرف سلباً وإيجاباً في صراعه مع الأطراف الأخرى ، وتبقى الوحدة الحقيقية التي تجمع للأمة قوتها وتصون حماها ويحكم فيها شرع الله ومنهجه ، مطلباً للأمة ومكسباً تحرص عليه وتسعى إليه ، مهما سببت هذه النماذج المشوهة من انطباعات سيئة عن الوحدة.

الرسالة الرابعة - الأخوة الإسلامية أولاً:

أيها الشعب اليمني : أوجب الله تعالى التآخي والتآزر بين المؤمنين ، ودعاهم إلى التواد والتناصر ، فقال عز وجل : **﴿ إنما المؤمنون إخوة﴾**[الحجرات : ١٠] ، وقال سبحانه : **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم**

أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . ﴾[التوبة : ٧١] ، وحذر تعالى من تأخير مرتبة تلك الأخوة الإيمانية ، وقيام الشخص بتقديم أخوة النسب أو الوطن عليها ، فقال عز وجل : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾[التوبة : ٢٤].

ولقد أحدثت الأزمة اليمنية شرخاً في مبدأ الأخوة الإيمانية لدى أفراد كثيرين ، حيث ظهرت الكراهية ، ووجدت نفوس مريضة ترضى بنزول البلايا وحلول المصائب على الآخرين ، بل وتتمنى حدوث ذلك بهم ، بالإضافة إلى كونه قد برز في الساحة دعاة القبلية والمناطقية ، وبدأ أشرار بإثارة التعصب المذهبي بعد أن كاد أن يخمد ، رغبة منهم في تفجير الوضع وقيام الحرب الأهلية بين أبناء القبائل والمناطق والمذاهب المختلفة ، ولعل أكبر الجهات جرماً وأعظمها تسبباً في ذلك الإعلام الكاذب الذي تأثربه الكثيرون ممن ضعف وعيه ، وغاب لديه أثناء تبنيه المواقف وحكمه على الآخرين الانطلاق من نصوص الشرع وجعلها دليلاً وحاكماً في ذلك ، أو ممن ليس بضعيف الإيمان ولكن قلت معرفته بالمقاصد وضعفت نظرته إلى المرامي والغايات التي يطمح إلى تحقيقها من يقف خلف تلك الوسائل الإعلامية المختلفة.

أيها الشعب اليمني : وعلى ضوء ذلك فإن الحل يكمن في الاستمساك بنصوص الكتاب والسنة ، والتأسي بهدي سلف الأمة في العلم والعمل والدعوة والمبادرة إلى تقديم الأخوة الإسلامية على جميع الروابط والوشائج المختلفة سواءً أكانت قبيلة أو منطقة أو غير ذلك ، والسعي إلى تطبيق لوازم تلك الأخوة من محبة ونصرة وتكافل في أرض الواقع ، مع القيام بنبذ ما وراء ذلك من كراهية وحقد ، وعصبية وتعد على الآخرين في أموالهم أو أعراضهم أو أنفسهم.

أيها الشعب اليمني المحب للحق : يا ترى هل يبادر من أفرادك من قصَّر أو انحرف في هذا الجانب إلى تلافي أخطائهم والتكفير عن زلاتهم؟ هذا ما نظنه بهم ونرجوه منهم

الرسالة الخامسة - خطورة تحقق الانفصال :

أيها الشعب اليمني : إن مخاطر كبيرة تنتظرك أنت ، وستنعكس على بلادك حينما يتمكن الحزب الاشتراكي من السيطرة ، حيث سيقوم بالقضاء على خصومه ، كما أنها تنتظر جنوب وشرق بلادك في حال تحقق الانفصال وتمكن الحزب من الانفراد بها ، ولعل أبرز المخاطر المتوقعة : تطبيق الحزب لما يسميه بمشروع الحزب الحضاري الذي يصفه على ألسنة عدد من مسؤوليه بالتحديث والتطوير وتجاوز النظم القديمة والقيم البالية!! وملخص حقيقة ذلك المشروع : تغريب المجتمع وعلمنته ، وإقصاء شرع الله تعالى ومحاربته وإحداث تغيير في قيم ومباديء شعبنا المسلم عن طريق علمنة المناهج وإقصاء أهل الخير والصلاح عن مواقع النفوذ ومراكز التوجيه ، وضرب الصحوة الإسلامية عن طريق تجفيف منابعها ، وتحجيم انتشارها ومطاردة أفرادها بأي ذريعة من مثل : مساندتها لمن سيسميهم في حال قضائه عليهم بالقوى الشريرة أو الاتهام بالتطرف ودعم الإرهاب . . . الخ ، هذا بالإضافة إلى تشجيع السفور والاختلاط ، وتمرد المرأة على القيم والمباديء الإسلامية .

وهناك خطر آخر وهو إبراز الحزب لعلماء البدعة والخرافة كالرافضة والصوفية - حلفاؤه منذ قيام الوحدة إلى اليوم - وجعلهم (وجهه الإسلامي) واستخدامهم ورقة بيده يضرب بها الحركة الإسلامية السنية على اختلاف فصائلها متى شاء ، كما أن الحزب سيسعى في حال انتصاره إلى إنهاء جميع خصومه في الشمال والجنوب ، وجعل الساحة فارغة له ولحلفائه ، مما يعني

إسالة أنهار من دماء أبنائك أيها الشعب في جهات كثيرة من أرضك.

أيها الشعب اليمني المسلم: ونحن نحذرك من خطورة تمكن الحزب الاشتراكي - وكل حزب علماني -، ونقوم بدعوتك إلى مواجهة تلك المخططات بكل سبيل من الآن قبل أن يأتي وقت تندم فيه ولات حين مندم، فإن ذلك لا يعني بحال أننا نؤيد المؤتمر الشعبي، فكم جرَّب الدعاة في بلدك تقلبات قادته المتكررة، ووعودهم بتصحيح الانحرافات حين تحاصرهم الضائقات، ثم ما إن ينفك قيد المحنة حتى يعودوا إلى علمنتهم وضلالهم.

الرسالة السادسة - يا شعب اليمن أنت مستهدف!

أيها الشعب اليمني الأبي: يا من عرفت بعزتك، وشجاعتك وقوة شكيمتك، وعنايتك بما يعينك على حفظ كرامتك - سلاحك - إنك مستهدف من قبل أعدائك في الداخل والخارج، وإن التنسيق بين العدوين الداخلي والخارجي قد ازداد وبلغ الغاية، بل قد بدءوا بالفعل في تنفيذ مخططهم ضدك، فبعد ضرب جيشك يراد تمزيقك، وإثارة الحروب الأهلية بين فصائلك المختلفة تحت ذرائع شتى كالمناطقية والقبلية والمذهبية لتضعف أولاً، ويتم نزع سلاحك ثانياً ثم يتم ترويضك وسلب عزتك وإذهاب كرامتك، ليتمكن بعدها أعداؤك من تغيير هويتك وتقسيم أرضك، وسلب خيراتك، وفعل ما يشاء أعداؤك بك.

أيها الشعب اليمني المسلم: لقد حاولت القوى الدولية استعمارك ولكنها فشلت في تحقيق هدفها ذاك في جل مناطقك، فهيأت بعض أبنائك، وربتهم على عينها ليتآمروا معها ضدك، فيا ترى هل تقف أمام أهداف أولئك ومخططاتهم كالجبل الأشم فتحرمهم مما يريدون، ولكننا نعلم أنك لن تتمكن من ذلك إلا باستمساكك بدينك، وإدراكك لمخططات أعدائك، وحفاظك على وحدتك وسبل قوتك، نسأل الله تعالى أن يجنبك ما يريده أولئك لك.

الرسالة السابعة - ضرورة اجتماع الدعاة وترتيبهم للأولويات :

أيها الشعب اليمني المسلم : إن الدعاة إلى الله تعالى في صفوفك فئة منك ، ولذا نستميحك العذر بأن نخصهم بهذه الرسالة الأخيرة .

أيها الدعاة إلى الله تعالى في اليمن : إن المسؤولية على عواتقكم كبيرة وإن من أبرز أسباب الأزمة غفلة بعض الدعاة وتقاعسهم عن القيام بواجبهم بالكلّية ، وقيام بعضهم بشيء من ذلك ، ولكن من دون ترتيب للأولويات والمبادرة إلى البدء بالأهم قبل المهم ، والواجب قبل المندوب ، هذا بالإضافة إلى عدم التشاور بين الفصائل الدعوية في القضايا المطروحة بهدف التنسيق بين المواقف الذي حال دون التمكن من الوصول إلى اتخاذ موقف موحد حيالها .

أيها الدعاة الصادقون : إن تشتتكم وتفرقكم النابع في غالبه من اختلافات شخصية ، وسعي بعضكم إلى إلغاء الأطراف الأخرى ، وجعلها تحت لوائه ، وقيام بعضكم بحصر وظيفته في تتبع عثرات الدعاة والقيام بنشرها وتحذير الناس من الالتفاف حولهم من خلالها مع كون ذلك محرماً في الشرع يمثل خطراً كبيراً على وجودكم في الوقت الراهن ، ويهيء لبعض الجهات استغلال بعضكم - مرحلياً - لضرب الآخر ليتم في ما بعد حفر الخنادق لمن بقي منكم وإلقائهم فيها .

أيها الدعاة المخلصون : إن دوركم داخل شعبكم اليمني يجب أن يكون مبنياً على ركيزتين :

الأولى : تعليم الناس العقيدة الصحيحة التي كان عليها رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، والقيام ببنائها في نفوسهم ، والسعي إلى إيجاد لوازمها وآثارها في حياتهم العامة والخاصة .

الثانية : هدم الكفر والبدع والمعاصي ومحاربتها والقيام بتحذير الناس

منها وبالحكمة ، فإن أغفلتم هاتين الركيزتين ، أو قام بعضكم بإحداهن واستهجن واستهان بمن يقوم بالأخرى فقد زاغ وانحرف .

أيها الدعاة إلى الله تعالى : احذروا فإن الخطر الذي ينتظركم من جراء الأحداث الأخيرة كبير وماحق ، فأعداؤكم يريدون فرض العلمانية في بلادكم ويسعون إلى تجفيف منابعكم وحصاركم ، والتضييق عليكم جميعاً من دون تفريق بينكم ، والإتيان بآخرين من أهل البلاغة والضلالة ليقوموا بالدعوة إلى باطلهم باسم الإسلام بدلاً منكم ، فيا ترى هل تتقون الله وتتنبهون لذلك فتبادروا إلى ترك الشقاق والفرقة بينكم وتعودوا - جميعاً - إلى الأخذ بصدق بمنهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان في العلم والعمل والدعوة؟

أيها الأحبة : هذا ظننا بكم ، وهذا ما نؤمله منكم ، والله يحفظكم ويرعاكم .

وختاماً أيها الشعب اليمني المسلم : نسأل الله أن يصونك ويحميك وأن يمكنك من نصرة دينه ، وهزيمة أعدائك الذين يكيدون لك في الداخل والخارج والله يحفظك ويتولاك .

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

أحداث «راوندا»

رسالة إلى كل من أمن مكر الله

د. يوسف الصغيّر

إن الذي يطلع على ما يتعرض له الأبرياء من إبادة في «راوندا وبورندي» لا يملك إلا أن يتأثر ويتألم ويسأل نفسه : ألهذا الحد تنتكس فطرة الإنسان فيقتل لمجرد القتل والانتقام العام؟ ألهذا الحد رخصت الحياة على بني البشر؟!

إن غياب أخلاق المحاربين يدل على خواء الحضارة الحالية ، فمعظم شعبي «راوندا وبورندي» تربوا على يد الكنيسة سواء الكاثوليكية أو البرتستانتية وعُمِّدَ الناس وغمسوا في الماء المقدس! ونالتهم بركات القُسُس! ومع ذلك فهم أكثر همجية ووحشية لأنهم جمعوا أخلاق الوثنيين مع طبائع الغربيين في إدارة الصراع التي تتلخص في الإبادة الجماعية التي تحل كل إشكال ، لقد كان للإسلام وجود كبير في المنطقة انحسر مع قدوم المستعمر ، أفليس من حقهم أن نهتم بهم لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمراً!

الموقع والتاريخ :

تقع «راوندا وبورندي» في وسط افريقيا ضمن المنطقة الاستوائية ، وقد ساعد ارتفاعهما على اعتدال مناخهما مما يفسر كثافة السكان العالية فيها ، مقارنة بدول الجوار ، حيث تبلغ الكثافة ١٦٠ شخص في الكيلومتر المربع ، وتبلغ مساحة «راوندا» حوالي ٢٦ ألف كم٢ ، ويقطنها حوالي أربعة ملايين وربع

المليون نسمة ، أما «بورندي» فتبلغ مساحتها حوالي ٢٧ ألف كم٢ ، ويقطنها خمسة ملايين ونصف المليون نسمة ، وقد وصلهما الإسلام في فترة متأخرة مع امتداد نفوذ سلطان عمان وزنجبار ، وكانت السيادة فيهما للمسلمين ، وعندما اتفقت الدول الأوربية في القرن التاسع عشر على توزيع المستعمرات فيما بينها منعاً للنزاعات ، أصبحت تنجانيقا أو البر التنزاني حالياً من نصيب ألمانيا والكونغو «زائير حالياً» من نصيب بلجيكا ، وحيث أن بورندي وراوندا تقعان بين هاتين المنطقتين ، فقد قام الألمان أولاً بتوسيع نطاق مستعمراتهم إلى المرتفعات ، فتمت لهم السيطرة على كل من بورندي وراوندا ، ونظراً لقلة الألمان في المنطقة ورقي المسلمين الحضاري مقارنة بالقبائل الوثنية آنذاك ، فقد اضطر الألمان للاستعانة بالمسلمين من أجل شغل الوظائف المختلفة ، وعندما قام الألمان بمد خطوط السكك الحديدية في المنطقة ، ازدهرت أحوال المسلمين وانتشروا في أنحاء البلاد وكثر دخول الوثنيين في الإسلام .

وقد قام المسلمون بعدة ثورات ضد الاستعمار الألماني بدءاً من حركة «بشر بن سالم» عام ١٣٠٧ هـ وانتهاءً بحركة «ماجي ماجي» الوطنية التي أخمدها الألمان بعنف وهمجية ، حيث قاموا بإحراق القرى وقتل الألوف من المدنيين ، وقد أدت هذه الحركة إلى تغير سياسة الألمان ، فعمدوا إلى المهادنة والسماح من جديد بحرية الدعوة ، وقد استمر هذا الوضع حتى قامت الحرب العالمية الأولى بين ألمانيا وحلفائها من الأتراك والنمساويين من جهة وبريطانيا وفرنسا وحلفائهما من جهة أخرى .

وكما كانت أوروبا مسرحاً للحرب فقد كانت المستعمرات أيضاً مجالاً لحرب أخرى حيث قام الانجليز باحتلال تنزانيا ، بينما استولى البلجيك على راوندا وبورندي ، وهكذا تمت تصفية المستعمرات الألمانية في افريقيا ، وتم

تثبيت هذا الوضع بعد الحرب عن طريق إصدار عصبة الأمم قراراً يجعل بورندي ورواندا تحت الانتداب البلجيكي.

وهنا زاد الضغط على المسلمين في المنطقة، حيث قام البلجيكيون بالقضاء على الممالك الإسلامية في شرق الكونغو التي تحاذي راوندا وبورندي وهدمت المساجد، وأزيلت علامات الوجود الإسلامي، أما في بورندي وراوندا فقد نشطت الإرساليات التبشيرية لمحاربة التعليم الإسلامي، وقام الاستعمار بمصادرة أراضي المسلمين بحجة إقامة مشاريع عامة، وأصبحت النصرانية ومدارس التبشير هي السبيل للحصول على كثير من المساعدات والميزات، ولهذا دخل كثير من الوثنيين ظاهراً في النصرانية حتى وصلت نسبتهم إلى ٧٠٪ مقارنة مع ٢٠٪ للمسلمين، والباقي منهم وثنيون وحلت (لغة البلجيكيين) محل السواحلية (لغة المسلمين)، وقبيل خروج الاستعمار ظاهراً في عام ١٣٨٢ هـ بدأت تظهر آثار السياسة الاستعمارية التي كان لها آثارها المدمرة بعد حوالي ٣٢ عاماً.

جذور المأساة:

إن أساس المأساة هو الاختلال الواضح في التوزيع السكاني وتوزيع السلطة، ففي بورندي وراوندا هناك قبيلتان تشكلان الأغلبية الساحقة من السكان هما: قبيلتي الهوتو (١٦٪ منهم مسلمون) وهم من أصل زنجي والتوتسي (٣٪ منهم مسلمون) وهم من أصل حامي، وعلى الرغم من أن الهوتو أكثر عدداً فإن السلطة في يد التوتسي، حيث أن ملكي بورندي وراوندا - سابقاً - كانا من التوتسي، وقد اشتعلت الحرب بين الجانبين قبل خروج الاستعمار مع اختلاف في نتيجتها في بورندي عنها في راوندا، وإليك ملخصاً لما جرى في كل بلد:

أولاً - بوروندي:

تبلغ نسبة التوتسي في بوروندي ٢٥٪ ، بينما تبلغ نسبة الهوتو ٦٥٪ من السكان ، ومع ذلك استطاع التوتسي الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة الكلية على الجيش والشرطة والمناصب العليا ، مع تحول النظام إلى جمهوري عسكري ونظراً للاضطرابات المستمرة ومطالبة الهوتو بالمساواة ، فإن السلطة رضخت مؤقتاً فتم اجراء أول انتخابات ديمقراطية في البلاد في يونيو ١٩٩٣م، فاز بها حزب «الجبهة من أجل الديمقراطية» برئاسة «ميليشو نداي» وهو من الهوتو وبالطبع اعتمدت خطة الرئيس على إدخال الهوتو في الجيش والشرطة التي كانت تقريباً وقفاً على التوتسي ، ولكن بعد أربعة أشهر قام الجيش الذي يسيطر عليه التوتسي بانقلاب عسكري تم خلاله إعدام الرئيس وستة من الوزراء وشكل قادة الانقلاب مجلساً للإنقاذ الوطني! برئاسة وزير الداخلية ، وفرَّ بقية الوزراء إلى السفارات الأجنبية في العاصمة «بوجميورا» ، وبعد معارك متصلة فشل الانقلاب وتراجع قادة الجيش عن المحاولة ، وحاولت القيادات التبرؤ من الانقلاب بدعوى أن العناصر الانقلابية غير منضبطة ، ومع ذلك استمرت أعمال القتل المتبادل بين الهوتو والتوتسي ، وقام الجيش الذي يسيطر عليه التوتسي بأغلب أعمال القتل ، وقد قتل أكثر من مئة ألف مدني أغلبهم من الهوتو ، ولجأ أكثر من سبعمائة ألف إلى خارج البلاد ، وكثيرٌ منهم إلى راوندا المجاورة ، واستقرت الأحوال مؤقتاً على بقاء الرئاسة بيد الهوتو حيث تولى الرئاسة «سيبريان نتارياميرا» وهو من الهوتو ، مع بقاء السلطة الحقيقية في يد التوتسي.

ثانياً - راوندا:

تبلغ نسبة الهوتو في راوندا حوالي ٩٠٪ من السكان ، ولذلك فقد

حسم الأمر لهم مبكراً ، حيث قاموا بثورة على ملوك التوتسي الذي كانوا يستأثرون بالسلطة والمال ، ولم يتدخل البلجيكيون على الرغم من استعمارهم للبلاد ، وفي عام ١٩٦١ م أجريت انتخابات تم على إثرها الغاء الملكية وتولى الهوتو الحكم ، ولم يستسلم التوتسي فقد كانت غاراتهم مستمرة من الدول المجاورة ، وبخاصة بورندي التي يسيطرون عليها ، وفي عام ١٩٧٣ م تولى الحكم الجنرال «جوفنال هابيا ريمانا» بعد أن قام بانقلاب عسكري ، ونهج نهجاً اشتراكياً ، وكانت تربطه صداقة مع الرئيس الفرنسي «فرانسوا ميتران» ، مما مكنه من الاعتماد على الدعم الفرنسي في الوقوف في وجه غزو التوتسي لراوندا عام ١٩٩٠ م ، حيث قامت الجبهة الوطنية الراوندية المكونة أساساً من قبائل التوتسي بغزو راوندا قادمة من أوغندا التي تولت تسليح الجبهة .

وهكذا تعقد الوضع حيث أن التوتسي في كلا البلدين يحاولون استعادة سيطرتهم المطلقة ، وقد حصلت المأساة الأخيرة عندما تعرضت طائرة الرئاسة الراوندية للهجوم عند محاولتها الهبوط في مطار العاصمة الراوندية «كيجالي» وذلك بواسطة إطلاق الصواريخ عليها ، وقد كانت الطائرة تقل كل من رئيسي راوندا وبورندي وهما من الهوتو ، وهنا أشارت أصابع الاتهام إلى التوتسي وبدأ ت على الفور مجازر رهيبة في كل من بورندي وراوندا ، وبدأ مسلسل القتل ليس فقط على الهوية بل على الشبه فقط ، فمن يشبه الهوتو يتم قتله من قبل التوتسي ، ومن يشبه التوتسي يتم قتله من قبل الهوتو ، وقام حرس الرئيس الراوندي مع مجموعات من الهوتو بارتكاب مجازر رهيبة استعملت فيها الأسلحة النارية والسكاكين ، بل ومفكات «البراغي» أيضاً ، ولم ينج من المذابح المتبادلة طفل أو امرأة أو عاجز ، وبلغ عدد القتلى حوالي ٢٠٠ ألف قتيل ، بل ويصل في بعض التقديرات إلى ٥٠٠ ألف إنسان ، وأصبح من المعتاد أن ترى أكوام من الجثث مكدسة في الطرقات ، واستعرت الحرب من

جديد بين جيش الحكومة وقوات الجبهة القادمة من أوغندا ، وسيطرت الجبهة على حوالي نصف البلاد ، ووصلت إلى العاصمة ، ومازال القتال يدور فيها مما أدى إلى نزوح مئات الآلاف من الناس إلى تنزانيا المجاورة.

ولسائل أن يسأل : أين الأمم المتحدة التي تزعم أنها المسؤولة عن حفظ أرواح المستضعفين وإقامة السلام بين بني البشر؟ والجواب هو أن الأمم المتحدة موجودة في عاصمة راوندا منذ فشل حملة التوتسي السابقة ، ولها قوات من بلجيكا وبنجلاديش وغيرهما ، وقد قامت بمهمتها خير قيام! فقد قامت القوات البلجيكية بمساعدة قوات فرنسية باجلاء الأجانب (الغربيين) ، ثم انسحبت أيضاً تاركة القوات البنغالية تقوم بمحاولة حماية المدنيين بدون جدوى ، ومع استمرار المجازر استمر التغاضي عما يجري ، فالقاتل والمقتول أفارقة وإن كان غالبيتهم من النصارى أتباع الكنيسة السوداء إلا أنهم من الجنس غير الأبيض!

اخيـراً:

لعل القارىء الكريم يلاحظ أن ممارسة المجازر الرهيبة التي تعتمد على الإبادة الجماعية التي لا تفرق بين ذكر وأنثى ، ولا بين صغير وكبير ، ولا بين مسلح وأعزل ، يكاد يكون القيام بها وقفاً على معتنقي النصرانية ، وذلك لعدم وجود الحجة التي يواجهون بها الخصم ، ولهذا تلجأ إلى خيار الإبادة ، وهذا ما حصل في الأندلس وفي أمريكا الجنوبية وفي البوسنة ، محاولات فاشلة جرت وتجري ، ولهذا يستطيع الفرد العادي أن يستنتج أن الإنسان في عرف الساسة الغربيين هو اليهودي أولاً ثم النصراني الغربي ثانياً ، ثم النصراني ثالثاً ثم من يحقق مصالحهم رابعاً ، وما عداهم فهم مجرد أوراق نقدية ليس لها رصيد.

شاهد عيان :
هكذا تهدم مساجد أهل السنة في إيران

د. عبدالله المكراني

قامت السلطات الإيرانية مؤخراً بهدم مسجد «فيض» الخاص بأهل السنة في مدينة «مشهد» ، والهجوم المسلح وإراقة دماء المصلين في مسجد «المكي» أكبر مسجد جامع لأهل السنة في «زاهدان» عاصمة «بلوشتان» الإيرانية ، واحتلال المسجد والمدرسة الدينية التابعة له من قبل «الحرس الثوري» الإيراني والمخابرات الإيرانية - وإن كان قد تأخر نشر المقال لظروف فنية - فإنه يسرنا إيضاح هذه المؤا مرة كما وضحها الأخ الكاتب جزاه الله خيراً - البيان -

﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾[البقرة : ١١٤].

مسجد الشيخ فيض في مشهد هو مسجد جامع مر عليه قرابة مائة عام وكان مثار جدل عنيف في الأعوام الأخيرة بين الحكومة الإيرانية المتمثلة في المخابرات من جهة وبين أهل السنة والجماعة المستضعفين تحت الضغط الرافضي المتزايد من جهة ثانية ، وربما عاد سبب ذلك إلى ما يلي :

فراغ إيران من الحرب الخارجية من جهة ، وعدم تحملها لأهل السنة في مدينة كمدينة «مشهد» من جهة ثانية ، وكذلك ، قد يعود الأمر إلى حشود المصلين الذين كانوا يملؤون المسجد عند أداء الفرائض في كل مكان ، بالمقارنة

بعدد المصلين الشيعة - الذين لا يعدون صلاة الجمعة فرضاً عينياً بسبب غيبة الإمام المنتظر بزعمهم - الذي هو في تناقص مستمر، هذا من جانب، ومن جانب آخر وجود هذا المسجد لأهل السنة في قلب مدينة مشهد، وقرب مزار الإمام «الرضا» قبلة آمال القوم، ووجوده قرب بيت والد خامنئي مرشد الثورة الحالي، وإحاطة المسجد بجيران في غاية التعصب، حيث أصبح المسجد مركز تجمع لأهل السنة حيث يلتقون لأداء الصلاة فيه، لذا غيرت الحكومة قبل سنة واحدة خط سير الطائرات الذاهبة إلى الحج، التي كانت تحمل حجاج السنة من بلوشتان وخراسان، من مشهد إلى كرمان، كي لا يجتمع أهل السنة في مسجدهم في مشهد، كل هذا جعل الدولة تفكر في هدم المسجد، وهناك قرار غير معلن ينص على أن أي مدينة تكون نسبة السنة فيها أقل من ٤٠ ٪ يجب أن لا يسمح لهم ببناء مسجد فيها، والتلاعب في تحديد هذه النسبة مسألة سهلة بالنسبة لهم، والكلام السابق هو كلام محافظ مشهد وهو ابن آية الله جنتي المشهور بتعصبه ضد أهل السنة هناك.

وقبل هدم المسجد اقترحت المخابرات الإيرانية مبلغاً من المال يأخذه أهل السنة بدلاً من المسجد - كأنه محل تجاري، فلا قداسة ولا احترام!! - ولكن العلماء أفتوا بأن تبديل المسجد أو بيعه غير جائز، ولقد صادرت المخابرات تلك الفتوى، فلم تصل إلى المسؤولين الرسميين، واقترحوا أيضاً أن يعطوا لهم أرضاً في أطراف مشهد، أي بعيداً عن مركز المدينة، ولم يلق - أيضاً - ذلك العرض قبولاً من هيئة أمناء المسجد، ومن علماء بلوشتان وخراسان وغيرهم من أهل السنة، ولقد استصدرت المخابرات بعض الفتاوى من بعض المشايخ المغمورين والمرتزقين، حيث أفتى أولئك بإعدام أفضل العلماء والشباب بتهمة «الوهابية»، وهذه حجتهم كلما أرادوا قتل عالم من أهل السنة، وفي ليلة الاثنين ١٩ شعبان ١٤١٤ هـ الموافق لذكرى وصول الخميني إلى إيران، حيث

تحتفل الدولة بتلك المناسبة أشد الاحتفالات ، وتسمى في إيران «عشرة فجر الثورة» ، في ليلة كهذه يضيع كل شيء ، حاصرت المخابرات الإيرانية مسجد فيض لأهل السنة في مشهد حصاراً عنيفاً ، ثم استقدمت ١٥ جرافة كبيرة وبعد منع الناس من التردد حول المسجد بدأت الجرافات في العمل من خارج المسجد – طوال الليل – في هدم الجدران والأبواب باتجاه الداخل دون أن يفرغ المسجد من المصاحف والسجادات والمكتبة الموجودة فيه واقتيد إلى السجن كل من كان في المسجد غير من استشهد تحت الجرافات ، وكل من كان يأتي ويسأل عن سبب الهدم حيث علم خبر ذلك في الليلة نفسها هاتفياً من خادم المسجد الذي كان في الداخل قبل الهدم .

انتشر هذا الخبر المؤلم كالصاعقة في المناطق السنية التي تقع في الحدود الإيرانية ، حيث الزحف الشيعي مستمر منذ العهد الصفوي إلى يومنا هذا ويتعرض أهل السنة لأنواع الضغوط لإبعادهم عن المراكز الداخلية أو للتهجير إلى خارج البلاد .

في يوم الثلاثاء الأول من فبراير ١٩٩٤ م بدأت احتفالات الحكومة ، إلا أن هذا الحادث المؤلم أدمى قلوب أهل السنة (وكثير من المعارضين الذين يكرهون النظام أشد من غيرهم) ، ممن كانوا يتعرضون أيضاً لضغط وقتل وتعذيب ، والغريب أن (دعوة الأخوة) بين السنة والشيعة لم تزل على أشدها من قبل الحكومة تزويراً وخداعاً ، وكل عالم سني إذا تكلم بشيء من الحق يلقى وبالاً عظيماً لأنه يفرق بين الأخوة!! وهكذا سجن وأعدم علماء وشخصيات بارزة إما بتهمة الوهابية أو التفرقة بين السنة والشيعة أو التجسس وهذه التهم الجاهزة لكل من لم يسمع لهم ويطيع ، كالأستاذ بهمن شكوري والعلامة أحمد مفتي زاده والعلامة آية الله البرقعي الذي كان من كبار مراجع الشيعة وتحول للسنة قبل الثورة وكتب رداً على عقيدة الشيعة وله كثير من المؤلفات والكتب

والمقالات ، والدكتور علي مظفر يان الطبيب الحاذق الذي تحول للسنة قبل الثورة أيضاً وأعدم ، وعشرات من هؤلاء - الذين نحسبهم شهداء - فضلاً عن المسجونين والمنفيين ،و الآن لنرجع إلى ما نحن بصدده.

انتشر خبر هدم مسجد فيض بالهواتف والأفواه ، إلا أن الصحف ولضغوط الحكم الجائر في إيران لم يقدروا على عمل أي شيء مهم يحول دون تخريب المسجد ، أو إعادة بنائه كما حدث في مسجد (حضرت بال) أو مسجد بابري في الهند ، وقال أحد السيخ في زاهدان : إن الحكومة الإيرانية بيضت وجه حكومتنا! ، ومع هذا الجو الخانق الذي يخرس أدنى صوت أو اعتراض تفجر حزن أهل السنة وكانوا يبكون في كل مكان ، وبدأوا بإغلاق محلاتهم التجارية في بعض المدن السنية ، وبخاصة في زاهدان عاصمة بلوشتان الإيرانية وبدأ الناس بالتجمع حول المسجد المكي والمدرسة الدينية التابعة له والمجاورة للمسجد ، اللذين بناهما الشيخ عبدالعزيز ملازاده - رحمه الله - الزعيم الديني والسياسي لأهل السنة في بلوشتان ، وكان الناس يلقى بعضهم بعضاً بوجوه حزينة وبغيظ مكظوم.

وفي صباح الثلاثاء الأول من فبراير ١٩٩٤ م حدث اجتماع شعبي ديني خلافاً لما أعلنته صحف الدولة التي افترت عليهم بأنهم من المنافقين ، أي من «منظمة مجاهدي خلق اليسارية» ، ثم غيرت لهجتها فوراً وافترت عليهم بأنهم من الأشرار والمهربين ، تجمعوا حول مسجد المكي وفي داخل المدرسة الدينية وبدأ عدد من المشايخ يهدىء الناس الذين كانوا يتفجرون غضباً ، وبادىء ذي بدء لم يفتحوا باب المسجد للناس ليتفرقوا ، وقال خطيب المسجد إني أخاف أن تحدث حادثة تنسينا قضية مسجد فيض ، لكن أعداد الناس بدأت تتزايد باستمرار إلى أن فتحوا أبواب المسجد كي لا يشتبك الناس مع القوى الحكومية التي حاصرتهم من كل جهة ، ولا يكونوا هدفاً لطلقات حاقدة من حرس الثورة

والمخابرات ، وذهب خطيب الجامع إلى حشد الناس ووعدهم بأن يتصل بالمسؤولين ليأتوا إلى الناس ويحدثونهم ويقنعونهم ، ومنذ الصباح الباكر وإلى وقت وقوع الهجوم كان العلماء ووجوه الناس الذين اجتمعوا في مكتب المدرسة الدينية يسعون جاهدين للاتصال بالمسؤولين من المحافظ ومكتب مندوب الخامنئي (الذي يدبر المؤامرات الشيطانية ضد مدارس أهل السنة ومساجدهم) وغيرهما ، ولكنهم لم يجدوا أحداً ، كانوا يسمعون جواباً واحداً وهو : أن دوائر الدولة مشغولة بإقامة احتفالات الثورة ، لكن ظهر بعد ذلك من القرائن أن هذا كله كان جزءاً من المؤامرة المدبرة سابقاً.

ومن جانب آخر - وخوفاً من تأزم الوضع - سعى علماء السنة إلى تهدئة الناس ودعوهم من خلال مكبرات الصوت إلى الهدوء ، وفي وسط هذا الضجيج وحيال غضب الناس من هدم مسجدهم كأنه لم تكن هناك آذان كثيرة تسمع ، وبخاصة أن شباب المدارس - الذين يسمعون الإهانات لمعتقداتهم يومياً من معلميهم - قد تفجر غضبهم وحنقهم وكانوا يبكون ، وبدأ الناس برمي سيارات الشرطة بالحجارة وكسر الزجاج ، وأخذوا ينزلون أعلام الدولة المرتفعة فوق الدكاكين بشأن احتفالاتهم ، ثم ذهب بعض العلماء والمصاحف بأيديهم إلى حشود الناس الذين تحمسوا كثيراً وكانوا يمنعونهم من المظاهرة وكسر الزجاج .. كل هذا لأنهم كانوا يعرفون حقد الدولة وخططها.

وقال أحد شهود العيان أنه رأى شخصاً كلما كان الناس يمنعونه من كسر الزجاج لم يكن يمتنع عن ذلك حتى منعوه بالقوة ، وإذا بجهاز اللاسلكي يقع من تحت إبطه وكان يلبس اللباس البلوشي المحلي ، ولما عرف الناس أنه من المخابرات الإيرانية ويكسر الزجاج ، ضربوه وإذا بهذا العنصر للمخابرات يطلق النيران على الناس ويهرب ، ويجب أن نعلم أن كثيراً من عناصر المخابرات الإيرانية كانوا يتخفون في اللباس البلوشي ، وكانوا في ذلك اليوم يستغلون

عواطف الناس ، ويحاولون استفزازهم لإيقاد الفتنة فتكون لديهم الذريعة لتوجيه سلاحهم إلى صدور أهل السنة باسم الأشرار والمنافقين كما افترت عليهم صحفهم الحكومية التي كذبت - في نفس الوقت - خبر هدم مسجد فيض في مشهد ، في حين أن المسؤولين كانوا يعترفون بذلك ، ولما سئلوا عما في الصحف قالوا إنها «حرة»!! **﴿ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾** .

وقبل حادثة إطلاق النار على المصلين في مسجد «المكي» بعدة ساعات تم إخلاء المستشفى الحكومي من المرضى تمهيداً لإدخال الجرحى والقتلى الذين كانوا ينوون قتلهم ، هذا وغيره يدل على أنهم كانوا قد درسوا الوضع بدقة قبل ذلك بشهور ، حتى رتبوا الحادث في أيام الاحتفالات إلى أن عرفوا طبائع المدن التي سوف تعترض على هدم المسجد ، ليضربوها بالحديد والنار **﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾** ، كما أنهم عزلوا زاهدان عن باقي المدن وقطعوا الاتصالات الهاتفية قبل الحادثة بعدة ساعات .

وفي ذلك الوقت كان خطيب الجامع - الذي يعد زعيماً لأهل السنة - والعلماء ووجوه الناس كانوا مجتمعين في مكتب المدرسة ليحادثوا أي مسؤول حكومي يأتي إلى الناس فيجيبهم بشيء ، إلى أن وصل قائد الشرطة الضابط (غضنفري) إلى مكتب المدرسة وأخبر أنه وجد عبر اللاسلكي بعض المسؤولين وقال الشيخ له ليأتوا من غير طريق الشارع الرئيس الذي اجتمع الناس فيه خوفاً عليهم كي لا يرميهم الناس بالحجارة ، لكنهم - عمداً أو جهلاً والله أعلم - جاؤوا عبر الشارع الرئيس ، وفعلاً حدث ما توقعه الشيخ ، ورماهم الناس بالحجارة ، ولكن لا أحد يدري بالضبط هل كانت هذه جماهير الناس حقاً أم أنهم فئة معدة لتقوم بهذا الدور في هذا اليوم؟ وكما أشرت سابقاً أن المخابرات كانت تعد لهذه الواقعة كي تضرب أهل السنة من جهة وكي توجه أنظار الناس في إيران إلى هذه المشكلة لينسوا مشكلاتهم وليوحدوا صفوفهم

لتفرقهم كثيراً بعد الحرب مع العراق ، ولقد تبين أن الذين جاؤوا ليلتقوا بالناس هم الذين أصدروا الأمر بإطلاق النار - أولاً - وقبل هذه الحادثة بقليل ذهب أحد العلماء إلى قائد الشرطة ورجاه أن يفرق عناصر الشرطة في المنطقة كي لا يتفجر غضب الناس برؤيتهم ، فأجاب : هؤلاء لا يسمعون! وصاحبه كان يبتسم ، وكأنهم كانوا عالمين بما سوف يجري ، وفي هذا الوقت في الساعة ١٢,٥ ظهراً بالتوقيت المحلي أذن المؤذن كي يخرج الناس من الشارع ويدخلوا المسجد لأداء الصلاة ، وبعد ذلك بقليل سمع الأمر بإطلاق النار من اللاسلكي الذي كان بيد أحد الضباط ، ودخل الناس والعلماء إلى المسجد وأعلنوا عبر مكبرات الصوت أن الشغب وكسر زجاج محلات الناس لا يصح ولا يجوز شرعاً وبدأوا في أداء صلاة الظهر، وكانوا في الصلاة جماعة حيث بدأت طلقات الرصاص تدوي في الهواء ، ثم يسقط المصلون والأبرياء في داخل المسجد والمدرسة بعد ذلك ، وذهب أحد المشايخ بعد الصلاة وتكلم عبر مكبرات الصوت موجهاً نداء إلى الشرطة أنه يجب عليه ألا يكرر الخطأ ، وأن لا يطلق الرصاص ، فأجابت الشرطة فوراً عبر مكربات الصوت : لسنا نحن الذين نطلق الرصاص وإنما هم المخابرات والحرس ، ثم كنا نرى أسف بعض الضباط بعد ذلك لما حدث ، لأن الشرطة هي القوى النظامية وليست قوى (حزب الله) كما يقولون أو حرس الثورة ، ثم أغرقوا المسجد والمدرسة بدماء الأبرياء خلال ثلاث ساعات متواصلة ، وكانت تشاهد الطائرة المروحية من فوق والجنود من الأرض وسيارات الحرس من أعالي الجبل ومن فوق البنايات ، لم يبق من المسجد مكان إلا وأصابه الرصاص ، ثم بعدذلك جمعوا القتلى والجرحى والأسرى ، والله أعلم بعددهم ، ولم يعطوا إلا ثلاث جثث ليلاً ومنعوا من تشييع الجنائز ، وبعد ذلك جاؤوا في منتصف الليل ، وأزالوا آثار الرصاص من الجدران والأبواب وغيروا زجاج الشبابيك ، ظل المسجد محاصراً حوالي أسبوع

ثم رفعوا الحصار وأرغموا خطيب الجامع للحضور لمظاهراتهم وإلا سوف يعملون معه كذا وكذا ، وهذه هي القصة المؤلمة لشاهد رأى الحادثة بعينه .

العجيب الذي لا يمكن تعليله بحال أن يشكك آيات إيران في مساجد السنة ويدعون بأنها الخطر الأكبر على عقديتهم ، ولا ينبذون بنت شفه حيال كنائس النصارى وبيع اليهود ومعابد المجوس ، فأي إسلام يدعي هؤلاء وهم يهدمون مساجد الله جهاراً نهاراً ؟!

نداء من أهل السنة في إيران لإخوانهم المسلمين :

في بيان مهم وزع يوضح الحاجة الماسة لأهل السنة في إيران ، وأن حاجتهم الماسة تتطلب ما يلي :

١ - إيجاد إعلام فاعل لأهل السنة على الأقل مسموع باللغة الفارسية .

٢ - تخصيص قسم للترجمة إلى الفارسية للكتب العقدية والفكرية المهمة .

٣ - نشر أشرطة علماء السنة مثل (أحمد مفتي زاده) و(عبدلعزيز ملازاده) و(آية الله البرقعي) وغيرهم .

٤ - تدريس أبناء السنة في الجامعات الإسلامية المشهورة .

٥ - أهمية إيصال المجلات الإسلامية النافعة لهم .

أدركوا مسلمي إيران السنة قبل أن يذوبوا في مخططات الرافضة .

والله المستعان .

إنفاق العفو في الإسلام
بين النظرية والتطبيق

تأليف : د. يوسف إبراهيم يوسف*

عرض : نورة السعد

لا يقتصر مفهوم «إنفاق العفو» في الفكر الإسلامي على فضل المال فحسب ، فآية البقرة ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾[1] لم تقيد العفو بالفائض من المال ، وإن كان المفسرون قد وقفوا بالعفو عند ذلك ، بل إن السنة المطهرة قد وردت – صراحة– «بإنفاق العفو» من الجهد والإمكانيات البشرية وهو ما يؤكده الدكتور/ يوسف إبراهيم يوسف في بحثه هذا عن «إنفاق العفو في الإسلام» ، وسوف نعرض في السطور الآتية بعضاً مما ورد فيه بإيجاز :

والعفو هو الفائض عن حاجة صاحبه من مال أو جهد أو وقت أو صحة وهو موجود بكمية وفيرة لدى الأمة الإسلامية التي تجاوزت المليار نسمة سواءاً أكانت تمثل العفو في الجهد البشري أم الموارد النقدية والعينية ، بل إن دور «العفو» من الجهد البشري في بناء المجتمع ، وتمويل تنميته ، أكبر من دور «العفو» في المال لاسيما في معظم المجتمعات الإسلامية ، التي تملك قدراً كبيراً من الاثنين غير أن ثرواتها المادية والمالية غير مستغلة .

ويشير الكتاب إلى أن «العفو» – بهذا المعنى – يكمن في صور متعددة فليس موجوداً عند الأغنياء فقط ، فالغني يملك فضل المال ، بيد أن الفقراء لديهم مكامن

أخرى للعفو تتمثل في الجهد والصحة والمواهب المختلفة في اللسان والجنان ، ولقد فهم الصحابة المعنى الأول من إنفاق «العفو» فاشتكوا إلى الرسول ﷺ قائلين : «يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور» !! لكن الرسول ﷺ صحح لهم هذا الفهم فقال : «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة . . وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة»[٢] ، حتى إذا عجزت عن أي عمل «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك»[٣] .

إننا – إذاً – جميعاً داخلون في هذا التكليف قادرون عليه بصور متفاوتة وهذا يعني أن الطاقات الفائضة ، والإمكانات الموهوبة للإنسان لا يباح للمسلم تعطيلها أو منعها عن خدمة المسلمين ، ولا يعفى من المسؤولية من قام بتبديدها في مباح ، أو وضعها في محرم .

إننا – والحال هذه – مكلفون بالبحث عن ميادين وقنوات لتنفق – في سبيل الله – جهودنا وأعمارنا وعافيتنا ومواهبنا ، يقول الرسول ﷺ : «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[٤] ، ومن هنا فإن كل ما يزيد عن كفاية الشخص مما لديه من إمكانيات يصبح محلاً للإنفاق على مصالح المجتمع (ص ٦٨-٧٣) ويروي أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – : بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة له ، قال : فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ : «من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[٥] .

وهكذا فإن كل فضل من مال أو جهد أو فتوة أو قدرة يجب أن يستغل إسلامياً ليصب في الصالح العام ، فيرتقي المجتمع ، ويبين أثر ذلك على

الأفراد. إن المسلم المخلص يترجم عقيدته في سلوك عملي رجاء ثواب الله - سبحانه وتعالى - وتصديقاً بموعوده ، يوم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره ، وشبابه ، وماله وعلمه.

وإذا أردنا أن نقف على نوع التكليف في مسألة إنفاق العفو : هل هو فرض عين أم فرض كفاية؟ فإن المؤلف ممن رجح المذهب الثاني الذي يوجب على كل فرد أن يترصد - بالعفو من ماله وجهده - فرص التوظيف والتشغيل فإذا وجدت حاجة في الناس بادر إلى سدها ، فإذا سبقه إلى ذلك غيره جاز له أن يبقي العفو الذي لديه ، ولا يكون بذلك آثماً ، بيد أنه يظل يتحرى الفرص لتشغيل ما لديه. (ص ٥٨-٥٩)

ويوجب الإسلام البدء بالإنفاق الاستهلاكي على النفس ، ومن تلزم نفقته فإذا وجد «عفواً» بعد ذلك أُخْرِجَتْ الزكاة بشروطها ، وما بقي فوقها فإن المسلم يفاضل في إنفاقه بين الإنفاق الاجتماعي والإنفاق الاستثماري بحسب الظروف الاجتماعية وأحوال المسلمين من حوله ، والمقصود بالإنفاق الاجتماعي هو : إسهام المسلم في الإنفاق على مصالح المجتمع ، ويعني الإنفاق الاستثماري : الإنفاق على تكوين رأس المال ، وزيادة قدرة المرء على توليد الدخل الشخصي ، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ من حديث صاحب الحديقة إذ قال : «فأنا أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه»[٦]. (ص ٥٦-٥٧)

وإن في المال حقاً سوى الزكاة كما ثبت عن ابن عمر - رضي الله عنه - وإن الحديث الذي يقول : «ليس في المال حق سوى الزكاة» صحته : «في المال حق سوى الزكاة» ، أما كلمة «ليس» فزيدت في الحديث عن طريق النساخ

وشاع الخطأ بعد ذلك ، قال بهذا فضيلة الشيخ القرضاوي متابعاً للعلامة الشيخ أحمد شاكر، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - من واجبات المال غير الزكاة : «تجب النفقات للأقارب والزوجة والرقيق والبهائم ، ويجب حمل العاقلة وقضاء الديون ، ويجب الإعطاء في النائبة ، ويجب إطعام الجائع وكسوة العاري فرضاً على الكفاية . . . إلى غير ذلك من الواجبات المالية» . وقال الإمام مالك - رحمه الله - : «يجب على كافة المسلمين فداء أسراهم ولو استغرق ذلك أموالهم» . والخلاصة : أن في المال حقوقاً واجبة غير أداء الزكاة فإن إخراج الزكاة لا ينفي عن المال صفة الكنز ، إذا منعت بقية الحقوق الواجبة فيه فيما يعود بالنفع على المسلمين من بناء الاستثمارات ، وإقراض المحتاج وإطعام الجائع ،وغير ذلك من ضروب التكافل بين المسلمين ،والتي تعبر عن طبيعة النظام الإسلامي ، وتبني مجتمع المتقين المتكافل . (ص ٩٤-٩٥-٩٧)

وتقع مهمة توجيه العفو ، إلى الإسهام في تحقيق التنمية الاقتصادية ، على عاتق الكثير من المؤسسات القائمة في المجتمع ابتداءً من مؤسسة الدولة نفسها بوصفها أهم مؤسسة في المجتمع ،وانتهاءاً بالجمعية الخيرية التي يكونها الأفراد لأداء واجب من الواجبات الكفائية ، مروراً بالكثير من المؤسسات التي يضمها المجتمع ، والدولة بوصفها أهم المؤسسات المؤثرة على «العفو» من ناحية فعاليته في تحقيق مصالح المجتمع ، تستطيع القيام بعدة أمور :

١ - أول ما يجب على الدولة في هذا الخصوص هو أن تتخذ من الوسائل والسياسات ما يجعل الفوائض المهاجرة تطمئن إلى توطنها في بلادها وتعود من مهجرها ، وهذا يتطلب تأميناً على نفسها ،وفتحاً لفرص الاستثمار والتنافس الحر أمامها ، وسعياً إلى إيقاظ الوعي الديني في نفوس أصحاب هذه الفوائض .

٢ - أن تضع الدولة إطاراً لتنظيم عملية استخدام العفو ، يكفل انسياب الفوائض إلى قنوات الاستثمار المختلفة ، ومجالات الخدمة الاجتماعية المتعددة دون عقبات أو عراقيل ، وبما يحفظ هذه الفوائض من أن تبدد في مشروعات مظهرية غير مجدية ، أو في استثمارات لم يصل المجتمع إلى طلبها في هذه المرحلة . (ص ١٠٤-١٠٥)

وبعد ذلك تظهر قضية كفاءة المصارف الإسلامية ، وإذا استطاعت هذه المصارف أن تقوم بدورها المنوط بها ، وأن تعمل دائماً على رفع كفاءتها وتطوير أساليبها فإن نجاحها مرتهن بمساندة المجتمع والدولة ، فالمطلوب - إذاً - نشر المصارف الإسلامية في أرجاء البلاد ، وإزالة المعوقات من أمامها ، وإحاطتها بالتشريعات الكفيلة باستقرارها ونموها .

ويتحقق إنفاق العفو بأكثر من صورة ، وقصره على صورة دون أخرى تقييد للمطلق بغير دليل ، فكلما طابت نفس المسلم ، وتفاعلت مع الهدي الذي أتاه من ربه ، تمكنت من اقتحام العقبة ، واختارت صورة من صور إنفاق العفو في سبيل الله ، تكون أبلغ في الدلالة على الاستجابة لأمر الله ، وأول هذه الصور وأعلاها تتمثل في تقديم العفو والتخلي عن ملكيته لصالح المستفيد منه . (وهناك صورة الوقف : وهي خروج عن ملكية العفو وجعله ملكاً لله تعالى فلا يملكه من وقف علية لكنه يستفيد منه فقط) .

ومن الصور أيضاً ، استخدام العفو في خدمة مصالح المسلمين مع الاحتفاظ بملكيته ، مثل بناء المشروعات الاستثمارية التي تحقق منفعة للمالك ومصلحة للمجتمع في الوقت نفسه ، وتتدرج بعد ذلك صور إنفاق «العفو» فهناك صور كثيرة استخدمها المسلمون ثم تغافلوا عنها ، وهي من هدي الرسول

ﷺ تنضوي تحت ما يسمى بـ «المنيحة». قال النبي ﷺ : «ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدو بعس وتروح بعس ، إن أجرها لعظيم» ، فالمنيحة هي الدابة يدفعها المستغني عنها إلى من يستفيد من قوتها ودرها ، ثم يستعيدها بعد مدة مقدرة ومثل ذلك أن يبني المسلم دوراً يملكها ، لكنه يخصصها لسكنى الفقراء وأبناء السبيل وينتفع بها إذا احتاج إليها ، وجدير بالذكر أن عدم إنفاق فائض المال في صورة من هذه الصور أو مثيلاتها يعني تعطيل المال والجهد وإضاعتهما ، وذلك أمر منهي عنه شرعاً. (ص ٥٤-٥٥)

ويشير حديث النبي ﷺ : «لا قدست أمة ، لا يأخذ فيها الضعيف حقه غير متعتع»[(٧)] ، إلى هذه العلاقة الوثيقة بين حفظ كرامة الإنسان ، واستحقاق الأمة نصر الله وعونه ، فإن حق الضعيف في هذا الحديث ليس حقاً معيناً ، وإنما هو حق شامل عام : إنه حق في الحياة الكريمة ، وفي العدالة والمساواة والحصول على عمل دون أن يتقدمه من هو دونه ، وحقه في التنقل والملكية وممارسة حقوقه السياسية ، وحقه في إبداء الرأي ، وتوجيه أمور الجماعة . . . إلى غير ذلك من الحقوق التي جاءت بها الشريعة وكفلها الإسلام . (ص ١٢-١٣).

---

* المصدر : د. يوسف إبراهيم يوسف - إنفاق العفو في الإسلام بين النظرية والتطبيق - ط١ - ١٤١٤ هـ - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة قطر - بتصرف يسير.

(١) البقرة ، آية ٢١٩
(٢) رواه مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) متفق عليه.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه «ابن ماجه» بسند صحيح.

رؤية في مسألة «التعددية»
عرض ونقد

د. محمد يحيى

حفلت الكتابات الفكرية في الآونة الأخيرة بطروحات كثيرة حول قضية «التعددية» وتفريعاتها في النواحي الفكرية والاجتماعية والسياسية ، بل وحتى الدينية ، وبدا لمن يتابعون هذه الكتابات أن أنصار مبدأ «التعددية» يرون فيه الحل الناجع للكثير من مشكلات الأمة وفق توصيفهم لها، وأنهم يطرحونه مذهباً فلسفياً قائماً ، يدعون له ، وينافحون عنه في وجه خصوم معينين ، وارتبطت فكرة «التعددية» بمنظومة أخرى من الأفكار التي تروج هي الأخرى في الكتابات الفكرية المعاصرة ، كفكرة «الاعتراف بالآخر» ، و«الديموقراطية» وما أشبه ذلك ، كما اكتسبت مثل تلك الأفكار قداسة خاصة ، وارتقت إلى مرتبة الشعار العاطفي المطلق ، الذي يرفع لاستجلاب المشاعر وإثارة الخواطر ، ويطلق علامة على حركة اجتماعية وفكرية عامة .

هدف هذه الفكرة :

وشُهِرَت دعوة «التعددية» بخاصة في وجه الحركات والأفكار الإسلامية التي وصفت بأنها عدو التعددية ، كما هي عدو الفكر والتقدم والتنوير والعقل والحرية . . . الخ ، وعلى الرغم من اجتهاد بعض المفكرين الإسلاميين في إيجاد وضع ثابت للتعددية داخل الشريعة الإسلامية - كالقول الشائع مثلاً بأن المذاهب

الفقهية هي أحزاب سياسية واجتماعية متعددة - إلا أن وصمة رفض التعددية بقيت تلاحق الإسلاميين في الكتابات الجارية وتدمغهم في عرف الكاتبين بكل النواقص الناجمة عن ذلك.

ملحوظات أربع مهمة:

ولا يكاد المتابع للكتابات الدائرة حول التعددية أن يهرب من ملحوظات عديدة حول هذه الفكرة كما جاءت في الطروحات الدارجة، وهي ملحوظات ينبغي وضعها في الحسبان عند أي تعامل أو تحليل للفكرة.

أولاً: **أبرز هذه الملحوظات ما يتعلق بالمصدر الذي تؤخذ منه عادة هذه الكتابات والدعوات في الفترة الراهنة، وأعني به قطاعات من الفئة المثقفة ذات التوجه العلماني، وبالذات العناصر المسماة بالليبرالية واليسارية منها**، ولا يخفى أن الفئات الأخيرة على تنوعها من ماركسية وشيوعية واشتراكية وقومية كانت حتى وقت قريب أشد الرافضين لمبدأ التعددية - ولاسيما في مجال الحزبية السياسية - ذلك لأن أصحاب هذه المذاهب كانوا - إلى سنوات أخيرة - يزايدون على أصحابهم في الغرب في التشديد على «أحادية» مذاهبهم ورؤاهم الفكرية وقدرتها وحدها على تفسير وتحليل كل الظواهر، وتدبير كل أمور المجتمع دون شريك، وليس ببعيد عنا زعم الماركسيين أن فلسفتهم هي الحق الوحيد القادر على شرح وتوضيح كل أمور الكون، وعلى تفسير شتى الظواهر الاجتماعية سواء أكان التفسير في مجال الحركة الاجتماعية والسياسية أو في مجال الفكر والرأي والنظر الفلسفي، فما بال المزاعم قد تغيرت إلى النقيض في زمن قصير لا يسمح بتحول فكري، بل ويبدون دلائل على حدوث مثل هذا التحول إلى الانفتاح الفكري؟!

ثانياً : تؤدي هذه الملحوظة إلى أخرى تفوقها في الأهمية والمغزى فالواقع المشهود والتجربة التاريخية خلال نصف قرن مضى ، تدل على أن من يستميتون الآن في طرح مبدأ «التعددية» كانوا أول وأشد من يناقضه في القول وفي الفعل فهم الذين قمعوا وكبتوا بل سحقوا الحركات الإسلامية ، وأمروا أو حرضوا على قتل المفكرين والعلماء المسلمين العزل من أي شيء سوى أفكارهم، وهم الذين تحالفوا مع كل أصحاب الدعوات والممارسات الاستبدادية في الحكم ، وناصروا كل من حل الأحزاب ، وسيطر - احتكاراً - على مذاهب ومنابر الإعلام والثقافة وسد منافذ الحركة الاجتماعية الأصيلة وفي الوقت الراهن يتحالف هؤلاء مع أنظمة حكم عسكرية دكتاتورية تحظر التعددية السياسية ، وتمنع التعددية الفكرية والأخطر من ذلك أن ممارسة هؤلاء لمفهوم «التعددية» في الحاضر تتمحور حول رفض وجود التيار الإسلامي الفكري والحركي في الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية بحجة واهية مصطنعة هي أن هذا التيار يرفض التعددية وبذلك جاز أو وجب إبعاده عنها[1] رغم أن من بين صفوف «التعدديين» الجدد من أفنى عمره يرفض التعددية الحزبية والفكرية ، ثم ها هو أصبح من دعاتها ، وتلك تعددية غريبة تلك التي تجعل من أهم مبادئها إقصاء أقوى الأطراف على الساحة ، وقصر المنتفعين بها على أصحاب مذاهب هي في حقيقتها مذهب واحد : هو العلمانية المتطرفة .

ثالثاً : إن «التعددية» المكتشفة أخيراً حلاً سحرياً للمشكلات والأزمات، لا تطرح باعتبارها فكرة أو مسلك اجتماعي أو أسلوب حركي أو دعوة أخلاقية ، بقدر ما تطرح سلاحاً مشهوراً في وجه خصوم التيار العلماني من المسلمين ، فنحن لسنا أمام طرح فكري يطلب لنفسه كسائر الطروحات الفكرية المناقشة الهادئة الجادة والعقلانية ، بقدر ما نواجه بشعار يُرَدَّدُ لإرهاب

الخصوم ودمغهم بالتسلطية ، ورفض الحوار وتشويه صورتهم في أذهان الناس على أنهم هم - وليس العلمانيون - الذين يبشرون بالبطش والطغيان برفضهم للتعددية ، وبالمثل فإن هذا السلاح والشعار يستخدم لتبييض صورة العلمانيين وتحسينها بنفي أبرز ملامحها وهو الاستبداد بالرأي والتعصب المقيت ضد المخالفين ، والرغبة العارمة في الاستئثار والاحتكار لكل مناحي الحياة وأدوات الفعل والحركة في المجتمع . نحن إذن في طرح «التعددية» في الكتابات العلمانية الجارية نواجَه بأسلوب خبرناه في طروحات منظومة الأفكار الأخرى المماثلة ألا وهو استخدام الفكرة سلاحاً كالسيف والمدفع للهجوم على الخصوم وتشويه صورتهم مع تحسين صورة الأنصار .

رابعاً : ترتبط الملحوظة الأخيرة بما سبق ، فلأن مفهوم «التعددية» يستخدم الآن مجرد سلاح للضرب ، ولأنه يناقض أفكار وممارسات من يتزعمون لواء الدعوة إليه ، فهو يبدو غامض الملمح ومضطرب الأبعاد فالحديث قد يجري عن التعددية السياسية فنسمع دعوة إلى السماح بتعدد الأحزاب ، **لكن هذه الدعوة مقيدة بأن تعمل هذه الأحزاب داخل نطاق محدد ومحدود** لا تتجاوزه ، هو في العادة «ميثاق وطني» أو قانون صارم يضفي عليها في الواقع وحدة أو «أحادية» في الفكر والسلوك ، فوق أن هذه «الأحزاب المتعددة» تستثنى منها فئات عديدة - أولها ما يسمى بالأحزاب الدينية أو الإسلامية - مما يجعل من التعددية المرغوبة مجرد لفظ أجوف ، والحديث قد يدور حول التعددية الفكرية والثقافية لكنه ينحصر في الواقع في نبذ ونفي الإسلام والتمكين لأحادية فعلية من المذهب العلماني المتغرب ، حتى وإن تسترت ببعض التفريعات الشكلية داخل هذا المذهب ، والأكثر أهمية في هذا أن المناقشات حول التعددية تتركنا في حيرة حول ما إذا كان الكلام يدور حول واقع

موجود بالفعل يراد الاعتراف به ، وتقنين وجوده ، أم حول مثال وأنموذج يراد إيجاده من عدم ، باعتباره هدفاً أسمى ينبغي الوصول إليه ، ذلك لأن الحديث عن التعددية يجري أحياناً بشكل يوحي بأن أنصاره إنما يريدون تمهيد السبيل لتطورات ومذاهب وأفكار يراد جلبها إلى الساحة بعد التمهيد لها بفكرة التعددية ، ولعلنا نذكر في هذا السبيل كيف خلقت بعض الأحزاب السياسية خلقاً مصطنعاً في بعض البلدان العربية عندما راجت «موضة» التعدد الحزبي بتقليد أسماء وتوجهات أحزاب قائمة في البلاد الأوروبية ، كأحزاب الخضر والاتحادية الديموقراطية وغيرها .

كيف نتعامل مع هذه الفكرة؟

هذه الملحوظات الأولية حول طروحات فكرة التعددية في الكتابات العربية المعاصرة – ولاسيما العلمانية – توجه النظر إلى ضرورة فحص مصدر وأهداف الطرح قبل التعامل معه فكرياً على أنه فكرة بريئة يرد عليها الإسلاميون بأي شكل كان ، فنحن – كما أسلفت – أمام فكرة ظاهرها الانفتاح والتحرر لكنها تصدر عن منابر ارتبطت أشد الارتباط بكل معاني الدكتاتورية والأحادية والهيمنة الاحتكارية ونفي الآخر ، والفكرة تطرح بشكل مناقض لجوهرها حيث تنطوي دائماً على استبعاد الإسلام وحركاته من هذه التعددية الانفتاحية الموعودة بحجة جاهزة هي : أن الإسلام لا يؤمن بالتعددية وبالتالي فلا مكان له فيها وكأن الآخرين الذين أعطوا مكاناً فيها كانوا يؤمنون بها ، وأخيراً تطرح الفكرة لا باعتبار هذا الطرح مبدءاً قابلاً للنقاش العقلي والفلسفي والتوضيح ، بل مجرد سلاح لتشويه الإسلاميين وتحسين صورة العلمانيين ، وهو ما ينعكس في غموض أبعاده ، وفي هذه الحالة ينبغي أن نقف إزاء أهداف تَبَنِّي العلمانيين لهذه الفكرة ضمن منظومة ادعاءاتهم الراهنة ، إذ تكون في هذا فائدة تفوق مجرد

التعامل السطحي معها رفضاً أو قبولاً .

يرتبط الحديث - كثيراً - عن «التعددية» في هذه الفترة ارتباطاً سببياً مباشراً بصعود الفكر والطروحات الإسلامية إلى حد أدهش العلمانيين في العقدين الأخيرين في مقابل إفلاس مذاهبهم وطروحاتهم المختلفة ، لقد حدث انقلاب مدهش في ساحة الفكر والثقافة في المجتمعات العربية حيث أن السيطرة شبه المطلقة التي كانت للعلمانيين (بفضل الالتصاق بالأنظمة الحاكمة) في الخمسينيات وبالذات في الستينيات ، قد تضعضعت ، ثم انهارت في السبعينيات والثمانينيات ، ومع سقوط الطروحات العلمانية أصبحت النخبة العلمانية عارية أمام الجماهير دون تمويه يخفي حقيقة عمالتها وتبعيتها لأنظمة هي بدورها عميلة وتابعة للدول الاستعمارية القديمة ، بجانب خياناتها الكبرى لدينها وعروبتها وشعوبها بأساليب الحكم الاستبدادي ، وبدا واضحاً أن الساحة التي شهدت سيطرة العلمانيين الاحتكارية مهيأة الآن لاكتساح إسلامي شامل لن تتبقى معه آثار تذكر لمذاهب وأفكار العلمانية المتغربة ، في هذه الظروف نشأ فجأة الحديث عن «التعددية» في ذات الأوساط التي كانت قد كرست كل جهودها بدعم من السلطات وأجهزة الأمن والبطش ، لكي تقضي على كل آثار الإسلام وأفكاره قبل ذلك بسنوات. ظهرت فكرة «التعددية» بوضوح لكي تكون مجرد الغطاء والمبرر الذي يسمح بوجود واستمرارية بقايا الأفكار العلمانية المتغربة في وقت بدا للعلمانيين أن التيار الإسلامي الجارف سيجتاحها كلها. نحن إذن نواجه بفكرة وليدة الخوف الطاغي لدى من مارسوا القمع والاستبداد والنفي والاحتكار في أن يستبعدوا وينفوا مع فارق - بالطبع - هو أنهم مارسوا هذه الأشياء في موقع الأقلية التابعة للخارج والموالية لأنظمة غير شعبية ، بينما الإسلام هو دين وثقافة وحضارة البلاد وعقيدة أغلبية سكانها الساحقة .

التعددية من منظور علماني :

«التعددية» في جوهر طرحها الراهن من جانب العلمانيين لا تعبر عن توجه ديموقراطي مفاجىء ، ولكنها مجرد مناورة فكرية للإلحاح على ضرورة وجود أفكار مغايرة للإسلام في الساحة التي يظنون أن الإسلام بقوة الجماهير سيكتسحها كلها ، ولو أتيحت لهم فرص رد التيار الإسلامي لأسقطوا دعوى «التعددية» تماماً ، وهم بالفعل قد ضمنوا دعاواهم ما يسمح بذلك ، فوسط الحديث عن التعددية في كل مظاهر الحياة نجدهم قد وضعوا الشروط والقيود التي تؤدي حتماً إلى استبعاد الإسلام منها في نهاية المطاف ، أو إعطائه وضع التابع الضعيف داخل إطارها ووسط سائر المذاهب العلمانية .

القضية إذن ، كما هو الحال مع الطروحات الأخرى حول «الاعتراف بالآخر» وما شابهه ، لا تعدو أن تكون «تكتيكاً» دعائياً فكرياً بطرح شعار يضمن البقاء للنفس في حالة صعود «الآخر» (الإسلامي) المكتسح مع إمكانية إسقاط هذا الشعار وتفريغه من مضمونه في حالة تراجع هذا «الآخر» . بهذا وحده نستطيع أن نفسر التناقضات الكامنة في الدعوى واللبس والغموض الذي يكتنف أبعادها كما أشرنا في الملحوظات السالفة ، فهي ليست مبدأً فكرياً متسقاً بل مجرد شعار يستخدم سلاحاً – وفي الحقيقة – يستخدم باعتباره مناورة شأنه شأن سائر الطروحات العلمانية في هذه الفترة تنفيذاً للدور الذي يؤديه العلمانيون في هذه الفترة في مواجهة الإسلام وحركاته ، وخلاصة المناورة أنه عندما يكون المد العلماني في صعود نسمع حديث الاحتكار والأحادية والنفي والاستبعاد ، وعندما ينهار المد ويتراجع نسمع حديث التعددية والاعتراف بالآخر لضمان موطىء قدم وبقية من وجود لدعاواه دون أن يجتاحها المد الإسلامي المضاد ، ولأنهم يعاملون «التعددية» هذه المعاملة سلاحاً وشعاراً

ومناورة ، فلا يبالون بالتناقضات ، بل لا يهتمون بالتوضيح والمناقشة العقلية المتأنية ، وهذه خلفية طرح فكرة «التعددية».

* * *

أنحن مع التعددية أم ضدها . وكيف ؟

يصل طرح «التعددية» إلى الفكر الإسلامي عادة في شكلين لا ثالث لهما : الأول هو اتهام مطلوب الرد عليه بأن الإسلام أو الإسلاميين ومعهم في ذلك تاريخ الإسلام لم يعرف التعددية بل كان ضدها على طول الخط ، والثاني هو تحد للإسلام وللإسلاميين وللفكر الإسلامي بأن يخرجوا بطروحات نظرية وممارسات عملية تثبت أن للتعددية مكانة راسخة عندهم .

طرح «التعددية» إذن يوجه للفكر الإسلامي في شكل اتهام أولاً ، ثم في شكل تحد ثانياً ، أي يوضع الإسلام في موضع دفاعي مما يفرض عليه آليات الدفاع التقليدية وأبرزها محاولة نفي التهمة بأي شكل وإثبات العكس ألا وهو أن الإسلام لا يحتوي على شيء قدر احتوائه على «التعددية» - ذلك المبدأ السحري المرغوب فيه! وبالفعل دارت في هذا الإطار مرغمة معظم المعالجات الإسلامية للفكرة بدءاً من تطويع مفهوم «الشورى» لفكرة «التعددية» وانتهاءاً - كما ذكرنا - بالحديث عن المذاهب الفقهية كأحزاب سياسية ، وبدا لمن يتابع هذه الكتابات (الدفاعية والاعتذارية في جوهرها) أن الإسلام ما جاء أو أوحي إلا ليضمن أو يوجد التعددية في كل أشكالها حتى لو كانت هناك مجالات لا توجد فيها ، ويتناسق هذا مع ما عهد في أمثال هذه الكتابات الدفاعية المضطرة إلى نفي التهمة وإثبات العكس ولو بالمبالغة فكذلك رأينا من يذهب إلى أن من خصائص الإسلام الاعتراف بالآخر (ونسيان نفسه على ما يبدو!) أو التمكين لمخالفيه في الوجود . . . الخ .

وبصرف النظر عن الكتابات الإسلامية في موضوع التعددية ، التي لم تجد مفراً من أن تكون دفاعية اعتذارية بحكم طريقة طرح الفكرة من الجانب الآخر فإن هذه الكتابات تظل تتحدث عن تعددية داخل الإطار الإسلامي مهما كان ذلك الإطار واسعاً ، أو حتى فضفاضاً كما بدا عند بعضهم ، وهذا الوضع للتعددية الفكرية والسياسية والثقافية داخل الإطار الإسلامي لا يعجب من يطرحون الفكرة مهما بدا متسامحاً لأنهم يقصدون في الحقيقة تعددية جذرية أي خارج الإطار الإسلامي ، أو هم يرمون في الحقيقة إلى ثنائية (لا تعددية) تضع الإسلام في ناحية والعلمانية (بمذاهبها الثانوية) المتغربة في الناحية الأخرى. ولهذا فالردود أو المعالجات الإسلامية لموضوع التعددية لا تلقى القبول عند العلمانيين لأنها لا تصل مهما تساهلت ، أو مهما نفت التهمة وقبلت التعددية إلى المفهوم المرجو من طرح الفكرة ، وهو القبول الصريح والاعتراف «بغير الإسلامي» و«بالمعادي للإسلام» طرفاً مساوياً وشريكاً قوياً مؤثراً في ثنائية تنظيم سائر المجتمعات الإسلامية ، بل والقبول بأن تكون لهذا الطرف حجية الحكم والتوجيه والسيطرة ، ولعل في هذا الهدف الأخير ما يفسر الإلحاح العلماني في الآونة الأخيرة على فكرة تتواكب مع «التعددية» وهي «تداول السلطة» حيث يدور التركيز على ضرورة أن يقدم الإسلاميون التعهدات القاطعة والمضمونة بأنهم لن يصلوا إلى الحكم ، أو بالأدق إلى مواقع القرار والتوجيه في المجتمعات إلا من خلال انتخابات شعبية (وهذا ما لم يفعله العلمانيون أبداً بل جاءوا عن طريق الانقلاب والدعم الخارجي) ، وأنهم لن يحتكروا السلطة أبداً بل سيتبادلونها مع الاتجاهات الأخرى (وهذا أيضاً ما لم يفعله العلمانيون مطلقاً مع الإسلاميين) ، وهذا الحديث عن تداول أو بالأصح تبادل السلطة بين طرفي الثنائية يوحي بأن الإسلام - دين الأغلبية - سيوضع على قدم المساواة (إن لم يكن أدنى بكثير) مع فئات نخبة الأقلية الضئيلة التي لا تعيش إلا بحبل من

الأنظمة وحبل من القوى الخارجية.

المقولات الإسلامية إذن حول القبول بالتعددية إما داخل الإطار الإسلامي أو خارج هذا الإطار في مجتمعات ودول وعقائد أخرى ، لن تحظى بالإعجاب من جانب دعاة «التعددية» ، وهم كذلك لن يستسيغوا القبول الإسلامي بأديان ومذاهب مخالفة داخل إطار المجتمعات والدول الإسلامية مادام الإسلام مهيمناً عليها ، لأنهم كما أسلفنا يريدون تعددية - أو ثنائية - جذرية يكون فيها للمذاهب العلمانية المتغربة وجوداً مؤسساً ومهيمناً ، أو على الأقل تبادلياً مع الإسلام في البلاد الإسلامية ، ولا يكون متضمناً داخل الإطار الفكري ولا نقول العقدي - الإسلامي . القبول الإسلامي بالتعددية مهما كان متسامحاً وواسع المدى لن يصادف هوى أصحاب الدعوة الراهنة العالي صوتها لأنه لا يوافق جوهر وهدف طرحهم ، ألا وهو الأحادية العلمانية المتسربلة زيفاً في ثياب طلب التعددية ، والحق أن الموقف العلماني الحقيقي من موضوع التعددية يطابق الموقف الإسلامي - الذي يهاجمونه - وإنْ من الناحية المضادة فهم إن سمحوا بالتعددية - وهو ما يشك فيه كثيراً - فإن ذلك يكون بين مذاهب فرعية داخل المذهب الأم - أنواع مختلفة من الليبرالية داخل الإطار الليبرالي الأعم ، أو أنماط من الفكر الماركسي داخل المذهب الشيوعي المادي الأوسع .. الخ ، أو يكون على أبعد تقدير بين عدة مذاهب وتوجهات تشترك كلها في الأساس العلماني المتغرب ، وتجد فيه قاسمها المشترك الأكبر ، ومبررها الفلسفي وعلى هذا فإذا كان الموقف الإسلامي يرى أن تعدد الأفكار والتوجهات يجوز داخل إطار أعم وأقوى ، فهو لا يقدم شيئاً شاذاً كما يصور العلمانيون بل هو نفس موقفهم ، تعدديتهم إذن - في أحسن حالاتها وأكثرها تحرراً - لا تختلف عن التعددية التي ينادي بها بعض الإسلاميين في المقابل ، فلماذا إذن يستمر

الهجوم الحاد على الإسلام بدعوى رفض التعددية وتشعب الأفكار والرؤى؟ وهذا المفهوم للتعددية عندهم يقتصر فقط على داخل الصف العلماني ، أما خارجه ، فهناك أحادية صارمة تنفي الضد الإسلامي وتعاديه .

التعددية وتقلب المعنى :

الصورة الحقيقية التي ينبغي على الفكر المسلم أن يعيها هو أننا إزاء طرح متقلب متعدد المستويات في هذا الموضوع ، فنحن أمام دعاية ملحة حول «التعددية» لكننا إذا تفحصناها وجدناها «تعددية» مقيدة ومشروطة ومحدودة داخل تفريعات مذهب أو إطار واحد مسيطر - العلمانية الوافدة - ثم نجدها في هدف الطرح «ثنائية» جذرية عندما نتبين معناها في المجتمع المسلم ، ولكننا في الممارسة الواقعية العملية نجدها «أحادية» صارمة وشرسة في نفيها واستبعادها «للآخر» الإسلامي ، ورفضها لكل طروحاته وإصرارها على إخضاع الإسلام (بآليات التطوير والتطويع والعلمنة والتغريب) داخل النمط اللاديني والنسق التغريبي. «التعددية» هي ورقة الدعاية «والثنائية» هي الهدف المنشود لإثبات وحفظ الوجود داخل المجتمعات الإسلامية في ظل صعود التيار الإسلامي ، أما «الأحادية» فهي الواقع والممارسة والهدف النهائي ، ولكن الفكر الإسلامي يتعامل حتى الآن مع الشعار فقط ، وعلى مستواه السطحي دون الاختراق إلى الأهداف والغايات وواقع الممارسة والفعل وخلفية التاريخ والأصول الفكرية النظرية ، ولذلك فإن الطرح الإسلامي المضاد الداعي للقبول بالتعددية لا يجد القبول عند أصحاب الدعوى التعددية رغم أنه كان ينبغي أن يرضيهم لو كانت النوايا صحيحة وسليمة ، ذلك لأنهم لا يقنعون برد يجابههم على مستوى الشعار ، لأن الشعار عندهم هو مجرد القناع الظاهري الذي يخفي حقيقة «الثنائية» و«الأحادية» ، ومهما حاول الإسلاميون مواجهة الشعار برفض التهمة

وقبول التحدي ، فلن يرضى العلمانيون لسبب بسيط هو أن قبول المسلمين بالتعددية أياً كانت أبعاده يناقض استمرار توجيه التهمة ضدهم لأسباب دعائية ويحرم العلمانيين من عريضة اتهام رابحة وورقة تشويه جيدة ، كما أن هذا القبول الإسلامي لا يتمشى ، ولا يعني حقيقة «الثنائية» و«الأحادية» الكامنة وراء شعار «التعددية» كما أراده رافعوه .

ولست بذلك أدعو للكف عن الطرح الإسلامي والتعاطي في مسألة «التعددية» في شكل نفي التهمة وإثبات الموقف الصحيح ، حتى لو اقتصر ذلك في الوقت الراهن على التعامل على مستوى الشعور ، وحتى لو اقترن ببعض التعسف في التخريج والتنظير ، فهذا الأمر مطلوب إبراء للذمة وتوضيحاً لمواقف الإسلام في وجه الشبهات المثارة والتي قد تنطلي على من لا يعلمون . ولكن هذا الطرح ينبغي كذلك أن يتجاوز مستوى طرح «التعددية» باعتبارها شعاراً ، ليتعامل مع مستويات الدعوى المختلفة التي ألمحنا إليها فيما سبق وفوق ذلك ينبغي على هذا الطرح الإسلامي للقضية أن يتجاوز مستوى الردود الدفاعية ليناقش المشكلة برمتها مناقشة واعية متأنية متدبرة ، وهو ما لا نجده عند طروحات العلمانيين التي تتسم كما قلنا في بداية المقال بالانفعالية والتشنج .

أسئلة تحتاج إلى أجوبة : -

إن هناك أسئلة تحيط بفكرة «التعددية» لا تجد إجابة في الطرح العلماني لكنها تبقى ملحة على ضوء الطروحات لتحقيق خير أكبر وأعم ، شأنها في ذلك شأن «الديموقراطية»؟ **أي هل «التعددية» هي هدف نهائي يتحتم على المجتمع أن يصل إليه ، أم أنها أسلوب قد يطبق في مواقف معينة للتعرف على أفضل الآراء والاتجاهات** ، ولتحقيق أنجع أداء في مجال معين؟ **وهل نقف عند التعددية في المواقف والاتجاهات والآراء كأمر حتمي** ، أم أننا نسعى إلى تجاوز ذلك صوب

رأي محدد واحد لا سيما إذا أدى هذا التعدد والتشعب إلى التشتت والتمزق بل والصراع؟ **وعلى أي مستوى يكون طلب التعددية وتكريسها وفي أي مجال؟** هل هي في مجالات الاقتصاد والإنتاج والعلوم أم في مجالات القيم والأخلاق والعقائد؟ ولماذا تضفى على «التعددية» في حد ذاتها قيمة مطلقة بحيث تصبح خيراً محضاً في جوهرها وفي مجرد وجودها ، بينما يصبح توحد الرأي (حتى ولو كان أمراً طبيعياً نابعاً من الموقف دون قسر) أمراً مستقبحاً في ذاته ومرتبطاً بالدكتاتورية أو الفقر الفكري؟ وهل يصبح هذا التصور في كل المواقف - أي هل ينطبق في المواقف الاقتصادية الإنتاجية مثلاً كما ينطبق على المواقف العقائدية؟ **ثم هناك السؤال الأهم : هل طرحت «التعددية» باعتبارها قضية** لمجرد التقليد لأن الغرب قد طرحها في السنوات الأخيرة داخل مجتمعاته لظروف وأسباب مختلفة؟

منطلقات التعددية العالمية :

إن طرح مسألة «التعددية» جرى في بعض بلاد أوروبا الشرقية وما يسمى بالعالم الثالث مؤخراً على المستوى السياسي البحت ، طلباً لتعدد الأحزاب السياسية في مجتمعات ظلت عقوداً طويلة لا تعرف سوى نظام الحزب الواحد. ولكن في بلد غربي رائد ومؤثر كأمريكا طرحت المسألة في سياق اجتماعي ثقافي سلوكي مع ارتفاع صوت فئات متعددة عرقية (الزنوج وذوي الأصل الأمريكي الجنوبي والآسيوي) ولغوية (أسبانية) وسلوكية (جماعات ما يسمى بتحرر المرأة وحقوق الشواذ وأنصار البيئة و«الأصولية المسيحية») ، لتطالب بوجود متوسع ، ونفوذ قوي لها داخل المجتمع الواحد ، وهنا اتخذت قضية التعددية أبعادها المحددة التي وصلت إلى حد التبشير بالتعددية في أنماط الزي والطعام والسلوك الشخصي ، لكنها لم تصل إلى إسقاط الإطار الموحد العام

الذي يربط أشتات المجتمع الأمريكي ، فهذه التعددية مثلاً لم تتسع أو تشمل دعاة إقامة مجتمع ديني «أصولي» ، ولا دعاة إقامة نظام نازي مما يسمى باليمين الجديد المتطرف .

والحديث عن «التعددية» في بعض بلدان أوروبا الغربية كفرنسا وألمانيا وإلى حد أقل إنجلترا ، بدأ فقط تحت ضغط وجود تجمعات كبيرة ومتزايدة من المهاجرين الأجانب ، مما فتح احتمال الثنائيات بل والتعدديات اللغوية والعرقية والدينية (وأبرزها الإسلام) داخل البلد الواحد ، لكن مفهوم التعددية في هذه البلدان جرى تحجيمه في الحال ، بحيث أصبح على أحسن الأحوال لا يتجاوز مجرد السماح لبعض هذه الفئات بحقوق محدودة ، للتعبير وببعض الخدمات الاجتماعية مع كف أذى أصحاب البلاد عنها .

الخلاصة :

من الواضح أن أنماط طروح التعددية هذه تخالف تماماً النمط الذي طرحه العلمانيون في البلاد العربية ، والمخالفة في الشكل واضحة ، لكنها أوضح ما تكون في الغرض والهدف من الدعوة كما ظهر مما سبق ، ويجب على الفكر الإسلامي أن يضع هذه الفروق الجوهرية في الاعتبار عند تصديه لمناقشة هذه الفكرة ، لكن «التعددية» في طرحها المحلي تبقى كما أسلفنا «تكتيكاً» فكرياً دعائياً يحقق أهدافاً متعددة أبرزها كسب المشروعية للفكر العلماني الوافد والاحتفاظ له بمكانة مقننة داخل المجتمعات الإسلامية في وجه صعود الالتزام بالإسلام ، ثم الهجوم الدعائي على الفكر الإسلامي وتشويه صورته وإشغاله بالدفاع الاعتذاري عن النفس ، مع تحسين صورة النخبة العلمانية الساقطة وإضفاء طابع الحرية والانفتاح عليها ، وهو أبعد ما يكون عن حقيقتها .

من مكتبة «البيـــان»

* اليهودية والماسونية ، لمؤلفه : الشيخ العلامة/ عبدالرحمن الدوسري - رحمه الله - ، يقع الكتاب في (١٨٤) صفحة ، وضح فيه مؤلفه دعاوى اليهود بأحقيتهم التاريخية في أرض فلسطين ، كما كشف عن جوانب من مكر اليهود على النصرانية وعلى الإسلام ، وسعيهم الحثيث للتحكم في شؤون العالم وخيراته عن طريق إنشاء الحركات والمنظمات المشبوهة كالماسونية ، كما فضح في جزء من الكتاب بعض الشخصيات والدعوات التي صنعها اليهود وربوها ، وختم كتابه بالحديث عن الأسلحة التي انتصروا بها ، والأمور التي يجب أن ننطلق منها لمواجهة دويلتهم في المنطقة «إسرائيل» ، والكتاب من نشر دار السنة للنشر والتوزيع بالخبر.

* الخشوع في الصلاة ، لمؤلفه/ محمد عزالدين توفيق ، يقع الكتاب في ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط ، يتحدث فيه مؤلفه عن الأسباب الداعية للخشوع في الصلاة والطرق الموصلة إليه ، والكتاب يحمل الرقم (٣) من سلسلة المعالم الصادرة عن دار النشر الدولي بالرياض.

* بدائع التفسير : الجامع لتفسير الإمام ابن قيّم الجوزية ، جمع وتخريج/ يُسري السيد محمد ، يقع الكتاب في خمسة مجلدات ، وقام فيه جامعه بتتبع كلام ابن القيم في التفسير من خلال كتبه المختلفة وترتيبها حسب ترتيب

سور وآيات المصحف الشريف ، والكتاب من نشر دار ابن القيم بالدمام .

* ظاهرة النفاق خبائث المنافقين في التاريخ ، لمؤلفه/ عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني ، يقع الكتاب في مجلدين ، وقد تحدث فيه مؤلفه عن تعريف النفاق والمنافقين ، وقام بدراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين ، كما قام بنظرة استعراضية للمنافقين عبر التاريخ ، والكتاب يحمل الرقم (٧) من سلسلة أعداء الإسلام ، وهو من نشر دار القلم بدمشق .

* دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة ، للكاتب الناقد/ محمد حسن بريغش ، وهو كتاب جديد عن القصة الإسلامية المعاصرة تناول الكاتب فيه عدداً من القصص بالتحليل والنقد ، ويضم الكتاب أربعة فصول : الأول يتحدث عن ملامح القصة الإسلامية الحديثة ، وفي الثاني يعرض لسبع قصص من إنتاج الدكتور نجيب الكيلاني ، فيحللها وينقدها من خلال رؤية إسلامية لهذا الفن القصصي ، وهذه القصص التي عرضت في هذا الفصل تمثل ثلاثة عقود من تطور الكيلاني وإنتاجه . وفي الفصل الثالث عرض الكاتب آخر انتاج الكيلاني ، متمثلاً في المجموعة القصصية (الكابوس) ورواية (ملكة العنب) ، وانتهى إلى أن هذه القصص مع ثلاث قصص أخرى تعد نقلة مهمة ومرحلة جديدة في مسيرة الدكتور الكيلاني الأدبية ، ومسيرة القصة الإسلامية المعاصرة ، وفي الفصل الرابع حلل المؤلف كتاب الدكتور نجيب الكيلاني عن المسرح الإسلامي ، وتوقف عن العديد من الآراء والنظريات المطروحة في هذا الكتاب ، والكتاب نقد تطبيقي من خلال رؤية إسلامية تحاول ترسيخ قواعد للنقد الإسلامي وتحديد ملامح هذا الفن عبر التجارب الأدبية ، والإبداع الجديد ، بعد أن كثر الحديث عن النظرية والملامح بعيداً عن المجال التطبيقي .

أنشطة المنتدى الإسلامي

التحرير

سبق الحديث عن بعض مشاريع «المنتدى الإسلامي» مثل : «كفالة الدعاة ، وبرنامج شهر رمضان الماضي ، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد ، والدورات والملتقيات العلمية للمنتدى ، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم» ، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي :
- البيـان -

سادساً - مشروع مكتبة إسلامية :

الكتاب الإسلامي له دور كبير في نشر الوعي العلمي ، ونشر العقيدة الصحيحة بين أبناء المسلمين ، ويفتقر الكثيرون إلى الكتاب الإسلامي افتقاراً شديداً ، وهو لا يوجد في الغالب إلا بأيدي الطلاب الخريجين من الجامعات الإسلامية ، أما عامة الدعاة وطلاب العلم فلا يجدون المراجع الإسلامية التي يحتاجون إليها في معرفة عقائد الإسلام ، والعبادات والمعاملات الشرعية .

وفي المقابل ينتشر الكتاب الصوفي بين أيدي الناس ، فكتب المدائح النبوية والأوراد الصوفية متداولة بشكل واسع .

ومن أجل ذلك يسعى المنتدى الإسلامي إلى تجهيز مكتبات إسلامية عامة تحتوي على المراجع العلمية الأساسية في مختلف العلوم الإسلامية ، وذلك لتقريب العلم بين أيدي الدعاة وتسهيل الوصول إلى المعارف الشرعية الأصلية .

وقد أعدت اللجنة العلمية بالمنتدى ثلاثة نماذج للمكتبات العلمية :

الأول : مكتبة إسلامية كبيرة : توضع في المدن الرئيسة وفي أماكن التجمع الكبيرة للدعاة .

الثاني : مكتبة إسلامية متوسطة : توضع في المدن الصغيرة والجوامع .

الثالث : مكتبة إسلامية صغيرة : توضع في المساجد والمدارس .

وتم انتقاء الكتب بناء على الاحتياجات الأساسية للدعاة في كثير من البلاد ، وعرضت قوائم الكتب على عدد من العلماء وطلاب العلم لإبداء الرأي وإعطاء المشورة ، فرأوا مناسبتها .

ويعين المنتدى الإسلامي مشرفاً على كل مكتبة من هذه المكتبات للحفاظ على المكتبة من جهة ، ولإعانة القراء وإرشادهم من جهة أخرى .

تكلفة المكتبة الكبيرة : ١٢,٠٠٠ دولار
تكلفة المكتبة المتوسطة : ٣,٥٠٠ دولار
تكلفة المكتبة الصغيرة : ١,٧٥٠ دولار

وتشمل التكلفة : قيمة الكتب ، ومتوسط قيمة الشحن ، وإيجار المقر لمدة سنة وتأثيثه .

سابعاً - مكتبة طالب علم :

العلم الشرعي مطلب مهم من المطالب التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية قال الله تعالى : **﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾** ، فبدأ بالعلم قبل العمل ، وقد سن رسول الله ﷺ هذه السنة وأمر بها جميع أتباعه ، قال الله تعالى : **﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾** .

فالعلم الصحيح هو الذي ينير الطريق أمام الداعية ، فلا يدعو الناس إلا بمقتضى الحجة والبرهان ، وذلك يعينه في معرفة أدواء الناس ومشكلاتهم ، ثم يستطيع - بعد ذلك - أن يرتب الأولويات التي يبدأ بها بناءاً على ذلك.

ويحرص المنتدى الإسلامي على تعيين الدعاة الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح ، مع صفاء العقيدة وحسن السلوك ، والعلم هو جماع ذلك كله ولكن بسبب الضعف العام الذي يعانيه كثير من الدعاة في أفريقيا وغيرها - لغياب العلماء وقلة المراجع العلمية - لزم تنمية قدرات الدعاة العلمية ، ورفع مستوياتهم الثقافية ، ومن أجل ذلك يقدم المنتدى الإسلامي برامج متنوعة لهم منها : توفير مكتبة منتخبة لكل داعية من دعاته التابعين له ، بالإضافة إلى بعض الدعاة الذين يتوسم فيهم الخير والصلاح والجدية ، وقد راعينا في اختيار هذه المكتبة عوامل مختلفة منها :

١ - أن تكون هذه المكتبة شاملة لمعظم أبواب العلم ، جامعة لأهم الأصول التي يحتاج إليها الدعاة.

٢ - أن تلائم الاحتياجات الدعوية في المنطقة.

٣ - أن تكون سهلة العبارة سلسة العرض.

ولكي يكون الاختيار أكثر دقة وأبلغ فائدة وضعنا قائمتين : الأولى للدعاة الجامعيين ، والثانية للدعاة غير الجامعيين.

وقد تم عرضهما على عدد من العلماء الفضلاء للاستفادة من توجيهاتهم وملحوظاتهم ، وإليك بيانهما :

أولا - دعاة غير جامعيين :

١ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.
٢ - أعلام السنة المنشورة (للحكمي).

٣ - تفسير السعدي.
٤ - تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (للبسام).
٥ - صفة صلاة النبي ﷺ (للألباني).
٦ - الرحيق المختوم (للمبار كفوري).
٧ - مختصر منهاج القاصدين (للقاسمي).
٨ - فضائح الصوفية (لعبد الرحمن عبدالخالق).

ثانياً - دعاة جامعيون :

١ - شرح العقيدة الواسطية (للرشيد).
٢ - أعلام السنة المنشورة (للحكمي).
٣ - فتح رب البرية بتلخيص الحموية (لابن عثيمين).
٤ - تفسير السعدي.
٥ - فقه السنة (لسيد سابق).
٦ - تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة (الألباني).
٧ - الرحيق المختوم (للمبار كفوري).
٨ - معالم الانطلاقة الكبرى (محمد عبدالهادي المصري).
٩ - أصول الدعوة (لعبد الكريم زيدان).
١٠ - تهذيب مدارج السالكين (لابن القيم / العزي).
١١ - الموجز في الفرق والأديان (العقل والقفاري).

تكلفة مكتبة طالب علم (مع الشحن) :

أولاً : مكتبة طالب علم غير جامعي : ٥٠ دولار

ثانياً : مكتبة طالب علم جامعي : ٦٠ دولار.

ثمن الكرسي

أحمد العويمر

في كل دول الدنيا ، يرشح الوزير لمؤهلاته العلمية ، ولتجربته العملية ليتمكن من إداء رسالته على الوجه المطلوب ، انطلاقاً من إيمانه بالأيدلوجية العقدية والفكرية التي تدين بها أمته ، غير أن جل ديار العرب والمسلمين في هذا الزمان عندما يرشح الوزير فيها إنما يعود أمر ترشيحه إما لصلة حزبية أو لنزعة عشائرية أو لصداقة خاصة أو لترشيح الحزب ذي الأغلبية ، فهي في الغالب معايير لا تمت للعلمية بصلة ولا للمعرفة العملية بأي رابطة .

ولذلك ستكون عطاءات وزارة (سعادته) - إن وجدت - راجعة في الغالب على ما بناه سابقه ، وقد يتهور بنصيحة بعض المستشارين - إياهم - فيهدم ما بناه سلفه وتعود الأمور «حيص بيص» ، وفي النهاية إما أن يقال الوزير أو تقال الوزارة لفشلهما في أداء ما هو مناط بهما من مهام .

وفي أثناء ممارسة سعادته لمهام وزارته فإن عليه شروطاً يلزمه أن ينفذها ثمناً لبقائه في الكرسي ، ومنها :

* الثناء المنقطع النظير للمعطيات التي جاء بها الزعيم الهمام والتي انتشل بها البلاد وساهم في تطورها والتي لم يأت بها سواه ، وتلك المعطيات سيستمر المديح لها حتى ولو لم يرها الشعب .

* الدعوة لإعادة ترشيح الزعيم لأن البلد لم تنجب مثله ولن تنجب غيره وعليه البقاء في الحكم حتى تقبض روحه أوأن يطاح به.

* الدعوة بمناسبة وبغير مناسبة لعلمنة المجتمع: ليس بفصل الدين عن السياسة، وإنما لفصل الدين عن الحياة.

* المعارضون في نظره ليسو سوى شلل وغوغاء لا يعرفون (ألف باء) السياسة، ولو أتيح لهم المجال لأودوا بالبلاد إلى الخراب والدمار وعليهم أن يعيشوا على هامش الحياة إن لم يكونوا في غياهب السجون إن لم يكونوا على أعواد المشانق.

* أن أسلمة المجتمع تخلف ورجعية وأن الدعاة لذلك متطرفون وإرهابيون وأن على المجتمع وفئاته أن يعيشوا حياة ليبرالية لا تقيم لثوابت الدين أي احترام، بل وعلى الحكومة أن تتخذ من البرامج والخطط ما يجفف منابع الإسلام خوفاً من نشوء الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى.

إن لم يؤمن الوزير بهذه «الأفكار المتطرفة» ويعمل جاهداً على تنفيذها فإن بقاءه في كرسيه مشكوك فيه.

قولوا لي بربكم: هل هذه الأفكار أساليب عمار أم أساليب دمار؟ وهل أولئك الذين يدعون لتلك السياسات الخرقاء بناة أم هدامون؟ وهل هم مسلمون حقاً أم أنهم أدعياء ومنافقون لأنهم لا يقيمون للدين وزنا؟ وهل تستطيع مثل تلك الدول أن تسير إلى الأمام أم ستسير إلى الهاوية؟

قاتل الله اليهود فتلك مخططاتهم، وقاتل الله من سار على نهجهم ما أجهلهم، والله نسأل أن يرى العاملين للحق ما تقر به العيون وما تصلح به الأحوال، رغم كل المعوقات، وأن يخزي أعداء الإسلام وأن يريهم نهايات باطلهم المحتومة.

﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾.

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي (لندن)

رئيس مجلس الإدارة

د/ عادل بن محمد السليم

مدير التحرير

أحمد أبو عامر

المدير الإداري

د/ عادل دعبول

العنوان

AL BAYAN MAGAZINE

7 Bridges Place
Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 071 - 731 8145
Fax : 071 - 371 5307

كلمة صغيرة

الخطاب العلماني - إزاء فضحه من الإسلاميين وتعريتهم له في الكثير من الدراسات - اتخذ مساراً جديداً بعيداً عن الموضوعية التي طالما تشدقوا بها ومصادماً للحرية التي يزعمون أنها من حق الآخر ، باتخاذهم منهجاً جديداً في السب والشتم والقذف ، وحتى لا تراق مياه وجوههم لا يوقعون -أحياناً- ردحهم في العداء للإسلام ودعاته وهذا ليس غريباً عليهم فهم جبناء عند الحوار الموضوعي ، وإذا تورط أحدهم فيه ، استخدم كل مواهبه في التزوير والمغالطة والكذب لستر سوءاته ، وقد أدى بهم هذا النهج إلى التأكيد على أنهم منافقون عقدياً ، وميكيافيليون سياسياً، وسوفسطائيون فكرياً ، بل إن أحدهم سمى اهتداء الفنانات (الحرب بالنقاب)!

فماذا يبقى لكم من دعوى الإسلام إذا هاجمتوه أو أنكرتم ما جاء به؟! أو اتهمتم دعاته بأنهم دعاة للظلام والتخلف!! إن ثقة الناس في علمائهم الموثوقين لا حد لها ، مهما افتريتم عليهم أو غالطتم في حقهم.

وأخيراً نقول لكم : (إذا لم تستحوا فاصنعوا ما تشاؤون).

بســـم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تعالوا إلى كلمة سواء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد . .

لما رأى نفر من عقلاء الأمة أن قوتهم ونهضتهم لا يمكن أن تكون إلا بالعودة للأصول وبالرجوع للجذور ، وظهرت الصحوة الإسلامية على كل الأصعدة ، وإن كانت لم تسلم من بعض السلبيات إذ صارت مع اختلاف الآراء وتباين المنطلقات مجالاً للحزبية الضيقة وحب السيطرة والزعامة فنشأت اختلافات في الرؤى والمنطلقات ساهمت في إضعاف هذه الصحوة مما مكن لأعدائها من العلمانيين بشتى اتجاهاتهم المشبوهة من الافتراء عليها والدعاية الكاذبة ضدها ، ولا يكاد مجتمع إسلامي أن يسلم من الصراع المرير بين الإسلاميين والعلمانيين ووجدت بعض الحكومات في بعض البلدان فرصة في تأجيج الصراع بين الفريقين لتبقى هي المسيطرة على أزمة الأمور ، ولتنسى الشعوب المغلوبة على أمرها ما تعيشه من ظلم وفقر وجهل . .

وبما أن الإسلاميين هم أصحاب المبادىء والدعاة إلى الحق وأن فتح المجال لهم سيؤدي في النهاية لسقوط تلك الحكومات الصوتية ، لذا عمدوا إلى مضايقة التيار الإسلامي بمصادرة حقه في الوجود ، وبوضع القوانين التي تحد من دوره وفعالية تأثيره في تلك المجتمعات ، مع التفنن في وضع كل صور الاستفزاز

للإسلاميين وبخاصة في وسائل الإعلام والتعليم ، وعملوا بأسلوب معروف هو (احتواء) بعض العلماء ليكونوا ناطقين رسميين لتلك الحكومات العلمانية ضد أي رأي صادق ، وأي فكر نزيه يدعو لإعطاء الإسلام ودعاته دورهم في الإصلاح ورأينا من هؤلاء من يهاجم دعاة الإسلام بكل صفاقة لصالح من لا يحكم بشرع الله ، فإلى الله المشتكى .

هذا فضلاً عن ما تقوم به تلك الحكومات من تشجيع للتيارات العلمانية من يسارية وليبرالية ، بإعطائها حق الوجود ، وحق إبداء الرأي وبكل الوسائل المتاحة، بل وفسحت المجال للافتراء والكذب على الإسلاميين بلا وازع من دين أو رادع من ضمير ، فهل هذا من العدل أو من المساواة أو من الحريات التي طالما تشدقت بها تلك الحكومات؟! إن الحقيقة العلمية الثابتة تؤكد على أن الضغط يولد الانفجار . . !

لذا وجدنا تلك المجتمعات التي حرمت دعاة الإسلام من العمل في وضح النهار وفي الهواء الطلق ، وأطلقت العنان لغير الإسلاميين من أي توجه علماني ، بدعوى أنه لا يصح قيام تجمع من منطلق ديني لأننا - حسب رأيهم - كلنا مسلمون . . لكنها لم تحرم الأحزاب القومية أو الأحزاب الديمقراطية ، ولم تحرم الأحزاب الوطنية بالحجة نفسها ، ولكن حين نعلم السبب يبطل العجب فالمقصود هو الإسلام الذي لا يُراد له صوت مرتفع يدعو باسمه لأن الشعوب مسلمة ، وحل مشكلاتها فعلاً في الإسلام ، وحينها ستسقط الأصنام.

لقد وجدنا تلك المجتمعات التي يناوىء حكمها الإسلام ودعاته تعيش أوضاعاً مأساوية من الاضطراب وفقدان الأمن ، مما هو حديث الساعة كل يوم .

لكن حين تُحرم بعض الفئات من حقوقها وتضطهد وتُحارب في وجودها فمن يمنع اليائسين من ردود الأفعال العنيفة ومن يقنع أولئك بعدم تجاوز الحدود ومن يفهمهم بسلوك الطريق المستقيم وعدم اللجوء إلى العنف المضاد ؟!

لا يكاد يختلف اثنان في أن السبيل إلى ذلك هو إعطاء الجميع حقوقهم وعدم التفرقة في المعاملة في الحقوق المدنية ، وفتح الحوار عن طريق العلماء المعروفين بخبرتهم وماضيهم المجيد في الدعوة إلى الله ، وأن خلاف ذلك ليس من ورائه إلا سوء الأحوال مما يسر له كل عدو وشامت ، ولا نشك أن وراء تلك الفئة أناس مشبوهون يعملون على اضطراب مسار الأمة وانحرافه عن الصواب .

والملاحظ أنه عند فشل السياسات الحكومية العلمانية في حرب الدعوة والدعاة ، وحينما يكون نتيجة العنف والإرهاب الحكومي عنفاً وإرهاباً مضاداً يعلم الحاكمون بأمرهم أن اللجوء للحوار هو البديل ، لكننا نفاجأ بأن الحوار إنما هو انتقائي ، وأن فئات فاعلة لها كيانها ولها تأثيرها ، بل حتى اتجاهات فكرية تعرف بالاعتدال من كل الدارسين عالمياً ، نفاجأ أنها نُحيت عن الحوار ولا ندري مع من يتم الحوار وعلى ماذا يتم التناقش .

والويل كل الويل لمن يحتج أو يطالب حتى بتطبيق قانونهم جدلاً ، فاللجوء إلى القمع جاهز ، وإعلان الطوارىء أو الحصار أقرب ما يكون! إنه من العقل بل من الشرع والمصلحة العليا للأمة المراجعة الشاملة لسياسات الضرب بيد من حديد أو سياسات الضرب في المليان ، والعمل على جمع الأمة على كلمة سواء وأن يعطى العلماء دورهم الصحيح في الدعوة وجمع الشمل والحوار البناء قبل أن تحترق الأوراق وقبل أن نعض أصابع الندم .

إننا مازلنا ندعو إلى تحكيم شرع الله ، فهو علامة إسلامنا ودليل انتمائنا لهذا الدين ، تحقيقاً لعبوديتنا لله تعالى ، واحتراماً لرغبات شعوبنا التي تطالب بتحكيم شريعة الله والتوقف عن مهازل مجالس الشعب والبرلمانات التي تلهي الأمة بالدعوة لتطبيق الشريعة ، ثم الدعوة إلى التقنين لأحكامها ، حتى إذا أوشكت تلك المجالس على تنفيذ ذلك حلت بأمر رئاسي فتلغى تلك الجهود التي أوشكت على التمام لتبدأ من جديد انتخابات ثم مناقشات ثم دراسات ثم

تحل ، وهكذا دواليك . إن تلك الأساليب لم تعد تخفى على أحد ، فهي أساليب مخادعة ومكشوفة ، فإلى متى نخادع شعوبنا ونغالط أنفسنا؟!

إن واقع أمتنا مرير منذ أن نحيت شريعة الله ، ومنذ حكم أمتنا كل علماني عنيد يقف بكل صفاقة ضد أي دعوة إلى تحكيم الإسلام بدعوى أنه رجعية وتخلف ، فأي خير يأتي من هؤلاء غير ما نلمسه من انحراف وسوء أحوال؟ مما جرأ إحدى الدول الغربية لتضع في استراتيجيتها الاستعمارية الجديدة العمل على زيادة تأثير نفوذها في إحدى البلدان العربية ، وقد نشر هذا على الملأ ، فهل من مصلحة أمتنا أن يتحكم فيها الأجنبي وأن يبعد عنها كل مصلح غيور؟!

إننا ندعو إلى المراجعة وإلى المحاسبة وإلي الاستماع إلى كل قول رشيد يهدف إلى المصلحة العليا للأمة ، بدلاً من أن نكون معوقين للوصول إلى جادة الصواب ، ومكرسين لعوامل القلق والاضطراب . . إن علاجنا بين أيدينا لكننا نهرب عنه متشبهين بأهل الكتاب الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها .

العزاء لنا وللأمة جميعاً أن كل طاغية ينحي شرع الله ويحارب أولياءه إنما هو مُحارب لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولن يفلح مثل هؤلاء أبداً ، ولنا أمل جد كبير في الله تعالى أن يرزق الأمة الرجال الأكفاء الذين يعيدونها للمنهج الإلهي وأن يضعوا ثقتهم في العلماء المخلصين والدعاة المصلحين مع العمل لما فيه مصلحة البلاد والعباد ، وحينها سيغير الله الأحوال إلى الأحسن والأصلح بإذنه تعالى ، وما ذلك على الله بعزيز ، إن صحت النوايا وحسنت المقاصد ، وإلا فالموعد الله ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

أهل السنة والجماعة

محمد بن عبدالله الوهيبي

السنة في الاصطلاح تأتي بعدة معان[1] ولا يعنينا في هذا المقال الموجز تتبع تلك المعاني ، وإنما يعنينا أن نُعَرِّف بمصطلح «السنة» أو «أهل السنة» باعتبارها دلالة على اتجاه معين في الاعتقاد ، يقول الإمام ابن رجب - رحمه الله - : « . . . وعن سفيان الثوري قال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء»[2] ومراد هؤلاء الأئمة بـ «السنة» طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه ، السالمة من الشبهات والشهوات ، ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول : «أهل السنة من عرف ما يدخل في بطنه من حلال»[3] ، وذلك لأن عدم أكل الحرام من أعظم خصال السنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم : السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات ، وبخاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة ، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم ، والمخالف فيه على شفا هلكة ، وأما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات)[4] .

وأهل السنة هم المتبعون لسنة الرسول ﷺ وسنة أصحابه - رضي الله

عنهم - ، يقول الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - : «. . . ولا ريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه ، هم أهل السنة»[٥] .

إذاً لفظ «أهل السنة» يقصد به معنيان : الأول متابعة السنن والآثار الواردة عن الرسول ﷺ وصحابته - رضي الله عنهم - والعناية بها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، والتزام موجبها من الأقوال والأعمال في مجال العقيدة والأحكام والثاني : أخص من المعنى الأول ، وهو الذي عناه بعض المصنفين حيث سموا كتبهم باسم السنة كابن أبي عاصم وأحمد بن حنبل وابنه والخلال وغيرهم، ويعنون بذلك الاعتقاد الصحيح الثابت بالنص والإجماع ، وفي كلا المعنيين يتبين لنا أن مذهب أهل السنة امتداد لما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم - أما التسمية بأهل السنة فنشأت بعد الفتنة عند بداية ظهور الفرق .

قال ابن سيرين - رحمه الله - : «لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٦] ، وسئل الإمام مالك - رحمه الله - «من أهل السنة؟ قال : أهل السنّة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي»[٧] ، ثم لما صارت للجهمية شوكة ودولة امتحنوا الناس ودعوهم إلى التجهم بالترغيب والترهيب فآذوا الناس وعذبوهم ، بل وقتلوا بعض من لم يقل بقولهم ، فسخر الله لأهل السنة الإمام أحمد - رحمه الله - حيث صبر على امتحانهم وابتلائهم ، وناظرهم وفند حججهم وأعلن السنة وأظهرها ، ووقف في وجه أهل البدع والكلام ، فصار بسبب ذلك يلقب بإمام أهل السنة .

نستنتج مما سبق أن مصطلح «أهل السنة» اشتهر عند الأئمة المتقدمين باعتباره مصطلحاً مقابلاً لمصطلح «أهل الأهواء والبدع» من الرافضة والجهمية

والخوارج والمرجئة وغيرهم ، فأهل السنة هم الذين بقوا على الأصل الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - .

أهل السنة والجماعة :

ويطلق على أتباع مذهب السلف الصالح في الاعتقاد «أهل السنة والجماعة» ، وقد وردت أحاديث كثيرة تأمر بلزوم الجماعة ، وتنهى عن الفرقة والخروج[8] ، وقد اختلف العلماء في المقصود بالجماعة على عدة أقوال[9] أحدها أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام ، والثاني أنهم الأئمة المجتهدون والثالث أنهم الصحابة - رضي الله عنهم - ، والرابع هي جماعة المسلمين إذا أجمعوا على أمر ، والخامس جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .

وحاصل هذه الأقوال يرجع إلى معنيين : (الأول : أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع ، فيجب لزوم هذه الجماعة ، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها ، والثاني : أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع ، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه ، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة ، أو أهل العلم والحديث ، أو الإجماع ، أو السواد الأعظم . . .)[10] .

ويقول شيخ الإسلام : «وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الإجماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس المجتمعين و«الإجماع» هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين ، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة ، مما له تعلق بالدين . . .»[11] .

ومصطلح «أهل السنة والجماعة» يؤدي نفس المعنى الذي يؤديه مصطلح «أهل السنة» ، فعامة استعمالات الأئمة له مقابل أهل البدع والأهواء ، وإليك

بعض الأمثلة على ذلك :

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[آل عمران : ١٠٦] ، «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة ، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة»(١٢).

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - : (إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة ، وآخر بالمغرب فابعث إليهما بالسلام وادع لهما ، ما أقل أهل السنة والجماعة)(١٣).

إذاً يمكن أن نعتبر مسمى أهل السنة والجماعة بين الفرق ، كمسمى المسلمين بين الملل ، فالانتساب إليه والتسمي به واستعماله باعتباره دلالة على صحة الاعتقاد والمنهج ، أمر حسن وسائغ باعتباره انتساباً لاسم شرعي، وقد استعمله أئمة السلف ، ومن أكثر الأئمة استعمالاً لهذا المصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .

الأشاعرة والماتريدية ومصطلح أهل السنة والجماعة :

يكثر استعمال هذا المصطلح بين الأشاعرة والماتريدية ، ويعتبر كثير منهم أن مذهب السلف «أهل السنة والجماعة» هو ما قاله أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي ، وبعضهم يعتبر أهل السنة والجماعة «الأشاعرة والماتريدية ومذهب السلف».

يقول الزبيدي: (إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية)(١٤)، ويقول صاحب الروضة البهية : (اعلم أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة على كلام قطبين أحدهما الإمام أبو الحسن الأشعري والثاني الإمام أبو منصور الماتريدي . . .)(١٥)، أما الأيجي فيقول: (. . . وأما الفرقة الناجية المستثناة : الذين قال فيهم الرسول ﷺ : «هم الذين على ما أنا

عليه وأصحابي» فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة)[16]، ويقول حسن أيوب من المعاصرين : (أهل السنة هم أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي ومن سلك طريقهما ، وكانوا يسيرون على طريقة السلف الصالح في فهم العقائد)[17]، وعامة هؤلاء يذكرون عقائد الأشاعرة والماتريدية على أنها مذهب أهل السنة والجماعة ، وليس المقصود هنا مناقشة هذا الادعاء الباطل ، وإنما أردت ذكر فائدتين في هذا المجال هما :

١ - أن استعمال الأشاعرة والماتريدية ومن تأثر بهم لهذا المصطلح لا يغير شيئاً من حقيقة ابتداعهم وانحرافهم عن منهج السلف الصالح في أبواب كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا .

٢ - أن استعمالهم لهذا المصطلح لا يمنعنا من استعماله والتسمي به باعتباره اسماً شرعياً استعمله أئمة السلف ، ولا يعاب من يستعمله أو يُذم ، إنما يعاب إذا خالف اعتقاد ومذهب السلف الصالح في أي أصل من الأصول .

هوامش :

(١) اجتهد بعض الباحثين في تتبع معاني السنة ومرادفاتها ، ومن أوسع الدراسات في ذلك ما كتبه الشيخ عبدالرحمن المحمود في «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» ١/ ٣٨٠٤ ، وما كتبه الشيخ ناصر العقل في رسالة مستقلة بعنوان «مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة» .

(٢) رواه اللالكائي في شرح السنة رقم ٤٩ .

(٣) انظر نصاً مقارباً في اللالكائي رقم ٥١ ، وأبي نعيم في الحلية ٨/ ١٠٤ .

(٤) كشف الكربة ١٩-٢٠ .

(٥) تلبيس إبليس لابن الجوزي ١٦ وانظر الفصل لابن حزم ٢/ ١٠٧ .

(٦) رواه مسلم في مقدمة صحيحه ص ١٥.

(٧) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبدالبر ٣٥ .

(٨) انظر رسالة قيمة في هذا الباب فيها جمع للنصوص الواردة في ذلك وعنوانها «وجوب لزوم الجماعة وذم التفرق»، جمال بن أحمد بادي انظر ص ١٥-١١٧ .

(٩) الاعتصام ٢/ ٢٦٠ - ٢٦٥ .

(١٠) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ١/ ١٧ .

(١١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٧٥ .

(١٢) رواه اللالكائي ١/ ٧٢ ، وابن بطة في الشرح والإبانة ١٣٧ ، ونسبه السيوطي إلى الخطيب في تاريخه وابن أبي حاتم ، الدر المنثور ٢/ ٦٣ .

(١٣) رواه اللالكائي في شرح السنة ١/ ٦٤ وابن الجوزي في تلبيس البليس ٩ .

(١٤) إتحاف السادة المتقين ٢/ ٦ .

(١٥) الروضة البهية لأبي عذبة ٣ .

(١٦) المواقف ٤٢٩ .

(١٧) تبسيط العقائد الإسلامية ٢٩٩ وانظر التبصير في أصول الدين ١٥٣ والتمهيد للنسفي ٢ ، والفرق بين الفرق ٣٢٣ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ١٥٠ وغيرها .

فقه النوازل والواقعات

دليل على ارتباط الفقه بالحياة

- ٢ -

د. عبدالعزيز القارىء

في الحلقة الأولى من هذه المحاضرة لفضيلة الدكتور عبدالعزيز القارىء عضو هيئة التدريس بالجامعة الأسلامية في المدينة المنورة ، تطرق فضيلته إلى حقيقة الفقه وكيف أبدع الصحابة فيه ونبه فضيلته على خطر ظاهرة الاشتغال بالصناعة الحديثية على حساب الفقه بمعناه الشامل ، ثم تطرق لمسألة الاجتهاد وأثره العظيم في حياة الناس وبيان الأحكام الشرعية ، وكيف كان فقه الصحابة فقه تطبيق وليس فقه نظريات جامدة ، ونواصل معكم بقية هذه المحاضرة المهمة.

- البيـان -

نماذج من فقه الصحابة :

وسأضرب لمنهج الصحابة - رضي الله عنهم - في فقه النوازل والواقعات أربعة أمثلة :

المثال الأول - في العبادات :

الأذان يوم الجمعة : فقد كان الأذان في عهد النبي ﷺ أوله عندما يجلس الإمام على المنبر ، وكذلك في عهد أبي بكر وعمر ، وفي عهد عثمان وعلي ، كثر الناس وزاد الأذان الثالث على الزوراء[1] ، الأذان الثالث كما ورد في النص باعتبار الأذان الذي عند جلوس الإمام على المنبر وباعتبار الإقامة فإنها تسمى أيضاً أذان ، فزاد الأذان الأول على الزوراء ، وفي بعض

الروايات أن الزوراء دار كانت في السوق ، وفي بعض الروايات أنه أمر بذلك ليعلم الناس بدخول أو بحضور وقت الجمعة قبل أن يخرج الإمام إلى المسجد أو إلى المنبر .

ما كان هذا الأذان على عهد النبي ﷺ ولا على عهد الصاحبين ، وإنما هو سنّه الخليفة الراشد عثمان قياساً على باقي الصلوات ، هذا أذان لإعلام الناس بدخول الوقت في أوله ، فقاس الجمعة على باقي الصلوات ، هذه نازلة وهذا ما واجهها به الصحابة من فقه ، والصحابة في عهد عثمان عملوا بفعله في سائر المدن والأمصار ، وقد كانوا منتشرين فيها .

المثال الثاني - في الطلاق :

فقد روى مسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الطلاق كان على عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ، أن طلاق الثلاث كانت توقع واحدة ، فقال عمر : « إن الناس قد استعجلوا في أمر لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم »[٢] ، فأمضاه عليهم بمشاورة من الصحابة ، وحقيقة هذه المسألة كما أفهم - والله أعلم - أن عمر- أولاً - كان يسأل المطلق الذي أوقع الثلاث دفعة واحدة عن قصده ماذا يقصد هل يقصد إيقاعها ثلاثاً أو ما قصد إلا التأكيد وإيقاعها واحدة ، ثم لما تتابع الناس على ذلك ، وكثر منهم واستخفوا به صار لا يسأل أحداً عن مقصده ، ولا يفرق بين من يقصد التأكيد وإيقاعها واحدة أو لا يقصد ذلك ، ويمضيه على الجميع ثلاثاً ردعاً للناس الذين كثر منهم هذا واستخفوا بحدود الله عز وجل .

هذا مثال آخر لطريقة الصحابة في مواجهة النوازل ، فإن الحال في وقت عمر تغير عن الحال في وقت النبي ﷺ وأبي بكر .

المثال الثالث - حد الخمر :

وهو يشبه هذا المثال ، ولكنه في الحدود (حد الخمر) ، فشارب الخمر في عهد النبي ﷺ كان يضرب بالجريد وبالنعال ويبكّت (بمعنى أن يقال له أما تستحي أما تتقي الله . . ونحو ذلك) ، وفي عهد أبي بكر جلد أربعين ، وفي عهد عمر قال عمر - رضي الله عنه - : - ويبدو أن شاربي الخمر قد كثروا - في عهده فاستشار الصحابة ، فقال علي - رضي الله عنه - إنه إذا شربها سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى ، فجلده ثمانين مثل عقوبة القربة ، وفي رواية أن عبدالرحمن بن عوف قال له - رضي الله عنه - : إن أخف الحدود ثمانون جلده فأمضوا عقوبة شارب الخمر ثمانين جلدة ، فاختلف الفقهاء في فهم ذلك : بعضهم قالوا إن حد الخمر ثمانون ، وبعضهم قالوا حدها أربعون وما زاد فهو تعزير ، وللإمام أن يزيد تعزيراً إذا كان ذلك اجتهاد من إمام عادل .

المثال الرابع - في المعاملات :

وهو تضمين الصناع ، فالصانع إذا ادعى هلاك المتاع الذي بحوزته وليست له بينة على ذلك ، كان في عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء قبل علي يُصدَّق ، وفي عهد علي ألزمهم بالضمان ، وقال لا يصلح الناس إلا ذلك . لماذا؟ لأن الناس في عهد علي - رضي الله عنه - اختلف حالهم عن حال الناس في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وعثمان فإن التزامهم بالصدق وبالحق صار أخف مما سبق فاختلف حالهم عن ذي قبل ، ومن مثل هذا استنبط العلماء قاعدة اختلاف الفتوى بسبب فساد الناس ، كما تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من أحكام ، ففساد الناس وفساد الأحوال تتغير بموجبه الفتوى .

هذه أربعة أمثلة تبين لنا منهج السلف أصحاب رسول الله ﷺ في مواجهة ما يستجد من واقعات ونوازل ، ونستفيد من هذه الأمثلة دروساً عظيمة

لواقعنا ولحالنا - أصلح الله حالنا - ، ومنها :

١ - أن الاجتهاد لا يسوغ من كل أحد إنما يسوغ ممن له الأهلية فقط ، فإن أبا بكر أو عمر أو غيرهما من الخلفاء الراشدين ما كانوا يستشيرون كل أحد، بل كانوا يستشيرون فقهاء الصحابة وأهل العلم والرأي منهم.

٢ - ومن هذه الدروس أن الاجتهاد ليس صلاحية مطلقة للمجتهد ، بل يجب أن يكون مقيداً بالقواعد الشرعية والمبادىء الكلية والأصول المعتبرة عند الفقهاء وعند العلماء ، والتي استنبطت من الكتاب والسنة . ولو تأمل الدارس المتفقه كل مثال من الأمثلة الآنفة الذكر وغيرها من الأمثلة ،لوجد هذه الحقيقة فيها ، فإن الصحابة - رضي الله عنهم - لا يخرجون في اجتهاداتهم هذه عن المبادىء الكلية التي دل عليها الكتاب والسنة.

٣ - ومن هذه الدروس أن مدار الشرع على المصلحة : على جلب المصالح المعتبرة ، وعلى درء المفاسد المحققة فحيث ما تكون المصلحة الشرعية فثم شرع الله كما يقول ابن القيم - رحمه الله - فلا أقول كما يقول بعض الكتاب المعاصرين : إن الشريعة الإسلامية مرنة!! فكلمة - مرنة في عرفهم - تحتها ما تحتها ، لكن أقول إن الشريعة الإسلامية ، والفقه الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان مهما اختلفت أحوال الناس ، ومهما استجد من متغيرات ومَن تطورات فالمصلحة معتبرة لكن أهواء الناس غير معتبرة ، وشهوات الحكام ورغبات السلاطين غير معتبرة في الشريعة الإسلامية ولا لدى الفقهاء الذين يتقون الله عز وجل في البيان ، وهذه القاعدة (دوران الشرع على المصلحة) لا يعرفها إلا الفقهاء ولا يقدر على تطبيقها إلا الفقهاء والعلماء الربانيون.

٤ - ومن هذه الدروس أيضاً أن أصحاب رسول الله ﷺ - إضافة إلى علمهم الغزير بكتاب الله عز وجل وبسنة رسوله ﷺ ، وبفهمهم العميق للأحكام الشرعية كانوا - كما نوهت - على بصيرة كاملة بالواقع وتتعجب من اختلاف فتياهم ، فتجد الصحابي في المدينة له فتوى وفي العراق له فتوى أخرى ، وفي حالة له فتوى وفي حالة أخرى له فتوى أخرى ، كما ضربتُ في هذه الأمثلة ، وهذا يدل على أنهم متبصرين بالواقع الذي يعايشونه مدركين تمام الإدراك للوقائع المستجدة التي يواجهونها ، وهكذا يجب أن يكون الفقيه .

ومن أعجب الأمثلة على ذلك : ما رواه ابن أبي شيبة عن سعد بن عبيدة قال : جاء رجل إلى عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - فقال له : ألمن قتل مؤمناً توبة؟ قال : إلى النار ، فلما ذهب وانصرف قال له جلساؤه : ما هكذا كنت تفتينا فما شأن اليوم؟ قال : إني أحسبه مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك[٣] .

فاختلاف الحالة لدى المفتي كالطبيب يصف لكل مريض ما يناسب حاله فلو أفتى هذا بأن له توبة كأنه حرّضه على أن ينفذ ما في قرارة نفسه ، وفي رواية أنه سئل - يعني أن سائلين سألاه - فسأله سائل هل لمن قتل توبة؟ قال : لا وسأله سائل آخر في مرة أخرى فقال : نعم . فلما سئل عن هذا الاختلاف في الفتوى قال : رأيت في عيني الأول أنه يقصد القتل فقمعته ، وأما الثاني فكان صاحب واقعة يطلب المخرج .

هل تريدون مثالاً أوضح من هذا على عظم أهمية أن يكون الفقيه متبصراً بالواقع ، عالماً بأحوال الناس ، عالماً بملابسات الوقائع التي تطرأ عليه والنوازل التي تستجد ؟!

٥ - ومن أعظم الدروس المستفادة من هذه الأمثلة آنفة الذكر أن في منهج السلف أصحاب رسول الله ﷺ ما يمكن أن نسميه بالشورى العلمية فقد كان أبو بكر الصديق إذا نزلت به نازلة ، ولم يجد فيها فيما يعلم سنة عن رسول الله ﷺ يخرج إلى الناس فيسألهم ، أخرج البغوي عن ميمون بن مهران - رحمه الله - قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به بينهم قضى به ، فإن لم يكن في الكتاب ، وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله قضى في ذلك بقضاء ، فربما اجتمع النفر كلهم يذكر كل واحد عن رسول الله ﷺ قضاء ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم (لاحظ استفتاء ثم شورى أهل الفقه والحل والعقد) ، فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به . وكان عمر - رضي الله عنه يفعل ذلك إلا أنه إن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء فإن وجد أبا بكر قضى به بقضاء قضى به وإلا دعا رؤوس الناس ، فإذا اجتمعوا على أمر قضى به ومع أن هؤلاء هم من هم ومع ذلك لا يغترون برأيهم ولا يستدلون باجتهادهم ، بل يشاورون الناس وتجد الواحد اليوم مع قلة بضاعته وغلبة الهوى عليه ينفرد بنفسه بين جدران أربعة ويخرج علينا بآراء عجيبة لا فقه فيها ولا بصيرة ولا يتقي الله فيها ، ويريد أن يحمل الناس عليها . استبداد علمي مع أنه لا استبداد في العلم في الإسلام ، كما أنه لا استبداد في السياسة ، والاستبداد السياسي والاستبداد العلمي كلاهما مذموم في الإسلام .

معالم على طريق الاجتهاد :

ثم إن الاجتهاد في المسائل الاجتهادية فيما فيه مجال للاجتهاد - وإذا وقع

من المجتهدين مهما كان الاجتهاد جزئياً أو كلياً على أنواعه التي يذكرها الفقهاء - يجب أن لا يؤدي إلى التنازع والتناحر والتطاحن. انظر إلى الصحابة وخذ عمراً مثلاً وهو خليفة أمير المؤمنين كيف كان يناقشه الصحابة ويحتدون ويقولون له هذا ظلم «أتقف ما غنمناه بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا»، ومع ذلك لا يغضب . . . نماذج رائعة من أدب الاختلاف.

الاختلاف لدى السلف لا يفضي إلى التنازع والتطاحن، ولا يفسد للود قضية كما يقول العلماء، فإن التناحر والتطاحن في الآراء وفي العلم ورمي المخالف في الاجتهادات بالتهم من علامات أهل البدع كالخوارج الذين يكفرون مخالفيهم، فالمبادرة الى تكفير المخالف في مسائل للاجتهاد فيها مجال، من علامات الخوارج، وسب المخالفين ولعنهم والتشنيع عليهم من علامات الروافض، فعلى كل مسلم أن يتأدب بهذه الآداب، على كل مجتهد، على جميع أهل العلم أن يتأدبوا بهذا الأدب السلفي إن كانوا وقعوا في مسلك أهل البدع من التشنيع على المخالفين ورميهم بالتهم وتبديعهم وتكفيرهم وسبهم والتشنيع عليهم، فعليهم أن يستغفروا الله ويتوبوا إلى الله ويعودوا إلى منهج السلف.

أما أهل العلم والفقه والاجتهاد - من علمائنا على مختلف مستوياتهم ودرجاتهم أكابرهم وأصاغرهم - فإننا نطالبهم بأن يواجهوا النوازل التي وقعت بنا والواقعات التي استجدت علينا، وما أكثرها وما أخطرها مثلاً، نحن نواجه الآن في مجتمعنا هجمة علمانية ؛ هناك من يحاولون علمنة هذا المجتمع ومحاولة صبغه بصبغة العلمانية، فيدعون للفصل بين الدين والحياة وبين الفقه والمجتمع، وهذه نازلة خطيرة جدت في الأمة فالمجتمع المسلم يسير بخطى حثيثة إلى العلمانية بضغوط خارجية وجهود داخلية، أناس يتكلمون بألسنتكم

وهم من جلدتكم وهم يبذلون النفس والنفيس في سبيل تخريب هذا المجتمع المسلم ، وهذا من أعظم النوازل ، فعلى علمائنا أن يواجهوا هذه النوازل بعقلية ناضجة كعقلية السلف ، عقلية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، عقلية واعية عميقة تتقي الله عز وجل ، فإن من أعظم ما يواجه به هذا المقام أن يبين العلماء الحكم الشرعي لا يخافون في الله لومة لائم ، والحمد لله أنه لاتزال في مجتمعنا بقية من علماء يقولون الحق ولا يخافون لومة لائم ، نسأل الله أن يثبتهم ويجزيهم عنا خير الجزاء .

العالم أو المفتي الذي لا يتقي الله في بيان الحكم ، وينافق العلماء ، لا يصلح للاجتهاد ، وهو والجاهل سواء لأنه أخطر من الجاهل ، العالم يقتدى به فإذا لم يتق الله في بيان حكم الشرع بورد الأمة موارد الهلاك ، وهناك علماء للأسف ينافقون الحكام أو يخافون منهم ولا يبينون الأحكام على وجهها الصحيح ، ومن أعجب الأمثلة على ذلك مفت في بلد مسلم أفتى بإباحة الربا إذا مارسته الدولة وتحريمه إذا مارسه أفراد الشعب ، انظر إلى أي حد يصل النفاق ومداهنة الحكام ، هذا فقيه نعم ولكنه من فقهاء السلطان له سلف ، ذلك المنافق الذي رأى حماماً يلعب به الخليفة فكذب على رسول الله ﷺ ، فالحديث الصحيح لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل ، فزاد أو جناح هذا مثل ذاك فأمثال هؤلاء موجودون نسأل الله عز وجل أن يكفينا شرهم .

هوامش :

(١) الحديث بنصه البخاري ، ج١ ، ص٢١٩ .

(٢) مسلم ، ج٢ ، ص١٠٩٩ ، كتاب الطلاق ، ح/ ١٤٧٢ .

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ، ج٩ ، ص٣٦٢ ، ح/ ٧٨٠٣ .

نظرات في
علم أصول الفقة : الصعوبة والعلاج

محمد عثمان الأخضر شوشان

أصول الفقه أحد العلوم الإسلامية الأصيلة توالت المؤلفات فيه عبر التاريخ ، إلا أن ظاهرة صعوبة هذا العلم ملموسة ، وهذه الرؤية من الكاتب محاولة لعلاج صعوبة هذا العلم.

- البيان -

تعتري أصول الفقه جملة من المشكلات في جوانب مختلفة منه في مضمونه أحياناً ، وفي منهج دراسة مسائله ، ومناقشة بعضها ، وفي الأسلوب الذي سطر به أحياناً ، وفي منهج تدريسه أحياناً أخرى ، وكلها مشكلات تسببت في قلة الاستفادة من هذا العلم المهم ، لذا فهي بحاجة ماسة للحلول والعلاج من قبل المتخصصين فيه عسى الله - عز وجل - أن ينفع بها .

وأحاول في هذا المقال - إن شاء الله - تسليط الضوء على إحدى هذه المشكلات ، محاولاً طرح بعض الحلول لها حسب ما أراه مناسباً .

تتمثل هذه المشكلة في منهج تدريس أصول الفقه ، تلك التي نتج عنها قضيتان خطيرتان : الأولى عدم فهم أصول الفقه ، والثانية عدم معرفة كيفية الاستفادة منه بعد ذلك .

أما القضية الأولى : فإن طلبة العلم الشرعي في الجامعات والمعاهد المتخصصة - بله من هم دونهم - يشكون من صعوبة فهم مادة «أصول الفقه»

وتؤكد نتائج الاختبارات هذه الدعوى في كل فصل دراسي.

أما القضية الثانية: فإن هناك عدداً لا بأس به من طلبة العلم - إما لأنهم رزقوا فهماً قوياً، أو لأنهم بذلوا جهداً مضاعفاً - قد أدركوا وفهموا كثيراً من مسائل هذا الفن ولكنهم - للأسف الشديد - لا يستفيدون من هذا شيئاً في ممارساتهم العلمية، وذلك لعدم معرفتهم بكيفية الاستفادة من هذا العلم!

إن حل هاتين المشكلتين موزع - في نظري - بين أطراف ثلاثة هي:

١ - طالب العلم.
٢ - معلم مادة أصول الفقه.
٣ - المؤسسات العلمية والتعليمية المهتمة بتدريس هذه المادة والاستفادة منها.

أولاً - طالب العلم:

إن أهم مسألة ينبغي أن تتوفر لدى طالب العلم تجاه هذا الفن بعد سلامة القصد هي إدراكه للغرض من دراسته والفائدة المرجوة منه، ويحصل ذلك بمطالعة ما سطره العلماء في هذا الخصوص، ويمكن جمع ذلك في ثلاث نقاط:

١ - تحصيل ملكة الاستنباط للأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية وملكة الاستنباط هي رأس مال الجهد كما قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني.

٢ - استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة - حسب نظر المجتهد لا في واقع الأمر -، وهذا مبتغى ومطلب كل مجتهد صادق مخلص، ورفع الإثم عنه - عند الخطأ - منوط بسلوكه المنهج القويم في الاجتهاد أي اعتماده قواعده الشرعية، التي هي أصول الفقه.

٣ - معرفة سبب الاختلاف في جملة من الفروع الفقهية المختلف فيها بين العلماء إذ إن الاختلاف في القاعدة الأصولية قد يسبب اختلافاً في

أحكام الفروع الفقهية ، مما يمهد ويختصر للطالب أسباب الترجيح .

٤ - استنباط أحكام النوازل باستخدام دليل القياس أو مقاصد الشريعة .

كما على الطالب أن يستحضر أن أول من ألف في هذا الفن تأليفاً مستقلاً إمام جليل من أئمة أهل السنة والجماعة هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - مما يؤكد توجيه مسؤولية هذا العلم إلى من ينتمون إلى هذا المنهج - منهج السلف الصالح - تعلماً وتعليماً واستفادة وتجديداً .

إن إدراك طالب العلم لأهمية هذا العلم من خلال الوقوف على أغراضه وفوائده ، ثم مقارنة ذلك بحال كثير ممن تصدروا للفتيا والاجتهاد في أيامنا هذه سواء أكانوا ممن يدعون الالتزام بالنصوص الشرعية أو ممن يغلبون النظرة العقلية المصلحية على النصوص الشرعية على حد سواء ، وما ترتب على هذا من مفاسد ، لمن أهم أسباب تنشيط الهمة والجد والاجتهاد لفهم مسائل هذا العلم مهما كانت التضحية كبيرة .

ثانيا - معلم مادة «أصول الفقه» :

تنتظم الاقتراحات المتعلقة بالمعلم في هذا الموضوع في مقدمتين : المقدمة الأولى : عُرِّف أصول الفقه باعتباره لقباً بأنه (القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية)[1] ، وقد عُرِّفت القاعدة بأنها (حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه كقولنا : كل حكم دليل على القياس فهو ثابت)[2] .

المقدمة الثانية : هذه القواعد إنما يتوصل إليها لتكون عند عملية الاستنباط (مقدمة كبرى في القياس الحملي أو ملازمة في القياس الاستثنائي ، بعد أن يقدم لها بمقدمة صغرى موضوعها جزئي من جزئيات تلك القاعدة ودليل تفصيلي يعرفه الفقيه بيسر وسهولة كالأمر بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ أقيمو الصلاة ﴾

فيكون بذلك قياساً منطقياً هذه كيفيته :

المقدمة الصغرى : الصلاة مأمور بها في قوله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة ﴾ وهذا دليل تفصيلي.

المقدمة الكبرى : كل مأمور به واجب (وهذه أصولية أو دليل كلي إجمالي.

النتيجة : الصلاة واجبة (وهذه النتيجة حاصلة بإسقاط الحد الأوسط المكرر).

فمن هاتين المقدمتين ندرك أن أصول الفقه في الاصطلاح هو القواعد الكلية نحو (كل أمر للوجوب) التي يتوصل بها المجتهد إلى التعرف على الأحكام الشرعية الفرعية (كوجوب الصلاة) من الأدلة التفصيلية التي هي في هذا المثال قوله تعالى : ﴿ أقيموا الصلاة ﴾ ، وهكذا . . .[٣].

الاقتراحات المترتبة على هاتين المقدمتين :

١ - قيام مدرسي أصول الفقه بتدريسه على أساس ما عرف به سابقاً ، أي على شكل قواعد (أحكام كلية . . .) بحيث تكون القاعدة شكلاً ومضموناً هي موضوع الدرس يتناولها المدرس بالشرح والتفصيل.

٢ - قيامهم كذلك بتدريب الطلاب على كيفية الاستفادة منها عند التطبيق على الصفة المذكورة آنفاً ، مع ذكر الأمثلة الصحيحة الواقعة في مصنفات أهل العلم.

ويطلق على هذا المنهج (تخريج الفروع على الأصول) يستعين المدرس بما ألف فيه ، ومن ذلك : «أصول الشاشي» ، «تخريج الفروع على الأصول للزنجاني» ، «مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول للتلمساني» ، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للاسنوي» ، «القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام» ، وكلها كتب مطبوعة وفي متناول الجميع.

ولهذين الاقتراحين فوائد منها :

١ - سهولة حفظ القاعدة واستذكارها عند الحاجة إليها باعتبارها المقصود الأول من الدرس.

٢ - يسر الاستفادة منها عند التطبيق كما هو مبين في ترتيب المقدمات بخلاف ما لو عرضت على شكل بحث مبسوط.

وبهذا - إن شاء الله - يجد الطالب نفسه أمام سبيل لا غموض فيه، ولا صعوبة للتوصل إلى حكم شرعي في مسألة معينة، ولم يبق منه سوى بذل الجهد في تحديد الأدلة المتعلقة بمسألته.

ثالثاً - المؤسسات التعليمية والعلمية :

أرى أن المطلوب من هذه المؤسسات للمساهمة الجادة في حل هذه المشكلة جملة من الأمور :

١ - عقد ندوات وجلسات يدعى إليها المتخصصون في هذا العلم لتشخيص المشكلة، ومحاولة تقديم حلول عملية لها.

٢ - المسارعة في تنفيذ ما توصل إليه أهل الاختصاص في هذا الشأن ونشره تعميماً للفائدة.

٣ - تكليف الباحثين في الدراسات العليا ممن تتعلق رسائلهم بالأحكام بوضع فهرس للقواعد الأصولية المذكورة في بحوثهم حتى يتمكن غيرهم من التعرف على كيفية استفادتهم من تلك القواعد.

٤ - على المؤسسات العلمية التي تقوم بإصدار الفتاوى والبحوث وضع فهرس للقواعد الأصولية المذكورة في مجلاتها الدورية للغرض السابق نفسه.

غير أنه بعد قراءة هذه المقترحات يتبادر إلى الذهن سؤال مهم وهو : هل القواعد الأصولية كلها قد صيغت على شكل قواعد؟ وهل هذه الصياغة موحدة بين الأصوليين؟

لا شك أن هاتين المسألتين في غاية من الأهمية بالنسبة لزماننا هذا على الأقل ، إذ قد لا تكون بهذه المثابة عند الأوائل لاعتبارات كثيرة ، فليس سهلاً أن يقوم أي طالب أو باحث بصياغة قاعدة من بعد إدراكه للدرس ، إذ يتطلب هذا العمل الدقيق إحاطة بجميع متعلقات القاعدة ، وقد لا يتوفر هذا في غير أصحاب التخصص المتمرسين من أساتذة ومجتهدين .

لذا فإنني أقترح أن تقام ندوات وجلسات علمية يدعى إليها هؤلاء لوضع صيغ موحدة للقواعد الأصولية ، ثم نشرها ليتداولها الجميع ، علماً بأن علماءنا الأوائل قد كفونا مؤونة صياغة جملة منها ، وبخاصة القواعد المختلف فيها ومظانها كتب التخريج والأصول وأسباب الاختلاف وبعض كتب القواعد الفقهية ، وكان من منهجهم في صياغتها أن تذكر القاعدة بصيغة السؤال إن كانت مختلفاً فيها وبصفة التقرير إن كانت متفقاً عليها .

وفي الختام أسأل الله – تبارك وتعالى – أن ينفع بهذه الاقتراحات ، وأن يرزقنا الإخلاص والتوفيق في العلم والعمل .

هوامش :

(١) شرح مختصر المنتهى ١/ ١٨ .

(٢) التلويح للتفتازاني ١/ ٢٠ .

(٣) أصول الفقه للباحسين ١٢٠ .

المشكلة الاقتصادية وعلاجها من المنظور الإسلامي

- ٢ -

د. محمد عبدالله الشباني

في الحلقة السابقة تطرقنا إلى جانب من معالجة الإسلام لجانب من جوانب المشكلة الاقتصادية ، وهو جانب الندرة ، وفي هذه الحلقة سوف نتطرق إلى الجوانب الأخرى لمعالجة مشكلة الندرة ، وهذا الجانب يتعلق بدور الدولة في معالجة الندرة من خلال كيفية استغلال الموارد الطبيعية وتنميتها ، أي دور الدولة المسلمة في التأثير على الإقلال من تأثير قانون الندرة على المشكلة الاقتصادية .

إن من مهمات الدولة أن تعمل على البحث عن المصادر الطبيعية ، فقد أشرنا في الحلقة السابقة إلى الحديث الذي رواه أبو يعلى في مسنده عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ الذي جاء فيه : (اطلبو الرزق في خبايا الأرض)[1] ، ففي هذا الحديث توجيه نبوي للأفراد وللحاكم المسلم باعتباره مسؤولاً عن الأمة ، والقاعدة التي يتبعها التشريع الإسلامي هي مخاطبة الأمة فصيغت الأوامر كما جاءت في القرآن الكريم موجهة لأفراد الأمة بأجمعهم لكن مسؤولية التنفيذ تقع على الحاكم نفسه ، فمن ذلك قوله تعالى : **﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾**[البقرة : ١٧٩] ، وقوله تعالى : **﴿والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾** [النور : ٢] ، كما يلاحظ ذلك في الأحاديث النبوية الشريفة حيث يتوجه

الخطاب إلى الأمة ، لكن جهة التنفيذ هم ولاة الأمر ، وعليه فإن التوجيه النبوي في هذا الحديث يقتضي أن تقوم الدولة بالبحث عن مصادر الرزق المخبوءة في باطن الأرض.

الحديث الشريف يوضح العلاج :

إن من وسائل علاج ندرة الموارد وفق ما يشير إليه ذلك الحديث الأمور التالية :

١ - ضرورة بذل الجهد من قبل الأمة ممثلة في الحاكم المسلم بالعمل على البحث عن الموارد الطبيعية ، وتسخير القوى العاملة من الأمة بالعمل على بذل الجهد والمشقة ، فصيغة «اطلبوا» توحي بأهمية الحصول على موارد طبيعية جديدة ، أو اكتشاف مجالات جديدة في استغلال الموارد الطبيعية المتاحة ، مما يقتضي بذل كل جهد ممكن عضلي أو عقلي وبالتالي فإن مشكلة الندرة لن تحل بدون بذل الجهد والعمل ، فالله قد تكفل برزق جميع مخلوقاته ، ويؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى : ﴿ **وما من دابة إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها** ﴾ [هود: ٦] ، لكن الحصول على هذا الرزق يستدعي بذل الجهد ، كما أنه لا يقتضي كثرة الكمية المتاحة ، ولكن اكتشاف مختلف مجالات الاستخدام للموارد المتاحة يؤدي إلى إشباع حاجات الإنسان.

٢ - إن مفهوم الرزق كما أشار إليه الحديث لا يقتصر على شيء دون آخر بل يشمل كل شيء يحقق إشباع الحاجات سواء أكان الأمر يتعلق بالإنتاج الزراعي ، أو المعدني ، أو غير ذلك ، وبالتالي ضرورة قيام الأمة ممثلة في ولي الأمر بالتنقيب عن مصادر الرزق ، إذ أن المصادر مخبوءة في باطن الأرض ، فإذا تقلصت أو قلت الموارد المتاحة على وجه الأرض فلا

يعني ذلك أن الرزق قد انقطع ، والاكتشافات العلمية المعاصرة أكبر دليل على أن الله يفتح في كل يوم على البشر مصادر جديدة من الرزق سواء أكان ذلك من خلال العثور على موارد جديدة ، أو اكتشاف كميات إضافية ، أو اكتشاف مجالات جديدة لاستخدام الموارد المتاحة ، التي تساعد على إشباع متطلبات الإنسان.

يوجه الحديث الانتباه إلى حقيقة مهمة أغفلها المسلمون ولم يهتموا بها وهذه الحقيقة هي أن الأرض مملوءة بالخيرات »وأن المشكلة تكمن في الإنسان نفسه ، فالأرض تمتلك في باطنها خيرات كثيرة ، وما على الإنسان إلا أن يُعمل فكره ، ويبذل جهده في البحث عن مصادر الرزق في باطن الأرض ، ولن يكون هناك عجز في الموارد لتلبية احتياجات الإنسان إلا إذا كسل الإنسان عن البحث عنها ، أو انحرف فكره وسلوكه في استغلال ما أتاحه الله له من خيرات فصرفها في مجالات مضرة تعود بالشر عليه ، وإن الممارسات المعاصرة من قبل الدول لهي أكبر دليل على أن العجز ليس في الموارد بقدر ما هو في نوعية استغلال الجهد في ما يعود بالضرر على الإنسان نفسه.

ضرورة استغلال الموارد المتاحة :

إن من المسببات لإيجاد الندرة في الحاجات القصور في استغلال الموارد المتاحة ، ولهذا فإن من المهام الأساسية التي ينبغي على ولاة الأمر من المسلمين الاهتمام بها هو استغلال الموارد المتاحة ، وعدم تعطيلها تلك التي يمكن من خلالها سد حاجات المجتمع ، وإن ما فعله رسول الله ﷺ مع يهود خيبر لإشارةٌ واضحة الدلالة على ضرورة استغلال الموارد المتاحة ، فقد روى البخاري

والبيهقي في سننه وأحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ أعطى خيبر لليهود على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها[٢]، وفي رواية للنسائي أن رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعملوها من أموالهم وأن لرسول الله ﷺ شطر ما يخرج منها، وفي حديث آخر رواه البيهقي بسنده عن عبدالله بن أبي بكر قال: جاء بلال ابن الحارث المزني إلى رسول الله ﷺ فاستقطعه أرضاً فقطعها له طويلة عريضة، فلما ولي عمر قال له: يا بلال إنك استقطعت رسول الله ﷺ أرضاً طويلة عريضة أقطعها لك وإن رسول الله ﷺ لم يكن ليمنع شيئاً يسأله، وإنك لا تطيق ما في يديك، فقال: أجل قال انظر ما قويت عليه منها فأمسكه وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين، فقال: لا أفعل والله شيء اقتطعنيه رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله لتفعلن، فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين[٣].

من هذين الحديثين نرى اهتمام الإسلام وحرصه على معالجة ندرة الحاجات من خلال العمل على استغلال المتاح منها، والعمل على الاستفادة القصوى من الموارد المتاحة وعدم تعطيلها، فالرسول ﷺ عمد إلى علاج النقص في الأيدي العاملة القادرة على الحرث والزراعة بالاستعانة باليهود على أن يكون للمسلمين شطراً مما تخرجه الأرض، وصنع عمر - وهو ولي أمر المسلمين - مع بلال المزني باستعادته ما لم يستطع بلال عمارته مما تم إقطاعه إياه من رسول الله ﷺ، يؤكد حقيقة أن معالجة الندرة في أحد جوانبها هو العمل على استغلال المتاح من المصادر، وتدخل الدولة حسب سلطتها لتنفيذ ذلك، ولهذا نجد الواقع السيء للمجتمعات الإسلامية في عجزها عن استغلال مواردها وتعطيلها سواء أكان ذلك من خلال التنظيمات والتشريعات

المالية والإدارية المعيقة للمبادرات الشخصية ، أو من خلال تبني مناهج في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي تساعد على تعطيل الموارد وجعلها في حالة عجز دائم.

تدخل ولي الأمر للمصلحة العامة :

إن من واجبات الدولة في حالة تعطل مورد من الموارد الطبيعية - بسبب عدم قدرة الشخص على التنفيذ لنقص في قدراته المادية - أن تتدخل في تنظيم ذلك ، ففي عمل عمر - رضي الله عنه - باستعادة ما تم إقطاعه واعادة توزيعه على المسلمين ، تنفيذ لهذا الجانب من حيث عدم ترك الأرض غير مستغلة ولهذا فإن من مسؤولية الدولة وضع الأنظمة الإجرائية التي تساعد على استغلال المتاح من الموارد الطبيعية وغيرها ممن يُعجَزُ عن استغلاله بأحد عوامل الإنتاج ففي حالة توقف المصانع الإنتاجية لعدم قدرة أصحابها على الإنفاق عليها ، فإن على ولي الأمر التدخل وعدم تعطيل هذه الموارد ، فقد روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الحميدي أن عامر الشعبي حدثه أن رسول الله ﷺ قال : (من وجد دابة قد عجز عنها أهلها أن يعلفوها فسيبوها فأخذها فأحياها فهي له)[٤] ، ففي هذا الحديث إرشاد لولي الأمر أن يتدخل في حالة عجز المالكين عن استغلال عنصر من عناصر الإنتاج ، وذلك باستغلاله وفقاً للقاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار» بحيث يكون لولي الأمر وضع القواعد الإجرائية التي تساعد على تدخل الدولة في حالة توقف المصانع أو المزارع الكبيرة عن الإنتاج لعجز المالكين عن استغلالها ، مراعاة لمصلحة الاقتصاد العام للدولة ، مع مراعاة حقوق المالكين ، بشرط عدم تعطلها عن المساهمة في زيادة الناتج القومي.

أساليب تنمية الموارد:

إن من مسببات الندرة المرتبطة بالموارد الطبيعية سوء الأسلوب في استغلال الموارد المتاحة ، بحيث تؤدي إلى ضعف وعجز الموارد عن القدرة على الإنتاج وتوفير الاحتياجات ؛ ولهذا فإن طرق وأساليب استغلال الموارد الطبيعية يلعب دوراً في اضمحلال وتقلص القدرة الإنتاجية للمورد الطبيعي ، ولقد حرص الإسلام على هذا الجانب ، ووردت أحاديث عدة توجه الانتباه إلى هذا الجانب ، وإن على قادة المجتمع المسلم الاهتمام بهذا الجانب ، ومن تلك الأحاديث ما رواه البيهقي في سننه عن علي بن الحسن عن أبيه عن جده قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فقال : (يا معشر قريش إنكم تحبون الماشية فأقلوا منها، فإنكم بأقل الأرض مطراً ، واحرثوا فإن الحرث مبارك أكثروا فيه من الجماجم[5]) ، وفي حديث آخر رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب أنه قال : نهى عن الحكرة بالبلد ، وعن التلقي وعن السوم قبل طلوع الشمس ، وعن ذبح قني الغنم[6] ، وقد روى أبو داود عن عبدالله بن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ : (من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار)[7].

من هذه الأحاديث يمكن فهم السياسة التي يوجه الإسلام أتباعه إليها فيما يتعلق بأساليب المحافظة على الموارد الطبيعية ، بالعمل على المحافظة على الغطاء النباتي ، وعدم قطع أو إزالة الغطاء الشجري ، والتعامل مع الموارد المتاحة حسب طبيعة البيئة ، واستغلال الموارد وفقاً للظروف البيئية ، ونلاحظ ذلك من توجيه رسول الله ﷺ للمهاجرين من قريش بتغيير نمط الاستثمار من تربية الماشية التي تعتمد على الرعي إلى الحرث ، حيث أن طبيعة البيئة لا تسمح لهذا النوع من الاستغلال بخلاف البيئة في مكة التي تقوم على الرعي وليس على الزراعة ، كما أن الزراعة في منطقة المدينة أجدى وأكثر فائدة ، ولهذا فإنه من

الواجب استخدام البدائل والخيارات عند التعامل مع الموارد الطبيعية ، وعدم استنزاف الموارد المنتجة ، والإبقاء عليها من أجل زيادتها كما يرشد إلى ذلك الحديث الذي منع من ذبح إناث الغنم لما في ذبحها من استنزاف لمورد من الموارد المتاحة لإشباع حاجات الإنسان ، وينطبق هذا على أي مورد من الموارد المتاحة للإنسان بضرورة العناية بتنمية الموارد الطبيعية وزيادتها من خلال حسن الاستغلال .

إن ما توحي به جميع الأحاديث التي أشرنا إليها من توجيهات ، لهو مؤشر قوي على مدى حرص الإسلام على معالجة جانب ما يحدث من عجز في توفير الاحتياجات الفردية من خلال معالجة مسببات الندرة المرتبطة بالموارد الطبيعية .

---

(١) .ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد أن ابن حبان ضعفه لأن فيه هشام بن عكرمة ولكن المعنى ودلالات النص يمكن أخذها من عموم نصوص أخرى . ـ البيان ـ

(٢) فتح الباري ، ج٥ ، ص١٩ ، باب المزارعة مع اليهود ح/ ٢٣٣١ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ، والدارمي .

(٤) رواه أبو داود ح/ ٣٤٥٦ ، صحيح سنن أبي داود ح/ ٢٩٥٠ .

(٥) الجماجم نوع من المجسمات تشبه الرؤوس توضع بين الزروع والثمار لمنع الطير من أكلها .

(٦) قني الغنم أي التي تقتنى للدر الولد ، واحدتها قنوة .

(٧) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ج٢ ، ص٧٩٢ ، ح/ ٤٢٩٩ ، وصححه الألباني .

.. سددوا وقاربوا ..

محمد العبدة

جُبِلَ الإنسان على النقص والضعف ، فربما أبرم اليوم أمراً يفكر غداً في نقضه أو إصلاحه وتعديله ، وعندما يضع البشر قانوناً من عند أنفسهم لتيسير شؤون حياتهم ، سرعان ما يكتشفون أن فيه ثغرات لابد من إصلاحها ، أو أنه يكبلهم بجزئية من جزئياته ، ومن ثم يبدأ الالتفاف عليه ، أو تفسيره بما يتناسب مع أغراضهم.

نقول هذا لأنه عندما أراد المسلمون في هذا العصر ترتيب أمور الدعوة ترتيباً إدارياً ، أخذوا من البيئة التي حولهم ، فكانت هذه (التراتيب) بحاجة إلى إعادة النظر بين كل فترة وأخرى ، للبحث عن عيوبها ، وما هي أوجه النقص فيها ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، ووجد المسلمون أنفسهم أسرى لقوالب جامدة ، وشكليات صنعتها أيديهم ، لم يستطيعوا التخلص منها ، وكان الواجب أن يستفيدوا من صياغة التشريع الإسلامي كما أنزله الله سبحانه وتعالى، لأننا سنجد فيه دائماً مساحة ومرونة لزيادة العمل ، كما نجد فيه حداً أدنى وحداً أعلى ، قال تعالى عن حال الدائن والمدين : **﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**[البقرة : ٢٨٠] والدفاع عن النفس ضد الظلم حق ، ولكن التحمل والمغفرة أجمل : ﴿ ولمن

صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾[الشورى : ٤٢] ، ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾[البقرة : ٢١٩].

لماذا لم يستفد المسلمون من هذه السنة في تدبير الخلق ، حتى كان من آثار هذا الجمود والضيق أن عُطلت طاقات ، وأهدرت إمكانات؟ فكم من شاب متحمس أو داعية له قدم راسخة لم يستفد منه لأن طرائق العمل لا تستوعب الجميع ، ولم يكتف المسلمون أنهم ضعاف في اكتشاف الطاقات الفاعلة ، بل زادوا على ذلك أنهم خسروا كثيراً ممن عندهم خير وعلم ، وقراءة في تاريخ الدعوة الإسلامية المعاصرة تنبئك عن العشرات والمئات الذين لم تستوعبهم الدعوة ، وربما وجدوا أنفسهم أمام طريق مسدود ، فاختار بعضهم القيام بجهود فردية ، ومنهم من أصابه الفتور وآثر العزلة.

يقول بعض المفكرين : «إن من أسباب تقدم الإنجليز على من سواهم من الشعوب الأوروبية في بداية نهضتهم هذه ، المرونة في تنظيماتهم وكل شؤون حياتهم ، فنراهم دائماً يتركون مساحة للتحرك من خلالها ومحاولة التخريج والاجتهاد».

هذا ما توصلت إليه عقولهم البشرية ، أما المسلمون الذين يحملون فكرة التجديد فهم يستهدون بالسيرة النبوية وأسلوب الرسول ﷺ في معاملة صحبه الكرام ، ويتأملون أسرار نزول القرآن منجماً خلال ثلاث وعشرين سنة ، وكيف تربى المسلمون من خلال هذا التنزيل ، وإذ فعلوا هذا فإنهم سيصلون إلى نتائج طيبة بإذن الله.

أقوال منسية حول «التغريب»*

د. أحمد إبراهيم خضر

منذ العشرينيات من هذا القرن والباحثون الغربيون المتخصصون منشغلون بقضايا تغريب العالم الإسلامي بعامة ، وما يسمونه بمنطقة الشرق الأوسط بخاصة ولا يكاد يخلو أي كتاب أو أي مقالة تتعرض لحياة المسلمين من إشارة هنا وأخرى هناك لهذا التغريب ، إلى الدرجة التي حدت بهؤلاء الباحثين إلى القول :

«إن مظاهر التغريب عند شعوب الشرق الأوسط مشاهدة تماماً وبدرجة كافية وإنه لمن السهل عليك أن تضع قائمة طويلة توضح لك كيف أن هذه المظاهر التقليدية التي كانت سائدة منذ مائة أو مائة وخمسين عاماً قد اجتاحتها رياح التغيير ، واستبدلتها بقيم أدخلها الغرب».

لم يكن تغريب المسلمين مسألة متروكة لمجرد الاحتكاك بين الثقافتين الإسلامية والغربية، ثم متابعة آثار هذا الاحتكاك على الإسلام والمسلمين ، إنما كانت سياسة موجهة ومدروسة ، تستند إلى تنظير خاص، يعتمد في جزء كبير منه على تجارب الاحتكاك بين الإسلام والغرب في الماضي ، وعلى تجربة الثورة الصناعية وما تلاها من آثار على البناء الاقتصادي والاجتماعي والتقني الغربي ، ثم على تحليل مسألة اتساع الهوة بين هاتين الثقافتين بعد الثورة الصناعية ؛ بسبب الاستقرار الثقافي في بلاد المسلمين ، وتلك التراكمات التي أخذت مكانها في الغرب.

نظرية ومكاسب:

استندت عملية تغريب المسلمين إلى ما يسمى بنظرية (تشويش الأحكام

القيمية) أو إيقاع الاضطراب في هذه الأحكام ، وتقوم هذه النظرية على الأساس التالي :

«هناك توازن وتوافق بين عناصر ثقافة المجتمع التقليدي المستقر جيداً ، بمعنى أن القيم التي تحكم وتسود هذا المجتمع تتسق وتؤيد واقعه المعاش ؛ ولهذا تتميز ثقافة هذا المجتمع بالتماسك والتوازن الداخلي.

ويمكن للواقع الثقافي أن يعير وأن يستعير عناصر من ثقافة أخرى مخالفة بصورة أكثر سرعة من استعارة القيم الثقافية ، ولهذا يصعب حدوث تغير في القيم في الوقت الذي يسهل فيه حدوث تغير في الواقع.

وعندما يحدث اتصال بين ثقافتين مختلفتين ، فيدخل واقع جديد إلى إحداهما يمكن هنا أن يتحطم التوازن القديم ، وتتغير القيم الثقافية بتغير الواقع الذي كانت تحكمه وإن احتاج الأمر إلى بعض الوقت ، بسبب هذه الصلة العاطفية التي يحيط بها المجتمع ثقافته الخاصة ، ومقاومته لإدخال أي محتويات ثقافية غريبة أو جديدة.

وهذا لا يعني بالطبع أن مكونات الواقع في ثقافة ما يمكن أن تزرع في ثقافة أخرى دون أن تسبب تغيرات في قيمها ، أو أن قيم ثقافة ما يمكن أن تفرض على الثقافة الأخرى دون أن تحدث تغيرات في مكونات هذه الثقافة ؛ لأن التناسق المحكم والاعتماد المتبادل بين مكونات الواقع والقيم الثقافية يجعل من غير الممكن أن تدخل تغيرات في واحدة منها دون أن تحدث تغيرات في الأخرى».

بهذه النظرية دخل الغرب إلى حياة المسلمين ساعياً بمختلف طاقاته الثقافية والعسكرية والاقتصادية والتقنية إلى إدخال واقع جديد - يخص ثقافته هو- على ثقافة المسلمين ؛ ليحطم التوازن القائم بين واقعها وقيمها ، ويغير من قيمها حتى تصبح مناسبة للواقع الجديد الذي أدخله عليها ، ولقد حقق الغرب هنا مكسبين مهمين : **أولهما** أنه بتحطيمه لهذا التوازن المشار إليه أوجد هوة عميقة بين الإسلام والمسلمين ، ودمر الصلة العاطفية التي تربط المسلمين بإسلامهم والمكسب الآخر : أنه وهو يخترق هذه الهوة ليملأ الفراغ المترتب عليها حرك الأمور بالطريقة التي تمكنه من تحقيق مكاسب مادية ضخمة على حساب هذا

الكيان المنهار.

سنقتصر في مقالتنا هذه على عرض وتحليل ثلاثة من عناصر هذا الواقع الجديد الذي أدخله الغرب على حياة المسلمين فدمر التوازن القائم في ثقافتهم.

اولا - صنع هيبة الغرب :

- لم يكن هذا الواقع موجوداً من قبل ، كانت العلاقة بين المسلمين وغيرهم تقوم على أساس «الإسلام والكفر» ، وجاء الغرب وأدخل واقعاً جديداً . . فبعد أن تمكن من إيجاد موطىء لأقدامه في بلاد المسلمين ، أحاط نفسه وأهله بهالة من الهيبة والاحترام ، وفرض نفسه على النظام الاجتماعي القائم في بلاد المسلمين، وتقلد الوظائف القيادية ، وساهمت حكومات بلاد المسلمين العلمانية في تدعيم هذه الهيبة ؛ بوضع أبناء المستعمر في مواقع قيادية مهمة وسمحت لهم بالحضور إلى مناسبات وطنية وغير وطنية ، لا يدعى إليها عادة إلا كبار رجالات الدولة وعلية القوم فيها.

وزاد الغرب من هيبته في عيون المسلمين بما أدخله عليهم من صناعات وتكنولوجيا ومعرفة في ميادين مهمة انفرد بها ، وكان نتيجة ذلك أن ظهر الغربيون للمسلمين على أنهم هم الأسمى وهم الطبقة العليا.

وهنا تغيرت القيم فأصبح الغرب وأهله هدفاً مرغوباً يسعى بعض المسلمين للانتفاع به ، كما ينتفعون بصناعاته ومنتجاته ، وسهلت هذه الهيبة عند المسلمين طريق محاكاة أسلوب الحياة والسلوك والأخلاقيات والاتجاهات الغربية ، ثم جاء الانهيار الكبير حينما قلد المسلمون الغربيين في فتورهم نحو دينهم وعدم مبالاتهم به وهو عين ما كان يهدف إليه الغرب.

يقول (روفائيل باتاي) أستاذ علم الإنسان في (دوبسيي كوليج) بفيلادلفيا وجامعة كولومبيا في الخمسينيات من هذا القرن :

«... بينما تكشف لنا البدايات التقنية للتغريب عن هذا النجاح العالمي الذي حققته ، تأتي هناك عوامل أخرى أبرزها (نظام الهيبة الجديد) الذي تسرب الغربيون عن طريقه إلى قطاعات الناس المختلفة ،وتمكنوا من السيطرة والرقابة على

الوظائف المهمة ، وفرضوا أنفسهم على النظام الاجتماعي ، وظهروا للناس على أنهم هم الأسمى وهم الطبقة العليا.

ليس من السهل أن نحلل المكونات المتعددة التي تصنع الهيبة الغربية ، لقد كان عنصر القوة هو العنصر الأكثر أهمية في أيام الاستعمار الأوربي ، إلا أن هذا العنصر قد استبدل الآن بمزيج متعدد المكونات : مثل الثروة ، وتملك الآلات والمعدات الغربية ذات الهيبة ، أو المعرفة الخاصة في ميادين ذات أهمية متزايدة كالطب والزراعة وغيرهما ، وشغل مراكز تحظى بالثقة والنفوذ تمنحها الحكومات المحلية للغربيين ، والسماح لهم بالحضور الحر في مناسبات معينة مثلما يسمح تماماً وبدرجة متساوية للقيادات العليا في الدولة. إن الهالة والهيبة التي تحيط بالغربي غلفت ثقافته تماماً ، فأصبح اكتساب الثقافة الغربية نتيجة لذلك هدفاً مرغوباً فيه اجتماعياً يفوق بدرجة كبيرة الانتفاع المعترف به لمنتجات هذه الثقافة».

وفي معرض حديثه عن تخلي المسلمين عن مناهجهم التقليدية في الطب واتباعهم لمناهج الطب الحديث يقول (باتاي) في وثيقته :

«إن البحث في الأسباب التي أدت إلى التغيرات في الاتجاهات العقلية التي سادت منذ قرون ، لا يجعلنا نرد هذه التغيرات العقلية إلى الاهتداء المفاجيء إلى التفكير الأكثر عقلانية ولكن إلى (الميل للغرب) .. من أين أتى هذا الميل ؟ !

تكمن الإجابة على هذا السؤال في هذه الهيبة للغربيين وثقافتهم ، إن الهيبة التي يتمتع بها كل شيء غربي في عيون شعوب الشرق الأوسط أوجد فيهم نزوعاً إلى محاكاة كل الطرق الغربية ، إنه أدى إلى رغبة خانعة ليس فقط في الحصول على المعدات الغربية ، ولكن رغبة في تقليد السلوك والاتجاهات الغربية كذلك. لقد قبل الطب الغربي ليس لأنه أظهر أفضلية ولكن لأنه طب غربي ، تبنى سكان الشرق الأوسط ازدراء الغرب للممارسات السحرية وغير العلمية ، ليس لأن ذلك له قيمة فحسب ، ولكن لأنه أمر مؤكد جاء به الغرب (المهاب)».

وعن (اللامبالاة) وعدم الاكتراث بالدين التي قلد فيها المسلمون الغرب يقول (باتاي) :

«... وهنا ظهر على المسرح (الغربي) المحمل بالهيبة والذي يحتل وضعاً أعلى ويحمل ثقافة تستحضر الرغبة في محاكاتها : أن هؤلاء الأجانب لا ينتمون فقط إلى دين مختلف ، ولكن اتجاهاتهم نحو دينهم المسيحي كانت فاترة فكان من الطبيعي أن يقلد هؤلاء المعجبون بالطرق الغربية من مجموع ما قلدوه الفتور نحو الدين واللامبالاة به ، فأظهروا عدم الاهتمام بدينهم هم».

ثانيا - علمنة الأسرة :

ينظر الغربيون إلى الأسرة المسلمة على أنها أسرة ممتدة ، والأسرة الممتدة في المصطلحات الغربية هي الأسرة التي تتكون بنائياً من ثلاثة أجيال أو أكثر ، وتضم الأجداد وأبناءهم غير المتزوجين والمتزوجين (أو بناتهم) وتضم أحفادهم كذلك .

سعى الغربيون نحو علمنة الأسرة المسلمة ، وإلى أن تكون الأسرة الغربية وأشكالها الاجتماعية هي النموذج الجديد الذي يجب على المسلمين الاقتداء به . عمل الغرب على فصل الأسرة المسلمة عن الدين ، وذلك بكسر قبضة الدين من تلك الأسرة الممتدة وتقليص اعتماد الفرد عليها ، والقضاء على تكامله معها وتدمير سلطة الأب على أولاده ، وانفلات الأبناء من الأسرة ؛ حتى ينفلتوا من الجو الديني العام الذي يحيط بالأسرة ، والنظر إلى كل ذلك على أنه ماضٍ يجب أن يرفض .

يقول (باتاي) :

«في الوقت الذي كان فيه التأثير المباشر للبعثات التنصيرية على الحياة الدينية في الشرق الأوسط تافهاً ، تميز الغرب بموقفه البارد تجاه الدين لأن الدين في الشرق الأوسط في ظل الظروف التقليدية هو طريقة كلية للحياة : التنظيمات المهنية هي تنظيمات دينية ، ارتداء الزي المحلي أمر يقره الدين الطب والتعليم مهنتان دينيتان ، سلطة الدولة نفسها تقوم على الدين ، ليس هناك ترتيب هرمي في الإسلام كما هو في الكنائس المسيحية ، وليس هناك قسيس أيضاً ، العديد من سكان الحضر منتظمون في دوائر دينية ، والكثير من العائلات سواء أكانت في الريف أو الحضر تحظى بتأييد المؤسسات الدينية ، أما

أكثر المؤسسات التي تمسك بقبضتها على الفرد فهي الأسرة الممتدة ، اعتماد الفرد على أسرته وتكامله معها مسألة عالية الأهمية في ثقافة الشرق الأوسط إلى درجة أنها تعد ثقافة القرابة ، الأسرة هنا مؤسسة دينية يعضدها الدين ، أي أن الدين يعضد الأسرة ، وهي بدورها تعضد الدين .

ولما جاء التغريب أحدث انهياراً في السلطة الأبوية ، وحطم الأسرة الممتدة وغيّر نظام الاقتصاد العائلي بسبب حركة الهجرة من القرية إلى المدينة إلى نظام اقتصادي يقوم على علاقات غير شخصية ، أصبحت الأسرة الغربية وأشكالها الاجتماعية نموذجاً يحتذى به بين الطبقات العليا والوسطى ، ولم يترتب على هذه الأمور مجرد تغير جوهري في طبيعة الحياة الأسرية ذاتها فقط ، وإنما ترتب عليها أهم من ذلك كله وهو (علمنة الأسرة) وابتعادها عن الدين ، فحينما ينفلت الشاب من قبضة أسرته كان يخلف وراءه هذا الجو الديني الهام الذي كان يحيط به فيصبح رفضه لهذا الجو جزءاً من رفضه للماضي ، ولهذه الأسرة التي تحكم قبضتها عليه .

ثالثا - الحياد الموجه للمشروعات الاقتصادية والفنية الغربية :

هناك الكثير من المشروعات الاقتصادية والفنية الغربية العاملة في البلاد الإسلامية مهمتها الأساسية استنزاف خيراتها وربطها بالغرب ، ولقد حرص الغربيون وهم يدخلون هذا الواقع الجديد إلينا - هذه المشروعات - على تجنب الخوض المباشر في أي موضوعات تتعلق بالعقيدة الإسلامية ، وتركوا هذه المهمة للبعثات التنصيرية - بالرغم من تسليمهم بمحدودية عائدها - وللشيوعية لكنهم - أي الغربيين - أولوا الشيوعية اهتماماً وثقلاً أكبر ، فهي في نظرهم التهديد الحقيقي الخطر على عقيدة المسلمين الذي يمكن أن يطيح بتوازنهم الاجتماعي الثقافي ، وقد تركزت الجهود على إقناع المسلمين بأن الشيوعية لا تتطابق مع الإسلام فقط بل إنها التعبير الحقيقي للشكل النقي من الإسلام في أصوله الأولى! ولا يهم هنا أن يكون نظام الحكم القائم في بلاد المسلمين شيوعياً بقدر ما يهم تدمير بنائهم الاجتماعي الثقافي الكلي .

يقول (باتاي) :

«تميز مدخل الغرب في الشرق الأوسط في السنوات الأخيرة بصفة خاصة بالاعتناء الشديد بتجنب الخوض في أي قضايا أيديولوجية ، والتركيز على الناحية الفنية فقط بالنسبة للمشروعات الاقتصادية والفنية وما هو على شاكلتها ، دخلت هذه المشروعات إلى الشرق الأوسط عبر الولايات المتحدة والأمم المتحدة ومعها توجيه أساس بعدم التدخل في القيم والأيديولوجيات الخاصة بالبلاد.

لكن الأمر يختلف بالنسبة للبعثات التنصيرية ، فليس أمر الكف عن التدخل الأيديولوجي موضع حرية اختيار هنا ، إلا أنه يجب أن يوضع في الاعتبار رد فعل المجتمع الإسلامي للمحاولات المكشوفة لتنصيره ، لقد نجحت البعثات التنصيرية في علاج عشرات الآلاف من المسلمين ، كما علمت الآلاف من مرضى الأطفال المسلمين ، وربما أثرت بسلوكياتها ومثلها على النظرة الأخلاقية للعديد من المسلمين ، ورغم ذلك فإن الذين تحولوا إلى النصرانية قلة قليلة. إن الدين في الشرق الأوسط يشغل وضعاً محورياً في بنائه ؛ ولهذا يعتبر التنصير عند المسلمين ردة يترتب عليها أن ينفصل المسلم إذا تنصر عن الأسرة والمجتمع والقيم الثقافية ويتعرض لنبذ أصدقائه والمحيطين به ، وأهم من ذلك كله أن اعتناق الإسلام اعتقاداً ثابتاً لا يهتز والنظرة إليه على أنه الدين الحقيقي يعني أن الردة عنه غباء كامل.

رابعا - *تغريب النخبة* :

عمد الغرب بهذا الواقع الجديد إلى ضرب التوازن المستقر الذي أوجده الإسلام بين طبقات المجتمع المختلفة وإلى تمزيق الشرايين الحيوية التي تجري بين الطبقات العليا والدنيا وإيجاد تناقضات بينها ، إلى أن ينتهي الأمر بأن تنظر الطبقة العليا إلى الطبقة الدنيا على أنها جماعة من المتخلفين البدائيين الذين يمثلون ما يسميه الغرب «بالوجه الفقير لثقافة الإسلام التقليدية».

وحتى تتسع الهوة بين هاتين الفئتين عمد الغرب إلى ما يلي :

١ - تغريب واحتضان الطبقة العليا التي تملك المال الوفير والفرص المتاحة للسفر والاتصال بالغرب وشراء منتجاته وتبني نمط حياته ، ثم استغلال الدافع الكامن عند الطبقة الدنيا التي تسعى إلى تسلق السلم الاجتماعي لتكون قريبة من الطبقة العليا بإتاحة الفرصة لها لاكتساب الخاصية التي

تفردت بها هذه الأخيرة.

٢ - تدمير الجسر الثقافي الذي يربط بين الفئتين السابقتين بتحويل الطبقة العليا إلى جماعة من المستهلكين الشرهين لكل ما هو مستورد وقادم من الغرب، بعد أن كانت هذه الطبقة تستخدم أحسن وأجمل وأفضل القوى الثقافية المتوافرة في الأرض الإسلامية، لقد كان هذا الاستخدام في حد ذاته أساساً من أسس توحد الطبقة العليا في المجتمع مع باقي الطبقات.

لم يكن تغريب الطبقة العليا إلا أحد أوجه سلسلة الواقع الجديد الذي أراد به الغرب ضرب التوازن الاجتماعي المستقر في البلاد الإسلامية، وهناك وجهان آخران: أولهما إيجاد طبقة جديدة من العمال الحضريين المحرومين، ولقد جندت هذه الطبقة من المدن ومن الريف؛ لدفع عجلة التصنيع الفجائي والمفروض الذي أدخله الغرب على عالمنا الإسلامي، لقد عاشت هذه الطبقة ظروفاً صعبة وقاسية ولم يكن المهم أن تعيش هذه الظروف فقط، وإنما كان المهم أن تحرم من الإشباعات العاطفية والروحية التي يمنحها الدين والأسرة الممتدة لأفرادها. كان تجنيد هذه الطبقة من الريف لتحقيق هدف مهم آخر سعى إليه الغرب وهو إيجاد ما يسمى (بثنائية الريف - المدينة) حيث القدر الأكبر للمدينة وكل ما قدم منها ويرمز لها، مع الحط من قدر الريفيين والعمل على هجرتهم إلى المدينة لتشكيل الطبقة الجديدة وتركيز المهنيين (الغير مهمين) والمثقفين في المدينة على حساب المهنيين الذين تشتد الحاجة إليهم كالأطباء والمهندسين وغيرهم.

هذا هو الوجه الأول، أما الوجه الثاني: فقد كان تدعيم الطبقة الوسطى وإضافة فئات أخرى لها تشابه أكثر وأكثر مثيلتها في البلاد الغربية، ويعهد إليها بمهمة التطوير الثقافي للبلاد لحساب الغرب.

خامسا - إدخال الصناعة والتكنولوجيا:

لم يكن التصنيع (الحديث) والتكنولوجيا واقعاً قائماً في بلاد المسلمين فجاء الغرب وأدخلهما - عن عمد - كواقع جديد بهدف إحداث اضطراب خطير في النسيج المكون لثقافة المسلمين أولاً، ولضمان تبعية المسلمين له واستنزاف خيراتهم بطريقة عصرية، لأن الطرق القائمة لا تسعفه في تحقيق هذا الاستنزاف.

دمر الغرب الصناعات المحلية ، وقضى على المهن التقليدية ، ونشر بضائعه الاستهلاكية ، وأرغم الصنّاع والحرفيين إما على الخروج من الساحة والانضمام إلى ركب العمال الحضريين ، أو تعديل خبرتهم الفنية بحيث ينتجون بضائع ذات نمط غربي يعرف الغرب أنها لن تقوى على المنافسة أمام بضائعه التي تستخدم التقنية الحديثة العالية الجودة المعدلة وفقاً لأذواق المسلمين ، ثم نافس الغرب بعد ذلك المشروعات الصناعية القائمة ، وأدخل مناهجه الغربية في إنتاج ما يصنع محلياً.

اعتقد المسلمون أنهم وهم يستخدمون المعدات والتقنية الغربية قد وصلوا إلى مرحلة من التقدم الاجتماعي ، وأن التغير الذي حدث عندهم بسبب هذا الاستخدام تغير محدود لن يؤثر على قيمهم الأساسية ، ولم يدرك المسلمون وهم في وهم هذا التقدم أن الغرب قد وقف بهم عند حد (طريقة الاستخدام) ولم ولن يصل بهم أبداً إلى (طريقة الإنتاج) . . لم يكن المسلمون وهم يستخدمون الصناعة والتقنية الغربية يقفون عند الحدود الشرعية التي تحدد لهم الفرق بين الانتفاع بالثقافة وبين التأثر بهذه الثقافة ، في حين أن الغرب كان يعلم تماماً أن استخدام أي عنصر ثقافي غربي لابد وأن يؤدي بالضرورة إلى استخدام عنصر آخر ، وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى تبني طريقة الحياة الغربية ذاتها .

حال الغرب دون تمكين المسلمين من صناعة الآلات التي توجد فيها باقي الصناعات ، فلم توجد لدينا المصانع التي تصنع الآلات من (موتورات) وخلافه ولم تتوفر لدينا آلات من صناعة البلاد تمكننا من صناعة باقي المصانع ، ولقد أعاق الغرب صناعة الآلات في بلاد المسلمين بحجة أنها تحتاج إلى وقت طويل وأنه لابد لنا من صناعة الحاجات الأساسية ، فانصرف المسلمون إلى الصناعات الاستهلاكية وأصبحت بلادهم سوقاً لمصانع أوربا وأمريكا ، وأرسلت أكثر البعثات إلى الخارج لا لتعلم صناعة الهندسة الثقيلة وصناعة الفولاذ ، ولكن لدراسة الآداب واللغويات والعلوم الإنسانية والاجتماعية التي توسع الهوة بين المسلمين وثقافتهم ، فانصرفت البلاد إلى صناعة المنسوجات والورق وخام الحرير ، وأهملت صناعة الآلات .

وبدلاً من استقدام خبراء صناعة الآلات استقدمت الخادمات والمربيات الأجنبيات ، صاغ الغرب لنا كتبنا خاصة في النمو الاقتصادي ، فجعلنا نعتقد أننا لابد وأن نسير في عدة مراحل وبشروط معينة حتى نصل إلى مرحلة التقدم فأطال أمامنا أمل تسلم زمام رأس الصناعة ومنبعها وهو (صناعة الآلات) .

أجبرنا الغرب على شراء المصانع والآلات منه وبثمن باهظ ، وإذا أصيبت الآلات بعطب أو كسر اضطررنا لاستقدام خبرائه لإصلاحها أو استيراد الآلة منه وإلا تعطلت المصانع كلية .

لم تكن لبلاد المسلمين سياسة اقتصادية محددة في أن تكون هذه البلاد (صناعية) بمعنى (أن تصنع الآلات) ، ولهذا لم تخلص بلادنا حتى الآن ولم تستغن عن الغرب لكنها أصبحت بدلا من ذلك أكثر ارتباطاً به وبمنتجاته وآلاته والأهمَ من ذلك كله بطريقة الحياة الغربية .

يقول (باتاي) :

«ما أن وجد الغربيون لأنفسهم قدماً في قلب الشرق الأوسط حتى بدأوا في إظهار (تكنولوجيتهم) ونشر مظاهر معينة منها عمداً وعرضاً بين السكان المحليين . إن المظاهر التكنولوجية للثقافة هو إيسر ما يمكن أن يستعار ، وهذا صحيح فقط عند النظر إلى (استخدام) المنتج التكنولوجي وليس (إنتاجه) . إنه يصعب عليك أن تصنع مضخة مياه تعمل بمحرك لكنك تستطيع في دقائق قليلة أن تتعلم كيف تستخدمها ، وأن تتعرف على مزاياها التي تفوق استخدامك للأسلوب القديم لرفع المياه عن طريق (الشادوف) .

إن قبول سكان الشرق الأوسط للتكنولوجيا الغربية بالإضافة إلى إمكانيات نقلها ووظيفتها الكبرى كمؤشر هام للتقدم ، قد تيسر بواسطة حقيقة مؤداها أنها لا تشغل وضعاً مهماً في ثقافتهم الخاصة . . وبمعنى آخر إن شعوب الشرق الأوسط مثل أصحاب أي ثقافات أخرى لم ترَ أن مجرد التحول إلى استخدام المعدات الغربية يعني أن قيمهم الأساسية سوف تتأثر ، بل رأت أنه مجرد تغير ذو أهمية قليلة ، وأخيراً أدركت بعد أن فات الأوان أن قبول أي عنصر ثقافي غربي منفرد يؤدي إلى قبول عناصر أخرى أكثر وأحدث فتكون

النتيجة إحداث اضطراب خطير في النسيج الحيوي المكون لثقافتهم التقليدية.

إن مقارنة نمو التصنيع الغربي بتصنيع الشرق الأوسط يبين لنا أن تصنيع الأخير كان محدوداً وفجائياً، بالإضافة إلى أنه مفروض من الخارج، ولم ينمو عضوياً في بيئته المحلية، ولهذا كان من المحتمل أن يصاحب بتوترات قاتلة يترتب عليها انهيار الأشكال التقليدية من التفاعل الاجتماعي الذي تميزه العلاقات الشخصية والأسرية وانتشار المكانات الموجهة قرابياً، وتحوله إلى الأشكال الغربية من التفاعل الاجتماعي الذي يقوم على العلاقات غير الشخصية».

هذه خمسة عناصر من عناصر هذا الواقع الجديد الذي أدخله الغرب على حياة المسلمين لتغريبهم وتدمير التوازن القائم في ثقافتهم، وتندرج جهود الغرب هذه تحت قوله عز وجل **﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق ﴾**[1]، وتشير الوقائع السابقة إلى أن الغرب قد نجح إلى حد بعيد في جهوده تلك رغم التحذير الذي وجهه الله عز وجل للمسلمين من اتباع سبيل الكافرين كما جاء في قوله تعالى: **﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم ﴾**[2]، وقوله تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾**[3] وقوله تعالى: **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حاد الله ورسوله ﴾**[4] ... إلى غير ذلك من الآيات.

لكن نجاح الغرب في تغريب المسلمين لم يكن راجعاً إى كفاءة تنظيره المدروس الذي أسماه (تشويش الأحكام القيمية)، فليس هذا التنظير كما يخيل للبعض بجهد إبداعي خلاق يضيف هيبة أخرى إلى هيبة الغرب الحالية في عيون المسلمين. إن هذا الجهد يتضاءل أمام قاعدة ابن تيمية - رحمه الله - التي يقول فيها: «إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة في الأخلاق والأعمال ... فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة، فكيف بالمشابهة في أمور دينية .. فإن إفضاء هذا النوع من الموالاة أكثر وأشد والمحبة والموالاة لهم - أي اليهود والنصارى - تنافي الإيمان».

ويرجع نجاح الغرب في تغريب المسلمين إلى سببين أساسين :

الأول : أن هذا هو قضاء الله عز وجل النافذ فيما أخبر به رسوله ﷺ مما سبق في علمه ، فقد قال ﷺ : (لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة حتى لو دخلوا مجر الضب لدخلتموه ، قال يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟)[٥].

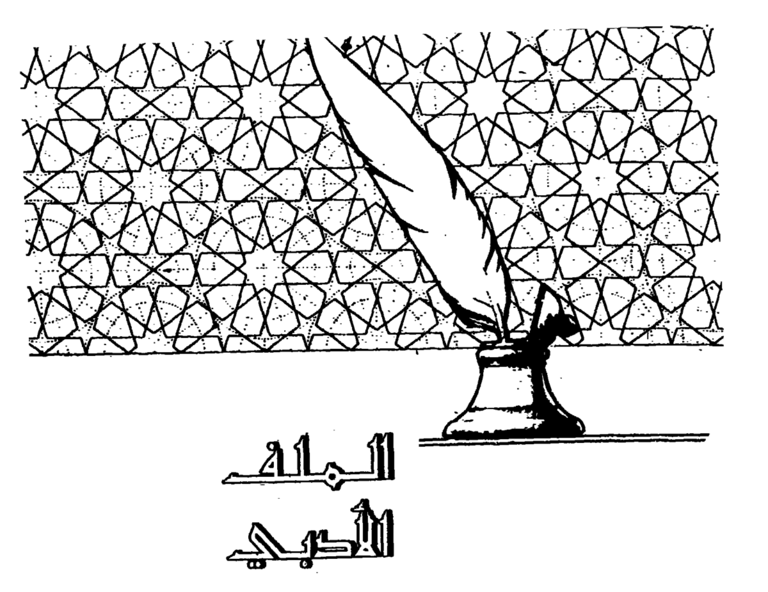
الثاني : ضعف إيمان المسلمين : الله سبحانه وتعالى ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه القائمين بدينه علماً وعملاً ، يقول ابن القيم - رحمه الله - في ذلك : «فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى ، فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان ، ولو اجتمع عليه من بأقطارها ، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً . . وقد قال الله تعالى للمؤمنين **﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾**[٦] ، وقال تعالى : **﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾**[٧] .

فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذا كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره .

---

* انظر تفصيلا : RAPHAEL PATAI, THE DYNAMICS OF WESTERNIXATION, THE MIDDLE EAST JOURNAL, V. 9 No. 1, WINTER 1955, PP. 1-16.

(١) سورة البقرة ، آية ١٠٩ .
(٢) سورة النساء ، آية ١١٥ .
(٣) سورة المائدة ، آية ٥١ .
(٤) سورة المجادلة ، آية ٢٢ .
(٥) أخرجه الترمذي ، كتاب الفتن ، وابن ماجة ، كتاب الفتن.
(٦) سورة آل عمران ، آية ١٣٩ .
(٧) سورة محمد ، آية ٣٥ .


الملف
الأدبي

«لا»..

د. محمد ظافر الشهري

من المنتصرْ؟!

سؤال من النار

آذت به عبدَها .. في سَقَرْ

فَرَدَّ الشررْ :

عُمرْ .. أيها النارُ ..

فازَ .. انتصرْ

ودين المجوس انتحرْ

هُمُ قد «بروا» ريشةَ الغدر

في صدر إسلامنا

لكي يرسموا صورةً قاتمةْ

فكانت لنا الخاتمةْ

لأن القدرْ ..

إذا غَيَّبَ الشمسَ

أبدى القمرْ!

من المنتصر؟!

سؤالٌ عضالْ!

إجابته لم تكن عند أهل الشمالْ

ولا نزوة من «جمالْ»

إجابته ..

دوحةٌ عَبَّقَتْ في «الظلالْ»

فغنى شذا عطرها

موكبَ الشمس بعد «الزوال» :

إذا طلب «الرملُ» منا السجودْ
وبلّغنا «الحبلُ» دارَ الخلودْ
فإنا نفضلُ دربَ الحبالْ
من المنتصرْ؟!
ورود غَذَت نحلنا . . أم يدٌ آثمة؟!
لسانٌ تلا الذكرَ . .
أم ألسنٌ ظالمة؟!
أكُفٌ بها الجمرُ . .
أم راحة الغادة الناعمة؟!
أنا مؤمنٌ
قال للكفر : «لا . . .»
وأبصرَ في معصم النصر
«أنشوطةَ» الابتلاءْ
فيا نفسُ لا تعذليني
ذريني . .
لأنفض عن ساعديَّ الكسلْ
وأزرع في مهجتي
بذرة من أمل

وأجتث بـ «الحب» زقومةً!
حيث كانتْ ولـمّا تزلْ
ترد المسارْ
إلى جمرة
في «تجاعيد» نارْ
وتأبى على «العود» أن يشتعلْ!
ذريني . .
أرفرفُ بالروح فوق الحياة
«أوزع» طوقَ النجاة
أصوغ من الفجر أنشودةً خالدة
أعيش حدائي . .
إلى «سورة المائدة»
وكل السورْ
وما دام للجنة الارتحالْ
فنعم «السفر»

درس الشيخ

د. محمد الحضيف

كان يداوم على حضور درس الشيخ عبدالهادي في مسجد (الحكمة) وحينما يعود إلى البيت ، بعد الدرس ، يسأله أهله عن الدرس ، فيرد بشيء من الانفعال : هل الدرس طبق من الأكل أو قطعة ملابس ، حتى أعطيكم رأيي فيه؟!

إنه يرى كل الحضور يهزون رؤوسهم أثناء الدرس ، وبعد خروجهم من المسجد يتحدثون في مواضيع لاعلاقة لها بالدرس مطلقا ، يذكر مرة أنه أراد مناقشة بعض الحضور فيما تحدث عنه الشيخ ، فوجد نفوراً ، ثم مال عليه أحدهم وهمس في أذنه : من (الحكمة) أن لا تناقش ما يقوله الشيخ ، إن الشيخ عبدالهادي يكره أن يؤوَّل كلامه ، فهو حينما يقول إن التلفزيون حرام ، لا يريد أن تذهب بأحد الظنون فيعتقد أنه يتهم مدير التلفزيون ، أو السياسة التي تقوم عليها برامج التلفزيون ، أو حتى برامج التلفزيون نفسها ، إن الشيخ عبدالهادي يؤثر (الحكمة) في قوله وعمله ، ولذا فهو يكره (المواجهة) ، ويكره كذلك أن يواجه أحداً بخطئه.

تلاميذ الشيخ عبدالهادي كلهم على هذه الشاكلة ، مرة حضر لأحدهم

خاطرة ألقاها بعد الصلاة في مسجد في أحد الأحياء الفقيرة ، كان موضوع خاطرته «أولئك الذين يأتون إلى المسجد بثياب ممزقة وغير نظيفة» ، واشتد في تأنيبه لهم ، مردداً قوله تعالى : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾. بعد الخاطرة رأى أن يناقشه فيما تحدث عنه ، فقال له : كيف تطالب هؤلاء الفقراء المعدمين بثياب نظيفة؟ ألم يكن من الأولى أن تحدثهم عن العدالة الاجتماعية في الإسلام حتى تعزيهم على الحال التي هم فيها؟ فرد عليه مستنكراً : كأني أشم في كلامك طروحات الاشتراكيين ، أو بعض أفكار فلان وفلان ، وبالمناسبة فالشيخ عبدالهادي لا يرى أن من (الحكمة) الترويج لمثل هذه الأفكار .

في إحدى المرات رأى وجهاً غير مألوف يحضر لأول مرة درس الشيخ لقد بات يعرف كل الذين يحضرون الدرس ، بعد أن أنهى الشيخ حديثه وهم الجميع بالانصراف ، تكلم الشخص الغريب فجأة على غير عادة الحضور فقال : يا شيخ ، أنت تكلمت فقلت من (الحكمة) أن لا تفعل كذا ومن (الحكمة) أن تفعل كذا ، ثم ذكرت حديث الأعرابي الذي دخل وبال في المسجد قبل سنتين ، وها أنذا أحضر درسك الآن ، ومازلت لم تبرح حديث بول الأعرابي ، يا شيخ ، لقد حضرت درس الشيخ عبدالرحمن في مسجد (الحزم) قبل أسبوعين فذكر حديث «سيد الشهداء حمزة» ، وحضرت درسه الأسبوع الماضي ، وكان موضوعه «الأمة في ظل النظام العالمي الجديد» ، وموضوع درسه اليوم «شيخ الإسلام ابن تيمية مُصلحاً» .

دارت عيون الحاضرين ، واشرأبت أعناقهم إلى هذا الواقف يجادل الشيخ ، بعد هول المفاجأة التي عقدت ألسنتهم ، قال له أحدهم : ليس من (الحكمة) أن تخاطب الشيخ بهذه الطريقة ، فأجاب الشاب : وهل من

(الحكمة) أن يخدركم بهذا الكلام منذ أكثر من خمس سنوات؟ قالها ، ثم استدار منصرفاً.

حدثت حالة من الهرج ، وتعالت الأصوات ، منها ما يستنكر التصرف ومنها ما يتساءل ، أما هو فقد انسحب بهدوء وخرج من المسجد ولحق بالشاب واستوقفه ، ثم سأله قائلاً : أنا أعجب من أمرك ، كيف قدرت أن تجادل الشيخ؟ لقد أخبروني أن من (الحكمة) ألا أسأله ، وحينما سألت بعضهم عن رأيه في الدرس ، قال لي إن الدرس ليس أكلاً أو ملابساً حتى يكون لنا رأي فيه، ثم أريد أن أسألك : من هو الشيخ عبدالرحمن الذي تحدثت عنه؟ وأين مسجده؟ قال الشاب : هل تود أن تحضر درسه؟ فرد بالإيجاب.

في الأسبوع التالي كان في مسجد (الحزم) يستمع للشيخ عبدالرحمن الذي كان يتحدث عن «دور الشباب في الدعوة إلى الله» ، كان الشيخ عبدالرحمن يقول : «إن المجتمع يهدد وجوده الفساد ، لقد غدا حال الناس والفساد يحاصرهم من كل جانب ، كحال قوم حشروا حشراً في نفق مظلم فهم يتخبطون ، يحتاجون دليلاً يقودهم خارج النفق ، والدليل يحتاج شعلة تهديه في هذا الظلام ، إن الشاب الملتزم هو الدليل ، وإن الدعوة هي الشعلة ، لكن الدعوة أمرها خطير ، ومن ضروراتها الامتحان والابتلاء ، ومن لوازمها صنوف من البلاء كثيرة ، منها الموت والسجن والاضطهاد ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ ، إن الفساد الذي يعصف بالمجتمع أضعاف الظلمة التي تلف النفق ، وإن دون الشعلة لهباً مضطرماً فلا يصل إليها إلا أولو العزيمة الصادقة ، كما أنه لا يصبر على بلاء الدعوة إلا أصحاب الهمم العالية الذين يستلهمون الدرس من معلمهم الأول

محمد ﷺ ، «والله يا عم لا أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه» .

أخذت كلمات الشيخ عبدالرحمن بلُبِّه ، وطفق يحدث نفسه : هذا ما كنت أبحث عنه ، لكن الشيخ حيرني حينما قال خذ الشعلة لتقود الناس ، أي اقبل أن تحمل الدعوة ، ثم يعود فيقول إن دون الشعلة لهباً مضطرماً ، والدعوة محفوفة بالابتلاء .

بعد نهاية الدرس ذهب إلى الشيخ وسلم عليه بحرارة ، ثم طرح عليه تساؤلاته وحيرته ، مال عليه الشيخ وقال : خذ الشعلة . . واحذر اللهب ، ثم أضاف وهو يبتسم : أراك ثانية .

جمرة في الدماغ

عبدالوهاب الزميلي

في حريق الفكرة (المخدَّرة)
غشي العينَ دخانٌ
فبدتْ ثم اختفتْ!
والدماء اتقدتْ
ضاقت الجدرانْ بالجمر المذابْ
يتلوّى في مساريب اللهبْ
وتنادتْ تطرق الرأسَ . .
حروفٌ من حرابْ
وتلفّفتُ بجلدي
عند رأس القنطرةْ
أرقب الأسرابَ
يخفيها الطلبْ!

وضممتُ باليدينْ . .
رأسي المخبأ! ما أقسى الصخبْ!!
وبدتْ بين التلافيف تعومْ
أيُّ زوج يا حروفَ الفتح تدنو!
بورك العرسُ فهاكْ :
وانتشلت الغادةَ الحسناءَ . .
من بين الدماءْ
ثم ألفيتُ يدي تغسلُها فوق الجبينْ
وإذ النار سلامٌ
ولهيبُ الحرفِ
ماءْ!!

كوميديا «السلام الحامض» ما وراء «الكوابيس»☆

زياد الدريس.

١- تأبين:

وكالات الأنباء / وكالات السفر والسياحة :

تم ظهر يوم (١٣ سبتمبر ١٩٩٣ م) في البيت الأبيض «إنهاء» القضية الفلسطينية ، حيث أجريت مراسم التوقيع على «حلها وإنهائها» وسط أجواء «مقدسة»! ساهم رابين في تأجيجها من خلال تلاوة آيات توراتية من سورة «الانتصار» ، تلاه عرفات بتلاوة آيات عربية من سورة «الهزيمة»!

٢- نسوة في السياسة :

الذين خطبوا أو صرحوا أو كتبوا عن اتفاق السلام بنشوة واحتفالية كانوا لا يمرون في حديثهم على معارضي الاتفاق إلا ويوسعوهم تسفيهاً وجلداً لموقفهم من الاتفاق - أياً كانت المعارضة فلسطينية أو عربية - وكأنهم يصادورن المعارض وبالذات الفلسطيني في التعبير عن رأيه في وطنه! بل ويتهمونه بالنفعية أو الطوباوية .

ثم ما يلبث هؤلاء المحتفلون في نهاية حديثهم القمعي حتى يكرروا تلك المقولة الجديدة في قاموس الصراع العربي/ الإسرائيلي : فلسطين شأن

فلسطيني ، والفلسطينيون وحدهم هم الذين يقررون مصيرهم ومصير وطنهم!

(ما أشبه هؤلاء المثقفين بتلك المرأة التي تلوك عورات جيرانها واحداً تلو الآخر ، ثم تختم مائدتها بقولها : ما لناش دعوة!!) .

* إذا كان هذا موقفكم ، فلماذا تؤيدون الاتفاق أو تعارضونه؟

* إذا كانت هذه قناعتكم ، فلماذا تقفون غصة في حلوق المعارضين دون المؤيدين؟

* إذا كانت هذه فلسفتكم ، فلماذا تتكلمون؟!

* أما أنا فمازلت أؤمن بتلك المقولة التي علمتمونا إياها من قبل أيها المتكلمون ، إن القضية الفلسطينية هي قضية العرب والمسلمين جميعاً .

* هل تذكرون هذه العبارة/ العهد ، أنا لم أكفر بها حتى الآن ، ولهذا فمن حقي - ومعي المؤمنون الآخرون بها - أن نتكلم عن فلسطين . . أما أنتم فلا .

٣ - قال قائل منهم :

قبل طرح أي مشروع أو قرار سياسي عربي ، ثق - ثقة تامة - أن الموقف منه - حتى قبل الاطلاع عليه وتداوله - سيكون على النحو التالي :

— سيقول المثقفون القوميون : نعم لهذا المشروع ، من منطلق السعي نحو تسوية الواقع العربي ، ورفض «المزايدات»!

— سيقول المثقفون الإسلاميون : لا لهذا المشروع ، من منطلق السعي نحو تأمين المستقبل العربي ورفض «المناقصات»!

— سيقول المثقفون الفلسطينيون : نعم إذا قالت حكوماتهم : نعم ، ولا إذا قالت حكوماتهم : لا ، من منطلق : وهل أنا إلا من غزية . . . ولقبض جميع «المزادات» و«المناقصات»!!

إذاً : القوميون ينظرون إلى «اليوم» لأنهم يبحثون عن الاستقرار الإسلاميون ينظرون إلى «الغد» ، لأنهم يبحثون عن النصر . السلطانيون ينظرون إلى «الأمس» لأنهم يبحثون عن مواقف بطولية/ خرافية كي يدرجوها في مشروع «مذكرات سيادة السلطان»!

٤ - وطن على الريق :

آنذاك ، حين كانت الشعوب العربية تقاتل من أجل تحرير أراضيها من سنة ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣ م ، مروراً بكل النكبات والنكسات والنزوات ، كان المقاتل العربي في ساحة المعركة يجرح أنامله ثم يكتب بالدم اسم وطنه على علم بلاده الذي سيغرسه في ذلك الشبر المحرر!

وهكذا أراد عرفات أن يفعل في ذلك الشبر الفلسطيني الذي حرره في واشنطن ، لكن المقام كان مقام سلام لا ينبغي لرائحة الدماء أن تفوح فيه ، فما كان من خيار آخر لممارسة ذلك الطقس الجهادي القديم في هذه الأجواء الحمائمية سوى أن يبلل عرفات أنامله من «ريقه الناشف» ، ويكتب اسم بلاده على العلم الفلسطيني . هكذا فعل عرفات ، وهكذا ستدوم تلك الفلسطين الجديدة مادام هذا الريق!

٥ - لحية المناضل ومقص الراعي :

أيام كان عرفات مناضلاً ورقياً – وقد تحول الآن إلى رئيس ورقي – لم يتمالك أحد الصحفيين أن يكتم الرغبة لديه في أن يسأل عرفات : متى ستتحول طبوغرافية الوجه العرفاتي من المرحلة البرزخية بين الحليق والملتحي؟! . . ومتى سيسلخ عرفات جلده العسكري ، ويلبس بدلة آدمية تنسجم مع نزهاته وعناقاته الدولية؟!

لم يتوان عرفات في الإجابة ، فقد كان ينتظر السؤال منذ قذف آخر

موسي حلاقة ، وآخر قميص «تي شيرت». قال عرفات : ستزول كل هذه الأعراض «الفيدل كاسترويه» حينما تتحرر فلسطين ، ويندحر الاحتلال الإسرائيلي عن كل «شبر من أراضينا».

ومضت الأيام - شعرةً شعرةً - حتى فتح الناس أعينهم على مشهد (غزة - أريحا أولاً) ، وإذا مساحة المحرر من فلسطين لا تعدل سوى ٢ ٪ من مساحة الأشبار المحتلة. فهل سيحلق عرفات ٢ ٪ فقط من لحيته؟!

وهل سيخلع ٢ ٪ فقط من بدلته العسكرية ، وليكن الجورب الأيمن أو ليكن الأيسر ، أو كلاهما معاً ، فلا اليمين الفلسطيني «المتطرف» ولا اليسار الفلسطيني «المتطرف» يؤيدان الاتفاق ، فما أسعد عرفات بخلعهما معاً!

٦- «......»:

مسكينة فلسطين ، لقد عاشت وعايشت حقبة طويلة من «المزايدة» ، يوم أن لم يكن هناك زبون ولا بيع ، وربما هي الآن - وقد جاء الزبون ليفاوض - فإنها تعرض عبر «مناقصة» فمن يشتري بأقل سعر؟!

٧- من أشعل الفيروس؟

مرت أزمة الخليج فَطبَعَتْ في الصوت العربي بعامة والخليجي بخاصة خطاباً قطرياً طامساً لذلك الخطاب القومي الذي كان يطفح في شوارع المدن العربية حتى قبل الثاني من أغسطس ١٩٩٠م ، وكان مدهشاً حقاً ذلك الانقلاب السريع في اللغة والعلاقة بين العرب ، وكان التساؤل الذي يهتك صمت المجالس العربية هو : هل ستدوم هذه الوعكة القطرية طويلاً؟ أم ستكون كغيرها من الوعكات العربية المتتالية التي ما تلبث أن تنجلي لتفسح المكان لوعكة جديدة!

مهما كانت التخمينات للوعكة الشفائية القادمة ، فلم يكن أحد يتصور أنها ستكون إسرائيل .

لقد بدأ اللسان العربي يتهجى من جديد اللغة الإقليمية من خلال فكرة السوق الشرق أوسطية ، بمشاركة تركيا وإيران وإسرائيل «فيروس الوعكة الجديدة» .

وفي خضم هذه الأعراض كان يخترق الذاكرة العربية في غيبوبتها المحببة سؤال نزق : هذه الدول العربية التي اتكأت على شجرة العزلة كأنها لم تأمن بعضها ، هل ستأمن إسرائيل على نفسها؟!

٨ - يا «سلام» سلم :

«رفع المقاطعة العربية» . . «السوق الشرق أوسطية» . . «إعادة توزيع الموارد والثروات في المنطقة» ، السباق الأمريكي/ الإسرائيلي المحموم نحو تحقيق وإنجاز هذه الإجراءات السلمية بأسرع ما يمكن ، يجعلنا نتساءل : هل كانت عملية السلام هذه منعطفاً أرادته إسرائيل لتغيير الحرب معنا من حرب عسكرية «باردة» إلى حرب اقتصادية «ساخنة»؟

٩ - النكثة :

إذا كانت الأمة العربية قد مرت في صراعها مع إسرائيل - ضمن ما مرت عليه من قاموس الإخفاق - بالنكبة والنكسة في منعطفات صراعها المزمن فإنها الآن تمر وضمن القاموس إياه بمنعطف جديد يمكن أن يسمى : النكثة!

ففي هذا المنعطف تم نكث كل الوعود والعهود التي عقدت عربياً وعالمياً في نخب فلسطين :

* استعادة كل الأراضي الفلسطينية «السليبة» .

* طرد دولة إسرائيل «الدخلية» من خريطة العالم العربي.
* المقاطعة العربية التامة مع إسرائيل سياسياً واقتصادياً حتى ينجلي الاحتلال عن كل شبر فلسطيني.
* إعادة الشعب الفلسطيني اللاجيء والنازح والمهاجر إلى وطنه.
* تنفيذ القرارات الدولية ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ ، وجميع قرارات هيئة الأمم التي توشك الآن - بجهود أمريكية وإلحاح إسرائيلي وهوان عربي - أن تُرمى جميعها في زبالة النظام العالمي القديم!

١٠- كيمياء السلام:

خرج مشروع (غزة أريحا - أولاً) من مرحلة البروتوكولات إلى مرحلة المنازعات ومطاردة التفاصيل بين متاهات التعميم الذي ساد بنود المشروع في جانب الحقوق الفلسطينية، ويبدو من متابعة أولية لهذه المطاردات أن تفاعلات السلام ستعطي المعادلة التالية:

مشروع (غزة -أريحا أولاً) + (لا للقدس) ثانياً + «غليان» المفاوضات ⟵

«غاز» أولاً + ريحة «ثانياً» + مشروع (لا للقدس) + (H_2O)!

١١- قراءات في الفنجان اليهودي:

(إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مُزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن)!!

السلطان عبدالحميد الثاني

(وسرعان ما أدركت أن أسلوب اليهود في الجدل يقوم على قواعد خاصة

بهم ، وهو اعتمادهم في أول الجدل على بلاهة خصمهم ، فإذا لم يتمكنوا منه تظاهروا هم بالغباء فيستحيل على خصمهم أن يأخذ منهم أجوبة واضحة)!

أدولف هتلر

(تغلغل اليهود في ديارنا . . ونحن راجعون . .
صاروا على مترين من أبوابنا . . ونحن راجعون . .
ناموا على فراشنا . . ونحن راجعون . .
وكل ما نملك أن نقوله : «إنا إلى الله لراجعون»!

نزار قباني

(أخي إن ضج بعد الحرب «يهـــــودي» بأعمالـهْ
وقدّس ذكـر مـن مـاتــوا وعـظـم بطش أبطالـهْ
فلا تهزج لمن ســـاروا ولا تشـمـت بمن دانـا
بل اركع خاشـــعاً مثلي لنبكي حـــظ موتـانـا)

ميخائيل نعيمة

١٢- الكاوبوي «كلينتون» :

الذين تابعوا تفاصيل الاتفاق وإعلان المبادىء ، وحذافير لقاء التوقيع بزعامة كلينتون ، لم يمسكوا بأيديهم سوى حقيقة واحدة مفادها : لقد كان كلينتون «راعياً» بحق!

☆ كتبت هذه «الكوابيس» في ديسمبر ١٩٩٣م ، وقد تأخر نشرها لظروف خاصة بالكاتب . ولحسن الحظ أن مشكلات السياسة العربية تمتد وتتمطط بحيث لا تحرق المقالات التي تتحدث عنها ولو تأخر نشرها!

قراءة نقدية في البيان الأدبي
(العدد ٧٦)

أ. د. ناصر بن سعد الرشيد

ينقسم الملف الأدبي إلى قسمين : القسم الأول النصوص الإبداعية من شعر أو قصة أو مقالة ، والقسم الثاني دراسات أدبية أو قراءات نقدية ، وسأبدأ بالقسم الثاني من الملف المنشور في العدد (٧٦) ، فقد كتب الدكتور مصطفى بكري السيد تحت عنوان «مراجعات أدبية : رؤية في القراءة النقدية» ، ويبدأها بتعريفه للقراءة النقدية بأنها : «نظرية القواعد التي تحكم تفسير نص من النصوص الأدبية ، يتأكد فيها دور القارىء بوصفه أحد منتجي النص عبر علاقة تفاعلية تصل القارىء بالمقروء ، لتثمر إنتاج معرفة جديدة تتيح للقارىء توظيفها في إغناء ذاته أو في إعادة بنائها» .

ولا شك أن هذا التعريف على جماله وصدقه لا يمكن له أن يستوعب كل تعريفات القراءة النقدية ، إذ من المعلوم عند المناطقة أن التعريف يجب أن يكون جامعاً مانعاً ، بيد أن تعريف الدكتور «مصطفى» على كثرة ما استوعب لم يمنع أن يدخل في هذا التعريف مفردات جديدة ورؤى أخرى ، فالدكتور «مصطفى» انطلق من قانون واحد وهو «العلاقة التفاعلية» كما أسماها ، أو «التواصل» بين المبدع والمتلقي ، ومحاولة إعادة بناء النص ، بمعنى أن الناقد مبدع ، وهذه هي إحدى نظريات النقد الحديثة ، وهي قراءة واحدة من قراءات النص ، فالنص -

لاسيما الجيد - عالم فسيح يمكن أن ينظر إليه من زوايا متعددة، فحيناً يقرأ قراءة تفسيرية وهي التي أشار إليها الدكتور ، وتارة يقرأ قراءة تأويلية ، ولعل هذه القراءة هي القراءة السائدة اليوم ، وهي القراءة الأفسح والأرحب ، وتارة أخرى يقرأ قراءة جمالية فنية ، بمعنى أن توظف فيها آلات «اللسانية» وقوانين البلاغة ، والنص الجيد بعد ذلك كله هو ذلك النص الذي «لا تفنى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا يشبع منه العلماء».

ولقد حاول الدكتور «مصطفى» أن يعطي هذا النوع من القراءة مصطلحاً إسلامياً فسماها قراءة «التدبر» ، وهو مصطلح في الحقيقة رائع وجامع ومانع فهو رائع إذ هو مصطلح قرآني يجب أن نحتفل به ، وأن نحييه في دراساتنا النقدية المعاصرة ، علنا نستغني به عن مصطلح أجنبي لغربه ، فلا ينسجم تمام الإنسجام مع ما نريد ، فالمصطلح الذي لا يحمل ما نريد أن نضع فيه من معاني ورؤى وحمولات مصطلح ضامر ضعيف ، لا يقوى على كثرة الرد ويبلى مع التكرار أو يكون موهماً لخلاف المقصود ، وهو جامع لأنه يجمع كل أنواع قراءات التدبر من تفسيرية وتأويلية وفنية وجمالية ، وهو مانع لأنه يمنع القراءات السريعة المبتسرة التي لا تتغلغل إلى بناء النص ولا تغوص في أعماقه ، فمثل هذه القراءة إنما تستخرج من النصوص محاراتها وقواقعها ، لكنها لا تصل إلى دررها وجواهرها.

لقد ركز الدكتور مصطفى على قراءة «التدبر» تركيزاً انطلق منه إلى حكم خطير وصائب ، حيث قال : «ولكن الذي مات- بل في الحقيقة ولد ميتاً وجمهوره آخذ في التناقص - هو اجترار الكلام والفكر المعلب والرؤى القبلية وإخضاع التعامل مع الإبداع إلى قوالب جامدة منغلقة لتصبح ذات صيغة سلطوية وتسلطية على الفكر الموضوعي ، ويكون سقف الفن عندها هو المقنن

الجاهز والسلبي المستهلك» .

ويحذر الدكتور مصطفى من بعض أنواع القراءات التي لا تسبر غور النص والتي تفتقد شروط قراءة «التدبر» – وأنا معه في ذلك – وخصوصاً تلك القراءات المعجمية التي تهمل السياق بأنواعه وما يشير إليه النص ، أي تهمل إشارات النّص ومنطوقاته ومخبوءاته ، وهذه القراءات قراءة لغوية تصلح للدراسات اللغوية ، لكنها لا تصلح للدراسات النصية الجامعة ، ففي هذه القراءة تغيب عن القارئ أوليات التعامل مع الشعر والأثر الفني بعامة ، فهي تمكنه من الإحاطة بالمستوى الإخباري للنص ، ولكنها تحجب عنه المستوى الإشاري وهو ما تزخر به اللغة الشعرية فيما وراء المؤدى المباشر ، والذي يكون نظام العلاقات الدلالية والإيقاعية في النص ، وهو الذي يجعل النص يفلت من الظرف المحدد ، ويمتلك القدرة على البث المتجدد بحيث يخاطب أجيالاً عدة» .

وليس كل نص بقادر على أن يفلت من الظرف المحدد ، ويملك القدرة على البث المتجدد مهما كان قارئه ، ما لم يكن هذا النص نصاً عظيماً مثل القرآن الكريم والحديث الشريف وبعض النصوص الشعرية الجيدة الخالدة ، وإلا فإن هناك نصوصاً – مهما حاولت القراءة شحنها أو مهما كان التعامل معها – لا يمكن لها أن تستجيب لذلك لأنها نصوص ركيكة ضعيفة أو معادة ، والقارئ مهما كانت قدرته وملكته النقدية ، أو حتى موهبته الإبداعية لا يستطيع بأي حال من الأحوال «نفث الروح في نصوص ولدت ميتة» ، كما أنه لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يُنْشر الموتى ، لكن إذا اجتمع النص الجيد والقارئ الجيدكان الإبداع نقداً والنقد إبداعاً ، وانفلت النص من ظرفه المحدد ، ومن مناسبته الخاصة أو سياقه الضيق إلى عالم واسع رحب يخاطب كل الأجيال ويخاطب كل الأمكنة ويخاطب كل الأزمنة ، وكذلك هو القرآن الكريم «والعبرة

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

إن لم نفطن إلى هذا الشمول في تعاملنا مع النص فإننا والحال هذه «نمارس قتل روح النص في حق النصوص الحديثة والتراثية على السواء ، هكذا مانزال ندرس المتنبي ، المادح ، ومايزال الموضوع - أي سيف الدولة وحروبه - محور شاعريته ، ويغيب عنا مناخ القمم الذي يكشف عنه نظام العلاقات اللغوية في شعره ، يغيب عنا جواب المتنبي على عصر تقهقر فيه العنصر العربي المسلم . . .» ومثل هذا يمكن أن يقال عن مرثية ابن مناذر لعبد الوهاب الثقفي، ومرثية ابن الرومي لابنه محمد ، فالقصيدتان وإن قيلتا في مناسبتين خاصتين لكن قراءتهما يجب أن ترتفع بهما عن خصوصية المناسبة (السبب) إلى عمومية اللفظ (الفكر كله والحياة كلها) ، إذ يمكن لهاتين المرثيتين أن تقرآ على أنهما تحتلان رؤية فلسفية للموت والحياة وللحزن البشري والمأساة الإنسانية والتساؤل عن ما وراء الموت وهذه النظرة لا يمكن أن تتأتى إلا بمحاولة استنطاق النصوص، واستكشاف دلالاتها وإشاراتها «إن هذه القراءة تسير في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارىء ومن القارىء إلى النص ، فبقدر ما يقدم النص للقارىء يضفي القارىء على النص أبعاداً جديدة قد لا يكون لها وجود في النص».

وأختتم قراءتي لما كتبه الدكتور مصطفى بكري السيد بإشارته إلى المشكلة كلها ، وهي مشكلة تنظيم الحياة ونشاطها ، وهي مشكلة الفكر ، فالمشكلة النقدية هي جزء من هذه المشكلة ، يقول الدكتور : «وأخيراً فإن مشكلة النقد ليست معزولة عن مشكلة الفكر عندنا ، بل إن مشكلة النقد هي مشكلة هذا الفكر أو هي وجه من وجوهها».

وفي العدد نفسه كتب الأستاذ محمود مفلح تحت زاوية «نقد على نقد» موضوعاً اختار له عنوان «نقد ظالم . . ونقد نائم» ، وهو عنوان مثير يبعث في

سامعه وقارئه أشتاتاً من الأسئلة ، وأحسب أن أبسطها وأقربها متناولاً : ما هو النقد الظالم وما هو النقد النائم؟ وهل هذا تصنيف نقدي جديد أم هو مصطلح جديد؟ لاسيما ونحن في عصر التصنيفات الجديدة والمصطلحات المستحدثة . . إن الجواب على هذه التساؤلات وربما غيرها، وما تحدثه من إيحاءات وما تستدعيه من تفسيرات أو تأويلات ، سيظهر للقارىء بعد أن يكمل قراءة هذه المقالة النقدية ، فما يلبث أن يجد الأستاذ محموداً يعني بالنقد النائم النقد الذي يتناول النصوص الإسلامية (حسب قوله) ، والنقد الظالم هو النقد الذي يدور في «فلك الحداثة والتغريب والأشكال التعبيرية الجديدة التي يكتنفها الغموض ويشكل لحمتها وسداها اللغز والأسطورة والسحر و(يفلسفون) لها ويؤولونها ويحاولون جاهدين أن يقنعوا القارىء بأهميتها وريادتها» ، أما أن النقد نائم في رأي الأستاذ محمود فلأن «صوت النقد في صحافتنا الأدبية الإسلامية ومن أقلام كتابنا خافت جداً» .

وأحسب أن القارىء لما كتبه الأستاذ محمود الذي يعالج نوعين من النقد قائمين اليوم ، وإن كان أحدهما يظهر على الآخر (نقد إسلامي ونقد مستغرب) عليه قبل أن يسلم للأستاذ محمود أو لا يسلم. أن يعرِّف الأدب الإسلامي (أي النصوص الإبداعية) وما مواصفات كونها إسلامية ، وما مواصفات كونها غير إسلامية أو مستغربة ، وما هو المبدع وما نوع إبداعه ، وهل للمبدع رسالة وما الفرق بين الإبداع وبين التعليم ، وهل للشكل أثر في كونه إسلامياً أو غير إسلامي ، وهل «الأشكال التعبيرية الجديدة» غير إسلامية؟ . كل هذه التساؤلات ومعها غيرها مثلها أو تزيد يجب أن يجاب عنها من قبل الأستاذ محمود أو من قبلي أو من قبل رابطة الأدب الإسلامي ، وأتمنى أن تترك لرابطة الأدب الإسلامي .

وإذا كان الأدب الإسلامي - حسب مفهومي الذي اقتبسته من القطبين (سيد ومحمد) هو باختصار (كل تعبير فني جميل يعبر عن الإنسان وقضيته وعن الوجود والكون والحياة ، وما وراء الحياة ، وعالم الغيب والشهادة ، تعبيراً لا يخالف ضوابط الإسلام وأصوله) ، لو أخذنا بهذا التعريف الأولي للأدب الإسلامي لوسعنا دائرته وأغنينا مجالاته ونفينا عنه الجمود والضيق والقولبة الضيقة ، وأخرجناه «من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة» .

وأذكر أنني قلت في تعليق لي ذات ليلة في ندوة من ندوات الأدب الإسلامي المباركة ، تعليقاً على الأستاذين الفاضلين الدكتور عبدالقدوس أبو صالح والدكتور عبدالباسط بدر ، حول رأيهما في تعريف الأدب الإسلامي : «أود أن ننظر إلى الأدب العربي كله بعد الإسلام على أنه أدب إسلامي ، وأن نخرج منه ما خالف الإسلام على أنه أدب شذ عن منهج الأدب الإسلامي في مضمونه أو في تعبيره ، كما أنني لا أميل مطلقاً إلى تتبع بعض النصوص الأدبية في تراثنا الإسلامي وإبرازها على أنها نصوص إسلامية ، وأن ما سواها ليست كذلك» .

وأعتقد أننا لو أخذنا بهذا الرأي لوجدنا أن جملة نصوصنا الأدبية هي نصوص إسلامية حتى إذا ما عرضناها على التعريف الآنف ، وجدناها تندرج تحته بكل تواءم وتناغم ، ولو أخذنا مثلاً شعر أبي نواس برمته وجملته لوجدنا أن أكثره شعره يندرج تحت ذلك التعريف للأدب الإسلامي ، وإنما خرج من ذلك التعريف إنما هو شاذ يمثل الأقل ، ومثله يقال عن أبي تمام وشعره والتجديد في الشعر شكلاً أو مضموناً ليس بالضرورة أن يكون غير إسلامي كما أن عدم التجديد في الشعر شكلاً أو مضموناً ليس بالضرورة أن يكون إسلامياً .

وأحسب أن من الأخطاء التي يقع فيها المنظرون للأدب الإسلامي أن يعتبروا بعض الأشكال الشعرية الجديدة ، أو بعض التعبيرات الشعرية الحديثة التي تحاط حيناً بالغموض وحيناً آخر بالإبهام أدباً غير إسلامي ، أو أدباً يتعارض مع الإسلام ، والنظر هنا والحكم على كونه إسلامياً أو غير إسلامي يجب أن يتوجه إلى المحتوى والمضمون ، ولقد كفتنا أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنه - مؤنة ذلك كله - وكأنها تجيب عن هذا التساؤل بقولها : «الشعر كلام (كسائر الكلام) حسنه حسن وقبيحه قبيح».

ولا أكتم أخي الفاضل الأستاذ محموداً أنني في يوم من الأيام كنت مستوحشاً من بعض النصوص الجديدة - ولاأزال أستوحش من بعضها - لأنني كنت قد جئت إليها بتصور مسبق على أنها صورة من صور الهدم ، أو وعاء من أوعية الغزو الثقافي ، أو وسيلة من وسائل التغريب والاستلاب (وهكذا ينظر في أغلب الأحيان إلى كل جديد وخصوصاً في المجتمعات المحافظة مثل مجتمعنا) ، بيد أنني بعد أن وطئت حماها ، وخضت حمأتها ، وحاولت أن أعقد نوعاً من الألفة بيني وبينها ، بدلاً من الوحشة ، افترّت لي عن بعض محاسنها وأسفرت لي عن بعض مناقبها ، وعرفت أن هذا النوع من التعبير ليس بالضرورة أن يكون متمرداً على القيم الإسلامية ، وإنما هي مسألة صراع الأجيال والاتصال الحضاري الرهيب والتثاقف المتسارع (وإن كنا الأضعف في حلبة الصراع الحضاري والتثاقفي).

أقول هذا لأنني قد وجدت في بعض هذا النوع من الشعر بعض المضامين الخيرة وخصوصاً موضوع «الهوية» ، والبحث عن الذات وسط هذه الانكسارات وإزاء هذه الانتكاسات والمحن ، وأحسب أن محمداً الثبيتي واحداً من هؤلاء الشعراء في قصيدتيه : «فواصل من لحن بدوي قديم» و«صفحة من

أوراق بدوي» ، وما يقال عن الثبيتي يقال عن بعض من الشعراء غيره ، ومنهم الشاعر عبدالله الصيخان في عدد من قصائده التي احتواها ديوانه «هواجس في طقس الوطن» كقصيدته المعنونة «الحجرة» ، وقصيدته «فاطمة» ، وقصيدته «هواجس في طقس الوطن» ، ومنهم الشاعر عبدالله الزيد في «أغنية للوهج» و«وجع المسافة بين دمك وثلاجة الموتى» ، في رثاء أخيه محمد ، ومنهم الشاعر عبدالله الخشرمي في قصيدته «وصايا النخيل» ، ولو أخذنا الشاعر الكبير عبدالرحمن العشماوي على أنه من شعراء الأدب الإسلامي الشباب فسنجد شعره ينضح إسلاماً في شعره العمودي المألوف أو في شعره الجديد «بائعة الريحان» على السواء مما يبرهن على أن الشكل التعبيري الجديد ليس بالضرورة أن يكون موحشاً أو أن يكون وعاء خطيراً يتنافى والأدب الإسلامي.

وبعد : فإن لم نتنبه إلى هذا فإننا سنخنق الأدب الإسلامي في بوتقة ضيقة ، ونجعله في حيز ضيق يفقد فيه نموه وانطلاقته ، وربما أدى ذلك إما إلى عقمه وإما إلى موته . . وأرجو ألا تكون بعض مواقفنا المتشددة في فهمنا للأدب الإسلامي ، وسجنه في حيز الوعظ والتعليم والتعبير المباشر ، هو ما حدا ببعض النقاد أن يتجاوزوا هذه النصوص إلى نصوص أخرى وصفها «محمود مفلح» تارة بأنها «تدور كلها في فلك الحداثة والتغريب والأشكال التعبيرية الجديدة التي يكتنفها الغموض ويشكل لحمتها وسداها اللغز والأسطورة والسحر «ويفلسفون» لها ويؤولونها ويحاولون جاهدين أن يقنعوا القارىء بأهميتها وريادتها ، وتارة أخرى يلحي باللائمة على نفر من نقاد الحداثة والتغريب (كما أسماهم) بأنهم يقدمون نصوصهم التي يقرأونها ويتناولونها بالدراسة «إبداعية ومعاصرة ومهمة وجديرة بالقراءة . . . إلا النصوص الإسلامية!!! أو ما يقترب منها ، فإنها - في زعمهم - فقيرة متخلفة ، فجة ، تغلب عليها الخطابية

والسطحيّة ، وهي تجافي روح الفن ، وتتنافى مع الحساسية الجديدة والرؤية المعاصرة» .

كما يسوء الأخ الأستاذ محمود مفلح التعاون الوطيد بين هذا النوع من النقاد تعاوناً يرفع بعضهم من شأن بعض ، ويدعو بعضهم لبعض حسب قوله : «وإن المتأمل كذلك فيما يكتب من نقد هنا وهنا لابد وأن يلاحظ أن ثمة اتفاقاً وإجماعاً على توجه نقدي معين ، وأن ثمة جسوراً تقام بين هذا الناقد وذاك ، فكأن هذا هو الصوت ، وذلك هو الصدى في تناغم عجيب واتفاق يبعث على الدهشة» .

أقول للأخ محمود وغير محمود : إن التنافس بين الاتجاهات النقدية المتصارعة لا يحسمها مثل هذا التشكي وذلك التظلم ، وإنما يحسمها العمل فلكل منتداه ولكل رابطته ، وأعرف أن للأدب الإسلامي رابطة تجمع كثيراً من أدباء العالم الإسلامي عربه وعجمه ومبدعيه وناقديه ، فالحلبة ميسرة للجميع وإن الحصيف المبدع المجدد هو من سيظهر في النهاية على صاحبه ، وكما كان الشعراء في عهد بني العباس يميت بعضهم بعضاً وحمل بعضهم ذكر بعض بما يقدم للساحة الأدبية من إبداع جديد ، فإن النقاد والمبدعين في هذا العصر يظهر بعضهم على بعض ، ولا أشك لحظة واحدة في أن المبدع الذي يلمس جراحات أمته وواقعها ، ويحقق هويتها من خلال رؤية جديدة أو تعبير جذاب ، هو الذي سيبقى وغيره سيذهب جفاء ، وما الشاعر الإسلامي الدكتور عبدالرحمن العشماوي إلا مثل أسوقه للشاعر المتألق المتجدد ذي الصيت الذائع .

ويجمل بي - وقد أطلت الوقفة مع الأستاذ مفلح - أن أختم قراءتي لمقالته بتعقيب بسيط على قوله : «واستعرض إذا شئت الصفحات الأدبية الإسلامية في أي مطبوعة تشاء ، فإنك قل ما تجد دراسة أدبية جادة عميقة ذات رؤية نقدية

واضحة تنسجم مع قيمنا الحضارية وتعطي لهذا العمل أو ذاك حقه ، ولن تجد - كذلك - توجهاً نقدياً عاماً واضح المعالم ، ولن تجد - أيضاً - وأقولها بمرارة أسماء نقاد جادين دؤوبين مخلصين لهذا الفن أو ذاك رغم أن النتاج الإسلامي معافى ومقروء ولا يخلو من جماليات تستحق أن يتوقف عندها النقد» ، فلِمَ هذا! أهو أمر يتعلق بالنتاج الإسلامي أم هو أمر يتعلق بالنقاد أنفسهم!!

أما القسم الإبداعي فسأتوقف ملياً عند بعض القصائد وعند قصة واحدة وأما القصيدة التي أود أن أقرأها على عجل فهي قصيدة الدكتور صالح الزهراني بعنوان «رتابة» ، وهذه القصيدة سأعدها قصيدة إسلامية على أن التعليم فيها أو المباشرة ليست واضحة ، وإنما أعدها إسلامية لأن موضوعها يعالج أمراً من أمور هذه الأمة ، وموضوع القصيدة الرتابة في كل شيء والزيف في كل شيء ، وأن كل شيء هو ذلك الشيء لم يتغير ولم يتحول ، وأن الخطأ هو الخطأ والكذب على الشعوب هو الكذب ، وأن الهزيمة نصر وأن الفتح رقص وغناء ومائدة . . موضوع يصلح أن يكون إسلامياً وغير إسلامي ، بمعنى أن مثل هذا الموضوع لا يصنف إسلامياً كما أنه لا يصنف غير إسلامي ، أقصد من هذا أن أعود إلى بعض ما أسلفت حين قراءتي لما كتبه الأستاذ الفاضل محمود مفلح ، وأبرهن على أن الأدب الإسلامي قد يتسع حتى يدخل فيه ما لا يخالفه ، لكن ليس بالضرورة أن يكون موضوعه إسلامياً صرفاً أو تعبيراته تعليمية وعظية .

إن الشاعر الزهراني شاعر يملك قدراً هائلاً من الإبداع مارسه في هذه القصيدة الجميلة ، وآية توفيقه أنه جعلها - أو أنها جاءت - على بحر مجزوء قوي الإيقاع (رجز) وقافية متحركة ساكنة ، فالتاء المربوطة ساكنة وما قبلها مفتوح حتى يتلاءم البحر مع القافية ، لقد عبر الشاعر الزهراني عن ما يدور في حاضر هذه الأمة وما يقدم لها من إعلام وزيف أصبح مستهلكاً ومكشوفاً ، أي

لم يعد ينطلي على أحد إذ أصبح هذا الزيف ديدناً أي «رتابة» ، وحاول الزهراني أن يحدده بتسعين سنة ، ولا أدري بالضبط لماذا «تسعون حجة» والزمن هنا لا يهم تحديده فالقصيدة ليست وثيقة تاريخية تؤرخ لبداية خمود ثورة الوعي ، والمهم أن هذه الثورة خامدة وبرهان هذا الخمود :

يبدأ العرض ميتا! فوق أشلاء صامدة
البدايات واحـدة والنهايات واحـــدة

ويعود هذا المشهد في كل مرة فيبدأ العرضُ ميتاً والبداية واحدة والنهاية واحدة ، والأنكى من ذلك أن :

بطل العرض واحد وقصة العرض واحدة
بعد يوم من الضنـا والوجوه المزايـــــدة

يأتي العرض لكن من مُخْرِج واحد ومن عارض واحد ومن قصة عرض واحدة ، فهل يوقظ الجماهير الراقدة بإعلان الفاتح

عن فتواحات جيشه عن قـواه المجاهـدة
أنها شـقت الـمـدى واستباحت وسائده
وأراقت دم الدجـى وأضاءت فراقـده

والجماهير تدرك هذا الزيف لأنها اعتادت عليه ، لكن شاعر الهوى يتهجى قصائده فلا يحرك ساكناً في هذه الجماهير الجامدة ولا يوقظها لأنها :

عرفت كيف ينتهـي
عرفت كيف يبتـدي
أصبح الزيف قاعدة!!

مسكين هذا الفاتح الذي تنتهي فتوحاته بالرقص والغناء والتطبيل والمائدة دون أن يتفاعل معه جمهوره ، لأن جمهوره يعرف زيفه وخداعه ، وأن هذا الفصل منذ تسعين حجة يعود ويعود وتحفظه الجماهير التي أصبحت جامدة لا يحرك فيها ساكناً ، وهنيئاً لهذه الجماهير النائمة التي لا تتحرك ، ولعل الصحوة تعقب هذا الرقاد لأن الرقاد هنا والجمود هنا علامة من علامات إدراك الزيف وإدراك الزيف هو أدل دلائل اليقظة .

أما القصيدة الثانية فهي «دمعة على أطلال سربنتسا» للشاعر فيصل محمد الحجي ، وهي قصيدة معبرة حمّل فيها المسلمين مسؤولية ما حدث لهذه المدينة من حصار وقصف شديد ، إذ لم يحفظوها كما يحفظ الحر الحرة بالدم ، وأراد أن يثير فينا النخوة وحمية الإسلام ، وحق الأخوة وواجب النصرة ، بتعييرنا من طرف خفي بتقاعسنا ، ولمح لنا بأننا لم نفعل كما فعل هارون والمعتصم بالروم وتذكيرنا بتاريخنا هنا ليس يقصد منه الشاعر إعلامنا بأن هارون أو المعتصم قد هبا يوماً لنجدة مسلمة أو مسلم استغاث بهما أو احتاج إلى عونهما ، فهذا خبر نقرأه في مقرراتنا المدرسية الأولى ، لكنه أراد أن يعيرنا بتقاعسنا ، وأن يعقد مقارنة بين ضعفنا الراهن ووهننا القائم ، وبين قوة وشهامة أسلافنا ، فيذكر (هارون الرشيد) مقابل (نقفور) حيث يجعل من الرشيد رمزاً للقائد المسلم وللرئيس المسلم ذي النجدة والشهامة الذي يشعر بأنه مسؤول أمام الله ومحاسب على ذلك إن فرط بعدم حماية مسلم أو مسلمة ، حتى ولو كانت في بلد غير إسلامي ، ويجعل من من «نقفور» رمزاً للصليبي الغربي المعتدي على حرمات المسلمين وأوطانهم ، فإن كان الرشيد حياً أدبه وعلمه كيف تصان حريات المسلمين وأراضيهم ، وإن كان الرشيد ميتاً صال «نقفور» وجال وانتهك الحرمات ، وجبا الأموال منا بطرق متعددة ، وعجزنا أن نفعل شيئاً رغم

كثرة عددنا وعتادنا ، ووجدنا أن الملجأ من هذا كله إلى مجلس الأمن نعرض فيه قضيتنا ، وجعلنا منهم الخصم والحكم في الوقت نفسه .

والقصيدة في جملتها قصيدة معبرة جياشة تصلح أن تلقى ، ولو ألقيت لكانت أشد أثراً على المتلقي من مجرد قراءتها ، على أن هذا الأثر قوي على قارئها ، وهي قصيرة تحمل رسالة خيرة ، ونقول لشاعرنا الحجي :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وليسمح لي الشاعر محمد البراهيم على عدم قراءة قصيدته «ذكرى العبور» رغم استحقاقها للدراسة والقراءة ، فهي قصيدة لا تقل عن أخواتها إن لم تفق بعضاً منهن ، لكن ضيق الوقت لم يسمح لي بذلك من ناحية وشعوري بأن القصيدة تحتاج إلى وقفة أطول تنصفها ، وتقدمها للقارىء تقديماً يليق بها من ناحية أخرى ، ولعلي في قادم الأيام أتمكن من قراءتها .

أما قصة عبدالحليم البراك فقد كتب قصة طريفة عنوانها «شيء لم يحدث» اختصر كل أحداثها في هذا العنوان السهل ، والقصة واقعية عرضها عرضاً فنياً موفقاً ليس فيها تكلف بعض القاصين ، ولم يحاول أن يدخل فيها فضولاً كما يفعل بعضهم ، وإنما حبكها حبكة محكمة ، وكل حلقة من حلقاتها تستطيع أن تكملها بقولك «وكأن شيئاً لم يحدث» .

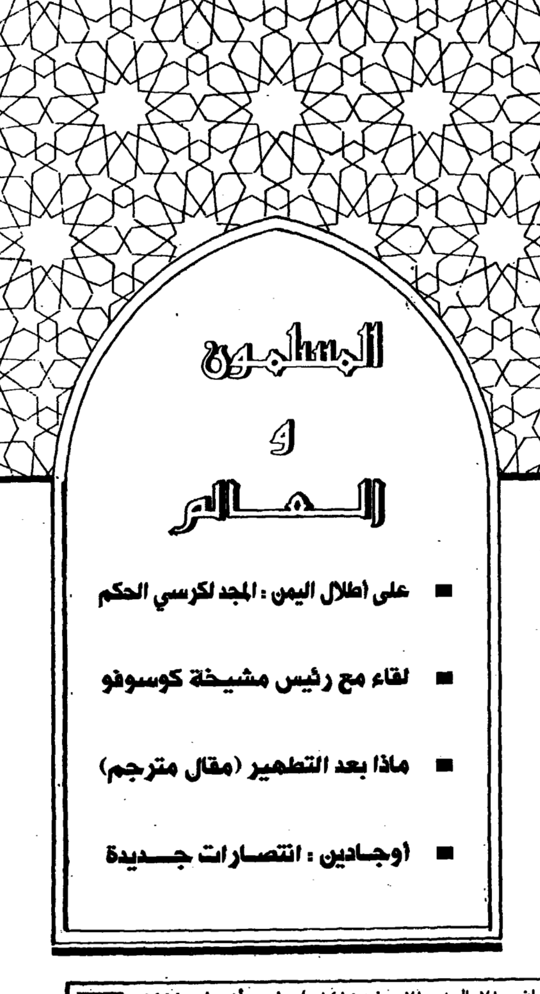
إن بطل هذه القصة – وإن كان يرقب جدار صمت قد امتدت قامته حتي الأفق – يثنيه هذا الجدار من أن يعانقه ، فهناك «فتحة علوية تكاد تختفي في ثنايا هذا الجدار الشامخ . . ثمة نور ضئيل منها» ، وعلى صعوبة الأمر حيث الجدار يعانق الجدار ، وهذه السلسلة الحديدية التي لم تستطع أن تثقل أنفاسه الحرة داخله» ، فإن هذا لا يمنع ىن الفرحة «وكأن شيئاً لم يحدث» . . إن هذه القصة

تروي أحداث شاب محاصر لكنه لا يستسلم لأنه ينظر إلى كل شيء دون ما يأبه لعواقبه «وكأن شيئاً لم يحدث».

أن القصة لا تحتاج إلى تأويل أو تخرص ، وإن كان القاص حاول أن يشغلنا عن تقريرية القصة ببعض الإبهام مثل قوله : «ألقها» دون معرفة عائد الضمير ، وهذا مما يشوق القارىء لمحاولة معرفة على ماذا يعود الضمير ، ومثل «ثمة جموع وقحة» ما هي هذه الجموع؟ إن الإجابة على هذه التساؤلات التي طرحها القاص - وهي التي جعلت من قصته عملاً أدبياً جيداً - تظهر في مكان آخر حين «يتمخض عن انفجار مدو يحصد أربعة من ذوي الأكتاف المذهبة فأكثر من عشرة قد زينت أذرعهم الوقحة بشرائط خضراء» ، هؤلاء الوقحون يسميهم المحلفون والمحاكمون بأنهم «أربع حمامات» ، ولا يخفى ما لهذه المفارقة من أثر فني رائع.

كل هذا يحدث لكنه بالنسبة له «كأن شيئاً لم يحدث» ، إن لدى القاص ملكة فنية استطاع من خلالها أن يوظف عبارة «وكأن شيئاً لم يحدث» في أربعة سياقات من القصة ، كل عبارة توحي بمعنى جديد وبمعنى مغاير ، إن هذه الكلمة السحرية «وكأن شيئاً لم يحدث» هي كل شيء في هذه القصة ، هي عنوانها وهي بدايتها وهي نهايتها ، وهي عقدتها ، وأحسب أن هذه الكلمة السحرية «وكأن شيئاً لم يحدث» تكفي الأخ القاص عبدالحليم البراك أن تضعه في عداد القاصين ذوي الطرح الملتزم والقدرة الفنية.

وأخيراً فلقد حرصت على أن أتناول قصة الدكتور الحضيف «حدث في السوق» إلا أن الدكتور مصطفى بكري قد قرأها قراءة لا أرى عندي عليها من مزيد.



المسلمون و العالم

- على أطلال اليمن : المجد لكرسي الحكم
- لقاء مع رئيس مشيخة كوسوفو
- ماذا بعد التطهير (مقال مترجم)
- أوجادين : انتصارات جديدة

على أطلال اليمن :
المجد لكرسي الحكم!

د. عبدالله عمر سلطان

مع تصاعد موجة عدم الاستقرار والحروب المصغرة على مستوى العالم بدا واضحاً أن الشعارات الفضفاضة كالنظام العالمي الجديد ، وزوال خطر الحرب النووية ، وانتصار الديموقراطية النهائي (بصورتها الغربية) ، ونكتة نهاية التاريخ وبزوغ فجر السلام المزعوم . . . لا يمكن أن تغطي سوأة الأحداث الملتهبة والإفلاس الذي تشهده الساحة السياسية الدولية ، أو أن تحجب كساح الأمم المتحدة التي لا تحمل من اسمها سوى الرسم ، ومن مضمونها القبيح إلا هامة بطرس غالي وسمعته المثيرة للغثيان .

وفي هذا الخضم الفوضوي والدوائر المتلاقية ، أخذت مراكز الدراسات الغربية تبحث باهتمام عن ظاهرة مثيرة للجدل : وهي مستقبل اليسار في العالم لاسيما النصراني منه ، ففي المجر أزاح الناخبون الحكومة الليبرالية الديموقراطية التي خلفت نظام الستار الحديدي الشيوعي ؛ ليقفز الشيوعيون مرة أخرى إلى السلطة ، بينما يتوقع أن يشهد العالم الحالي عودة قوية لليسار في أوربا لاسيما ألمانيا ، حيث يسعى الديموقراطيون الاشتراكيون إلى الوصول للحكم ، في الوقت الذي يظهر أن حزب العمال البريطاني في طريقه إلى إسقاط حكم المحافظين الذي لايزال يحكم لعقد ونيف ؛ ليزيل أسطورة التفوق اليميني في

المجتمعات «الأنجلو سكسونية» كما حدث العام الماضي في كندا ومن قبلها الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد أظهرت نتائج الانتخابات الأوربية هذا التوجه ، حيث سجلت الأحزاب ذات التوجهات اليسارية تفوقاً واضحاً لاسيما في البلدان التي تحكمها الآن أحزاب يمينية ومحافظة ، لكن هذا الصعود الظاهر لا يمكن أن يخفي في طياته بعض الملاحظات الجوهرية وأهمها أن اليسار اليوم هو يسار يختلف في ملامحه وتوجهاته عن يسار الستينيات ، حيث خفت حدة الطرح السياسي وأخذ اليسار الحالي يتجه كثيراً نحو الوسط ، لاسيما في طروحاته الاقتصادية هذه الطروحات - في حد ذاتها - تجعله اليوم يؤمن أكثر بقداسة السوق وآلياته بعد أن كان يلعنها ويمقتها ويصنفها على أنها من آثار الإقطاع والرجعية ، وهو بإضافته قضية البيئة والمخاطر المحدقة بها شكَّلَ نقاط جذب وكسب بعد أن أصبحت مشكلة البيئة ملحة لاسيما في أوروبا المكتظة سكانياً والمعادية - بحكم وثنيتها - للطبيعة في خضم معركتها معها لقهرها وإذلالها ، وإضافة إلى هذه الملاحظة فإن المرء لا يمكن أن يتجاهل تراجع اليسار الحاكم في دول كفرنسا وأسبانيا على سبيل المثال ، حيث شكلت النتائج الأخيرة مصاعب جمة ليسار لايزال يتربع على سدة الحكم.

كل هذه العوامل تجعل أنصار الدورة التاريخية لتفسير الأحداث وتشريح الجسم السياسي ينتشون ، وهم يوظفون هذه السلسلة الحاشدة من الأحداث للتدليل على نجاح نظريتهم القائلة : بأن الغرب منذ القرن الماضي يشهد دورة كل ثلاثين سنة ، ينقلب فيها الناخبون من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار بعد أن يفرغ كل جيل - من هذا الطرف أو ذاك - برنامجه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وأن هذا التوازن حفظ لأوربا الغربية وأمريكا التوازن المطلوب لتكريس الهيمنة ، وتجديد الدم المطلوب لخوض معركة الهيمنة الدولية.

إن اليسار هو نتاج وإفراز متراكم للتجربة الغربية ، لذا فإن دوره في الحياة الغربية مفهوم ، كلما شعرت المجتمعات هناك بأن «اليمين» قد استنفذ طاقاته وأفكاره ، واليسار هناك لا يكف عن تطوير شعاراته ونظرياته وممارساته في سبيل «المصلحة القومية» ، وهو في سبيل هذا لا يتجاهل مثلاً مكونات الحضارة التي ينتمي إليها ، أو يتعامى عن صعود الشعور الديني الملتهب في العالم والغرب وإذا استثنينا ديناصورات الماركسية المتحجرة ، فإن بإمكاننا القول أن اليسار الأوربي من خلال الأمثلة الحاكمة في أوربا وأمريكا لا يخفي عداءه المتأصل للإسلام وأهله ، وإن أضاف إلى نظريته العدائية بعض الأطر الفلسفية المطلوبة .

لقد أردت باستعراضي هذا الدخول إلى موضوع مهم هو «دور اليسار العربي في واقع الحياة العربية الحالية وتراكم السحب الداكنة التي تلف حاضرنا» فقد وصلت الأمة إلى شفا الجرف المائل بعد سلسلة طويلة من عملية الاستلاب السياسي والعقائدي والاقتصادي ، وجاءت مأساة اليمن لتبرهن لنا جميعاً على أن التشرذم لا حدود له ، والمؤامرة لا نهاية لها ، والتوجس القائم من المخاطر القادمة له ألف سبب يبرره ، لقد ضربت اليمن مثالاً ؛ لأنه نموذج يستحق الفحص ومأساة تفرض نفسها مع استمرار النزف والدم المراق والحلم المتهشم وتساءلت عن دور التيارات العلمانية واليسارية بخاصة في صنع هذه المأساة حيث يبحث الغرب عن دور لليسار يلعبه ، بينما كان اليسار الشيوعي في عالمنا العربي ينقلب ليتحول إلى «إنزيم» مضاف إلى التفاعل المفزع في اليمن ليحولها إلى ساحة ترتفع فيه الخناجر بشعارات براقة تختلط بواقع مزري ؟!

ويسار اليمن مثالاً:

وقد يقول قائل : إن الأزمة اليمنية والحرب الأهلية القائمة هي من صنع القبيلة الحاكمة التي تختفي تحت رداء الحزب ، وتسكن القصر الجمهوري وترفع شعارات الوحدة ، بينما تتعاطى القات السياسي ، وتسعى في نفس

الوقت إلى استثمار حماس الدعاة وطيبة الإسلاميين وتعاطف الشارع معهم ، ليخوضوا معركتها ويفصلون جهاداً على مقياس المرحلة ، وإن الاشتراكيين في جنوب اليمن بتوجههم الانفصالي يحمون شعبهم وثرواته من نزوات الحكم الشمالي وقد يبدأ هؤلاء بسرد مساوئ النظام في الشمال ، وما أتت به الوحدة من مآس وأضرار على الشطر الجنوبي السابق ، ونحن حين نحصر التسلسل في هذا المقال حول دور اليسار العربي في المثال اليمني ، قد نضطر إلى الاستشهاد بواقع أو مشهد ماثل الآن ، لكن ليس الغرض هنا تحليل الحرب الأهلية القائمة أو الممارسات السياسية هنا وهناك ، بل الغرض إلقاء الضوء على ممارسة اليسار العربي لاسيما في اليمن خلال الأزمة المحتدمة هناك .

يدعي الماركسيون منذ قديم الزمن أنهم وحدويون حتى النخاع ومستشهدون في سبيل يمن واحد ، ويكفي للتدليل على ذلك أن تتأمل قائمة الأحزاب اليمنية التي نبتت بعيد إعلان الوحدة والتعددية الحزبية ، لتجد أن كلمة «وحدوي» أو «وطني» أو «موحد» أو «اتحادي» تشكل العامل المشترك بينها، حتى إنك تكاد تخلط بينها من شدة التشابه .

واليساريون في اليمن ليسوا مقصورين على الحزب الاشتراكي في الجنوب ، بل إن أحزابهم «الوحدوية» في الشمال أكثر بسبب الانفتاح السياسي الذي لا يخشى من تجمعات سياسية كل رصيدها بضعة يساريين حالمين ، ومقر مستأجر ، وخط تليفوني ومطبوعة لا يقرأها إلا مصحح المطبعة وأعضاء الحزب الطليعي ، ورصيد - طبعاً - يصب فيه حساب يتضخم مع كل دور يلعبه الفتيان اليساريون الوحدوين التقدميون !!

ولا شك أن الاشتراكيين الجنوبيين هم أكثر التيارات اليسارية تطرفاً في قضية الوحدة ، فالحزب ظل لأكثر من عقدين يحلم بالوحدة ، ويجعلها هدفه

الأسمى وقضيته التي لا تقبل المساومة ، وحين شكلت الوحدة مخرجاً من المأزق الناتج عن انهيار الاتحاد السوفيتي ووسيلة لتحسين سمعته البالغة السوء في المنطقة (حارب جيرانه السعوديين والعُمانيين والشماليين ثم التفت إلى الرفاق فأوقع بهم مجزرة لا تقارن بشاعتها بالحرب الدائرة الآن) ، لم يتردد الوحدويون الاشتراكيون في تبنيها دون أن يكون للشعب في الجنوب أي رأي أو مشورة وبخاصة أنهم قطيع من المتخلفين الذين فشلت الثورة في جعلهم من بلوريتاريا الحزب . . !

وما أسرع اللحظات التي تمر فإذا الحزب اليوم ينادي بالانفصال ويقاتل من أجل التشطير ، ويهرب قادته من العاصمة إلى المدينة الساحلية الرجعية «المكلا» لكي يكملوا ما بدؤوه من مخطط الدولة التي يستطيعون أن يستمروا في حكمها ، بعد أن رأوا لعبة الكراسي الموسيقية تقذف بهم خارج المنافسة في ظل منافسين محترفين في الشمال .

لقد نسف الحزب ورموزه الفارين كل البرامج والشعارات والأحلام الوحدوية التي طالما تغنوا بها ، وأصبحت كلمة وحدة تثير لديهم حساسية في الصدر ، وحكة في الجلد ، وتهيجاً في الأعصاب ، وغدت كل المصطلحات الثورية والوحدوية جريمة لا تغتفر بين الرفاق اليساريين ، في الوقت ذاته بدأ اليساريون في الشمال من ورثة الشعارات الوحدوية إزاحة منافسيهم في الصناعة الوحدوية والسوق الاتحادي ، كل ذلك يتم باستخدام نفس المصطلحات الثورية التقدمية اليسارية .

قام الاشتراكيون في الجنوب بثورتهم في سبيل «الكادحين» ومن أجل إنهاء الإقطاع ، وإطفاء نار الاستغلال الطبقي الذي كان يمارسه السلاطين وأصحاب النفوذ ممن يسمون «بالسادة» – والسيد هو الذي ينتهي نسبه إلى النبي ﷺ – وينتشر جل هؤلاء السادة في الجنوب حيث يشكلون طبقة من علماء

الصوفية التي تمارس شعوذتها باسم الانتساب إلى آل البيت ، لقد صمم الشيوعيون في الجنوب على أن الدين وأتباعه - لاسيما السادة - هم عدوهم الأول ولاسيما «رابطة أبناء الجنوب» التي كان السادة يتسترون من ورائها ويمارسون من خلالها نشاطهم السياسي ، ومع الردة عن المبادىء الأولى شكل الجنوبيون المنفصلون دولة يرأسها سيد من هؤلاء السادة (البيض) ، ويرأس حكومتها سيد آخر (العطاس) ، ويدير أمورها في الواقع رئيس الرابطة الصوفية السابق (الجفري) ، وتجمع عدداً لا بأس به من سادة آخرين ، حتى إن الشارع الجنوبي أسماها «دولة السادة».

ترى هل هذا تكفير عن اثم الماضي أم جواز سفر مطلوب لإثبات رجعية النظام وقدرته الفائقة على الرقص في حلبة الدراويش ، وإثبات للجدية في الانقلاب من متطرفين ماركسيين إلى رجعيين يخدرون المريدين بهجمات الأقطاب وكرامات السادة الذين طلقوا كل مبدأ ومعتقد؟!

وإن كان الشيوعيون الملاحدة في الأمس يعادون المشايخ التقليديين فإنهم ظلوا بالأمس ، ولايزالون يرفعون لافتة ضخمة تقول إنهم ينادون بالدولة العصرية التي لا تتحكم فيها القبيلة كما هو الواقع في الشمال ، ويتباهون دائماً بأنهم قضوا على القبلية نهائياً في الجنوب ، فهل هذا صحيح؟!

الواقع يقول إن اليساريين شمالاً أو جنوباً قد ارتدوا وتشرذموا وانقسموا حسب قانون القبيلة والقبيلة وحدها ، فالشمالي لاذ بحصن الفخذ ، والجنوبي الشيوعي السابق أصبح أكثر مناطقيةً ورجعية من خصومه ، ويكفي أنه تحالف مع قبائل بكيل في الشمال ، ومد يده إلى قبائل «شبوة» و«حضرموت» بعد أن حطم كياناتها ، وسحلها لمدة عقدين ، وبات الجميع يرون أنه لا فرق بين الجمهوريين الوحدويين الذين وظفوا العامل القبلي بذكاء ، واليساريين السابقين الذين يحاولون أن يطبخوا وجبة قبلية باستعجال جعلهم يقدمون وجبة سريعة

عسرة الهضم ، صعبة الفهم.

ويتهم الماركسيون القدامى ومومياوات العصر الشيوعي في اليمن الحكم في صنعاء بأنه صاحب علاقات قوية بالإسلاميين المتطرفين ، وأنه احتضن الخارجين على القانون والإجماع العربي!! والواقع يقول إن هذه هي أهم الأوراق التي لا يكف قادة الجنوب من التلويح بها كلما حاصرتهم الحقائق وأعياهم الواقع المتناقض ، لكن مهلاً فهؤلاء الماركسيون تحالفوا مع قوى متطرفة تدعي العمل الإسلامي مثل «حزب الحق» الزيدي المرتبط بإيران الدولة صاحبة الباع الطويل في التآمر والإرهاب ، ومع هذا لم يعتبروا هذا التحالف الذي استمر طوال فترة الوحدة وحتى قبيل اندلاع المعارك ، نوعاً من التطرف أو الأصولية أو الرجعية!

وما دمنا نتحدث عن الرجعية فيكفي أن نتأمل أن الشيوعيين قرروا أن يتحالفوا مع أكثر الفصائل الحاملة للراية الإسلامية ارتباطاً بالنظم المنقرضة ، فقد تحالفوا مع الأحزاب الصوفية الخرافية البائدة ، ومع أتباع النظام الإمامي الزيدي المتلاشي ، وربما دأب الماركسيون على جمع شتات كل الفرق التي تسير في درب الانقراض وفلك النسيان.

وظل الماركسيون يعتزون بتحالفهم مع الدول التقدمية في أنحاء العالم لاسيما (صين ماو وشيوعية موسكو) مقابل اتهام أعدائهم بأنهم صنيعة الاستعمار الغربي ، لاسيما قائدة الاستعمار العالمي (أمريكا) ، كما أن للزمن أحكاماً وللشيوعيين منطق عجيب وقانون انقلاب مخيف ، فقد أصبحت صداقة أمريكا والغرب لهم إنجازاً ، والتفات مجلس الأمن لهم - الذي طالما كالوه أقذع الشتائم - أصبح وعياً وتحضراً ، وأصبحت الزيارات العلاجية لأمريكا وأوروبا مسابقة يتنافس عليها الأمين العام للحزب مع منظر الحزب مع فراش الحزب . . . الحزب عرف الطريق يا سادة إنه يبدأ في شارع بنسلفانيا

وينتهي بمبنى الكونجرس، ومن سبق فاز . . !

لقد غدت مفردات اليسار العربي سهلة الفهم ، فهي تساوي اليوم نقيض ما قام عليه هذا التيار وما استورده قبل عقود ، ويكفي أن تنظر إلى الموقف قبل عشرين عاماً أيام النضال الثوري ، والمد القومي ، ثم تنظر إلى موقف اليمين الرجعي ، لتخرج بموقف اشتراكي اليوم وشيوعي الحاضر ، إن مفردات الخطاب السياسي هي مفردات الرجعية السابقة مضروبة بالأس ثلاثة .

لقد كانت الدولة الشيوعية في جنوب اليمن مثالاً للتطبيق الصارخ للماركسيين في جميع أنحاء العالم ، أما في الغد فلا يستبعد أن يقيم هؤلاء قبة للسيد البيض تحج إليها القبائل ويرقص بجانبها الدراويش ، وتقوم بتمويل الرحلات السياحية إليه شركة أمريكان إكسبرس بالتعاون مع فرع الحزب الاشتراكي في المنطقة .

ولكم أن تتأملوا اليسار في محضنه الغربي ، وهذا الخبل السياسي الذي يصر على أن يقيم كرسي حكمه على جماجم البشر وهياكل الشعارات والمبادىء المفلسة ، بينما يغذي جنونه وشبقة شوق عارم للسلطة والنفوذ ، ورغبة جامحة للوصول إلى كرسي الحكم ، حتى لو أريقت الدماء ، وأزهقت الأوراح ومورس الدجل السياسي بصورة تدعو للخجل ، لو كان هناك خلق فضيلة ، أو خصلة حياء .

لقاء مع فضيلة رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفو المسلمة

كوسوفو منطقة إسلامية مازالت ترزح تحت نير الاستعمار الصربي بعد تفكك جمهورية يوغسلافيا ، وعند ما أعلن برلمانها في أيلول ١٩٩١ م الاستقلال ونصب زعيمهم (د. إبراهيم دوغوفا) ، قامت حكومة الصرب بالغاء حكمها الذاتي وربطتها بالحكومة الصربية مباشرة وسامت أهلها سوء العذاب ومازالت ، وسبق أن تطرقنا بالتعريف بهذه المنطقة المسلمة مع بيان لخطط التدمير الصربي لها في العدد (٧١).

ويسر مجلة «البيـــان» في سبيل التعريف بهذه المنطقة ورموزها المشهورين ، اللقاء مع فضيلة رئيس المشيخة الإسلامية بكوسوفو د. رجب بويا ، حيث يحدثنا عن واقع المسلمين ومعاناتهم وما يحتاجونه من دعم وتأييد ، والدور المنتظر من إخوانهم المسلمين لنصرتهم.

- البيــان -

بطاقة تعريف

ولد في مدينة كلينا بكوسوفو ، ودرس فيها إلى المرحلة المتوسطة ، ثم حصل على درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد كانت بعنوان «الألبانيون والإسلام» ، ثم حصل على الدكتوراه وقد كانت بعنوان «المسلمون في يوغسلافيا».

* **ما هي أهداف زيارة فضيلتكم إلى بريطانيا ، وهل أنتم مرتاحون لنتائجها؟**

في الحقيقة الزيارة هي للتعرف على المراكز الإسلامية والجمعيات والاستفادة منها في العمل الإسلامي ، لاسيما أنها في أوروبا وهي قريبة منا ، وقد استفدنا كثيراً من حيث التنظيم والعمل.

* **نرجو لو حدثتمونا عن أبرز التطورات في كوسوفو في الفترة الأخيرة.**

إن قضية كوسوفو شبيهة بقضية فلسطين ، هي الآن محتلة من قبل الصرب وكوسوفو هي أصلاً جزء من ألبانيا ، وقد قاموا باقتطاع هذا الجزء ، علماً أن سكان كوسوفو من الألبان المسلمين يشكلون نسبة ٩٠ ٪ وفي كوسوفو ١٠٠ ألف جندي صربي ، ومن قبل كان الوضع لابأس بـه اقتصادياً ولكننا الآن صرنا نُعاني من أزمات اقتصادية لاسيما بعد تسريح ٢٠٠ ألف عاملٍ من أعمالهم في المصانع والدوائر الحكومية والمستشفيات وغيرها من المرافق.

* **هل ملئت هذه الأماكن بالصربيين أم تركت فارغة؟**

إن الصرب يشكلون نسبة ٥ ٪ من السكان ، وإن كانوا يحاولون بعد إخراج الألبان من أعمالهم أن يسدوا العجز بغيرهم ، ولكن بقيت الكثير من الأماكن فارغة ، ومازال الحال هكذا بلا تغيير حتى الآن.

* **هل هنالك فرق بين الصرب في ألبانيا والصرب في صربيا ، لأن هنالك من يفرق بينهم؟**

نعم في السابق كانت هنالك فروق بين الصرب المقيمين في كوسوفو ومن هم داخل صربيا ، ولكن مع التغيرات انقلب الصرب في كوسوفو وصاروا كالصربيين خارجها في معاملتهم مع المسلمين.

* **ما هو الموقف الذي لمستموه من الدول الإسلامية تجاه محنتكم؟**

إلى الآن لا نكاد نرى شيئاً من الدول الإسلامية ، لا مساندة سياسية ولا

اقتصادية ، وحتى الإعلامية قليلة جداً .

* **وهل ينطبق نفس الكلام على الجمعيات الإسلامية وهيئات الإغاثة؟**

هنالك من الجمعيات من قامت بالمساعدات البسيطة - جزاهم الله خيراً - وكان من الواجب أن يقوموا بأكثر من ذلك .

* **ما هو المشروع الأبرز الذي تودون أن يقوم به المسلمون؟**

الشيء الذي نطلبه من إخواننا جميعاً أن يقوموا بالتعريف بقضيتنا ، وبهذه المساندة يستطيعون تدارك موقف إخوانهم قبل أن يضعفوا ، ونود أن تكون المساعدة في التعليم والصحة والعمل الدعوي الإسلامي ، علماً أنه لدينا - والحمد لله - مدرسة ثانوية شرعية فيها ٤٥٠ طالباً ، وكلية للدراسات الإسلامية بإشرافنا ، ولكن هذه المؤسسات تحتاج إلى دعم مادي حتى تؤدي رسالتها ، وكذلك عندنا ٢١ مركزاً إسلامياً تحت إشرافنا .

* **معلوم أن قيمة كفالة الدعاة تختلف بين بلد وآخر ، فهل يمكنكم أن تعرفونا عن القيمة لكفالة داعية في كوسوفو؟**

لقد اتصل بنا عدد من الجمعيات لكفالة دعاة وأئمة مساجد ، والحمد لله لم نطلب منهم ما يعطى للدعاة الآخرين في الدول الأوربية ، فيكفي الداعية مبلغ (٢٠٠) دولار أمريكي شهرياً .

* **إن الأمة البوسنية قد دخلت في منعطف جديد بعد إعلان الحكومة البوسنية المسلمة الاتفاق مع الكروات الكاثوليك ، ماذا ترون في هذا الاتفاق وانعكاساته على الأوضاع في كوسوفو؟**

إن إخواننا في البوسنة أعلم منا بوضعهم واستراتيجيتهم وسياستهم نحوها ولا أستطيع أن أقول شيئاً لعدم اطلاعي على الموقف من قريب ، ولكنني أقول إنهم يعملون جاهدين لحمل أمانة بلادهم ومسؤولياتها ، نسأل الله

لنا ولهم التوفيق والسداد.

* **هل هناك نشاط بارز للدعاة لرد العدوان الصربي في المدى الطويل؟**

نحن في المشيخة الإسلامية ليس لدينا دعاة من الخارج، فكل الدعاة من الداخل وكلهم من الإخوة الألبان، وهم مع المسلمين في أمورهم الدعوية والسياسية والاقتصادية ويعملون مع الناس ويساعدوهم في إخراج البلاد من هذه الأزمة، والكل يعمل ويجتهد.

* **ما هي الحجج التي يتذرع الصرب بها في احتلالهم لكوسوفو؟**

إنهم يقولون إن كوسوفو مهد الصرب، فهم من حيث الموقع يرون أنها صربية، وأن الألبان في زعمهم ما هم إلا جالية جاءت من ألبانيا من قبل الأتراك العثمانيين، وهذا الأمر يُصرح به تارة ويُلوح به تارة أخرى، وهم أيضاً يطمعون في أراضي كوسوفو الخصبة والغنية من ناحية الخيرات، فهم يزعمون أنهم ضحوا فيها بالدماء خاصة في حربهم مع العثمانيين ويقولون: لا حق للألبان في هذه الأراضي، وقد حضروا من ألبانيا ولكننا نعتبر أنفسنا من أصل السكان، ولسنا جالية، ونحن مسلمون منذ أجدادنا وهذه هي الحقيقة.

* **كلمة أخيرة لقراء المجلة؟**

إن كلمتي لإخواننا هي أن يقوموا بالدور الإعلامي لإبراز قضيتنا والقضايا الإسلامية الأخرى، وكذلك مساعدة إخوانهم بكل ما يستطيعون.

بعد «التطهير»☆

- مقال مترجم -

ترجَمة : د. أحمد بن راشد بن سعيّد

الوقت هو يوم الجمعة ليلاً ، ومطعم «أدريا» في «بانيالوكا» يغص بالحديث والضحك والموسيقى ، لا أحد يلقي بالاً إلى الأرض المهجورة في الجانب الآخر من الطريق ، والمكسوة ببقايا مسجد «فرحات باشا» ، الذي يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر . . كل مساجد «بانيالوكا» دمرت منذ بداية الحرب .

المسلمون القلائل الباقون في أجزاء البوسنة التي استولى عليها الصرب لم يعودوا يأملون في أي نوع من التدخل ، قبل اندلاع الحرب الأهلية في عام ١٩٩٢م كان عددهم يقارب ٣٥٠,٠٠٠ نسمة ، ومنذ ذلك الحين حوالي ٩٠٪ وعلى جوانب الطريق المؤدية إلى «بانيالوكا» يشاهد المرء حطام بيوتهم وأطلالهم بعض الخرائب الباقية يرتفع عليها العلم الصربي إشارة إلى أن عائلة صربية تنوي إعادة بنائها والسكن فيها ، وبعض آخر يفكك بغرض استعمال أجزائها مواداً للبناء .

في بلدة بوسنية يحتلها الصرب وجدنا ثلاثة رجال مسلمين مستعدين للقاء زائر أجنبي ، إلا أن الرعب كان يتملكهم من عقاب الصرب إلى حد أنهم لا يريدون أن يُعْلَنَ عن مكانهم ولا عن أسمائهم ، أحدهم زعيم ديني وشيخ كبير ، لم يقل لنا شيئاً ، ولكن دموعه انهمرت على وجنتيه ، أصغر الثلاثة سناً

- وهو يكتب مذكرات يومية لما يعانيه شعبه من اضطهاد - قال لنا : «التطهير العرقي» مستمر ، في مارس قتل ٣٧ مسلماً و ٣ كروات في بيوتهم في «بريبدور» ، وفي الشهر الماضي امرأة مسلمة اسمها «نورا ميدانوفيتش» تبلغ الخامسة والثمانين من العمر قتلت في بيتها في «بانيالوكا» ، المسلمون - بشكل يومي تقريباً - يجلدون في الشوارع والأسواق ، والذي يزعج المسلمين أكثر هو سياسة العمالة القسرية التي ينتهجها الصرب ، قال الشاب : «هناك ١,٥٠٠ مسلم يجبرون على العمل الآن» ، وأضاف : «إنهم يجعلوننا ننظف الشوارع نقطع الأخشاب ، نشذب الأشجار ، ونحصد القمح ، وقد بدأوا مؤخراً بإرسال كثيرين ليحفروا خنادق في الجبهة ، وقد قتل الكثير منهم هناك» .

قلة من المسلمين فضلوا السلامة عبر اعتناق النصرانية! امرأة صربية في قرية «بوسانسكا غراهوفو» الصغيرة قالت إن أصدقاء مسلمين لها اختاروا هذا الخيار : «في العام الماضي عمدوا كنصارى أرثوذكس لأنهم يريدون البقاء» . . وقد أرسلوا مؤخراً إلى جبهة «بيهاتش» شمال غرب البوسنة ، وأضاف : «إنك لا تتخيل كم هي سيئة حالتهم ، إنهم لا يغادرون الخنادق مطلقاً لأنهم سيقتلون إن حاولوا ذلك ، إنهم يقضون حاجتهم ويأكلون وينامون في الخنادق . . » .

الأموال المقدمة من «بلغراد» إضافة إلى شبكة تموين سرية قللت النقص (في مناطق البوسنة التي يحتلها الصرب) ، والذي أحدثته العزلة والعقوبات الدولية .

في «بانيالوكا» الأناناس المستورد وفاكهة «الكيوي» متوفرة بسهولة ويستطيع المقتدرون شراء أزياء حديثة في المتاجر الواقعة على شارع

«غوسبودكا».

الصرب في كل «بانيالوكا» يقولون إن اليونان عملت الكثير لتحسين الأوضاع ، فقامت برفع مستوى التعامل التجاري مع الصرب رغم العقوبات. «كوبر يسانين» أحد الصرب قال : «لقد أثبتت اليونان أنها أحسن أصدقائنا» مشيراً إلى أن «تهديد الإسلام» في البلقان قد أجبر الصرب واليونانيين والبلغار على تكوين جبهة مشتركة.

☆ عنوان المقال : After the "Clearing" ، الكاتب : لارا مارلو
المصدر : مجلة تايم ، التاريخ : ٦ يونية ١٩٩٤ م

أوجادين
انتصارات جديدة للمجاهدين

الإتحاد الإسلامي في أوجادين

تمهيد:

أوجادين قطاع مسلم تحتله أثيوبيا منذ سلمته بريطانيا عام ١٩٤٨ م ، وسبق للمجلة أن عرَّفت بهذه المنطقة في عدد سابق ، وقد تلقينا هذا التقرير عن انتصارات المجاهدين هناك من مكتب العلاقات الخارجية والإعلام للاتحاد الإسلامي في أوجادين ، شاكرين تواصلهم مع المجلة مع دعائنا لهم بالنصر والتمكين - البيان -

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [الصف : ٨]

مازالت الهجمات الصليبية المتحالفة مستمرة على إخواننا المجاهدين في أوجادين ، وقد ابتدأت منذ عامين إلا أنها أخذت طابعاً جديداً منذ يوم ١٠/ ١١/ ١٤١٤ هـ ، وقد اختلف الهجوم الأخير عن الهجمات السابقة لكونه أول هجوم تشترك فيه أطراف خارجية مباشرة منذ اندلاع المعارك ، حيث شاركت في قصف المواقع طائرات أجنبية (غربية) ، كما تمثل القوى المحلية الصليبية الحكومة الأثيوبية التي تشترك في الهجوم البري المكثف ، وذلك بعد أن خسرت مليشيات «التجراي» الكثير من محصلة إحدى وعشرين مواجهة في الفترات الماضية .

وقد أحبط الله كيد الصليبية التي خططت للتصفية النهائية للمجاهدين في هذا الهجوم الأخير ، بفضل الله سبحانه وتعالى ثم للأسباب التالية :

١ - أخذ المجاهدون تكتيك عدم التمركز في مناطق معينة ، وانتشروا في أنحاء المنطقة وفي طولها وعرضها ليمارسوا حرب العصابات المستمرة في الليل والنهار.

٢ - بفضل من الله هطلت أمطار غزيرة لم ير لها مثيل في الآونة الأخيرة وهذه الأمطار ساعدت المجاهدين ، كما عرقلت وشلت حركة العدو الذي لم يستطع الخروج من مناطق كثيرة مثل (لغب) حيث انقطعت الطرق ، وتعطلت كثير من آلياتهم ومعداتهم العسكرية.

وبعد أن أخفق العدو الصليبي في هجماته المتحالفة بدأ الانتقام من الشعب الأعزل ، وأخذ يمارس ضدهم ما يلي :

١ - جمع أعيان الشعب وبخاصة المتهمين بأنهم من أنصار الجهاد ، وقتلهم بصورة بشعة.

٢ - جمعوا المصاحف والكتب الإسلامية وكل ما هو مكتوب بالعربية وأضرموا فيه النار.

٣ - هدمت وأحرقت عدد كبير من منازل الشعب المسلم الأعزل.

٤ - تقوم الطائرات الحربية بقصف آبار الشعب التي تشرب منها المواشي التي يعتمد الناس في حياتهم المعيشية عليها ، وذلك حتى يتوقف الشعب عن تأييده للمجاهدين.

معارك وتنفيذ عمليات ناجحة :

قام المجاهدون بتنفيذ عمليات ناجحة في الأيام القليلة الماضية نذكر منها :

١ - في ٢٠/١١/١٤١٤ هـ قام المجاهدون بالهجوم على مطار «جودي» العسكري وتفجيره ليلاً ، وكانت عملية ناجحة حيث عاد المجاهدون سالمين.

٢ - في ٢١/١١/١٤١٤ هـ التقت كتيبة من المجاهدين ومجموعة من مليشيات العدو في «هطاوي» قرب عاصمة المنطقة «جودي» ، ودار بينهما قتال مرير كان النصر فيه حليف المجاهدين ، وبينما هم يجمعون الغنائم من المعدات الحربية وصلت الطائرات الحربية المساندة فانسحب المجاهدون من الموقع.

٣ - في ٢٢/١١/١٤١٤ هـ تصادمت كتيبة من المجاهدين وقافلة للعدو قرب بلدة «كنجدة» انهزمت قافلة العدو ، وتمكنت من الفرار.

٤ - في ٢٦/١١/١٤١٤ هـ نصب المجاهدون كميناً لناقلة للعدو تقل عدداً كبيراً من جنودهم ، وقد تمكن المجاهدون بفضل الله سبحانه وتعالى من الاستيلاء على هذه الناقلة بعد قتال عنيف ، وأصبح من فيها بين قتيل ومشرد ، وغنم المجاهدون غنائم عديدة من بينها عدد لا بأس به من البنادق وجهازي لاسلكي ، وكمية جيدة من الذخائر.

٥ - في ٥/١٢/١٤١٤ هـ اصطدمت كتيبة من المجاهدين ومجموعة من مليشيات العدو في موقع قرب بلدة «جرسلي» ، ودار بينهما قتال مرير استمر عدة ساعات ، وأسفرت هذه المعركة عن إبادة المجموعة النصرانية البالغ عددها (٤٠) جندياً ، حيث لم ينج منهم إلا اثنان فقط ، وعادت الكتيبة المجاهدة إلى مواقعها سالمة ولله الحمد.

٦ - في ٦/١٢/١٤١٤ هـ قام المجاهدون بتنفيذ كميناً ناجحاً لقافلة في مدينة

«جودي» العاصمة ، حيث اغتالوا جنديين وجرحوا واحداً من مليشيات العدو الصليبي .

٧ - في ٨/ ١٢/ ١٤١٤ هـ نصب المجاهدون كميناً لقافلة للعدو قرب مدينة «قبردهري» ونجم عن هذا الكمين تدمير سيارة تقل عدداً كبيراً من جنود العدو الذين صاروا ما بين قتيل وجريح .

٨ - في ١١/ ١٢/ ١٤١٤ هـ تمكن المجاهدون من تفجير سيارة وقتل من فيها ، كما استولوا على سيارة أخرى بحمولتها في نفس الموقع ، وكان موقع العملية بين مدينة «فبربيح» و«طجبحور» .

٩ - ١٦/ ١٢/ ١٤١٤ هـ التقت سرية من المجاهدين ومجموعة من مليشيات العدو قرب بلدة «شنيلي» ودار بينهما قتال مرير استمر لمدة يوم كامل وبفضل الله فقد انهزم جنود العدو وولى ظهره تاركاً على أرض المعركة (٧٠) قتيلاً ، أما المجاهدون فقد قتل منهم عشرة وجرح خمسة ، نسأل الله أن يتقبلهم شهداء في سبيله .

١٠- في ١٧/ ١٢/ ١٤١٤ هـ اشتبكت كتيبة من المجاهدين ومجموعة من مليشيات العدو في نواحي مدينة «طجحبور» ودار بينهما قتال عنيف استمر نحو ساعتين ، وانتهت المعركة باندحار المجموعة النصرانية وانتصار المجاهدين ، حيث أسفرت هذه المواجهة عن قتل (٤٧) من الجيش الاثيوبي وجرح ما يربو عن (٣٠) منهم ، ومن جانب المجاهدين فقد سقط منهم (٣) مجاهدين ، وأصيب (١٠) مجاهدين آخرين نسأل الله أن يتقبل الموتى شهداء في سبيله .

١١- في ٢٨/ ١٢/ ١٤١٤ هـ هاجمت سرية من المجاهدين وفي وضح النهار

قاعدة للمليشيات التجرانية النصرانية في مدينة «طجحبور» ، فقتلوا اثنين من جنود العدو وغنموا بندقيتيهما ، وأصيب أحد المجاهدين بجروح طفيفة.

اعتقال الرئيس المحلي بعد عزله :

في ٢/ ١٢/ ١٤١٤ هـ الموافق ١٣/ ٥/ ١٩٩٤ م قامت السلطات الأثيوبية باعتقال الرئيس المحلي لأوجادين «حسن جري قلنلي» ، ونائبه «أحمد علي طاهر» ، وذلك بعد أن رفضا طلب هذه السلطات تسليم السلطة إلى «عبدالرحمن محمد أغاس» المعين من قبلها لما في الأخير من الولاء الشديد إلى - الذي يصل إلى درجة العمالة - للحكومة الاستعمارية.

وبعد أن تعرض الشعب للخطوات الوحشية السابقة من الغارات البرية والجوية التي لا تفرق بين المجاهدين المسلحين وبين الشعب الأعزل ، كما تعرضت قيادته السياسية المتمثلة في الحكومة المحلية وبرلمانها المحلي إلى سلسلة من التدخلات والمضايقات أدت إلى زجهم في السجن بصورة بشعة ، والجدير بالذكر أن إسقاط الحكومة المحلية في أوجادين واعتقال رؤسائها المحليين هو للمرة الثانية خلال عام واحد.

وبعد هذه الخطوات بدأ في أنحاء المنطقة وبخاصة في المدن الرئيسة - مثل «جودي» العاصمة و«قبردهري» و«طجحبور» - مسيرات ومظاهرات واحتجاجات على هذه التصرفات غير الإنسانية ، فكان رد الحكومة الأثيوبية أن قامت بمزيد من المداهمات والاعتقالات الجماعية وبخاصة ضد أعضاء الحكومة المحلية والبرلمان ، بل تعدى الأمر في هذه المرة إلى إعدام أعداد كبيرة من أعيان الشعب والوجهاء ، فبدأ الشعب يخرج من المدن ليلتحق بالجبهات المسلحة بعد

أن لم يستطع الصبر على هذه الانتهاكات والممارسات من قبل السلطات الاستعمارية في أديس أبابا ، ويلاحظ أن هناك مشاركة فعلية من قبل الشعب في المعارك الأخيرة بعد أن كانت محصورة بين مجاهدي الاتحاد الإسلامي وبين مليشيات «تجراي» النصرانية في خلال العامين الماضيين.

وذلك أن الشعب كان يراهن في انتهاء الفترة الانتقالية للحكومة الأثيوبية ، ومن ثم تحديد موعد لإجراء استفتاء عام حول استقلال أوجادين ولما انتهت هذه الفترة الانتقالية التي مددت عدة مرات من قبل الجبهة الحاكمة في أديس أبابا (EPROF) اتضح للشعب خرافة الوعود الكاذبة التي ترددها هذه الشلة الاستعمارية بأن لكل قومية أن تحدد تقرير مصيرها ، وأن تختار ما تشاء في ظل الدستور الجديد! بل أكثر من ذلك انكشف الوجه الحقيقي لهذه العصابة المتعصبة التي كشرت عن أنيابها لتمارس سياسة الحديد والنار في قمع الشعب المسلم في أوجادين ، وتنكرت لكلامها المعسول الذي كانت تردده في الفترة الماضية عندما شعرت أن بإمكانها حسم الصراع لصالحها عن طريق القوة العسكرية بواسطة حلفائها الغربيين ، الذين يتدخلون دائماً في الصراع الدائر في القرن الإفريقي لصالح الأقلية الاستعمارية في أثيوبيا ، والتاريخ القديم والحديث يثبت صحة ذلك.

وفي صعيد آخر فقد استعدت الجبهة الوطنية لتحرير أوجادين للمواجهة المسلحة مع مليشيات العدو ، وانسحبت قياداتهم من المدن ، وأغلقوا معظم مكاتبهم ، وقال الأمين العام لهذه الجبهة الوطنية «إبراهيم عبدالله» في مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية في ٢٨/ ١٢/ ١٤١٤ هـ : إن شعب أوجادين يتعرض لحملات إبادة واعتقالات واسعة ، بل وتعذيب وإعدامات في داخل السجون الجماعية وقال : أن جبهته تقاتل بجانب مجاهدي الاتحاد الإسلامي لرفع الظلم

والضيم عن الشعب في الأوجادين ، ولن نضع البندقية حتى نحصل على حقوقنا في تقرير المصير.

وهكذا نجد أن تخطيط الصليبية المتحالفة قد خاب وفشل ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ ، كما نجد أن الهجوم الواسع الذي اشتركت فيه أطراف أخرى ، والذي كان مخططاً منذ فترة طويلة وعلى تمثيل مستوى عال في العناصر المتحالفة ، قد باء بالفشل الذريع - ولله الحمد - وأصبحت نتائجه عكسية حيث إن الشعب كله اشترك في المعارك الأخيرة ، وأصبحت المسألة بين شعب أوجادين المسلم البالغ ستة ملايين نسمة ، وبين المليشيات الاستعمارية الصليبية.

ومما يدل على فشل هذا الهجوم الذي يهدف إلى استئصال المجاهدين وإخماد أي مقاومة منهم أن المعارك والعمليات الناجحة قد ارتفعت بصورة واضحة أكثر من ذي قبل.

ومن ناحية أخرى تشير الأخبار الواردة من أنحاء الأوجادين أن معنويات المليشيات الاستعمارية في الحضيض ، وأن آثار الملل والإرهاق ظاهرة عليهم لذلك فإنهم الآن يبحثون التفاوض مع قيادات أوجادين لإنهاء التوتر الذي عم في أنحاء المنطقة ، إلا أنهم لم يجدوا استجابة حتى الآن لما اشتهروا به من الغدر والخيانة في مفاوضاتهم الماضية.

ونحن بدورنا ننبه أن الحرب الدائرة في أوجادين حالياً ليست حرباً بين الإتحاد الإسلامي وبين الحكومة الاثيوبية فقط ، وإنما الحرب بين شعب أوجادين المسلم الذي يئن تحت الاستعمار الحبشي منذ قرن من الزمن ، وبين الحكومة الاستعمارية النصرانية في أثيوبيا ، وخير دليل على هذا اعتبار أوجادين منطقة عسكرية منذ أن ضمتها بريطانيا إلى أثيوبيا عام ١٩٤٨ م- ظلماً وعدواناً - وإلى

يومنا هذا ، حيث تندلع في كل عدة سنوات حروب طاحنة لتلخيص المنطقة من أيدي المستعمرين ، وما كانت حرب ١٩٧٧ م المشهورة بـ (حرب أوجادين) التي تعتبر من أكبر الحروب التي عرفتها البشرية إلا واحدة من هذه الحروب.

لذا فإننا ننادي إخواننا في كل مكان أن يقفوا إلى جانب إخوانهم في أوجادين ، وأن يستنكروا الانتهاكات والممارسات غير الإنسانية التي يتعرض لها الشعب المسلم من قبل نصارى الحبشة المتعصبين المغتصبين ، حيث إن طبيعة المعركة لا تختلف عن طبيعة المعركة القائمة في كل من فلسطين والبوسنة والهرسك .

نسأل الله تعالى أن ينصر عبادة المجاهدين في كل مكان ، وأن يجعل الدائرة والذل والصغار على من عادى وظلم .

«الندوة الدولية حول التقريب في استانبول»
عرض وتحليل

سعد بن محمد آل عبداللطيف

أقيمت هذه الندوة في «استانبول» بتركيا من ١٣-١٥ فبراير ١٩٩٣ م برعاية «وقف دراسات العلوم الإسلامية بتركيا» وهي مؤسسة علمية تعنى بالأبحاث والدراسات العلمية ، تحت عنوان (الشيعة عبر التاريخ وحتى يومنا الحاضر) ، وقد بدأ الإعداد لهذه الندوة والأبحاث التي ألقيت فيها منذ ثلاث سنوات ، وقد اشترك فيها ستة عشر عالماً من جامعات تركيا ، وقد قاموا برحلة علمية إلى إيران لمدة أسبوعين .

والهدف من هذه الندوة : تدارس التقارب بين السنة والشيعة! ، وما هي العوائق التي تحول دون ذلك .

وألقيت في بداية المؤتمر كلمة ترحيبية يمثل صاحبها أهل السنة!! وكلمة ترحيبية أخرى يمثل صاحبها الرافضة ، والأول من بلد له ثقل كبير عند أهل السنة والآخر له ثقل كبير أيضاً عند الرافضة ، ولهذا الاختيار مغزى كما ترى ، وقد اتفق الطرفان على أن الخلاف بين طائفتيهما - السنة والرافضة - هو خلاف هامشي!!

ثم ألقيت البحوث التي أعدها أساتذة جامعات من تركيا ، وفي الغالب كان يتلو هذه البحوث تعقيب من الحاضرين من علماء ومثقفي الشيعة الحاضرين في الندوة ، وسنعرض لبعض أهم هذه الأبحاث عرضاً موجزاً .

الأبحاث :

* بحث بعنوان «نشأة الشيعة وتطورها» ، د. أدهم روحي فغلالي - رئيس جامعة موغلا بتركيا - تحدث في هذا البحث عن منشأ الخلاف وأساسه بين السنة والشيعة وهو مسألة : الإمامة ، وذكر أن الشيعة يسرون أن الإمامة بالنص وأنها لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم لأبنائه ، وذكر أن الإمامة ركن من أركان الإيمان عندهم ، ثم تتبع أحداث التاريخ لرصد تطور معتقدات هذه الفرقة - أي الإمامية الإثنا عشرية - .

ثم جاء تعقيب د. محمد علي آذرتب - أستاذ في جامعة طهران بإيران - حيث شكك في دعوى أن «الإثنا عشرية» يقولون بأن إمامة علي بن أبي طالب كانت بالنص ، وعرف التشيع بأنه «هو الاعتقاد بأن علي بن أبي طالب وأهل البيت أفضل الناس للخلافة بعد الرسول ﷺ فقط» ، ثم ذكر - وعلى حسب زعمه - أن أغلبية الصحابة لم يبايعوا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - ، ثم ذهب يطعن في الأمويين والعباسيين[1] .

* بحث بعنوان «آراء الشيعة في علوم القرآن» ، د. موسى كاظم يلماز من كليات الإلهيات بجامعة طهران ، وتحدث فقال : إن القرآن جاء بالتواتر دون زيادة ولا نقصان ، بخلاف الرافضة القائلين بوقوع التحريف في كتاب الله بأقوال علمائهم ونقلاً عن مصادرهم ، وجعلها على قسمين : القسم الأول المصادر والأقوال للعلماء المتقدمين منهم - ما قبل القرن الرابع - ، والقسم الثاني العلماء القائلين بهذا القول ممن عاشوا ما بين القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الهجري ثم ذكر قسماً ثالثاً وهم القائلون بعدم وقوع التحريف.

ثم جاء التعقيب من محمد باقر حجي - أستاذ كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية بجامعة طهران - الذي أكد في أول الأمر أن القرآن الكريم جمع في

عهد النبي ﷺ وليس في زمن أبي بكر كما قال الباحث ، ثم زعم أن الرافضة لا يقولون بتحريف القرآن ، وأن الروايات التي في هذا الباب هي ضعيفة السند وهي مخالفة للقرآن والسنة والإجماع!! ثم ذكر عدة كتب لهم تنفي القول بتحريفه وقال : «لو أن وجود روايات تدل على التحريف عند الشيعة - يعني أن الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن - لكان وجود الروايات الكثيرة الدالة على التحريف في نطاق واسع عند أهل السنة! هي أيضاً دليل على اعتقاد أهل السنة بالتحريف!! ثم ذكر بعض هذه المرويات التي على فرض صحتها من جهة السند فليس فيها دلالة على التحريف ، من ذلك ما جاء في كتب الحديث أن آية الرجم نسخت تلاوة وبقيت حكماً ، ففي هذا الحديث دلالة على وقوع التحريف في القرآن الكريم كما يزعم! «ولا شك أن ذلك سفسطة»[٢] .

* بحث «رأي الشيعة الأمامية الإثنا عشرية في التفسير» ، د. علي أوزك - كلية الإلهيات بجامعة مرمرة - تحدث عن عقيدة الإمامة عندهم وكون الإمام لابد أن يكون معصوماً ، وذكر أمثلة على تفسيرهم وتأويلاتهم لآيات القرآن الكريم في دعوى الإمامة والنص فيها فيما يرى لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وأبنائه من بعده .

ثم ذكر أركان مذهبهم وهي : العصمة ، المهدية ، الرجعة التقية وكيف أنهم أولوا آيات القرآن الكريم لتسويغ هذه الأركان والاستدلال على أهميتها وشأنها في الدين عندهم .

ثم تعرض للخصائص المشتركة - كما يرى - بين السنة والشيعة ، وهي : التوحيد - النبوة - المعاد ، ولكن المعلوم أنهم نفاه لصفات الله عُبَّاد للقبور غلاة في أئمتهم ، معرضون عن سنة النبي ﷺ ، معادون للصحابة - رضوان الله عليهم - . . . إلى آخر معالم مذهب القوم .

ثم ذكر الباحث أن العلم بالقرآن الكريم وبتفسيره هو خاص بالنبي وآل بيته - رضي الله عنه - فقط ، وذكر أن الإمام عندهم له أحقية التشريع!

ثم علق «المهدي الحسيني الروحاني» بأن أركان الدين الأربعة ليست أركان بل هي أمور وقضايا فرعية! وأصول الدين عندهم هي خمسة : التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة ، وقال : إن القول بأن الشيعة ترى أن للإمام أحقية في التشريع يجب اتباعه على ما يرى والتصديق بما يقول كذب عليهم! بل هو قول أهل السنة الذين جعلوا الصحابة - رضوان الله عليهم - لهم أحقية التشريع!! وهو يشير هنا إلى مسألة قول الصحابي وحكم الأخذ بقوله ، وهي مسألة أصولية وقع فيها الخلاف بين أهل السنة ، ثم زعم أن أهل السنة يقولون كما تقول الشيعة بأن للقرآن ظاهراً وباطناً ، (كذا زعم!)[٣]

كان هذا التعليق المتهافت سبباً في أن يعقب الباحث «د. علي أوزيك» على تعقيب «الروحاني» ، حيث قال : إن المقصود في اجتماعنا هو الوصول إلى الحق والتجرد له دون محاكمة الصحابة وآل البيت[٤].

* بحث بعنوان «أصول الدين عند الشيعة» ، د. عوني إنحاف - كلية الإلهيات بجامعة ٩ سبتمبر - تحدث في بحثه عن أصول الدين عندهم ، وهي : التوحيد والعدل ، وقد وافقوا المعتزلة في هذين الأصلين : التوحيد بنفي الصفات والعدل بنفي القضاء والقدر.

الأصل الثالث النبوة ، والرابع الإمامة ، والخامس المهدوية ، والسادس المعاد ، بالإضافة إلى الرجعة والتقية ، ثم شكك الباحث في كونهم يعتقدون بتحريف القرآن ، ويرى أن التقية أمر طبيعي ربما احتاج له المسلم العادي إذا ما خاف على نفسه أو على من يعز عليه ، وبخاصة وأن منهم الإثنا عشرية الذين لاقوا وذاقوا الكثير من المحن والمصاعب ، فكان هذا دافع للتستر خلف ستار التقية.

ثم جاء تعقيب «آية الله مهدي الحسيني الروحاني» الذي قال : إن كلمة الشيعة تعظم أئمتهم - كما زعم - فإن هذا التعظيم لا يعدو مثل تعظيم أهل السنة للصحابة!! ثم ذكر أن قومه يوافقون الأشاعرة في تنزيه الله عز وجل - يعني نفي بعض صفات الله عز وجل - بخلاف من وقع في التشبيه من أهل الحديث السلفيين والحنابلة وابن تيمية وأتباعه من الوهابيين! (كذا زعم).

ثم يعود ويذكر أن المعتزلة هم الذين أخذوا هذين الأصلين عنهم : العدل والتوحيد لا العكس ، وهذا ادعاء غير صحيح ، فإن الشيعة ومتقدميهم بخاصة كالروافض كانوا في أول أمرهم مشبهة ومن رؤوسهم في هذا الباب كما هو معروف «هشام بن الحكم» ، ثم تحولوا إلي الاعتزال ونفي القول بنفي القدر ثم كيف يزعم في أول الأمر أنهم وافقوا الأشاعرة في باب التوحيد؟ وهنا يرى أن المعتزلة قد وافقوه؟ والأشاعرة تثبت بعض الصفات وتنفي بعضها الآخر أما المعتزلة فينفون جميع الصفات ، فهل وافقت الرافضة حينما قالت بنفي بعض الصفات أو نفي الكل؟! ثم يوافق الباحث في أنهم لا يقولون بتحريف القرآن!! ويخالف الباحث في أن التقية والرجعة والبداء ليست من العقائد بل هي من المسائل الفرعية.

* بحث بعنوان «مناقشة آراء الإمامية وتقييمها حول موضوعات أصول الدين» ، د. يوسف شوقي ياووز - كلية الإلهيات بجامعة مرمرة - تعرض لما تعرض له زملاؤه السابقون ، ثم أشار إلى أن التقية والعصمة والإلهام الغيبي كانت وراء ما أسماه بـ «الإمامية الإلهية».

ثم تحدث الباحث بمرارة عن عقيدتهم في أئمتهم المجتهدين ، وأنها فتحت باباً للظلم والاستبداد والعبودية ، ونقل عن أحد علمائهم أنهم يرون طاعة المجتهدين من علمائهم في كل شيء ، ومن رد عليه فهو راد على الإمام والراد على الإمام راد على الله[٥].

* بحث بعنوان «الفكر الشيعي من التقية والانتظار إلى الولاية المطلقة»، أحمد الكاتب» ، تحدث في بحثه عن الفكر السياسي الشيعي - مرحلة الانتظار والتقية - حيث تجمد الحدود عندهم والقضاء وغيرها من الأمور حتى يخرج الإمام من السرداب ، وهناك من قال بفكرة «النيابة» وذلك بأن يقوم الفقهاء بالقضاء وأخذ الزكوات وغيرها .

وكانت «النيابة» بذرة لفكرة وعقيدة «ولاية الفقيه» التي تطورت على يد الخميني - حديثاً - حيث أخذ يبث هذه الفكرة بين طلابه في النجف ، وألف في شأنها كتابه «الحكومة الإسلامية» ، ثم قام بالتطبيق العملي لهذه الفكرة حينما وصل إلى سدة الحكم في إيران ، وللحكومة الإسلامية - وتحت ستار ولاية الفقيه - أن تفعل ما تشاء ، فلها مثلاً أن تهدم المساجد إذا رأت ذلك ، أو تمنع أفراد الشعب من الحج إلى مكة المكرمة . . . إلى غير ذلك(٦) .

* بحث بعنوان «التقية والعصمة والإلهام عند الشيعة الإمامية» د. موسى الموسوي - رئيس المجلس الإسلامي في لوس أنجلس بأمريكا - قال في شأن التقية : «كانت ولازالت لها آثارها السيئة في حياتنا ، ولازلنا ندفع ضريبتها الباهظة» .

وضرب أمثلة على عقيدتهم «التقية» فقال : «إن عقيدتهم في الخلفاء الراشدين عقيدة غير حسنة - كما تشهد بذلك كتبهم - ولكنهم يضمرون هذه العقيدة أمام أهل السنة ويقولون فيهم قولاً حسناً» .

ويرفض أن تنسب عقيدة «التقية» إلى الأئمة من آل البيت ، ثم قال عن عقيدة «عصمة الأئمة» : «إنما وضعت هذه العقيدة لأجل غاية وهي القول بـ«الإمامة الإلهية» ، وشهد شاهد من أهلها(٧) .

وهناك أبحاث أخرى منها : «الثورة الإسلامية الإيرانية والشيعة في القرن

العشرين» ، «الشيعة من القرن العاشر إلى القرن العشرين»[8] ، «فروع الدين عند الشيعة» ، «العبادات في المذهب الجعفري» ، «التصوف عند الشيعة» «الزيدية» . . . وغيرها من الأبحاث .

وفي الختام :

توالت كلمات الحاضرين من أهل السنة - من غير الأتراك من رعايا الدول العربية وباكستان - ممن هم على مذهبهم بالثناء على هذه الندوة ، ودعوتها إلى الوحدة الإسلامية ونشر المحبة بين الفريقين - أهل السنة والشيعة - ، إلا أنهم أكدوا على جوب توضيح موقفهم - أي الرافضة - من مسألة وقوع التحريف في القرآن الكريم ومسألة سب الصحابة وتحذيرهم عامتهم من الوقوع في هاتين المسألتين ، كما دعى ممثل إيران إلى أن يكون الاجتماع القادم في إيران وبإشراف مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية الموجود هناك[9] .

وقفات مع هذا المؤتمر :

أولاً : يتميز هذا المؤتمر أو الندوة بالطابع العلمي الأكاديمي - إلى حد ما - ومن ثم فهو ليس كغيره من مؤتمرات التقريب التي يغلب عليها الجانب العاطفي والدندنة حول شعارات الوحدة الإسلامية ومواجهة الأعداء . . . الخ .

ولكن ينقص أصحاب هذه البحوث الشيء الكثير من التأصيل العلمي الشرعي للموضوعات المطروحة ، وما يترتب على معتقداتهم تلك مع أهمية عدم الاغترار بزخرف قولهم وبخاصة وأنهم أهل تقية ، ومعرفة أقوال سلف الأمة والعلماء والمعتبرين المعاصرين فيهم ، والرجوع إلى كتب الملل والنحل لمعرفة حقيقة مذهبهم ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، إذ كيف تعرف ذلك إلا بمعرفة أحكام وشرائع هذا الدين من مصدريه الصحيحين «الكتاب والسنة» والتجرد للحق ونصرته دون موارية أو مجاملة أو عواطف زائفة؟!

فهناك من الباحثين من هوّن من شأن في إثبات الصفات المثلى لله - عز وجل - كما دلت على ذلك النصوص الشرعية كما هي عقيدة أهل السنة أما القوم فهم ينفون هذه الصفات ، فيرون أن الأمر ليس ذا أهمية وأنها قضية هامشية؟!وهناك من شكك في كونهم يقولون بوقوع التحريف في القرآن وغيرها من الأخطاءالثابتة فعلياً في مراجعهم المعتمدة .

ثم لابد للباحث من الحصيلة العلمية الشرعية الصحيحة والعقيدة والتصور الصحيح من أجل التقييم الصحيح على وفق منهج أهل السنة والجماعة ، ومما يدل على ضعف الحصيلة العلمية الشرعية عند هؤلاء الباحثين ، عدم تعرضهم لتوحيد العبودية عند أولئك ، وبخاصة وأن مواقفهم معروفة في هذا الباب ، كيف لا وهم يحجون إلى قبور أئمتهم؟! كما هو معروف في مشاهدهم في العراق وإيران مثلا .

ثانياً : الغاية من المؤتمر والمقصد منه هو التقريب ، وهي غاية فيها نظر ، فهل يجوز التقريب بين أهل السنة والمبتدعة ، فضلاً عن أولئك؟! وهل المقصود من التقريب التنازل من أهل السنة عن عقائدهم!! أم هل يمكن الاجتماع معهم وهم يقولون بوقوع التحريف في كتاب الله ويردون السنة؟! ويكفرون الصحابة .

ثالثاً : عند وقوع التنازع بين أهل السنة والقوم سيقوم أهل السنة بالرجوع إلى الكتاب والسنة عند وقوع هذا الاختلاف والتنازع ، عملاً بقوله تعالى : **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً﴾**[النساء : ٥٩] ، أما أولئك فيقولون أن القرآن الكريم محرف وربما أولوه على أهوائهم ، أما السنة فهي عندهم ما نسبوه إلى أئمتهم (فقط) ، ويطعنون في الصحابة - رضوان الله عليهم - إلا القليل منهم ويطعنون في السنة إلا أحاديث معدودة ، يقدمون أقوال علمائهم ومراجعهم في الحوازات العلمية على نصوص الوحي ، فكيف يتفق الفريقان بل كيف يلتقيان؟!

رابعاً : توصل بعض الباحثين إلى نتائج طيبة في معرفة عقيدة القوم من القول بوقوع التحريف في القرآن الكريم إلى الطعن في الصحابة ، إلى التقية والعصمة وغيرها ، ولكن ماذا يترتب على هذه العقائد من حكم قائلها ، وكيف نتعامل معه على ضوء معتقداته الفاسدة؟ هل يمكن بعد كل ذلك أن نجلس معه ونتحاور ونثني عليه ونحسن الظن؟!

كيف نكون مع قوم يطعنون في كلام الله ووكلام رسوله ﷺ وفي صحبه الأطهار ، ويرجون ليوم يظهر فيه إمامهم المزعوم ليهدم الكعبة ويقتل أهل السنة ويبطش بهم؟! كيف يؤمن جانبهم وهذا ما يؤمنون به ، وإلى متى نبقى سذجاً إلى هذا الحد؟!

---

(١) انظر لبيان أن الإمامة للإمام علي ليست بالنص (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) انظر إلى كتاب (الشيعة والقرآن) لإحسان ظهير ، و(الشيعة وتحريف القرآن) للأستاذ محمد مال الله ، من واقع كتبهم المعتبرة .

(٣) انظر لمناقشة مسألة أن للقرآن ظاهراً وباطناً في كتاب (التفسير والمفسرون) للشيخ الذهبي ، وكتاب (الفكر الصوفي) للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ، وكيف دحضاها .

(٤) انظر الشيعة والتفسير (د. علي السالوس) و(الشيعة والسنة) لإحسان ظهير .

(٥) انظر منهاج السنة لشيخ الإسلام ، ومناقشتهم في هذا الباب مناقشة علمية .

(٦) انظر (دراسة في ولاية الفقيه) د. محمد عثمان ، ومعلوم أن كثير من علماء الشيعة مثل (كاشف الغطاء) نقد هذه الفكرة التي اخترعها الخميني .

(٧) انظر (الشيعة والتصحيح) لموسى الموسوي ، لمزيد من الإيضاح لهذه المسألة .

(٨) انظر (الثورة البائسة) لموسى الموسوي ، و(جاء دور المجوس) د. الغريب .

(٩) انظر (رسالة التقريب بين الشيعة والسنة) د. القفاري ، من منشورات دار طيبة بالرياض ، حيث ناقش هذه المسألة بما لا مزيد عليه .

محاسبة النفس ونقد الذات

رؤية دعوية لإصلاح المسار

عبدالعزيز بن محمد الوهيبي

تمهيد:

لقد سرني وأثلج صدري ما كتبه الأخوان الفاضلان الأستاذ/ جمال سلطان في مقاله (الدعوة السلفية - رؤية نقدية)، وما كتبه الأستاذ/ أحمد الصويان في مقاله (الاستبداد الدعوي) - اللذين نشرا في العدد (٧٣) من هذه المجلة - فهيج ذلك المقالان شجناً قديماً عندي، وأحببت الإدلاء بدلوي في الموضوع بهذه المقالة، عسى أن تدفع هذه المشاركة الآخرين لتناول تلك القضية من زوايا أخرى تعين على وضوح الرؤية، وسلامة الفهم، وحسن السلوك. والله من وراء القصد.

ثمة عيبان بارزان، وشاهدان عدلان على ضعف الإنسان وعجزه وقصوره، هما: الظلم والجهل.

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً..﴾[الأحزاب: ٧٢].

هاتان الآفتان هما أساس كل بلاء، وجذر كل نقص في بني آدم، ويمكن رد كل آفة أو عيب من غيرهما إلى هاتين الآفتين مباشرة أو بطريق غير مباشر. والوعي بهاتين الآفتين والسعي لتلافيهما دلالة على سلامة المنطلق، ونجاح المآل بإذن الله تعالى.

آفة الظلم:

وهي العيب الأول ، وهو عيب أخلاقي وله مظهران : المظهر الأول فردي يتمثل في أسوأ صورة ، التي تتمثل في الشرك بالله تعالى ، يقول سبحانه : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** . . ﴾[لقمان : ١٣] ، وأي ظلم أعظم من الشرك بفاطر الأرض والسموات؟!

والمظهر الثاني لهذا العيب الخطير جماعي متعد ، يتمثل في ظلم الناس ، وأسوأ صورة له هي الكبر الذي قال عنه النبي ﷺ (الكبر بطر الحق وغمط الناس . . .)[1] ، وقال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . . .)[2] .

آفة الجهل:

وهي العيب الثاني ، وهو عيب معرفي ويتجلى هو الآخر في مظهرين :
المظهر الأول الجهل بالشريعة المنزلة على محمد ﷺ ، وذلك بالإعراض عنها كلياً وهو حال الكافرين المستكبرين الذين قال الله عنهم : ﴿ **والذين كفروا عما أنذروا معرضون** ﴾[الأحقاف : ٣] ، أو الإعراض عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ وهو حال العصاة الفاسقين ، أو المبتدعة الزائغين ، الذين قال الله عن أشباههم : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب** . . ﴾ [البقرة : ٨٥].

الأمر الذي يؤدي إلى التفرق والاختلاف ، ﴿ **فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** . . ﴾[المائدة : ١٤] ، ذلك الجهل وذلك الانحراف نابعان من اصطناع منهج منحرف في الاستدلال كمناهج الصوفية والباطنية ، أو قصور المنهج المعتمد كمناهج الخوارج ، وتلك

صورة تتكرر، ومازال حيث تتمسك بعض الطوائف ببعض الجوانب التي حث عليها الإسلام وأمر بها، فتجعل منها قضية الإسلام الأولى والأخيرة وتتمسك طائفة أخرى بجانب آخر وتعطيه الأهمية نفسها، وتنكر الواحدة منهما على الأخرى وتقاطعها وتدابرها، وتتمزق الصفوف، وتبدد الجهود وربما وصل الأمر إلى التفسيق والتبديع، بل ربما وصل الأمر إلى التكفير وإهدار الدماء، نسأل الله السلامة والعفو والعافية.

تلك بعض آثار المظهر الأول من مظاهر الجهل.

المظهر الثاني وهو الجهل بالواقع : إذ أن الشريعة أحكام كلية وضعت لتعالج أحداثاً جزئية، ولذلك لابد من فهم الواقع بشكل صحيح، من أجل تنزيل أحكام الشرع عليه، ومن صور الجهل بالواقع اصطناع منهج في الفهم والتحليل يقود دائماً لفهم خاطىء ومعالجة خاطئة، ومن الأمثلة الشهيرة في التحليل السياسي - على سبيل المثال - «نظرية المؤامرة»، تلك التي ترجع كل الأحداث والوقائع والمستجدات لمؤامرة عالمية واحدة - يختلف في تحديدها ولكن النتيجة واحدة - مؤامرة شديدة الإحكام، شديدة الدقة، شديدة النجاح لا نملك إزاءها صرفاً ولا عدلاً، وتحيط بكل شيء علماً، قد تكون خلف هذه المؤامرة «الماسونية» السرية، ذات القيادة الخفية، وهي حكومة عالمية خفية تجتمع وتخطط، وتدبر كل شيء، وكل هذه الحكومات والدول والمنظمات إنما هي «أحجار على رقعة الشطرنج»، تتحرك وفق مخطط مدروس كي تنفذ «لعبة الأمم»، وتعبث بمقدرات الشعوب . .

هذه النظرية ليست مختصة ببعض المسلمين، بل هي منهج «مريح» يعفي من تبعات التحليل والتدقيق والمراجعة، وكانت سائدة في بعض المدارس التحليلية الأمريكية عندما كانوا يرون «الشيوعية» خلف كل خطر يتهددهم كما هو لدى «المكارثية».

تلك أربعة فروع من فروع الخلل السلوكي (الأخلاقي) والخلل المعرفي تتفرع عنها فروع أخرى كثيرة.

مدارس فهم النص:

في المسألة المعرفية الاستدلالية نود طرح هذا السؤال: هل جاء الإسلام بمفردات نصوص تؤخذ هكذا مبعثرة، ويتعامل مع كل نص بمفرده كأنه منهج مستقل وتشريع منفرد، أم ينظر إليه كما ينظر إلى الخلية في الجسد الحي لا قوام لها إلا به، ولا حياة لها إلا بحياته، وعزلها وفصلها يعني موتها المحقق..؟! ثم إذا سلمنا بأن الشريعة كل متكامل يصدق بعضها بعضاً، ويؤيد بعضها بعضاً كما قال الله تعالى: ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني** ﴾[الزمر: ٢٣]، فأي هذه النصوص هو المحور، وأيها الأطراف؟! أيها هو العمود الفقري، وقطب الرحى الذي لا قيام لغيره إلا به..؟! أيها المحكم الذي يمكن من خلاله فهم المتشابه... الملتبس الغامض..؟! ولنأخذ على ذلك مثلاً توضيحياً سريعاً: في مسألة الموقف من عصاة الموحدين في شريعة الإسلام، فنحن نجد هنا مدارس متعددة في فهم النص وإدراكه أشهرها ثلاث:

أولاً – الخوارج: الذين آمنوا بأن النص المحكم في هذه المسألة هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا..** ﴾[الجن: ٢٣]، وكل نص خلاف هذا النص فهو عندهم مردود عليه، فنصوص مغفرة الذنوب دون الشرك، مثل قوله سبحانه: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك..** ﴾[النساء: ٤٨]، المقصود بها ما دون الكبائر.. وهكذا، ومن خلال هذا الفهم السيء فإن مرتكب الكبيرة المصر عليها كافر خارج من الملة مخلد في نار جهنم والعياذ بالله..!!

ثانياً – المرجئة: الذين قالوا بأن النص المحكم في هذه المسألة قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**

إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾[الزمر : ٥٣] ، وكل نص يفهم من ظاهره خلاف هذا النص فهو غير مراد والواجب تأويله ، فمثلاً الآية التي استدل بها الخوارج على مقولتهم السابقة ، فإن المقصود بالمعصية في الآية هو المعاصي المكفرة كالسخرية بالدين ، أو ذم الرسول ، أو كراهية ما أنزل الله . . . الخ .

ثالثاً – مدرسة الصحابة أو المنهج الحق : أما علماء الصحابة ومن اقتفى أثرهم ، فقد رأوا أن في المنهجين خللاً معرفياً استدلالياً ظاهراً ، ذلك أنه في حقيقة الأمر فإن الآية المحكمة في الباب هي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . .** ﴾[النساء : ٤٨] ، فبهذه الآية تجتمع أطراف النصوص ويفسر بعضها بعضاً ، فنصوص الوعد بالجنة للموحدين العصاة الذين يقترفون الكبائر ، هي بعد تطهيرهم في النار حيناً من الدهر ، أو بمغفرة الله سبحانه وتعالى لهم ، ونصوص الوعيد على المعصية المقصود أن الفاعل لها مستحق للوعيد وقد يعاقب بذلك العقاب ، وقد يغفر الله له ، أو تكفرها طاعاته أو البلاء الذي يصيبه في الدنيا ، أو غير ذلك من الأسباب ، ولا ريب أن فهم السلف هو الفهم السديد ، وهو مقتضى النصوص الواردة المتواترة في إقامة الحدود على مرتكبي الكبائر ، إذ لو كانوا كفاراً لوجب قتلهم ، ولغير ذلك من الدلائل .

ولا ريب أن هذا الفهم هو الذي يعصم المجتمع من التمزق والحروب الداخلية الناجمة عن رؤية وفهم الخوارج ، كما يعصمه من التحلل وانتشار الفساد والجريمة الناجم عن الرؤية الإرجائية .

ومن هنا نفهم حقيقة قول الله سبحانه : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾[النساء : ٥٩] ، فالرد إلى الله والرسول ليس عملاً تعبدياً فقط ينجو به الفاعل من عذاب الآخرة ، بل هو أيضاً أحسن مآلاً ومصيراً في الدنيا للأفراد والجماعات .

ولقد دلت نصوص الكتاب والسنة على الأهمية الكبرى لمراجعة المسيرة ونقد الذات ، والنصوص في هذا كثيرة جداً ، فمن ذلك قوله سبحانه : **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . ﴾**[التوبة ، ٧١] ، فجعل سبحانه وتعالى مناط الولاء هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وذلك ظاهر لا ريب فيه ، إذ إن المداهن الساكت عن مخالفات أخيه يكون في صدره حرج منه ، كما أن لأخيه حرجاً هو الآخر إذ هو يعلم أن أخاه منكر في نفسه لهذا الفعل ، ولكنه لا يبين له هذا الإنكار مما يدل على وجود حاجز بينهما ، ومنها قوله سبحانه وتعالى : **﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . . ﴾**[المائدة: ٧٨ ، ٧٩] ، فكان سبب حلول اللعنة عليهم ترك التناصح والتذكير .

ولقد حفلت نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة بالكثير من التقويم والمراجعة والتصحيح ، فمن ذلك الآيات في غزوة بدر الكبرى التي فرقت بين الحق والباطل ، واختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قسمة أول غنائم يحصلون عليها ، ونزول سورة الأنفال تعالج هذا الحدث العظيم: **﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ، إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . . ﴾**[الأنفال : ١ ، ٢] ، وهكذا تمضي الآيات متوالية في درس تربوي طويل وعظيم وعجيب . .

ومع نزول هذه الآيات ، وبعد عام فقط ، تكون الأنفال هي السبب الأساس في هزيمة أحد ، وتتنزل الآيات لا تجاملهم ولا تحابيهم - رغم هزيمتهم وألمهم - يتنزل فيهم قوله سبحانه : **﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه**

حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم . . . ﴾[آل عمران : ١٥٢] .

هكذا يجتمع عليهم الدرس العملي القاسي «بالهزيمة» ، والدرس النظري بالملامة ، كتاباً «يتلى» إلى يوم القيامة ، ويسمع به خصومهم ، ولا يقال : ربما شمت الأعداء بنا . . ربما وربما . . ، بل يكون البيان في وقت الحاجة إليه والتذكير في قمة الانفعال ، ليكون ذلك أبلغ وأعمق أثراً .

وفي مواقع وأماكن وحوادث كثيرة أكثر من أن تحصى ، وأشهر من أن تستقصى ، حتى لقد صح عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال : (كنا لا نتباسط مع نسائنا والوحي ينزل مخافة أن ينزل فينا شيء ، حتى إذا قبض رسول الله ﷺ تباسطنا) . . !! بهذه الحساسية كانوا - رضوان الله عليهم - يتلقون الوحي ، ويستمعون إليه .

ضرورة المحاسبة والمراقبة :

من هذه النصوص ومن غيرها ، ندرك الأهمية القصوى لمحاسبة النفس ومراجعة المسيرة ، وتصحيح الطريق ، وهي حقيقة موضوعية تنبه لها عقلاء البشر وأسوياء العالم ، فوضعوا لهذا الغرض مجالس الشورى ودواوين المراقبة ، وغير ذلك ، ومن هنا كانت الأهمية الكبرى لأن يتعود الدعاة وقفات المراجعة ومجالس المناصحة ، ومؤتمرات التصحيح ، وأن يرحبوا بالنقد الهادف ويصبروا على التوجيه الإيجابي ، بل ويصنعوا الأدوات والآليات التي تضمن لهذا النقد وذلك التوجيه أن يؤتي ثمره وينتج فوائده المرجوة .

خلل في زوايا ثلاث :

وسأتطرق لهذا الموضوع في هذه العجالة من زوايا أساسية ثلاث ، أرى

أن الخلل يظهر واضحاً فيها وهي :

أولاً - فقه المقاصد وغايات الدين الكبرى :

ففي هذه الزاوية يظهر خلل عميق شديد الإيذاء في فهم كثير من الدعاة والجماعات للغايات الكبرى للدين ، وترتيبها فيما بينها ، وفي ترتيب الأولويات ويتجه كثير من هؤلاء إلى التعامل مع هذا الموضوع - ومع جميع القضايا - إلى التفكير البسيط المختزل ، ومن خلال هذا التفكير المبسط لدرجة الإخلال يتحرك الفرد والجماعة ، ويرسم طريقه ، ويحدد مساره .

فمثلاً يسأل سائل : لم خلق الله الخلق؟ فتكون الإجابة : ليعبدوه وحده سبحانه وتعالى ، بدليل قوله تبارك وتعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . . .** ﴾[الذاريات : ٦٥] ، أي يوحدون .

ثم يسأل : وما التوحيد؟ فيجاب : هو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة وهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات ، ثم ينسى توحيد الألوهية ويركز على النوع الأخير لأنه النوع الذي يكثر فيه الانحراف حسبما يرى ، فلا يتحدث إلا عنه ولا يناقش إلا فيه ، ولا يدندن إلا حوله وينسى أولاً أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة ، وأن عمارة الأرض ، ورحمة البشرية ، والقوامة على الناس من أنواع هذه العبادة ، وأن الله تبارك وتعالى جعل وجود الجماعة لتحقيق هذا الغرض ، والقيام بهذه الرسالة ، فقال سبحانه : ﴿ **هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . .** ﴾[هود : ٦١] ، أي طالبكم بعمارتها .

ولذلك يغيب هذا البعد - للأسف الشديد - عن أذهان كثير من الإخوة الدعاة ، فلا يلتفتون إليه ، ولا يعالجونه ، ولا يسألون عنه ، بل ربما نظر إليه بعضهم نظرة نفور وتنفير ، بل ربما نظرة تبديع وتضليل ، فيرون الاهتمام بإعداد

القوة التي أمر الله بها : ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . .** ﴾[الأنفال : ٦٠] يرون ذلك نوعاً من التساهل وتضييع قضايا الدين ، ويجهلون أنهم إنما جعلهم الله تبارك وتعالى للشهادة على الناس والرحمة للعالمين : برهم وفاجرهم مسلمهم وكافرهم : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[الأنبياء : ١٠٧] ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس . .** ﴾[البقرة : ١٤٣] ولذلك فهم لا يقومون بأي جهد لعمارة الأرض على أحسن صورة ، ولإعداد القوة ، وللشهادة على الناس . . بل تراهم يُزَهِّدون في فهم الواقع ، وفي متابعة المستجدات المهمة ، وفي تعلم اللغات الأجنبية وغيرها وباختصار كل ما من شأنه الحصول على القوة ، والقيام بالشهادة .

ثانيا - إدراك الذات ومعرفة الآخر وكيفية التعامل معه :

ولقد جعل الله لكل من آفتي الظلم والجهل دواءً ، فدواء الجهل السؤال والتعلم ، ولذلك يقول ﷺ لمن أفتوا صاحب الشجة بالاغتسال حتى مات (قتلوه قتلهم الله . . ألا سألوا حين جهلوا ، فإنما شفاء العي السؤال . .)[٣] فالعلم بنوعيه : العلم بالدين والشرع ، والعلم بالكون والواقع هما الشفاء للداء العريق في الإنسان ، داء الجهل ، وقد يسر الله وحيه ودينه : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر . .** ﴾[القمر : ٣٢] ، كما يسر فهم كونه ، وقد وضع الحدود الشرعية والكونية ، والمخالف لها إنما يضر نفسه ، ويدمر مجتمعه وتبقى السنن ويتمزق هو : ﴿ **تلك حدود الله فلا تعتدوها . .** ﴾[البقرة : ٢٢٩] ولقد أدرك علماء الطبيعة ذلك فالتزموا بالحدود الكونية كما هي دون أن يسألوا عن سبب مقدار سرعتي الضوء والصوت ، ولا عن سبب مقدار عجلة الجاذبية ، ولكنهم اكتفوا بقياسها والتزموا به ، ولو خالفوه لدمرت آلاتهم وخاب سعيهم .

وهكذا الشأن في أمر الله الشرعي ووحيه المنزل ، فهو يسير ولكنه خطير ، سهل ولكنه ثقيل . . : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً . .** ﴾[المزمل : ٥]

ويكفي أن نعلم أن أخطر مذهبين عقائديين شهدهما العصر الحديث ، وقامت على أساس هذين المذهبين ما يسمى بالدول العظمى روسيا وأمريكا ، وهما الرأسمالية والاشتراكية (الشيوعية) ومجالهما الحيوي الاقتصاد.

إن هذين المذهبين نُقضا في كتاب الله تبارك وتعالى في آية واحدة هي قوله سبحانه : **﴿ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا.. ﴾**[البقرة : ٢٧٥] ، فكون البيع حلالاً ذلك نقض للاشتراكية التي تدعو للملكية العامة ، وإبطال ملكية الأفراد في النهاية وتحريم البيع بذلك ، وتحريم الربا نقض للقاعدة المركزية في النظرية الرأسمالية ، وهي قاعدة الربا التي لا وجود للنظام إلا بها .

من ذلك يتبين لنا أن دعاة الإسلام والساعين لتغيير مجتمعاتهم حتى تسير وفقاً لشريعة الله تبارك وتعالى ، عليهم أولاً - وقبل كل شيء - فهم شريعة الله تبارك وتعالى كما أنزلها لا كما تهوى نفوسهم وترغب أفئدتهم ، عليهم فهمها بشمولها وعمومها ، وبالطريقة الصحيحة المعتبرة ، عليهم أن يثنوا ركبهم لهذا الغرض ويصبروا ويصابروا ، وعليهم كذلك فهم واقع مجتمعاتهم والواقع الدولي من حولهم ، وتنزيل هذا الفهم الشرعي على الواقع المتغير المتجدد ، كي يتمكنوا من قيادة ركب البشرية ، وليس فقط منافسة خصومهم والوقوف أنداداً لهم .

ثم عليهم بعد ذلك الفهم ، وهذا الوعي تربية ذواتهم ومن معهم على الجوانب السلوكية والسبل العبادية لله تبارك وتعالى ، والقيم الخلقية مع عباده المؤمنين وغير المؤمنين ، وهي عملية شاقة فعلاً ، ولكن لا مناص عنها ، كانت تلك هي منهجية رسول الله ﷺ وصحبه ، يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - : «كنا لا نجاوز عشر آيات حتى نعلمهن ، ونعمل بهن ، فتعلمنا العلم والعمل جميعاً».

ولا سبيل غير هذا السبيل : علم وعمل ، معرفة وسلوك ، قول وفعل ظاهر وباطن .. ولقد لبث رسول الله ﷺ ربع قرن يربي أصحابه بالعلم والعمل

ثم ما لبث في الربع الثاني أن هز بهم - رضوان الله عليهم أجمعين - الدنيا وجابه بهم التاريخ ، وأسقط بهم القوتين العظميين : فارس حيث أخبر عنهم ﷺ : (إذا هلك كسرى فلا كسرى غيره . .)[٤] ، والروم البيزنطية التي انكفأت على نفسها في أوروبا ، ولم ترفع رأسها طوال عشرة قرون حتى جاء العصر الحديث ، والذي حدث أول مرة يمكن أن يتكرر مرة أخرى إذا وجدت شروطه الموضوعية ، لأن الوحي لايزال موجوداً محفوظاً : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . .** ﴾[الصف : ٩] .

ثالثاً - إدراك سنن الله في الكون والأفراد والجماعات :

لقد تعلمنا من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله ، أن لله في مسيرة الكون والمجتمع سنناً دقيقة قابلة للرصد تحتاج ، للتعامل معها والتحرك من خلالها، كما قال سبحانه : ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً . .** ﴾[فاطر : ٤٣] ، ومن تلك السنن الكثيرة أن الله لا يصلح عمل المفسدين ، وأن للتمكين في الأرض شروطاً وضوابط : ﴿ **إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين . .** ﴾[البقرة : ١٢٤] ، وقال أيضاً : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . .** ﴾[محمد : ٧] .

ومن ذلك أن الناس يسارعون لتكذيب من يأتيهم بالغريب غير المعتاد ويحتاجون لكثير من الوقت حتى تختمر الفكرة في أذهانهم فيؤمنوا بها : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله . .** ﴾[يونس : ٣٩] ، ومن ذلك أيضاً أن الجماهير تخضع لما يسمى في نظريات الإعلام «بالعقل الجمعي» و«قادة الرأي» ، قال تعالى : ﴿ **إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر . .** ﴾[المدثر : ١٨-٢٥] ، قال هذا قائد الرأي الجاهلي «الوليد بن المغيرة» ثم رددتها الجماهير من ورائه دون تفكير ، ولذلك طالبها تبارك وتعالى

بالنظر الفردي أو الثنائي : ﴿ **قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ..** ﴾ [سبأ : ٤٦].

وإذا صح هذا في الجاهلية مع التخلف الإعلامي والاتصالي والانتقالي فهو في العصر الحديث أجلى وأوضح وأظهر ، لذلك فإن ثقل الأمانة وضخامة التبعة على الدعاة في الوقت الحاضر كل ذلك ضخم جداً ، ولن يطيقوه إلا بالعلم ديناً ودنيا ، والعمل الجاد عبادة وعمارة ، والتربية الصالحة العميقة نسكاً وخلقاً ، ثم رص الصفوف ووحدة الكلمة ، على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ، والوعي بالواقع والسنن ، والتحرك بالأهداف البعيدة والكبيرة : ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ..** ﴾ [الحج : ٤٠-٤١].

والحمد لله أولاً وآخراً.

هوامش :

(١) صحيح أبي داود ، كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ج٢ ، ص٧٧٠ ، ح/٤٦٠٨ .

(٢) صحيح أبي داود ، كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر ، ج٢ ، ص ٧٧١ .

(٣) أبو داود ، ج١ ، ص ٢٣٩ ، ح/٣٣٦ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، ج٢ ، ص ٨٠٤ ، ح/٤٣٦٢ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الأيمان ، ج٧ ، ص ٢١٨ ؛ مسند أحمد ، ج٢ ، ص ٢٦٣ .

من مآسي تاريخنا المعاصر

صالح محمد العصيمي

وقفت ذات يوم ممعناً النظر في خريطة العالم الإسلامي ، وكلما نظرت إلى بقعة في تلك الخريطة أغمضت عيني ، ثم صرفتهما بسرعة إلى بقعة أخرى ثم بدأت أبحث عن مكان يكسوه اللون الأخضر ، ولكن للأسف كانت تلك الخريطة تكاد أن تكون حمراء اللون والدماء الزكية تسيل في شعابَ العالم الإسلامي وأوديته وتتجمع أنهاراً مع أنهار الدموع لتكون بحر المأساة الكبرى ، أما الرؤية في بحر المأساة فإنها معدومة فشمس الإسلام قد حجبت بغبار الذنوب والخطايا .

ففي البوسنة والهرسك يقتل المسلمون ، ودول الغرب تحيك المؤامرات . والمسلمون يبلغون المليار ، يعيش أكثرهم بلا هدف ، ولا هم مشترك وذلك يجعلهم مجرد هامش في صفحة التاريخ .

كان اليهود والنصارى وأمم الأرض جميعاً يهابوننا عندما كنا نهاب الله ويخشوننا عندما كنا نخشى الله ، ويأبهون بنا عندما كنا نهتم بإخواننا في كل مكان ، أما وقد تركنا ذلك كله فكان لزاماً أن تمضي سنة الله فينا ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[الرعد : ١١] .

إن نداءات المسلمين من يوغسلافيا أو من الفلبين أو من الحبشة والهند

موجهة أساساً إليك أنت! . . نعم أنت يا من تقرأ هذه السطور وتقلب هذه الصفحات ، هل تعتقد أن المخاطب غيرك أو أن المسؤول سواك؟ كلا وإن كنت تحسب ذلك فاعلم أن هذه هي المشكلة وأن هذا هو الخلل .

عندما صاحت تلك المسلمة «وامعتصماه» ، كان هناك رجل مسلم لم يتجاهل الأمر ، كذلك فإنه لم يقل : هل سأقاتل الروم وحدي!! ولكنه فعل ما يستطيع فركب البحر ثم جد في السير حتى بلغ المعتصم فبلغه الصرخة ، ولو أن كل واحد منا عرف تقصيره فعمل لإكماله لكان الأمر هيناً ، ولكن للأسف كل من سمع بالمصائب اعتقد أن المخاطب هو كل مسلم يعيش على هذه البسيطة سواه .

اعلم يا أخي أنك بإيمانك وبغيرتك على أمتك تمثل أمة واحدة ودولة كاملة ، فيك جهاز للدفاع عن الأمة ، وفيك جهاز للإعلام بواقع الأمة ، وفيك بيت للمال يدعم الأمة ، فلا تحتقر من أمرك شيئاً ، ذلك الرجل الذي بلّغ المعتصم صيحة المرأة المسلمة انتقم للإسلام ببضع كلمات ، فهلا نصرت الإسلام وأنت على أحد ثغوره؟!

يجب على كل منا أن يساهم في العلاج ، وإليك بعضاً مما تستطيع تقديمه :

١ - اجعل لهموم الأمة موقعاً هاماً في خريطة قلبك : فالمسلم الحق يتأمل حال أمته ثم يتألم له ، فإذا حضر الطعام تذكر إخوانه الجياع ، وإذا جلس مع أفراد أسرته تذكر أفراد أسرة أخيه المنكوب ، فصلاح الدين لم يولد فارساً ، ومحمد بن القاسم لم يولد قائداً ، بل كانوا أفراداً مثلنا ولكن نفوسهم سمت فسموا ، وهممهم ارتفعت فارتقوا .

٢ - الدعاء : ومن منا يشك في أن الدعاء أمضى سلاح وهو على العدو أشد من القنابل والصواريخ ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : (لا يرد القضاء

إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر).

٣ - الدعم المالي : وليس المقصود بذلك دفع مبلغ زهيد نشعر بعده بأننا أدينا ما علينا ، ولكن لنقدم إلى من حرم حق العيش والحياة من ضروريات الحياة ما أمكن ، فضلاً عن كمالياتها.

□ □ □

بريد القراء

* الأخ علي الخشان : يخالف تحليل كاتب مقالة «ماذا يبقى من دولة اليمن» في موقف الغرب منها ، ويقول بأن مصالح الغرب الكبرى هي إذكاء العداوة وقيام الحرب ، وصرف المسلمين إلى هموم جديدة ، وتحريك سوق السلاح ، ثم تأتي في صورة المنقذ عن طريق هيئة الأمم في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، وبعرض وجهة نظرك على الكاتب أفاد بأن الآراء قد تختلف ولرأيك عنده وجاهته.

* الأخ ناصر العنزي : كم كنا نتمنى أن يكون مقالك ليس مجرد نقول ، إذ أن هذا الأسلوب غير مرغوب فيه ، ولعلنا نرى لك مشاركة قادمة أكثر مناسبة.

* الأخ محمد الفرحان : مقالك «مرجئة العصر» سيأخذ دوره في منتدى القراء بإذن الله.

* الأخ جعفر الفوال : مقالك عن تحريف الكلم تحت النظر لإجازته.

* الأخ سعود بن عبدالله السواط : نشكر لك ثناءك على المجلة وما ينشر فيها وتساؤلاتك عن شروط النشر ومدى قبول مشاركاتك عليه نفيدك بترحيبنا

بمشاركاتك ، لكن لابد من الاطلاع على أي مقال حتى نحكم له أو عليه ، مع اهتمام المجلة بكل رأي هادف وتحليلات جديدة لأي مواضيع مما تنشره المجلة.

* الأخ إبراهيم السماعيل : مقالك «اليسار الإسلامي» لا شك أنه جهد جيد ومتابعة لما كُتب ، غير أن جانب النقل غلب عليه ، لذا نأمل أن نرى مشاركاتك القادمة التي يظهر فيها جهدك الخاص.

* الأخ عبدالغني بوزكري : ستصلك رسالة خاصة حول ما كتبته للمجلة.

* الأخ صادق عبدالمجيد : مقالك حول «قرارات النظام العالمي الجديد» قصير جداً ولم يأت بجديد.

* الأخت رذاذ راشد : الشعر طويل سلمه ، ويلزمك القراءة كثيراً في الجيد من كتب الشعر العربي قديمه وحديثه ، حتى تستقيم ملكتك ، مع تمنياتنا لك بالتوفيق.

ذوق الداعية

جمال سلطان

الدعوة إلى الله ليست – في الحقيقة – عملاً علمياً بحتاً ، بقدر ما هي عمل احتماعي ، يتخاطب فيه الداعية مع أصناف من البشر ، ومستويات من المدارك والأفهام ، إضافة إلى شبكة كاملة من العلاقات الاجتماعية لها حساسياتها تجاه الكلام والخطاب والألفاظ ، وهذا كله مما يوجب على الداعية المسلم الاحتفاظ بقدر عال من الذكاء والحضور الذهني ، وقبل ذلك وبعده إلى قدر عال من الذوق والأدب ورهافة الحس ، بالنظر إلى كونه يمثل تجسيداً فردياً للوجود الإسلامي في المجتمع .

أقول هذا الكلام ، المحرج لبعضهم ، بمناسبة تكرار صدور تعبيرات وكلمات وألفاظ من بعض الدعاة ، في دروسهم أو أشرطتهم أو على منابرهم هي – بالتأكيد – مما يأباه الذوق ، وينفر منه السمع ، ويصدم المستمع بطلقات ثقيلة من القبح والذمامة والأذى ، وصحيح أن هذا كله لا يصدر عن كبار الدعاة ورموز الدعوة المتميزين ، وإنما يصدر – عادة – عن شباب الدعاة ، والمبتدئين في هذا المجال ، ولكن ذلك لا يمنعنا من الإشارة إليه والتحذير منه ، لشيوعه وأسراف هؤلاء النفر في استعماله .

خذ مثلاً لذلك الحديث عن «تميز المسلمين» ، وشمولية دين الإسلام لكل سلوكيات المسلم ، وهناك نصوص كثيرة تغني في هذا الشأن ، إلا أن بعض الدعاة لا يتخير أو لا يجذب حاسته سوى قول مشرك أو يهودي بذيء ، موجهاً حديثه إلى أحد الصحابة : «إني أرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى يعلمكم الخراءة» .

يا أخي هذا قول يهودي ثائر حاقد ، وبذيء ، وقد سجل أهل العلم قولته من باب أمانة النقل ، أما أن تصبح بذاءة اليهودي ، والخراء ، وحديث الخراءة والمستفاد من قصة الخراء ، هي حديث المنابر وأشرطة التسجيل ، فهذا - أبداً - لا يكون من الذوق ولا من ذكاء الدعوة ولا من أدب الداعية ، ولا من رهافة الإحساس .

إن نزعة تسقط الغرائب والفرائد في الخطاب الدعوي ، هي - ولا شك - فعل المبتدئين ، وقليلي العلم والخبرة معاً ، ولكننا - على كل حال - لابد أن ننبه كل من تصدى إلى الدعوة ، إلى شرط جوهري وبسيط ، وهو أن يمتلك الذوق والأدب الرفيع والرهافة ، وأن يحدث الناس بما يعرفون ويحتملون ، لا أن يتلمس لهم من الفرائد والنوادر ما يجرح مشاعرهم أو يصدم خواطرهم ، بل عليه أن يسمو بهم في خطابه .

والله المستعان .

مشروعات المنتدى القائمة

م	المشروع	العدد
١	كفالة الدعاة	٥٠٠ داعية
٢	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٤١٨ حلقة (١٢,٤٥٠ طالب وطالبة)
٣	القوافل الدعوية	١٨ قافلة
٤	الملتقيات الدعوية	١٨ ملتقى
٥	الدورات الشرعية	١٥ دورة
٦	المساجد	١٣٥ مسجد
٧	الآبار	٦٥ بئراً سطحية ، ٢ بئر إرتوازية
٨	المدارس	٢٧ مدرسة (٤,٧٥٤ طالباً وطالبة)
٩	المراكز الإغاثية	٢٥ مركزاً (١٢,٢٠٠ شخص يومياً)
١٠	إفطار صائم	١,١٣٦,٦٧٠ وجبة إفطار (في ٢٣ دولة)
١١	إصدارات المنتدى الإسلامي	١٨ كتاباً

وهناك نشرة (المنار) باللغة الإنجليزية تعنى بالتعريف بالإسلام وبيان محاسنه ، وطباعة الكتب المترجمة وتوزيعها ، وحملات الحج والعمرة ، وبناء خلاوي تحفيظ القرآن الكريم ، والإغاثة العامة ، ومراكز الخياطة . . . الخ .

وقد زكى المنتدى الإسلامي مجموعة من العلماء على رأسهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين ، وفضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن قعود ، وفضيلة الشيخ صالح الحصيّن ، حفظهم الله تعالى .

للمساهمة في مشروعات المنتدى

م	نوع النشاط	متوسط التكلفة بالدولار
١	كفالة الدعاة	١٠٠ شهرياً ، ١,٢٢٠ سنوياً
٢	حلقات تحفيظ القرآن الكريم	٨٠ شهرياً ، ٩٦٠ سنوياً
٣	ملتقى دعوي إقليمي	٨,٠٠٠
٤	دورة شرعية متخصص	٥,٣٠٠
٥	دورة شرعية محلية	١,٣٥٠
٦	قافلة دعوية	١,٣٥٠
٧	معهد إعداد دعاة (٩٠ طالباً)	١٣٣,٠٠٠ إنشاءات ، ٣٢,٠٠٠ تشغيل سنوي
٨	تشغيل مدرسة (٣٠٠ طالباً)	٢,٣٥٠ شهريا ، ٢٨,٢٠٠ سنوياً
٩	بناء مسجد	من ١٣,٠٠٠ إلى ٤٨,٠٠٠
١٠	مكتبة عامة كبيرة	١٢,٠٠٠
١١	مكتة عامة متوسطة	٣,٥٠٠
١٢	مكتبة عامة صغيرة	١,٧٥٠
١٣	مكتبة طالب علم جامعي	٦٠
١٤	مكتبة طالب علم غير جامعي	٥٠
١٥	الصدقة الجارية*	غير محددة

أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، فتوى بجواز دفع الزكاة للمنتدى الإسلامي برقم ١٢٦٢٧ وتاريخ ١١/ ٢/ ١٤١٠ هـ.

ملحوظة : أخي الكريم ، ما زاد عن تبرعك فسيصرف في مشروع مماثل ، وما نقص فسيكمل من تبرع غيرك .

* يهدف مشروع الصدقة الجارية إلى إيجاد أوقاف ومشاريع استثمارية عقارية دائمة يكون عائدها دعماً لأنشطة المنتدى ومشاريعه الدعوية .


Bibliotheca Alexandrina
05335468